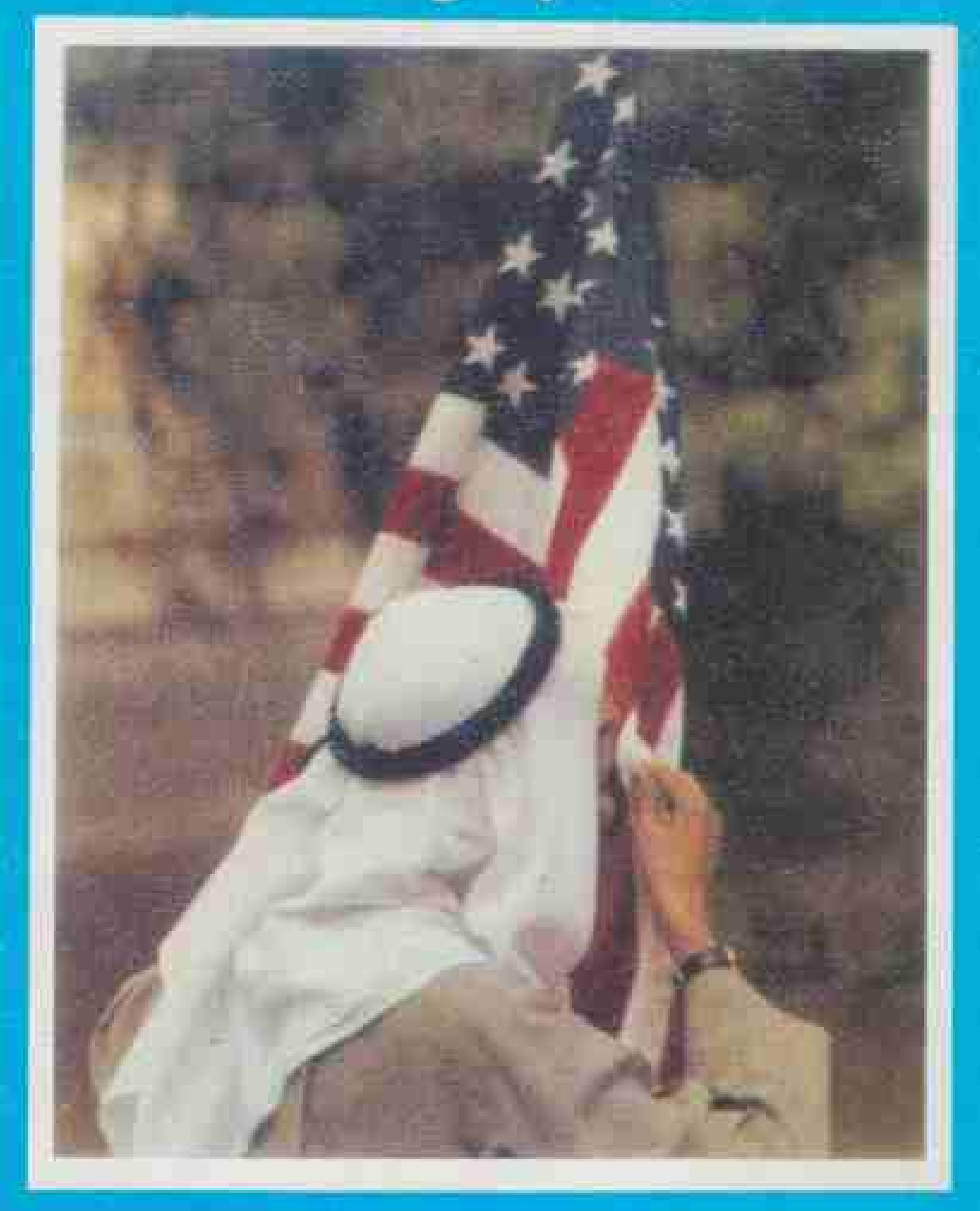
محمد جلال كشك



الجنازة حارّة..!

يوميات مراقب لأزمة الخليج

هذا الكتاب

هل هو دفاع عن الكويت ..

بالتأكيد لا ..

بل لعل البعض يقول إنه تصعيد التحامل على الكويت ! .. لكن فهذه مسألة تقديرية.. المهم ان ليس به افتراء .

هل هو إدانة لصدام حسين ..؟ بالتأكيد .. فما من فرد بعد عبد الناصر جلب على أمتنا من الخسائر والخزي مثل صدام حسين . ومع ذلك لا يمكن اتهامي بالتحامل على الرئيس العراقي لأن حديثي يعتمد الوقائع وحدها والتحليل المنطقي الذي تثبته الحقائق كل يوم .

هل هو معاد للولايات المتحدة الأمريكية ؟

تستطيع ان تقول ذلك .. باعتبار ان الرئيس بوش يمثل هذه الولايات المتحدة ، وانه اراد ودبر ونفذ حرب الخليج ، وانزل بأمتنا من الخسائر ما انزل وبلغ فيها ما يحب ويحب الصهيونيون.. أمريكا هي التي قتلت مليون عراقي ودمرت الكويت والعراق واعادتهما الى ما قبل العصر الصناعي .. وحطمت حلم البشرية في أن يكون السقوط الشيوعي نهاية الحروب والتوسعات والاستعمار فإذا بها تعيد العالم لدبلوماسية البوارج والمدافع وسياسة القرن التاسع عشر..

هل هو دفاع عن السعودية ..؟

ليس دفاعا .. ولكن يمكن القول انه شرح لموقف المملكة من موقع التفهم .

ومنذ سنوات عديدة قلت ان الذي يمدح السعودية نفاقا ليس اكثر خطأً من الذي يهاجمها لكي لا يتهم بالموالاة لها !

وعندما نكتب للأجيال لا يجوز ان نزور التاريخ تحت تأثير المصالح أو الانفعالات ..

وأنا اعرف ان كتابي هذا سيمنع من دخول دول الخليج ، على الأقل ، ولا أبالي لأن أروج كتبي في العالم العربي هي التي وقفت في زور مسئولي الاعلام . ولو خيرتني بين ان اكتب لمتسول يستجدي الناس أمام مساجد الحرق والمياه أو أن أكتب لأراجوز وزارة الاعلام الذي يتطاول على

مصر في اذاعة لندن « المؤيد » للاحتلال البريطاني والأمريكي . . أو أي احتلال . . لأثرت عليه على الفور المتسول . . فهذا هو الدائم اما الوزير فهو الوباء الطارئ الذي سيزول بزوال الاستعمار بإذن الله! . و أنا أكتب للتاريخ وهو قارئ من طبيعة خاصة لا يتعامل ألا مع الحقيقة وحدها!

يسألني البعض . . وكيف تبرر قبول المملكة للقوات الأمريكية . .

أولا أنا لا أبرر بل أفسر . .

وقد شهد الد اعداء المملكة واعلى الصارخين صوتا ضد قبولها القوات الامريكية شهد حرفيا؛ « حتى لو رفضت السعودية مجيء القوات الامريكية لجاءت وفرضت وجودها بالقوة، واغتالت من يقف في طريقها كما فعلت مع جلالة الملك فيصل عليه رحمة الله » [1]

الف رحمة !

والغريب ان كاتب هذا لا تطرف عينه ، خوفا من أن يسأله أحد فلماذا كانت حملتك الشعواء على المملكة التي تجنبت الغزو والقتل . . هل كنت ترغب في احتلال القوات الأمريكية للمملكة ؟! ويذكرني هذا براوية سمعتها من الشيخ عبدالله بلخيرقال : ان الملك عبد العزيز دعا مستشاريه خلال الحرب العالمية الثانية وابلغهم أنه تلقى رسالة من الإنجليز تخطره بأنهم سينزلون قواتهم في العقبة . . وسألهم ما رأيهم ، وكانوا من اللاجئين العرب الهاربين من الاستعمار في بلادهم فانبروا يعارضون ويقترحون الرفض . . فقال لهم الملك عبد العزيز . . لقد مرت علينا سنوات و نحن نطالب الإنجليز بالاعتراف بسيادتنا على العقبة وهم يرفضون . . الآن هذا الاخطاربمثابة اعتراف بذلك . . ثانيا الإنجليز نزلوا . . وانتهى الأمر . . ثالثا هب اننا اتخذنا قرارا بمنعهم من النزول هل لديكم قدرة على تنفيذ ذلك ؟!

بصراحة جدا . . المملكة لم تكن تستطيع منع الأمريكان من النزول . . بعد أن اعطاهم صدام المبرر، وبعد التحول في موقف الاتحاد السوفيتي وانفراد الولايات المتحدة بالسيطرة على العالم . .

شخص واحد كان يستطيع منع الأمريكان من النزول في الخليج . .

هو صدام حسين اذا لم يحتل الكويت . . ولكنه احتلها !

وشخص واحد في هذا العالم كان يستطيع ان يجعل وجودالامريكيين في الخليج مرفوضا وبلا مبرر ، هو صدام حسين لو بادر بالانسحاب فور أن تبينت نية الولايات المتحدة في احتلال

الخليج . . ولكنه لم ينسحب . .

ومن ثم فأسوأ المواقف هو الذي يتعامى عن هذه الحقيقة لمجرد منحة نقد السعودية !.

ملخص هذا الكتاب ان أزمة الخليج كانت مؤامرة أمريكية لأهداف عالمية وداخلية وأن اداة الولايات المتحدة في تنفيذ هذه المؤامرة هما: صدام حسين وآل صباح . . وكل القوى الاخرى لعبت الدور المرسوم لها، بعضها طوعا وبمتع مثل الملك حسين ، وبعضها كرها فقد انعدم الخيار ، بعد الغزو العراقي . .

وهذا الكتاب مادته الأساسية هي يوميات ستة شهور من اغسطس إلى فبراير (وان كان صديق عزيز في لندن يصر على انها بالحساب البازرجي خمسة شهور !) فعندما نشبت الحرب وبسبب الحظر المفروض على كتاباتي في الصحف ، ولأنه كان يستحيل على ان اتخذ موقف اللا مبالاة أو الشيطان الاخرس ، فقد انشأت مكتبا في لندن لمراقبة الاحداث والتعليق عليها أو تحليل المواقف واتاحتها لبعض المهتمين ، والتصدي احيانا لما كان ينشر في الصحافة الأمريكية والبريطانية والعربية الضالعتهمهما . . وقد تشكلت هذه اليوميات خامة طيبة كسوناها تحليلا وتعليلا وتفسيرا وتسجيلا . . فكان هذا الكتاب الذي سيثير الكثيرين وسيغضب كل الاطراف وسيرضي اثنين : ضمير مؤلفه والقارئ الذي يريد الحقيقة . . حقيقة ما جرى في أكبر نكسة للعرب والخليج بل ولأحلام العالم في السلام والحرية . .

بقت كلمة يتحتم على ان افسر بها تأخر صدور هذا الكتاب . . أولا كان بوسعي ان اصدر اكثر من كتاب عن أزمة الخليج في الأسبوع الأول من اغسطس فأنا اكثر الكتاب العرب الماما وكتابة عن قضايا الخليج وقد تنبأت بما حدث للكويت قبل ست سنوات ، ولكنني رفضت استغلال ثقة القارئ ، وقد تعددت « باكيورت » التأليف الذي طفح في السوق حتى لم يبق شخص على صلة ما بالنشر الا واخرج كتابا على الاقل . بعضها يستحي القارئ الواعي ان يمسح بها قيه ، ومعظمها سيتمنى كتابها لو أنها أصبحت نسيا منسيا . . وقد حققت مالا واهدرت ثقة القارئ . ولكن كتابي تأخر فعلا عن موعده والسبب المباشر هو أنني اكتبه بنفسي على الكمبيوتر وقد رأيت ووافق الناشر ان نطبعه على الكمبيوتر كما هو الاتجاه الحالي والمستقبلي في فن الطباعة ولأننا لسنا من الذين يملكون السكرتاريات فقد كان على ان اعيد كتابته اكثر من عشر مرات

بنفسي ، ولا اغالي أن قلت ان نسخه كلفني وقتا يعادل عدة مرات ما استغرقه تأليفه ،دون ان ينتقص ذلك من جهد الذين عاونوا قدر طاقتهم ، وقدر ما سمحت الظروف .

محمد جلال كشك
٣ب بهجت علي - الزمالك
يونية ١٩٩١

مدخل

عندما بدأ انهيار المعسكر الشيوعي حرصت الولايات المتحدة على الزعم بظهور نظام عالمي جديد، والترويج بأن البشرية تستقبل نهاية التاريخ كما قال فرانسس فوكوياما الكاتب الياباني المتأمرك ، بمعنى اننا نودع نهاية الالام والاطماع والتقسيمات ومناطق النفوذ . . ويبدو أن الروس وحدهم ، أو قيادتهم ، هم الذين صدقوا ذلك ، وشاركهم المتخلفون.. أما الامريكان فإنهم بالتأكيد، لم يصدقوا ولا آمنوا بذلك لحظة واحدة . ولا حتى فكروا في تجربته بل جعلوا كل ما وقع من تطورات في الاتحاد السوفيتي وشرق اوروبا مجرد عامل مساعد لنجاح مخططهم في السيطرة على العالم وكسب الحرب الباردة بمفهوم الحرب الباردة !ولكن هذه الحقيقة لم تتضح الا بعد خراب البصرة فعلا .

وقد كتبت «التايم» تكشف هذا الاحساس عند الامريكيين معلقة على محاولة الاتحاد السوفيتي الفاشلة والمتأخرة جدا لانقاذ بعض ما تبقى من صدام حسين فقالت المجلة الامريكية :« ولو أن الحرب الباردة انتهت ،إلا أن مقتضيات الجيوبوليتيك لم تختف . وقد نبهتنا هذه الأزمة إلي أن الامريكان يجب ألا يتوقعوا ان تنتهي المنافسة مع موسكو، لمجرد ان السياسة الخارجية لروسيا لم يعد هدفها التبشير بالشيوعية . فهذا التزاحم مستمر مادامت المتناقضات الطبيعية ، مثل العوامل الاقتصادية والارض واعتبارات الامن ، تدفع وشنطن وموسكو للتزاحم على الموارد والنفوذ سواء أكان الذي في «الكرملين » هو لينين أو جوربتشوف.»[1]

وهو قول صادق تماما لأن الصراع بين الدول لا تثيره الايديولوجيات ، بل ان الخلاف الايدلوجي هو في حقيقته تعبير عن تناقض المصالح. ويمكن الرجوع الى كتابنا «الماركسية والغزو الفكري »الصادر عام ١٩٦٥ في هذا الشأن ..

اقول وسط حمى الفرح بالنظام العالمي الجديد والتغني بنتائجه كنت وحدي -على الصعيد العربي على الأقل -الذي قال ان العالم يواجه محاولة تقسيم جديدة تفرضها التطورات الاقتصادية التي تمت منذ الحرب العالمية الثانية . وقلت ان امريكا تهدف لتطويق اليابان وأوروبا أوبالذات المانيا ومنع أو تعطيل الوحدة الاوروبية . ودعوت الى حلف روسي / اسلامي على اساس اعتراف

الروس باستقلال ووحدة الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي.

في ابريل ١٩٩٠ و في كتابي «المسلمون والروس يقررون مصير العالم » قلت : «لسنا نذهب الى قول المهرجين ان عالما جديدا يولد أو ان فجر حضارة السلام والإخاء والحريات قد بزغ ..الى آخر ما يروجه عملاء الكبار . نحن امام محاولة جديدة لاعادة تقسيم العالم.. واذا كانت هناك وليمة فنحن الذبيحة . فلا معنى للصخب ! واذا كان للبيريسترويكا من فضل يستحق الاحتفاء به، فهي أنها جردت عملاء الاتحاد السوفيتي من سلاحهم المفضل ،أعني اتهام كل من ينتقد روسيا بالعمالة للامبريالية والرجعية.. الخ لأنه بفضل جورباتشوف الذي الف كتابه بناء على اقتراح من الناشرين الامريكيين بل وعرض الكتاب عليهم قبل نشره ، وأدخل عليه التعديلات التي طلبوها ! اقول بفضل جورباتشوف اصبحت روسيا نائمة في احضان الامبريالية تعاشرها معاشرة الأزواج . ولم يعد للفظة الامبريالية أي معنى ، فقد اختلطت الامور وذابت الحدود .

« وكما باع الغرب شرق اوروبا لستالين في يالتا وبوتسدام» باع جورباتشوف نفس البلاد للغرب في جنيف وريكيافيك .. اما ماعدا ذلك فلا تغيير- على الاقل في مخطط المشفقين- سيظل الاقوياء اقوياء جبارين ، وسيبقى الاغنياء اغنياء مستأثرين ، وسيزداد وضع الضعفاء تدهورا، والفقراء بؤسا وفاقة . وستزداد الهوة بين الاقوياء المترفين والفقراء المستضعفين اتساعا ، حتى تصبح كما حذرنا من عشرين عاما ، مثل الهوة التي تفصل الرجل عن القرد ، هوة يستحيل تخطيها. وقلنا وقتها ان السبيل الوحيد لاستمرارنا بعد حدوث هذه الهوة ، هو موافقة الدول « الانسانية » على اطعامنا كما تطعم قرود المعامل مقابل استخدامنا كقطع غيار أو لتجربة الادوية والميكروبات ، على ان تتولى الانسانية ، تنظيم نسلنا بالطبع وتطويره بما يوافق حاجات التجارب..»

وقلت : «العالم لا يسير تحت راية جورباتشوف وبوش - لا إلى الوحدة ولا إلى السلام والمساواة ، واذا كان التفوق العسكري للولايات المتحدة وروسيا ، واتفاقهما يوحي بدخول العالم في مرحلة تشبه اقتسام العالم بين بريطانيا وفرنسا في القرن التاسع عشر، إلا أن قوانين الحياة ، وبالذات القوانين الاقتصادية تحتم ظهور مراكز جديدة متمردة ،ومهما كانت القوة العسكرية قادرة على فرض شروطها على الاكثر تقدما في التكنولوجيا والاقتصاد ، فذلك تحكم موقوت.. تماما كما استطاعت بريطانيا ان توقف التاريخ من سبعينات القرن التاسع عشرحتى الحرب العالمية

الثانية ، رغم تراجعها امام الاقتصادين الامريكي والالماني ثم الياباني . ولكن لابد من يوم يفرض فيه الاقتصاد نفسه حربا أو تسليما بحتمية التنازل للطرف الاقوى . والأمر في النهاية سيحسم في المحيط الهادي والى حد كبير جدا في باريس . . هل ستستطيع فرنسا التغلب على العقدة الالمانية وتمضي في مشاريع توحيد أوروبا وجعلها مرة اخرى القوة العالمية المرجحة ان لم تكن الاولى . . وفي هذه الحالة فإن الشرق الاوسط يعود مرة أخرى ليشكل الفناء الخلفي لاوروبا و يدخل الصراع العربي – الاسرائيلي مرحلة جديدة تماما، تقول اوروبا فيه كلمتها، بزعامة المانيا، بكل مشاعر الحب العميق بين الالمان واليهود ! وكل المصالح التي تراها اوروبا في الشرق الاوسط ، نفس الشرق الاوسط الذي تعتبره اسرائيل مجالها الحيوي ولا تسمح حتى لامريكا بالتحرك المستقل فيه[٢] . .

«هل تظل اوروبا الموحدة مرة اخرى على جنوب البحر الابيض أم تتغلب القومية وتتمزق أوروبا بفعل الوحدة الالمانية؟!

«هذه كلها قضايا مازالت في التفاعل ، ومهما يكن تخطيط جورباتشوف وبوش ، فإن للأحداث منطقها ، والحركة قد تطلقها يد ولكنها اذا انطلقت يستحيل التحكم الكامل في مسيرتها. ومن يراجع كتاب جورباتشوف يجد انه منذ عامين فقط لم يكن يتوقع ولا يوافق على الوحدة الالمانية . .وهاهو يستحثها ويستفيد منها في ضرب الوحدة الاوروبية.ومن ثم فللمفاجآت ممكنة ، ومن الترف الشديد لدولة أو دول لا تملك ثمن الخبز الذي تأكله وتبدده في اسراف سفيه ، من الترف ان تفكر في استراتيجية عالمية ، ومن الوقاحة ان تدعي ذلك.»[٣]

هذا ما قلته في ابريل ١٩٩٠ ولكني اعترف انني لم اتصور أن الضربة الامريكية لليابان والمانيا ستأتي بهذه السرعة وانها ستكون في شكل مذبحة عربية تمحي فيها منشآت الكويت والعراق ، وتهدر فيها حياة مئات الالوف من العرب وكأنهم مجرد سائمة فُقدت في زلزال . . وكان هذا خطأ مني بالطبع لأن ضرب المانيا واليابان ، أو إن شئت كل الحروب التي ستسبق الحرب العالمية القادمة ، ستجري في العالم الثالث. وفي العالم الثالث كله لا توجد ارض اصلح لهذه العمليات من بلاد العرب ، وإلا فأين في العالم كله زعيم مثل صدام حسين يمتزج فيه الجهل بجنون العظمة بعشق وحشي للسلطة يجعله ينفذ المخطط الامريكي بالكامل وبحماسة وفخر ؟!

وأين في العالم كله غوغاء يزولون قيادة الجماهير ويقولون : صدام انتصر لأنه انبطح على

وجهه ثلاثين يوما أمام الضرب الامريكي ؟! أو كما قال نائبه : ليس المهم الانتصار بل الصمود !!
وقد ذكرني ذلك بما كتبه مستشرق انجليزي في القرن التاسع عشر عن الفلاحين المصريين فقال انهم جميعا يدفعون الضرائب ولكن بعد التعذيب والضرب والأهانة ويتفاخرون بمن تحمل ضربات اكثر قبل ان يدفع !

وكما كان لنا موقفنا المتميز في تفسير نهاية الحرب الباردة ، كذلك انفردنا بموقف متميز في مواجهة المؤامرة الامريكية لتدمير العراق وسحق المعارضة العربية لاسرائيل الكبرى ، والسيطرة على نفط الخليج والشرق الأوسط لاخضاع اليابان واوربا والحصول على موقع مؤثر في التطورات المحتملة في الاتحاد السوفيتي الذي تشير الدلائل الى انه يتجه حثيثا نحو حرب اهلية أو انقلاب .
في مواجهة هذه المؤامرة كان لي موقفي المتميز، فإذا كان خصوم وانصار صدام كلهم ، يبدأون من بديهية : نحن ندين غزو الكويت ثم ينقسمون ؛ خصومه يقولون اننا نحارب العراق أو صدام حسين دفاعا عن الكويت ، بينما يقول انصاره، . . نعم نحن نأسف لما حدث للكويت ولكن ذلك أصبح في ذمة التاريخ . . أو كما قال احدهم ان احتلال الكويت ربما يكون غلطة ولكنها اصبحت واقعا تاريخيا يجب عبوره والبدء من الوضع الحاضر أي قبوله كواقع والبناء عليه للوصول الى تسوية مع الرئيس صدام لكي تحل الأزمة سلميا . . فالمهم الآن هو اخراج الامريكان !!

اذا كنتم تعرفون ان امريكا تصيدت المناسبة لضرب العراق فكيف تصورتم انها ستتخلي عن هذا الغطاء وستقبل اقتسام الكويت او تقديم أي ترضية لصدام تشل يدها عن تنفيذ مخططها في ضرب العراق . . . ؟ وبعد أن حصلت الولايات المتحدة على الغطاء السياسي والدولي . . كيف تخيلتم انها يمكن ان تراجع وتعطي صدام حسين ما يغطي وجهه وينقذ جلده ، ويمنع تنفيذ مخططها ؟!

أو كما كتب احدهم في صحيفة حزب العمل الاشتراكي يقول :«إن العرب المعارضين لصدام هم مثل الذين طالبوا بالقصاص من قتلة عثمان فورا بينما ؛ كان رأي امام المتقين ان الحساب على الجريمة الشنعاء قادم بعد الاطمئنان على إبعاد المؤامرة الكبري التي استشفها على الاسلام والمسلمين ولكن لابسي قميص عثمان يومها كلابسي قميص الكويت اليوم زايدوا على شرع الله . . لقد كان الموقف الصحيح أن نؤجل حساب صدام على جريمته اتقاء لما هو ادهى وانكى وامر . . لا

أعرف يا سادتي كيف فات عليكم هذا . . » ¹

وهو سؤال محير فعلا اذ يصعب فهم لماذا رفضت هذه الأمة المبتلاة منطقه الاعوج هذا! ربما لأنه لم يكن في يدها مجاملته بقبوله وتنفيذه ، فقرار معاقبة صدام – ان كان اخراجه من الكويت هو العقوبة– قرار لم يصدر عن العرب وحدهم بل عن الأمم المتحدة قاطبة باستثناء كوبا واليمن . وقرار تنفيذ العقوبة لم يكن للعرب فيه كبير يد وحتى وجه الشبه في المثل العجيب الذي ضربه غير وارد رغم ان الشبهات مطلوبة في الفتن، ففي المثل الذي ضربه كان عثمان قد قتل وانتهى الأمر وقام خليفة جديد ، لا يستطيع ولو أراد أن يرد ما فات ، اما بالنسبة للكويت فكانت الجريمة مستمرة ، القتل مستمر . ولو مضينا مع الأمثال لقلنا كأنه كان يقول للفتية الذين احاطوا بالدار يحمونها :اتركوهم يقتلون عثمان لكي لا تكون فتنة ثم نعاقبهم!!

المهم ان هذا الذي تحمس لصدام واغرق في الدفاع عنه حتى اغرب واضحك ، اقر أنه ارتكب جريمة شنعاء باحتلال الكويت .. جريمة لم يجد لها شبيها الا قتل ذي النورين . . ولا حول ولا قوة الا بالله ! واعترف انها جريمة تستحق العقوبة . . فقط اختلف على التوقيت . .

أما أنا فكان موقفي جد مختلف ، فأنا –في حدود معلوماتي – اكثر الناس كراهية ورفضا للكيان الكويتي وتمنيا لزواله . وقد كتبت مرة في مجلة «اكتوبر» قبل اكثر من عشر سنوات اقول انني فكرت في ان اؤلف كتابا اسمه «ماذا خسر العرب بظهور الكويت» ومرة سميتها «براقش العرب» ولم يكن يخطر ببال وقتها ان الكويت يمكن ان تكون بمثل هذا القدر من الشؤم ، وان تجلب كل هذا الخراب للعرب كما فعلت فيما يعرف باسم «ازمة الخليج» واحرى ان يقال «خراب الخليج» . . وليس هناك من سبب شخصي لعداوتي للكويت ، بل على العكس كنت لفترة تربطني صلة صداقة بعدد جد محدود من الكويتيين ، وازعم ان لي دوري في الصيغة التي تم بها استقلال الكويت فقد كنت في ضيافة المرحوم الشيخ صباح السالم عام ١٩٦١ (وهو الذي اصبح فيما بعد اميرا للكويت) واشتهر – رحمة الله عليه – بالبخل البشع وسذاجة تغمرك بالبهجة لطرافة حديثه ولكنها بهجة تعقبها حسرة على ان وصل امر العرب ان يولى عليهم هذا . . وللقائي معه قصة طويلة لا مكان لها ولكنه اصر على استضافتي في بيته ، واعتبرت ذلك وقتها منتهى التكريم حتى قال لي اللبنانيون انه انما اراد تجنب دفع تكاليف الفندق ! المهم في سهرة معه وكان ثالثنا

الدكتور اللبناني «كميل الريس» –وعسى الا تكون الذاكرة قد خانتني في صحة اسمه –استطعت ان اعرف منه ان النية متجهة لاعلان استقلال الكويت وانضمامها الى الكومنولث. وقد اتصلت على الفور من الكويت بالاستاذ احمد بهاء الدين الذي كان يعمل رئيسا لتحرير «اخبار اليوم» ولم اكن اعمل وقتها في «اخبار اليوم» بل في مجلة كتبية يشرف عليها ضابط من الذين عناهم فؤاد نجم في قصيدته الخالدة : الحمد لله خبطنا تحت باطاطنا .. ولكني قدرت الأهمية الوطنية في نشر الخبر بأسرع ما يمكن ، وكذلك قدر الاستاذ بهاء – شفاه الله – الأهمية الصحفية فجعله المانشت في الصفحة الأولى . وكان رد الفعل اكبر مما تصورت ، فوجه سؤال في مجلس الامة المصري أو الجمهورية العربية المتحدة كما كانت تسمى ، ورد عليه حسين ذو الفقار صبري بمعارضة فكرة الكومنولث. وتحرك مجلس العموم البريطاني على الفور .. المهم انها اشتعلت ووئد الى الأبد مشروع ضم الكويت للكومنولث .*

والمرة الوحيدة التي حكم علي فيها بالسجن قبل قضية «رسالة التوحيد» كانت دفاعا عن الكويت في خلاف سابق لها مع العراق وحول الجزر . ولكني عندما بدأت اعد كتاب «السعوديون والحل الإسلامي» كان لابد أن ادرس تاريخ الكويت من واقع الوثائق والمستندات ومؤلفات الأجانب والعرب والكويتيين ، وشعرت بالقرف من تاريخ «آل صباح» فلا يوجد تهتك في العمالة للاستعمار مثل تهتكهم ، وترامبهم على اقدام الانجليز وبالذات منذ مبارك الكبير، كما يسمونه ، وقد كشفت دراساتي ان المخابرات البريطانية هي التي دبرت وصول الشيخ مبارك للسلطة ومكنته من ذبح اخويه . وهو جد الفرع الحاكم حاليا في الكويت . ولم استطع إلا ان اكتب ما عرفت كاملا . وكلفني ذلك ما لا يخطر على بال ولا يمكن ان يقدره قارئ تقديرا كاملا .. ولا اقول انني لا ابالي .. لا والله ابالي جدا ولكن امانة الكلمة اكبر ، وحق الاجيال أن تعلم اهم واجدر .. وهكذا فعندما تم غزو الكويت كنت اسعد عربي بالنبأ (وقلت ذلك وكتبته في عنفوان مهاجمتي لصدام) بل بادرت بتهنئة صدام حسين وان كنت قد ضمنت التهنئة رجاء الا يقترب من الحدود السعودية أو يستفز المملكة . ومما يؤكد انني لم اكن مستوعبا لحجم المؤامرة بل ظننتها مجرد خطوة مغامرة من صدام الذي لم اؤمن به ولا تحمست له ولا صدقته يوما بل لعلي الوحيد الذي انتقد تصريحاته عن تحطيم نصف اسرائيل . وكأنني استشعرت ما سيعقب هذا التصريح من كارثة وفي

نفس الوقت كنت على يقين انه للاستهلاك المحلي فقد كتبت يوم ١٤ ابريل ١٩٩٠ تحت عنوان «يارب سلماء اقول: «حكمة الرئيس وشجاعته انقذت مصر من كارثة اكبر بكثير من نكسة يونيو ١٩٦٧.. (واقول الآن ان النكسة عينها كانت على بعد ثمانية شهور !!) فالمعروف ان اسرائيل تريد جر مصر الى معركة خاسرة بأي ثمن لاحتلال سيناء باعتبارها الارض الوحيدة التي يمكنها استيعاب خمسة ملايين مهاجر يهودي سوفيتي. وقلنا من اربع سنوات ان هذا ما اتفق عليه الروس والامريكان ، وان التمهيد له كان بابراز الناصريين واليساريين في الاعلام المصري ومراكز التأثير في القرار .. والزن بحكاية الغاء كامب ديفيد . وكانت الخطوة الثانية هي مهرجان العودة للعرب ، وادخالنا في اتحادات وارتباطات غامضة الاصل والهدف ، (اظن انني الكاتب العربي الوحيد الذي شك في الاتحاد الرباعي مع صدام والملك حسين وقد عبرت عن تخوفي هذا في اكثر من تعليق) وتم ذلك في غمضة عين على طريقة المرحوم بلا مشورة ولا مشاورة . اتحاد حملنا مسئولية ونتائج تصريحات الاشقاء ولم يعترف لنا لا بقيادة ولا ريادة. والعمل العربي لكي يكون لمصلحة العرب ، يجب ان يقوم على التسليم بقيادة مصر والانضباط حول هذه القيادة، والا فكل واحد «ينام على الجنب اللي يريحه» . صحيح ان حكمة الرئيس انقذتنا هذه المرة من استعراضات مايو ١٩٦٧ ، كما جاء اقتراحه بتحويل الشرق الاوسط منطقة منزوعة السلاح النووي اقتراحا مشروعا ، ويتسم بالرجولة ، بعد أن قبل الرئيس الأراحل لسبب غير مفهوم ان يوقع اتفاقية تمنع مصر من انتاج الاسلحة الذرية ولم يشترط ان تلتزم اسرائيل بالمثل! ومطلوب المتابعة وتحريك الرأي العام العالمي حول هذا المطلب .وان كنت قد كرهت هذا المانشت في « اخبار اليوم» الذي زعم ان الرئيس ضحك عندما سمع اتهام مصر بأنها تنتج قنبلة ذرية. اضحك الله سنك يا سيادة الرئيس ، وحق ان نبكي طويلا على ما بددناه من زمن حتى اصبح لدى اسرائيل مائة قنبلة ذرية ونحن هتفنا: «من الابرة للصاروخ» وبقينا في خانة الابرة .ولما طالبنابانتاج السلاح الثقيل قال عميل مجلة «حوار» انها نكتة ثقيلة الظل !

أخيرا ..رجاء لحكامنا العرب الاشاوس : من يستطيع منكم أن يدمر اسرائيل أونصفها أو ربعها أوينقص منها قليلا ، فرجاء ان يفعل ذلك فورا وبلا اعلان وبلا استئذان ونحن على استعداد لقبول النتائج ولو كان ضياع أو حرق ثلاثة ارباع الوطن العربي .. «برضه احنا نكسب ! »

وقد اعلن السفير السعودي في وشنطن بعد غزو العراق للكويت ان الرئيس صدام استدعاه الى بغداد على وجه السرعة في ابريل ١٩٩٠ عقب تصريح حرق نصف اسرائيل وطلب منه ان ينقل لكل من الرئيس بوش والمسز تاتشر رسالة يؤكد فيها انه لا يفكر في مهاجمة اسرائيل وأن تصريحه هذا للاستهلاك العربي . » [٧]

اقول انني في غمرة النشوة بزوال الكويت وتمني ان تكون هذه هي كل ابعاد المفاجأة طلبت من شخصية سعودية بارزة أن يرفع الى صاحب الجلالة الملك فهد رجاء كل عربي في الا يطلب جلالته أو يسمح بدخول القوات الامريكية .

ولكن المؤامرة كانت اكبر من تفكيرنا ، وسرعان ما تكشفت بعض ابعادها فتحول موقفي عل الفور ليصبح معبرا عن رأي الاغلبية الصامتة . . فأنا مع إزالة الكويت ولكن ضد الاحتلال العراقي لها . مع الانسحاب العراقي الفوري لا من اجل عيون الكويت بل خوفا على العراق وخوفا على الخليج والأمة العربية . وفي البداية كان ذلك يبدو موقفا شاذا ولكنه منطقي الى اقصى حد ، على عكس موقف الاخرين الذين اكتشفوا ان هناك مؤامرة على العراق . . خطة لتدميره . . بناء على تعليمات أو تحقيقا لرغبات اسرائيل التي رأت فيه خطرا عليها ، وان امريكا هي منفذة هذه الخطة ، ثم بذلوا كل جهد ممكن لإحكام الشباك حول العراق حتى تنفذ امريكا هدفها . . ودعوني انقل اليكم اخر مقال لي قبل بدء الهجوم الجوي على العراق وعنوانه وحده يكفي فقد كان : والله . . الله . . في دم العراق!»: «نحن الموقعين أدناه نقر ونعترف ان الامريكان ملاعين يتآمرون مع اسرائيل على ضرب العراق وتجريد الامةالعربية من القوة الضاربة العراقية و القنبلة الذرية العربية المنتظرة التي يجري اعدادها في معامل العراق والتي ضربتها اسرائيل مرة ، وستضربها كلما حانت لها الفرصة . ونحن نقر بالشكر والعرفان للذين عرفونا – على الكبر– هذه الحقائق . ونوافقهم على ان اسرائيل كانت تريد ضرب العراق في مارس الماضي وانه حتى اذا لم يحتل صدام الكويت فقد كانت النية مدبرة لضربه لأن اسرائيل لا تسمح بنمو قوة عربية . .

موافقون موافقون . . وباغلبية اكثر من برلمان المحجوب أو مجلس الثورة العراقي . .

نعم موافقون . . ولكن اسرائيل وحليفتها امريكا فشلتا في تنفيذ المؤامرة في مارس (١٩٩٠) اذ التف العرب حول العراق وفي مقدمتهم شيوخ الخليج وأبدوا استعدادهم لحماية العراق بما يملكون

وما لا يملكون، وتحركت اكثر من قوة عالمية تنكر على اسرائيل ان تجيب بالقنابل على من يهاجمها بالميكرفون. . بل ربما كانت الفرصة سانحة وقتها لطرح الدعوى لنزع سلاح الشرق الاوسط . . وتحقيق مطالب الفلسطينيين . . ولكن العراق لم يطرح هذه المطالب ولا استمر في سياسة المواجهة ضد اسرائيل التي كانت تجمع العرب حوله وعقدت له لواء زعامتهم . . بل اختار ان يباغت العرب وليس اسرائيل، وان يحرر كاظمة وليس القدس، وان يضرب المصالح الامريكية باختراق الجسد العربي وصولا الى هذه المصالح !! أراد بحسن نية صافية ومن فرط إيمان بالحقوق الفلسطينية وعن حب جارف للشعب الفلسطيني (ومن الحب ماقتل) أراد أن يخطف الكويت ويطلب الحلوان الافراج عن الدولة الفلسطينية، موافقون هكذا أراد . . ولكن ماذا حدث ؟!

اصطادوه . . اصبح نصف العرب ضده . . والعالم كله صوّت على استخدام القوة ضده ١٢ من ١٥ هم مجموع اعضاء مجلس الامن، واربعة من خمسة من الاعضاء الدائمين بالمجلس بما فيهم الاتحاد السوفيتي وفرنسا، كلهم قالوا اذا لم يخرج صدام فلمن شاء استخدام القوة ضده . .

عالم ظالم لا يتعامل بمقياس واحد، مزدوج الضمير عديم الاخلاق . .

ايضا موافقون . . وقلناها قبل ان تتعلموا القراءة . .

ولكن المؤامرة التي تحذرون منها وهي ضرب القوة العراقية اصبحت شرعية ومنتدبة من الامم المتحدة، ماذا نفعل . . هل نقوى على محاربة العالم ؟! . . وهل عندما يخاطر رئيسنا بعلاقاتنا ومصالحنا مع الولايات المتحدة المتآمرة والدول العربية المجروحة من صدام، عندما يخاطر رئيسنا بهذا كله ويحذر صدام : إني أرى الملأ يأتمرون بك ليضربوك فاخرج . . يكون قد ارتكب خطيئة يستحق عليها أن يهاجم؟!

يقولون مطلوب التوازن والضغط على الطرف الاخر؟! نحن نحب الصراحة وليس لدينا ما نخاف الكشف عنه . . لذا نسأل من هو الطرف الاخر . . القرار هو قرار امريكي والحرب ستشنها امريكا وجيش مصر هناك لا غطاء ولا ستر لأن امريكا مستورة باثنى عشر قرارا من مجلس الامن . . ونصف مليون جندي وست حاملات طائرات والف سلاح نووي!

فماهي وسيلتنا في الضغط على الولايات المتحدة . . ؟! تخويفها من نتائج الحرب أو كما قيل من خطر نسف البترول العربي، وقتل الاحياء المائية في الخليج ثم التهديد القبيح بضرب

الكعبة والمسجد النبوي .. اهذه اهداف امريكية تهدد امريكا بضربها ؟! ما هي القضية المطروحة حتى تخاطر بنسف النفط العربي وضرب الكعبة ؟ ! شلت يمين من يطلق صاروخا في اتجاه الكعبة من اجل حقل الرميلة ووربة وبوبيان ..

السياسة مبادئ والتزامات وتجنب تضليل الجماهير أو منافقة الجماهير بدغدغة غرائزها بل هي كما قال النائب البريطاني مرة :الجماهيرية هي اتخاذ القرار الذي يفيد الجماهير وليس الذي يرضي الجماهير .. حكومتنا تحذر العراق من الخطر الذي يتعرض له ويعرض له الأمة العربية . وسواء وقعت الحرب ام تمت التغطية ، وتم تحقيق اهداف امريكا واسرائيل والزعيم العراقي بأسلوب اخر فإن الخسارة فادحة .. ودم العراق بل دم العرب كلهم في عنق من يغرر بالعراق ويزعم ان القوى متكافئة وانه يستطيع الانتصار أو الاستمرار في احتلال الكويت أو ارغام امريكا على سحب اكبر حشد في تاريخها خوفا من صاروخ عراقي يضرب كعبة المسلمين ؟! »

كتبت هذا قبل ٧٢ ساعة من ضرب العراق ثم امتنعت بعدها عن الكتابة فقومي لا يحبذيهم النصح ولايطيقون حتى سماعه !

فالصورة كانت واضحة في ذهننا وبذلنا كل جهد ممكن للتنبيه لها . فلانحن ولا امريكا كان يهمنا تحرير الكويت .. بل امريكا تذرعت بها لتنفيذ مؤامرتها في السيطرة العالمية ابتداء من الخليج، وفي تدمير القدرة العسكرية للعرب وتحطيم العراق ونهب ثروة الخليج وفرض إتاوة على العالم اجمع لحل ازمتها الاقتصادية والحصول على حصة من ثروة العالم لا تتفق مع وضعها الاقتصادي والتحكم في النفط انتاجا وسعرا .. وكانت وسيلتها في ذلك إدعاء تنفيذ قرار الامم المتحدة باخراج صدام حسين من الكويت..

بينما كنا نحن نريد إبطال هذه المؤامرة بمناشدة صدام ان يستجيب لقرار الامم المتحدة ويخرج من الكويت قبل أن يضربوه .أو بخلق موقف عربي - اسلامي موحد يضغط على صدام لاجباره على الانسحاب من الكويت أو قل انقاذ العراق رغم انفه .. ومرة اخرى لا كانت الكويت بذاتها في بالنا ولا بال «بوش» .

ولم يكن للمؤامرة الامريكية من مبرر ولا سبيل لتنفيذها الا بوجود صدام في الكويت وقد كتبت الصحف الامريكية علنا تتحدث عن الكابوس المرعب الذي يهددهم وهو انسحاب صدام

فجأة من الكويت ! ولذلك كانت سياسة بوش واتباعه من العملاء المحنكين والعملاء بالفطرة أوالجهل هي منع صدام بكل الطرق من الانسحاب من الكويت قبل ان تستكمل امريكا استعداداتها العسكرية وتكيل الضربة التي اعدتها وحشدت لها كل قواها وقوى الغرب الموالي لها . . وكما سترى ، لم تترك الادارة الامريكية من حيلة في جعبتها الا استخدمتها لابقاء صدام في الكويت وسدت عليه جميع المخارج ليس فقط برفض التنازل له بل بايهامه بعجزها وتخوفها من مقاتلته والتضخيم في قوته وفي حجم المعارضة لها والمؤيدين له، واغرقته بسيل الوسطاء الذين دغدغوا اعصابه وداعبوا غروره واوهموه ان العالم يتوسل اليه ان يمنع الحرب المهولة وأن يحول دون خراب العالم في «أم المعارك» .وايضا شغلوه عن متابعة الموقف وادراك الفخ الذي كان ينصب حوله ، واذا كان بعض الذين وقفوا مع صدام مثل (الملك حسين) قد اتخذوا هذا المخطط عن وعي وتدبير من المخابرات الامريكية باعتباره افضل موقف يخدم التحرك الامريكي (انظر فصل الملك والمنظمة في باب موقف الدول) حيث اثبتنا ان دور الملك حسين كان موقفا استراتيجيا بدونه لا يمكن ان تنجح خطة حصر الضرب في العراق أو العملية الجراحية . . [9] فقد كانت هناك عناصر اخرى سواء بوعي أو عن غير وعي ايدت صدام لخلق شعور عنده بعدم العزلة واقناعه بأنه نجح فعلا في قسمة العالم العربي، بعضهم كان مرتبطا ارتباطا مباشرا بالمخابرات الامريكية ويعمل عن وعي في اطار الخطة وهؤلاء اعتمدوا على استغلال عواطف الجماهير الطيبة التي تستجيب لأي نداء بمقاتلة الاستعمار واسرائيل فأثارتها هذه العناصر ومنعتها في نفس الوقت من القيام بأي اجراء ايجابي يخدم المجهود الحربي العراقي . واوضح مثال على ذلك المظاهرة التي قادها «العقيد» في ليبيا أو «بن بيلا» في الجزائر أو تحركات وتصريحات المسئولين اليمنيين وتصويت مندوبهم في الامم المتحدة .

كان الانقسام العربي مطلوبا لاغراء صدام بالعناد والبقاء في الكويت فلو ووجه من اللحظة الاولى بمعارضة شاملة حاسمة كتلك التي صدمت عبد الكريم قاسم لخرج من الكويت ولأفلت من الفخ . . كان الانقسام مطلوبا لاغراء صدام بالبقاء وأيضا كان الانقسام العربي مطلوبا لزيادة عزلة وتخوف دول الخليج فتتشبث بالحماية الامريكية . . ومرة اخرى راجعوا قائمة الذين أيدوا صدام فستجدون اسماء لا شبهة في ارتباطها بالسياسة الامريكية واسماء يسيء لسمعة زوجة قيصر أن يمروا من امامها . كذلك كان الانقسام في الجامعة العربية مطلوبا من الامريكان لكي يسقط الحل

العربي ويصبح الحل الدولي هو الممكن الوحيد .

وقد ترددت شبهات حول موقف سفير العراق لأنه - فيما يقال - نقل لصدام صورة مزيفة عن انقسام الأمم المتحدة والشعب الأمريكي والكونجرس واستحالة صدور قرار بالضرب ..مما غرر بالزعيم الملهم والقائد الحكيم ! وأنا شخصيا اتهم طارق عزيز ، وأعتقد انه تولى تخدير صدام ونقل صورة مخالفة لجورباتشوف واخرى مزورة لصدام وانه تعمد التصلب في جميع الاجتماعات. وان كان العنصر الحاسم في ما جرى هو صدام نفسه ، ديكتاتوريته التي لا تسمح بأي رأي الا ما يعزز تصوره ، واتصالاته الخفية وعلاقته مع امريكا وبعض العناصر من المخابرات الامريكية التي اكدت له ان امريكا لن تحاربه . ثم النظام الذي يعتمد على المتخلفين عقليا لمجرد انهم اقرباء الزعيم ومخلصون أو بالاحرى متورطون معه.. وذلك كله حدث على عهد إمامه عبدالناصر عندما وصل تحت تأثير نفس العوامل الى قرار بأنه لا يمكن ان تهاجمه بريطانيا وفرنسا، لأن امريكا لن تسمح لهما بذلك، وأن اسرائيل لن تهاجمه لأن امريكا معه ولأن بريطانيا لن تقبل أن تقف مع اسرائيل في موقف واحد ، وأهم من ذلك لأن شبكة ال «سي .أي .ايه CIA التي كانت تحيط به اكدت له انه لا حرب مادامت امريكا لا تريدها ،وانهالت التقارير عليه تؤكد انهم يستعدون للحرب ورفضها جميعا منتشيا بتحليله ووعود المخابرات الأمريكية، وكان محمود فوزي مثل طارق عزيز لا يُسمع الزعيم الا ما يهوى الزعيم سماعه .. وقد روت «التايم» رواية احب ان اضيفها هنا.. قالت انه خلال الاجتماع الشهير بين بيكر وعزيزيوم ٩ يناير كان برزان التكريتي وهو أخ غير شقيق لصدام يجلس على يمين طارق عزيز يراقب باهتمام الوفد الامريكي وبعد أن انتهت الجلسة تلفن لصدام حسين وقال له الامريكان لا يريدون القتال بل يريدون محادثات للخروج من المأزق ..«انهم ضعاف» [10]

كان النظام العراقي يقوم على برازانات يجيدون لعب القرزان ويلعب بهم الامريكان! وسواء أكان صدام مشتركا في المخطط الامريكي بالكامل،أو جزئيا ..فقد كان مسلكه -خلال شهور الأزمة - شرطا ضروريا لنجاح هذا المخطط كما سنرى في الفصول التالية..

الباب الأول

أمريكا أرادتها..
ودبرتها.. ونفذتها

الفصل الاول

أمريكا تأكل بسيفها ..!

أمريكا ارادت حرب الخليج ودبرتها ونفذتها ..وكانت صاحبة المصلحة الكبرى فيها ، والمستفيد الأول من نتائجها .. وتعالوا نستعرض ما استهدفته امريكا ، وكيف نجح بوش في تنفيذ هذه الاهداف وتحقيق السيطرة وجني المكاسب على جميع الجبهات ..

ولنبدأ بأبسط المنجزات واقلها اهمية في السيناريو العالمي الاهداف ، ونعني الربح الذي حققته الولايات المتحدة بتصدير أزمتها الاقتصادية ، حل هذه الأزمة أو على الاقل تخفيف حدتها بالاسلوب التقليدي ..وهو الحرب .. فقبيل انتهاء الحرب كانت وشنطن قد فرضت جزية على دول العالم جمعت بها ثلاثة واربعين الف وثمانمائة مليون دولار ، وهو ما ستحصل عليه الولايات المتحدة ، من تبرعات ومساعدات الدول الحليفة والدول المرغمة ، ثمنا لتدمير الكويت والعراق . ستدفع السعودية والكويت منها اكثر من ثلاثين بليون دولار.[4] وفي نفس الوقت يقدر ان تحصل الولايات المتحدة على اكثر من مائة بليون دولار في اقل تقدير من نفقات اعادة بناء ما دمرته قواتها وقوات صدام في الكويت وحدها .. وهكذا تكون الولايات المتحدة قد قدمت ابشع صورة للنظام الرأسمالي ، صورة وحشية لم تخطر ببال ماركسي ولا اقترحها كاتب شيوعي في اعنف سنوات النقد للرأسمالية ، صورة الرأسمالية التي تستخدم الدولة في ثمن حرب هي في الحقيقة مقاولة بتدمير دولة واعادة بنائها لحساب الشركات التي توجه سياسة الدولة الكبري المتآمرة !

و لا نستطيع ان نعرف مدى مساهمة الحرب في انتعاش الاقتصاد الامريكي ولكن من المعتقد ان نسبة كبيرة من هذا الانتعاش تعود لهذه الحرب .[4] وفي العراق والكويت تمت اسرع عملية تدمير اقتصاد في التاريخ ففي اسابيع قليلة تحول الى دخان، جهد وانتاج ملايين الساعات من العمل الانساني وستمر سنوات قبل ان يعود العراقيون والكويتيون الذين سيكتب لهم البقاء الى مستوى معيشتهم السابق على الحرب . لقد اعادت هذه الحرب المقولة القديمة عن خلق فرص عمل بتشغيل الناس في عمل حفرة ثم اعادة ردمها، ولكنه مجرد عمل لا انتاج فيه ومع ذلك فإن إعادة البناء

ستنشط رجال الاعمال الذين سيحصلون على العقود؟

وهذه صورة مخففة جدا بل ومزورة لما حدث فعندما اقترح روزفلت في ازمة الرأسمالية العالمية تشغيل العاطلين وحل الازمة بما وصف وقتها بأنه يشبه تكليف بعض العمال بعمل حفرة وتكليف البعض الآخر بردمها ، ورغم الصورة الهزلية التي بدا فيها الحل الرأسمالي في هذا التشبيه، إلا انه لم يكن هناك قتلى وجرحى ولا اقتصاد وحضارة تدمر ولا جهد شعب يحرق في ساعات٠٠!

ومن المؤلم ان تكشر امريكا عن الوجه البشع للرأسمالية في نفس اللحظة التي كان العالم يعيش فيها احلام العالم الجديد وانتهاء التاريخ ، وسقوط الشيوعي القبيح وبزوغ شمس الحرية على شرق اوروبا لأول مرة منذ نصف القرن ٠ وما نسج حول انهيار النظام السوفيتي من آمال ، مثل قيام صيغة جديدة للعلاقات الدولية تحل محل اساليب الحرب الباردة ٠ فإذا بحكومة الرئيس «بوش» تعيد العالم الى صيغة القرن التاسع عشر في اقبح صوره٠٠

فالنظام الامريكي كان يواجه انكماشا خطيرا يحل نحو كارثة اقتصادية من طراز الازمة العالمية لعام ١٩٢٩ بحيث اصبح توقع حدوثها هوالخبر الدائم في النشرات الاقتصادية والندوات التي تحاول استقراء المستقبل الاقتصادي الامريكي ٠

والانكماش الاقتصاد الامريكي له اسبابه العديدة ؛ من الدورة العادية للنظام الرأسمالي مابين التوسع والانكماش ، الى الافقار المتزايد للعالم الثالث برفع سعر البضاعة المصنعة وخفض اسعار الخامات حتى اصبحت نسبة التبادل غير عادلة ، وغير كافية لاستمرار الدول المصدرة للخامات كعنصر اقتصادي فعال في السوق العالمية . ثم جاءت الديون التي قصمت ظهر هذه الدول وقضت على أي امل في تحقيقها لنمو اقتصادي يكفي لإطعام شعوبها ٠وبامتصاص دخل هذه الدول في اقساط الديون والفوائد خرجت ــ أو كادت ــ من السوق العالمية وادى عجزها عن تسديد هذه الديون الفاحشة الربا والشروط، الى زعزعة النظام المصرفي الامريكي الذي لم يفقد ــ فقط ــ مكانته كرائد ومركز عالمي لسوق المال بل اصبح رجل العالم الرأسمالي المريض أو الحائط المتداعي الذي يرقب الجميع انهياره بفزع ٠وقد استغل اكبر بنك في امريكا فرصة الحرب ووجود نصف مليون عسكري في الخليج ليحصل على اضعاف تقدي ينقذه من ازمة سيولة مهددة وجاء الانقاذ

في نصف مليار دولار تطوع بها امير سعودي من الجيل الثالث [4] ودفع اكبر بنك امريكي ، للأمير، فائدة جديرة ببنك مكسيكي (١١٪ بينما الفائدة في السوق ٦٪) . ومتاعب النظام المصرفي الامريكي اثرت بدورها في الاستثمارات والتمويل الضروري للنشاط الاقتصادي وزاد الطين بلة، الهجمة الشرسة التي قام بها اليمين الامريكي في عهد ريجان عندما الغى كل القوانين والضوابط التي وضعت في عصر الانتصارات الليبرالية في الخمسينات والستينات والسبعينات .. فعربدت الاحتكارات الامريكية وسرقت اموال صغار المودعين في بنوك الادخار والتسليف مما ادى الى انكماش الادخار وتدهور معدل الاستثمار. وقبل ذلك كله ، بل واهم من ذلك كله ،انه نتيجة المركز الاحتكاري للصناعة الامريكية وبسبب من الانفاق العسكري المهلك، فإن الصناعة الامريكية خسرت سباق التحديث ، وبالتالي «سباق الأسواق» مع اليابان والمانيا اللتين يحرم دستورهما ــ الذي كتب تحت أسنة الحراب الامريكية ــ امتلاك جيش أو الانفاق العسكري بالمستويات الامريكية والروسية أو حتى البريطانية والفرنسية، وهكذا فالبلدان اللذان لا يملكان جيشا ولا مستعمرات كان عليهما ان يدافعا عن وجودهما بالقتال في ساحة التكنولوجيا وإتقان الانتاج فتفوقا وغزوا امريكا في عقر دارها. واصبحنا نسمع صيحات الكونغرس تطالب بالحماية للصناعة الامريكية من خطر المنافسة اليابانية ، بل وعدنا لمناخ الحرب العالمية الثانية عندما كان شبح العملاق الياباني هو الخطر الاكبر على المصالح الامريكية وقد اجرت مؤسسة «جالوب» استفتاء في الاسبوع الاول من مارس ٩١ حول : من يشكل اكبر تهديد للولايات المتحدة فقال ستون بالمائة : اليابان .. ومع الهزيمة الصناعية امام المانيا واليابان تعالت الاصوات في امريكا ضد الصيغة التي يدار بها الاقتصاد الامريكي وتركز الهجوم على المؤسسة العسكرية التي وصلت ميزانيتها الى ٣٠٠ مليار دولار. وانتشرت الاتهامات لهذه المؤسسة بالرشوة والفساد، وسمعنا احاديث عن مسمار يشتريه البنتاجون بعشرة دولارات وثمنه اقل من دولار وكراسي المراحيض التي تتكلف اغلى مما تتكلفه في الدرجة الاولى لشركات الطيران العالمية ، واسلحة مشكوك في جدواها ولم تستعمل قط تتكلف البلايين. وهذه المبالغ - كما يقول الناس ـ تقتسم بين الاحتكارات الصناعية والبيروقراطية العسكرية . وجاء انتهاء الحرب الباردة يلقي مزيدا من الوقود في نار الهجوم على المؤسسة العسكرية من الذين يطالبون بتوجيه جانب ضخم من ميزانيتها

للانفاق المدني ، سواء على تطوير الصناعة ام الخدمات الاجتماعية وتحسين مستوى المعيشة لملايين الامريكيين الذين يعيشون تحت مستوى الفقر ومئات الالوف الذين يعيشون في الطرقات كالسائمة بلا مأوى في المجتمع الامريكي العظيم . وقد ابرزت نهاية الحرب الباردة مشاكل عودة الوف الجنود من اوروبا وحتمية تسريح عشرات الالوف من القوات الامريكية في امريكا ذاتها وما يستلزمه خفض الانفاق العسكري من تقليص انتاج السلاح وبالتالي مزيد من تسريح العمال . . وكل هؤلاء سيقذف بهم الى سوق البطالة المشبعة بالفعل بالعاطلين(الانكماش الاقتصادي الغى مليون ونصف وظيفة منذ الصيف فقط الى ابريل ١٩٩١) * ولنذكر إن احدى أهم المشاكل للاقتصاد السوفيتي، هي مشكلة الجنود المسرحين إذ قيل إن تحويل الجندي الى مدني يتكلف خمسين الف روبل وهو ما لا يطيقه الاتحاد السوفيتي ، ولابد أن الرقم في امريكا اكبر من ذلك بكثير..

والرأسمالية تعرف ماذا تحمله البطالة من مخاطر . ومن ثم فالخفض المفاجئ للانفاق العسكري يهدد الصناعة الامريكية كلها بل وربما يهدد لأول مرة السيطرة المطلقة للاحتكارات الامريكية التي فاحت فضائحها والتي لوتأخر انهيار الشيوعية خمس سنوات فربما شهدت امريكا الثورة الاشتراكية الموعودة بعد أن ثبت ان هذه الطبقة فقدت القدرة على المنافسة والتجديد . . مع فقدانها حتى الشرف بصفقات البنتاجون ونهب صناديق الادخار والتسليف !

وكان الحل هو تصدير الأزمة . . شحن الجنود للخليج وتحميل دول الخليج واوروبا واليابان نفقات تشغيلها، واستمرار انتاج السلاح فحتى القاذفة ب٥٢ التي كان قد تقرر اطلاق رصاصة الرحمة عليها عادت لخطوط الانتاج . . ومن ثم فوضع القوات الامريكية في الخليج هو الافضل اقتصاديا وسياسيا . . ولا توجد حملة بهذا الحجم في التاريخ دفعت نفقاتها بالكامل من تمويل خارجي ومنحة وليست قرضا ! فكما قيل هذه الحرب لم تمول بطبع الدولارات كما حدث في فيتنام مما ادى الى هبوط الدولار من على عرشه وخروج امريكا عن قاعدة الذهب ، بل مولها الآخرون . . فليس لدى دافع الضرائب الامريكي ما يشكو منه بل على العكس الكثير مما يحمده لو كان الامريكي عبدا شكورا.

المنتفع الاكبر من جريمة تدمير الكويت والعراق هو الولايات المتحدة الامريكية التي اغتصبت سبعين بالمائة من عمليات وثمن تعمير الكويت ، وبعدها مباشرة ، تأتي بريطانيا التي لم تدخر

حياء ولا كرامة الا اعدرتهما للحصول على عشرين بالمائة من الصفقة . . وبالمصادفة فإن الدولتين هما الأضعف اقتصاديا بين الدول الصناعية الكبرى فهما في ذيل القائمة التي تتصدرها المانيا واليابان . ولكن امريكا وبريطانيا هما الاقوي عسكريا في المجموعة الصناعية الرأسمالية ، وبسقوط النظام السوفيتي على يد جورباتشوف اصبحت امريكا وفي ذيلها بريطانيا مطلقة السراح كأكبر قوة عسكرية عرفها التاريخ بلا منازع أو مقاوم . وقد شهدت «التايم» انه لو كان الاتحاد السوفيتي في مركزه القديم لما امكن ان تنفذ الولايات المتحدة استراتيجيتها في « تحرير » الكويت . . (وتضيف أو « تدميرها ») . . وان النصر لم يكن ممكنا بهذه الصورة لو كان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مازالا يتنافسان في كل قضية في العالم . فلو كان «الكرملين» قد حافظ على سياسته القديمة بالتهديد بالتدخل لحساب صدام بما تبقى من قوته العسكرية الجبارة فلربما كانت الكويت الان منزوعة السلاح ».[٦]

الدولتان الاضعف اقتصاديا استخدمتا قوتهما العسكرية في انتزاع حصة من الثروة الخليجية لا تتناسب مع قدراتهما الاقتصادية ، وبذلك وضعتا بذور الحرب العالمية الثالثة ؛ اذ ان تاريخ الحروب الرأسمالية يحتم ، وفقا للتفسير الماركسي العتيق ، اعادة تقسيم العالم بين امبراطوريات تخلفت في السباق الاقتصادي ولكنها بسبب عوامل تاريخية وقوتها العسكرية تحصل على حصة اكبر مما تؤهلها لها قوتها الاقتصادية . وعلى الجانب الاخر هناك دول حققت تفوقا اقتصاديا بعد أن تم تقسيم العالم في غيبتها، وتريد حصتها « العادلة » بنسبة تقدمها الصناعي والاقتصادي . وبالطبع لا تقبل الدول المسيطرة هذا ، ويصبح من الضروري الاحتكام للسلاح ، حدث ذلك عام ١٩١٤ وحدث عام ١٩٣٩ . . وبسبب الحرب الباردة وتركز المواجهة العسكرية الامريكية مع الاتحاد السوفيتي فإن اليابان والمانيا استطاعتا ان تحققا بدون حرب ما حاولتاه بالحرب في ١٩١٤و١٩٣٩ أعني التغلغل في مناطق النفوذ الامريكية والبريطانية والسيطرة على الأسواق بغير اللجوء الى القسمة المسلحة للعالم . . بل استطاعتا ان تقتحما السوق الامريكية ذاتها دافعتين الاحتكارات الامريكية الشهيرة الى الوراء ، وانتاجها الى البوار وعمالها الى البطالة وتحويل الولايات المتحدة من بنك العالم الى اكبر مقترض في التاريخ . . وهكذا ما ان سنحت اول فرصة بانتهاء الحرب الباردة وسقوط الخطر العسكري الروسي ، حتى انقضت الولايات المتحدة على

الخليج لانتزاعه من الغريمين (اليابان والمانيا) بل وصفت المركز التاريخي الممتاز الذي كان لبريطانيا في الكويت بالذات ٠٠وضمنت الانفراد بالجانب الاكبر من فائض أو حتى الدخل النفطي الى نهاية القرن ٠٠

« قد اثبتت حرب الخليج ان القوة العسكرية لا تزال يعول عليها ٠٠ وبعد انتهاء الحرب الباردة اصبح يمكن استخدام القوة القاهرة لتحقيق اهداف عالمية على عكس ما كان الحال زمن المواجهة النووية بين روسيا وامريكا ٠٠ وهذا التطور الجديد شكل صدمة لليابان والمانيا فقد كانتا تأملان ان تسيطر القوة الاقتصادية على المرحلة الجديدة من خلال السلام »[٧]

« ولكن اليابان والمانيا ليس عندهما وسائل للمساهمة الا رفع الضرائب وفي حالة المانيا فإن المساهمة في نفقات الولايات المتحدة في حرب الخليج كانت اخر قشة في تكلفة الوحدة الالمانية. وبعض الخبراء قالوا ان معظم الاسلحة التكنولوجية التي استخدمت في الحرب هي من الناحية الاقتصادية مجرد مخزون لا حاجة لتجديده . ان المؤسسة العسكرية التي انتقدت بسبب سوء الاداء تتجه الان لإعادة التسليح ولن يبخل عليها أحد بالنفقات.»[٨]

ولنقرأ الاعترافات الفرحة للصحافة الامريكية :

« الان وقد سكتت المدافع فإن مبلغ الخمسين بليون دولار التي تكلفها تحرير الكويت سيبدو قزما امام المائتي بليون التي يقدر ان تكون نفقات تعمير الكويت على مدى السنوات العشر القادمة، وامام كل هذه الاموال فإن الشركات العالمية بدأت حربها قبل توقف المدافع والمعركة ناشبة على جميع المستويات من عقود المستشفيات الى ترميم المصافي٠٠» وقد قال « جون دوغرء المستشار لشئون الطاقة في هيوستن :« هذا منجم ذهب ٠» وتسيطر الشركات الامريكية على الوضع بنفس نسبة سيطرة القوات الامريكية في الحرب ٠ ومن الطبيعي ان المانيا واليابان متغيبتان عن الساحة، كما تغيب جنودهما عن القتال ،وقد نجح المديرون الامريكيون الذين كانوا متلمسين مع المسئولين الكويتيين في فنادق المنفى ، في الحصول على ٧٠ ٪ من عقود الخدمات العاجلة خلال الشهور الثلاثة الاولى لإعادة البناء مثل اطفاء ابار النفط واعادة المياه والكهرباء للمنازل-وهي عمليات تقدر تكلفتها باكثر من ٥٠٠ مليون دولار خلال تلك الفترة (ثلاثة أشهر أي سيكون حصة الرأسمالية الامريكية منها ٣٥٠ مليون دولار في ثلاثة اشهر) كما خصت

حكومة الكويت سلاح المهندسين في الجيش الامريكي بـ ٤٦ مليون دولار لعمل دراسة عن حجم التدمير ووضع الاساس للتعمير . ولكن المبالغ الحقيقية ستكون من حصة الشركات العملاقة التي تعمل في البناء وحقول النفط والتي ستعيد بناء الكويت واستئناف انتاج النفط . مجموعة «بكتل» في سان فرنسسكو حصلت على مائة وخمسين مليون دولار كخطاب اعتماد للعملية التي ستجلب للشركة ستة الاف مليون دولار خلال السنوات القليلة المقبلة . و«بكتل» هذه التي تعمل في الكويت منذ اكثر من اربعين سنة تستعد لاستئجار ٤٣٠٠ عامل لهذه العملية . والشركات الامريكية الاخرى ستحصل على عقود كبيرة مثل شركة « Flour » الموجودة في كاليفورنيا والرائدة في عمليات استخراج النفط و«هالتبرتون» التي بنت مصفاة الكويت . وقد قال « رد ايدر» خبير الاطفاء . انها «خبطة» كبرى لا أحد يعلم مداها ولم اشهد لها مثيلا من قبل . ويعتقد الخبراء ان اطفاء الحريق واعادة تشغيل الابار قد يتكلف ١٥ بليون دولار خلال السنوات الخمس القادمة . وبالطبع فإن الشركات التي ستتولى هذه المهمة تطرب لسماع هذه التصريحات . وقال رئيس شركة سمسون لحقول النفط التي تنسق حملة اطفاء الحرائق ، قال ان الشركات الامريكية تلقى دعما كبيرا من وشنطن ؛ فخلال الشهور الماضية كانت ادارة «بوش» تحث الكويت على اعطاء الشركات الامريكية حصة الاسد في اعادة بناء البلد . والرئيس بوش يريد أن يكون متأكدا أن كل شئ قد بذل لضمان حصول هذه الشركات على حصة معتبرة .»

بل حتى عندما تحاول السعودية كسب ود الاتحاد السوفيتي بصفقة بسيطة تغضب امريكا التي اصابها السعار في طلب الدولارات :

«الامريكان غاضبون لأن السعودية عقدت صفقة سرية مع الاتحاد السوفيتي لشراء ستة ملايين بدلة ضد الاسلحة الكيماوية لاستخدام شعبها . الصفقة قيمتها ٦٠٠ مليون دولار» ، «وانها اهانة بالغة ان يدافع مئات الالوف من جنودنا عن السعودية وهي تشتري من موسكو» .

ولم تخف الكويت امتنانها لليانكي فالشيخ سعود ناصر صباح سفير الكويت في وشنطن قال في رسالة وجهها لعضو الكونغرس النائبة الجمهورية هيلين بنتلي من ماريلاند قال « ان الكويت تنوي ان تمنح الجانب الاكبر من العقود للشركات الامريكية كاعتراف منها بتضحيات الشعب الامريكي لتحرير الكويت .» وتابعت «التايم» : «والدول الاخرى تحاول الحصول على حصة

من هذا المال ، فقد قام وزير الخارجية البريطانية دوجلاس هيرد برحلة في الشهر الماضي لمقابلة الحكومة الكويتية في المنفى للحصول على صفقات ما بعد الحرب . وقال الشيخ سعد ان الكويت ستنظر بعين الرضا للذين أيدوها. ونقل عن جون لانس مدير شركة « BABCOCK » البريطانية قوله : « إحنا نمرة اتنين في الطابور.» وربما لتأكيد ذلك فإن الكويت منحت شركة «ATT WOODS PLC» البريطانية عقداً ببليون دولار لتنظيف الكويت من قمامة الحرب . اما الفرنسيون فحظهم اقل اذ لم تحصل شركة فرنسية واحدة على عقد كويتي كبير . وتطمع السعودية في عقود توريد اسمنت ومواد بناء اخرى بينما تتوقع مصرأن تقدم معظم الأيدي العاملة لاعادة بناء الكويت... ولمواجهة هذه المطالب المالية فإن الكويت ستقترض وستبيع جزءا من ارصدتها التي تصل الى ٣٠٠ بليون دولار ثم سيكون عليها ان تستعيد انتاجها النفطي لأن الفاتورة ستواصل الارتفاع.. ان تدمير الكويت احتاج فقط لسبعة شهور من احتلال قوات صدام ولكن اعادة بنائها قد يحتاج لجيش من الشركات العالمية يعمل للقرن القادم »[10]

وقالت «نيويورك تايمز» : «اعادة بناء الكويت ستكون اكبر واسرع عملية تعمير في التاريخ .. الكويتيون يقدرون نفقاتها بما بين خمسين ومائة بليون دولار خلال السنوات الخمس القادمة أي ما يفوق مشروع «مارشال» الذي يقدر بسبعين بليون دولار باسعار اليوم .. الشركات الامريكية كسبت معظم المائتي عقد الاولية لإعادة الخدمات الاساسية واصلاح ابار النفط. وهذه الحصة الامريكية هي نتيجة السياسة الكويتية التي تقضي بمكافأة كل على قدر مساهمته في القتال.. كل الشركات الامريكية من مختلف الانواع تقف صفا للحصول على العقود . وسياسة تفضيل الشركات الامريكية وسلاح المهندسين الامريكي اغضبت الحلفاء الاخرين ؛ فاشتكت بريطانيا في بداية هذا الشهر. وطار«دوجلاس هيرد» مع مجموعة من المديرين البريطانين الى السعودية في منتصف فبراير لمقابلة الامير في المنفى الشيخ جابر الأحمد صباح. بريطانيا التي قدمت ثاني اكبر جيش في التحالف[11] ولها علاقات قديمة مع الكويت حصلت على عقود وتتوقع ان تحصل على حصتها من عملية البناء . وقد قال هنري شولر مدير دراسات الطاقة لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن : لقد فاز الامريكان والبريطانيون ..وقال : اتوقع ان يتم استبعاد اليابانيين والألمان .. ولكن بعض المحللين يتوقعون انه اذا ما بدأ البناء فإن الحكومة

الكويتية ستميل الى ترجيح السعر الارخص والاتقان الاكبر . فهم يعرفون على سبيل المثال انه رغم نجاح بعض الشركات الامريكية فإن الولايات المتحدة لم تكن تحصل الا على اقل من عشرة بالمائة من واردات الكويت قبل الغزو العراقي بينما كانت اليابان والمانيا تحصلان على نسبة اكبر» [١٢]

وكتب جرجوريو سلسر :« كثير من اليابانيين يخشون ان تستخدم امريكا سيطرتها العالمية للوي ذراع اليابان اقتصاديا »[١٣]

وبالطبع تحس بريطانيا بالمرارة بعد ان ازاحتها المدفعية الامريكية عن موقعها التاريخي فهي التي انشأت الكويت وخلقت لها كيانا منفصلا وحمت هذا الكيان بالبوارج والتآمر وهي التي كانت تسيطر تماما على دخل المشيخة من النفط ، وكانت تحصل على نصيب الأسد من استثمارات واموال الكويت واذكر انني قلت عندما كانت «تاتشر» تتشنج في الدفاع عن الكويت ضد «البربرية » العراقية ، قلت ان الكويت اهم للاقتصاد البريطاني من اسكتلندا أو شمال ايرلندا . وازاء انحياز آل صباح الجديد للامريكان لجأت بريطانيا لسلاحها التقليدي .. وهو احتضان المعارضة والتباكي على الديموقراطية في الكويت واطلقت إعلامها الذي يجيد القلب يهاجم آل صباح وسافر «ماجور» الى الكويت وفهم ال صباح الاشارة أو افهمهم الامريكان الذين بدورهم استخدموا نفس السلاح في البداية حتى نالوا السبعين بالمائة، ومازالوا يشهرونه لكي يخفف آل صباح من نسبة العمولة التي يطالبون بها في تعمير بلدهم . ولكي لا يستجيبوا للمنطق ومصلحة الكويت بقبول العرض الافضل ثمنا وتقنية .. فهذا مرفوض أو كما قالت «الاوبزرفر» ان :« الدعوة لترك عملية البناء لقوانين السوق لا مكان لها ازاء الاعلان الصريح من جانب الحكومتين الامريكية والبريطانية بأنهما قامتا بالقتال ويتوقعان القيام باعمال البناء» [١٤] بل ان «نيوزويك » تحرص على الإيحاء الصريح بأن بيكر هو الذي اقنع امير الكويت بالعودة الى بلاده تقول :«الى الطائف ذهب بيكر حيث لا يزال امير الكويت الانطوائي يعيش في منفاه المترف ، الامر الذي لا يخفي المسئولون الامريكيون ضيقهم منه .. وكان الأمير شاكرا ومتعاونا وقررالعودة سريعا للكويت واعطى تاكيدات مائعة عن مقرطة بلاده» [١٥]

وهكذا ــ كما قلنا ــ تباكي الانجليز على الديموقراطية في الكويت واعلن عن مؤتمر للمعارضة سيعقد في لندن في ١٤ مارس ٩١ لاعلان جبهة من ثمانين عضوا يمثلون خمس تنظيمات سياسية

كويتية أساسية.» [16]

وقالت الصنداي تايمس :« يقول الكويتيون لقد خانتنا العائلة الحاكمة .. وكثيرون اغضبهم غياب آل صباح وبخاصة الامير في وقت اشتدت فيه حاجة الإمارة لقيادة »

«قال احمد بشارة :في الثاني من اغسطس فقدت الكويت الكثير ولكن اهم شئ فقدناه هو الثقة في النظام .لم يكن هناك امير ولا حكومة، اكتشف الكويتيون ان الجميع تخلوا عنهم ولكن لحسن حظنا ان قضيتنا التقطتها دول قوية مثل بريطانيا وفرنسا وامريكا ».

«الشعب صدم بالطريقة التي ترك بها آل صباح البلاد بدون أي نوع من الادارة. وبالنسبة للذين بقوا هنا فقد آل صباح جدارتهم لحكم البلاد . ليس لدينا مؤشرات على ان آل الصباح سيتقون وعدهم بشأن اعادة الديمقراطية. . ان لنا معهم تاريخا طويلا من نكث الوعود » [17]

«آل صباح هم الف شيخ فالاناث لا يشملهم احصاء ، وان كانت اثنتان منهن قد خرجتا للاضواء عندما حكم في لندن على اخت للامير بثلاثمائة الف جنيه استرليني تعويضا في عام ١٩٨٩ لخادمتهما الهندية بسبب الاعتداء عليها وسمعت المحكمة اهوالا عن الوحشية والسادية. .ثروة الامير الخاصة تقدر بما بين خمسة وستة الف مليون دولار أو اكثر من ضعف الدخل القومي لزامبيا » [18]

وسافر رئيس الوزراءالبريطاني الى الكويت .. ووعده آل صباح خيرا .. وقالت الصحف البريطانية :« قال جون ماجور(رئيس وزراء بريطانيا) بعد محادثاته مع الشيخ سعد انه قد تلقى وعدا بأن الشركات البريطانية ستلعب دورا كاملا في اعادة بناء الكويت» [19] ... « جون ماجور هو اول رئيس من التحالف يزور الكويت .. ويطلب تأمين حصة الشركات البريطانية في تعمير الكويت .وقال السفير البريطاني مايكل وسطن : ان الشيخ سعد وعد باعطاء بريطانيا حصة قيمة في عمليات التعمير ونصحه ان يتصل فورا بالمسئولين الكويتيين .وقال السفير: لو حصلنا على ٢٠٪ فسيكون ذلك مرضيا واضاف : اذا كان الامريكان يسعون للحصول على سبعين بالمائة فلن يتبقى الكثير لبقية العالم » [20]

وتوقعت الصحف البريطانية ان يمتد الازدهار الى اشد الصناعات البريطانية تأثرا بالكساد الاقتصادي وهي صناعة البناء والعاملين فيها ، ويكون ازدهارا مثل السبعينات للمهندسين الانجليز

والفنيين في صناعة البناء الذين يتوقعون طلبا شديدا عليهم عندما تبدأ حركة البناء في الكويت .

وقد اعلن بنك الكويت المركزي ان الشركات البريطانية ستحصل على ٢٢٪ من قيمة عقود مرحلة ما بعد ازالة الانقاض ،وهذه أول انباء سارة تصل لصناعة البناء منذ زمن طويل .ان بناء الكويت سيتكلف مائة بليون فلو صدقت نسبة ال ٢٢٪ لشهدنا رواجا مثل السبعينات فستتاح مئات الوظائف حتى في المراحل الاولى للعملية ويعتقدون ان الشركات الامريكية التي فازت بالعقود ستستأجر بريطانيين . اما تعمير العراق فسيتكلف ٢٠٠ بليون دولار »[٢١]

ورضيت الاحتكارات البريطانية وخفتت الحماسة للديموقراطية الكويتية . .واعلن الغاء مؤتمر المعارضة التاريخي ، إذ تبين أن عقده في الكويت افضل !

ويبدو ان قوانين السوق لن تطبق إلا على مصر التي لاحجم وجودها العسكري ولا إعلامها المستأنس يغري الكويت بمعاملة الشركات المصرية معاملة شركات البيض ـ كما كان يتمنيهم مبارك الكبير ـ فقد بادر السفير الكويتي في القاهرة وقال بوضوح كما تسرحه جريدة «الحياة» :

« اضعف السفير الكويتي في القاهرة (عبد الرزاق الكندري) آمال الحكومة ودوائر الاعمال المصرية التي تطمح في الحصول على حصة كبرى من العقود الخاصة باعادة بناء الكويت تتناسب مع مشاركة مصر في تحرير الامارة واكد الكندري انه رغم تقديرنا لدور مصر ـ التي نحن مدينون لها ـ إلا اننا لا نستطيع الاعتماد على العواطف فقط فيما يتعلق بالبناء . ان الكويت التي تريد اعادة بنائها ستكون افضل من التي دمرت ولا نستطيع القبول بمستوى نوعي ضعيف ولكن الإمارة قد تعطي الاولوية للمصريين في مجال الايدي العاملة ».

عمال تراحيل . . ولنا عزاء في اضطهاد اليابانيين والالمان !

وكنت قد كتبت في نوفمبر ١٩٩٠ اقول :« سواء وقعت الحرب في الرابع من هذا الشهر مع انتخابات الكونجرس أم في عام ١٩٩٢ مع انتخابات الرئاسة . فالمهم هو أن خريطة الوطن العربي سيعاد رسمها وستوزع الاسلاب بقدر الاوراق التي يمسك بها كل طرف . .خذوا مثلا الرئيس الاسد . . نظامه مستقر منضبط وله قوات تتحكم في لبنان وتضع حزب الله والرهائن تحت تصرفه ، له وجوده داخل التنظيمات الفلسطينية والارهابية ،لديه حدوده مع الاردن والعراق ، وله يد وثقية مع ايران بسبب موقفه خلال حرب الخليج الأولى ،علاقاته طيبة مع المغرب العربي ودول

الخليج .. وبالمقابل ماهي الأوراق التي تملكها مصر وتستحق الدفع عندما تقسم تركة الرجل العربي المريض .. لا شيء .. وما لم تتحرك مصر لتمسك ببعض الأوراق فستخرج من المولد بلا حمص بل قد تصبح تحت الحمص الذي يوزع ..» (جريدة الوفد نوفمبر ٩٠)

وبعد خمسة شهور اصبح شعار« خرجنا من المولد بلا حمص» على كل لسان في مصر !

ولا تستطيع الصحافة الامريكية والبريطانية اخفاء شماتتها بالمنافسين اليابانيين والالمان الذين طردوا من الوليمة بقوة السلاح بل واجبروا على ان يدفعوا ثمن العملية الامريكية الموجهة ضدهم بالدرجة الاولى ! فتساءل «التايم »:« أين اليابان؟ »

وتجيب: «بينما تندفع الشركات العالمية لاقتسام اعادة بناء الكويت فإن ممثلي اكبر قوة اقتصادية على الارض ، أي اليابان ، لم يشتركوا ولا حتى في طلب العقود . لقد حذر المسئولون اليابانيون الشركات اليابانية من طلب اعمال في الكويت حتى لا يبدون كاللصوص الذين يسرقون خلال الحريق» (!!!ج) ويقول رجال الاعمال اليابانيون : لن تبدأ اية مبادرة من جانبنا .. اذا تقدمت لنا الكويت فسنذهب اما الان فسنقف ونراقب. اليابان تعهدت بـ١٣ بليون دولار للحلفاء (أي ما يقرب من حصة الكويت ذاتها)وتحت حملة ابتزاز بشعة من الكونغرس والاعلام الامريكي، وكلمة «تعهدت» تغرر بالقارئ فلقد «اجبرت» .. ج) وتقول صحيفة امريكية :«اليابانيون الذين منعهم دستورهم من أرسال قوات للخليج ساهموا بـ١٣ مليار دولار لارضاء الاخ الكبير في وشنطن .. ولكن الأمة مسترية في ذلك .ومن وجهة نظر الامريكان الذين كانت حياة جنودهم في خطر تبدو مساهمة اليابانيين مجرد «فلوس» ولكن لليابانيين تعني ٧٥ دولارا لكل رجل وامرأة وطفل في اليابان . معظم اليابانيين قد يقبلون ذلك لحماية السلام ولكن الأمر يختلف عندما يدفعون للحرب»[٢٢]

وقد عبر رئيس وزراء اليابان عن شعور اليابانيين الذين فوجئوا بالعودة الى سياسة «العصا الغليظة» فأعلن لأول مرة انه يجب على اليابان «ان تستمر في بناء قوتها العسكرية لانعدام الثقة في ما بعد الحرب الباردة .. بسبب الاضطرابات في الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط»[٢٣]

تتابع «التايم» « ان الشركات اليابانية مجبرة الان على ترك العمل للدول التي حاربت . بعض هذه الشركات تشك في ان تعطيهم الكويت ولو حتى فرصة لاعادة تصليح المؤسسات التي بنوها

هم أنفسهم رغم أن الاصلاح سيكون اكثر دقة إذا قام به المصممون والبناة الاصليون كما قال "YUJIA WAKAYAMA" المتحدث باسم توشيبا التي صممت وأقامت نصف محطات الكهرباء قبل الغزو العراقي . وقال المتحدث الياباني : «نحن مستعدون للتعاون اذا طلبت الكويت ولكن مصادر الصناعة تعتقد ان الكويت ستعطي العقد للشركات الامريكية كاعتراف بجميل القوات الامريكية في تحرير الكويت» [٢٩] «عندما انفجرت الحرب كانت «ميتسوبيشي» تنفذ عمليتين في الكويت قيمتها اكثر من مليارَي دولار» [٣٠]

« ان اعادة بناء الكويت صفقة كبيرة سيقع معظمها في حجر الشركات الامريكية . وهذا بالطبع لتصحيح الوضع الشاذ حاليا بالمفهوم الامريكي حيث اقوى دولة في العالم لا تصدر من الخدمات والبضائع الامريكية اكثر من ١٥٪ من واردات الكويت التي قدرت بـ ٦.٢ بليون سنة ١٩٨٩ » ومع تصحيح الوضع بالسلاح اكد المتحدث الكويتي « ان الدولارات التي ستحصل عليها الشركات الامريكية ليس ثمنا للانقاذ العسكري الامريكي ولكن نحن ممتنون لما تفعله امريكا .. » « العراقيون وضعوا مدفعية مضادة للطيران في المصفاة الكويتية فاذا ضربها الحلفاء وتوجب اعادة بنائها فهذا سيكلف عشرة بلايين دولار .. وتوقع مدير شركة اصلاح الابار ان تتضاعف مبيعاته للكويت ثلاث مرات فور انتهاء الحرب .. وقال ان اصلاح كل بئر تشتعل فيه النيران سيكلف الكويتيين ما بين ٣٠٠ الي ٥٠٠ الف دولار .. ومع مئات الابار المعرضة لاشتعال النيران فإن الفاتورة سترتفع سريعا وستجلب اعمالا مربحة للحفارين الامريكيين» (هل نستبعد ان يدفعوا للعراقيين ثمن اشعال النار في الابار أو يغروا الطيارين الامريكان بضربها . ج) ... «ويتدافع المسئولون الان بشكل محموم لتوقيع العقود وقد تم فعلا توقيع ما بين ٤٠ الى ٥٠ عقدا و١٢٠ اخري يجري اعدادها ولكن الشركات الامريكية لا تريد أن تبدو في صورة «الحدايات» التي تجذبها رائحة الدم .. أو «الاسعاف المأجور» وقال أحدهم : لا تريد القاء الضوء على هذه العمليات ولكن الحقيقة هي ان الشركات الامريكية التي تعاني الكساد متلهفة على المال والمشاريع في كويت ما بعد الحرب .. ويمكن ان يعملوا في الصحراء لسنوات عديدة .. لأن تدمير الكويت شامل .. وقالت الصحيفة انه قبل يومين فقط من الهجوم الجوي وقعت الكويت مع سلاح المهندسين الامريكي عقدا بـ ٤٥ مليون دولار لعمل تقرير عن الخسائر التي سيوقعها الهجوم الجوي. واجراء

الاصلاحات اللازمة للمياه والمواصلات والكهرباء .وقد بدأت صيحات الاحتجاج حول المحاباة وقد سارعت وزارة الخارجية ووزارة التجارة البريطانيتان من اسبوعين باعتصار الكويت للحصول على قطعة من الوجبة الدسمة . .»[26]

ولعل ذلك يلخص كل ما نحاول اثباته فقبل الغارة الامريكية استطاعت الصناعة اليابانية طرد الولايات المتحدة من السوق الكويتية وفازت شركة يابانية واحدة بنصف عمليات الكهرباء في الكويت .ولكن بعكس ما قال «لينين» فقد جاء المال هذه المرة في اعقاب الراية وبعد ان سمت الكويتية « نورا » ابنها على اسم اول جندي امريكي يدخل الكويت فأصبح اول كويتي اسمه كريست [27] . .وبعدما قررالكويتي احمد اليعقوب هو وزوجته تسمية ابنهما بوش [28] تيمنا باسم الغازي جورج بوش ، وتحول شارع بغداد في الكويت الى شارع بوش [29] وبعدما وقف العجوز الكويتي المنحني يقبل العلم الامريكي ، وبعدما انحنى الجندي العراقي يقبل حذاء العسكري الامريكي ، وبعد ان اصبح للولايات المتحدة نصف مليون جندي على أرض الكويت ، فإن الشركات اليابانية التي اثبتت تفوقها في السلم لن تنال ولا حتى اصلاح منشآتهاالتي دمرها الامريكان، بل ستفوز بها الشركات الامريكية،التي ربما تستأجر من الباطن شركة توشيبا .وهكذا اعاد المدفع قسمة العالم بنسبة القوة العسكرية لا الصناعية ولا الاقتصادية . .

وتتابع التايم : « وليست اليابان هي القوة الاقتصادية الكبرى الوحيدة المترددة في السعي للحصول على عقود في اعادة بناء الكويت بل ألمانيا ايضا ، لأن الشركات الالمانية تتوقع ان تخسر هذه الصفقة لأن «بون» لم تقدم قوات للحرب في الخليج والشركات الالمانية ساعدت بصفة غير قانونية المجهود العراقي الكيماوي ولكن الدولتين لا تفكران في الانسحاب من المنطقة والتخلي للآخرين عن مثل هذه السوق الضخمة . » [30]

بالطبع لا تفكير في التخلي ولكن عندما تمنع المنافسة الحرة بقوة المدفع فماذا يبقى للأكفأ اقتصاديا من وسائل الدفاع عن النفس ؟! هذا ما سيراه من سيعيشون للقرن القادم .

ولعل ملامح الجواب يمكن استشفافها مما كتبته الفايننشيال تايمز :«ان حرب الخليج اثبتت ان الهوة بين القوة الاقتصادية والقوة السياسية يمكن ان تكون بالسعة التي تمنع التحامهما، فبريطانيا وفرنسا بل حتى اسرائيل لها تاثير في الاحداث اكثر من اليابان. . الوزراء اليابانيون يتصرفون

الشركات اليابانية الا تحاول الحصول على عقود لتعميرالكويت، وترك حصة الأسد للشركات الامريكية والاوروبية . وقالت NIHO KEIZAI كبرى الصحف التجارية اليومية : « يجب ألا تقف اليابان متفرجة والانجلوساكسون يقيمون نظاما عالميا جديدا . وقالت : «ان اليابان يجب ان تأخذ في اعتبارها الشعور المعادي للامريكان والمعادي للاستعمار والمتعاطف مع الأسلام الذي عبر عنه في بعض البلاد العربية » . وقالت :«ان دور اليابان هو مراعاة افتقاد امريكا للقوة الاقتصادية وتعويض ذلك وان تؤكد دور اليابان الدولي مع التأكيد على حماية السلام العالمي بالبعد عن الوسائل العسكرية » [31]

ولم تكتف الولايات المتحدة بهذا النهب العلني للسوق الخليجية ، بل فرضت بالبلطجة على المانيا واليابان تمويل ذات العملية الموجهة ضدهما بالدرجة الاولي ، وتصفقت بريطانيا في البداية فلما رأت البلايين تنهال على امريكا هرعت تطالب بحصتها ، فهذه اول حرب تخوضها دولة كبري كمرتزقة علانية وبوضوح وبلا حياء بل وتلجأ فيها صحافة الغرب المتعالي للابتزاز بلا خجل وتأمل هذه المقالة في صحيفة بريطانية:«امتنع امراء الكويت الاغنياء ، حتى الان ، عن دفع مليم واحد من نفقات الحرب لبريطانيا كما كشفت مصادر هوايتهول . ولكنهم اقرضوا نصف مليار جنيه استرليني للاتحاد السوفيتي المفلس الذي لم يرسل جنديا ولا بحارا ولا طيارا لتحرير الكويت . وتعهدوا بسبعة مليارات جنيه لامريكا عينا ونقدا . وقد أدى هذا الموقف من آل صباح تجاه بريطانيا الي سفر دافيد ميلور السكرتير العام للخزانة للخليج وقبعته في يده .ومن المنتظر ان يعلن نفاد صبر بريطانيا عندما يقابل الامير في منفاه المترف في السعودية.وستبدأ رحلته بالامارات حيث سيطالب باستضافة مجانية للقوات البريطانية فتقدم الامارة للقوات البريطانية النفط والطعام والماء مجانا . .ورغم اغلاق ابار نفط الكويت فإن آل صباح يملكون البلايين المستثمرة في العالم. بريطانيا ستطالب السعوديةعلى الأقل بمائة مليون جنيه والفاتورة ستغطي نفقات النقل والاعاشة والاسكان والنفط للقوات منذ وصولها في اغسطس .وقد رفض المحامي العام سيرباتريك مايهو « SIR PATRICK MAYHEW » وصف تيد هيث رئيس الوزراء السابق القوات البريطانية في الخليج بالمرتزقة ووصف ذلك القول بأنه مأساوي وخطر وباطل.» [32]

كما نقل عن الصحف البريطانية انه بعد اجتماع وزير الدفاع البريطاني مع الملك فهد تقرر

وضع القوات البريطانية في ضيافة للمملكة ومن ثم فسيحصلون «مجانا على الطعام والوقود والماء والنقل والاقامة» [٣٣]

ومن الناحيةُ النفطيةُ فهناك رأي يقول إن غزو العراق للكويت عاد على امريكا أو الاحتكارات النفطية فيها بالربح الوفير وقد كتبت يوم السابع من ديسمبر حول هذه النقطة فقلت :«عودة الكويت تعني كارثة نفطية ! الوضع الحالي (ديسمبر ١٩٩٠)هو الوضع الافضل بتروليا للولايات المتحدة وعدد من الدول الحليفة لها . لأن اختفاء نفط الكويت والعراق عن السوق أدى لرفع السعر الى المستوى الذي مكن من تشغيل اقصى طاقة للولايات النفطية في امريكا مثل تكساس (ولاية الرئيس التي زاد دخلها بسبب غزو الكويت عشرة بلايين دولار) والاسكا و لويزيانا واريزونا.. وقد نشرت الاوبزرفر البريطانية بتاريخ ٢١ اكتوبران الامريكان هم الذين اوعزوا للعراق برفع سعر النفط بالقوة فقالت في مقال بقلم HELGA GRAHAM:«الرئيس بوش ووزير خارجيته من رجال النفط »كما أن « الولايات النفطية في امريكا وهي لويزيانا واريزونا الاسكا بل وحتى تكساس في وضع مالي سيئ وامريكا تنتج نصف ما تستهلك ومن ثم كان رفع السعر ضروريا للاستمرار في الانتاج .وقد حاولت الولايات المتحدة رفع السعر في ١٩٨٦ ولكنه انهار مرة اخرى الى ٨,٩٠ دولارا وسافر بوش الذي كان نائبا للرئيس حيث اجتمع والملك فهد وتم رفع السعر الى ١٨ دولارا وأبعد اليماني الذي كان يتبنى سياسة الاغراق .» وقالت الصحيفة البريطانية انه في يناير من هذا العام كان صدام حسين في اسوأ مرحلة من تاريخه بعد أن خرج مفلسا محطما من حربه مع ايران فلم يكن صدام زعيم العرب كما يبدو الآن بل مجرد ديكتاتور مفلس يكافح للبقاء وفي ٦ يناير افلت وبالكاد من محاولة لاغتياله. وكان دخله من النفط ما بين ١٢ و١٣ بليونا بينما توقعت الدراسات ان يتجاوز الاستيراد المدني الـ ٢١ بليونا والحربي اكثر من ٧ بلايين مع بليون اخر لبقية الاستيرادات . أي انه كان يحتاج لسبعة بلايين اضافية لتغطية الانفاق اليومي اما الدين العراقي الذي كان بليونا واحدا عام ١٩٧٩ فقد اصبح مائة بليون . وعنده جيش يريد أن يسرح منه ٧٠٠٠٠٠ ولا عمل ينتظرهم . كان صدام تحت حصار سياسي واقتصادي جعله يعين ابنه واخاه غير الشقيق مشرفين على قوات الامن ولتنشيطهما عرض عليهما فيلم اعدام شاوشيسكو .» وفي يناير كان سعر النفط ٢١ دولارا للبرميل «ولكن الخبراء توقعوا ان يهبط السعر الى ١٥ دولارا وهو ما حدث ولذا توقع صدام تدهورا اكثر . وتقول

الصحيفة انه في هذا الوقت تلقى صدام خشبة الخلاص من سفير امريكي سابق وعضو في مجلس العلاقات الخارجية FOREIGN RELATIONS COUNCIL ولا يزال بوش يستخدمه في مهام تتعلق بالسياسة الخارجية اذ التقى في اجتماع مدبر في نيويورك مع وزير عراقي رفيع المستوى (تعتقد انه سعدون حمادي) ونصح الامريكي الوزير العراقي بأن يعمل صدام حسين على رفع سعر النفط.. وهنا تقدم، (مركز واشنطن للدراسات الاستراتيجية والعالمية) باقتراح السعر والاسلوب.. اما السعر فهو ٣٥ دولارا للبرميل والاسلوب هو الاعتماد على القوة العسكرية لفرض السعر وقد كشفت الصحيفة ان ذلك تم في حديث نشره «شويلر» مدير برنامج تأمين الطاقة في المركز قال فيه : ان العرب يستطيعون الحصول على ٢٤ أو ٢٥ دولارا للبرميل بدون أن ينتقل المستهلكون لمصدر اخر للطاقة وان العرب لا يفكرون في مصالحهم ، وتساءل لماذا تتصدقون على الامريكان ؟ اوقال إن المطلوب هو تغيير في قيادة دولة بترولية تستطيع فرض ارادتها على دول الخليج.. » وقالت الصحيفة : «انه في الربع الثاني من هذا العام كانت اوبك تنتج ٢.١ مليون برميل زيادة على الحاجة ، منها ١٨٪ للكويت وحدها .وفي الاسبوع الثالث من يونيو هبط سعر النفط الى ١٣.٥٤ ولم يكن ثمة حل الا الذي اقترحه المركز » وفعلا طرح سعدون حمادي نفس السعر الذي نصح به الامريكان وهو ٢٥ دولارا وفي لقاء مع القائم بالاعمال في بغداد بعد الغزو العراقي للكويت ،قال القائم بالاعمال الامريكي :«ان هناك قلقا في اسواق العالم بسبب ارتفاع سعر النفط ، فرد صدام :« انتم السبب لقد قبلنا سعر الخمسة وعشرين.. » أي الذي اقترحتموه علينا .. » [٢٤]

ومما يذكر ان مركز الاتصالات الاستراتيجية في وشنطن هذا اصدر بيانا نفى فيه ان يكون قد تلقى مالا من العراق مقابل توصيات تفطيه ولكنه لم ينف انه هو الذي اقترح على العراقيين رفع سعر النفط الى ٢٥ دولارا !!

فهناك مصلحة امريكية حيوية في اختفاء النفط الكويتي من السوق ، ونفس الشيء يمكن قوله عن استفادة المكسيك ودول بحر الشمال من تدمير النفط الكويتي بالاضافة الى ايران ونيجيريا وفنزويلا .وارتفاع دخل هذه الدول ينقذ النظام المصرفي الامريكي لأنه يمكنها من تسديد ديونها المتراكمة والمتجمدة لهذه المصارف (اكثر من خمسين مليار دولار) حتى الاتحاد السوفيتي يكسب

٢٠٠ مليون دولار يوميا منذ الازمة ، تمكنه من معالجة اقتصاده وشراء القمح الامريكي ٠فمن له مصلحة في اعادة الضخ الكويتي ؟! واذا كان العرب يتهمون بأنهم لا يقرأون فعلى الاقل بعضهم يكتب ٠٠فقي عام ١٩٨٦ صدرفي القاهرة كتاب بعنوان « قيام وسقوط امبراطورية النفط » جاء فيه بالحرف صفحة ٣٦ ما يلي : «ومن المتوقع ان تتدخل الدول الكبرى لمنع العرب من خفض سعر نفطهم عن الحد المطلوب ، والاسلوب الذي يمكن ان يستخدم لمنع العرب من خفض السعر هو ما قاله صراحة رئيس اتلانتك ريتشفيلد التي تستثمر حقل كوباردك في الاسكا والذي يتوقع ان ينتج ربع مليون ب/ي عام ١٩٨٦ وعندما سألوه ماذا سيفعل اذا انخفض سعر النفط عن خمسة وعشرين دولارا فقال : نغري دويلة من تلك الدويلات الصحراوية التي لا اعرف اسماءها فتحارب الاخرى وبذلك يتقطع نفطهما معا من السوق ويرتفع السعر ٠٠ وعلق المؤلف المصري ٠٠ « علينا ان نستعد بعد انتهاء حرب العراق وايران لكارثة نفطية في بلد عربي لخفض النفط العربي المطروح والدولة المرشحة هي الكويت ٠٠» حرفياص ٣٦ وقبل ست سنوات!

وحصة الكويت في انتاج « الاوابك » لا أساس لها من عدل أو احتياج ٠وانما هي من ميراث السيطرة البريطانية وقد قلنا في كتابنا المشار اليه : « خلال ارتباط الكويت بالانجليز كمحمية بريطانية ، حرص الانجليز على رفع انتاجها لأن الحماية كانت تنص على استثمار اموال الكويت في بريطانيا فزاد انتاج الكويت على جميع دول الخليج حتى عام ١٩٦٧ فمنذ هذا التاريخ فقط سمحت الشركات للسعودية وايران بتخطي انتاج الكويت لأول مرة٠ فأصبحت الحصص كالآتي (٦و٢ مليون ب/ي السعودية ، ٥و٢ مليون ب/ي ايران والكويت ٣و٢ مليون ب/ي بينما ظل العراق ينتج ٢و١ مليون) والكويت كما يقال لا تزيد عن حارة في العراق واحتياجاتها الحقيقة لا تزيد على تكلفة طريق في السعودية ٠ولم تتحمل اية مسئولية عربية الا في وقت متأخر وبما لا يزيد عن ٣ بالمائة من ميزانيتها ٠٠ ومن ثم تجمع لها رصيد هائل ، هو هذا المستثمر خارج الوطن العربي، فلماذا لا تخفض انتاجها الى الحد الادنى ٠٠ ليخف الضغط عن الدول النفطية الاخرى ٠٠ لماذا لا يخفض انتاج الامارات الى مائة الف برميل يوميا ٠٠» (حرفيا ص ٦٢)

وقد ارتكبت الكويت والامارات الغلطة القاتلة بالاستمرار في زيادة الانتاج دون مبالاة بهذا الواقع العالمي ٠والآن تم اخراج نفط الكويت من السوق العالمي ولا احد له مصلحة في إعادته ٠ اما

نفط العراق فلن يعود الا اذا تم اخراج نفط دولة اخرى . . لقد تعودنا ان نقول ان امريكا مستعدة ان تحارب من اجل النفط وهذا صحيح شرط ان نفهمه بمعنى الحرب لضمان تدفقه ، واحيانا لمنع هذا التدفق !

وكنا قد اشرنا للدور الذي حاولته السعودية لمنع هذه الدويلات من الاستمرار في اللعبة الخطرة بزيادة الانتاج بلا مسئولية وتوقعنا ردة الفعل العالمية ـ كما توقعنا ان هذه الدويلات لا تملك القدرة علي كبت شهواتها والتفكير في ابعد من شراهة المسعور فهي تعيش ليومها وعلقنا علي محاولة السعودية الزامها بحصص محددة فقلنا منذ ست سنوات:

« هل تضمن السعودية أن يكتفي هؤلاء ويحترموا تضحيتها ، فيمتنعوا عن الغش وزيادة الانتاج وخفض السعر ؟ هل لو احترموا اتفاقهم في مارس ١٩٨٣ كانت وقعت أزمة هذا العام ؟ .. ألم يصرح الشيخ اليماني أن انتاج دول الاوبك يزيد مليوني برميل يوميا عما اتفق عليه ، الم تنفجر هذه الازمة الاخيرة لأن الامارات لجأت للغش فأعطت خصما لشركاتها دولارا وثمانين سنتا في البرميل ، وستين سنتا للشركات التي تشتري منها ! .. هذه الدويلات التي تعيش حالة انفاق سفيه لا يفترق عن تفسية اللص والمقامر، بلدان بلا حكومة ولا برلمان ولا صحافة ولا ثقافة ولا خلق .. تديرها عصابة من البلهاء الذين تحركهم غرائزهم بالاشتراك مع اللصوص الذين بلا ضمير ولا هدف الا نهب المال السايب ،هذه الدويلات التي وصفها الكاتب الباكستاني « اقبال احمد » فأبدع عندما قال : ولقد جمعوا ثروة بلا عمل ، وحققوا أرباحا بلا انتاج ، بلادهم متخمة بالالات ولكن بلا تكنولوجيا (تقنية) . اقتصادهم يديره اجانب ، واستثماراتهم جعلتهم اكثر تبعية للغرب . يملكون البلايين ولكنهم بلا رأس مال ، انهم يفتقدون الارادة والقدوة لتحويل ثرواتهم الى قوة ! » [٣٠]

وكان اختفاء النفط الكويتي متوقعا قبل الحرب فقد اكدت نيويورك تايمس ان الخطر كبير علي النفط الكويتي اما النفط السعودي فهو في امان « حقول النفط السعودية والمصافي وخطوط انابيبها محمية جيدا ويحتمل ألا تصاب إلا باضرار طفيفة وقال القائد الامريكي لدرع الصحراء انه لا يتوقع ان يرى تدميرا كبيرا لحقول النفط السعودية ،ولكن المنشآت النفطية في الكويت ستتعرض لتدمير شامل فقد قال الخبراء ان العراق لغم الابار وسينسفها في حالة قيام الحرب وقال الجنرال

شوارتسكوف اذا نشبت حرب برية فمن الصعب تجنب تدمير النفط الكويتي وربما تحتاج الكويت لسنتين أو ثلاثة حتى تستعيد انتاجها السابق على الحرب . . ويتوقع ان تقفل السعودية بعض حقولها من باب الاحتياط فسينخفض الانتاج ٢ أو ٣ ملايين ب/ي» [٣٦]

واحب ان انبه هنا الى قضية تكشف نفاق وانانية الانجلو ساكسون ، فهم ينصبون انفسهم امناء على الاقتصاد العالمي ويضيفون الى عبء الرجل الابيض مسئولية توفير الطاقة أو النفط ، وكثيرا ما يتباكون على الدول النامية التي يرهقها العرب برفع سعر النفط . . وقد رأينا ان احد اسباب حرب الخليج هو انخفاض سعر النفط وليس ارتفاعه . وأشرنا ، وسبقنا الكثيرون ، الى كشف دور امريكا في رفع اسعار النفط في السبعينات والتي كانت نهاية عصر النفط الرخيص . وتبين ان امريكا خلف رفع السعر لمصلحة ابارها القديمة العالية التكلفة واستثمارات الانجلو ساكسون في حقول صعبة الانتاج وبالتالي لا يمكن تسويقها الا بسعر مرتفع ، مثل الاسكا وبحر الشمال . وتضيف هنا ان دول الخليج تستطيع ان ترفع انتاجها الى الحد الذي يهبط بسعر النفط الى عشرة دولارات البرميل بكل ما يشكله ذلك من اثار ايجابية على اقتصاد العالم الصناعي وتخفيف اعباء المعيشة على الدول الفقيرة المستوردة للنفط ، بل ومن مصلحة الدول الخليجية وبالذات السعودية ان يحدث هذا لأن احتياطيها طويل المدى جدا ومن صالحها ان يعتمد العالم لسنوات عديدة مقبلة ، على نفط رخيص كمصدر للطاقة . ولكن ذلك لا يمكن تحقيقه الا اذا أغلقت الابار العالية التكلفة في الولايات المتحدة والاسكا وبريطانيا واحتفظ بها كاحتياط للمستقبل أو الطوارئ، وترك النفط العربي الرخيص يتدفق باقصى طاقاته . وفي هذه الحالة نحن نقبل أي ضمانات يريدها العالم لضمان استمرار تدفق النفط العربي ومنع أي اغراء لاستغلال الاوضاع وارهاق المشترين . أي ضمانات بما فيها رقابة أو حتى اشراف الامم المتحدة . . لو تخلى وحوش النفط في امريكا وبريطانيا عن انانيتهم واكتفوا بما نهبوه من مال النفط ، واتاحوا الفرصة للعرب لانتاج نفط رخيص يتدفق في عروق الصناعة العالمية . . ولكن العكس تماما هو ما نراه . . الحرص على منع النفط العربي ولو بحرقه لضمان تسويق نفط الانجلوساكسون غير الاقتصادي، العالي التكلفة ، ثم اعلام مرتبط شديد التضليل والافتراء، يحاول ان يحمل العرب مسئولية ارتفاع سعر النفط وهو ما تفرغت لتفنيده في كتابي« قيام وسقوط امبراطورية النفط » فنكل بي اصحاب

النفط ا .

وهناك عنصر اخر خلف العداء للنفط العربي وهو العنصر الاسرائيلي فانصار اسرائيل في السياسة الامريكية يريدون التقليل من اعتماد امريكا على النفط العربي باعتباره الحجة الوحيدة لانصار العرب الذين يطالبون بالحد من الدعم الامريكي لاسرائيل . وفي كتابي المذكور كشفت كيف كان اليهودي كسينجر خلف رفع اسعار النفط من اللحظة الاولى منذ السبعينات وما أن نشبت حرب الخليج حتى عاد «هنري كسينجر الى مطالبة الولايات المتحدة بالبدأ فورا في تطوير مصادر طاقة لا تعتمد على دول اجنبية» ٣٢

وقد شن الاعلام الغربي حملة عنصرية تعتمد على الكذب الصريح ضد المملكة تحت شعار الارباح غير المتوقعة التي ستنهال عليها بسبب ازمة الخليج وارتفاع اسعار النفط ولم تكن هذه الحملة التي قام بها اعضاء في الكونجرس ، ومسئولون في الحكومة الامريكية وخبراء في الدولة التي تفتخر بأنها تملك احدث وسائل المعرفة ،لم تكن هذه الحملة في تزويرها للحقائق وتزييفها للارقام الا نموذجا لما يمكن ان يصل اليه قادة الحضارة الغربية في الكذب والتضليل . وقد كتبت النيويورك تايمز موضوعا عن التربح والانفاق السعودي نقلت فيه عن الامير عبدالعزيز بن سلمان الذي وصفته بأنه مستشار كبير في وزارة النفط:« لقد ساهمنا مساهمة عظمى على مستويين بزيادة الانتاج لخفض السعر وبدعم الدول التي ساهمت بقواتها . ويكفي ان تتصور كم كنا سنحصل عليه لو حددنا انتاجنا بسبعة ملايين ب/ي» وقالت الصحيفة نقلا عن دبلوماسيين سعوديين :«ان مساهمة السعودية توصف بالكرم فقد انفقت كل ريال حصلت عليه من زيادة ارباح النفط العام الماضي وتعهدت بضعف هذا المبلغ للدفاع عن نفسها من العراق ودعم الذين جاءوا لمساعدتها ...» لقد حققت السعودية زيادة ١٥ بليون دولار في الشهور الخمسة للأزمة . والتزمت بثلاثين الف مليون في ما يتعلق بنفس الازمة . .العجز في الميزانية لعام ١٩٩٠ (١٥ بليون) بسبب الازمة أو ضعف ما كان متوقعا قبل الغزو العراقي . . ونقلت عن صالح المالك وكيل وزارة البلديات السابق ان «مساهمة السعودية لم تفهم ولا قدرت . . اظن ان عجزنا سيصل الى ٢٠ بليون دولار » ولخص اقتصادي غربي نسبة مساهمة كل من السعودية وامريكا في الاتي :

** في ١٩٩٠ انفقت السعودية على الازمة ما بين ٢٥٪ الى ٣٠٪ من مجموع انفاق المملكة أو

ما بين ١٥ الى عشرين بالمائة من مجموع الدخل القومي .

** امريكا انفقت ٩ بلايين أي واحد بالمائة من المصروفات السنوية وهذا يعادل اثنين من الف من الدخل القومي"[٣٨]

أي ان السعودية تدفع نسبيا مائة ضعف الولايات المتحدة الامريكية! وقالت النيويورك تايمز ان التزامات السعودية عن عام ١٩٩٠ تفوق الدخل من النفط الاصلي والاضافي بخمسة عشر بليون دولار..وقالت ايضا :«اصبحت السعودية من اكبر مستوردي النفط منذ نشوب الحرب .. في الاسابيع الستة الاخيرة استوردت المملكة حوالى ٨ مليون برميل من زيت الديزل وبنزين القاذفات لكي تمكن قوة طائرات التحالف من الطيران بمعدل الفين مرة في اليوم . حتى الان طار الحلفاء عشرة الاف طلعة بالنفط السعودي المشترى من الخارج وفي نفس الوقت اوقفت السعودية تصدير النفط المخصص للمجهود الحربي. وقال خبير سعودي انه قبل ازمة الخليج كانت السعودية تصدر مائة وخمسين الف برميل من بنزين الطائرات يوميا وحوالى ٢٠٠ الف برميل من زيت الديزل . رغم انفجار الحرب فان انتاج السعودية لم يتأثر الا باللغم الذي تسلل الى بئر في مياه الخليج وادى الى انخفاض الانتاج ٢٠٠٠ برميل يوميا .. ان نقص الدخل من عدم التصدير والاستيراد الاضافي يأتيان ضمن ال ٣٠ بليون دولار التي تعهدت بها السعودية عن عام ١٩٩٠ لمواجهة ازمة الخليج. ولأن زيادة دخل السعودية قدرت فقط ب ١٥ بليون دولار في ١٩٩٠ مما سيحدث عجزا قدره ١٥ بليون دولار .ويقول المحللون ان السعودية في الواقع رهنت أي ربح قد يأتي في ١٩٩١ لتغطية هذه الالتزامات»[٣٩]

ومع ذلك نجد من يقول : «ان ارباح السعودية من النفط ينتظر الا تزيد عن خمسين بليون دولار في السنة .. ان حلفاء امريكا لا ينقصهم المال ولا الرجال بل الشعور بالمسئولية لكي يقاسموا امريكا اعباءها في الخليج ..وقالت ان السعودية تعهدت بدفع ٦٢ بليون دولار هذه السنة لتعويض واشنطن عن عملياتها العسكرية في الخليج وتعويض الدول الفقيرة المتضررة .وطالبت بضرورة زيادة مساهمة الحلفاء عسكريا وزيادة مبلغ الدعم وهو ٢٠ بليون من السعودية والمانيا واليابان»[٤٠]

وذكر تحقيق في مجلة بيزنس ويك ان الولايات المتحدة تواجه عجزا في ميزانيتها قدره ٣٢٥ بليون دولار وان عددا من زعماء الكونغرس يعتقدون ان المملكة تربح البلايين من ارتفاع اسعار

النفط ولا تساهم كفاية في نفقات الدفاع عنها . واشارت المجلة الى رسالة الامير بندر بن سلطان الى « رئيس لجنة الخدمات المسلحة في مجلس النواب التي انكر فيها ان بلاده تستربح من الأزمة . وقال بندر ان زيادة الانفاق السعودي بسبب الازمة ستبتلع زيادة الدخل المتوقعة وتتجاوزها . فبالاضافة الى الـ٣ بلايين التي دفعت للمجهود العسكري الامريكي ، فقد دفعت السعودية ٣,٦٥ بليون دولار كمساعدات اقتصادية للدول المتضررة ، وزادت انفاقها العسكري ١,٧ بليون دولار واشترت اسلحة امريكية بـ ٧,٦ بليون دولار » .

وقدرت المجلة ان دخل السعودية ارتفع من ٣٠,٤ بليون دولار في ١٩٨٩ الى ٤٩,٢ بليون دولار في ١٩٩٠ » [41]

و يبدو ان الملك فهد كان في خاطره السناتور « لاري بريسلر » الذي قال في مؤتمر صحفي ان السعودية بدوننا كانت ستكون المحافظة العشرين للعراق ! وزعم ان السعودية تجني ارباحا طائلة تصل الى ٥٢ مليار دولار سنويا بسبب ارتفاع اسعار النفط منذ اوائل اغسطس ويستطيع السعوديون بسهولة دفع التكاليف الكاملة لدفاعنا عن اراضيهم » [42]

وقد قال جلالته : الثروة البترولية لم تصرف هباء في السعودية .. واعتبر الملك فهد ان ما يقال عن اعادة توزيع الثروات في المنطقة كلام يقال ولا يعني شيئا في الواقع وليس جديدا سماع كلام عن توزيع الثروة .. ووجه الملك فهد سؤالا أين كان اولئك يوم كانت هذه البلاد لا تجد شيئا من القوت ، كان اباؤنا واجدادنا يتضورون جوعا وكانت بلادنا صحاري وقفارا لا تنبت شيئا .. ان من يقول ان السعودية عندها ثروة لا تعرف اين (تنفقها) يغالط نفسه .. الذين يقولون ان المملكة تبيع بترولها بأربعين دولارا .. الواقع غير هذا فالاسعار لا تتجاوز بالنسبة للبترول الخفيف ٢٦ دولارا اما المتوسط والثقيل فتهبط قيمته الى ١٥ دولارا ، معنى ذلك ان السعودية تتحمل (نفقات اضافية) وتمنى ان هذا الكلام الذي يقولونه صحيحا لكنه غير صحيح . في الواقع اذا كان احد يريد الحقيقة فليأتي لنا وابوابنا مفتوحة وسيجد ان السعودية في اشد الحاجة لانفاق ما تحصل عليه .. اما من يريد التكلم لاغراض سياسية فلا يعنينا ونفضل دائما السلام والاستقرار .. ولكننا لا نقبل ان نتصاع لأحد ، لن نكون معتدين ولن نتردد يوما في الدفاع عن عقيدتنا ووطننا ... » [43]

ونشرت النيويورك تايمز :

« كان البروفسور « موراي ادلمان » استاذ الاقتصاد في جامعة ماستشوست التكنولوجية قد قدم شهادة مكتوبة للكونغرس حول اسعار النفط بعد الغزو العراقي حمل فيها على السعودية كالعادة اذ قال «ان دول اوبك بما فيها السعودية اتبعت سياسة قصيرة المدى ، استراتيجتها هي تحقيق اكبر قدر من الارباح برفع الاسعار الى اقصى حد تحمله السوق . وتنبأ ان الاوبك ستبدد ما ربحته من ارتفاع الاسعار بعد الغزو العراقي . كما بددت ارباحها في السبعينات والثمانينات ونفس المصير ينتظر ارباح التسعينات .. وقد كتب عبد العزيز سلمان ال سعود احد مستشاري وزير النفط السعودي الرد التالي :« ان شهادة البروفسير ادلمان تستوجب الرد فلقد تضمنت تجنيا على الحقيقة افتقدناه زمنا طويلا ! ان الدول البترولية لا تتحرك فوق السوق بل في اطاره ولذا فإن حريتهم محدودة في رفع الاسعار . والدول البترولية ليست قصيرة النظر الى حد ان تلهث خلف الربح اليوم لتخسر الدخل كله غدا ، بل تهدف الى تنمية دخلها على المدى البعيد . والسعودية على سبيل المثال لابد أنها تملك تصوراً بعيد المدى لاقتصاديات سوق النفط وعليها ان توازن بين احتياجات التنمية السعودية ، واستمرارية النفط كمصدر رئيسي للطاقة .وكما اعترف مستر ادلمان ان اصحاب النفط يقوم اقتصادهم على مصدر واحد، ولذا فمن المثير حقا انه جرد هؤلاء من معرفة مبادئ الاقتصاد .. فعلى سبيل المثال كيف يخطر ببال دولة مثل السعودية تملك اكثر من ربع احتياطي العالم من النفط ان تخاطر بالسعي وراء الربح السريع ولا تحسب حساب تأثير ذلك على مستقبل النفط كمصدر للطاقة ؟!

«المستر ادلمان في « نطقه البابوي » الذي ادلى به للكونغرس حول تبذير الدول النفطية كان فظا بالتأكيد . والا فخبرني بربك يا أستاذنا العزيز كيف يمكن ان تكون مسرفا في انفاقك وانت لا تملك الا صحراء جرداء تلتهب بطموحات شعب يتطلع لحياة كريمة؟ .. هل تعتقد انه كان علينا في السعودية أن لا نشق الطرق ولا نبني المدارس والمستشفيات والصناعات وكل الطيبات التي تنعم انت بها .. لعلك تفضل ان ترى البدوي يسوق جمله حاملا اليك برميل نفطه ؟! .. أنا جد فخور بما حققته السعودية من تقدم خلال عقدين من الزمان .. لماذا يضايقك ان تصرف دول النفط دخلها لتطوير بلادها وعلى أي اساس تصفه بالإسراف ؟! .. ان شهادة المستر ادلمان عن سلوك

دول الاوبك قبل وبعد الغزو العراقي هي خطأ بالكامل، فقد كتب يقول ان دول الاوبك بامكانياتها الاضافية رفضت زيادة الانتاج وتأخرهم هذا نشر القلق في السوق ودفعت مخاوف المشترين لزيادة السعر .. أي سخف هذا القول؟! الذي حدث أنه فور وقوع الغزو قررت عدة دول وفي مقدمتها السعودية ان تبذل كل جهدها لسد الثغرة التي تسببت بفرض الحظر على نفط الكويت . كما وافقت الاوبك في مجموعها في اخر اغسطس على رفع الحصص والسماح باقصى انتاج لتحقيق الاستقرار في سوق سادها الذعر .. ليست الاوبك هي التي غزت الكويت لترفع السعر وانما هذه ازمة سياسية. وقد بذلت الاوبك جهدا ملحوظا لطرح انتاج جديدفي السوق. .ان ما حدث من اندفاع محموم للشراء وعلاوة الحرب التي اضيفت على الاسعار. ليست نتيجة أي نقص في العرض بل هي نتيجة الأزمة .واذا كان يمكن القول ان الحالة لم تتدهور الى الحد الذي يبرر استخدام الاحتياطي المختزن عند الدول الصناعية إلا ان السوق كان سيغدو اكثر هدوء لو طرحت كميات معقولة من هذا المخزون. (وهوعين ما فعله امريكا عندما بدأت الهجوم الجوي على العراق وفعلا انخفض سعر النفط ولم تقع الكارثة ، وبالطبع كان بوسعهم فعل ذلك من الاسبوع الأول من اغسطس ج.) ان المملكة وحدها قد عوضت ستين بالمائة من الانتاج المفقود واوبك تنتج الان اكثر من ٢٢.٥ مليون ب/ي لتحقق استقرار السوق فان كان السوق لا يزال يعاني نفسانيا من حمى الحرب فاللوم ليس على اوبك وما كان ينبغي ان يكون مستر ادلمان ناكرا للجميل الى هذا الحد ، ولا يسأل نفسه كم كان سيكون السعر لو لم تتحرك اوبك بسرعة لاستقرار السوق ..... نحن نريد اسعارا معتدلة حتى يستمر دخلنا في النمو وكذا حصة النفط في سوق الطاقة . فيعكس رأيك الخاطئ عن جشع اوبك وعدم قدرتها على الرؤية ابعد من انفها فإننا نعرف ان بحر النفط الذي تتحدث عنه ليس الا واحدا من بحور الطاقة ونحن نريد ان يطول عمربحرنا !

واخيرا يا بروفسور ادلمان لماذا كل هذا الحقد على السعودية؟! تتحدث عن مسلسل من نكث الوعود التي قدمتها المملكة حول توفير العرض في سوق النفط .. انك تتجاهل الحقائق تماما والا فأين ومتى نكثت المملكة وعودها ومن وعدت ؟! هل نكثت وعدها عندما رفعت انتاجها الى عشرة ملايين برميل لسد نقص نفط ايران . .هل كان ذلك نكثا؟! هل تتصور ماذا كان سيحدث

للاسعار لولا ان السعودية رفعت الانتاج لتهدئة السوق ومساعدة العالم . وهل لأننا ننتج الان كل ما يمكننا ، نكون قد نكثنا الوعود كما ادعيت؟! ان السعودية لم تكتسب اهميتها لمجرد انها تملك اكبر احتياط للنفط بل لأن العالم يعرف انه يمكن الاعتماد على توفر نفطها في السوق . » "

وبعد ان عانت دول الاوبك وخاصة الخليجية اربعة شهور من الحسد والمبالغة في الارباح غير المكتسبة أو التي تأتي بها الريح كما يسميها الامريكان ، والتي تسرع هؤلاء وقدروا حصة السعودية فيها بخمسين مليار دولار وراحوا يطالبون بعدالة توزيعها .. اليوم قلبوا الاسطوانة واكدوا ان الاوبك خاسرة سواء انتهت ازمة الخليج سلما أو حربا أو حتى تجمدت .والسبب هو الداء القديم الذي يمنع المنظمة من ان تكون كارتلا كما يتهمونها أو يمنعها من ان تحل محل نظام تثبيت الاسعار ايام الشركات . وفقدان القدرة على الموازنة بين العرض والطلب سيقضي على ما يبدو الى ما توقعته الهيرالد تريبيون: «الاوبك على حافة الانهيار غير قادرة على وضع سياسة تواجه بها اشد ازمة في تاريخها.. والمرض هو العجز عن فرض سقف اعلى للانتاج لأن اعضاء الكارتل يضخون كل ما يمكن لأرضهم أن تضخه من نفط » وقالت ان الخبراء يتوقعون الكارثة على الحالين اما حرب ترفع السعر الى مستويات عالية أو السلم الذي سيترك فائضا رهيبا من الانتاج مما سيدفع الثمن الى مستويات اقل من أي وقت عرفته الاوبك في تاريخها وستهز اقتصاديات دول الاوبك ». وترى الصحيفة ان الهبوط الذي بدأ في اسعار النفط يعبر عن هذا الفائض وان الارتفاع مرده التكهنات عن الحرب وليس من نقص العرض عن الطلب «فحتى بدون نفط من العراق والكويت فإن العالم ينتج الان ما يكفي الحاجة بل لقد فاق الانتاج في نوفمبر ماكان عليه في يونيو و الاسعار بدأت تهبط وان كانت لاتزال أعلى مما يفرضه توازن العرض والطلب.» « ستخسر الكويت ١٥ ٪من احتياطيها النفطي مع ستة ملايين برميل تحترق يوميا في الهواء ولكن خطرا جديدا ظهر هذا الاسبوع إذ يخشى ان يدمر الحريق الاحتياطي الكويتي للأبد ، اذ تبين ان النار تبخر الماء الذي كان يضغط على الزيت ويجعله يتدفق بلا مجهود واذ تبخر الماء فسيصبح نفط الكويت غورا فلن تستطيع له ضخا » "

وبالطبع فإن النفط العراقي لم ينج من التدمير بل اخرج من السوق سبعة شهور الحرب والى فترة غير محددة حتى الان بسبب تعذر الدراسات الدقيقة ولكن الارقام الاولية تشير الى ان «هجمات

الحلفاء دمرت ثلثي طاقة العراق على تصدير النفط وكانت ٢,٧ مليون ب/ي (من الجنوب ج) قبل الحرب وحتى لو رفع الحظر فإن العراق لن يستطيع ان يضخ اكثر من ٨٠٠ الف برميل عبر تركيا وكان مجموع انتاجه قبل الحرب ٣,٢ب/ي» ونقل عن اليماني وزير النفط السعودي السابق قوله:«ان العراق لو استطاعت ضخ ١,٦٥مليون ب/ي في اليوم عبر تركيا فإن سعر النفط يمكن ان ينهار الى ١٢ دولارا للبرميل »[٤٦]

وكمثال على هذا الاعلام المضلل فإن الوشنطن بوست تزعم وتنقل عنها الحياة ان السعودية هي التي لا تريد عودة النفط العراقي الى السوق فقد قالت الحياة ناسبة القول للواشنطن بوست :«ان وزير النفط السعودي هشام ناظر المح الى ان السعودية تعارض عودة النفط العراقي للاسواق ٠وقال ان العراق احرقت ابار النفط الكويتية لا تشفيا ولا كجزء من خطة عسكرية بل لممارسة الاستبداد الاقتصادي ٠ وقالت صحيفة وشنطن بوست ان لهجة الوزير السعودي ومضمون ملاحظاته تشيران الى ان السعودية ستعارض عودة سريعة للصادرات النفطية العراقية الى السوق العالمية بغض النظر عن حاجة العراق للمال لاعادة الاعمار »[٤٧]

ولا ندري كيف ستمنع السعودية عودة النفط العراقي ٠٠!؟ الأحرى انها الاحتكارات النفطية الانجلو امريكية هي التي تعارض وتملك ان تمنع أو أن تؤخر ٠٠

وقالت الاوبزرفر : «في يونيو ويوليو حاولت العراق دفع الكويت لرفع سعر النفط ولكن الكويت رفضت ٠ الرئيس بوش الذي هو في اعماقه رجل نفط من تكساس له مصلحة في منع انهيار سعر النفط الذي تنبأ به الكثيرون»[٤٨] ومصلحة الرئيس هي مصلحة امريكا ٠٠خاصة اذا كان من رجال النفط !

الضـوء الاخضـر ٠٠!

والان وقد ثبت ان حرق ابار النفط الكويتية وتدمير منشآت النفط العراقي يعود على الولايات المتحدة بفائدة مزدوجة : سحب النفط الكويتي والعراقي من السوق واثراء الشركات الامريكية التي ستتولى اخماد الحريق واصلاح كل بئر مضروبة ٠ واذا سلمنا بأن العراق قد احرق وخرب الجزء الاكبر من هذه الابار، وانه المسئول الاول عن «تعطيل ٨٠٠ بئرا من ابار الضغط العالي وعددها ١٠٨٠ تعطيلا كاملا بما في ذلك ٥٢٥ بئرا كسرت واشتعلت فيها النيران ٠ ويقدر ان ٦ ملايين برميل تحترق يوميا من الابار المشتعلة أي ١٢٠ مليون دولار يوميا بسعر ٢٠ دولارا للبرميل وان الكويت تخسر ما بين ١٠ و ١٥ بالمائة من احتياطيها المخزون المقدر ٩٢ بليون برميل ٠٠وانهم بالاضافة الي تخريب رؤوس الانتاج في ابار النفط وجدوا ان العراقيين دمروا حوالي نصف عدد مراكز تجميع البترول البالغ عددها ٢٦ مركزا والتي تفصل بين الماء والغاز والنفط وستكلف ١٥٠ مليون دولار٠٠وخربوا محطات تقوية الضخ ودمروا منشآت تخزين النفط جميعا والتي كانت تقدر طاقتها بـ١٣ مليون برميل ٠٠»

اذا وافقنا —وعن حق – ان صدام هو المسئول الاول عن هذا الخراب ٠٠ هل نستطيع أن تمنع انفسنا من التفكير في مشاعر الشركات الامريكية التي ستقبض ثلاثة ملايين دولار عن كل بئر يحرقها صدام أو تصيبها ولو خطأ ـــ طائرات وصواريخ الحلفاء٠ ٠وهل نذهب بعيدا في ظنوننا إن تصورنا هذه الشركات تتمنى زيادة الضربات الخطأ ليتضاعف ربحها ؟! وايضا هل يمكن انكار مصلحة الاحتكارات النفطية الانجلو امريكية في تلك الكارثة التي اخرجت نفط الكويت والعراق من السوق النفطية لمنع انهيار السعر الي مستويات تؤدي لاغلاق ابار تكساس والاسكا وبحر الشمال ٠٠ وبالتالي نقص الدخل المباشر للرئيس بوش وقاعدته السياسية ؟! وإذا كان هذا ما يقود اليه التحليل فهل هناك ما يعززه من وقائع ؟!

يعتقد بيار سالينجار المتحدث السابق باسم البيت الابيض واريك لوران ان الولايات المتحدة دبرت استفزاز العراق بتحريض الكويت على خفض السعر في اطار الضغط على العراق لكي يقبل بالتفاوض مع الكويت واقرار حدودها ٠فقد نشرا ما وصفاه بوثيقة سرية رفعها مدير الامن في

الكويت العميد فهد احمد الفهد الى وزير الداخلية الشيخ سالم الصباح السالم[49] عن اتفاق تم مع وليم وبستر مدير المخابرات الامريكية في ١٤ نوفمبر ١٩٨٩ جاء فيه : « لقد اتفقنا مع الجانب الامريكي على انه من المهم الاستفادة من تدهور الوضع الاقتصادي في العراق حتى نجبر حكومة هذا البلد على الموافقة على رسم حدودنا المشتركة وقد عرضت وكالة الاستخبارات الامريكية وسائل الضغط التي تراها ملائمة ..» (انظر كتاب حرب الخليج)

وخفض سعر النفط كان افعل الوسائل ان لم يكن الوسيلة الوحيدة المتاحة للكويت للضغط على العراق أو كما قال صدام حسين في مرحلة التهديدات « ان خفض سعر النفط دولارا واحدا في البرميل يؤدي الى نقص مليار دولار في دخل العراق ..» ومن ثم فقد كان اندفاع الكويت في ضخ النفط كفيلا باستفزاز العراق وما ترتب على ذلك من اشعال ابار النفط الكويتية ..

لا أحد يجادل في النفع الجزيل الذي انهال على الولايات المتحدة بسبب عملية غزو واحتلال الكويت.. فهل دبرت الولايات المتحدة هذه العملية أم هبطت عليها من السماء فسارعت تهتبل الفرص؟

تحدثنا « فلورا لويس » في النيويورك تايمز فتقول:« منذ غزو الكويت انتشرت مقولة بين العرب ان الامر كله مؤامرة امريكية لتبرير السيطرة الامريكية بالقوة على الخليج والاحتكار الطويل المدى لمنابع النفط .والفكرة هي ان الولايات المتحدة اثارت الازمة عمدا بنصب فخ لصدام حسين لضمان استمرار امريكا قوة عظمى في القرن العشرين رغم انهيار قوتها الاقتصادية . الان نفس الفكرة تتردد في فرنسا، وعلى لسان كل التيارات ، فالاشتراكي DIDIER MOTCHANE قال : «لقد قبلت فرنسا ان تساعد الولايات المتحدة على ان تستعيد سيطرتها العالمية التي لم يعد وضعها الاقتصادي يبررها أو يدعمها.» ومن اليمين قال جاك شيراك رئيس الوزراء السابق نفس الشئ وهو ان الرئيس بوش رأى نمو عملاقين اقتصاديين خلال العشرين عاماالقادمة هما أوروبا واليابان ، ولكنهما لا يمتلكان النفط .ومن ثم فقد عمل على موازنتهما بالسيطرة الامريكية على النفط . وفي اليوم الذي اعلن فيه ان بغداد ستنسحب من الكويت سارع المعلقون الفرنسيون يؤكدون ان واشنطن سترفض وقف اطلاق النار» [50] (حصاد ج)

واضح ان السيدة الامريكية لا توافق على رأي زعيمي اليسار واليمين في فرنسا ولكنها لم

تناقش أو تعلق وانما اضطلع بهذه المهمة جنرال مصري ، والحق ان الجنرالات المصريين كانوا اكثر الناس حديثا في هذه الحرب . ولو قال شوارتسكوف واحد في المائة من تحليلات جنرالاتنا لكان صدام حسين لا يزال في المحافظة ١٩ . . ولكن الجنرال الذي نفذ اكبر نصر امريكي خلال اربعين سنة ، عندما اخطأ وتكلم في السياسة جملة واحدة اجبروه ان يكتب على السبورة : أنا آسف عشر مرات . . اما جنرالاتنا فيحبون أن يقوموا بكل الاعمال والفتوى على جميع المستويات لمجرد انهم ضباط . . احياء لنكتة ام كلثوم الشهيرة عن الكلية الحربية التي تخرج كل المهن . . قال الجنرال المصري: «استبعد ما يتردد من ان ازمة الخليج هي سيناريو لامريكا كان معدا سلفا ووصف هذا القول بأنه كلام مصاطب وأندية ، اذ لا يعقل ان يعد سيناريو بهذه الضخامة ولا يمكن ان يصل الى حد تكتيل جيوش ٢٨ دولة وقيام حرب ،ولكنه قال ان امريكا نجحت في استغلال فرصة خطأ صدام في احتلال الكويت لتنفيذ اغراضها في المنطقة برغبة وتأييد المجتمع الدولي وهذا هو الفن السياسي لأن السياسة مصالح فقامت امريكا باللعبة لمصالحها في المنطقة.»[1]

ولأن أحدا لم يقل ان امريكا دبرتها بالتواطؤ مسبقا مع ٢٨ دولة وبما انه وافق على ان امريكا حققت بها مصالحها أو تنفيذ اغراضها في المنطقة ، وأنها لعبة وان هذا هو الفن السياسي . . فبقي ان نضيف لمعلوماتنا ان الفن السياسي في البلدان المتقدمة حيث يمارسه السياسيون لا غيرهم ، يعمل بشعار: « الرزق يحب الخفية » . . وان صاغوه هناك بعبارات اكثر جدية ! فعندما تكون هناك مصالح واغراض لدولة كبرى في منطقة ما فهي لا تنتظر ما يجود به القدر من مصادفات ولا تفتح حجرها وتدعو أن يسقط الرزق فيه . . بل تسعى لتدبير الصدفة التي تمكنها من تحقيق اهدافها . .

. وتهمة التواطؤ في الحقيقة لم تخرج اول ما خرجت إلا من اجهزة صدام . . الذي نشر محضر اجتماعه مع السفيرة الامريكية « ابريل جلاسبي » ولم تنكر أية جهة امريكية التقرير، الى اليوم ، ولم تطعن فيه السفيرة الا بعد نهاية الحرب ، وخاصة فيما يتعلق بالفقرة التي شاعت وذاعت .وانما تعددت التفسيرات « الطيبون » قالوا انما اخطأت وهي امرأة من ضلع اعوج وان كانت بدرجة سفير، وامثالنا قالوا انها كانت مقصودة. .المهم ان الجميع اتفقوا ؛ المحذرون والمتهمون ، على ان حديث السفيرة اعطى الرئيس صدام الضوء الاخضر لغزو الكويت .

والرواية في المصادر الامريكية هي :« عندما اخبرت « ابريل جلاسبي »(سفيرة الولايات المتحدة في بغداد) الرئيس صدام ان الولايات المتحدة لن تتخذ موقفا في النزاع المتصاعد حول الحدود بين العراق والكويت ، وبعد اقل من اسبوع ابتلع العراق الكويت . ويقول اصدقاء «جلاسبي» ان تقريرها وصل للخارجية قبل خمسة ايام من الغزو العراقي مما كان يتيح الفرصة للخارجية الامريكية بتصحيح الموقف اذا كانت «جلاسبي » اخطأت التعبير.»

« جلاسبي قالت لصدام ليس لنا موقف من نزاعات العرب على الحدود مثل نزاعك مع الكويت.. وبعد الغزو انتُقدت «جلاسبي » اذ اعتبر الكثير من المحللين ان تعليقها اعطى الضوء الاخضر لصدام بغزو الكويت.. وقد تضاعف الخطأ بعد ايام ففي ٣١يوليو صرح جون كيللي السكرتير المساعد لوزارة الخارجية الامريكية لشئون الشرق الادنى وجنوب اسيا في احدى لجان الكونجرس قائلا ليس لدينا معاهدات دفاعية مع دول الخليج وقد تجنبنا تاريخيا ان تأخذ أي موقف من نزاعات الحدود أو خلافات اوبك الداخلية . ولكننا مثل كل الحكومات السابقة نطالب بحل الخلافات سلميا في المنطقة.» وفي ٢٥يوليو ١٩٩٠ بينما القوات العراقية تحتشد على حدود العراق مع الكويت قالت « ابريل جلاسبي » سفيرة الولايات المتحدة في بغداد لصدام حسين :ليس للولايات المتحدة موقف من الخلاف على الحدود بين العرب وانها حريصة على تحسين العلاقات مع العراق. وفي نفس اليوم فإن موظفي وزارة الخارجية القلقين ، حثوا البنتاجون لارسال حاملة الطائرات انديبندنت والطاقم المرافق لها من المحيط الهندي الى مدخل الخليج كانذار لصدام بأن الولايات المتحدة لن تقف متفرجة اذا ما غزا الكويت ، ولكن القيادة المشتركة رفضت ارسال الحاملة متذرعين بأن مثل هذه القوة الرمزية لن تكون قادرة على التصدي لصدام »[2]

وقد اورد كتاب «حرب الخليج » تفاصيل الحوار الذي دار في «اللجنة الفرعية للشرق الاوسط» فقد سأل النائب هالي هاملتون : لقد قرأت في الصحف تصريحا غير مباشر لوزير الدفاع ريتشارد تشيني يقول فيه ان الولايات المتحدة ملتزمة بالذهاب الى الكويت والدفاع عنها اذا هوجمت . هل هذا التصريح صحيح ؟ هل يستطيع كيلي توضيح الامور..»

ويادر كيلي بتوضيح الأمور فقال انه لم يقرأ هذا التصريح ولكن الكل يعرفون بعدم وجود معاهدة دفاع بين الولايات المتحدة والكويت..

فيعود النائب يطرح سؤاله بوضوح شديد : هل من الصحيح انه اذا تجاوز العراق لأي سبب كان ، الحدود الكويتية ، فليس ثمة معاهدة أو التزام يجبرنا على ادخال القوات الامريكية في المعركة ؟

ويرد جون كيلي المتحدث باسم الحكومة الامريكية :- هذا صحيح !

ولا يفوت المعلقون بعد ذلك أن يقولوا ما كرره سالنجر وصاحبه :«لقد تم نقل محادثة جون كيلي عبر الاذاعة البريطانية المسموعة في بغداد ، وفي هذه الساعات الحرجة حيث تتأرجح الاحداث بين السلم والحرب يكون كيلي قد بعث الى صدام بإشارة يمكن للأخير أن يترجمها على انها ضمانة بعدم تدخل الولايات المتحدة الامريكية » وقال المعلقون بعد ما وقع غزو الكويت :«انه توجد حالة واحدة «في التاريخ الدبلوماسي الحديث مشابهة لما قام به كيلي وشكلت خطأ فادحا». انها تصريحات دين اتشيسون وزير الخارجية الامريكي الذي اكد امام الكونجرس : لا تشكل كوريا الجنوبية جزءا من الحزام الدفاعي الامريكي»

ونحن نعرف ان هذا التصريح من اتشيسون هو الذي جر رجل كيم ايل سونج لغزو كوريا الجنوبية آمنا في وهمه من تدخل الولايات المتحدة .. ولو اعدنا تأمل ظروف الحرب الكورية الان فسنجد انها لم تكن غلطة وان الذي دبر فخ الكويت لصدام كان طالبا مجدا في دراسة التاريخ .. كانت الولايات المتحدة تريد معركة ساخنة مع الشيوعية والصين بالذات في عام ١٩٥٠ بأي ثمن، وكانت بحاجة الى مبرر .. الى غطاء دولي .وكان غزو كوريا الشمالية ، لكوريا الجنوبية هو هذا الغطاء . ومن المصادفات العجيبة ان امريكا استطاعت ان تحصل على بردة الامم المتحدة في عام ١٩٥٠ لأن الاتحاد السوفيتي كان يقاطع مجلس الامن .وفي ١٩٩٠ كان الاتحاد السوفيتي في احضان امريكا ويعد معها القرارات والاصوات .. في الخمسينات ألقوا بالطعم الذي التهمه ديكتاتور الشمال وسارعت امريكا « لنصرة الحق وتحرير كوريا الجنوبية » وحققت الكثير من الاهداف العسكرية والسياسية والاقتصادية ، وإن كانت قد فشلت تماما في ضرب الصين كما كانت تشتهي .. نفس اللعبة نفذت مع صدام حسين في التسعينات، ، خرج من الحرب مع ايران مخرب الاقتصاد وحول دولته من صاحبة رصيد اربعين بليون دولار في بنوك العالم الي دولة مدينة بحوالي سبعين مليار دولار! فهو بحاجة ماسة للمال ، والمال في الكويت بغزارة وبلا حماية تقريبا

الا الحماية الامريكية ، وسواء بتحريض من الولايات المتحدة ام لمجرد الحسابات القصيرة النظر فإن الكويت تضخ فوق المسموح به بما يخفض سعر النفط ويزيد آلام العراق المالية ، وتقدمت واشنطن بنصيحة هنا للكويت ، بأن عنصر العراق ماليا هو السبيل للوصول معه الى تسوية سلمية حول الحدود . . ونصيحة هناك أن مشاكل العراق المالية ستحل اذا ما ارتفع سعر النفط الى ٢٥ دولارا - وهو بالمناسبة سعر مناسب جدا ومقبول بشدة من الدول الكبرى وبالذات امريكا وروسيا وبريطانيا- فقط لو امكن اقناع الكويت . . الخ فاذا سدت جميع السبل امام صدام تتوجه السفيرة الامريكية لمقابلة الزعيم فتؤكد له ان الولايات المتحدة ليس لها رأي ولا كلمة ولا شأن بنزاعات الحدود بين الدول العربية . . وتخشى الايفهم الغبي الدرس فضمنها على بلاهة : « مثل نزاعك مع الكويت » ولكن ربما لا يصدق الزعيم تلميحات إمرأة تحضر للاجتماع مع رئيس مشاغب كذاب ولا تأتي معها بمسجل السفارة وتكتب عن هذا اللقاء من الذاكرة!

وهنا تجري المناقشة في الكونجرس ويصدر التصريح الرسمي من وكيل الخارجية الامريكية الذي ينفي المخاطرة العسكرية . . « امريكا غير ملزمة بالدفاع عن الكويت » . . توكل يا أخ صدام . .

هذا هو السيناريو وهذه هي الشهادات فأين المصائب . . الا في هرم زوسر أو برج المتوفية ؟!

وكما ترى فإن الضوء الاخضر لم يصدر من السفيرة وحدها ولا في اجتماع مغلق بينها وبين صدام بل في الكونغرس ومن المتحدث الرسمي باسم الحكومة الامريكية . والطريف ان كل الذين يحاولون ستر الدور الامريكي يناقشون اجتماع السفيرة بصدام ولا يشيرون الى تصريحات وكيل الخارجية في الكونغرس !

وكان جيم هوجلاند قد نشر في الاسبوع الثاني من اغسطس ١٩٩٠ مقالا في الهيرالد تريبيون تحت عنوان : « لقد اغمضنا اعيننا قصدا » روى فيه الحوار الذي دار بين السفيرة الامريكية وصدام حسين ثم تصريح المتحدث الرسمي باسم الخارجية الامريكية الذي اعلن : « ان الولايات المتحدة ليست ملزمة بمساعدة الكويت اذا ما هوجمت » وقال : « كان ذلك اكثر التصريحات مجلبة للكوارث منذ اعلان دين اتشيسون في ١٩٥٠ قبيل الغزو الشيوعي لكوريا ان الولايات المتحدة غير ملزمة بالدفاع عن كوريا الجنوبية »

وانهى الكاتب تعليقه بقوله : « ان الذين اغمضوا عيونهم عن تهديد صدام قبل ٢ اغسطس

يطالبون بالحرب الان » وقد حاولت السفيرة بعد انتهاء الحرب ان تشكك في الرواية العراقية تزعم انها حرفت بحذف فقرة منها تقول ..» ولكننا نصر على ان تحل مشكلتك مع الكويت سلميا» ولكن لجنة الاستماع التي شكلها الكونجرس والتي اخرجتها من صمتها المفروض عليها من وزارة الخارجية أو بتعبير النيوزويك .. « الخارجية التي «كممتها » الى ان انتهت ازمة الخليج.»

اللجنة سألت السفيرة :

— هل قلت له : سيدي الرئيس اذا تجاوزت هذا الخط الى الكويت فستحارب ؟

ردت جلاسبي : لا لم افعل ..

وعلقت المجلة الامريكية ان اجابتها فشلت في الرد على سؤال مهم وهو لماذا لم تعلن الخارجية فورنشر النص العراقي لاجتماعها مع صدام ان هذا النص العراقي يشوه حديثها . واكدت المجلة انه لم يكن هناك نص امريكي لأن السفيرة لم تخطط مسبقا بمقابلتها مع صدام فلم تصطحب معها مسجل السفارة !!

« و قال مسئول كبير في الخارجية الامريكية بعد ان قرأ برقية السفيرة التي تتضمن حديثها مع الرئيس صدام : صدقني لو كان يمكننا الدفاع عنها لفعلنا . ولكن كان هناك تطابق بين النص العراقي وبرقيتها بما الزمنا الحذر . وقال انها ذكرت في برقيتها انها لم تتخذ موقفا صلبا أو قاسيا معه ..و قال دبلوماسي امريكي كبير يعمل في الشرق الاوسط : «نحن فعلا اعطيناه الضوء الاخضر ليهاجم الكويت.» . لو كنت انا في مكانه واتلقي الاشارات التي كان يتلقاها من واشنطن وغيرها كنت سأقامر بغزو الكويت.» واضافت المجلة انه حتي الآن ترفض الخارجية الامريكية نشر برقية جلاسبي.»[٥٣]

ونشرت « الديلي تلغراف » يوم ٩٠/٩/١٣ لمراسلها في نيويورك ان المخابرات الامريكية توقعت الغزو وان بيكر وزير الخارجية ابلغ النبأ لشيفرنادزه وزير خارجية الاتحاد السوفيتي قبل الهجوم العراقي بيوم واحد وذلك عندما اختلي به في سيارة ليموزين بسيبيريا . وقد رفض الوزير السوفيتي تصديق النبأ وقال لا يمكن لحليفنا ان يخل بوعده بعدم الغزو كما اضاف الخبر ان امريكا حذرت الجامعة العربية والكويت من الغزو ونائب مدير المخابرات الامريكية قال العراق ستغزو الكويت خلال ست ساعات أو ١٢ ساعة[٥٤].

وللسفير السعودي في وشنطن شهادة لها اهميتها فهي تثبت ان الولايات المتحدة لم تُفاجأ بالغزو العراقي للكويت بل نبهت اليه الكويت قبل وقوعه بأيام قال السفير السعودي:«قبل الغزو بأسبوع ابلغ الامريكان السفير الكويتي كما ابلغوني بوجود حشد عراقي .. وقد ابلغ السفير الكويتي حكومته بذلك، فكان ردها : هذا عذر امريكي لكي يبرروا ارسال قوات والحصول على قواعد عندنا .. بعد ذلك بأربعة ايام أي قبل الغزو بثلاثة ايام، ابلغت الولايات المتحدة سفارة الكويت ، كما ابلغتنا ، ان التشكيلات العراقية اتخذت وضع تشكيلات قتال .. ومرة اخرى كان الرد .. هؤلاء الامريكان يبغون اثارة مشكلة بيننا، لكي يبرروا ارسال قوات ..ووقع الغزو وبعد نصف ساعة من وقوع الغزو طلبت الكويت مساعدة امريكية فردوا عليهم :كنا نود ذلك ..لكن للاسف لا نستطيع بعد ان بدأ الغزو.»**

وهكذا يمكن ان تضع ملامح السيناريو الذي منح الولايات المتحدة فرصة العمر كالاتي:

•الازمة الاقتصادية التي اشرنا اليها و مشكلة التخلص من السلاح العائد من أوروبا والذي انتهت الحاجة اليه مع انتهاء الحرب الباردة . ومشكلة الجنود الذين سيسرحون.وتصاعد حدة التناقض بين المؤسسة العسكرية الراغبة في الاحتفاظ بميزانيتها الفادحة وبين التيار الليبرالي والديموقراطي الذي يطالب بخفض هذه الميزانية لدعم الصناعات الاخرى خارج صناعة السلاح وتوفير الخدمات الاجتماعية والصحية للمواطنين .وقد حل ذلك كله ..احرق فائض السلاح بعد ان دفع العرب والعالم ثمنه بأعلى سعر قدرته الولايات المتحدة واشتغل الجنود وحصلت المؤسسة العسكرية على ميزانيتها كاملة ، ونسيت كل الاتهامات والانتقادات التي وجهت لها بل اصبح بوش ينصح بأن يضع على قائمته جنرالا لضمان الاكتساح في الانتخابات القادمة!

• الفضائح المالية واشهرها فضيحة صناديق التسليف والادخار والتي أتُهم فيها ابن بوش نفسه، وقد اصبحت في ذمة التاريخ مقابل النصر العسكري على ملك الزولو أو عبدالله التعايشي العراقي مع فارق ان ملك الزولو والتعايشي قاتلا الى اخر جندي وسهم واستشهدا في المعركة اما صنقيق العراق فمازال يقتل شعبه متشبثا بالكرسي .

• العراق ادى دوره في ضرب الثورة الايرانية وتبديد الفائض النفطي الذي تجمع عنده وعند دول الخليج في السبعينات والثمانينات .وشغل العرب عن المواجهة مع اسرائيل وهو بالطبع يريد

الثمن .. والثمن غير متاح ولا احد يدفع بعد قضاء الحاجة.

• الوضع العربي ـ الاسرائيلي متأزم وعلى وشك الانفجار تحت تأثير عاملين :

الاول هو الانتفاضة التي نجحت في اثارة أو تجديد اهتمام العالم بالشعب الفلسطيني والاحتلال الاسرائيلي .

والثاني والاهم هو بدء الهجرة السوفيتية لاسرائيل التي بدأت تنفيذ مرحلة اسرائيل الكبرى أو اسرائيل الثانية وتصميم العرب ـ ولو في الميكرفونات ـ على أن لا يكونوا في غفلة وعجز عرب وعد بلفور أو عرب ١٩٤٨.. وهم يحسون أن هذه الهجرة هي المسمار الاخير في نعش وجودهم واستقلالهم بل التتويج النهائي لتحولهم الي هنود حمر . وامريكا لاتملك حلا ولا شبه تسوية في هذه القضية ، فهي لا تستطيع ولا تريد ان توقف الهجرة السوفيتية التي كان تحقيقها هو محور علاقتها مع الاتحاد السوفيتي خلال السنوات العشر الماضية .والتي اعتبر انهيار الاتحاد السوفيتي ومسامحه بها من اكبر انتصارات الادارة الامريكية .ولكن تصاعد المواجهة العربية لخطر الابادة الذي تمثله هذه الهجرة يهدد بتردي العلاقات الامريكية / العربية واحتمال نشوب حرب بين العرب واسرائيل ، حرب لا يهم من يبدأها ولكن مصر لن تستطيع ان تتجنبها بل وربما تسعي اسرائيل لادخال مصر فيها للحصول على سيناء الضرورية لاسكان هذه الملايين المتدفقة..بل وسيكون من المستحيل على أي نظام عربي أوحتي ايراني الابتعاد عنها.انه حريق هائل يخيم فوق الشرق الأوسط ..وخبراء النفط يطفئون الحريق الأصلي بحريق مفتعل .. ومن ثم كان لابد من حريق عربي ينسي العرب قضية الهجرة ، ويستأصل أية معارضة لها بل ويطيح بالعرب وقوة العرب في هاوية ابشع مما اصابهم في ١٩٤٨ و١٩٦٧ . حريق يلغي العرب كقوة يحسب لها أي حساب...واظن أن نتيجة حرب الخليج قد حققت ذلك بالضبط .وامريكا تتبرع علنا بأكثر من نصف مليار لاسكان نفس اليهود السوفيت ، وتطلب اسرائيل عشرة بلايين لتنفيذ هذا الاسكان ويقال ان الكويت دفعتها.. ولا يرتفع صوت عربي واحد بالاحتجاج ولا حتى من منظمة التحرير والفلاشة اللذين تم نقلهم في عهد النميري الرجعي سرا وبمؤامرة تؤلف فيها الكتب والقصص ، تم نقلهم علنا وفي مهرجان في عهد البشير الثوري ! و لم يحدث منذ هزيمة ١٩٦٧ ان كانت العروبة في مثل انهيارها الحالي» [٥٦]

• قضية سعر النفط التي اشرنا اليها ٤٠ وتضيف هنا ان امريكا عندما افرجت عن مخزوناتها الاستراتيجي من النفط مما ادى الى هبوط سعره الى ما قبل مستوى غزو العراق للكويت ، كانت تحاول منع حدوث تشنج في السوق خلال فترة الحرب . ومن المؤكد ان السعر سينخفض مادامت الاوبك عاجزة عن وضع حد للسياسات الانانية القصيرة النظر ومادامت سياسة النفط العربية والسعر العالمي يتحكم فيهما شيوخ ابوظبي والكويت واذا كانت امريكا وبريطانيا وروسيا من جانب يريدون سعرا فوق ما تسمح به ابوظبي فلا يصعب علينا معرفة ايهما الذي سيرضخ أو يختفي ..

• الأزمة الاقتصادية في امريكا وتدهور الانتاج وتزايد البطالة وتوقع الاسوأ مع نهاية الحرب الباردة ، التنافس الامريكي ضد أوروبا التي تتزعمها المانيا ومع اليابان ومجموعة نمور شرق اسيا . وعجز الولايات المتحدة عن كسب المنافسة بالاقتصاد وحده والسعي لضرب التفوق الاقتصادي لهذه الدول بالسيطرة على النفط ورفع سعره واخذ حصة بالقوة من ثروة الخليج ، والتلويح بقدرة امريكا العسكرية . وبعد أن كانت القضية هي كيف تحمي امريكا نفسها من المزاحمة الالمانية واليابانية في امريكا اذا بها بعد حرب الخليج تخطط لمزاحمة البلدين في معاقلهما ..» تتوقع امريكا ان تلعب دورا في أوروبا الشرقية حيث اقتصاد المانيا مطلوب ولكن لا يثقون بها .. وفي شرق اسيا حيث لا زالت اليابان تثير نفس المشاعر . اما امريكا اللاتينية فستبقى تحت المراقبة الدقيقة مادامت الولايات المتحدة ، تعتبر أي تدخل هناك تهديداً لأمنها .. الخ .. » [٢]

وكانت الهيرالد تريبيون قد كتبت في ٨ سبتمبر ١٩٩٠ تقول : « ان المحافظين في امريكا لن يقبلوا اقل من تدمير امكانيات العراق العسكرية ولكنهم يؤيدون تنفيذ امريكا لذلك وحدها لأن ذلك سيجعلها في النهاية هي وحدها صاحبة النفوذ في منطقة حيوية اقتصاديا لأوروبا واليابان »

تطويق أوروبا بالسيطرة على الشرق الاوسط وهو امتداد أوروبا الطبيعي ومنفذها لآسيا وافريقيا، وايضا نسف الوحدة الاوروبية . وقد قلت في كتابي « الروس والمسلمون » ان الوفاق الشديد بين امريكا وروسيا انما يستهدف ضرب الوحدة الاوربية لأنها تشكل خطرا على مكانة وسيطرة الولايات المتحدة ، فهي بدأت كمحاولة لحماية الذات بين العملاقين الأمريكي والروسي ثم تطورت بالزخم الالماني والشعر الفرنسي الى امل في الندية مع امريكا بل وتزعم العالم . وكان

لابد للولايات المتحدة اذا ارادت حماية مكانتها والامتيازات المترتبة على سيطرتها العسكرية ان تضرب الوحدة الاوروبية ضربة تزعزع تماسكها وان تعيد اليابان الي مركز التابع .. وجاءت حرب الخليج تحقق ذلك كله فانضمت بريطانيا حصان طرواده الامريكي في أوروبا، انضمت بالكامل للولايات المتحدة ، مفضلة باقتصادها الضعيف اقتسام العالم تحت الوصاية الامريكية ، على قبول المركز الثاني بعد المانيا بل ربما الثالث بعد المانيا وفرنسا وماذالت صيحات تاتشر تتعالي ضد المانيا والوحدة الاوربية التي تحمل زعامة المانيا. .

في حديث مع التليفزيون الامريكي شنت تاتشر اسوأ هجوم ضد الالمان وحذرت من أوروبا موحدة يسيطر عليها الالمان وقالت ان عمر الديموقراطية في بريطانيا سبعمائة سنة بينما برلمان المانيا عمره اربعون سنة فقط واسبانيا بضع سنين والبرتغال اقل . أوروبا الموحدة تعني خضوع بريطانيا لعدوتها السابقة . الالمان سيسيطرون على أوروبا الموحدة لأنهم اكبر دولة .. واعتقد ان الكثير منا لا يرضي بذلك وطالما ظللنا دولا متفرقة فنحن نستطيع منع سيطرة الالمان .» [٨]

فالخلاف حول تحرير الكويت هو - في احد جوانبه - مظهر للصراع الانجلو /الماني الذي يبلغ من العمر مائة عام (انظر فصل موقف أوروبا) وكان من الطبيعي ان تقف بريطانيا مع الكويت والمانيا مع العراق .

ولم يقتصر النجاح الامريكي على بريطانيا التي على أية حال لم تكن تحتاج لكبير اغراء، بل نجحت امريكا في جر رجل فرنسا الى مغامرتها ضد رغبة المانيا ، وضد الوئام الذي حاول البلدان زرعه خلال اربعين سنة ، وقد ترددت فرنسا طويلا وخسرت وزير دفاعها ولكن « في النهاية وجد ميتران بحاسته السياسية انه في وقت المعارك فإن الحديث عن الموقف المستقل الفرنسي لا يمكن الحفاظ عليه بدون خسارة الكثير من المصداقية في فرنسا وفي الخارج . فعندما رفض صدام العرض الفرنسي في آخر لحظة، وضع ميتران كل قواه خلف تحقيق النصر للحلفاء قائلا لمساعديه : نحن وجها لوجه مع التاريخ . وفرض استقالة وزير دفاعه المعادي للامريكان » [٩]

وقد قلت في كتابي المذكور ان مستقبل الوحدة الأوربية سيتقرر في باريس وأخشى أن يكون قد تقرر إلا أن يقع ما ليس في الحسبان .. ولا أحد يستطيع ان يتنبأ من الآن بعمق الشرخ الذي احدثته حرب الخليج في الوحدة الاوربية ، ولكن من المؤكد ان بريطانيا ابتعدت ، والشك زرع

بين فرنسا والمانيا التي عُزلت وأربكت اقتصاديا ما بين تكاليف انهاض المانيا الشرقية ، واوربا الشرقية وعلو الرجل الذي تدفعه للروس مقابل الانسحاب ، وأخيرا الاتاوة التي فرضها بوش.. وستجد نفسها مدفوعة إما الي قبول السيادة الامريكية أو العودة للحن « والله زمان ياسلاحي» وقبول التحالف مع روسيا بشروط موسكو..

وكل هذه الاحتمالات تعني أن الاستعماري بوش قد نسف احلام العالم في نظام عالمي جديد يقوم على استبعاد الحرب ولو بين الجنس الابيض .واقام نظاماعالميا امريكيا . نظاما امبراطوريا يخضع العالم كله لمصلحة الاحتكارات الامريكية .. ولكن الى حين.. فقد وضعت بذور الحرب العالمية الثالثة مهما ثرثرت الصحافة الانجلو امريكية الان انخاب الانتصار على أوروبا واليابان ..

« تحت عنوان : « طوعا أو كرها ، تعترف اليابان اليوم ، بأن امريكا هي الاولي » كتبت هيرالد تريبيون الامريكية تقول :« ..الآن يعترف الجميع في اليابان ان الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب ، القوة المسيطرة عالميا . وهذا الاقتناع يمثل تغيرا مثيرا في موقف بلد كان الشائع بين مثقفيه خلال السنوات الاخيرة اعتبار الولايات المتحدة ممتدة اكثر من طاقتها (أي متوسعة على الماضي وبمعنى أدق تشغل مكانة عالمية اكبر مما تستحق ومما تطيق حمايته) وانها مجتمع سائر في طريق الانهيار . بدأ مؤشر تدهوره خلال حرب فيتنام .وكما قال دبلوماسي امريكي في طوكيو .. منذ بداية ازمة الخليج لم تعد تسمع شيئا عن التدهور أو السقوط . كل اولئك الأساتذة الذين قالوا إن اليابان هي الدولة الاولى في العالم عاكفون الان على اعادة صياغة نظرياتهم . وبعض اليابانيين في فزع من هذا التطور قال أحدهم « امريكا اليوم هي قوة جبارة مخيفة » وكثيرون في اليابان يعتقدون ان امريكا شنت حرب الخليج انطلاقا من اهدافها الخاصة لفرض سيطرتها المنفردة على العالم . وبصرف النظر إن كان ذلك خيرا أم شرا ، فإن حرب الخليج اقامت نظاما عالميا جديدا، لابأس به اذا كانت بقية العالم ستقبل مركز التابع لأمريكا وترتفع الدعوة الان لكي تكتفي اليابان بدور الشريك الاصغر في التحالف الغربي الذي تقوده امريكا ، تاركة القيادة السياسية والعسكرية لامريكا وتبحث لنفسها عن مهام اخري . فاذا كانت امريكا ستصبح بوليس العالم فاليابان يمكن ان تكون الاخصائي الاجتماعي » ! وعلقنا يومها .. لعل

الصحيفة تقصد الخصي الاجتماعي وليس الاخصائي!

وبنفس اللهجة عن السيف اصدق انباء من الكتب ، كتبت نفس الصحيفة عن نجاح امريكا في اخضاع أوروبا بقصف العراق !

فتحت عنوان : « رأب الصدع الفرنسي / الامريكي » قالت : «انطلاقا من تعاونهما في حرب الخليج فإن بوش وميتران سيعملان معا في سياسة الشرق الاوسط ، بعيدا عن الشك القديم وانعدام الثقة .. و يقول المسئولون ان انتصار الحلفاء في الخليج يمكن ان يكون المنطلق لتلاحم الناتو ودفاع المجموعة الاوروبية . وهي الصيغة التي افتقدها الحلفاء منذ سقوط حائط برلين . بانتصار الخليج وباحتمالات عودة الاتحاد السوفيتي المتصلب فإن ميتران يمكن أن يكون مستعدا لقبول تعاون امني اكبر مع الولايات المتحدة ، فحتى الآن كان المحور الالماني / الفرنسي هو القوة الدافعة للكيان الاوروبي حيث كان الدبلوماسيون الفرنسيون يرون الوحدة الاوروبية كخطوة نحو التعادل أو المساواة مع الولايات المتحدة في تحالف دول الاطلنطي . وكان هناك اتجاه لأن تقوم المجموعة الاوروبية بانشاء قوة ضاربة أوربية للتدخل في شرق أوروبا أو الشرق الاوسط .. ولكن بريطانيا وهولندا والدنمرك قاومت هذه الدعوة التي كانت توجهها فرنسا والتي تعني فصل غرب أوروبا عن حلف الاطلنطي . وكذلك عارضت ادارة بوش بشدة أي تعاون عسكري بين دول غرب أوروبا يستبعد الولايات المتحدة . وقد اشتد التوتر حول هذه القضايا في الشهر الماضي عندما حاولت الحكومات الاوروبية بزعامة فرنسا والمانيا اقامة اتحاد عسكري أوروبي بقيادة المجموعة الاوروبية .» [60]

وبحرب الخليج وزمجرة السلاح الامريكي طويت احلام الاستقلال العسكري الاوروبي .

والاندبندنت التي حاولت ان تتخذ في الشهور الاولي موقفا أوروبيا نراها الان تدق طبول النصر الامريكي على المانيا متمثلة هي الاخرى بحكمة ابي تمام دون ان تدري فتقول : «في زمن السلم تحلو المناقشات النظرية والقاء الكلام على عواهنه مثل القول بأن المانيا هي القوة الاوروبية العظمى الجديدة التي لا يستطيع أحد أن يقهرها .. وكذلك كان من الممكن القول في زمن السلم ان الولايات المتحدة لم تعد قوة عظمى وان ايام بريطانيا كدولة مستقلة معدودة .. وان العراق قوة اقليمية لها جيش على مستوى عالمي .. الخ ولكن الحرب كشفت القوى الحقيقة واوضحت

ماالذي يمكن أن تقوم به الدول لحماية مصالحها وبأي كفاءة يمكن أن تنجز ذلك. والآن فإن الدول الناجحة هي التي تعرف حدودها . . »

الادب فصلوه عن العلم !

وتدافع الصحيفة عن تمزق الموقف الأوروبي ، الذي تسميه تجملا استقلالية القرار لكل دولة اوروبية ، في معارضة واضحة لاتجاه الوحدة الاوروبية الذي كان سائدا قبل أن تضرب امريكا ضربتها فتقول « ومن الانصاف القول بأن سياسة اوربية مشتركة ستعني سياسة انعزالية فلولم تؤيد بريطانيا وفرنسا بقرار منفرد الولايات المتحدة، فإن معظم الدول الاوروبية إما انها كانت ستعزل نفسها أو تنتقد الموقف الامريكي. وكان السعي الى موقف عام للمجموعة الاوروبية يعني اجراء مساومة بين الموقف الانجلو فرنسي الصلب ، وموقف المانيا وبلجيكا المثالي ، وما كان يمكن ان يتمخض ذلك عن شيء . . ولكانت العلاقات الامريكية / الاوروبية قد تسممت »[٦١]

وسترى في الفصل القادم ان معلقا امريكيا وصف صدام حسين بأنه كان « البرطوشة» التي ضربوا بها الثورة الايرانية . . ومن ثم يمكننا أن نقول . . إنه كان ايضا « البرطوشة» التي ضربت بها امريكا، استقلالية أوروبا واليابان واحلام الوحدة الاوروبية. !

• محاولة الاستفادة من انهيار الاتحاد السوفيتي لوضع الشرق الاوسط تحت السيطرة الامريكية المباشرة والحصول على مركز استراتيجي يمكن وشنطن من المراقبة والتأثير في التطورات المحتملة داخل الاتحاد السوفيتي .

• امتلاك القوة والقدرة على التأثير المباشر في النظم الخليجية . . لاجبارها على فتح بلادها للمسيحية الغربية من التبشير الى الافلام العارية ، وان اقتضى الامر الاطاحة بعدد من النظم هناك. وكذلك وقف دعم هذه النظم للفلسطينيين وانهاء تصلبها ضد الاعتراف باسرائيل ومقاطعة اسرائيل. وهذه الدول الخليجية كانت المصدر الرئيسي في تمويل الفلسطينيين وكانت الاشد تطرفا في الاصرار على مقاطعة اسرائيل أو رفض الاعتراف بها بصرف النظر عن الدوافع . وبعد الغزو العراقي والتحرير الامريكي ، رأينا اكثر من مسئول كويتي يتحدث عن الاعتراف باسرائيل ، بل وسمعنا عن صعوبة تنفيذ مقاطعة اسرائيل لأن الملفات أحرقت في الحرب ! والمؤكد هو أن ملف الرفض الخليجي لاسرائيل احترق مع أول طلقة صوبها جيش العراق في اتجاه الكويت . ويتردد في

الشارع العربي ان الكويت هي التي دفعت ال١٣ بليون دولار التي طلبتها اسرائيل (وربما كان اساس الإشاعة هو مصادفة اعلان طلب اسرائيل ١٣ مليارا من امريكا واعلان الكويت في اليوم التالي قرارها بتقديم ١٣ مليارا ونصف المليارللولايات المتحدة) . وتطالب امريكا الآن الدول الخليجية بأن تأخذ المبادرة في الاعتراف باسرائيل ولا أحد يعترض بعد ما فعله صدام بالخليج والفلسطينيين .بل واصبح الفلسطينيون يطالبون قوات الاحتلال الامريكي بحمايتهم من الكويتيين ! وكنت قد كتبت في ٧ ديسمبر ١٩٩٠ اقول :ومهما تشدق طارق عزيز بالحديث عن قضية فلسطين ومهما استثمر اليأس الفلسطيني ، فالحقيقة هي ان اول قتيل سقط عند الحدود الكويتية فجر الثاني من اغسطس هو القضية الفلسطينية .ولنذكر ان الوضع كان يشبه القنبلة الموقوته بسبب الهجرة السوفيتية لاسرائيل و ما تتطلبه من تصفية الوجود العربي في الارض المحتلة، بل واحتمالات قلب ميزان القوى على جميع المقاييس لا بين اسرائيل والعرب بل في المنطقة كلها . ولم تكن امريكا ولا العرب يملكون حلا لهذه المشكلة .وبالغزو العراقي طوي الملف تماما. فالعرب منشغلون بالتهديد العراقي الي حد ان بعضهم يتمنى هجوما اسرائيليا على العراق . والاكثر احتشاما يتمنى العكس لكي يتخلص من الاثنين معا . فالوضع الحالي كان مطلوباً الي أن يتم تغيير التركيبة البشرية لاسرائيل وربما بعض ما يجاورها . . كذلك فقد اكدت تصريحات المسئولين الامريكيين بما فيهم قائد القوات الامريكية في السعودية ،ان العراق وعراق صدام حسين بالذات ضرورة استراتيجية لحفظ التوازن –من وجهة نظر امريكا – في المنطقة وقد ادي العراق خدمة لا تقدر بثمن لهذه الاستراتيجية في احتواء واستنزاف الثورة الايرانية وحقنها بالقومية على حساب طموحاتها الاسلامية الاولى . . ولكن الخلل وقع في هذه الاستراتيجية بانتهاء الحرب الايرانية ووجود مليون جندي عراقي يطلبون عملا ، وتزايد الضغط على العراق لكي يخوض ولو حربا كلامية ضد اسرائيل استبقاء للدور العراقي وبالتالي الدفع الخليجي. وهبت اسرائيل هي وعملاؤها في الكونجرس يستغلون تصريحات صدام . . وجاء الحل في غزو الكويت . .شلت يد العراق وسوريا ومصر . .الخ عن تهديد الامن الاسرائيلي وبقي العراق مسلطا على اعناق العرب وحدهم وشلت كل الالسن ! فمن له مصلحة في اعادة الوضع لايام التهديد بنسف نصف اسرائيل . .أو الضغط على الاتحاد السوفيتي لوقف الهجرة أو التحرش بامريكا بسبب هذه

الهجرة؟؟ ..»[٦٢]

• تدمير القدرة العسكرية العراقية ، وليس صدام حسين ، في اطار الاستراتيجية الاسرائيلية التي تحسب لردة فعل العرب ولو متأخرة للغزو الذي تمثله الهجرة السوفيتية . وهذا التدمير كانت اسرائيل تهدد بتنفيذه منفردة ، ولو حدث لكان من المحتمل ان يجمع العرب ضد اسرائيل وبالتالي أو حتى بالأساس ضد امريكا. بينما تم تنفيذ الهدف مع اغتباط أو على الاقل سكوت اغلبية العرب. وكانت « المخابرات قد ابلغت في مارس ١٩٩٠ ان العراق وضع صواريخه على حدود الأردن لتصبح اسرائيل في مرماها.. وفي ابريل ١٩٩٠ اعلن صدام انه سيضرب اسرائيل بالاسلحة الكيماوية.»[٦٣]

« امريكا نقلت الحرب الى عقر دار صدام بدلا من ان تشرع في تحرير الكويت مباشرة فالهدف غير المعلن للحرب الامريكية هو تحطيم اداة الحرب العراقية قبل ان يفلت من الفخ الذي اعدته له الولايات المتحدة خلال الشهور الخمسة الاخيرة لأن افلات صدام كان هو الكابوس الذي يطارد المخططين في البنتاجون والذين دبروا سد الطريق عليه بعملية «عاصفة الصحراء » فالمخططون الامريكيون دبروا التحرك سريعا وفي شكل اجتياح لتحقيق الاهداف الامريكية قبل ان يتراجع الدعم العالمي والداخلي نتيجة مقاومة العراق اوبفعل حركة سياسية من جانب اسرائيل اوفي الكويت أو أي مكان اخر .. ان هدف امريكا من الحرب هوضرب اكبر قدر من الاهداف داخل العراق بالطيران مهما حدث بالنسبة للانسحاب من الكويت.» [٦٤]

تقول النيويورك تايمز :« الولايات المتحدة تحاول استغلال الحرب لتحقيق اهداف تتخطى تحرير الكويت أو قرارات مجلس الأمن الاثنى عشر ، ولكن هذه الاهداف ، بالتأكيد ، كانت في مخطط المسئولين الامريكيين الذين كانوا يبحثون عن مبرر لتحطيم العراق كقوة اقليمية.. ومن الواضح ان الحرب اعطت الولايات المتحدة الفرصة لتنفذ اهدافا لم تكن مطروحة خلال الشهور الخمسة الأخيرة التي كان يجري فيها البحث عن حل سلمي وتبين الآن انه كان من الصعب جدا تحقيق اهداف امريكا هذه بدون حرب .. من البداية كان واضحا ان للولايات المتحدة اهدافا ابعد من اهداف الامم المتحدة فقرارات الامم المتحدة بشأن الكويت لم تذكر البتة تدمير امكانيات العراق النووية ورغم ذلك فإن تدمير المعامل الكيماوية والنووية كان في مقدمة الاهداف الامريكية في

الضربة الأولى رغم ان المفاعل النووي لا تأثير له في قدرات العراق العسكرية في الصراع الحالي. ولم يكن من السهل اعلان هذه الاهداف قبل الحرب لان ذلك كان يعني أن الحرب هي الخيار الوحيد» [65]

هذا بالطبع ما قيل بعد ان اسكتت القنابل أية قدرة على الاعتراض بل الفهم اما قبل الحرب فقد تسرع قائد الطيران الامريكي وقال ان مهمة الحملة الامريكية هي تدمير العراق وان اسرائيل ستعينهم في تحديد الاهداف فعزلوه ولكنهم تقلدوا اكثر مما قال بالتعاون المطلق من جانب صدام !

« وفوق ذلك اصيبت القدرة المالية والنفطية العربية بضربة قاصمة تملت أي دور لها خلال السنوات العشر القادمة .. فلم تعد هناك دول غنية ودول فقيرة بل عالم عربي مفلس ممزق أو كما كتبت النيويورك تايمز: «هناك التنافر بين العرب الذين معهم والذين ليس معهم » وهو التنافر الذي كشفه الغزو العراقي للكويت . وكانت الولايات المتحدة تتوقع اعادة توزيع للثروة العربية بعد الحرب لمنع تكرار ما حدث ولكن الحرب نفسها كلفت السعودية الى حد أنها نزلت الي السوق مقترضة .والكويتيون سيحتاجون لكل مليم ادخروه بل واكثرمما يدخرون لمجرد اعادة بناء بلدهم.أو بمعني آخر ان هذه الحرب لم تترك شيئا ليدفع للذين ليس معهم ، و عندما اقترح بيكر بنكا عربيا للتعمير رد عليه بوش والعرب :إنساها ..» [66]

باختصار يمكن أن نعيد تلخيص الاهداف الامريكية في الاتي :

تنظيم مظاهرة عسكرية لإعلان حقيقة السيطرة العسكرية الأمريكية المنفردة ، على العالم بعد تراجع الاتحاد السوفيتي .

حل الازمة الاقتصادية في امريكا .

تمرير ميزانية التسليح وتنشيط الطلب على صناعة السلاح .

ضرب المانيا واليابان وتعطيل استقلال أوروبا .

تطويق الاتحاد السوفيتي .

احتلال منابع النفط .

منع انخفاض سعر النفط .

تجريد العرب من عنصر مقاومة اسرائيل الكبري .

تغيير بعض النظم الخليجية .

تدمير القوة العسكرية العراقية .

عزل منظمة التحرير وتجفيف مواردها .

هذه هي الاستراتيجية الامريكية ولم تكن تحتاج الا لغطاء ٠٠لمبرر يجعل تنفيذها مقبولا عربيا وعالميا٠٠ وكانت اداتهم صدام حسين بحكم ظروفه واتصالاته الخفية مع المخابرات الامريكية وطبيعة نظامه وتخلفه العقلي واستبداد نظام حكمه .

هذا هو رأينا ورأي الغالبية العظمى من المعلقين ، وهو ان الولايات المتحدة ارادت ضرب العراق وغزو المنطقة وان قرار استخدام السلاح كان قد أُتخذ لا اقول من اللحظة الاولى بل قبل غزو العراق للكويت وان هذا الغزو لم يكن الا المبرر المطلوب ٠٠ إلا ان اوقح دفاع نشر عن الولايات المتحدة واكثره فجورا ما تفتق عن التوقيع عليه بني تخاذن ساعيا في المخابرات الامريكية فهو ما نشر في مجلة مصرية في الاسبوع الاول من مارس ١٩٩١ والذي يحاول تبرئة ساحة الولايات المتحدة بادعاء أنه لم يكن على بالها استخدام القوة حتى ديسمبر (أو العاشر من يناير) بل ولا حتى كان في خاطرها ارسال قوات اصلا لولا ان طرأت الفكرة عفوا عندما طلب بوش من فهد أن يقطع النفط فقال الملك ومن يحميني فتذكر بوش على الفور انه يملك اكبر قوة عسكرية٠٠ الخ

ألم اقل لكم ان كل شئ يتدهور في بلادي حتى الدفاع عن الاستعمار !

و تحت عنوان : الحرب التي لم يكن يريدها احد٠٠ قال :« ان الرئيس بوش منذ ان بدأت الازمة باحتلال العراق للكويت حتى حوالي منتصف ديسمبر كان مقتنعا ان ما فرض على العراق من عقوبات اقتصادية يكفي مع مضي الوقت لاجباره على الانسحاب من الكويت (شئ حقير ان ينشر ذلك وسيجد القارئ عشرات التصريحات لبوش عن عجز الحصار الاقتصادي عن تحقيق الانسحاب قبل هذا التاريخ – وكان يرسل نصف مليون جندي لمحاصرة العراق !! سفينة واحدة في البحر كانت تكفي بعدما اغلقت منافذ النفط ج) ٠٠ الرئيس الامريكي كان مقتنعا اقتناعا كاملا بفعالية العقوبات الاقتصادية بل وبكونها الوسيلة الوحيدة الكفيلة بتحقيق قرارات مجلس الامن بشأن الازمة وان ما يزيد على ذلك يحمل من المخاطر ما يستعصي على الحسابات .

ومن بين اهم ما اجرى بوش من اتصالات لاحكام قبضة الحصار الاقتصادي على العراق حتى

قبل ان يتخذ مجلس الامن قرارا بفرضه كان اتصاله بملك السعودية ليطلب اليه اغلاق خط انابيب النفط العراقي عبر السعودية لكن جواب الملك السعودي وضع الرئيس الامريكي على « سكة اخرى» لأن الجواب كان سؤالا عما يحمي السعودية من رد عراقي على اجراء من هذا النوع ولم تكن امام الرئيس الامريكي سوى اجابة واحدة : نحن٠٠ وهكذا بدأ السناريو العسكري للأزمة من هنا دخل الرئيس الامريكي في فخ المسلسل العسكري » (أي كلام اغلاق الانبوب في السعودية تم في اغسطس ودخل بوش في المسلسل العسكري ولكنه الى ديسمبر لم يكن يفكر فيه ! هو اغسطس قبل ديسمبر ولا بعده ٠٠ ج) يكمل سيادته :«ارغام الحكمة السياسية على اتباع طريق لا تفضله أي ان ينتقل العنصر العسكري من حالة الحشد الى حالة القصف والعمل العسكري كان في ذيل خيارات الرئيس الامريكي وان وجوده على قائمة الخيارات كان يرمي الى اضفاء مصداقية كافية على التصميم الامريكي على اجبار العراق على التخلي عن احتلاله للكويت ولا شئ اكثر من ذلك ٠٠٠٠٠ان طول المدة التي استغرقتها محادثات طارق عزيز وبيكر كانت ترجع من بين اشياء اخرى الى ان بيكر– وبتفاهم كامل مع رئيسه –كان يسعى الى ان يجد في الموقف العراقي ولو بصيصا خافتا يشير الى المرونة بل ان بعضهم ولو على نحو من المبالغة التي ترمي الى تجسيد الموقف قالوا ان بيكر كان يريد ان يستخدم طارق عزيز كلمة الكويت لكي يعتبر هذا علامة المرونة وهو البصيص الذي لم يقدمه طارق عزيز الذي بقي متمسكا بتسمية المحافظة التاسعة عشرة » ٠٠٠ وقد جاءت مبادرة الربع ساعة الاخيرة التي اعلنها الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران لتدق في رأس بوش ناقوس خطر تفكك التحالف فكان قرار الحرب التي لم يكن يريدها جورج بوش ٠ » انتهى كلام المذكور٠٠

الرجا البصق في سلة المهملات حفاظا على نظافة مدينتكم ٠

اثبت بوب ودورد ان الرئيس بوش وقع قرار الحرب باليوم والساعة قبل اجتماع بيكر وطارق عزيز بأحد عشر يوما [٦٧]

الفصل الثاني

التكويتي في المصيدة !

أرادت الولايات المتحدة الحرب وسعت إليها وبقي إحكام الفخ لصيد صدام ، ولتحقيق هذا الهدف استخدمت الولايات المتحدة معه طريقة اصطياد القرد . . وهي الطريقة التي تعتمد على غريزة الجشع في القرد وعجزه عن الموازنة بين الآجل والعاجل أو عجزه عن فهم القاعدة الاسلامية البسيطة التي تقول بتفضيل دفع الضرر على جلب المصلحة. . يجلس القرد في مأمنه يراقب الصياد الذي يقوم بعمل حفرة في شجرة . والحفرة ذات مقاييس خاصة ، تسمح للقرد بادخال واخراج يده وهي مبسوطة ، ولكن اذا قبض القرد يده استحال عليه اخراجها .ويضع الصياد البندق الذي يحبه القرد داخل هذا الثقب والقرد يراه . . ثم ينصرف الصياد .ولأن القرد « ذكي » وطماع ولص ، سرعان ما يخرج من مخبئه . . ويدس يده في الحفرة ويقبض على البندق كله ويحاول ان يخرج يده فيفشل. .ويمكن ان يبقى اليوم كله في هذا الوضع لا هو يستطيع ان يخرج يده بالبندق ويذهب به، ولا شراهته تسمح له ان يؤثر السلامة ويترك البندق وينجو بنفسه! ويظل على هذا الوضع حتى يأتي الصياد ويضعه في الاغلال وهو لا يترك البندق ! حتى اذا تم تكتيفه وادخاله في القفص الحديدي لسعوا يده بالنار فيتخلى عن البندق ويسحب يده بحركة لا ارادية ويخسر البندق ونفسه !

هكذا اصطادوا صدام حسين . . أوهموه انه يستطيع ان يفوز بالكويت ، فلما وضع يده في الثقب ركزوا كل امكانياتهم على منعه من اتخاذ القرار السليم وهوالافلات قبل أن يضربوه . .

فالخطوة الأولى كانت دفع صدام لاعطاء المبرر للارمادا الامريكية لكي تدخل الخليج وتتخذه قاعدة للحملة التي تريدها .

والخطوة الثانية هي منعه من توجيه الضربة الأولى قبل أن تكون امريكا مستعدة ، وبنفس القوة، منعه ايضا من الهرب من الفخ ، بمنعه من الانسحاب قبل الضرب لأن ذلك يفسد المخطط كله ! . . وقد نجحت امريكا في تحقيق الهدفين . . فدخل صدام الكويت. . وحفر هناك وخندق وظل في

انتظار الصقر كما تفعل الحبارى!

وقد ساعد الامريكان . . « العشم » الذي نما وترعرع بين بغداد و وواشنطن خلال سنوات القتال المشترك ضد الثورة الايرانية ، وقد بدأ هذا التعاون كما تقول المصادر الامريكية مع الثورة الايرانية ، وتفجر الرعب الصليبي في الولايات المتحدة الامريكية من الخطر الاسلامي . يقول تحقيق صريح الالفاظ في مجلة « التايم » :«الاحتضان الامريكي لصدام بدأ في ٤ نوفمبر ١٩٧٩ عندما استولى الايرانيون على السفارة الامريكية في ايران فإن الخوف المتزايد من انتشار الأصولية الاسلامية في المنطقة اصبح المحرك الأساسي للسياسة الامريكية ، ليس فقط ازاء ايران بل والعراق ايضا . وتتحمل المسئولية في ذلك ثلاث إدارات امريكية وكلا الحزبين . كانت وواشنطن يسيطر عليها خوف دفين ومتأصل من الاسلام ، كقوة غريبة عن التفكير الامريكي احدثت رعبا حقيقيا . كان كبار المسئولين في البنتاجون وغيره اكثر خوفا من الاسلام منهم من الشيوعية . لقد كان خوفا طاغيا ادى الى اقتناعنا انه لوقف التقدم الاسلامي الاصولي يجب استخدام أي حذاء في ضرب الكلب كما قال جراهام فوللرالخبير في شئون الشرق الاوسط والذي كان يعمل للمخابرات الامريكية في الثمانينات ـ وكان العراق هو هذا .. الحذاء ».[1]

قرروا استخدام صدام « برطوشة » لضرب إيران .

وقال هارولد براون وزير الدفاع في حكومة جيمي كارتر . . «ان التوجه العلماني للعراق في بناء الوطنية يجعله اقرب للغرب واقل تهديدا من إيران » [2]

ولعل هذه الملاحظة عن علمانية نظام صدام حسين والدور الذي لعبه في ضرب ما يسميه الاسلاميون بأول وأكبر ثورة اسلامية ، تكشف بعض ابعاد الخطأ الذي ارتكبه هؤلاء عندما ركضوا خلف نداء الجهاد من صدام عدو الاسلام الاول وحذاء أمريكا الذي ضربت به إيران !

وكان من الطبيعي ان يتخذ التعاون الأمريكي العراقي الصيغة اياها التي تمت مع عبد الناصر ، اعني صيغة التعاون المخابراتي بكل ما ترتب على ذلك من نتائج مطابقة لما حدث لعبد الناصر وفصلناها تفصيلا في كتابي « كلمتي للمغفلين » و « ثورة يوليو الامريكية» . . عندما تحدثنا عن المعامل س . ونتصدر نفس الشكوى من أن صدام توهم ان المخابرات الامريكية هي التي توجه السياسة الامريكية لأنه يلمس قوة مدير المخابرات الذي يتعامل معه ! ومن يقرأ تعليق جيم هوجلاند

في الوشنطن بوست ٩١/٢/٧ بعنوان: «فرانكنشتاين امريكا ..» يظن انه ينقل من تحليلنا عن عبد الناصر، وان التاريخ يعيد نفسه على الاقل في بلاد العرب المتخلفين الذين لا يقرأون ويهددون بالقتل من يحاول تعليمهم!

يقول الكاتب الامريكي: « الجيش العراقي لن يبلي في هذه الحرب مثل بلاءه ضد إيران لأن الولايات المتحدة لن تحارب معه هذه المرة . ولكن لديه ثمار تبادل المعلومات المخابراتية لمدة ست سنوات مع الولايات المتحدة . والفضل لريجان ووليم كاسي ومساعديهما . ان التعاون الامريكي / العراقي هو الذي اثمر حرب الخليج . لقد قالوا وقتها انهم يسحبون اكبر قوة عربية في الخليج من احضان السوفيت، وأن صدام سيصبح « وغدنا » في المنطقة وانه بتعاليم أو تدريب المخابرات ووزارة الخارجية سيصبح رجل العراق القوي معتدلا فهذا هو طرازنا من الديكتاتوريين.. ولكنه تحول الى فرانكنشتاين امريكا . وقد انكشف التعاون المخابراتي الامريكي العراقي عام ١٩٨٦ عندما اشتكي المسئولون العراقيون علنا و كذبا ان امريكا تزودهم بمعلومات تؤدي لهزيمة العراق . وما لم يقولوه هو أن هذا التعاون بدأ قبل عامين من تبادل العلاقات الدبلوماسية بين واشنطن وبغداد في يوليو ١٩٨٤. ففي عام ١٩٨٢ عندما اصبحت العراق في خطر مباشر من ان تجتاحها القوات الايرانية .. نقلت المخابرات الامريكية العراق من قائمة الدول التي تشجع الارهاب.»

وقد كشفت النيويورك تايمس الستار عن ان هذا القرار سبقته زيارة تفتيشية لوليم كاسي مدير المخابرات الامريكية في عهد ريجان الذي قام في مارس ١٩٨٢ بزيارة سرية لبغداد رفع العراق بعدها من قائمة الدول التي تشجع الارهاب.» [٣]

وايضا احب ان اضيف ان ذلك تم بعد تدمير المفاعل العراقي (١٩٨١) وقد كتبت في صحيفة الوفد قبل حرب الخليج ، رأيي بأن المفاعل نسف باتفاق مسبق أو صفقة بين الولايات المتحدة والعراق كشرط لمعاونة العراق في حربه ضد إيران، ونسب التدمير لاسرائيل كجزء من الدعاية السوداء لرفع شعبية صدام في العالم العربي والاسلامي وتشويه موقف إيران . في نفس الوقت التي جعلوها تبدو وكأنها شريك في المجهود الحربي مع اسرائيل ضد العراق . وقلت ان مثل هذا المفاعل الذي اول احتياطاته هو حمايته من القصف الجوي لا يمكن نسفه من الجو وبطائرات .. وقلت في نفس المقال ان حريق مصنع المواد الكيماوية في ليبيا مفتعل ولترضية الرأي العام الامريكي ويومها

قال البعض :ها قد عاد للتفسير التآمري . ولكن جاء الاعتراف من اسرائيل ذاتها فقد نشرت التايمس في ٩١/١/١٩ تقول : «الخبراء الاسرائيليون يؤكدون استحالة ضرب المفاعل الذري العراقي . . لأن معظم المشروع تحت الارض ولتدميره من الجو يجب استخدام قنابل اعماق من نوع خاص ، وحتى هذه لا يمكنها أن توقف المفاعل . وقالوا إن صواريخ سكود اقل خطرا من المفاعل النووي . وهذا المفاعل سيكون هدف اسرائيل الاول في الشهور القادمة ، لضمان ألا تملك دولة عربية قنبلة ذرية لأن اسرائيل لا تستطيع قبول توازن القوى النووي ، كما هو الحال في اوروبا، لأن قنبلة عراقية تستطيع ابادة نصف اسرائيل بينما العراق بلد كبير . . الخ . . »

المهم انهم اعترفوا ان المفاعل لا يضرب جوا . . وسنرى ان تفجير العراق لمفاعله في المرة السابقة كان البداية لرضاء وتحالف امريكي دام حتى نهاية الحرب الايرانية .

وتتحدث « التايم » عن التعاون مع صدام لضرب الثورة الايرانية فتقول :«كان هناك تقدير كبير للدور الاستراتيجي الذي يمكن ان يلعبه العراق في الخليج . . فحسب هذا الرأي يشكل العراق قوة ردع لإيران ويجب أن تنمي ذلك أوحتى نزرعه . . . وفي ١٩٨٦ انتهت الحرب الايرانية - العراقية الى حالة من الجمود الدموي ، ولمساعدة العراق بدأت الولايات المتحدة مع اسرائيل ومصر بتزويد العراق بمعلومات سرية عن تحركات القوات الايرانية لصد الثورة الاسلامية . . ويروى «تايكر» عضو مجلس الأمن القومي في عهد ريجان انه في ابريل ١٩٨٢ تم اجتماع بين واشر ستويصل نائب وزير الخارجية الامريكية والرئيس مبارك ، وفي هذا الوقت كانت إيران قد استردت معظم الاراضي التي احتلهاالعراق في بداية الحرب . ويقول تايكر ان مبارك تشبث بيدي وهو يخبرني عن الوضع السيىء الذي يمر به صدام ، وان هناك حاجة ماسة لأمريكا لأن تجد وسيلة لمساعدته . وكان يريدني ان انقل رسالته هذه للرئيس ريجان . وقد ذهب تايكر الى اسرائيل عام ١٩٨٤ مع دونالد رمزفيلد مبعوث ريجان للشرق الأوسط فقال لهما اسحاق شامير ان اسرائيل تعتبر إيران هي الخطر الاكبر في المنطقة وليس العراق وإقترح شامير مد خط انابيب من العراق الى حيفا كتعبير عن حسن النية وعندما ابلغت امريكا طارق عزيز بالفكرة رفض ان ينقلها الى صدام قائلا إن رئيسه سيقتله فورا . » [4]

وهكذا يمكن القول انه في الفترة من ١٩٨٢ الى ١٩٨٨ كان صدام حسين اكثر الحكام العرب

ارتباطا وتعاونا مع المخابرات الامريكية ان لم تقل أكثر حكام العالم الثالث كله ، واهم من ذلك انه كان ينفذ ـ بدعم امريكي كامل ـ أكبر مهمة امريكية في الثمانينات وهي ضرب الاسلام من خلال الحرب ضد إيران . وان هذا كان على هوى اسرائيل ، إلى حد التفكير في ضخ النفط العراقي عبر اراضيها !

ولا يتسع المجال لشرح الاهداف التي انجزها «وغد» امريكا أو «البرطوشة» من حرب الثماني سنوات لصالح الصليبية الامريكية . فقد دمرت العلاقات العربية / الايرانية وطوقت المد الاسلامي الذي اثارته الثورة الايرانية في ايامها الأولى ، هذا المد الذي كان يوحي بتخطي هذه الثورة دائرة الطائفة والقومية . فالحرب الوحشية التي شنها العراق جعلت الدولة الايرانية تعتمد على الاسلحة التقليدية فقويت عناصر الشوفينية الايرانية ولجأت الى الاعتماد على ابناء الطائفة ، وتبدد حلم أن يذوب الخلاف السني/الشيعي، والحساسيات العربية / الايرانية فضلا عن تدمير القدرات الايرانية ، تلك القدرات التي هي مهما حدث احتياطي اسلامي في المواجهة مع اسرائيل ، أو الهند. كما تم تبديد أو حرق ما يزيد على المائة وخمسين بليون دولار من الفائض النفطي الذي غمر المنطقة في الثمانينات والتي كانت كفيلة ـ مهما أسأنا انفاقها ـ بتطوير العالم العربي كله . . دفعت كلها بتدبير أو إن شئت بأمر امريكا لصدام حسين فأحرقها في حربه المريبة الغبية كما وصفها السادات رغم انه الصانع بدوره وساعد عدوه اللدود صدام . .(تأمل كيف كان صدام يشن حربا اعلامية واغتيالات ضد السادات ، ثم تأمرهما امريكا فيتحابان في غير الله ضد إيران . ورغم ذلك ما زال بعض الخنازير يرون في السادات عميلا امريكيا وصدام هو الوطني !)

ولم تكن دول الخليج في موقع يسمح لها بالاختيار، فهي من ناحية لم تكن لتقبل أو ترتاح لنصر ايراني على العراق يصل الى احتلال الارض العراقية واقامة كيان ايراني أو خاضع لايران في البر العربي . وقد اوضح الملك فهد ان المملكة لم تتقدم لمساعدة العراق في حربه مع إيران إلا بعد ان احتلت إيران بعض الارض العراقية . كذلك يجب ألا نتصور أن «كامي» ورجاله كانوا يعملون على الجانب العراقي فقط ، بل كان هناك عملاء للمخابرات الامريكية في طهران ، كشف عنهم الايرانيون انفسهم بعد ذلك . هؤلاء العملاء تولوا التهييج ضد الدول الخليجية ، والسعودية بالذات . وقد رويت من قبل كيف اصطدمت مع قطب زاده ويازدي في طهران فور عودتنا مع

الامام الخوميني عندما سألتهم دهشا لماذا تزيدون عدد أعدائكم بمهاجمة السعودية؟! ٠٠ فردا في صوت واحد: «السعودية رجعية !» كذلك فإن المعارضة الشيعية في الخليج ـ والتي كانت مرتبطة بجهاز المخابرات العراقي قبل ثورة الخميني ـ لعبت دورا مهما في استفزاز وتخويف دول الخليج باعلان ارتباطها بطهران الاسلامية وتصعيد نشاطها ضد الدول الخليجية العربية٠وربما كان بعض نشاطها بإيعازمن المخابرات العراقية التي كما قلنا كانت ترعى هذه الجماعات قبل الثورةالايرانية٠

هذه بعض الاسباب التي جعلت دول الخليج تقف مع العراق ٠ ويحدثنا السفير بندر بن سلطان عن : «خط ساخن بيننا وبين الاخوان العراقيين ٠٠ ومن سخرية القدر ان هذاالخط الساخن كان ثمرة التعاون الذي قام بين قواتنا الجوية خلال الحرب (الايرانية– العراقية) وبين هيئة اركانه (صدام حسين) »٠

ويعلق السفيرالسعودي على الحملة الاعلامية العراقية التي تستنكر على المملكة استعانتها بالامريكيين بقوله :« لما حصلنا على الاواكس سنة ١٩٨٠ كان الرئيس صدام يقول وقتها ٠٠هذا عمل لخدمة القومية العربية ٠٠ لماذا؟ لأن الاواكس كانت تعطيه معلومات عن إيران ٠٠في السنوات الاخيرة للحرب كان العراقيون يطلبون منا مساعدتهم لتسهيل اتصالاتهم مع الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة ، وكذلك التنسيق مع القوات الامريكية لمساعدتهم إما بالمعلومات أو التخطيط أو النصيحة في حربهم مع الايرانيين .. الامريكيون وقتها كانوا وطنيين ، واليوم اصبحوا امبرياليين؟!! لما رفعت الكويت العلم الامريكي على السفن ، قال الرئيس العراقي :هذا اعظم عمل لخدمة القومية العربية والامة العربية وان لكل دولة الحق في ان تجلب من تشاء لمساعدتها، والسبب ان هذه السفن التي ترفع العلم الامريكي كانت تخرج له نفطه من الخليج ..»

وتعود لحديث الواشنطن بوست عن التعاون السري بين العراق وامريكا ..

يقول الكاتب الامريكي :« ولأن امريكا لم يكن عندها قناة للاتصال في بغداد فقد تم نقل المعلومات عن طريق السفارة الامريكية في عمان ، وكانت العملية من الحساسية بحيث أن الملك حسين نفسه هو الذي اشرف على نقل المعلومات الى بغداد[٦]٠وفي ١٩٨٥ كان كاسي قد فتح دكانا في بغداد لنقل المعلومات التي لم تنقطع ولا حتى بضرب الطائرات العراقية للمركبة الامريكية

مشارك في مايو ١٩٨٧ بل استمرت الى نهاية الحرب في ١٩٨٨ . وقال هوارد تايكر عضو مجلس الأمن القومي من ١٩٨٣ الى ١٩٨٦ انها كانت مجرد معلومات عن مواقع وتحركات الجنود الايرانيين ، ولكنها انقذت العراق من الهزيمة في كثير من المعارك . لقد اصبح التعاون المخابراتي هو سمة العلاقات العراقية الأمريكية وسرعان ما عين صدام قطبا من المخابرات العراقية سفيرا له في واشنطن . وقد كررت الولايات المتحدة في بغداد ما فعلته في عواصم عربية اخرى خلال العقود الثلاثة الماضية ، إذ جعلت مدير المخابرات في تلك العاصمة يبدو في نظر السلطة المحلية أهم من السفير الامريكي ». ٧

وكما قلنا لم يكن هذا خطأ بل هو الاسلوب الوحيد الممكن للتعاون التآمري مع هذا اللون من الديكتاتوريين العملاء ، أو باستخدام تعبير الكاتب الامريكي ان « وغدهم » في الشرق الاوسط لا يمكن ان تقام معه علاقة علنية عبر القنوات الدستورية للولايات المتحدة فهذه القنوات يفترض فيها أو تدعي انها لا تتعامل مع الاوغاد والأحذية فضلا عن البراطيش !

دخل صدام الفخ بإرادته بعد أن ألقت اليه واشنطن بالطعم وأغرته بالدخول مستعينة بالعلاقات القديمة والصلات السرية .

وكما قلت في تأريخي لعبد الناصر وقال قبلي مايلز كوبلاند ان المؤرخ الذي يغفل في تحليله للأحداث المعامل«س»سيعجز عن تفسير مواقف عبد الناصر . والمعامل «س» هو العلاقة الخفية مع المخابرات الامريكية ، اللعب مع الولايات المتحدة كمتآمر أو تابع وليس كثوري حقيقي ولا كمعارض اصيل ولا حتى كحليف مؤمن باستراتيجية التحالف .

وفي حديثي للاذاعة العربية بواشنطن تساءلت اذا كان صدام حقا تحرك من منطلق ثوري أو بنية حقيقية لتحدي الولايات المتحدة ، فما الذي منعه من احتلال المنطقة الشرقية في السعودية أو ضرب جميع المطارات التي يمكن أن يستخدمها الامريكان أو ضرب الانزال الاول للمارينز ؟ ! ثم وجدت نفس التساؤل في مجلة التايم التي جعلتها غلطة وليست مؤامرة فقالت: «يتفق المحللون الآن على أن اول غلطة ارتكبها صدام حسين هي فشله في مواصلة الزحف يوم ٣ اغسطس بعد ان اجتاح الحرس الجمهوري الكويت إذ لو أن المليون عسكري عراقي غزوا السعودية في المرحلة الأولى لتغيرت الصورة . ففي هذا الوقت لم تكن هناك قوات امريكية في المنطقة . و قال واندرو

دانكن«المدير المساعد لمركز الدراسات الدولية الاستراتيجية في لندن ٠٠إن قوات صدام كان بوسعها احتلال الخليج كله ، وقال عسكري كبير في البنتاجون لو أن العراق احتل المواقع والمطارات السعودية لكان من المستحيل على الولايات المتحدة تنفيذ الحشد الذي تم بعد ذلك . ولو سيطر صدام على الكثير من نفط المنطقة فلربما امتنع الحلفاء عن استخدام القوة ضده خوفا من ارتفاع الأسعار وتدهور الامداد النفطي العالمي » [8]

ولأمر ما لم يحتل صدام ولا سيطر !

ويقول الامير بندر بن سلطان :« لقد مر علينا اسبوع لو أراد العراقيون فيه غزو السعودية لما كان بوسعنا صدهم »

ولأمر ما لم يغزوا .

« ان الانذار ايضا يعطي صدام فرصة لاستثمار الوقت باستغلال ورقة الرهائن ويمكن ان يعيد ترتيب قواته مطمئنا الى انه لا حرب حتى اليوم الموعود ويمكن ان يهجم على اسرائيل .» [9]

ولأمر ما لم يهجم !

وكتب لاري كوليتز يقول :« لماذا نتوقع أننا نحن الذين نحدد تاريخ الحرب لماذا لا يشن صدام حربه من الان الى ١٥ يناير .» [10]

ولأمر ما لم يشن !

وفي تحقيق اخر :«العراق لو اقتنعت ان الحرب محتومة فربما تشن ضربة وقائية على منشآت النفط وعلي المراكز الامريكية في السعودية وحاملات الطائرات والضربة قد تقع هذا الاسبوع .»

ولأمر ما لم تقع !

نعم لماذا وقف صدام في الكويت ٠٠ ولماذا لم يضرب المطارات ٠٠ لماذا لم يضرب اول عملية انزال ٠٠ لماذا لم يوجه الضربة الأولى بعد ان احتشدت القوات ٠٠ ؟!

لا يمكن الاجابة عن هذا السؤال الا بافتراض وجود اتفاق ما بين صدام حسين والمخابرات الامريكية حول العملية ، صيغة ما، ضمنت عدم تجاوز صدام دائرة محددة ، مقابل وعد لا نعرف ابعاده بعد ٠٠ وربما يساعد على الفهم ان نسترجع ما جرى في اتفاق ناصر والمخابرات الامريكية

في عام ١٩٥٦ فقد التزم عبد الناصر بألا يوسع دائرة الأزمة وتحمل الضربة وحده ومنع سوريا والاردن من دخول المعركة ، ومنع طيرانه من ضرب اسرائيل ، وتقبل التدمير الكامل والشامل للسلاح السوفيتي الذي اشتراه بالطبل والزمر ، وقبل تكسيح الجيش المصري واخراجه من المواجهة مع اسرائيل ، وتجميد الحدود عشر سنوات، ثم ضرب عرض الحائط بالموقف العالمي المؤيد له وتنازل تنازلات فادحة لاسرائيل. . وهكذا تحققت اهداف امريكا بالكامل واهم اهداف اسرائيل وخسرت بقية الاطراف ، وبالمقابل مكن الامريكان عبد الناصر ليس فقط من البقاء في السلطة بل والخروج من هذا الوحل بطلا عربيا . . وقد حدث ما يشبه ذلك حتى الآن ؛ امريكا حققت كل اهدافها واهداف اسرائيل. وصدام امتنع عن أي تصرف يفسد السيناريو الامريكي، وانتهت الحرب وهو قابع في السلطة ومعزوفة بطولته يجري تلحينها . . وربما تجاوزت امريكا اتفاقها في الحرب فضربت اكثر مما يجب واهانت اكثر مما توقع صدام ، وهي تستطيع دائما ان تتعلل بأن الذي اعطى الوعد لا يمثل السياسة الامريكية ، لأنه كما قلنا من رجال المخابرات الذين ليس لهم صفة رسمية أو دستورية ، ووعودهم لا تلزم الحكومة الامريكية . . وربما لا تستمر امريكا في اتفاقها للنهاية بل ترى في مرحلة قادمة ان التزامها بابقاء صدام حسين في السلطة بأكثر مما تطيق ولا مبرر لاحترام هذا الالتزام. . على أية حال . . صدام اعلن انهم غدروا به ، وقد تكرر استخدام الزعيم لعبارة الغدر . . والغدر لا يستغرب من الاعداء. . بل يكره من الذين لم نكن نتوقع منهم ما فعلوه !

في خطابه بعد بدء الهجوم البري قال :« غدر الغادرون . . غدر بوش الخاسئ غدر اولئك الجبناء لقد غدروا . . غدروا كما هو عهدهم . . غدروا بالجميع » كذلك تكلم صدام بمرارة عن خديعة زعماء الدول الغربية الذين خدعوه فأوهموه انه بالافراج عن الرهائن لن تهاجمه امريكا وقال« لو كان عندنا خمسة آلاف رهينة الآن فهل كانوا سيهاجمون بغداد؟!» وهم حقا غرروا به ولكن أحدا لم يستطع ان يغرر بعمرو بن العاص ولا خالد بن الوليد ولا حتى هوشي منه. . لأن من دخل الحرب بنية القتال لا يخدع بسهولة على عكس من دخلها بتواطؤ أو بنية المساومة. . وهذا ما يفسر بقاء صدام رابضا في فخه بالكويت ستة شهور حتى استكمل الامريكان اخر استعداداتهم وتقدموا لسحقه وسحق كل ما بناه الشعب العراقي في خمسين عاما . وهو خطأ لم يرتكبه ملك الزولو ولا حتى مماليك نابليون ! وما يعزز الإتهام بأن صدام حسين كان أسير اتفاق ما أو مخدراً

بوعد أمريكي أنه بقدر ما كانت نية القتال مفتقدة عنده تماما فإنه في نفس الوقت ضيع كل فرص الافلات من المؤامرة التي يجري اعدادها، فقد رفض كل فرص وعروض الانسحاب.

الأمر الذي يجعل استشهاد نائب الرئيس العراقي يجمع بين الجهل والتنطع .. عندما شبه الموقف العراقي بموقف الامام الحسين ، فعلى حد زعمه ، كان الحسين يعلم أن ليس لديه فرصة للنصر ولكنه أصر على القتال!! خسئت .. لقد حاول الحسين بكل الطرق ان يتجنب المذبحة : خلوا بيني اذهب للثغور .. احملوني الى يزيد .. الخ ولكنهم اصروا على القتال بنية قتله .. أما صدام فقد رفض كل الحلول التي عرضت عليه لكي يمنع المذبحة الامريكية عن جيشه وشعبه ، محققا بذلك هدف الرئيس بوش.

فإذا رفضنا هذا التفسير حرصا على الشرف العربي وفضلنا عليه التسليم بغباء الزعيم، فيمكن القول إنه من ناحيته فسر كل دعوة له بالانسحاب وكل وساطة وكل حديث عن السلام أو تخوف على مصير العراق فسره بأنه دليل ضعف في المعسكر الاخر ورغبة في مساومته ! ومن ناحيتهم استخدموا كل علومهم وقوتهم وجواسيسهم في منعه من الخروج من الفخ ..

ففي الشهور الأولى كان يستطيع ان ينزل ضربة فادحة الخسارة بالقوات الامريكية والمتحالفة أو أن ينسحب مرفوع القامة محتفظا بكل قواته . ولكنهم – كما سنرى ـ خدروه بمبالغات خرافية عن قوته وكرروا الى حد الملل الحديث عن الفزع الامريكي من جبروته وانقسام امريكا وضعف تماسك التحالف ! الاجهزة الغربية وعملاء هذه الأجهزة والبلهاء عزفوا على نغمة انه كلما مر الوقت قلت فرصة الحرب وتزايدت المعارضة لها ، (وهذا ورد في سيرة السلف الطالح عبد الناصر في حرب السويس اذ كان مقتنعا بعناد البغال ان فرصة الحرب فاتت على بريطانيا وفرنسا بعد الاسبوع الاول من التأميم !) وذلك لإغراء صدام بالمماطلة بهدف كسب الولايات المتحدة الوقت لإتمام الاستعداد العسكري الامريكي . وترك صدام يرقص على هذه المعزوفة فيسترخي اكثر ويطغي اكثر، مما يمكن امريكا ايضا من كسب الرأي العام العالمي بكشف تعنته والترويج عن فظائع الاحتلال في الكويت.

وفي السطور التالية سنقدم بعض النماذج مما كان يقال لصدام لتوريطه ومنعه من قبول أي وساطة أو رجاء بالانسحاب والافلات مما يعد للعراق .. ومعذرة إذ اطلنا الاستشهاد فنحن نكتب للتاريخ ولكي لا نترك لملك زولو آخر أن يغرر بنا .

التخدير .. والتضليل

كانت خطة امريكا هي القيام بأضخم مظاهرة عسكرية للأهداف التي ذكرناها ولأهداف لم تكشف بعد .. ولذلك كانت تحتاج للوقت لاستكمال حشد قواتها .. ومن هنا كانت كل ساعة تمر هي لصالح المخطط الامريكي وضد العراق ومع ذلك فقد نجحوا في اقناع صدام ان الوقت لصالحه بمثل هذه التصريحات :

« قال الدكتور فيليب روبنز رئيس برنامج الشرق الاوسط في المعهد الملكي البريطاني للشئون الدولية عن الوضع في الخليج واحتمالاته : «انه كلما طال الزمن زاد احتمال تآكل للموقف الامريكي والدولي وبالتالي فإن عزلة العراق قد تتآكل ايضا ورجح تسوية سياسية»[11]

تحت عنوان : «الولايات المتحدة تتحاشى اتخاذ قرار بشأن الحرب في الخليج » جاء فيه ان ادارة بوش تدير سلسلة مبادرات دبلوماسية بما في ذلك استصدار قرار من الامم المتحدة للضغط على العراق واعادة تركيز اهتمام العالم على الحملة عليه ، بينما تؤجل اتخاذ قرار عسكري. فالرئيس بوش هو ومعاونوه يقررون انه حتى في حالة حرب قصيرة الأمد فان الخسائر الامريكية ستكون كبيرة وان التأييد في الداخل قد يذوب بسرعة والرئيس لا يريد ان يُدفع نحو الحرب.ونقلت عن مصدر امريكي ان بعض الناس يريدون ان يصطلي الامريكان بنار الحرب بينما يختفون هم تحت المعطف الامريكي ...!!»[12]

واستمرت الاندبندنت في نفس النغمة فنشرت تحت عنوان : «بوش المتردد يفقد الدعم الشعبي». وقالت ان الدعم لسياسة الرئيس بوش انهار فجأة وبحدة حتى أن البيت الابيض يخطط لحملة دعاية جديدة، كما ستحاول الولايات المتحدة الحصول على قرار جديد يدين صدام حسين لتدميره الكويت ولكن لا تفكير في توجيه انذار. وسيوجه بوش خطابا للأمة يشرح اسباب الحشد الامريكي واسباب استمراره ويركز اهتمام الامريكيين على الحاجة لمواجهة عدوان صدام . ونقلت عن بعض المسئولين انه رغم الحاح بعض حلفاء امريكا مثل بريطانيا على اتخاذ قرار بالحرب إلا ان بوش يريد أن يأخذ وقته . وتأييدالامريكيين لسياسته هبط من ٨٠٪ الى ٥٤٪ وقالت ان وضع الشرق الاوسط يتدهور فاسرائيل ترفض التعاون مع لجنة الامم المتحدة مما سيؤدي

الى امتحان جديد للتضامن الامريكي العربي..»(١٥/١٠/٩٠)

وتعمدت الهيرالدتريبيون (١٥/١٠/٩٠) ابراز نبأ يقول «إن سوريا تتقاعس عن ارسال ما وعدت به من قوات الى السعودية وان حافظ الاسد وعد جيمس بيكر الشهر الماضي بإرسال ١٣٠٠٠ عسكري هم قوات الفرقة المدرعة ولكنه لم يفعل.وقيل ان السبب هو رفض الاتحاد السوفيتي نقلهم . وان قيادة الجيش السوري ترفض الارتباط بالولايات المتحدة وان السعودية ذاتها لا تريد عسكراً بعثيين في بلادها المحافظة المتدينة.»

وعلقت التايمس على مسيرة عشرة آلاف امريكي في نيويورك يوم السبت ضد الحرب في الخليج فاشارت الى استفتاء نشرته النيوزويك (١٠/٢٢) جاء فيه ان ٦٩٪ من الامريكان يعتقدون أن بوش لا يبذل جهدا كافيا لايجاد حل دبلوماسي..وفي طوكيوتظاهر ٢٣ ألف ياباني للاحتجاج ضد خطة الحكومة لارسال قوات الى الخليج..»[١٣]

قالت الهيرالد تريبيون انه حول بداية ديسمبر «ستكون القوات الامريكية في السعودية، المعدات والرجال التي يعتقد البنتاجون انها مطلوبة لهجوم على العراق.. ولكن سيكون الدعم السياسي لبوش قد ضعف.»(١٠/٢٣)

صحيفة « القدس » وهي صحيفة اردنية تصدر في لندن فرضت نفسها على الفلسطينيين وشكلت الى حد كبير موقف منظمة التحرير، ربما بدون كامل موافقة المنظمة ، وبذلك ساهمت بقسط وافر فيما لحق بالفلسطينيين من خسائر ، هي الاخرى اخرجت لسانها للعرب الجبناء الذين كانوا يحاولون تحذير صدام فقالت :«« فهاهو بوش بعد الرئيسين جورباتشوف وميتران يتحدث عن الربط بين جميع الانسحابات في المنطقة مخيبا امال عرب قصيري النظر اصيبوا بحالة صرع استبعدوا كل الحلول الدبلوماسية وشددوا على الفصل بين ازمة الخليج وقضية فلسطين.»[١٤]

وكانت دبلوماسية الخديعة قد مدت لصدام حبل المساومة ومنته استعداد الغرب وامريكا لتتويجه بطلا باجراء مساومة معه على الشرق الاوسط ، أو على الاقل اقتسام الكويت معه ! وصدق عتل بغداد .. كما انهالت التطمينات الى ان الهدف لن يتجاوز تدمير العراق أما استمرار صدام في السلطة فهو هدف استراتيجي امريكي ..!

وقد نشرت النيوزويك الامريكية بتاريخ ١٠/٢٩/ ٩٠ تحقيقا على عشر صفحات بهدف

ايصال رسالة الى صدام والملتفين حوله ملخصها :

العراق تحت صدام حسين هو جزء اساسي من الاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط واستمراره ضرورة حيوية للمصالح الامريكية . والادارة الامريكية انطلاقا من هذه الحقيقة قررت التعايش مع صدام حسين بشرط احتوائه داخل حدود العراق . وعليه فالوجود الامريكي في الجزيرة مستمر لوقت غير محدود . . واهم من ذلك عسكريا ان العراق لو صمد الى نهاية العام فسينتصر! هذه هي الاستراتيجية التي اريد ابلاغها لصدام وما نشرته المجلة على امتداد عشر صفحات هي مجرد حيثيات وتبريرات . اليكم بعضها نقلا عن المجلة المذكورة [15]

«الحرب ستتطلب ضربة جوية مفاجئة ضد العراق . ولكن مثل هذه الضربة سوف تفقد بوش تأيد الكونغرس وستغضب الحلفاء الاوروبيين وتهدد التضامن الحديث العهد في الامم المتحدة (المجلة تتحدث بذكريات فيتنام في عهد الليبرالية وحرية الاعلام . يوم كان التباهي بحرية الاعلام في امريكا من اسلحة الحرب الباردة ضد النظام الشيوعي ، ولذلك كشف الاعلام الامريكي جرائم الولايات المتحدة في فيتنام ، واهم من ذلك خسائر الامريكان في فيتنام . مما أثارالرأي العام الامريكي الذي يحب الحروب ويكره الخسائر، وتقول صحافته انه يشتري الحرب الى حدود خمسة الاف قتيل ، اما فوق هذا الرقم فلوب الوطنية الامريكية ، فلما تجاوزت الخسائر في فيتنام خط تجمد الوطنية الامريكية قامت حركة السلام في امريكا واخرجتها من الحرب لحسن حظ وبكفاح شعب فيتنام !! المهم ان بوش وعد بألا يتكرر ما حدث في حرب فيتنام ،ولم يكن يقصد ان جريمة القتل لن تتكرر بل كان يعني أن حرية الاعلام هي التي لن تتكرر، ولذلك فرضت على انباء حرب الخليج رقابة صارمة لم يسبق لها مثيل الا في العالم الثالث . مع فارق انها في حرب الخليج فرضت بالتعاون والقبول من قبل الاعلاميين الغربيين وقد قيل« يعكس هيستيريا ماكتمارا حول الارقام في حرب فيتنام فإن جنرال شوارتسكوف اكد انه لن يدخل في احصاء الجثث . . »

[16] التي تجمت عن القاء مائة الف طن من القنابل على العراق اوهكذا فإن احدا لم يتحدث عن مليون قتيل وجريح عراقي كما منع نشر صور القتلى الامريكيين . ج)

تقول المجلة :

«وكذلك فان ضرب المصانع الكيماوية والجرثومية في العراق سينشر الدمار عبر اميال ويسمم

مصادر المياه والغذاء ورغم ان السموم عراقية فإن اللوم سيكون من نصيب امريكا٠»

ولأمر ما لم يستخدم صدام الكيماويات

«اذا اطلق صدام صاروخا واحدا في اتجاه تل ابيب وردت اسرائيل فسيتحد العالم العربي حول صدام ٠(هذا من باب تحريض صدام على ضرب اسرائيل بالصواريخ ٠ وانظر رأينا في فصل الصواريخ٠)

• «وهنا سؤال ٠٠ـ المجلة هي التي تتساءل قبل الحرب بثلاثة شهور ـ من الذي سيخلف صدام ، لقد قتل كل معارضيه ٠ومن ثم فالوريث الوحيد الممكن هو صهره حسين كامل ماجد وزير الصناعة الحربية٠٠ ان عراقا بدون قائد ربما يكون اكثر خطورة على المصالح الامريكية ٠٠ فالعراق يمكن ان يتحول الى لبنان ٠٠ نصف العراقيين شيعة ويمكن أن يتحركوا لإعلان جمهورية مستقلة ويدعمهم شيعة إيران ٠ وكذلك الاكراد في شمال العراق عند حقول النفط العراقية ٠٠ ومن ذا الذي يرغب في دولة كردية في الاوبك ؟!

• « إن عراقا قويا يحفظ صدام تماسكه هو عامل مهم لحفظ توازن القوى في المنطقة٠ وثنتا أم أبينا لقد شكل صدام عنصر التوازن بين اسرائيل ومتين مليون مسلم في إيران ٠٠ ولذا فإن القضاء على صدام حسين دون اعداد بديل يخلق فراغا خطيرا٠

• «ان صناع السياسة الامريكية والادارة الامريكية على استعداد للتعايش مع صدام المعادي والمسلح بشرط احتوائه بالحظر العسكري وبقوات عربية أو من الامم المتحدة وربما يكون وجود قوات برية امريكية في السعودية ضروريا لأجل غير محدود ٠٠ وهذا يشبه ما يدعو له بيكر عن الامن الاقليمي ولكن هذا الامن لا يمكن ان يتحقق اذا قتلت امريكا حرب العراق ٠ بل يتطلب حل الازمة سلميا ٠

• «الحل قد يكون عن طريق محكمة العدل الدولية أو الضغط على زعماء الكويت في المنفى لتأجير جزء من بوبيان وكل وربه للعراق ٠ ويمكن رفع الحظر عن العراق تدريجيا مع الانسحاب العراقي من الكويت وقبول انتخابات ديموقراطية في الكويت ٠

«المجاعة ستظهر في الكويت قبل العراق بسنة ٠٠

• «استمرار الوضع الحالي قد يؤدي الى انهيار النظام في واحدة من هذه البلدان:السعودية أو

الامارات أو مصر .

ماذا لم تقع الحرب قبل أول العام فسيكون العراق هو الرابح .» [17]

وهي كما ترى جرعة هائلة من التطمين والتضليل خدرت الزعيم . وهيجت آماله . وقد يكون بعضها صحيحا، حول دور العراق في الاستراتيجية الامريكية المعادية للبعث الاسلامي. وكتبت الهيرالد تريبيون في الاسبوع الاول من سبتمبر تقول « الكويت يمكن حمايتها بقوات دولية اما القوات الاجنبية فلا داعي لبقائها في السعودية منعا للاستفزاز فاذا استقرت الأمور فقد توسع الكويت وجيرانها طريق العراق للمياه العميقة بتأجير طويل الأمد للجزر .»

وجرت زغزغة صدام وتمنيه الغرور بأخبار هزلية من طراز : .

«سالت دموع من عيني ايقونة للقديسة ايرين في كتدرائية الارثوذكس في مدينة نيويورك وقال الأسقف ان القديسة ايرين تبكي لأن حربا بشأن الكويت تلوح في الافق!!» [18]

«الهوسا يحبون صدام .. هذا ما اثبته استفتاء للاذاعة البريطانية اذ اختار مستمعي البرنامج بلغة الهوسا صدام حسين بطل العالم سنة ١٩٩٠.» [19]

وقد اشترك في اكذوبة مساومة صدام الرئيس كارتر شخصيا وحاول اعطاء دور للملك حسين وهو يعرف جيدا ارتباط جلالته بالمخابرات الامريكية فهو الذي تدخل شخصيا عند محرري الواشنطن بوست لمنع نشر خبر حصول الملك على مرتب ثابت من المخابرات الامريكية . ورفض الصحفيون لأنهم واثقون – كما قالوا – ان نشر الخبر لن يؤثر في مركز الملك حسين ! وصدق الصحفيون .. وبقي الملك حتى ادى للمخابرات الأمريكية واحدة من أهم خدماته.. وقد نشرت التايم مقالا للرئيس السابق كارتر وعضو لجنة المساعي الحميدة التي قيل إنها تضم آل الثاني [20] .. دعا فيه للمفاوضة مع صدام والاعتراف بحسين وسيطا.. تحت عنوان : «حان الوقت للتفكير في محادثات سلام... والملك حسين يجب أن يلعب دورا كبيرا» قال : « لا يوجد أي دليل على أن صدام حسين يفكر في الانسحاب من الكويت أو ارجاع آل صباح وان العالم يمكن ان تشغله مشاغل اخرى مما يجعل من المستحيل ان يستمر حتى الحصار الحالي. الحرب تعني خسائر فادحة سياسيا وعسكريا واقتصاديا وهناك شك في أن يلقى الهجوم على العراق بدون استفزاز عراقي جديد تأييدا عالميا ؛ فالجامعة العربية منقسمة على نفسها (٩ من اعضائها مع

العراق) ٠٠صدام يخاطب الاخوة والدين والقضية الفلسطينية ٠ مما هو جدير بالملاحظة انه لم يوجه نقدا « للاخوة» السوريين لأنهم أرسلوا قوات للسعودية٠ ٠والعراقيون يذكرون الفقراء العرب ان العائلات المالكة الفعلية استثمرت تريليون دولار في الغرب ونشروا خسارة امير سعودي لمبلغ ١٣٠ مليون دولار على الروليت في ليلة واحدة [٢١]. والتأييد العالمي ليس صلبا، فابتداء من هلسنكي اعلن السوفيت انهم لن يؤيدوا الا عملية عسكرية بقرار من الامم المتحدة ، الأمر الذي يعترضه الفيتو الصيني ٠وزعم كارتر وجود مشروع سلام عربي لإحلال قوات عربية محل القوات العراقية والأجنبية في الكويت والعراق ٠ثم استفتاء تحت اشراف الامم المتحدة ليقرر الكويتيون مستقبلهم وحذر من انهيار الاردن ودعا الى استخدام حسين كوسيط ودافع عن موقف الملك٠(تايم منتصف أكتوبر)٠

وقال وزير خارجيته سيروس فانس « ان الضغط الدبلوماسي والحصار سيدفعان العراق للانسحاب من الكويت بلا حرب ٠٠»[٢٢]

مع زيارة ميتران للخليج والمبعوث السوفيتي للاردن ورئيس وزراء اليابان للمنطقة والجولة التفقدية لصدام في مستعمرته الجديدة ، استؤنفت الحملة التي تعتمد اساسا على التهويل في قوة العراق ، مع الحديث عن الاستعداد لتقديم تنازلات على حساب الكويت واظهار صدام في صورة من يملي شروطه على العالم ويحل مشكلة فلسطين فكانت افتتاحية النيويورك تايمز بعنوان « فرص للسلام » قالت فيها ان الرئيس بوش وضع عن وعي حدود حل دبلوماسي لمشكلة الخليج ، وقدم اساسا للمحادثات اذا كان صدام يملك الحس للاستجابة قبل فوات الأوان ٠» وقالت ان «« اشارة بوش لحل المشاكل مع الكويت تعني الجزرة ولكن ليس واضحا اذا ما كانت تعني ايضا ان تشمل المفاوضات الحكومة المقبلة في الكويت٠» (١٢ج) واضافت ان المحادثات ستشمل الاسلحة النووية والكيماوية الاسرائيلية ٠» اما اشارة بوش لحل النزاع العربي الاسرائيلي فتفسرته بأنه يعني أمرين٠ ٠انهاء حالة الحرب الحالية والاعتراف بدولة اسرائيل وتأكيد التزام امريكا بتدبير مفاوضات مباشرة بين اسرائيل والفلسطينيين ٠» وقالت « ان الكرة الآن في ملعب صدام » !!

وقد نشرت التايم مشروع التسوية التي تقبلها الكويت (أو التي سيطلب من الكويت قبولها !) وهي :

١- الانسحاب الكامل من الكويت وإعادة الأمير .

٢- عندها يمكن ان تتفاوض الكويت لتأجير طويل الامد لجزيرتي بوبيان ووربه للعراق.

٣- الكويت قد تناقش التنازل عن حقها في حقل الرميلة .

٤- الكويت تريد قوات دولية مقيمة في بلادها .

٥- العراق يجب ان يخفض جيشه واسلحته الكيماوية والذرية .»[٢٣]

ونشرت التايمس التسوية الروسية وهي :

١-انسحاب صدام من الكويت بدون شروط .

٢-انسحاب كل القوات الاجنبية التي دخلت المنطقة بعد ٢ اغسطس .

٣- موافقة امريكا والمجموعة الاوروبية على عقد مؤتمر لبحث القضية الفلسطينية ومطالب العراق الأقليمية واجراء انتخابات في الكويت .» (١٠/٣٠)

وعاش المهيب على وهم خلاف الروس والفرنسيين مع الامريكان ، وغررت به تصريحات جورباتشوف وميتران ، وظل يعيش في اوهام انقاذ سوفيتي على طراز ما يزعم الناصريون أنه انقذ سلفه عبد الناصر .. وكان جورباتشوف يلعب دورا غير مفهوم في خدمة المخطط الامريكي بإيهام صدام أنه يؤيده أوعلى الاقل لن يسمح بتدمير السلاح السوفيتي ..وقد أدى ذلك الى منعه من الاقتناع بعبث مغامرته، ففي نفس الوقت الذي كان جورباتشوف ووزير خارجيته يشددان في تصريحاتهما على ضرورة الانسحاب وانه لا يجوز الاحتلال ولا ابتلاع الدول بالقوة ..نجدهما يوهمانه بمعارضة استخدام القوة ويتوسطان عنده لبل نهار للبحث عن تسوية .. وظل جورباتشوف الى اخر لحظة يلهيه بحديث التسوية ويتفاوض معه ستة أيام لعقد اتفاق تسوية ثم قال له ..اني برئ منك.. كان لابد ان تقبل شروط بوش !

ورأى محللو الاندبندنت ان العراقيين يعتقدون ان انسحابهم الى مسافة ٣ اميال سيمزق صفوف حلفاء امريكا. فحتى السعوديون لن يقبلوا ان تشن حرب من ارضهم من اجل شريط من الأرض هو محل نزاع منذ ان رسم سير برسي كوكس خطا مهتزا على خريطة غير دقيقة في مؤتمر العقير سنة ١٩٢٢ (١٠/٢٨)

ولم تكن انباء التقصير في الاستعداد العسكري كلها كاذبة وان كانت قد جرت اذاعتها بهدف التضليل.. الا انها تضمنت معلومات حقيقية عن نقص القدرة العسكرية على انجاز المهمة قبل يناير أو فبراير ورغم ذلك لم يحاول صدام ان يستفيد من هذه الحقيقة بل تشبث بالجانب الخرافي من القصة وهو عجز امريكا المتزايد وليس المتناقص عن شن الحرب.. قالوا وصدقهم :

« ان القوات العراقية المدافعة عن الكويت تفوق القوات التي ستحررها بنسبة ٣ الى واحد وهي «محصنة خلف حقول الغام وخنادق » وقالوا ان بعض المعلقين يعتقدون ان امريكا لن تكون مستعدة قبل فبراير أو مارس وان التسخين الحالي في التصريحات انما يقصد به بلبلة العراقيين واستهلاك معداتهم »[٢٤]

وقالت التايمس ان تشيني وباول أبلغا الرئيس ان القوات الامريكية لن تكون مستعدة لشن هجوم على العراق في ١٥ يناير ٩٠ (١٢/٢٦)

ولكنها هجمت بعد ٤٨ ساعة من هذا التاريخ !!

وتوقعت التايمس المتاعب للرئيس بوش فقالت وان نواقيس الخطر دقت في البيت الأبيض الاسبوع الماضي منذرة بتشقق الحلف ضد صدام وان الشق امتد من باريس الى موسكو –وضعفت شهية الامريكان أنفسهم للحرب ويعترف الامريكان بأن تذبذب المسئولين المصريين والسعوديين الأخير يقلقهم وان كان يحمد لهم تماسكهم رغم ما جرى في اسرائيل .. (مذبحة المسجد الاقصى) واضافت إن مهمة بيكر مهددة تماما إن صحت التقارير الواردة من بغداد بأن موسكو وباريس مستعدتان لبدء مفاوضات مع صدام اذا ابدى مجرد نية في الانسحاب من الكويت... واستنتجت ان المؤشرات تكذب ما تردد عن قرب الحرب أو أن قرارها قد أتخذ بل على العكس فإن الهدف لايزال تفاديها بتصعيد خطرها ..» [٢٥]

واتهمت النيويورك تايمز الرئيس بوش بأنه يقود البلاد للحرب دون أن يقنع الامريكان بوجود خطر على مصالح امريكا يوجب الحرب فقالت افتتاحيتها :«الشعب الامريكي يريد أن يعرف اسباب الحرب التي يبدو أنها قد تكون على بعد اسابيع وتحمل خسائر فادحة.» وعددت مصالح امريكا واثبتت ان صدام لا يشكل خطرا عليها .ومما قالته ان «كل اصدقاءامريكا لا يريدون ان تنتهي الازمة وصدام في موقعه ولكنهم ايضا لا يريدون ان يتورطوا في هجوم امريكي ضد شعب

عربي وان امريكا لو ضربت العراق فربما يسمم ذلك علاقة امريكا بالعرب لعشرات السنين.»[٢٦]

ومع كل اجراء للحرب كانت الصحافة الغربية تحرص على تضخيم انباء الخلافات وتراجع أو رفض الامريكيين للحرب .فعندما سافر بيكر الى السعودية وقالت الصحف انه ذهب ليشد من عزيمة السعوديين ويمنعهم من التراجع عن اختيار الحرب .وتحدثت هذه الصحف عن انهيار الجبهة الداخلية الامريكية، فقد تسلم الرئيس بوش ما وصفته الاندبندنت : «اول تحذير خطير للرئيس لكي يتجنب استخدام القوة العسكرية لحل الازمة في الخليج وذلك في شكل بيان وقع عليه ٨١ ديموقراطيا من اعضاء مجلس النواب قالوا فيه إن الأنباء تفيد ان القوات الامريكية تحولت من وضع الدفاع الى وضع هجومي في الخليج وان الحرب قد تكون قريبة . » وقالت الصحيفة ان «عددهم يدل على التحول الكبير ضد الحرب في الكونغرس ويشكل تحديا للرئيس لأنهم طلبوا موافقة الكونغرس على اعلان الحرب قبل ان يقوم بوش بعمل عسكري.» [٢٧]

وفي النيوزويك نجد نغمة التحريض ضد الحرب فقد والت نشر رسائل لقراء من جميع انحاء العالم ضد الحرب وضد ال صباح وسوريا .. وقالت ان كل الناس يعتقدون ان امريكا قادرة على ضرب صدام وانها تضيع الوقت ولكن ذلك ليس صحيحا.. » [٢٨]

وقد ذهبت صحيفة الهيرالد تريبيون الى ان بوش لا يتمتع بتأييد في قرار الحرب ضدالعراق لا داخليا ولا عالميا (١١/٨).

الواشنطن بوست ترى ان الموافقة التي حصل عليها بوش من الكونغرس هي موافقة دفاعية فقط وقد غير بوش مهمة القوات في غيبة الكونغرس (١٣نوفمبر)وتقول الهيرالد تريبيون ان «الشعب الامريكي لا يعرف لماذا يحارب»(١١/١٤)

واكتشف زعماء الكونغرس أن تحرير الكويت «لا يمثل مصلحة حيوية امريكية ولا أن بوش يحمل تفويضا بالحرب » .. وتقول انباء امريكا ان «القادة السياسيين والحكوميين والاساتذة المتخصصين يناقشون الآن هل مصالح الولايات المتحدة في المنطقة تبرر حربا مع العراق بخسائر لا يمكن تحديدها؟! واصدرت مؤسسة CATO تقريرا يؤكد أن الولايات المتحدة لا مصالح حيوية لها في المنطقة تستحق الحرب من أجلها . وان طرد العراق من الكويت لا يستحق التضحية ولا الخسائر المتوقعة» [٢٩]

وقبل اجتماع بوش بالكونغرس يعلن زعماء الاغلبية الديموقراطية الذين انضم إليهم اعضاء بارزون من حزب بوش الجمهوري يعلنون « ان على بوش ان يشرح اولا لماذا يشكل تحرير الكويت ، مصلحة امريكية ؟ ! وقالوا انه « بوش لا يملك حق اعلان الحرب.. » [٣٠]

حتى رئيس الاركان الامريكي الذي حاول تبرير الحرب اعترف بأن «الكويت بلد صغير جدا ولا نعرف موقعها على الخريطة ولو أن لديها الكثير من النفط »

وصدرت في ذلك الوقت العبارة التي تقول لو كانت الكويت تنتج الجزر فقط لما اهتم أحد بتحريرها !

وتنشط حركة سلام في بريطانيا .. فقد نشرت الجارديان بيانا من ١٧ عضوا في مجلس العموم.. قالوا فيه « نحن نعتقد أننا لا نستطيع الجلوس مكتوفي اليدين بينما حكومتا بريطانيا وامريكا مستمرتان في رفض المطلب العالمي في تسوية سلمية للأزمة في الخليج هذا المطلب الذي يعكس التحول في نظرة الرأي العام في امريكا واوروبا والذي تعبر عنه الاستفتاءات .ان الحكومة يجب أن تستجيب لتحول الرأي العام» [٣١]

ونشرت الصحف عن مجموعة تسمي نفسها فرقة السلام للخليج يقودها يوسف إسلام وهو الذي كان كات ستيفنس مغني البوب السابق الذي اسلم ونصب نفسه فقيها وقائدا للمسلمين الذين لا يقودهم الا مسيحي أو على الافضل مسيحي سابق ..وقيل ان هذه المجموعة « تنوي اقامة معسكر سلام على الحدود بين السعودية والكويت . تضم ثلاثين مسلما كما سيرسلون مجموعة للعراق تشمل المناضلة من اجل السلام « بات آرو سمث » لاعداد المعسكر الذي ينوون ان يجعلوه دوليا وقد صرحت بات أنهم مستعدون للسحق بالدبابات أو الغاز.» [٣٢] وعندما نشبت الحرب جمعوا في شناحة ولم تصدر منهم كلمة احتجاج !

وقال السناتور دوض ان الرئيس بوش يتجه للحرب وان ذلك خطأ ولن يجد التأييد الذي يتوقعه من الكونغرس . وقالت الاندبندنت: «ان الديموقراطيين يطالبون بوش بالحصول على موافقة الكونغرس الكاملة قبل الحرب وزعمت ان الرسميين في القاهرة اكدوا ان مبارك وفهد والاسد سيجتمعون في القاهرة لمناقشة دور القوات المصرية والسورية في السعودية في حالة الحرب مع العراق . وان المصادر الدبلوماسية العربية في الامم المتحدة تقول إنه يجري دراسة خطة تسمح

للعراق بسحب قواتها مقابل إلغاء الحظر ومفاوضات مباشرة بين العراق والكويت وانشاء قوة حفظ سلام على الحدود بين البلدين.» [٣٣]

افتتاحية النيويورك تايمز ترى «ان الحرب مع العراق فادحة الثمن حيث يتحمل الامريكان الجانب الاكبر من الخسائر .اما المخاطرة بحرب امريكية الطابع فلن يغفرها العرب لأمريكا وحتى في الهزيمة فالشارع العربي سيتوج صدام شهيدا .»

ونقلت التايمس عن مصادر اسرائيلية «ان التشقق ظهر في التحالف ضد العراق في الوقت الذي بدأ فيه التصعيد للحرب في الخليج وحدد الاسرائيليون سوريا كالحلقة الضعيفة وقالوا إنه إذا اشتركت اسرائيل في الأزمة فسيتحالف الاسد مع العراق وانه اذا نشب القتال فإن مصر أو سوريا لن تقاتلا في الكويت بل إن اقصى ما ستقومان به هو اتخاذ موقف دفاعي في السعودية.» (١١/١)

ونشرت الجارديان خطابا من ٢٣ نائبا في البرلمان البريطاني ينتقدون لهجة الحرب التي تحدث بها المسز تاتشر وبوش وقالوا ان أي عاقل يسمع هذه التصريحات يتوقع الحرب عاجلا، إن هذه الحرب كارثة وقد تدمر المنشآت النفطية وطالبوا بمبادرة عربية.

وقد اشار استطلاع رأي اجرته مجموعة ICR في امريكا الى ان غالبية الآراء تفضلها هكذا : «لا حرب ولا سلم ٦٢٪ يؤيدون معالجة بوش للأزمة و ٣٨ ٪ مع الحرب و٥٦٪ يطالبون بالمفاوضات » [٣٤] وفي استفتاء لصحيفة لوس انجلوس تايمز ٥٣٪ من الامريكان ضد الحرب لتحرير الكويت و٣٨٪ معها والباقي لا يعرف أين تقع الكويت .

قالت النيويورك تايمز : «إن ثلثي الشعب الامريكي يشترطون ان يعلن الكونغرس الحرب لا الرئيس وحده وارتفع عدد اعضاء الكونغرس الذاهبين للقضاء لاقرار هذا المبدأ الى ٤٥ عضوا.» (١١/٢١)

وينصب سيرك لجنة تقصي الحقائق التي شكلها الديموقراطيون من اعضاء الكونغرس لسماع شهادات العسكريين والسياسيين الامريكيين غير الرسميين في السؤال الذي طرحه رئيس اللجنة سانور نن NUNN رئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ عندما قال ان الحرب في الخليج مشروعة ولكن السؤال هو : هل من مصالحنا الحيوية تحرير الكويت وهل من الحكمة أن يتم ذلك الآن ؟!

وهل يجب أن تمتد اهدافنا العسكرية خلف إعادة السيادة الكويتية لتشمل القضاء على عناصر القدرة العدوانية للعراق وباللذات جهودهم الذرية الجارية حاليا ؟

ويرقص الزعيم على انغام الشهادات المتتالية وكلها تقريبا ضد الحرب ، وقد كتبنا وقتها نقول: « إذا كان مثيرا لأعصاب الكويتيين أن يبحث الامريكان الآن في حكمة تحرير الكويت بعد أربعة شهور وحشد نصف مليون عسكري .. فإن من عوامل سرور بغداد ان معظم الشهادات حتى الآن ضد الحرب باستثناء كسينجر الذي يطالب بتحجيم العراق حفاظا على توازن القوى في المنطقة ، وهذا وحده يخدم الدعاية العراقية. وقد عبر نواب جمهوريون عن احساسهم بان اجتماعات اللجنة تجري على هوى صدام حسين. قال السناتور كوتاس الجمهوري عن انديانا وانهم ألعوبة في يد صدام بهذا التقصي فأي قيمة تبقى للتهديد بالحرب اذا استمع صدام لهذه الشهادات واستنتج انها مجرد تهويش لن ينفذ ابدا .. اذا قرر الكونجرس ان تعطي الحصار فرصة سنة أو سنتين ألا يبطل هذا مفعول التهديد العسكري .. !؟ »

وكلام السناتور منطقي جدا وشهادة له بأنه خارج العصابة ، فإذا كان الهدف من الحصار الاقتصادي والتهديد العسكري ، تخويف صدام لكي يخرج من الكويت سلما ودون حاجة للقتال ، فإن إعلان فقدان الولايات المتحدة لإرادة القتال ، سيبطل مفعول التهديد وسيدفع صدام للاسترخاء والبقاء في الكويت ، فلا شئ يخيفه ويدفعه للانسحاب الا اقتناعه بجدية التهديد الامريكي بالحرب .. صحيح ! ولكن هذا هو عين ما تريده أمريكا ، خداعه لكي لا ينسحب حتى يمكن تنفيذ خطة الحرب . والى أن تتم استعدادات القتال سياسيا وعسكريا ، شنت حملة التضليل هذه، بالتشكيك في قدرة واشنطن على اتخاذ القرار ..

وقد طالب وزير دفاع سابق واثنان من رؤساء الاركان(الادميرال وليم كراو والجنرال دافيد جونز) اللذان رغم تقاعدهما فإنهما ـــ كما قيل في الصحافة الامريكية ـــ يتمتعان باحترام المؤسسة العسكرية الامريكية بل ويعبران عن رأيها .. طالبوا في شهادتهم أمام اللجنة باعطاء فرصة للحصار ولو لعام ونصف. وقالت النيويورك تايمز ان شهادتهم لها ثقلها لأنها تعبر عن رأي تيار قوي داخل المؤسسة العسكرية [٣٠] .وان قائدي القوات الامريكية في الخليج والمارينز طالبا أيضا بعدم الاندفاع في الحرب واعطاء الحصار وقتا أطول ليعمل .

وظهر مناصرون لصدام بين الدبلوماسيين الامريكيين السابقين طبعا فقد القى اكينس AKINS السفير الامريكي السابق في السعودية محاضرة في مركز الدراسات العربية بجامعة جورجتون اخذ فيها جانب العراق الى حد كبير قال :

• الكويت تعهدت ـ لأسباب لا يعرفها ـ بالحفاظ على سعر النفط عند ١٨ دولاراً وأشار إلى تصريح كويتي في نيويورك قبل الغزو وعد بأن تزيد الكويت وأبوظبي الانتاج لخفض السعر اذا ارتفع عن ١٨دولارا . ولكن في اجتماع يوليو ضغطت السعودية وايران والعراق على الكويت وابوظبي لاحترام حصتهما وارتفع سعر النفط الى ٢١ دولارا.

• اصرت الكويت على استرجاع ديونها على العراق .

• نفى ان يكون صدام قد فكر في غزو السعودية .

• وقال ان اسرائيل تقود امريكا لتحطيم العراق وأن ذلك في مصلحة اسرائيل لأنه اهم دولة عربية. وقال أن امريكا يجب ان تقبل استفتاء تجريه الامم المتحدة في الكويت. وان السفير السعودي في واشنطن يأخذ بالحل العسكري .»(١١/٢١)

حتى داخل القوات المسلحة الامريكية كانت الصورة التي وصلت للمهيب مشجعة فقد نقلت الصحف ان بوش الذي زار الجنود في عيد الشكر في السعودية ، حرص على ان يتجنب المظاهرات ضده ومن ثم فإن الجنود الذين اجتمع بهم واكل معهم الديك تم اختيارهم واعدادهم لعدم استفزاز الرئيس بطلب العودة. . ونقلت الصحف وجود معارضة بين الجنود يتزعمها متخصص في اللغة العربية رفضوا الاحتفال واكد المتحدث باسمهم حق العراق في الكويت وان كان قد رفض ممارسات العراق هناك وقال إن عندهم صورتين يصفقان عليهما :وهما لبوش وصدام. .»(١١/٢٣)

ومن ساواك بنفسه فما ظلم !

وبينما ينطلق بوش وأبرع دبلوماسي أمريكي (بيكر) في انجح حملة دبلوماسية في التاريخ ، نجد الصحافة الغربية تخفف الأمر على صدام فتصورها له كفشل مزرفصف صحيفة بريطانية رحلتهما بأنها حققت «نكسة لاستراتيجية بوش في الخليج » «فبعد اسبوع من دبلوماسية مكثفة اعترفت الحكومة الأمريكية انها لم تحصل على الأصوات اللازمة لإمرار قرار باستخدام القوة وربما كان عليها ان تنتظر لبداية العام القادم. . »[٣٦] وسخرت الجارديان من «زيارة بيكر الفاشلة في

اليمن التي جعلته يتوجه لكولومبيا ثم ماليزيا . . » وقالت إن « بريطانيا وأمريكا فقط موافقتان على القرار ، أما فرنسا وروسيا فقد وافقتا لكن يريدان المزيد من محاولة الحل السلمي . . ولا مؤشر على موافقة الصين على استخدام القوة » ٣٧

وكنا على بعد أيام من الموافقة على استخدام القوة بما يشبه الاجماع !

ووصل الامر إلى حد سب الدول الخليجية والتأكيد ان العراق اقرب الي الغرب وهذا صحيح . . قالت الصنداي تايمس خلال استعراضها لرحلة الرئيس بوش واحتفاله بعيد الشكر في المملكة مع جنوده . . انه يحاول في باريس كسب تأييد عالمي ، بينما يحاول برحلته في المملكة والتي رتب لها حملة إعلامية ضخمة ان يكسب تأييد الأمريكيين في وطنه ، الذين يتحولون بسرعة ضده . وقالت ان استطلاعات الرأي اظهرت ان نصف الشعب يعارض الحرب والكونغرس اعطاه تحذيرا بأنه لن يقبل انفراده بقرار الحرب . . وان قرار مضاعفة القوات يشك في انه اخاف صدام ولكنه بالتأكيد اخاف الأمريكان . وقالت إن بوش فشل في أن يوضح سببا واحدا للحرب وأن زعماء الديموقراطيين يطالبون الكونغرس بوقف ميزانية درع الصحراء حتى يقنعهم بوش بسبب تحولها الى سيف الصحراء أي اتخاذها وضعا هجوميا . واضافت الصحيفة ان بعضا من اعضاء الكونغرس سيرفعون دعوى على الرئيس لمنعه من شن حرب دون موافقة الكونغرس . حتى زعماء الكونغرس من الجمهوريين مثل السناتور ريتشارد لغار من انديانا طالب الرئيس بالرجوع للكونغرس . وهنري كسينجر نفسه حذر من هجوم بري على الكويت لأن الأمريكان لن يتحملوا الخسائر . واضافت الصحيفة ان الرئيس بوش يواجه مشكلة اخرى وهي أن الإعلام الأمريكي بدأ يسأل: هل تستحق الكويت والسعودية الدفاع عنهما؟! بينما ربع مليون فتى أمريكي يتصببون عرقا في الصحراء فإن عدد الكويتيين في المنفى الذين انضموا للقوات التي ستحرربلدهم لم يتجاوز السبعة الاف فقط ، وتعيش العائلة المالكة الكويتية في بذخ في شيراتون الطائف . . وبدأت تظهر مقالات عن الطبيعة القمعية للمجتمع السعودي . وفي الاسبوع الماضي أثار قرار وزير الداخلية باستمرار منع قيادة السيدات غضبة عارمة في أمريكا (اج) والصحافيات المرافقات للرئيس غضبن من التعليمات حول طول الجونلة ومنع البنطلونات المحزقة وصحن: «من الذي يخوض هذه الحرب؟!» وختمت الصحيفة بقولها « اذا لم يتحرك بوش فقد ينحصر اتجاه عقد صفقة مع صدام . » ٣٨

ولادخال السرور والغفلة على ديكتاتور بغداد لم يقتصر الانشقاق على صحيفة الحياة والقاسي بل ظهر منشق آخر في قطر ! يكتب في صحيفة القدس العراقية الاتجاه ، التي لا تخفي عداءها لقطر ودول الخليج، فنشرت «القدس» مقالا لمن وصفته بالسياسي والمفكر القطري المعروف الذي يرأس المكتب العربي للدراسات والاستشارات بالدوحة . وهو د. على خليفة الكواري (وهي عائلة كبيرة في قطر ومنها وزير الاعلام والمدير لمكتب الأمير لسنوات طويلة وعضو مجلس أمناء في أحد اقسام جامعة جورجتاون «الكاثوليكية»ج) ونشر المقال في القدس بالذات والترحيب به له مغزاه .

وقد أكد الكواري المنشق «على ضرورة الحل السياسي عن طريق جهد عربي أو إسلامي أو دولي متجرد لأنها لو حسمت بعمل عسكري أمريكي فإن الدمار المادي والمعنوي هو مصير العرب أجمعين . لا يجوز لمن يؤمن بعدالة قضية الكويت أن يركن إلي حرب أمريكية مدمرة للعرب . إن شعب العراق أو شعب الكويت لا يمكن أن يربح أي منهما فيما تخسر الأمة العربية جمعاء، لولا فقدان العرب الحياة السياسية والديموقراطية وافتقارهم الى احترام حقوق الإنسان لما كانت أزمة الخليج لتقع أصلا . ودعا لمؤتمر عربي من القيادات الاهلية .»[٣٩] ومن داخل قطر دعت صحيفة جالف تايمز التي تصدر في قطر دول الخليج وايران للعمل على التوصل لحل لأزمة المتعلقة وقالت الصحيفة إنها تأمل في مبادرة قوية لتفادي الحرب وانسحاب العراق »[٤٠]

وبدا كأن كل الرياح تهب في شراع الزعيم وأن بطولات ١٩٥٦ تتكرر وبسرعة اكبر . . ناصر أسقط إيدن (على ذمة الاعلام الناصري) بعد الحرب اما صدام فأسقط تاتشر قبل ان تبدأ الحرب!! وهلل العراق فصدر بيان باسم الحكومة العراقية قال « إن أزمة الخليج دفنت تاتشر تماما كما دمرت أزمة السويس ١٩٥٦ إيدن .» وقال لطيف جاسم وزير الاعلام العراقي والذي يستحق ان يدخل التاريخ بلقب ذو القفين أو لعله الوحش الذي قال عنه شكسبير انه بظهرين، قال جاسم : «إن تاتشر ستذهب الي الجحيم وان كل من يعارض العراق سيذهب للجحيم وتنبأ لتاتشر بأنها ستقضي شيخوخة مؤلمة »

_ بينما كشفت الهيرالد أحد اسباب سقوط تاتشر وهو أن انفعالها وعجزها عن اخفاء حقدها على العراق يهدد بحرق اللعبة ، لعبة تخديره ولعبة كسب عطف الرأي العام وبالذات في اوربا

وبالطبع سقوط تاتشر له أسبابه الكثيرة ، ولكن لا بأس من تأمل رأي الهيرالد التي قالت : «مهما يكن الذي سيخلف تاتشر فإن بريطانيا ستبقى على خطها المتشدد بالنسبة للعراق إلا أن بعض المسئولين في لندن يقولون إن هذا الموقف البريطاني اذا ما عرض بصخب اقل وتجنب الحدة في الألفاظ فربما ساعد ذلك على نجاح بريطانيا في كسب تأييد اوربي اكبر في قضية الخليج .» [41]

واستمرت « القدس » تخرج لسانها للذين يحذرون من الحرب ، بل كادوا يفشون سرها حرصا على العراق .. تغيظهم الصحيفة فتحدث عن محادثات واتصالات زعمت ان بريماكوف اجراها مع صدام حسين فقالت :« ان لقاء بريماكوف وصدام حمل الاشارات اللازمة من أن الحرب في الخليج غير واردة وأن ما يبدو تحت الطاولة من مفاوضات مباشرة وغير مشروطة سيؤدي الي حل منشود »وزعمت ان بريماكوف حمل من السعودية ومصر اقتراحا بعقد قمة عربية في بلد عربي محايد يحضره الجميع ومع تقديم ضمان سعودي أمريكي بتلبية شروط العراق في الجزر وشطب الديون .. وزعمت الصحيفة ان صدام رد بقوله: ان هذا العرض وصله من السعودية قبل شهر ولكن العراق مستعد للانسحاب من الكويت مقابل اتفاق استراتيجي مع الولايات المتحدة اتفاق أمن سياسي واقتصادي، وقال إنه يوافق على خفض القوات العراقية وتقنين الأسلحة التقليدية على ان يفرض ذلك على الجميع فيشمل اسرائيل وتركيا وايران (كثر خيره لم يشترط تطبيقه على أمريكا!) ويحل مشكلة المياه مع تركيا وعلقت الصحيفة «ان اهم ما في هذا الحوار انه يدور الان حول شروط التسوية وليس مبدأ التسوية وهو تطور مهم سيقود إلي تفاهم في مرحلة لاحقة.» [42] هل صحيح نشر هذا الكلام في الصحف المناصرة للعراق .. هل ضلل بريماكوف صدام حسين إلى هذا الحد .. وهل لعبت المخابرات الأمريكية بالزعيم فدست من جعل له البحر طحينة وزرع له فوق السطوح حتى تمكنوا منه فحلقوا لحيته !أما موقف الصحيفة التي نشرت هذا الكلام ، فيستحق وقفة ، فهي إن لم تكن ضالعة في اللعبة فذلك يعني أنها كانت مقتنعة أنه لا حرب ولا ضرب ولا جهاد بل صفقة ستعقد بين أمريكا وصدام ، «صفقة استراتيجية» ومن ثم ينالهم من الحب جانب. .أي أنه كان موقفا انتهازيا صرفا لا ثورية فيه ولا كرامة .

صدام المرعب .. كامل الأوصاف!

هذا الحشد الاسطوري الذي اشرنا اليه كان يحتاج لمبرر، لتغطية .. وقد تحقق ذلك بحملة التهويل في قوة العراق ، كما ساعد هذا التهويل على اقناع العراق وانصاره بأن الولايات المتحدة تخوف من مقاتلة صدام ، ولذلك ستميل الى تسوية معه ، وأن المساومات والمفاوضات والوساطات قائمة على قدم وساق .. اتقاء لشر محاربة صدام ! تلك الحرب التي زعموا انه إن لم ينتصر فيها النشامى العراقيون ، فعلى الاقل لن ينتصر فيها أحد بل ستنزل بالطرفين خسائر فادحة مهولة لا يتحملها نظام ديموقراطي مثل النظام الأمريكي.

واذا استرجعنا وقائع الحرب ، التي وصفت بأنها كانت من جانب واحد ، فإما أن صدام منع جيشه من القتال تماما أو أن هذا التهويل كان مكذوبا من الأساس ، واشترك فيه الاعلام الغربي عن جهل أو عن تواطؤ ، ويمكن أن نضيف هدفا لحملة التهويل الكاذبة هذه، وهو رغبة الولايات المتحدة في ابتزاز المال من الدول التي لم تشترك عسكريا مثل المانيا واليابان وكذلك من السعودية والكويت مقابل الأهوال التي تنتظر الفتية الأمريكان!

وكان الرئيس حسني مبارك أول من تنبه واستراب في هذا التهويل ، بحكم موقعه ومعرفته بالعراق وأيضا لأن هذا التهويل تلقفته صحافة العراق وأطعمته للجماهير المطحونة تحت رحى اليأس والهزيمة التاريخية امام الغرب فتعلقت به .. هذا التهويل استخدم للتأثير في الجبهة الداخلية في مصر ..وقد صرح الرئيس مبارك لصحيفة الفيجارو الفرنسية بـ «ان وسائل الاعلام الغربية تبالغ في وصف التهديد العراقي وتظهر العراق على أنه دولة عظمى من الناحية العسكرية وأضاف انه لا يصدق كلمة من ذلك»

ونقل بريماكوف عن الأمير بندر قوله :« انكم تبالغون جدا . وأنا طيار حربي واستطيع ان أؤكد أنه في حالة انزال ضربة – اذا ما رفض العراق الانسحاب – فستكون اشبه بعملية جراحية.»[٤٣]

وقد تبين صدق الرئيس مبارك وأيضا حكمة المهولين .. إذ أكل صدام الحشيشة وانتشى معه المؤيدون.. وحشدت أمريكا مظاهرتها العسكرية.

وفي الاسبوع الاول من اكتوبر نشرت «التايم» تهويلا لاخطار الحرب فقد زعمت ان العراق يستطيع الحاق ضرر بالغ بحقول النفط ومحطة الضغط في ابقيق بالمملكة ومركز الشحن في راس تنورا بصواريخ من الكويت تحمل أسلحة جرثومية وان ذلك يعني خراب العالم الصناعي !! اذ يمكن ان يصل سعر البرميل إلى مائة دولار ! بل واستمرت المجلة في التهويل من خطر الحرب فقالت ان خسائر أمريكا قد تصل إلى اربعين الفا مابين قتيل وجريح .. وأن الارهابيين سيشنون هجمات واسعة في اوروبا واليابان بل مضت في تهويلها إلى حد تصور طائرة ارهابية تنشر الميكروبات في سماء واشنطن لحساب صدام..!

وقيل ان العراق قد درب مائة ألف متطوع للقيام بعمليات انتحارية بحرا وجوا .

بل ونشرت الصحف ان « البنتاجون طلب على وجه السرعة ١٦٠٩٩ كفنا للقتلى المحتملين في حرب الخليج »[44] ولم يقدم أي تفسير لهذا الرقم الغريب ! وقد علقنا وقتها : لعله شفرة موجهة لبعض العناصر التي تعمل خلف الخطوط !

« صدام استخدم ثروته النفطية لبناء سادس قوة عسكرية في العالم »[45] « ان التوازن العسكري العراقي / الأمريكي يشبه توازن الردع النووي الذي حفظ السلام العالمي ومن ثم فقد يبعد الحرب »[46]

وهذه المعزوفة أو الأكذوبة عن تكافؤ القوى الذي سيمنع الحرب ، تلقفتها جريدة «الشعب» المصرية ورددتها ، بل حاولت ان تدخل في روع قرائها ان إيران ستتحالف مع العراق وتحارب معه! وقد نشرت أنا في ٩٠/١٠/١٣ ردا على هذه المزاعم تحت عنوان : «الاتجاهات الإسلامية من صدام لحزب العمل !» قلت فيه بالحرف الواحد:«انتفاضة الإسلام في القدس اثبتت ان الشعب الفلسطيني وحده هو الذي يفرض قضيته على العالم وليست مغامرات صدام حسين ولا ابتزازه .. كما اثبتت ان الإسلام هو المحرك الثوري الأصدق ؛ فخلال مغامرة صدام التي استمرت اكثر من شهرين إلى الآن لم تقع حادثة واحدة في فلسطين المحتلة بل قال الاسرائيليون علنا إن هذه المغامرة قد انهت الانتفاضة. ولكن محاولة الاعتداء على المسجد الاقصى فجرت مقاومة الشعب الفلسطيني واعادت اهتمام العالم والتفاف العرب والمسلمين حوله .. ورغم أن ذلك كان ولا يزال يشكل فرصة مناسبة ليعلن العراق انسحابه من الكويت واعلان الجهاد في سبيل المسجد الاقصى إلا أن

الحكم العراقي ومؤيديه حاولوا توظيف الدم الفلسطيني لإطالة احتلالهم للكويت واراقة المزيد من الدم العربي ..

« وأريد اليوم ان اقف عند نقطة خطيرة وردت في تحليل لأحد المؤيدين لصدام عن الوضع في الخليج فهو يقرر أن الحرب مستحيلة ...لماذا : « لأنه بعد الدراسات المتأنية ثبت للجميع ان هناك توازن رعب حقيقي بين القوات الأمريكية من ناحية والقوات العراقية – الايرانية من الناحية الاخرى وثبت ان الحرب تكاد تكون مستحيلة الا اذا فقد احد الجانبين عقله وقرر ان يدخل معركة إبادة لنفسه وللجانب الاخر ..» (عادل حسين–الشعب)

وقلنا : حكاية الجيش العراقي شرطة (–)الايراني ذكرتني بنكتة «مين ينخش لي أنا وعم مشمش ..» سنغض الطرف عنها فهي مما لا يليق ذكره ولا مناقشته ، فلا أحد يقول إن الجيش الايراني سيقاتل الأمريكان مع الجيش العراقي ،وهو يتلمظ في انتظار الوليمة التي ستعقب إعلان الخليج أرضا مباحة ..ألم تسمع تصريح رفسنجاني بأنه يرفض وسيمتنع أي تنازل كويتي للعراق ، ولو بعد الانسحاب ..اذا كنت تتوسط وتوجه وتنصح رئيسنا بتعديل « سياسته الخاية » وأنت لا تسمع تصريحات حكام إيران .. فهذا خيابة!!وان كنت سمعت وأخفيت ذلك عن قرائك وجئت تغرر بهم فتكتب هذه العبارة:«الجيش العراقي – الايراني »لادخال الغفلة على العرب والمسلمين ، فهذا اسوأ من الخيابة إنه يرفع نقطة خيابة إلى حيث لا أحب أن أراها ولا أن انسبها لك .أو لعلك أردت ان تقول الجيش العراقي / الاردني فسبق الوهم القلم .. حتى لو اعتذرت بذلك فهو العذر الاقبح من الذنب فأنت تعلم ان جيش الاردن منذ ان وضع أسسه « المجاهد » جلوب بالتعاون مع «المجاهد » عبدالله بن حسين ، تعلم ان لهذا الجيش مهمة واحدة هي ابادة الشعب الفلسطيني وتسليم الارض لاسرائيل .وقد كان مثلك أحرى بأن يستريب من اول لحظة رأى نفسه يقف فيها مع الملك حسين الذي نشرتم في جريدتكم انه يقبض مرتبا شهريا من المخابرات الأمريكية!! أيمكن ان يكون هذا النشاط المحموم الذي يبذله الملك حسين لخير العرب والفلسطينيين..وهل تنبت الوطنية فجأة وبعد أن بلغ ارذل العمر؟!

« نعود لحديثنا .. تقول ان العراق قادر على إبادة ربع مليون عسكري أمريكي وخمسين الف عسكري اوروبي وخمسين الف عسكري عربي ومائة الف سعودي ... الخ يحتشدون تحت

اكبر مظلة من التأييد العالمي في تاريخ الجنس البشرى ..

« لماذا تغرر بحاكم العراق وشعب العراق وجيش العراق .. لماذا تغري أمتنا بالانتحار .. نعم الانتحار لأنها معركة الخاسر فيها هم العرب .. اين سيضرب العراق ضربته وعلى من تنصب تهديداته ..لا في واشنطن ولا تل ابيب ، بل في قلب العرب وارضهم .. تهددنا بافناء الكويت أو بتعيرك الوحشي « شطبها تماما من الخريطة » «وابار النفط في كل المنطقة معرضة لدمار كبير وآبار الكويت بالذات ستكون غير قابلة للاصلاح ..»

يا فرحتنا بقوة العراق التي ستضرب ضربتها في قلب العرب .. لماذا تدمر نفطنا وتدك بلادنا.. هل عندما تصبح لدولة عربية القوة على ردع أمريكا يكون اقصى جهدها ان تفترس جارتها العربية ؟! لماذا لا يوجه العراق ضربة الإبادة هذه لاسرائيل.. فيلتف حوله العرب والمسلمون ولواشتهى الكويت وقتها لأنه منقادة تجرجر اذيالها هي واخواتها.. لماذا اكتفى بعد مذبحة الاقصى بإنذار إذاعي وصاروخ الاحجارالموعود الذي ذكرنا بأسلافه من القاهر والظافربينما ارسل الدبابات للجهرة وقصر دسمان .. هل عندما يصبح لدى العرب قوة قادرة على إبادة أمريكا والغرب تكتفي بشطب الكويت من الخريطة.. ؟! لماذا لم يزحف صدام عبر الأردن المجاهد ويحتل قطعة من اسرائيل ثم يطلب الحل الشامل لمشاكل الشرق الاوسط ..هل سمع احد في التاريخ أو في مستشفى المجاذيب عن لص اقتحم منزلا وخطف ابنا فقام الأب قوة العائلة بخطف بقية اولاده ، وهدد إما افراج الحرامي عن ابنه أو يقتل هو الابنين الثاني والثالث ويشطبهما من الوجود؟! هل يعقل كلما احتج الناس على ابادة العراق للكويتيين كان الرد: واشمعنى اسرائيل تبيد الفلسطينيين !!أننا لن احدثك عما تجمع عليه المصادر العالمية والمنظمات الإنسانية عن تعذيب وحشي وابادة منظمة لشعب عربي على يد سلطة عربية ، فأنت تعلم بها وتسكت عنها . بل انت تعلم انها نسفت أي امل أو حتى حلم في وحدة عربية أو امة عربية حتى يفنى هذا الجيل الملعون الذي ايد هذه الجرائم أو حتى سكت عنها . والعجب العجاب انك تشنع على دول الخليج فتقول انهم وافقوا أمريكا على التعاون مع اسرائيل بعد انتهاء الأزمة.. لا يا سيدي ابشرك انه فور انتهاء هذه الأزمة بل وربما قبل انتهائها ستوقع بعض الدول العربية معاهدة حماية مع اسرائيل وبموافقة جماهيرها .. والفضل لصدام العرب !! ..انت تعلم ان الشعب الكويتي لا يغفر لآل صباح انهم

رفضوا عرضا بالحماية الأمريكية قبل الغزو بأيام ، وبعضهم قال علنا انه يتمنى لو خلصته اسرائيل . . عندما تكون العروبة هي الشطب من الخارطة بالحديد والنار بالتعذيب وقتل الأطفال بالتهجير الجماعي فلا تحدثهم عن العروبة ولا تبتز وطنيتهم ولا تفترض أنهم أكثر وطنية منك حتى تطالبهم بالتضحية بوطنهم وحياتهم لكي يفوز العراق بحقل الرميلة . . ١٢» [٤٧] بحروفه .

إن كان مؤسفا أن تبدو لنا الصورة بهذا الوضوح في أكتوبر ، ثم يستجيب الغوغاء لتضليل المضللين، فإن الكارثة الحقة هي أن يستمر المضللون بلا حياء في مراكز القيادة بعدما أوردوا العراق والأمة العربية موارد التهلكة .

ومن نماذج تعمية صدام عما ينتظره أن تصف جريدة الحياة الحرب القادمة بأنها «صدام عسكري واسع قد يؤثر على مصير البشرية » [٤٨] وتتحدث أخرى عن مليون متطوع جزائري للقتال إلى جانب العراق» [٤٩]

وانفردت صحيفة العرب تقول :« ابار النفط ستتحول إلى مناطق موبوءة لا يمكن ان يستغلها إنسان قبل خمسين سنة (!!) وان الدمار سيشمل كل المرافق العامة وخطوط المواصلات والمجمعات الصناعية ومن حقنا ان نتساءل أليس من الجنون ان نخرب بيوتنا بأيدينا من اجل الف ومائتي شخص هم مجموع أسرة آل الصباح [٤٠]» وقالت ان « الفرنجة بدأوا يفكرون في الدعوة المقترحة لتصفية كافة مشاكل المنطقة بداية من الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين والجولان والشريط الجنوبي في لبنان ونهاية بقضية الكويت .» [٥٠]

المضحك المبكي انه حتى بعدما سقطت ادعاءات صدام وسقط بالضربة القاضية بلا مقاومة..! خرجت صحيفة تقول : « لقد اخطأ الرئيس بوش عندما استهان بقوة العراق . . كيف سيكون موقف الملوك والرؤساء العرب اذا انتصر العراق» [٥١]

وكان تعليقنا يومها من كلمة واحدة : اذا . . !

وانضم للجوقة سياسيون مخرفون ومقامرون خسروا كل شئ وجاءوا يبيعون لشعوبهم صدام حسين البطل الذي سيقهر أمريكا ويردعها عن الحرب . . بن بللا بعد زيارة للعراق : «عاد إلى الجزائر ليدعو الجزائريين للتطوع للقتال مع صدام لأنه لو ضرب العراق العظيم أو صدام فلن تقوم لنا قائمة لمدة خمسين سنة . وقال إن العدو يستهدف العراق وفلسطين والشاذلي وبن بللا ومن معه .

وقال إنه وجد صدام على اتم استعداد للمعركة ورجل بأكمل الصفات لمثل هذه المهمات (صحيح ! ج) انه صاحب قرار وأنا اثق فيه . وان السلاح الذي يملكه العراق يشكل ردعا حاسما وان صدام سيضرب في كل مكان تصل اليه صواريخه.. وقال ان عنده المخرج السلمي من الأزمة ولكنه لن يبوح به الان.(ومازال يحتفظ بالسر ج !) وقال ان الاستعانة بالجيوش الاجنبية امر غير مقبول ومدان .واحتلال الاراضي المقدسة من قبل ٣٥٠الف جندي غربي لابد أن نحاربه بالاضافة إلى ان السعودية لم تكن مهددة من العراق ابدا [3] واضافت مجلة «العالم»انه يعتقد ان سقوط صدام مقدمة لسقوط القذافي وسقوطه هو شخصيا في الجزائر (ثاني) ![3]

ولم يكن بن بللا وحده الصوت المنذر من الجزائر بل اتحفنا جنرال اخر استغل فأفرط اقتناعه بأن اهل اكتوبر يفعلون أو يقولون ما بدا لهم فسيخفر الحرب لهم وهو الفريق سعد الدين الشاذلي الذي:«في حديث مع النشرة المحلية لوكالة الانباء العراقية اكد ان العراق سينتصر على أمريكا .» [4] وقد علقنا وقتها : وهذا يعزز مقولة أن نصراكتوبر كان معجزة الهية لا دخل للبشر فيها..

الهيرالد تريبيون نشرت تصريحا للقائد الأمريكي قال فيه ان مهمتنا هي الدفاع عن السعودية وليست مهاجمة العراق ولا الكويت المحتلة . وفسرت الصحيفة التصريح بأنه إما يعني أنه لا نية في الهجوم أو أن الخطة هي الدفاع عن السعودية ضد غزو عراقي»

كذلك زعمت الاندبندنت «ان العراق قد يمكنه التصدي لهجوم جوي أمريكي بصواريخ هوك الموجودة في الكويت !»

ونقلت CBS تهديدا من بغداد بنسف أنابيب النفط في ألاسكا !

وقال الجنرال نورمان : « ان الحرب مع العراق صعبة النصر وقد تستغرق ستة شهور (استغرقت مائة ساعة ج) وقيل «إن محاولات من لجنة الأمن القومي الأمريكية فشلت في تسجيل محادثات صدام مع معاونيه . فالقائد العراقي لا يستعمل التليفون ويعطي أوامره بالاتصالات الشخصية» [5]

ونشر« جيمس لوموين » من النيويورك تايمز مقالا من الرياض قال فيه « ان الأمريكان والاوربيين والسعوديين يتحدثون عن الخسائر الفادحة التي ستسببها الحرب.» [6]

بل امتدت دعاية التهويل في قوة صدام الى داخل إعلام التحالف المضاد لصدام فترى «الشرق الاوسط» وهي جريدة سعودية . تقع في لعبة تضخيم السوبرمان العراقي فنشرت قصة خرافية عن

عبقرية المخابرات العراقية فتحكي لنا عن رجل :«استخبارات زرعته بغداد منذ ١٩٧٨ ، رجل عراقي اخرس عاش في الكويت ونطق يوم الغزو وأرشد المهاجمين» وعلقنا على ذلك في حينه بقولنا :« وهي مبالغات واقاصيص جيمس بوند وهي مأخوذة من اسطورة اسرائيلية عن يهودي قيل أنه لعب نفس الدور في غزة سنة ١٩٦٧ ولا معنى لها وكان الاجدر بالعراق أن يحمي طائراته من الهرب لاسرائيل أو منشآته النووية أو العالم المصري الذي سلمه لمخابرات اسرائيل فقتلته ..»

ومن وقت مبكر جدا رددت « الحياة » معزوفة العراق الجبار وانذرت فاقحمت دعاة مقاومته من الغرب.. .فأنذرتهم انهم سيجلسون على ماسورة بنادقهم !

افردت «الحياة» مساحة كبيرة لنشر تفاصيل السلاح الرهيب الذي يملكه العراق والذي اشارت اليه « لوس انجلز تايمز» وتلقفه الاعلام الغربي في اطار حملة التهويل التي يشنها هذا الاعلام بالمبالغة في قوة العراق . وقد وصفت « الحياة » هذه القنبلة بأنها : «تندرج ضمن اسلحة الدمار الشامل » وبعد ان حللت تركيب هذه القنبلة قالت :«انه لا وسيلة لمقاومتها وان تأثيرها يمكن ان يشمل مساحة كبيرة تصل إلى بضعة كيلومترات تعادل الأسلحة النووية الصغيرة مما يجعلها فعالة خصوصا ضد المباني والمنشآت العسكرية والصناعية وحقول انتاج النفط وتكريره والجنود ناهيك عن تأثيرها الكبير على التجمعات السكنية المكتظة كالمدن »[٥٨]

وفي الحرب استخدمت هذه القنبلة ولكن ضد العراق ! ولم يقم دليل على امتلاكه أي قنابل لأن طائراته تبين انها اوز ايراني يطير فقط في اتجاه طهران!

« معلومات غربية واسرائيلية تؤكد تزويد الصواريخ العراقية بذخائر شديدة التدمير .»[٥٩]

«العراق على وشك ان ينتج قنبلة ذرية .. في نهاية ١٩٩١ أو بداية ١٩٩٢»

اكد« الفريق الشاذلي المقيم بالجزائر منذ عشر سنوات ان «خسائر الحرب مع العراق ستصل الى مائة الف جندي أمريكي .وستكون مدمرة للأمة العربية كلها »[٦٠]

مرة أخرى ربنا كبير وقف معانا في حرب اكتوبر .. وقد صدقت لأول مرة اتهام السادات له بأنه اصيب بانهيار عصبي بعد الثغرة !

ومن القاهرة ركب رئيس تحرير الشعب اعلى ما في خيله ورفض ان يشهر السيف بل اكتفى

بالسوط في تقريع أمريكا فقال : « الانسحاب غير المشروط وعودة اسرة الصباح..! إن إصرار الولايات المتحدة على ذكر هذه الامور بخبر وقاحة استفزازية.... (معلهش بابيه الأبيح يشتم الباشا ، واللي ما يعرفك يجهلك والحقيقة لكي لا تظلم بوش فهو لم يقل أن صدام سينسحب بدون شروط اعوذ بالله دي تبقى قلة أدب .. ما قاله بوش حرفيا هو: سيخرج صدام من الكويت بشلوت في مؤخرته واللفظة التي استخدمها بوش بالإنجليزية اكثر قبحا من مؤخرة بالعربية فهي ASSج) ان نتيجة الحرب هي احراق البترول كلية بحيث لا يكون في يد العراق أو في يد غيره.. الحل العربي هو ما قاله الامير سلطان والحل العربي يعني التوسط بين الطرفين العراقي والكويتي لكي يتنازل كل طرف عن بعض ما يتشبث به فتحقن الدماء وتتفرغ جميعا لاجلاء الأجانب ..»[٦١]

وثنت العرب في لندن :«المفاجأة ستكون كبيرة لبوش فالمواجهة ستكون فوق تصوره ولن يصدق عندما اقول انني ارى مئا ت الالاف من القتلى الأمريكيين انهم لا يعرفون ما الذي سيفعله العراقيون » ودعت عرب أمريكا ليتصحوا صديقهم بوش قبل ان تحل الكارثة .[٦٢]

والغريب ان المايسترو الأمريكي قال نفس الكلمات في نفس اليوم :«العراق يخطط ليجعلها حربا طويلة ودموية ..وقالت ان تقارير البنتاجون تفيد ان خسائر القوات الأمريكية قد تصل الى الالاف من القتلى واضعافهم من الجرحي » وقالت ان العراق الان سادس اكبر قوة حربية في العالم من ناحية العدد»[٦٣]

وفي مؤتمر الشعر بالقاهرة حذر بدر توفيق الأمريكان من ان زيارة قتلاهم ستكون شاقة في الصحراء»[٦٤]

وقد علقنا يومها بقولنا : وهذا دليل على جهل تصير العراق فالأمريكان يصرون على نقل قتلاهم لأمريكا وهناك مقبرة تحت ناقلة الخارجية الأمريكية يطل عليها جيمس بيكر يوميا كما قال في شهادته امس امام الكونغرس ! (١٢/٥)

•• وسلبوه الورقة الأخيرة ••

استطاع هذا الاعلام التضليلي ان يشل تحرك صدام فلا هاجم ولا انسحب ولا فاوض ولكن بقت في يده ورقة تهم الغرب وهي : الرهائن ••

وبالنسبة للرهائن فقد كان تفكير صدام حسين في البداية هو استخدامهم كساتر بشري ضد القصف الأمريكي ، وكان ذلك هو القرار الاذكى من وجهة النظر العسكرية العراقية ، مهما قيل عن الناحية الإنسانية •ولسنا ممن يرعبهم نفاق وفجور الغرب في التشدق بإنسانية مزعومة .. فليس قتل اطفال أو نساء مختبئين في ملجأ في قلب وطنهم باكثر إنسانية من استخدام مهندسين وخبراء وعسكريين يعملون في العراق والكويت ، لمنع هذا القتل ! •• ولو كان الغرب يهتم بحقوق الإنسان أو حياة المدنيين ، ما كان هؤلاء الخبراءقد توجهوا اصلا للعمل في عراق صدام الذي لا يعرف حقا للإنسان بل لا يعترف بإنسانية الإنسان • وكم ساعده هؤلاء في إبادته للإيرانيين والعراقيين •

وما من احد يطالب الدول المتخلفة بقبول المنطق الغربي الاستعلائي الذي يعتبر الإنسان هو الابيض وما عدا ذلك هملا لا قيمة له . ولقد قتل من العراقيين حتى الآن ما يقرب من نصف مليون مدني .. ولا أحد يبالي ! ولو ظل صدام على قراره الأول فربما لم يتغير مسار الحرب لأن اهداف أمريكا ، ما كان ليوقفها أي عدد من الضحايا ،ولكن على الاقل كانت الجريمة ستبدو اكثربشاعة عندما يُقتل الإنسان الحقيقي الابيض المسيحي وقد كتبت صحيفة تقول : ان « صورة كاثوليك يصلون في كنيسة مهدومة بالقنابل يثير الرأي العام اكثر من مسجد مضروب »[16]!

ولذا داعبوا غروره وجبنه ورغبته في المساومة وتجنب القتال بأي ثمن لأخذ الرهائن من قبضته• وإذا لم يكن قد عقد صفقة معهم ، فقد تبين انه لا يفوق عسكر العرابيين قبل ما يزيد على قرن عندما صدقوا تعهدات أفاق ابيض هو ديلسبس الذي اكد لهم ان بريطانيا لن تمر من قناة السويس اذا لم يغلقوها •• واشتكى صدام انه خدع من المتحضرين البيض ! تماما كما اشتكى الفلاح احمد عرابي !! المهم ان الغرب لجأ لشخصياته البارزة لسحب الرهائن من يد صدام الذي

تحول الى ملك بابل تقصده الوفود من الملوك وشيوخ القبائل يطلبون أسراهم بعد القاء قصيدة شعر في مدح قمبيز أو النعمان ولا اقول بختنصر، ويعودون وقد وضع عبد المهيب في ركابهم حمل بعير أو بعيرين من الرهائن! ويبدو ان رئيس وزراء السويد افرط في التودد للزعيم وهو يطلب فك أسر ٥٦ رهينة سويدية ! . فقال في خطاب الاسترحام الذي بعث به الى العراق :ان المشكلة الأساسية في الشرق الاوسط هي مشكلة فلسطين وليس احتلال الكويت.. مما دفع بريطانيا إلى الاحتجاج !

وفضلا عن الغرور الذي اشبعته رحلات واستعطافات زعماء العالم فقد اعتقد صدام انه يكسب وقتا وانه يستخدم هذه اللقاءات من ناحية لمنع الهجوم الأمريكي ومن ناحية للتفاوض على تسوية ، ولم ينتبه الى انهم يسحبون من يده الورقة الوحيدة التي تهمهم و انهم يلهونه عن اتخاذ قرار بالحرب أو الانسحاب حتى تتم استعداداتهم ،.وقد ساعد على ابتلاعه الطعم انه لم يصدق ان القادمين لا يهمهم إلا سلامة مواطنيهم ولا حاجة لزيادة تعاستنا بالحديث عن الخلق الاوروبي الذي يحترم الفرد .. لا ..اوروبا ذبحت الملايين من «افراد» شعوبها من أجل ارباح تجارة البن أو البهار أو الذهب أو النفط..وإنما سر الاهتمام هو أن هذا الفرد الاوروبي هو الناخب الذي يأتي بهذا السياسي الى السلطة أو يلقي به خارجها..وقد كتبنا في نوفمبر نقول حرفيا :«ورغم ان الرئيس العراقي لا يزال يلعب ورقة الرهائن لكسب الوقت وهو بالمنطق المتخلف لا يستطيع أن يتصور امكانية ان تسايره دولة كبرى لاستخلاص مائة من مواطنيها. لا يصدق ان حياة المواطن في الغرب لها الاولوية على كرامة أو هيبة أي مسئول ، فلا يضير رئيس وزراء دولة اوروبية في الثمانين من عمره (فانفاني) ان يعرض شد الرحال الى بغداد ويناقق غرور الزعيم ليعود بخمسين أو حتى عشرة ايطاليين ، هذا تصرف لا يفهمه ديكتاتور في العالم الثالث ولذا يفسره بانه انتصار لسياسته..»

كتبنا هذا في نوفمبر والزعيم لم يفهم اللعبة إلا في النصف الثاني من يناير وبعد ان تساقطت القنابل فوق رأسه !

وقد بدأت رحلة الرهائن بفالدهايم وهو شخص مكروه من اليهود مما يعطيه قبولا عند العرب وهو سكرتير سابق للأمم المتحدة ورئيس دولة محايدة .. الخ ثم تتابع الرسل من محمد على

كلاي الى ادورد هيث وويلي براندت .. ومبعوث ميتران الخاص وبريماكوف كلهم جاءوا يطلبون فك الأسير ..!

وان القتال لحماية عربي من غضبة عربي أو اعادة دفاتر الشيكات لشيوخ الكويت هدف لا يلهب خيال الأمريكان كل ما كان يمكن أن يحرك الأمريكان هو تحرير الرهائن..»[٦٦]

وربما أراد صدام أن يثير الحساسيات في معسكر اعدائه وان يزرع الشكوك وبالذات حول موقف فرنسا في موضوع الرهائن ، بمنحها امتيازا خاصا مما اضطر الرئيس ميتران لنفي انه عقد صفقة مع العراق .(١٠/٢٩) ولكن المهيب انتهى بأن صدق نفسه وتوهم وجود خلاف أساسي بين فرنسا وأمريكا يمنع فرنسا من المضي إلى آخر الشوط مع أمريكا . وكان ادوارد هيث ، هو الذي تحمل مسئولية الرهائن البريطانيين وهي مهمة صعبة لأن بريطانيا كانت الصوت العالي المطالب بتدمير العراق ومحاكمة صدام ، لذلك كان على السياسي العجوز لكي ينجح في مهمته أن يبدو منحازا للعراق ، منشقا على تاتشر، متنافرا مع بوش ، فهاجم الولايات المتحدة لأن بوش جعلها مسألة شخصية بينه وبين صدام حسين . ودعاهيث بوش إلى تجنب الهجوم على صدام حسين وابدي دهشته من قول الرئيس الأمريكي «ان صبره قد نفد» وعلق السياسي البريطاني المخضرم : « ان القضية اكبر من أن تصبح شخصية بين الزعماء.. إن المطلوب الآن هو أعصاب باردة» ونصح تاتشر بألا تربط نفسها بموقف بوش »[٦٧] وردد نفس المعنى وزير خارجية فرنسا الاسبق كلود شيسون الذي قال ساخرا : « لا يكاد يمر يوم الا ويعلن السيد بوش أنه سيحارب . اعتقد أنه يريد حربا ولكن لنقل له صراحة انها ليست حربنا»[٦٨]

وسواء أكانت هناك صفقة مع الولايات المتحدة تم بموجبها الافراج عن الرهائن ، وهذا ماجعل صدام يشكو من انهم خدعوه وغدروا به !.. أو انه فعلها بوعود من ساسة هواة ووسطاء بالقطعة.. فقد اشاع الاعلام الأمريكي والبريطاني وجود صفقة .

كتب كيم مرفي في لوس انجلوس تايمس «ان الافراج عن الرهائن اثار قلق العرب من احتمال عقد صفقة بين الولايات المتحدة والعراق وان هذه الصفقة تعني استمرار التهديد العراقي ويعتقد هؤلاء العرب أنه أصبح في حكم المؤكد ان الحرب لن تقع . وفي الشرق الأوسط فإن المعتقدات اهم من الحقائق . ونقل عن محلل غربي ان هناك ادلة على ان سفارات اليابان وسويسرا والسويد

في بغداد دخلت فعلا في اتصالات مع العراق لمعرفة اذا كان الحل السلمي ممكنا ٠٠٠ وقال ان السعوديين توقفوا على بعد خطوة واحدة من اعلان اتهامهم للولايات المتحدة بمحاولة التفاوض مع العراق ولكن بعض السعوديين قالوا انهم يعتقدون أن أمريكا لن تلجأ للحرب لإنهاء الأزمة مع العراق»[٦٩]

ونقل عن الأمريكان قولهم وان الكابوس قد تحقق وهو أن يتجنب صدام الحرب فيحتفظ بقوته العسكرية ويحتفظ بجزء من الكويت ٠ وان السيناريو يبدأ بالافراج عن كل الرهائن كخطوة للتهدئة ثم يبدأ الانسحاب التدريجي أو المفاوضات ، وعندها يستحيل اجباره على تركها كلية أو التعويض أوتجريده من اسلحته أو القوة الذرية التي يحاول بناءها» و قالت الجارديان ان المعارضة العراقية تخشى عواقب صفقة مع صدام ٠ وكانت السعودية والكويت قد عرضتا تمويل مقاومة كردية ولكن اصبح مصيرها صعبا، ويقول هؤلاء اذا عقد بوش صفقة مع صدام فمن سيحمينا منه ٠»[٧٠]

الفصل الثالث

مبادرة بوش .. لخداع العالم !

نجح الاعلام الانجلو امريكي في الفترة من منتصف اغسطس حتى نهاية نوفمبر في خلق شعور بعجز بوش عن كسب التأييد لحربه مع العراق لا داخليا ولا عالميا ، واستمر هذا الاعلام يقدم الاحصائيات ويجري الاستفتاءات ويجتر النظريات التي تؤكد أن الحرب مستبعدة ولا أحد يريدها أو حتى يقدر عليها .. حتى إذا استكملت وتمطن استعداداتها، اذا بكل المواقف تتبدل ، وكأنه بفعل ساحر. وخابت جميع التحليلات وصوت مجلس الامن –كما ارادته أمريكا –بأغلبية ساحقة :١٢ من ١٥ورفع مندوب الاتحاد السوفيتي يده مؤيدا حتى رأينا بياض ابطه ! موافقا على تخويل أمريكا حق ضرب العراق اذا لم ينسحب قبل يوم ١٥ يناير. وكان المفروض ان القرار وشبه الاجماع الذي صدر به سيوقظ صدام من غفوته ويجعله يدرك أن الأمر جد لا هزل فيه ، فإما ان يضرب ضربته الموعودة ولو حتى في اتجاه اسرائيل ..أو ينسحب .

ولاشك ان ضربة مفاجئة لإسرائيل وهو لا يزال يملك كل طائراته ومنصات صواريخه المتحركة منها والثابتة ، تختلف عن ضربات يائسة بعد عشرة الاف هجمة جوية ! وبعد أن كانت معنويات جماهيره قد أصيبت بضربة قاصمة بعد غارات اليوم الاول .

كان بوسع صدام ان يضرب أو يجمع أمره وينسحب مستجيبا لقرار اجماعي من المنظمة التي تمثل المجتمع الدولي .. نعم ينسحب بعد أن يطالب هذا المجتمع الدولي بأن يعطي نفس الحق في استخدام القوة ضد كل دولة تحتل أرض الغير وترفض الاستجابة لقرارات الامم المتحدة .. ينسحب بعد أن يعلن انه مصمم على حقوق العراق التاريخية ولكنه ينصاع لارادة المجتمع الدولي ولا يطلب اكثر من المساواة وعدم ازدواجية الضمير ..الخ وهذا ما نصحه به الملك فهد والحكيم المغربي الملك الحسن .. الملكان أكدا له أنه لا عارعليه لو فعل .فاختار العار ولم يفعل !

ولن استطرد في تفاصيل النتائج التي كان يمكن أن تترتب على مثل هذه الخطوة ، يكفي أنها كانت ستمنع تنفيذ مخطط « تدمير » العراق..

اعتقد انه ما لم يكن الرئيس صدام متفقا معهم على صفقة تتضمن تدمير قدراته العسكرية ،

فقد كان قرار مجلس الامن يحمل من الانذار ما يقنع أي مسئول عاقل ، بأن القرار السليم هو الانسحاب ، هذا الانسحاب الذي قال الامريكيون اكثر من مرة انه يشكل افظع كابوس يمر بخاطرهم .

«الديلوماسيون الأمريكان يعترفون في احاديثهم الخاصة بأن الكابوس هو ان ينسحب صدام من الكويت بقوته العسكرية سليمة وطموحاته كاملة »[1]

« الخطر الاكبر الذي يواجه الحلفاء ويهدد بتبديد كل جهودهم هو أن يطلب صدام وقف القتال والسلام بدون استسلام ويخرج بأداته العسكرية سليمة .»[2]

بل كان بوسع صدام بعد أن صدر قرار مجلس الأمن ، ان يقلب المائدة على الأمريكان ، ويمسك العصا من النصف ، بإعلان الانسحاب من الكويت والاستمرار في الجزر .

«ان الكابوس الذي يخشاه المسئولون هو أن يقرر صدام الاحتفاظ بنصف الرغيف فقط فينسحب من الكويت ولكنه يستمر في احتلال الجزيرتين وحقل الرميلة »[3]

قالت لوس انجلوس تايمز «انه يخشي لو انسحب صدام من معظم الكويت ان يفتر حماس الحلفاء للحرب لاخراجه من الباقي .»

ولمنع صدام من تحقيق الكابوس والانسحاب كان لابد من حركة بهلوانية بارعة تمنع صدام من استيعاب الموقف ، وتشغله عن اتخاذ أي قرار إلا ان يبقى في المصيدة حتى يأتي الصياد فينزع جلده ! .. أو قل كانت الحركة مطلوبة ، لتغطية موقف صدام واعطاء مبرر لموقفه العجيب!

وقام بالحركة رئيس الولايات المتحدة الامريكية نفسه ، في واحدة اخرى من مسلسل اشهر مؤامرة خداع في التاريخ .. فقد فاجأ بوش العالم بدعوة صدام للتفاوض .. بعد ان ظل اربعة شهور يرفض لقاء العراق ، ولا حتى على مستوى سفير فإذا به يوجه الدعوة علنا لطارق عزيز لمقابلته ويعلن ان بيكر سيشد الرحال الى الزعيم في بغداد اذا تكرم ووافق الزعيم وحدد له موعدا !

يومها كتبت اقول :

« لم يكن ينقص الرئيس بوش إلا أن يصيح : « برابرة » .. لتنطبق صورته تماما على الرئيس السادات عندما وقف في مجلس الأمة المصري ، وفاجأ العالم بابداء استعداده للذهاب الي القدس اذا وجهت له الدعوة .. وكما فاجأ السادات اقرب اعوانه وحلفايه فكذلك تغلبت طبيعة رجل

المخابرات في بوش على المسلكية المفترضة في رئيس الولايات المتحدة فتفاجأ حتى بريطانيا التي تعتبر الحليف الاول ! وقد رفض ممثلها في الامم المتحدة التعليق على مبادرة بوش وكان الامتعاض واضحا في ملامحه ، وقال التليفزيون البريطاني ان اعلان بوش كان مفاجأة للمملكة المتحدة، ،وقالت الوكالات ان الاعضاء الدائمين في مجلس الامن قد فوجئوا ، وقد اكد كسينجر ان العرب لم يستشاروا، ،وقالت الابزرفر :«ان اقرب حلفاء أمريكا اخذوا بالمفاجأة وقد نوقشت الفكرة بين الاعضاء الخمسة الدائمين قبل اعلان بوش ولكن لم يتفق على شئ، وفي الاسبوع الماضي رفض بوش اقتراحا من عضو كونغرس ديموقراطي بإرسال مبعوث خاص الى العراق ، اما بريطانيا فلم تبلغ بالمبادرة الى اللحظة التي كان فيها بوش يبلغ العالم كله ، عندها تلقى بيكر للسفير البريطاني سير انتوني آكلاند في واشنطن بينما كان الجنرال برنت سكوكروفت مستشار بوش للأمن القومي يتلفن لمقر رئيس الوزراء في لندن .»[4]

(من الواضح ان نجاح المناورة كان يتطلب عنصر المفاجأة التامة الأمر الذي لا يتحقق بمناقشتها مع الحلفاء بل ان بوش رجل المخابرات حرص على اخفائها حتى على الذين يكتبون خطابه فقد اوردت صحيفة الاندبندنت ان اقتراح سفر بيكر الى بغداد لم يكن في النص المكتوب لخطبة بوش ، بل اضافه اثناء الالقاء ونقلت عن مسئول في التحالف انه لو كانت تاتشر موجودة لاعترضت على مبادرة بوش ولكن خليفتها اقل حرصا على الحرب.»[5]

وعلى الفور نشط المطلقون المتآمرون منهم عن وعي والمضللون منهم لصدام عن جهل نشطوا في التعليق على المبادرة، بعضهم متفائل يؤكد انها بادرة سلام طيبة ستنتهي باتفاق مشرف أو انها انتصار للصلابة العربية وهزيمة الامبريالية ، ،وبعضهم متشائم يؤكد ان بوش والعالم الحر قد خضعوا لهتلر الجديد، والجميع المتفائل والمتشائم تصب تحليلاتهم معا في طاحونة تضليل صدام لإبقائه في الفخ حتى يتم شحذ السكين، ،

بادر مندوب اليمن في الامم المتحدة « عبدالله الاشتر» بالترحيب وشرب انخاب النصر قائلا: ولا اظن ان احدا يرسل مبعوثا لتقديم انذار ، لقد كانت مفاجأة كاملة لنا في مجلس الامن ، ، واضاف انه لابد من خطوة عربية ايضا هي مؤتمر قمة عربي لاجراء التنازلات التي يقبلها كلا الجانبين من اجل حل عربي للخروج من الازمة ، ان الانسحاب من الكويت يتطلب طرفا ثالثا

يسلم الكويت وقوة سلام ، وعندئذ يرفع الحصار •وبالطبع يجب ان تكون هناك تسوية لمطالب الرئيس العراقي الاقليمية والمالية ، انه من الصعب مطالبة طرف بالتنازل عن كل شئ مقابل لا شئ بل يجب التنازل من الطرفين • »أو كما قال.

وكان أول رد فعل من الجانب العراقي هو تصريح سفيرهم في بغداد بأن «مفاجأة بوش هي أول خطوة صحيحة في طريق السلام » ونقل عن احدى الصحف الموالية للعراق «انه نصر عراقي• »•

ويمكن ان نحصر التفسيرات التي انطلقت مابين التفاؤل والتشاؤم من مبادرة الرئيس بوش في الاتي:

• محاولة لانتزاع المبادرة من الديموقراطيين في الكونغرس الذين يثيرون الشك والرفض في صفوف الشعب الامريكي من خلال لجنة تقصي الحقائق التي يديرها السناتور نن والذي بدوره يوظفها لدعم موقعه في ترشيحات الرئاسة المقبلة ، ولاشك انه قد نجح في نشر الشك ضد حكمة الحرب • وحتى قرار الأمم المتحدة وجد من يعترض عليه ويصفه بأنه خروج عن مهمة الامم المتحدة التي انشئت « لمنع الحرب والانذارات وليس الترخيص بها (جيمس رستون) الذي زعم ايضا ان عددا من المقربين لبوش ينصحونه بأنه ليس من المصلحة احراق البيت كله للقضاء على صدام حسين »[6]

وقد لعب كسينجر واحدا من ابرع ادواره التمثيلية في خدمة بني صهيون إذ ابدى سخطه وحزنه لأن بوش خضع لصدام . ففور اذاعة مبادرة الرئيس بوش سارع في حديث مع ABC N. L. بتشبيهها برحلة تشمبرلين الى برلين عشية الحرب العالمية الثانية وقال انه « متشائم وقلق للغاية • • لا استطيع ان افهم كيف يمكن ان تخدم هذه المبادرة اهداف الرئيس بوش كيف يمكن أن ترسل وزير خارجيتك الى بلد شبهته بألمانيا النازية؟! هذه تشبه رحلة تشمبرلين لألمانيا • • إننا لم نستشر أحدا من حلفائنا ولا حتى العرب • • وقال كسينجر لقد فتحنا الباب امام الاخرين للتفاوض مع صدام حسين • • ولو اصر على انتخابات في الكويت فستكون كارثة بعد أن دمر الوثائق وطرد نصف السكان • • سيخضع العرب وربما يوافقون على مطالب العراق • • • » وقال كسينجر اذا كنا سنذهب الى بغداد لتسليم انذار فليس وزير الخارجية هو الرجل الذي يسلم مثل هذا الانذار ويجب ان يعرف الرئيس ان ارسال بيكر هو قرار خاطئ • • واعتقد ان المجموعة الاوربية ستشرع

في مفاوضة صدام حسين وان التحالف لن يستمر طويلا٠٠٠»

و دخلت اسرائيل على الخط متبنية خط كسينجر المتشائم والمعارض للمبادرة والايحاء بأنها انتصار للعراق ودليل هزيمة أمريكا ٠٠وبدأ المسئولون في تل ابيب يتحدثون عن بيع اسرائيل فهم يقولون ان « بوش هو الذي رمش بجفنه وهو يبحث عن وسيلة لتجنب حرب وربط نفسه فيها بتحديد تاريخها٠ (١٥ يناير) ويرفض الاسرائيليون تطمينات الدبلوماسيين الأمريكان التي تؤكد استحالة اتاحة الفرصة لصدام لكي يدعي زعامة العرب بصفته القائدالذي اجبر الغرب على ربط مشكلة الكويت بمشاكل الشرق الاوسط الاخرى وبالذات المشكلة الفلسطينية ولكن كثيراً من الاسرائيليين يقولون ان قلقهم له ما يبرره فبعد اربعة شهور من المواجهة مع بغداد فإن ادارة بوش فوجئت بالأصوات المعادية للحرب الامر الذي جعله راغبا في جعل اسرائيل تدفع ثمن تسوية شاملة للشرق الاوسط فتتم صفقة على الكويت مقابل صفقة في فلسطين٠ ويقولون ان بوش يكثر على غير العادة من الحديث عن «المسألة الفلسطينية»وهذا يعني انه يقبل الوطن الفلسطيني ٠ ورغم تأكيد شامير وليفي وزير خارجيته انهم يقبلون تطمينات الأمريكان عن المحادثات الا انهم دهشوا لأن الولايات المتحدة لم تستمزج رأي اسرائيل مقدما٠وعرف ان بوش استثنى شامير من بين الحلفاء الذين بلغهم بقرار المحادثات وليس قبل مساء السبت حتى تسلم ليفي رسالة من بيكر تؤكد له ان العرض الدبلوماسي لم يغير اهداف السياسة الامريكية ٠ ولو أن حزب العمل المعارض قال انه مادامت القضية الفلسطينية ستبرز بعد قضية الخليج فالافضل ان نتقدم نحن بمبادرة بدلاً من ان تفرض علينا٠»[7]

«قال المسئولون ان معارضة الكونغرس والشعب الامريكي للحرب ، ربما اقنعت صدام حسين بصواب تقديره الاول بأن أمريكا لا تقوى على الحرب٠ ويعتقد المسئولون ان مبادرة بوش انقلبت عليه اذ اقنعت صدام بان أمريكا لا طاقة لها على الحرب» [8]

وقالت الهيرالد تريبيون ان الحلفاء بدأوا يشكون في تصميم الولايات المتحدة بالنسبة لأزمة الخليج ٠وان الحلفاء الاوربيين ذهلوا وغضبوا من الاشارات المتضاربة القادمة من واشنطن ٠ والمحللون يقولون ان الاتحاد السوفيتي مرتاح من خطوة واشنطن الدبلوماسية بينما الفرنسيون ثائرون لأن احدا لم يستشرهم ٠ والبريطانيون مذهولون وخائفون ان تعطي الحركة اشارة خاطئة

لصدام حسين . الكل يعتقد أن مبادرة بوش خرقت نص وروح الاتفاق مع واشنطن ، الذي يقضي بأن يستشاروا وليس فقط الاخطار قبل اتخاذ خطوة كبرى .

(وقد أوشك الجنرال برنت سكوكروفت أن يفشي السر عندما وجهت اليه CNN سؤالا حول عدم ابلاغ الحلفاء مسبقا بالمبادرة فقال : لأنها خطوة تاكتيكية وليست تحولا استراتيجيا !)

وروى بوب ودوارد ان الامير بندر بن سلطان عندما سمع الرئيس بوش على التليفزيون يقول انه مستعد للمضي خطوة اخرى في طريق السلام وذلك باستقبال وزير الخارجية العراقي طارق عزيز في واشنطن ، كما أطلب من الوزير بيكر ان يذهب لبغداد لمقابلة صدام حسين ، في وقت يتفق عليه الطرفان ما بين ١٥ ديسمبر و١٥ يناير القادم . . . هب الامير بندر من مقعده مندهشا وغير مصدق . . وفي حديث بندر مع البيت الابيض قال الامير : ما هذا الغباء ؟! . . ان الأمريكان لن يفهموا العرب أبدا . . إن هذا العرض بعد ٢٤ ساعة فقط من نجاح الولايات المتحدة والحلفاء في احراز النصر بالتصويت في مجلس الأمن سيرسل اشارة خاطئة لصدام . . اشارة بالضعف . وسأل سوكوكروفت لماذا لم تتشاوروا معنا ؟! بالنسبة لكم ارسال بيكر هو تعبير عن حسن النية اما بالنسبة لصدام فهو دليل التخاذل . فرد سكوكروفت ان هذا كان قرارا اتخذ في اخر لحظة ، وانها خطوة لاقناع الكونغرس والرأي العام ان الرئيس يستنفد كل الجهود من اجل السلام[9] .

والذي فهمه الأمير هو بالضبط ما أراده بوش وكتمه عن بندر :إرسال إشارة خاطئة لصدام توحي بالضعف لكي يستمر في غفلته !

وان اغلبية الحلفاء يقولون انه اذا كان لابد من ارسال ممثل لبغداد فالاختيار الافضل هو سكرتير الامم المتحدة ، لأنه كان سيتكلم باسم مجلس الامن كله ، وليس فقط عن عضو واحد والذي كانت بعثه لن تعتبر نصرا من جانب العراقيين . (مفهوم الان لماذا لم يأخذ بوش بهذا الاقتراح لأن سكرتير الامم المتحدة مهما كان خضوعه لواشنطن فلن يقبل ان يشترك في مناورة لجر صدام للحرب . . وانما السؤال المثير هو لماذا حرص صدام على استبعاد سكرتير الامم المتحدة وعامله معاملة مذلة عندما تشجع في اخر دقيقة وذهب الي بغداد . . سؤال اخر لا يفسر الا بالمعامل س . . . ج مارس ٩١) كثيرون يقولون ان قرار ارسال بيكر ارسل اشارة خاطئة ليس فقط لصدام ولكن للدول العربية المحتفلة مثل السعودية ومصر .»[10]

ومن الظهران نقل JAMES LeMOYNE :« عن دبلوماسي سعودي قوله « ان هذا يعني ان الحرب انتهت وأن السعودية تخشى أن تترك أمريكا العراق مسلحا وعدوانيا . »

وقال «بول لويس ان وزراء خارجية الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الامن سيجتمعون في اوربا هذا الشهر لاعطاء العراق تأكيدا بأنه لن يتعرض لهجوم اذا خرج من الكويت سلميا قبل ١٥ يناير وسينعقد الاجتماع في الفترة بين لقاء طارق – بوش وبيكر– صدام. . »[١١] وكان شامير قد اعلن تعهدا بعدم توجيه ضربة وقائية للعراق .وأكد بيكر استعداده لبحث « القضايا المالية والسياسية والاقتصادية » للخليج «ولكن الى ان ينسحب من الكويت لن نناقش نزاعه مع الكويت» . .وقال بيكر نعتقد ان هذا الموضوع خاص بالكويت والعراق .[١٢] وصرح بيكر« بأن الولايات المتحدة لن تهاجم العراق اذا ما انسحب من الكويت واطلق سراح الرهائن . » وعلقنا يومها : «وبذلك يكون قد سقط مع تاثير التهديد بالمتابعة ومحاكمة صدام كمجرم حرب وانتهت المفاوضات حول استمراره في الحكم على الاقل من ناحية الأمريكان والقوات المتحالفة .وقد جاء الدور على صدام حسين ليقول إنه سيذهب للمفاوضات اذا كانت بدون شروط مسبقة !

ومهما تكن نوايا بوش في عرض مبادرته فقد خلقت فرصة لصدام للانسحاب مرفوع القامة لو أراد ، ولا اقول لو احسن استخدامها . فالذين لم يشتركوا في مؤامرة بوش حاولوا التحرك لتوفير حل للأزمة على اساس انسحاب صدام من الكويت بالتأكيد ، فقد تجمعت قرارات الامم المتحدة وباجماع نادر على ضرورة الانسحاب ، الأمر الذي جعل من المستحيل قبول أية مساومة على مبدأ الانسحاب . وكان على صدام ان يفهم ذلك وان يشجع الجهود التي تحاول تخليصه من الشبكة ، ولكنه فعل العكس تماما ! إما لأنه كما قالت « ابريل جلاسبي » بلغ من غبائه انه لم يصدق نية أمريكا في الحرب رغم وجود نصف مليون جندي ، وإما ان العامل من كان يخدره تماما ، ويجعله يلعب دورا مرسوما في سيناريو امريكي . . والحق انه قد لعبه بالكامل وباتقان من وجهة نظر المخرج الأمريكي . .فقد فشل أو رفض استثمار المناخ السلامي الذي خلقته مبادرة بوش ولو رغم انف بوش . .فقد تعلقت الآمال بنجاح اللقاء المرتقب بين بيكر وصدام وتحدثت الـ CNN عن ضغط داخلي وخارجي من حلفاء أمريكا يطالبها بتوفير الملاءمة اللازمة لنجاح اللقاء بين

واشنطن وبغداد بتحويل مهمة بيكر الى محادثات وليس مجرد انذار . . واشار وزير الدفاع الفرنسي الى ان الحدود الكويتية قد يعاد رسمها اذا وافق صدام حسين على سحب قواته منها . وذلك عندما قال ان موافقة عراقية على الانسحاب من الكويت ستفتح الطريق للشروع في تعديل حدود الكويت المتنازع عليها . كما ستفتح الطريق امام قوات الامم المتحدة لحفظ السلام لتتمركز هناك . يتبعها مؤتمر لمشاكل المنطقة وقال ان تنظيما دوليا لمشاكل الشرق الاوسط يجب أن يتبع فور حل مشكلة الخليج . . . كما دعا وزير الخارجية الفرنسي لمؤتمر دولي عن الشرق الأوسط اذا حلت الأزمة سلميا . وطلب وزراء خارجية المجموعة الأوربية الذين اجتمعوا في بروكسل يوم الثلاثاء من مستر عزيز ان يقابلهم في روما الاسبوع القادم بعد مقابلته بوش في واشنطن . وقيل ان وزير خارجية المانيا قد يزور العراق بعد زيارة بيكر . والمصادر الدبلوماسية تعتقد ان هناك خطر محاولة العراق استغلال هذه الاتصالات لكي يكسب وقتا»[13]

وهذا من باب الايحاء ، اذ ما قيمة الوقت الذي سيكسبه صدام ؟! وكل يوم يمر يعني استنزاف وقوده وسلاحه وطعامه وماء جيشه في الكويت .. متى كان الوقت لصالح الخاسر !

وانزعجت التايمس التي بقت وحدها تحمل راية القتال انزعجت من ارتفاع نغمة المسالمة فحملت افتتاحيتها على الحمائم التي تتزايد في واشنطن فقالت ان الحصار محدود الفعاليات وهو اضعف الاسلحة بل واحيانا له مفعول عكسي (!!) ان رفض قبول هذه الحقيقة المزعجة يشكل عقبة متزايدة لتصحيح التصور في تصميم العالم على طرد العراق من الكويت . . ان مطالبة الكثير من السياسيين الامريكيين بتأجيل العمل العسكري سنة أو اثنين هو قول يفتقر للذكاء فالاجراء العسكري يجب ان يكون عاجلا أو يستبعد تماما . ان التحالف الذي بدأ في اغسطس قد وصل ذروة المنحنى فإن نصف مليون عسكري لا يمكنهم قضاء الصيف في الصحراء السعودية . ان الحصار قد يكون مهما من الناحية السياسية ، ولكن الطريق الوحيد لتحرير الكويت هو ان يكون ١٥ يناير هو موعد استخدام القوة»[14]

ونحن لا نريد القول بأن الصحافة البريطانية كانت على علم بالمؤامرة أو المخطط الامريكي وانها لذلك كانت تحاول تضليل صدام . . لا نحب قول ذلك لا لأننا لا نعتقده بل لأن الكثيرين من حسني النية لن يصدقونا . . على أية حال إن نغمة الهزيمة والحنق من انتصار صدام على بوش

قد فعلت مفعولها في ادارة رأس طاغية العراق ، وجعلته يتخيل ان بوش تشمبرلين قادم اليه بورقة ميونيخ وان كل ما على صدام هتلرهو أن ينتظر وصوله! نشرت الصنداي تايمس ما وصفناه وقتها «بيكائية الخليج،» تحت عنوان :« أمريكا وبوش وميونيخ ..» قالت :« هذا كريسماس تاريخي لأن ما سيحدث فيه سيقرر مصير السلام في السنوات العشر التالية .» فالرئيس بوش مواجه بخيار اما نصر عاجل ولو أنه سيكون نصرا دمويا بالتأكيد ولكنه سيفضي الى خلق نظام عالمي جديد، أو ميونيخ أخرى.»وقالت :« لأول مرة منذ خمسة شهور يجب ان نأخذ بجدية احتمال ان يدخل كريسماس ١٩٩٠ التاريخ باسم ميونيخ الامريكية — ولا عجب أن يأمر صدام اجهزته لاعداد الشعب للنصر فحتى لو انسحب من الكويت بتنازلات تافهة لصالحه -وكثيرون سيلحون على مستر بوش لاعطائه ذلك واكثر- فإن جهازه الدعائي سيظل عنده العديد من حكايات النصر ليتلوها على العرب والعراقيين .. إذا كان هذا هو ما يجري في الخفاء وانتهى الاسبوع بصفقة يجري اعدادها فالنتيجة ستكون كارثة ، وهذه ليست عبرة الثلاثينيات وحدها فعندما اجهضت الحملة البريطانية – الفرنسية على السويس واصبح عبد الناصر هو بطل العرب مع ان جيشه انهار امام المهاجمين ،إلا أن انسحاب الانجليز والفرنسيين تحت ضغط الأمريكان مكن ناصر من اعلان نفسه زعيما للعرب ..فقد بدا أنه وقف في مواجهة قوتين استعماريتين عظيمتين .. وبعد انتهاء أزمة السويس تهافت الحكام العرب على القاهرة لتقديم فروض الطاعة .وفي ١٩٦٧ كان ناصر هو الزعيم بلا منازع لحلف عربي قادهم الى الحرب مع اسرائيل ..ناصر هو المثل الاعلى لصدام وهو يعتبر نفسه خليفته .واذا ما تمت مسرحية السلام سيكون فعلا كذلك.» وقالت :« إن أي شئ أقل من هزيمة واذلال صدام ستجعل العرب يضربون بطون الإبل الى بغداد وسيركع قادتهم امامه ويقبلون يده لمصالحته . سيفعلون ذلك حتى لو خسر الكويت إذ طالما بقيت قدراته العسكرية فسيبقى فتوة الحي وصاحب الانتصارات..ولن يطلب عاقل في المنطقة مساعدة أمريكا بعد ذلك.. لأن أمريكا حشدت قواتها ضده ثم ردهم على اعقابهم . سيكون حرا في اخضاع هؤلاء الجيران الذين يتباطأون في تنفيذ رغباته . وسيصبح صدام الزعيم المطلق للعالم العربي .. إن انتصار حزب السلام اليوم سيجعل العالم اكثر خطورة في التسعينات ... أمريكا هذا الاسبوع وحلفاؤها هم اقرب للخسارة من أي وقت منذ ازمة الخليج فهناك اتجاه للسلام بثمن قد يبدو بخسا

الآن ولكن سيكلفنا غاليا عما قريب ٠٠»

وقالت : « انه اسبوع السلام وبيكر هو اكثر المسئولين جنوحا للسلام واذا وجد حلا فسيكسب جائزة السلام لنفسه . إن بداية الصفقة كانت عندما قال بيكر ان الولايات المتحدة لن تهاجم العراق اذا انسحب صدام من الكويت والفرج عن الرهائن . ومعنى هذا ان القضايا الأخرى مثل مطالب العراق يمكن تسويتها في مفاوضات لاحقة . وجاء افراج صدام عن الرهائن يؤكد ان صدام يقرأ من نفس الورقة ! » وقالت ان «المسئولين يخشون ان يتجح العراق في جر اسرائيل الى موقف اكثر وضوحا أو أن ترتعد فرائص السعوديين لأن الكفرة (أعني نحن وليس العراقيين !) سيشكلون ما يبدو وكأنه احتلال دائم اكثر من كونهم حماة . هناك تحفظ يكاد يكون عالميا حول حكمة ارسال الفتيان الأمريكان للموت لكي يعود آل الصباح للقصر في مدينة الكويت ٠» [15]

ونسب للدبلوماسيين الكويتيين قولهم ان حكومتهم مستعدة لتلبية مطالب العراق المالية ٠٠ «الكويت ستكون مستعدة للمفاوضة حول كل خلافاتها مع العراق بما يشمل وربة وبوبيان بعد انسحاب القوات من الكويت صرح بذلك وفد من وزراء كويتيين سابقين بعد اجتماع مع وزير خارجية هولندا » [16]

وزعمت الاندبندنت ان «المباحثات السرية بدأت حول شروط السلام في الخليج . السعودية والكويت يجسون سرا نبض العراق في محاولة للوصول الى تسوية للنزاع على الحدود بعد الانسحاب وفقا لما قاله العرب المنفيون في اوربا وأمريكا ونسب لهؤلاء ان الكويت في اتصالها السري مع العراق جددت عرضها بتأجير الجزر لمدة ٩٩سنة، وستسمح للعراق بكل حقل الرميلة . وقد جرى جس النبض حول هذه المقترحات عبرسلطنة عمان التي ناقشتها مع اليمن التي تتعامل مباشرة مع بغداد . اما التقارير من السعودية فتشير الى ان حلفاء أمريكا من العرب اختاروا الاتصالات السرية لأنهم يحسون ان الولايات المتحدة قد فقدت ارادة القتال ٠ » [17]

وقال بسام ابو شريف الزعيم الفلسطيني (الذي يبدو أنه يحب التنازلات الارضية) ان «العراق مستعد لأن ينسحب من معظم الاراضي الكويتية مقابل مؤتمر سلام في الشرق الاوسط وبعض التنازلات في الاراضي الكويتية !» [18]

حتى الد المهاجمين لصدام من الكتاب العرب دب الشك في نفوسهم واقتنعوا ان الصفقة

عقدت وانه لا حرب فالقصيبي يعزي أو يشمت في الذين كانوا يعللون الشعب العربي بمعركة تاريخية بين القوى التقدمية بقيادة العراق والامبريالية الامريكية الصهيونية .. فيقول لهم : « يا انصار المنازلة الكبرى عظم الله اجركم»[19] وأن كان قد صدق في قوله من حيث لم يتوقع اذ ان المنازلة الكبري لم تقع ليس بسبب احجام الأمريكان عن النزال بل لأن صدام فضل ان يكون عبد الله المضروب وليس عبدالله الضارب !

ويكتب انيس منصور متاحة : « مبروك لا حرب .. لقد اتفق الرئيسان بوش وصدام على الانسحاب من الكويت ولوقال صدام انه سينسحب غدا لطلب منه بوش ان ينسحب بعد غد... لأن أمريكا جاءت لتبقى عاما أو عامين حتى تستقر الاوضاع داخل النظام الامني الجديد..ان بوش سيطلب من الحلفاء ان يوجهوا نداء لصدام وسيستجيب لهم ليظهر الجميع بمظهر المنتصر . . »[20]

وخابت توقعات انيس الذي هو على كل حال محدث سياسة ولا احد يحمل اجتهاداته السياسية على محمل الجد .

وجلال كشك كتب في الوفد : الحرب مستبعدة ونظام صدام ضرورة أمريكية .

واساس التحليل سليم ومتفق مع النتائج ولكنه اخطأ في استبعاد الحرب اذ انها كانت من واقع تحليلات الكاتب نفسه ، الهدف الاساسي أو العنصر الأساسي في المظاهرة الأمريكية .

ولا يتورع بوش شخصيا عن تضليل صدام والعالم المتعلق بالسلام فيطلق عبارته المشهورة التي سيكررها بعده الكثيرون وهي «ان قلبه» يحدثه ان صدام سينسحب ففي حديثه مع التايم سئل بوش هل تتوقع الحرب مع العراق رد « ان قلبي يقول لي انه سيخرج من هناك ..ولو أن ذلك يخالف ما يخبرني به بعض الزعماء العرب من انه لا يستطيع ان يخرج من هناك ويستمر في الحكم الا انني اخالفهم الرأي فالذي جرب الحرب يعرف اهمية ان يتفادها .. »

حتى زوجة الرئيس اشتركت في الخداع فقد صرحت سيدة البيت الابيض قبل صدور قرار مجلس الامن بدقائق :« ان قلبها يحدثها انه لا حرب .. »

وتتابعت الانتصارات في ظن العراق

«ان صموده خمسة شهور ضد قوى عظمى جعله اشهر من أي حاكم عربي في التاريخ، فهو يستطيع احتمال انسحاب تكتيكي يحفظ له قواته وقوته في المنطقة..»[21]

ولا ندري أهذا الذي كتبته صحفية أمريكية كان تضليلا أم تطمينا ؟! : «دول الخليج ستضخ المليارات في العراق وستثير أمريكا ضجة حول ابقاء التحالف في الخليج ولكن لن يجرؤ العرب بعد اليوم على معارضة صدام الذي لن يكون بحاجة لتحريك دباباته للسيطرة على النفط بل فقط بالتليفون . اذا كان بوش لا يريد ضربه الان فلا معنى لابقاء القوات الامريكية في الصحراء لمشاهدته وهو يستمتع بنصره المجاني»[٢٢]

اما الصحافة الموالية و المتعاطفة مع العراق فلم تقصر في المساهمة بدق طبول النصر والشماتة في عرب الأمريكان كما كانت تسميهم فها هو زعيم الأمريكان يختار «صدام» عليهم ويفاوضه أو بالاحرى يتمنى مفاوضته ! ..

« تحول مفاجئ بعد ساعات على تبني مجلس الامن قرارا باستخدام القوة .. والعراق يزود السفارة الامريكية في الكويت بالمواد الغذائية ... بوش يدعو طارق عزيز و يوفد بيكر الى بغداد .. فاجأ الرئيس بوش العالم أمس فاطلق مبادرة جديدة تعتبر تحولا كبيرا في الموقف الامريكي منذ نشوء الازمة »[٢٣]

« فاجأ العالم بمبادرته بعد قرار استخدام القوة واستبعد المراقبون أن تكون خدعة .. بوش يدعو العراق للتفاوض وبغداد ترحب .. حريق بمصفاة راس تنورة [٢٤] واضافت الصحيفة الفلسطينية/ الاردنية : « ان العراق الذي يملك اسلحة استراتيجية خطيرة يعلمها بوش دون غيره ولذلك بدأ يتراجع عن الحرب والتصعيد .. ازمة الخليج بدأت تدخل مرحلة الحسم النهائي وان القرار الان في يد الرئيس بوش وليس في يد الزعماء العرب الاخرين سواء الذين استضافوا قوات على ارضهم أو الذين ارسلوا قوات الى الخليج لتقاتل الى جانب القوات الامريكية لقد ظهر ان خصم صدام الحقيقي هو الرئيس بوش والحوار يبدأ دائما بين الخصوم بعكس الاخرين فدورهم يظل ثانويا. وطالبت ان يجري الحوار في ظل الامم المتحدة [٢٥] ولم يكن سفير العراق في واشنطن بالذي يسمح له مركزه بالتعريض الصريح بجبن أمريكا وخوفها من قوة العراق العسكرية فاكتفى بالتلميح عندما قال:«في الشرق الاوسط دولتان تعرفان الحرب .. العراق واسرائيل وهناك دول حاربت ولكنها خسرت الحرب في ساعات » وقد نشرتها الاهرام تحت عنوان :«مسئول عراقي يهذي » [٢٦] واعتبرتها تعريضا بحرب اكتوبر ..

وكتبت الدستور الاردنية : «ان المبادرة تشكل استدارة كاملة من دق طبول الحرب والتحذير بأن الصبر انتهى.. الى الدعوة لمباحثات سياسية من اجل حل دبلوماسي.. وفي رأي الدستور ان مستر بوش سحب شرطين اساسيين هما الحديث عن ضرورة قيام تنظيم أمن للمنطقة ، والثاني خفض قوات العراق العسكرية . وبوش لا يتحدث عن الانسحاب غير المشروط . اما بالنسبة لعودة امير الكويت فالكل يعرف ان بوش لن يريق الدم الامريكي في سبيل هذا الهدف وانه ما من نظام عربي سقط وعاد للسلطة»[٢٧] وفي «الشعب» المصرية سخر عادل حسين من النظام المصري بسبب مبادرة بوش التي اعتبرها تراجعا واشار الى انهيارالسياسة الرسمية المصرية الطائشة في ازمة الخليج بعد التراجع الامريكي المهين والمتمثل في قبول الرئيس بوش مبدأ المفاوضة المباشرة مع العراق[٢٨] ورأت صحيفة الشعب المصرية ان المشكلة أصبحت حفظ ماء وجه بوش بعد أن ذل لصدام فقالت « ان المباحثات الجارية تهدف لاعطاء العراق حقه في الرميلة والجزر . ويقال إن لقاء صدام وفهد قد يعقد في الجزائر ويقال أن هذا الحل عن طريق العرب قد يحفظ ماء وجه الرئيس بوش الذي اقسم انه لابد من انسحاب غير مشروط ....»[٢٩]

وعندما قررت أمريكا وبريطانيا اغلاق سفارتيهما في لندن كخطوة نحو الحرب فسرها عادل حسين أنها خطوة نحو الاعتراف بضم العراق للكويت :قالت «الشعب المصرية» :«مهما اقسمت أمريكا ان سحب بعثتها من الكويت لا يعني بداية سحب الاعتراف من الحكومة الكويتية فإن المراقبين لا يصدقون ذلك .»[٣٠] وافتتاحية صحيفة «العرب » تشيد بالنصر العراقي الذي اجبر أمريكا على التمشي مع مطلبه في الربط ،وتطالب عرب أمريكا باعادة النظر في سياستهم..»[٣١]

وامعانا في اذلال عرب أمريكا توقعت صحيفة «القدس » ١٢/٧/٩٠انه : « اذا نجح اللقاء الأمريكي العراقي فستعطي واشنطن الضوء الاخضر للقاء عربي /عربي »

ورغم اننا بوغتنا بالمبادرة واصابنا الدوار مثل غيرنا إلا ان الشك ظل يخامرنا نحو نوايا بوش الحقيقية وقد كتبنا يومها ما يوشك أن يدخل في باب الفراسة .. ورضي الله عن صاحب .. ياسارية الجبل! نقول :

«يذهب البعض إلي أن بوش رجل المخابرات يحاول كسب الوقت وتخدير الرئيس العراقي المحاصر بانذار الامم المتحدة ، والذي ضاقت عليه الخيارات ، لمنعه من اتخاذ الخطوة الطبيعية وهي

توجيه ضربة وقائية ، وربما ضد اسرائيل بما يترتب عليها من نتائج على التحالف الامريكي العربي.
ويعزواصحاب هذا الرأي تفسيرهم بالتوقيت لزيارة طارق عزيز قبل العاشر من ديسمبر ورحلة بيكر في الفترة من ١٥ ديسمبر الى ١٥ يناير أي شغل العراق في التفاوض حتى تنتهي المدة التي يحظرفيها على واشنطن التصرف العسكري ويتمتع صدام فيها بفرصة توجيه الضربة الأولى .

« بل ذهب بعضهم الى احتمال ان يكون رجل المخابرات يحاول ان يكرر التجربة الاسرائيلية مع مصر عندما دُعيت مصر مرتين للمفاوضة والاجتماع في واشنطن لتوجه الضربة كل مرة من جانب اسرائيل في ١٩٥٦ ثم في ١٩٦٧ .. . ولاشك اننا سنعيش اسابيع من الصخب الاعلامي من جانب العراق وانصاره حول الانتصار الصدامي الذي حطم غرور أمريكا وجعلها تطلب المفاوضات » (٩٠/١٢/١)

هذا ما كتبناه فور إعلان مبادرة بوش الأولى ، وقبل أن ينشر الاعلام الامريكي والبريطاني الضباب الذي عكر وضوح الرؤية ، وبالطبع كنا-وقتها - نتوجس من نوايا بوش ولكن ليس بالوضوح الذي تكشف الان بعد ان نجح في كلفتة صدام وتخييله الى ان مرت الاسابيع المطلوبة في قرار الامم المتحدة والتي كانت تحتاجها أمريكا لتعبئة القوة العسكرية والمعنوية لتنفيذ قرار ضربه.. وكما قالت السفيرة الامريكية في بغداد لا يوجد حاكم في غباء صدام .. فقد ابتلع الخدعة بكاملها وراح يلعب نفس الدور المحدد له.. كسب الوقت ! أي عين ما كان يريده بوش أن يفعل ! راح صدام يماطل في عقد اللقاء وهو يظن انه عبقري سيضيع الوقت الى أن يفوت الموعد الذي حدده مجلس الامن، ويصبح ١٥ يناير كما قال -ابو عمار- لا أهمية له إلا انه عيد ميلاد جمال عبد الناصر ![٣٢]

ولكن عرف المغررين بصدام استمر يهدهده فقيل وقتها انه مهما توعدت واشنطن حول فترة المفاوضات والتاريخ المحدد في قرار مجلس الأمن فإن الانذار الذي صدر عن مجلس الامن لم يحدد أجلا للمفاوضات وهو لا يحتم الحرب في منتصف يناير بل يجيزها ولا يحرم التفاوض بعد هذا التاريخ . وأهم من هذا الجدل أن الازمة كلها انتقلت من جو الحرب والعد التنازلي الذي كانت فيه عندما ارتفعت ايدي ١٢ وزير خارجية في مجلس الامن بقرار الحرب . وبمبادرة بوش انتقلت الى جو المفاوضات ولا أحد سيقبل ان تقطع المفاوضات لمجرد ان اسبوعا أو شهرا أو ستة اشهر قد مرت

على موعد الانذار الذي سيصبح خلال اقل من اسبوعين في ذمة التاريخ وسيختفي الحديث عنه من الاعلام العالمي امام سيل انباء المفاوضات والشروط والخلافات والمصالحات والصيغ المقترحة وقد تكون الادارة الامريكية قد طرحت المبادرة للمناورة أو ترضية للرأي العام. «أو كما قالت الجارديان: «بتغيير موقفه الصلب من المفاوضة يقول «بوش» للكونغرس انه يبذل كل جهده لتجنب الصدام»[٣٣] ربما.. ولكن المبادرة سرعان ما تكتسب قوة دفع خاصة بها وتستقل عن ارادة خالقها.. » ان قول بوش ان بيكر سيناقش كل جوانب ازمة الخليج قد يكون تلميحا نحو مطلب العراق بأن الكويت يجب ان تناقش مع قضايا الشرق الأوسط الاخرى. » قالت: «ان تراجع بوش عن موقفه السابق برفض أي حديث عن مفاوضات مباشرة مع بغداد يعني ان الباب قد فتح للحل وان كان الطريق مازال طويلا »[٣٤] سيطلب العراق ضمانات ضد هجوم امريكي وستدور مناقشات حول الحدود والنفط اما مطلب أمريكا باعادة الشرعية الكويتية ، فلن يكون مشكلة اذا اقترن بانتخابات لأن العراق يأمل ان الشعب الكويتي الذي اصبح نصفه الان من الفلسطينيين سيفضل مهادنة العراق » وقالت لوس انجلوس تايمز: « لقد قال بوش انه لا ينوي التنازل عن اصراره الا يجني العراق شيئا من العدوان ، فإذا اصر على موقفه هذا فذلك يعني ان رسالته للعراق تكون من العصا فقط وبدون الجزرة ، وهذا النوع من المفاوضات لا ينجح وخاصة في الشرق الاوسط » واستمرت التحذيرات من نتائج مبادرة بوش فكتب محلل في الهيرالد تريبيون يقول: «ان مبادرة بوش لم تكن تهدف الا لارضاء الكونغرس ، وابراء الذمة بالقول انه سار الى ابعد مدى في طريق السلام ولكن مناورة بوش لم ترتد ضده في الداخل فحسب بل وستنفجر ضده عالميا . ربما يظن بوش انه ارسل بيكر لتسليم رسالة ولكن رئيسا مثل بوش لابد أن يعرف ان المفاوضات متى بدأت فإنها تكتسب قوة دفعها الخاصة . و صدام لايريد كثيرا لكي يخرج منتصرا وقد لعب كارته الاول سريعا وبذكاء وهو الرهائن التي ستعطيه شعبية في امريكا .. وربما يعرض صدام بعض ما تبقى من الكويت وهذا العرض يبطل التهديد العسكري ، ففي ١٩٣٩ لم يكن احد مستعدا للقتال من اجل دانزيغ فهل من مستشهد اليوم في سبيل بوبيان؟! صدام عنده كارت فلسطيني بل وحتى كارت ديموقراطي . فماذا لو أصر على انتخابات حرة في الكويت ، وبعد ان قام بتفريغ الكويت واستيطانها بالفلسطينيين والعراقيين لا يمكن أن يخسر الانتخابات . وصدام اثبت مهارة في

المفاوضات . والعرب الذين لهثوا خلف امريكا يخشون ان يعقد بوش صفقة مع صدام وهم على حق في خوفهم من ان يرجع بيكر من بغداد يحمل ورقة تشمبرلن» [٣٥] «ونقل عن الخارجية الامريكية انها تلقت مكالمات من سفراء مصر والكويت والسعودية وبعض الدول المعنية الاخرى يعربون عن سرورهم بمبادرة الرئيس بوش» [٣٦] ولكن اخر ترحيب صدر حتى الآن هو المنسوب للشيخ سعد الصباح الذي وصف المبادرة بأنها تتسم بالحكمة والجرأة والشجاعة وبعد النظر ونفى وجود تنسيق مسبق» [٣٧]

وكل ما انذرت به الصحف أو تفاءلت ، كان ممكنا ، بشرط أن يبدأ صدام مفاوضات.. أي مفاوضات ، مجرد أن يقدم لأعداء الحرب قشة يعلقون بها ليرفعوا عقيرتهم في مواجهة امريكا ولكن صدام رفض حتى أن يحدد موعدا لبيكر !!

لو كان صدام يقرأ التاريخ وسمع قولة معاوية : من تخادع لك حتى بلغت حاجتك منه فقد خدعته ، لما فعل مع بوش ما فعل ، وجعل طارق عزيز يقول لقد اخطأنا من طول البقاء في السلطة!! فمع التسليم بأن بوش كان يخدعه إلا أن هذا المناخ العام الذي احدثته دعوة بوش للقاء بينه وبين عزيز ، وبين بيكر وصدام بصرف النظر عن نوايا بوش ونوايا الصحف التي استشهدنا بها إلا أن مناخ الرغبة في التفاوض وجد فعلا على مستوى الرأي العام . . ولم يكن على العراق إلا أن يتماشى مع هذا المناخ بأن يحقق الاجتماع مع الادارة الامريكية فتنتعش آمال السلام ويدعم قوى المعارضين للحرب والمخطط الامريكي . ويبدأ كما توقعت الجرائد فيطرح المطلب الفلسطيني واستعداده للانسحاب من الكويت بشرط اجراء انتخابات حرة ومناقشة شكواه من آل صباح . وكان العالم كله سيقف خلف هذه المفاوضات ولم يكن بوسع الادارة الامريكية مهما كانت اهدافها ان تتحدي العالم وتضربه يوم ١٥ يناير كما خولها مجلس الامن ، مادام العراق يخوض مفاوضات حقيقية للانسحاب من الكويت .

وكل هذا صحيح ولكن . . وهو ما سيعجز التاريخ عن تفسيره . . قرر صدام ان يلعب الدور الذي خططه له بوش . . رفض الاجتماع . . واصر على انه لا حوار في قضية الانسحاب . . والانسحاب هو محور قرار الامم المتحدة ومصدر الشرعية لمخططات امريكا ولكن صدام لا يذكر كلمة الكويت على لسانه . . نفذ قرار شطبها من التاريخ بالإرادة المنفردة لسيادته ! وظل يناور

بغباء للتهرب من الاجتماع حتى ينقضي الوقت وتصل الى ١٥ يناير وهو لا يزال في الفخ فيضربه بوش الضربة القاضية . . تماما كما أراده بوش أن يفعل ! . . وبينما يصر صدام على عدم التفاوض نراه يساوم بنزع ما بقي من اسلحته فيفرج عن الرهائن ! وردت أمريكا وبريطانيا بقرار اغلاق سفارتيهما في الكويت ويعلق الغربيون على قرار الافراج بقولهم : « الافراج عن الرهائن سيزيح عقبة حاسمة في خطط المخططين العسكريين الأمريكان كما يجعل الحرب اسهل . . » [٣٨] ويتقاسم شرف النصيحة لصدام بالافراج عن الرهائن كل من الملك حسين وياسر عرفات والاردن كانت تحث العراق على اطلاق الرهائن . » [٣٩] اما الجارديان فكانت اكثر سخاء مع عرفات فنسبت اليه انه هو الذي اقنع صدام بالافراج . وقد اقترح عليه ثلاثة امور : قبول المحادثات مع الأمريكان وان يفرج عن الرهائن ويتفق مع فهد . . . . » ترى بعد ان وصف صدام الافراج بأنه كان خديعة سقط في شراكها من سيدعي شرفها الان ؟! ولماذا قبل ثلث النصيحة فقط ، فأفرج عن الرهائن ورفض المحادثات مع الأمريكان ؟!

والله ان كانت هذه هي نصيحة « أبو عمار » لقد صدقه النصح ، وأيضا جهل خيبته ! كل ما كان على صدام ان يفعله هو ان يقبل موعدا من المواعيد التي حددها بوش ثم يماطل كما شاء وكانت اوربا كلها باستثناء بريطانيا ستؤيده. والعرب باستثناء الكويت كانوا سيفضلون استمرار المفاوضات على اطلاق النار . . وكان سيتيح الفرصة للتيار المعادي للحرب في أمريكا والاتحاد السوفيتي للتحرك والضغط من اجل استمرار المفاوضات ولكنه كما قلنا أبى الا يوم ١٢ يناير بسبب كثرة مواعيد الرئيس صدام . . . ١٠٠ . ولابد أن بوش وكبار معاونيه الذين معهم الامن ، كانوا يضحكون حتى يستلقون على قفاهم ويفحصون الارض بأرجلهم ، وهم يرون صدام حسين يستخدم كل ذكائه في المناورة لاضاعة الوقت ، وهو عين ما يريدون !

و يرتدي صدام قميص فلسطين ويتبختر به لا في الطريق الى مائدة المفاوضات كما هو المفروض وما كان يمكن ان يفيده ويفيد الفلسطينيين بل في الاعلام وعينه على الشارع الفلسطيني ولإحراج الأشقاء العرب . . تلاحقه زغاريد المنظمة وشماتة اعلامها فصحيفة « القدس » تقول: «بغداد قد تقترح حضور مندوب فلسطيني . . » ياسر عرفات ووزير خارجية العراق في بغداد اجريا مباحثات حول اخر التطورات في الساحة العربية وذكرت المصادر ان العراق قد يطلب حضور

مندوب فلسطيني ، خاصة وان الرئيس بوش اقترح حضورآخرين المفاوضات .والفلسطينيون معنيون مباشرة أو غير مباشرة بالحوار» [40] اما صدام فيعلن ان«المفاوضات يجب ان تكون عامة تشمل فلسطين ولبنان والخليج .. إذ لابد من حل شامل لمشاكل المنطقة واذا كان البعض يبحث عن تهدئة لضمير الكونغرس والشعب الامريكي والرأي العام العالمي لمجرد القول لقد حاولنا التحدث مع العراق .. والعراق هو الذي رفض التنازل فذلك سيقربنا من الحرب» واضاف صدام « كلما كان هناك حديث يفضي الى الاتفاق لابد للاطراف من التنازل ولكن يجب ان تشمل المحادثات كل مشاكل المنطقة واذا كانت الدول الكبرى يئست من ايجاد حل مرض لكل الاطراف فليعطوا فرصة للعرب لكي يحلوا مشكلتهم » [41]

اذا كنت تعرف ان رفض العراق التنازل يقربنا من الحرب فما مصلحتك في تحقيق ذلك؟! اقبل التفاوض ثم اطرح ماشئت من مطالب ..

واذا كنت ترفض التنازل لرئيس الولايات المتحدة في موعد الاجتماع فمن سيقبل التنازل لك في قرارات الامم المتحدة وفي كيان الكويت ؟!

وكما اختزل نصيحة ياسر عرفات ، التقط صدام نصف الايحاء الذي القاه له كسينجر الذي انتقد مبادرة بوش لأنها:« تفتح باب الاتصالات الاوربية – العراقية مما سيؤدي الى تمزق التحالف وتأجيل انذار الامم المتحدة حتى تصل الى رمضان والحج وتصبح السعودية في شغل عن الحرب بالمراسم الدينية ..» اخذ صدام النصف الخاص بالتأجيل وصدق أنهم سينتظرون موعد اللقاء معه الى رمضان ، وأن رمضان سيمنع الحرب ، فحاول ان يماطل الى ان يصل الى الشهر الحرام ! ولكنه لسبب غير مفهوم لم يحاول ان يفتح باب الاتصالات الاوربية بل سنرى طارق عزيز يسد هذا الباب .. وقد كان من الممكن لخبطة المخطط الامريكي لو أن صدام دخل في مفاوضات جادة مع بعض الاطراف الاوربية ولكنه آثر من البداية ان يبقى في الاطار الامريكي لاسباب قد يكشفها التاريخ، فاصبحت كل تحركاته تزيد التفاف الشبكة عليه ولم يستمع للتحذيرات العلنية في الصحف مثل قول التايمس التي اوردت رأي كسنجر هذا واضافت اليه ان «الذين اجتمعوا ببوش وجدوا انه عاد من السعودية مستعدا للحرب حيث اصبح واثقا ان هزيمة مذلة وسريعة يمكن انزالها بالعراق [42] ولا تحذير مصطفى امين الذي كتب : «فوجئ الناس بالمبادرة فظنوا أننا على أبواب

السلام ولكنني شعرت اننا على أبواب حرب والمقصود بها قطع الطريق على المطالبين بالمفاوضات..»[43] وبرز هاشمي عمان يوزع حكمته وينشر ثوريته ويقرر مصير المنطقة وسيأتي لنجدته مزيف اخر من المغرب العربي ..لاغراق صدام في مناخ الوساطة والتوسل اليه ان ينقذ العالم من الدمار.. ولتوجيه الاتهام الى السعودية أنها هي التي تمنع الحل السلمي !

الواشنطن بوست تتحدث عن وساطة الملك حسين وبن جديد فتقول ان : «الاردن والجزائر يعملان من اجل حل سلمي .. يجددان جهودهما بمحاولة بدء حوار بين السعودية والعراق» وقيل ان الملك حسين والشاذلي يحاولان التقريب بين السعودية والعراق بأمل تجنب حرب مدمرة في الخليج . وفي حديث للملك حسين قال إنه من الصعب أن نفهم لماذا لا تكون هناك علاقات طيبة مفتوحة بين القوتين الكبيرتين في الخليج اذا كان الأمريكان والاوربيون مستعدين الان للحديث مع بغداد ونحن ندعو الى حوار عربي مواز للحوار الامريكي لأن القضية مهمة جدا للعرب . الأردن تبحث عن حل عربي للأزمة .. نحن نعلم ان هناك قلقا متزايدا في العائلة المالكة السعودية حول مخاطر الحرب . وقال مسئول سعودي كبير ان بعض اعضاء القيادة السعودية يعرفون انه في حالة استخدام القوة فإن العالم العربي سيقف مع العراق لأن صدام يبدو امام القوة الامريكية الجبارة في صورة الضحية. السعوديون يعرفون انه لو نشبت الحرب فلن يغفر لهم اراقة كل هذا الدم العربي. المسئولون قالوا انه عندما كان الملك حسين في بغداد الاسبوع الماضي اشار صدام الى انه مستعد لتوجيه رسالة للسعودية . ومنذ ذلك الوقت قابل بن جديد، مرتين، على بن مسلم احد كبار مستشاري الملك فهد . وان صدام اخبر الاردنيين ان بغداد تنوي ان توضح للأمريكان كيف ان قضايا المنطقة كلها مرتبطة» [44]

وقالت الجارديان :«ان الملك حسين يضع خطة جديدة للسلام .. والعراق يريد أن ينسحب من الكويت اذا حقق نصرا قوميا بضمان ربط بين حل أزمة الخليج بتسوية المشكلة الفلسطينية وقال الملك حسين نحن ندعو لمؤتمرالسلام للشرق الاوسط عندما يبدأ تنفيذ قرار مجلس الامن الخاص بالكويت . وقال الملك ان مهمة المؤتمر يجب ان تكون تنفيذاً بلا تأخير لقرارات مجلس الامن بالنسبة للخلاف العربي / الاسرائيلي — هذا لا يعني تزامن الانسحابين فإن الانسحاب الاسرائيلي قد يستغرق عدة سنين . وقال ان السعودية وافقت مبدئيا على حل سياسي ولكنها

لاتزال مترددة ٠٠وزعم الاردنيون ان السعوديين لان موقفهم، وارسلوا الشيخ علي بن مسلم مرتين هذا الاسبوع للجزائر ونأمل ان تتوج هذه التحركات بلقاء عراقي/سعودي ٠ وقال الاردنيون ان بالسعوديين يحتاجون إلى ضوء اخضر من حكومة بوش قبل أن يتخذوا أي خطوة ، حتى لا تبدو كأنها رفض للوجود العسكري الامريكي ٠» [٤٥]

وقد شرحنا في غير هذا المكان دور المبعوث الجزائري ، المهم أن حديث الاردنيين والعراقيين كما تعرضه الصحيفة عن وساطة عند السعوديين لم يكن يهدف الى ابعد من اتهام السعودية بأنها ترفض المساعي الحميدة بسبب من تبعيتها لأمريكا ٠

وكانت احدى اللعب المفضلة للاعلام العراقي وأيضا الاعلام الذي يريد تضليل الرئيس العراقي٠٠ هي ادعاء التوسط عند الملك فهد واعلان قرب الاجتماع المنشود بين صدام والملك٠٠وقد شرحنا اهداف هذه اللعبة في غير هذا الفصل ٠٠وهي هنا كانت تهدف لتضييع الوقت حتى يحين موعد الضربة ٠٠

فبينما شن صدام حسين هجوما على السعودية والملك فهد لاستدعاء القوات الأجنبية واهدار البلايين على هذه القوات على حساب البلدان العربية الفقيرة ٠٠ في نفس الوقت كثر الحديث من مصادر صديقة للعراق عن رغبة السعودية في التفاوض مع العراق «فقد نقل عن منظمة التحرير التي كانت تعمل كوسيط انها «تتوقع انفتاحا في الجهود لمنع الحرب في الخليج قبل موعد الامم المتحدة، وقالت مصادر المنظمة انها تسلمت اخيرا تأكيدات سعودية أن الملك فهد يريد حلا سياسيا للأزمة» [٤٦]

واعلن ممثل المنظمة في لندن ان :«المنظمة تحاول عقد لقاء قمة بين فهد وصدام!»(١٠نوفمبر٩١) ولم يكن هناك أي احتمال بذلك ٠

وقيل ان هاني الحسن قد وصل للسعودية ٠و قال الملك حسين في باريس :«ان تسوية بالمفاوضات هي الان في متناول اليد» (١١/٦)

والغريب بل المريب جدا انه مع ما اريق من مداد في الاعلام العراقي عن الحل العربي فإن آخر محاولة في اطار هذا الحل الأمنية هي التي قام بها الملك الحسن والتي رفضها صدام بحليلة وباتهامات تناولت الملك ونواياه وارتباطاته ٠

وقد كتبنا يومها «رفض العراق وبتسرع غير مفهوم دعوة الملك الحسن لمؤتمر قمة عربي ووصفه بأنه سيكون غطاء للهجوم على العراق» (١٢/١١/٩٠) فلما تأكد فشل الدعوة أيدها العراق وهاجم السعودية لأنها عارضت المؤتمر!!

فوت علينا بكرة

وسط هذا المناخ المشجع جدا لكي يفلت صدام من الفخ الذي سقط فيه ، نراه بعكس المفترض ، يتصرف كمن يريد البقاء في الفخ ويرفض الخروج منه . اذ بدأالرئيس العراقي لعبة المواعيد! فالعراق يرفض تحديد موعد للقاء جيمس بيكر بالزعيم وترد الولايات المتحدة انها لن توافق على تحديد موعد بين الرئيس بوش ووزير خارجية العراق، حتى توافق بغداد على تحديد موعد بين صدام وبيكر!! فليس بوش بأقل شأنا من خليفة بغداد حتى ولو كان بوش ذميا !

وتحلو اللعبة لصدام وهو « يلطع » بوش رئيس امريكا في مكتب السكرتارية أو حتى على التليفون يستجدي موعدا .. فالعراق يدعو بيكر لمقابلة الزعيم يوم ١٢ يناير وبيكر يرفض في إباء الا الثالث من يناير ليتسع له الوقت للاستمتاع بمحاورة الزعيم قبل حلول موعد الانذار! اما طارق عزيز فقال وان المحادثات مع بوش غير محدودة .. اذا كنا سنذهب لواشنطن لنسمع ما سمعناه من قبل فذلك لن ينقص خطر الحرب » ودعا لحل شامل لكل مشاكل المنطقة . لكن لمح الي ان بغداد قد تكون مرنة فيما يتعلق بالربط [٤٢]

ويقول العراقيون إنهم أبلغوا واشنطن أن صدام حسين بسبب مشاغله العديدة لا يستطيع مقابلة بيكر حتى ١٢ يناير أي قبل ثلاثة ايام من موعد انذار: انسحب أو تضرب !

ويقول بيكر في مقابلة مع ABC ان امريكا لن تشترك في أية محاولة لتخطي موعد الانذار الذي يطالب بانسحاب قواته من الكويت وهو ما لا يستطيع فعله في ساعات وهو له نصف مليون مختندقين هناك . فمن المهم -كما قال بيكر- ان تتم المناقشة في وقت مبكر معقول .(ثبت خطأ بيكر فقد انسحب أو تلاشى النصف مليون في ساعات أو حتى مائة ساعة ج) وابلغ القائم بالاعمال الامريكي في بغداد ملاحظات بيكر للعراق . قال مسئول امريكي ربما يقول العراق ان لديه اراء معينة عن حل الأزمة ويريد فسحة من الوقت لاعدادها فاذا ذهب بيكر لبغداد في ٣ يناير فسيكون عنده الوقت ليعطي هذه الفسحة ولكن بشرط الالتزام بالموعد المحدد ، اما اذا ذهب في ١٢ يناير وطلب العراق مهلة لأسابيع أو حتى ايام فسيكون من الصعب جدا على ادارة بوش ان تقول لا . ويخشى المسئولون الامريكيون انهم اذا قبلوا تخطي موعد الانذار ولو ليوم واحد

فسيفقدون مصداقيتهم . وقال مستشار الأمن القومي الامريكي برنت سكو كروفت ان ١٢ يناير موعد متأخر جدا ولكنه تجنب ان يقول اذا كانت الادارة ستمضي الى حد الغاء الاجتماع اذا رفض العراق تقريب الموعد » [٤٨]

وقالت الصحف ان الامريكان والعراقيين «لم يتفقوا وتبادلوا الاتهامات حول موعد الاجتماع . ومازال العراق يرفض الا يوم ١٢ يناير وبالتالي علقت واشنطن موعد استقبال طارق عزيز مؤكدة انه لن يستقبل الا اذا اتفق على موعد استقبال صدام لبيكر . ومن الجانب العراقي طرحت القضية على صعيد الكرامة الوطنية ، فقال راديو بغداد . . « لن يحدد أحد لنفسه موعدا لمقابلة رئيسنا . . . » وابلغ طارق عزيز السفير السوفيتي ان الخطوة القادمة يجب ان تأتي من الولايات المتحدة لكسر الجمود» [٤٩]

وعلقنا يومها : « مؤكد ان الخطوة القادمة ستكون من واشنطن ولكن هل تكتفي بكسر الجمود وحده ؟!

وباستثناء الولايات المتحدة وبريطانيا كانت هناك رغبة حقيقية في السلام وساد الأوساط السياسية العالمية الحساس بأن بوش يحاصر العراق لكي يرغمها على الحرب،وخاصة في حكاية التشبث الطفولي حول موعد اللقاء ومكانه ومستواه . . ولو ابدى صدام أي لين أو مرونة في هذا الأمر لافسد مناورة بوش . . فقد اكد تقرير لنيويورك تايمز من بغداد «ان الاغلبية من الدبلوماسيين الاوربيين والاسيويين في العاصمة العراقية يرفضون موقف الحكومة الامريكية ، ويرون ان رفض حكومة بوش اجتماعا مباشرا مع صدام يمكن ان يكون الخطأ الذي يشعل الحرب . . اذا وضعت واشنطن العراقيين بين خيارين : التسليم أو الحرب« . فسيحاربون . . واستبعد الجميع ان يغادر صدام العراق في هذه الظروف أو ان رئيس دولة يخرج لمقابلة وزير خارجية ووصفوا ذلك بأنها فكرة شاذة حقا ومذلة» [٥٠] وكانت المصادر الامريكية قد قالت انه لو دعا العراقيون بيكر لبغداد فسيرد هؤلاء بدعوة صدام لاجتماع في بلد ثالث لتجنب الاثارة التي قد يسببها الرفض الفوري لمثل هذه الدعوة» [٥١] وحث السناتور دول الرئيس بوش على ان يكون مرنا في موضوع الموعد وطالب الرئيس باستنفاد الطرق الدبلوماسية قبل الذهاب للحرب وتساءل السناتور اسبن رئيس لجنة القوات المسلحة: أنا لا افهم لماذا نرفض اللقاء يوم ١٢ يناير اذا كنا لن نكون مستعدين للحرب

في الخامس عشر ..!»[32]

ومع استمرار جزرة التسوية والوساطات التي يلهث خلفها الزعيم العراقي استخدم بوش اسلوب استفزازه لاثارة عناده وجعل تراجعه اكثر صعوبة بسبب حرص الزعيم على هيبته واستنادا الي الدراسات العلمية التي تقول ان ديكتاتور العالم الثالث يقبل ان يدمر البلد ويخسر الوطن ولا تهتز صورة الزعيم بقبول تنازل أو اهانة وقد نجحت لعبة الاصرار على « تحديد موعد مقابلة رئيسنا» وتابعها بوش بتصريحات استفزازية من طراز :« سيخرج وشلوت في مؤخرته ..» ولما سألوه هل ينوي ان يكافأه على اطلاق سراح الرهائن رد قائلا «:أبدا .. إننا لا نكافئ الخاطفين.. لا احد يكافئ الذي عدل عما كان لا يليق به ان يفعله .. »[33] ..وفي رسالته الي اجتماع رؤساء حكومات المجموعة الاوربية دعاهم بوش للثبات والاتحاد والعمل في اصرار على تحقيق الانسحاب العراقي من الكويت واكد ان الافراج عن الرهائن لم يغير شيئا ولا اضعف معارضة امريكا لمفاوضته على الكويت . ويخلط المهماز بالجزرة فعقب اجتماعه مع سفراء الـ٢٨دولة المشتركة في عملية درع الخليج اعلن بوش ان العراق يجب ان ينسحب وانه لا مساومة على بوصة واحدة من الكويت ولا مكافأة للعدوان . ولكنه لم يرفض امكانية عقد لقاء مع العراقيين ولو في بلد ثالث. وقال بيكر ان العراق قد تنسحب جزئيا من الكويت وهو مرفوض [34]».

ويقول بيكر في بروكسل انه لايزال يأمل في الاتفاق على موعد مع العراق. وان واشنطن ستوافق على ٥ أو ٦ يناير وقال بيكر مازلنا نأمل في مخرج وعدد قائمة الايام التي عرضت على العراق ليختار منها موعدا يوما يوما !! من ٢٠ ديسمبر الى ٣ يناير. (وقف وزير خارجية امريكا يعد على اصابعه واحد وعشرين اثنين وعشرين ثلاثة .. الخ لم يكن ينقصه إلا ان يغني اديني ميعاد!) وقالت الصحيفة أن بغداد تريد التأخير لكي يزداد تأثير الموجة المعادية للحرب وبأمل ان يدخل العراق في مفاوضات مع جيرانه العرب قبل موعد الانذار. وقالت الصحيفة ان كلام بيكر اللين مناقض للهجة الصلبة لبوش [35]

ولاغراء صدام باضاعة شهر ديسمبر كله ، أوحوا له بتفسير يقول : ان بوش له الحق في ضرب العراق دون الرجوع للكونغرس حتى الثالث من يناير موعد اجتماع الكونغرس ، فلو ضيع صدام الوقت حتى يأتي الثالث من يناير ..فقد نجا !

وقد حذر بوش صدام من التقليل من جدية الولايات المتحدة واستعدادها لتحرير الكويت وقال ان قرار الامم المتحدة الذي يخول استخدام القوة ضد العراق يجب أن ينفذ إلا إذا انسحب من الكويت قبل منتصف ليل ١٥ يناير وقال انه مستعد لمقابلة صدام يوم ١٤ يناير لو كان يستطيع تنفيذ قرار الامم المتحدة في موعده .. ولكن ذلك غير ممكن[٥٦] وقالت صحيفة بريطانية ان «حسابات صدام هي ان امريكا ليست جادة وانه كلما طالت الأزمة يمكنه ان يفوز بثمرة عدوانه»[٥٧] وسلط بوش الولد كويل على صدام الذي قال انه بعد انسحاب العراق وبعد اقامة الحكومة الشرعية الكويتية «فإن مهمتنا لن تنته اذ لا يعقل ان يفلت من العقاب من حاول محو أمة من الوجود أو ان يترك في موقعه ليكرر عدوانه»[٥٨]

وفي ١٢/١٩ كتبنا نقول: «تؤكد مصادرنا ان حملة التصعيد في تصريحات بوش واعلان انه لا تنازل عن بوصة واحدة من الكويت هو لمواجهة ما تعتبره الادارة الامريكية اكبر ضربة يمكن ان يوجهها صدام للسياسة الامريكية، وذلك بانسحاب مفاجئ من طرف واحد الى خط الحدود الذي اقامته السلطات العراقية حول ما يعرف الان بالبصرة الكبرى أو الموسعة والذي يضم المناطق المدعاة من قبل العراق. إذ ان الادارة الامريكية تعتقد -كما قالت التعليقات- ان الكثير من دول التحالف بل إن جانبا كبيرا من الكونغرس لن يقبل الحرب وقتها من اجل هذا الشريط من الارض بل سيفضل تركه للمفاوضات مع وجود حماية عسكرية لحكومة الكويت. وهناك اتجاه جديد اليوم يخشى ان يقوم العراق بضربة وقائية قبل ١٥ يناير».

واخطأت توقعاتنا فهو لا فعل ذلك ولاذاك .. لا انسحب ولا ضرب ..

افتتاحية النيويورك تايمس .. بعنوان: «لا غنيمة للعراق .. قالت فيها: ان الكابوس الذي يخشاه المسئولون في الغرب هو ان يقرر صدام الاحتفاظ بنصف الرغيف فقط فينسحب من الكويت ولكنه يستمر في احتلال الجزيرتين وحقل الرميلة.»[٥٩]

وتوقعت لوس انجلوس تايمز انه يخشى لو انسحب صدام من معظم الكويت ان يفتر حماس الحلفاء للحرب لاخراجه من الباقي.

اعمى أم يتعامى؟!

ومع اقتراب موعد الانذار والموعد الذي حدده بوش للحرب كان من المستحيل اخفاء النذر

الواضحة عن جدية الموقف وانهم يستعدون فعلا لحرب حقيقية .. كانت النذر اكبر واوضح من ان يغفل عنها الا المتعامي عن قصد ، والذي يحاول ان ينبهه يفصله! «عفيف عيسى الراوي سفير العراق في استراليا سيحال على التقاعد»[٦٠] «وكان قد نشر تصريحا قال فيه : «انه يعتقد ان الحرب ستنشب في الخليج وان العراق سيخسرها.»[٦١]

واليك بعض هذه النذر كما سجلتها يومياتنا :

« اعلنت واشنطن ان بعثتها الدبلوماسية في بغداد ستغادر السفارة قريبا ولو ان السفارة لن تغلق..» [٦٢] اما بريطانيا فقد استدعت سفيرها في بغداد لمحادثات في لندن.» [٦٣] وقالت الهيرالد تريبيون ان اطلاق الرهائن جعل امريكا اكثر حرية في رسم خططها الحربية .. وبالطبع هذا يسري على سحب الجهاز العامل في السفارات الامريكية والبريطانية . كما اعلن انه قد تم بناء منشآت وخدمات تموينية في السعودية تمكن من ايواء واطعام وكسوة اربعمائة الف جندي لمدة سنة على اساس تقديم مليون وجبة و٧٠٠ طن رسائل .. كما شن البنتاجون حملة عاجلة لجمع دم لحرب الخليج.» [٦٤]: «اغلاق راس تنورة لاسبوعين للاصلاح وهي التي كانت تنتج وقود النفاثات وزيت الديزل للقوات المتحالفة»[٦٥] بل صدق اعلامه الذي اعلن انها من فعل المقاومة السعودية!

« اجتمع وزير الدفاع البريطاني مع كبار المشرفين على التليفزيون وطلب منهم ان يراعوا في تغطيتهم للمعارك في حرب الخليج الا يركزوا الكاميرا على الجثث والجرحى من الجنود الى ان تبلغ الانباء لعائلاتهم»[٦٦]

« الولايات المتحدة حشدت في الخليج اكثر مما حشدته لتحرير اوروبا في عام ١٩٤٤ ولها ست حاملات طائرات أو اكثر مما في بقية العالم كله .. والحرب في يناير»[٦٧]

« ميجور وبوش سيخولان القادة المحليين اختيار لحظة الهجوم »

« القوات العراقية في الكويت عندها امدادات تمكنها من القتال من ٨ الى ١١ يوما» [٦٨]

ولما نشر خبر يقول ان شركة بريطانية طلبت من شركة بلجيكية متخصصة صنع ربع مليون كفن مخصصة للخليج [٦٩]

علقنا يومها : لابد انها تتبع هيئة خيرية تدفن الجميع بلا استثناء !

والبنتاجون تنظم معالجة الجرحى الامريكان المنتظر اصابتهم في حرب الخليج» [٧٠]

«حكومة بريطانيا تنوي التقدم بتشريع هذا العام لاستدعاء الاحتياطي وسيكون ذلك الاول من نوعه منذ اربعين سنة والذي اصبح ضروريا نظرا لضعف الاستجابة لنداء الحكومة من اجل التطوع .» [٧١] «وقد وقعت ملكة بريطانيا أمرا يعطي الحكومة سلطة التجنيد الاجباري.» [٧٢]

«وطلبت الحكومة البريطانية من العائلات البريطانية في الخليج ترحيل عائلاتهم من منطقة الخليج قبل ١٥ يناير [٧٣] وقد وجه الطلب للعائلات المقيمة في البحرين وقطر وشرق السعودية والرياض وتبوك . ويقول المسئولون في مقر رئيس الوزراء ان صدام اذا لم ينسحب سلميا قبل ١٥ يناير فإن الحلفاء لن يكون لديهم كبير خيار الا الهجوم قبل نهاية مارس وقال وزير الدولة للشئون العسكرية هاملتون ان ١٥ يناير هو يوم حاسم فاذا لم يخرج فلابد أن نتخذ اجراء فعالا . .» [٧٤]

وعاد وزير الحرب الامريكي من زيارة المنطقة ليقول :« ان الاحتمالات تتزايد بضرورة الحرب لطرد العراق من الكويت وانه لو كانت الحرب فلا مفر من النصر . .» [٧٥] وقال انه كلما مر الوقت قلت قدرة صدام على الانسحاب وليست هناك اية دلائل على نيته في الانسحاب . وفي المقابل قال الرئيس صدام في التليفزيون الالماني «انه لا ينوي ابدا الانسحاب من الكويت في الموعد الذي حددته الامم المتحدة . . اذا كتب القتال علينا فالله معنا وسيهزم المعتدون.» [٧٦] وعقب اجتماع رئيس الوزراء البريطاني بالرئيس الامريكي قالت الصحف « ان بوش وماجورقد وجها اقوى انذار حتى الان للعراق عندما اعلنا ان الحلفاء مستعدون للذهاب الى الحرب لطرد العراق من الكويت وردا على سؤال عن استعداد امريكا للحرب قال بوش اذا كان هناك أي استفزاز واضح بعد عشر دقائق من الان فستكون القوات المتحالفة مستعدة للرد بقوة.

وهدد البيت الابيض العراق بهجمة لم يسبق لها مثيل اذا لم ينسحب قبل ١٥ يناير وقال تشيني انه لا يتوقع ان يسكت بوش طويلا بعد ١٥ يناير قبل ان يذهب للحرب . . ووعد بأنه سيكون نصرا سريعا ورخيصا . . وقال اذا انسحب صدام فلن تكون هناك معركة واذا لم يفعل فهو يعرف العاقبة وهذا ليس تهويشا . . واكدت الصحيفة ان تشدد الموقف الامريكي يعبر عنه قرار سيصدره الرئيس الامريكي الاسبوع القادم بطرد ١١ من ١٩ دبلوماسيا عراقيا في واشنطن كما سيصدر ايضا تحذيرا للامريكيين للبعد عن الشرق الاوسط .» [٧٧]

« تركيا تعزز قواها مع الحدود العراقية ، »وفي نبأ آخر انها اغلقت حدودها مع العراق وفسر ذلك بأن تركيا تعتقد ان صدام يدبر تحركا قبل ١٥ يناير .

« الضباط البريطانيون الذين يتكلمون العربية يعطون تدريبات على استجواب الأسري استعدادا لحرب الخليج واستجواب المئات من الاسري العراقيين المتوقعين عندما يشن الهجوم لتحرير الكويت ..»

«اصدرت الولايات المتحدة تحذيرا لرعاياها في الاردن والسودان بالخروج قبل ١٥يناير ومنع كل الامريكان من زيارة المنطقة . وكذلك تستعد الولايات المتحدة لاجلاء ٣٠الف أمريكي من السعودية والامارات المتحدة»

وكتبنا :الحشد العسكري وصل الي مستوى لا يمكن ان يستمر معه بدون قتال. .حاملات الطائرات الامريكية تتدفق على الخليج بما يفوق أي حشد ولا حتى ايام الحرب العالمية الثانية .واغرب ما نقلته الانباء ان امريكا قررت ارسال حتى عسكر الزينة أو عسكر المحمل كما كان المصريون يسمون القوات غير المحاربة التي تستخدم في المواكب، وذلك بارسال الكتيبة الف COMPANYA » وهي عادة غير مخصصة للقتال بل تقوم بحراسة البيت الابيض والاماكن السياحية» [٧٨]

« ونقل عن الرئيس بوش انه وصل الي قراربتعجيل الهجوم في اقرب وقت بعد انقضاء الاجل الذي حددته الامم المتحدة انطلاقا من قناعته ان تأخير الهجوم خسائره اكبر من التبكير به»

«واعلن عن وجود ٧٠٠ سلاح نووي على المراكب الامريكية في الخليج ..» [٧٩]

وفي مقال لوس انجلوس تايمز« ان الرئيس بوش اتخذ قرار الحرب بل والتعجيل بها بحيث تقع قبل ١٥ فبراير بكثير» « امريكا تقول : اضرب بسرعة [٨٠] «بوش استقر على الحرب» [٨١] .

ونشرت الصحف انباء الاستعدادات للحرب الكيماوية قالت التايمس «القوات البريطانيةيجري تحصينها ضد الأسلحة الكيماوية » « المدنيون البريطانيون في الخليج سيحصلون على اقنعة غاز » وقالت الديلي تلغراف « تطعيم الجنود ضد الحرب الميكروبية.» (٢٩/١٢/٩٠)

« اعداد المستشفيات لمعالجة الجرحى حتى من العراقيين فقد «صدرت التعليمات للمستشفيات البريطانية للاستعداد لمعالجةالجرحى العراقيين الذين ينتظر اصابتهم في حرب الخليج.» [٨٢] «وجرحى

حرب الخليج سيحالجون في اسبانيا بموجب اتفاق تم اقراره.. كما طلبت الخارجية الاسبانية من جميع رعاياها في الخليج مغادرة المنطقة .

وكتبنا يوم ٣٠ ديسمبير :« في المنطقة الان مليون عسكري و ٨٠٠٠ دبابة و ٢٥٠٠طائرة وستكون اكبر معركة مدرعات منذ ١٩٤٥ .ويتوقع ان يشن الهجوم الجوي من تركيا والسعودية والبحرين قبل الفجر على ٤٠ قاعدة جوية ، و٦٠ قاعدة صواريخ في العراق وقالت الاندبندنت ان المهاجمين سيزودوا بمعلومات من الاقمار الامريكية وربما السوفياتية ايضا.» «..ان الرئيس بوش قد استقر رأيه على خوض الحروب. .المحلل العسكري البريطاني بول روجرز قال اذا لم ينسحب صدام قبل ١٥ يناير فلن يكون امام الامريكان من خيار الا الحرب قبل ١٥ مارس لأن القوات لا تستطيع ان تبقى صالحة للحرب في مواقعها الحالية لاكثر من ٩ شهور .»

«بريطانيا ترسل حاملة الطائرات النووية المسماةالشبح أو المستخفي لمنطقة الخليج مع تزايد احتمالات المواجهة في الشرق الأوسط.» [٨٣]

«عدد الاسلحة الذرية الموجودة في المنطقة مع القوات المتحالفة سيصل الى الف عندما يأتي ١٥ يناير» [٨٤]

«الخطوط البريطانية تضاعف رحلاتها للخليج للتعجيل بترحيل البريطانيين قبل ١٥ يناير..» [٨٥]

«الاحساس بحتمية الحرب يزداد وتعزز امس بتصريح صدام بأنه لن يخرج من الكويت» [٨٦]

« السعودية شددت الاجراءات لمنع العراق من تخريب حقولها النفطية .» [٨٧]

« اعلان بان ام وKLM والخطوط البريطانية وقف طيرانهم للرياض وتل ابيب CNN وقيل ان السبب هو ارتفاع نفقات التأمين .»

ولم يقصر صدام في خلق الجو الاستفزازي فقد ظهر وزير الاعلام العراقي على التليفزيون وهو عندما يتحدث فذلك يعني ان الوضع سيء جدا في بغداد وقال وزير الاعلام لابد ان يكون بوش سكرانا عندما قال ان صدام سينسحب من الكويت !

وفي رسالة عيد الميلاد وجه الرئيس صدام حسين رسالة « محبة» للعالم اتسمت بكل الخلق الرفيع الذي اشتهر به الزعيم العراقي فلم يدخر لفظة سباب الا وكالها لقادة التحالف.. بوش خان المسيح كما خانه يهوذا وعاهل الحرمين سماه خائن الحرمين وابو رغال ..

ولكن هذا التشم (مفرد تشامي)الذي يتعجل الحرب استمر يتعامى عن نذرها بينما واصل الاخرون الاعداد لها والاعلام عنها ٠٠

« دنيس هيلي الوزير البريطاني الأسبق قال ان الأجل الذي حددته الامم المتحدة سينتهي خلال اسبوع وحتى لو امر صدام قواته بالانسحاب اليوم فسيكون متعذرا عليه عمليا الالتزام بالموعد٠٠٠٠٠ »[٨٨]

« اعتبرت شركات الطيران ان المنطقة من تركيا الى خليج عدن ومن قبرص لايران منطقة خطر٠ »[٨٩]

«وافق العاملون في التليفزيون البريطاني على طلب من وزير الدفاع البريطاني بعرض جميع الصور التي تلتقط من الخليج اثناء الحرب على الرقيب العسكري والذي سيكون له حق الفيتو» [٩٠]

«يجري العلماء في بريطانيا دراسة لاثارالحرب في حقول نفط الخليج» [٩١]

مصطفى امين يطالب بالاستعداد لمواجهة خطر الحرب والأرهاب العراقي المحتمل في مصر [٩٢]

«السلطات السعودية بدأت الدعوة للتبرع بالدم ومدوا اجازات المدارس » [٩٣]

بوش خول وزير دفاعه باعلان حالة الطوارئ كما اصدر قرارا يعطيه صلاحية مصادرة المواد الضرورية لخدمة المجهود الحربي وتقدم بطلب رسمي للكونغرس لاعتماد قرار الامم المتحدة. والسفارات في بغداد تخزن الماء والطعام وتشحن كل ما يمكن ترحيله من موظفيها والمستشفيات في جميع البلدان المعنية تمتنع حاليا عن قبول المدنيين في انتظار الجرحى٠٠والسفير البريطاني وكل جهازه رحلوا من بغداد» (١١-١٢/١/١٩٩١)[٩٤] وكنا قد كتبنا يوم ١٦ ديسمبر ٩٠ نقول : « من حق الكويتيين أن يحتنوا للرئيس صدام اذ يبدو ان رهانهم عليه سيربح ٠ فمنذ ان تصاعدت حملة الحل السلمي وحفظ ماء الوجه وتزايد الشك واليأس من نية الامريكان في القتال ، تعلقت امال الكويتيين في أن يكون صدام هو عدو نفسه الذي يأتي لهم بالحل ١٠٠ وفي اليومين الماضيين فعل صدام حسين كل ما من شأنه ان يعفي بوش من أية تهمة بالتحرش أو تعجل الحرب حتى ميتران المتهم في صدام قال ان «تعنت العراق يسد الطريق على محاولات السلام »٠وقال زعيم الاغلبية في الكونغرس بعد مقابلته للملك فهد:« لقد ضيع صدام فرصة السلام وهو وحده الملوم على فشل المحادثات الامريكية / العراقية التي كانت مقترحة »

ولم يكتف صدام بمناورة اختيار موعد لقاء بيكر قبل موعد الانسحاب بثلاثة ايام ولا بتصعيد الخلاف حول الموعد بطرحه كقضية كرامة وطنية عندما قال المتحدث العراقي: «ان العراق لا يسمح لأحد بأن يرتب مواعيد رئيسنا» ونقل عن مسئول عراقي كبير قوله ان « المحادثات يجب ان تكون على قدم المساواة . إنهم يحاولون التصرف وكأن لهم اليد العليا ، يريدون فرض مطالبهم حتى في امر صغير مثل تحديد الموعد ..» بل زاد امس بأن اعلن ان اول نقطة في جدول الاعمال يجب ان تكون قضية فلسطين، فقد نقل عن الرئيس العراقي قوله : « اذا طلبوا منا ان تناقش الخليج ثم فلسطين سنرد عليهم :اذا كان النفط غاليا عليكم فالقدس اغلى عندنا [95] »وقال لمجموعة من القادة الاسلاميين: ان «القضية الفلسطينية يجب ان تكون القضية الأولى في أية مناقشة»وقال لهم «اننا لن نعبث بالسلاح ولكن اذا فرض القتال علينا سنقاتل من اجل الشرف العربي والاسلامي وستهزم الطغاة.. مهما كانت قواتهم كبيرة أو متقدمة..» [96] . وكان بوش قد علق اجتماع طارق عزيز معه في انتظاران تحدد بغداد الموعد المقابل بين بيكر وصدام في موعد اقرب من ١٢ يناير وذلك بعد ان عرض مشكلته عرضا مؤثرا فاشتكى ان صدام يقابل فيللي برانت ومحمد علي كلاي بدون موعد ولكنه يأبى ان يقابل بيكر الا في اخر لحظة .. ولم يحدث قط ان استجدى رئيس دولة عظمى موعدابهذا التذلل!

وربما كان ذلك مقصودا من بوش ليثير الشعب الامريكي الذي بدوره يضغط على الكونغرس وهو ما حدث فقد« اعلن في وشنطن ارتفاع نسبة المؤيدين للحرب فوصل الان الى ٥٤٪ » [97] وقد رفض بوش ان يقول ان المحادثات ماتت . ولم يلن قلب بغداد بل ردت على التعليق بالالغاء وبيدي لا بيد بوش .. واخذت تصعد نغمة الحرب ذاكرة عبء الرجل العراقي في الدفاع عن حرية العالم فقد نشر في بغداد « ان الولايات المتحدة لو انتصرت على العراق فإن العالم الحر سيدخل في عصر جديد من الظلام .. ان نصرا يحققه بوش سيحوله الى ديكتاتور .. اذا لا قدر الله ولم ينتصر العراق فإن عصرا من الهيمنة الامريكية سيسيطر على العالم . اذ لم ينتصر العراق فسيتحول العالم الثالث الى قطيع من العبيد» [98]

وتوعد وزير الاعلام العراقي « بعض النظم في المنطقة بأنها ستقلب وستهزم الولايات المتحدة.. يجب أن تدعو للسلام ونحن نشرب من الكريسماس وان يخرج الشيطان من رأس

الرئيس بوش»[99]

«وبدأ التليفزيون العراقي يذيع افلاما عن الدفاع المدني واعلن عن تدريبات شاملة يوم ١٥ يناير»[100]

وعاد طارق عزيز يقترح ان يحدد كل رئيس موعد لقائه مع وزير خارجية الآخر (CNN)

وكما قلنا هناك تفسير واحد يبطل كل الاجتهادات ويريح تماما من محاولة تفسير مواقف صدام العجيبة وكيف كانت كلها لخدمة المخطط الامريكي .. هذا التفسير هو أن صدام كان مشتركا ومتآمرا بطريقة ما مع الادارة الامريكية على اتاحة الفرصة لها لتنفيذ ما نفذته. .أما إن كان هذا التفسير يصعب قبوله من العقل العربي البرئ! فلا مفر من أن نستطرد في الشرح والتفسير ..

فنقول ان مما ساعد على تضليله ، وقوف عدد من الدول في صفه دون مبرر مفهوم فلا هي من الدول الثورية ولا هي من المعروفة بعدائها لأمريكا مثل تونس واليمن والسودان وموريتانيا ، واعجوبة ازمة الخليج الملك حسين . وفي النهاية كسبوا الى صفهم المغرب بينما كانت سلطنة عُمان تقدم رجلا وتؤخر الاخرى على الصعيد الاعلامي طبعا .. كل هذا اعطى صدام شعورا بأنه لا يقف وحيدا ، بل يؤيده ما يقرب من نصف العرب ، بل حتى في داخل المعسكر العربي المضاد توجد اصوات مؤيدة مثل موقف حزب العمل وزعامات التيار الاسلامي ، والكواري في قطر والاعيب البلاط السلطاني في عمان ..والقذافي الذي قلبه مع صدام واجتماعاته وقراراته مع مبارك !

وانبه هنا الى ان هذا الموقف المعادي للمملكة من بعض الدول العربية لم يكن يخدم هدف غواية العراق فحسب ولا حتى مجرد تعطيل الحل السلمي ، اذ لو جوبه صدام برفض عربي شامل وحاسم ربما استجاب وخرج من الكويت وجنب العراق الكارثة .. ولكن هذا الانشقاق العربي خدم ايضا المخطط الامريكي بزيادة احساس دول الخليج بالعزلة فلم يكن امامها فرصة للعمل المستقل .

ويمكن القول ايضا ان هذا الانقسام المخطط من قبل ، في الموقف العربي وبالذات في الجامعة العربية، كان مطلوبا لتبرير التدخل الاجنبي بحجة عجز العرب عن الاتفاق على حل عربي .. وهكذا نرى ان الذين شقوا الموقف العربي في الجامعة بحجة انهم يريدون حلا عربيا ، هم الذين قضوا على هذا الحل .. وعملوا على نقل القرار من الجامعة العربية المنشقة العاجزة الى مجلس الامن

الذي تصدر قراراته بما يشبه الاجماع . كما تم حشد المنظمات الفلسطينية المنشقة على فتح في بغداد ولعبت دورها في الضغط على ابو عمار الذي لم يستطع الا المزايدة على هؤلاء.. . وبذلك تصور صدام ان المقاومة الفلسطينية في جيبه وانه سيشعل بها المنطقة . . فلما نشبت الحرب بدا كأن الشعب الفلسطيني انقرض ، ولم تنفذ هذه المنظمات عملية واحدة جديرة بأن يشار اليها! رغم مقتل خمسة الاف فلسطيني في الكويت وحدها خلال الأزمة !

في ضوء هذه العوامل التي ذكرناها . . تعالوا نتأمل مواقف الدول وسنري ان كل دولة كانت في موقعها بالضبط من السيناريو الامريكي . . بعضها فرض عليها الدور فرضا وبعضها لعبه عن اختيار واستمتاع . . وبعضها اندمج في الدور الى حد نسيان نفسه ونسيان الآخرين لتاريخه بل ونسيان أن الأمر تمثيل في تمثيل

الباب الثاني

الموقف السعودي **

الفصل الرابع

لماذا قبلت المملكة القوات الأمريكية؟

في استعراضنا لموقف الدول من أزمة الخليج كان من الطبيعي أن نبدأ بالمملكة فهي عند البعض المسئول الأول عن تطور هذه الأزمة من نزاع عربي ولو بحجم التهام دولة وشطبها من الوجود، الى نزاع عالمي لا يمكن التنبؤ بنهايته وابعاده . وهي عند هذا البعض التي اعطت الولايات المتحدة المبرر والشرعية لتنفيذ مخططها بقبولها نزول القوات الامريكية ، وقبولها أن تستخدم اراضيها وقواعدها وتسهيلاتها لضرب العراق ..

وليس هذا البعض هم العرب من انصار صدام فحسب ، بل ان بعض الاجهزة الغربية قد هبطت في تحريضها على المملكة الى حد الزعم بأن المملكة لو اوقفت ضخ النفط لوقفت الحرب !! ..

بينما يرى البعض انها هي التي كانت ولا تزال مستهدفة للتآمر الاستعماري والصليبي، وانها تصرفت بما املته عليها مصالحها وما فرضه العدوان العراقي ..وانها استطاعت ان توازن جميع الضغوط وتخرج من اخطر أزمة في تاريخها بأقل خسائر ..

ومهما يكن الرأي في موقف المملكة ، فإن الجميع يتفقون على انها هي الدولة التي حملت العبء الاكبر في هذه الأزمة ماليا وسياسيا .. والتي تعرضت للامتحان الاكثر قسوة ..

لقد ثار لغط شديد خلال الشهور السبعة الماضية وسيثور جدل أشد خلال السنوات المقبلة حول القرار السعودي بقبول نزول القوات الامريكية في الاراضي السعودية للدفاع عن المملكة وتنفيذ قرارات الامم المتحدة بمحاصرة العراق واجباره على الانسحاب من الكويت .. اما اللغط فلا شأن لنا به فقد تعرضنا في غير هذا المكان للفتاوى الدينية والسياسية حول هذا الموضوع ..بل إن صحيفة سعودية التمويل وهي « الحياة » تقرع حكام المملكة على قرارهم باستدعاء القوات وتنذرهم بالعواقب الوخيمة التي ستترتب على فعلتهم ! كتب رئيس تحريرهايقول :«هناك مثل لبناني عما يحدث للذي « يجيب الدب الى كرمه » وهو مثل لم يتعلمه اللبنانيون ولم يتعلمه العرب ولن يتعلموه ..» [1]

اذا كان هذا هو موقف من اختاره السعوديون للدفاع عن مواقفهم ، فماذا عن الاعداء والدهماء الذين يتعرضون لتضليل الاعداء ..

وفي عجالة تقول :ان كان في نزول القوات الامريكية اثم ووزر وإنه لكذلك ، فقد باء بإثمه صدام حسين و يحمل وزره بالكامل ، لأنه هو الذي خلق المبرر لهذا الانزال . . ولا يجوز ان يشعل احدهم الحريق في ثيابي ثم يلومني لأنني قفزت في النهر فابتلت ثيابي أو حتى غرقت وأغرقته معي . .

فدعنا من اللغط . . فالذين اثاروه هم كما قال الملك فهد تبين أنهم جميعا من انصار صدام حسين فهم لم يعارضوا الانزال كراهية في الامريكان بل نصرة لصدام وتغطية لفعلته . . اما الجدل فلم تتجمع بعد كل عناصره وهناك من الاسرار ما ستكشف عنه الايام وقد تكشف هذه الاسرار بدورها عن حقائق تغير التفسيرات . . ولكن في حدود المعلومات المتاحة حاليا فيمكننا القول بكل اطمئنان ان القرار السعودي لم يكن منه بد ولا عنه مفر في ضوء الظروف التي سادت الاسبوع الاول من اغسطس ، اذا ما تذكرنا ان الخيار كان بين قبول الوجود العسكري الامريكي . . أو مواجهة غزو عراقي . . وعلى الفور سيصرخ انصار صدام . . وهل كانت المملكة مهددة فعلا بغزو عراقي؟!

وسترد نحن بسؤال آخر: هل اقتنع السعوديون في الاسبوع الاول من اغسطس بوجود نية عراقية في غزو بلادهم ؟ ففي مواجهة مثل هذا الخطر يكون الاعتقاد أهم من الحقيقة . . ليس فقط عند العرب كما تتهم، بل عند كل العقلاء . ومع ذلك فالحقيقة بالأدلة والمنطق تؤكد أن الخطر كان حقيقيا وان التهديد كان اكثر من احتمال . . ولنبدأ بسماع شهادة لها وزنها لأنها من احد الذين ساهموا في صنع حيثيات القرار الذي غير وجه المنطقة . . والذي اعتبره بريماكوف من الصقور[٢] وهو الامير بندر بن سلطان ، وكان الأمير السفير في واشنطن قد سئل في مؤتمر صحفي . . هل تسرعت المملكة بطلب القوات الامريكية دون خطر حقيقي يهددها . . فقال :وبالطبع الفارق كبير بين مناقشة هذه الاحداث واصدار الأحكام بعد اسابيع وعلى بعد الاف الاميال . . وبين اتخاذ القرار والاحداث تقع ، وعلى ضوء ما جرى على الكويت قبل يومين . . وبعدما تبين ان كل ماصدر من تعهدات قبل الغزو لم يكن صحيحا . .

قيل إنه لن يدخل الكويت ....ودخل

وقيل إنه سينسحب ... ولم ينسحب

قيل إنه لن يرسل قواته جنوبا في اتجاه حدودنا . . وارسل

قيل إنه لن يأتي بصواريخ ارض ارض . . . وجاء بها

ثم يقول صدقوني أنا لن اغزو السعودية !!

على أي اساس نصدقك ؟! ولوغزوت فلن تقدر على صد الهجوم ..

في تلك اللحظة تقرر اخذ الاحتياطات اللازمة .. عملا بالحديث الشريف : اعقلها وتوكل..

في الواقع المملكة لم تتعجل .. المملكة صدقت ما قيل للكويت وعن الكويت الى ان وقع الغزو العراقي ، واصبح واضحا ماذا يترتب على التأخير في اتخاذ القرار في موقف مثل هذا وفي مواجهة هذاالحشد العسكري .

بعد الغزو تم اتصال مع الاخوان في العراق .. ليلة الغزو لم تستطع الاتصال بالرئيس صدام رغم محاولتنا . في اليوم الثاني تم الاتصال .. لكن ردوده لم تكن جادة ، بل كان يضحك ويمزح .. مثل : يا بو فيصل وانشالله ما تختلف ..– ويقول الملك : انت لا تقدر حجم ما هو حاصل يا فخامة الرئيس .. فيرد عليه :

– يا بو فيصل ولا يهمك

– اعتقد يافخامة الرئيس انك لا تقدرحجم المأساة التي وقعت .. وانا اطلب منك جوابا..هل ستنسحبون أم لا ؟!

رد : بالنسبة لهذا السؤال سأرسل لك عزت ابراهيم في شأنه ..

و جاء عزت ابراهيم وسأله الملك :هل ينسحب صدام أم لا ..؟!

رد : لا..!

سأله الملك : هل انت مقتنع بهذا ولك رأي فيه ؟!

رد : انا ليس لي رأي !

سلم عليه وقال له :اذن مع السلامة وليتصرف كل واحد كما يريد ..

تحركت القوات العراقية نحو الجنوب .. كانت ثلاث فرق .. فأصبحت سبع فرق تتحرك من البصرة تجاه الجنوب .. سبع فرق تغزو الكويت ؟ .. لماذا .. فرقة واحدة كانت كافية.. لماذا سبع فرق ؟! وفجأة ظهرت الصواريخ .. صواريخ « فروج » تتحرك الى الكويت ..ووقعت ثلاثة اختراقات لحدودنا مع الكويت .. وكان هناك خط ساخن بيننا وبين الاخوان العراقيين .. ومن سخرية القدر ان هذاالخط الساخن كان ثمرة التعاون الذي قام بين قواتنا الجوية خلال الحرب (الحرب الايرانية – العراقية) وبين هيئة اركانه (صدام حسين). عندما وقع الاختراق الاول استخدمنا الخط الساخن فأبلغنا انه وقع خطأ

في الاختراق الثاني لم يردوا علينا

ثالث اختراق . . لا أحد هناك . .

كان القرار الوحيد الذي يمكن لأي قيادة مسئولة ان تتخذه هو ما اتخذ . . يجب المحافظة على امن وسلامة ووحدة اراضي المملكة . . خاصة انه في هذا الوقت بالذات بدأت تصلنا المعلومات عما يجري في الكويت من فظائع وسمعنا من اللاجئين القادمين من الكويت عن السرقات والنهب وهتك الاعراض . . الى اخره .

اتخذ القرار . . طلبنا من الدول الصديقة والدول العربية والاسلامية الشقيقة . . من يستطيع مساعدتنا فليتقدم . . ولنرجع قليلا للوراء . . لنتبين ان المملكة لم تتعجل ولم تتهاون في نفس الوقت : قبل حوالي اسبوعين من الغزو كان هناك – كماهو معروف – خلافات حول البترول وبذلنا مجهودا كبيرا مع الاخوان في العراق والكويت والامارات حول مستوى الانتاج لكل دولة و السعر المطلوب . وحدث اجتماع في جده ووصلنا الى اتفاق قبله الجميع . ثم ذهبنا الى اوبك وصدرت قرارات اوبك ، واعتبرنا ان مشكلة النفط قد انتهت كمبرر، أو مصدر للتوتر والتصعيد. قبل الغزو باسبوع ابلغ الأمريكان السفير الكويتي كما ابلغوني–شخصيا– بوجود حشد عراقي . . حشد عراقي في اتجاه الكويت ؟ لم اصدق . . السفير الكويتي ابلغ حكومته فكان ردها : هذا ادعاء امريكي لكي يبرروا ارسال قوات والحصول على قواعد عندنا . . بعد ذلك بأربعة ايام أي قبل الغزو بثلاثة ايام ، ابلغت الولايات المتحدة سفارة الكويت ، كما ابلغتنا، ان القوات العراقية اتخذت وضع تشكيلات قتال . . ومرة اخرى كان الرد : هؤلاء الامريكان يبغون اثارة مشكلة بيننا ، لكي يبرروا ارسال قوات . –وبهذه المناسبة نحن ايضا ايدناهم في موقفهم وقتها– قال الكويتيون هناك تحرك عربي وعندنا عهود انه لن يقع شر ..حتى قوات الكويت التي كانت على أهبة الاستعداد خففت درجة الاستعداد حتى لا يستثيروا العراق . . وفي نفس الوقت بدأت الاتصالات التي سمعتم بها . . اتصل الملك فهد مع الرئيس صدام تليفونيا ، واخذ منه تعهدا بألا يقع غزو. كما تحرك الرئيس حسني مبارك والملك حسين والرئيس عرفات والرئيس على صالح كلهم تحركوا و كلهم حصلوا على تعهدات . . نفس التعهدات . الرئيس حسني مبارك والملك حسين والاخ ياسر عرفات تكلموا من بغداد الى الكويت وطمأنوا الاخوان الكويتيين انه لا يوجد خطر . ونحن أبلغناهم عن طريق الشيخ صباح الاحمد وزير خارجية الكويت الذي جاء عندنا ، فقلنا له ان عندنا تعهدات عراقية بأنه لن يقع غزو . وسافر الامير سعود الى بغداد ، وقد عتب

الرئيس صدام عليه وتأثر جدا من مجرد السؤال . . وقال للأمير سعود:عيب عليك تسألني هذا السؤال بعد ما قلته للملك فهد . فاعتذر له الامير سعود وقال أنا آسف . . ولكن . ليطمئن قلبي . .

انا شخصيا كنت مع الرئيس صدام قبل الشهر قليلة وامضيت عدة ساعات معه وكان مهتما بنفي الاشاعات – التي وصفها بالامبريالية والصهيونية لأنها تنسب للعراق مطامع ضد جيرانه .. وصدقته !

ووقع الغزو

بعد نصف ساعة من وقوع الغزو طلبت الكويت مساعدة امريكية ردوا عليهم . . كنا نود ذلك . . لكن للأسف لا نستطيع بعد ان بدأ الغزو . . (اذ ان التدخل الامريكي في مواجهة الغزو أو بعد الاحتلال يعني الدخول في حرب وهذا الاجراء له خطوات دستورية محددة في النظام الامريكي . ج)

هذه نقطة مهمة في الرد على سؤال ولا اقول ادعاء ان المملكة تعجلت وكان عليها ان تنتظر حتى يغزوها العراق ثم تطلب المساعدة !

لقد سألني طالب كويتي منذ فترة ..اين الاستخبارات الـ CIA و KGB والاستخبارات الكويتية والسعودية ؟! . . لماذا لم يخبروكم بوجود غزو . . قلت له أخبرونا فعلا انه سيقع غزو . . لكن هل تعرف ماذا كان سيحدث لو طلبت الكويت قوات اجنبية بناء على التحذير الامريكي ، وقبل ان يقع الغزو . . ؟ اول من كان سيتظاهر ضد القرار هو انت . . قال لي: معك حق . . قلت له: ويمكن انا كنت اساعدك وقتها وكنت اقول ..الله يهديهم . . لماذا جاءوا بالامريكان! فالكويت دفعت ثمن عروبتها وحساسيتها . .

بعد الغزو بأربعة ايام رأينا تحركات اخرى . . فماذا قالت الاستنتاجات العسكرية . . قالت اذا كان الهدف فقط هو الكويت فالأمر لا يحتاج لسبع فرق . ولو قلنا احتاج ثلاث فرق للاجتياح ، فلا يوجد مبرر لتحريك اربع فرق أخرى من البصرة . . رأينا حشودا وامدادات تتجمع في بغداد وشمال البصرة وتتحرك . . الخطأ الذي ارتكبه صدام حسين ، هو أنه نسي ان هناك ما يسمى بالتكنولوجيا ونسي ان هناك من يرون ويسمعون ويرصدون تحرك الصواريخ ويمكنهم أن يسجلوا حتى رتبة الضابط . . وهكذا سجلنا تحرك عربات قيادة .. اول ما وصل على حدود الكويت بعد الغزو مجموعة لا تتعدى المائتين . . وبالطبع ستسألني كيف اصف مائتين بأنهم اربع فرق ؟!

ولكن الصور من الاقمار الصناعية وبعد تكبيرها كشفت ان هؤلاء ليسوا مجرد ماكثين بل كل خمسين يمثلون قيادة فرقة بسياراتهم وتجهيزاتهم .. تحركت قيادات الفرق اولا ووقفت على الحدود.. اقصد كانت هناك ادلة كافية للشك ..وهنا صار القرار . لو قرر الرئيس صدام ان تتحرك الفرق السبع الى الظهران ما هي امكانية مواجهته من جانبنا أو ما هي الفرصة المتاحة عندها لطلب الدعم ؟ لو صدر الامر بالتحرك يكون بوسعه الوصول للظهران خلال ثمان واربعين ساعة.. حسبنا حساب اصدقائنا لو يحركون قوة كافية لردعه يحتاجون على الاقل لاسبوع بينما هو يستطيع التحرك الى المنطقة الشرقية خلال ٤٨ ساعة ويحتلها كلها . والكويت امامنا محتلة لتوها .. فالسؤال الذي واجهنا هو: هل نخاطر ونقول لا ..كما قالت الكويت .. أم نكتفي بما تجمع عندنا من ادلة ونتحرك؟ .. اخذنا بالادلة وتحركنا ..»[3]

وفي تحقيق في الواشنطن بوست (٥/١٠/٩٠) ما يعزز مقولة السعوديين عن الخطأ الذي وقعت فيه الكويت بتخوفها من طلب المساعدة الاجنبية . قالت الصحيفة انه عندما توافرت المعلومات عن نية العراق في الغزو ، عرض الرئيس بوش على الكويتيين اجراء مظاهرة عسكرية جوية لردع العراق ،ولكن حكومة الكويت تجاهلت العرض . اما ابوظبي فكان ردها على التوتر هو اصدار تكذيب علني للأنباء التي قالت انها سمحت للطائرات الامريكية باستخدام أراضيها! » وقال الملازم طيار عبد الخليل من الطيارين الكويتيين العائدين من الأسر العراقي ان الحكومة الكويتية كان يجب عليها طلب سلاح الطيران الامريكي قبل الغزو بأسبوعين حيث كانت نوايا العراقيين قد تبدت واضحة في ذلك الوقت »[4]

« العراق اشترت صورا بالاقمار الصناعية للسعودية والكويت تصور الطرق والبنية الأساسية وتتضمن اسرارا حساسة مفيدة للمهاجم وذلك قبل الغزو بثلاثة شهور من شركة فرنسية . »[5]

ونعود للسؤال : هل كان العراق سيغزو المملكة ..؟!

لقد عرضنا في غير هذا الفصل الآراء التي اعتبرت ان اكبر غلطة ارتكبها صدام بعد غزو الكويت انه لم يكمل غزوه هذا باحتلال المنطقة الشرقية .. ذلك انه لو تقدم واحتل الظهران وما حولها كما كانت تؤكد الشواهد والتحركات والتصرفات .لو اكمل زحفه حتى سيطر على نفط العراق والكويت والسعودية ومنع القوات الامريكية من استخدام مطارات ومنشآت المملكة لأصبح موقفه اقوى الى حد قد يمنع استخدام القوة ضده ..

« يتفق المحللون الان ان اول غلطة هي فشله في مواصلة الزحف يوم ٣ اغسطس بعد ان اجتاح

الحرس الجمهوري الكويت . اذ لو أن المليون عسكري عراقي غزوا السعودية في المرحلة الاولى لتغيرت الصورة ففي هذا الوقت لم تكن هناك قوات امريكية في المنطقة قال اندرو دانكن المدير المساعد لمركز الدراسات الدولية الاستراتيجية في لندن : قوات صدام كان بوسعها احتلال الخليج كله . وقال عسكري كبير في البنتاجون :لو أن العراق احتل الموانئ والمطارات السعودية لكان من المستحيل تنفيذ الحشد الذي تم . ولو سيطر صدام على الكثير من نفط المنطقة فربما امتنع الحلفاء عن استخدام القوة ضده خوفا من ارتفاع الاسعار وتدهور الامداد النفطي العالمي .»[6]

«لقد مر علينا اسبوع لو أرادوا غزو السعودية لما كان بوسعنا صدهم وللملك كانت هناك اولويات أمن واستقلال المملكة . » (بندر بن سلطان)

ونقل عن مصادر سعودية وغربية ان وزير الدفاع الامريكي ريتشارد تشيني ذهب لجدة بصور الاقمار الصناعية عن الحشود العراقية الضخمة المهددة ليريها للملك فهد في السادس من اغسطس .وان الملك فهد لم يكن متحمسا لاستدعاء قوات غير مسلمة لضرب بلد عربي من الاراضي السعودية وقالوا ان الملك كان اخر من اقتنع .

ونشرت الواشنطن بوست تحقيقا عن الملك فهد وقرار استدعاء القوات الامريكية بقلم كاريل مرفي جاء فيه «ان الملك الذي اشتهر خلال اربعين سنة من الخدمة العامة بالحرص والعزوف عن المواجهات والتمسك برأي الاغلبية ، وتجنب التسرع في القضايا الصعبة . ولكن عندما اندفعت الدبابات العراقية نحو العراق كان على فهد ان يستجيب للخطر على بلده ومن ثم فقد تخلى عن الموقف التقليدي للمملكة ودعا واشنطن للمساعدة . وقال ان الملك وان تأخر في اتخاذ القرار الا انه اذا قرر التزم وصمم على ما اتخذ .

لم يكن امام الملك من خيارفي اتخاذ قرار استدعاء الامريكان فالبديل كان فقدان استقلال المملكة وخضوعها للعراق . ولكنهاكانت اكبر مخاطرة في حياته»[7]

«وقال عدد من كبار المسئولين والضباط السعوديين انهم كانوا مقتنعين ان صدام ينوي ان يدفع جيشه جنوبا وانه كان بوسعه ان يطوي الارض غير المحمية ويحتل مراكز النفط في السعودية في المنطقة الشرقية في ايام .»

لماذا لم يكمل صدام زحفه . . ؟

وهذا السؤال بالطبع بافتراض انه ليس متواطئا . . فإن كان كذلك فلماذا لم يتقدم ؟ ولماذا كان يتحرش ويهدد المملكة ؟!

الجواب الوحيد هو : ليدفعها دفعا أو يرغمها على طلب القوات الامريكية . .

وما مصلحته في ذلك ؟

الجواب يختلف. . فإن افترضنا عدم تآمره فنقول إن حساباته كانت تؤكد انه يكسب اكثر بارغام المملكة على قبول القوات « الاستعمارية المشتركة » منه اذا احتل الظهران واستمرت معركته مع الدول العربية وحدها . . لأنه بموجب حساباته سيجعل المملكة ومن يؤيدها في معسكر الاستعمار وستتحول معركته من مواجهة أو اعتداء على بلد عربي الى تصد للامبريالية الامريكية. . وهذا في حسابه قد يجبر السعودية ومصر والكويت على مساومته وبقية العرب على مبايعته . . وهو افضل من مخاطرة غزو السعودية. . ولنضع في الاعتبار انه استبعد أو تلقى ما فهمه باستبعاد دخول امريكا الحرب ضده من اجل الكويت وحدها . وان اقصى ما تريده امريكا هو مبرر لنزول قواتها في السعودية ومشتركه في الكويت للاحتفاظ بهذا المبرر، وهذا هو عين المرام من صدام الذي يمكن عندها ان يدعي أن احتلاله للكويت انقاذ لها من الاحتلال الامريكي ، وعسى أن تكرهوا . . . . ويبدأ حرب ميكروفونات ضد الامبريالية التي تحتل السعودية. وهذا التفسير رغم منطقيته إلا أننا لا نميل إليه بل مازلنا نعتقد ان صدام كان داخل المجال المغناطيسي للاستراتيجيين الامريكان يحركونه بطريقة ما . . وانه كان يتحرك ويتحرش ويقطع التليفون وينقل صواريخ بهدف تخويف السعودية واجبارها على قبول النزول الامريكي وأنه لو حدث ورفضت المملكة لتقدم فعلا واحتل بعض ارضها ، وربما ادى ذلك مع بعض المساعدة من الامريكان الى وقوع انقلاب في المملكة يأتي بسلطة تطلب الدعم الامريكي تحت الحاح اكبر من الجماهير لأن قوات صدام ستكون داخل المملكة [8]

وهكذا لم يكن امام القيادة السعودية ولا دول الخليج من خيار . كانت الكويت هي رأس الذئب أوالكلب الذي ذبح لترويع واستئناس الخليج . . وانطلاقا من الحقيقة التي لم تعد محل جدل اليوم وهي أن الولايات المتحدة الامريكية قررت ان مصالحها الوطنية تقتضي هذا الوجود العسكري المكثف في الخليج وشن هذه الحرب . . ومن ثم كان لابد أن تفرض قرارها على دول المنطقة وكانت اداتها في ذلك هي صدام حسين وجيشه الذي وصف برابع قوة عسكرية في العالم . وباختصار لم تكن هناك قوة في العالم تملك منع النزول الأمريكي وقد قبله الاتحاد السوفيتي وباركه .

لقد ظلت الحكومة السعودية تكتم أنباء الغزو فلم تذعه ولا تشرته في المملكة ما يقرب من

يومين بأمل اقناع صدام باعادة التاريخ للوراء والانسحاب من الكويت دون حاجة لجلب الامريكان .. ولكن جهودها ذهبت عبثا ونداءاتها لم تلق حتى الرفض المهذب المفترض بين الدول المتحضرة فضلا عن الشقيقة . واخيرا لم يكن هناك مفر من قبول ما لا يطاق .. وقد قال الملك فهد :« بفضل الله حققنا الأهداف المرسومة ومنها صد العدوان واحباط المخطط الذي كان حاكم العراق يعتزم تنفيذه ... سلامة قرارنا الذي حسمنا امره في الوقت المناسب حيث لا وقت للمشاورات والمداولات آنذاك وفي اعتقادي ان موقف المملكة وشعبها لهو من اروع المواقف التي سجلها التاريخ في سفر امجاد هذا البلد واهله ..»[9]

وقد زعم دافيد هيرست «ان بعض السعوديين يقولون ان الطيران السعودي وحده كان يستطيع اعاقة العراقيين دون حاجة لقوات اجنبية .»[10]

والرد على هذا الدفع يسير ..اذ يكفي ان نتذكر ما كان يقوله الامريكان والبريطانيون عن الجيش الرابع في العالم والقوة فوق التقليدية الساحقة التي زعموا ان العراق يمتلكها.. ولا شك ان الولايات المتحدة كانت تملك ، في تاريخ قولة الصحفي هذه ، قوة جوية في المنطقة تفوق قوة السعوديين عدة مرات ومع ذلك كانت تبذل كل الجهود لمنع الاشتباك الى ان تستكمل القوات الحليفة استعداداتها .. فكيف كان سيخطر ببال السعوديين قدرتهم على مواجهة المارد العراقي بسلاح الطيران السعودي وحده،وهم يرون كيف تبدد الجيش الكويتي في دقائق .. ؟! وقد قال الضباط الكويتيون العائدون من الاسر العراقي « ان تعليمات قيادتهم كانت تقضي بعدم المقاومة أو اطلاق النار على قوات الغزو العراقي لأن القيادة اعتبرت مجرد المقاومة بمثابة انتحار»[11].. وهناك عنصر مهم اشارت اليه صحيفة الاندبندنت :«رغم ان دعوة الملك فهد لبوش لارسال القوات للمملكة كانت محتومة إلا ان المسئولين السعوديين كانوا تحت انطباع ان القوات الامريكية لن تلجأ للحرب بل ستترك الحصار الاقتصادي يأتي مفعوله.. كما اعطيت تأكيدات للملك وولي العهد بأن ارض المملكة لن تكون منطلقا لهجوم على العراق ..»[12]

فالمملكة لم تكن تسعى لمقاتلة العراق وانما كانت تهدف إلى ردعه .. والقوات الامريكية تشكل ردعا اكبر وافعل في حساباتها من الطيران السعودي .

وقد نسب للشيخ القطان انه قال في مسجد واشنطن « حاكم الرياض قال له لقد اكرهنا على قبول القوات الاجنبية » (١٩٩٠/٨/٣١)

وقد بذلت الحكومة السعودية كل ما في قدراتها ، وهي محدودة بلا شك في ظل السيف

العراقي المسلط والمشورات الامريكية، لتحقيق امرين :

أولا -: ان تجرد النزول الامريكي من صيغة الحماية .. فأخذت تعهدا مكتوبا بأن يتم انسحاب القوات فور انتهاء المهمة أو بطلب من الرياض . كما قيل إنه قد تم الاتفاق بين الملك فهد وبيكر ، على المبادئ التالية من ناحية التنسيق في موضوع القيادة :

١-القيادة مشتركة في حالة الدفاع عن المملكة .

٢- لا عمليات هجومية قبل التشاور بين الملك والرئيس بوش .

٣- في حالة القيام بعمليات هجومية، وكانت القوات الامريكية تعمل خارج المملكة ، تكون القيادة امريكية . (١١/٦)

والخلاف الذي شغل الصحافة فترة حول من له القيادة ، ومن يملك قرار الحرب والرواية التي نشرت عن استئذان واشنطن للرياض صباح الهجوم الجوي على بغداد فكما قالت الجارديان طلب بيكر الأمير بندر الساعة السابعة والنصف صباح الأربعاء للاجتماع به في مكتبه في الخارجية . وابلغ بيكر الأمير بندر أن بوش قرر بدء العمليات العسكرية وعلى الفور ومن تليفون الخارجية اتصل الأمير بالملك فهد مستخدما كلمة سر متعارف عليها تعني ان الولايات المتحدة تطلب موافقة الملك وهي شرط لشن الحرب من الأراضي السعودية ورد الملك بكلمة رمزية متفق عليها تعني الموافقة واعطاء الاذن فأنهى بندر المكالمة وقال لبيكر السعودية معكم [١٣] يتأكد لنا ان الامر لم يكن طلب حماية على مستوى القرن التاسع عشر .. بصرف النظر عن النتائج التي يمكن ان تترتب بعد ما وقعت الحرب .. وبعدما اصبح بوش مثل خان المغول تسعى اليه المانيا واليابان بالجزية لأنهما تأخرا عن ارسال الجنود في حرب لم تردها المانيا ولا اليابان بل حرب هي موجهة ضدهما بالدرجة الاولى .. ومع ذلك تجبر الدولتان العملاقتان على دفع تكلفتها بل ويفحص خان الامريكان الذهب الذي جاء به الاتباع ويرفضه لأنه ليس من العيار المطلوب فقد نقلت الانباء انه يصر على الدفع بالسعر الجديد للدولار الذي ارتفع منذ فرض الجزية الى تاريخ تسليمها للباب العالي ما يقرب من عشرين بالمائة ..ودفع الالمان واليابان عن يد وهم صاغرون .. فلا يجوز الآن البحث حول مستوى العلاقة بين قطر والولايات المتحدة بعد أن مكن صدام هذه الولايات المتحدة من شهر سيفها على العالم واحتلال الخليج والعراق .

ثانيا : حاولت المملكة قدر طاقتها تفادي اطلاق المدافع .. لأنه عندما تنطلق المدافع تسقط كل الاتفاقيات وتتغير الحقائق ويصبح المنطق والحق في فوهة المدفع .ولذلك كانت المحاولات

السعودية المتعددة، لتحذير الرئيس العراقي ومناشدته الانسحاب . . فإذا اضفنا لذلك التصريحات المتتالية التي صدرت في الاسابيع الاولى من الأزمة من عدد من المسئولين السعوديين والتي اكدت عدم الموافقة على شن هجوم على العراق : « ولكن المصريين والسعوديين قالوا انهم لن يتخطوا حدود العراق . » [11] وتأكيد الامير سلطان لـ «اشقائنا في العراق اننا لن نسمح بهجوم عليهم من أرضنا» ومناشدة الامير سعود العراق «بالانسحاب من أجل الفلسطينيين .» [12] ومعروفة تفاصيل الخلاف العلني بين المسئولين السعوديين والامريكان في الاسابيع الاولى للإنزال الامريكي حول اصرار السعوديين على ألا تهاجم العراق من الاراضي السعودية أو تقوم القوات الامريكية بعمل يستدعي ردا عراقيا وان يكون قرار الحرب عن مشورة السعوديين.

وكانت هيرالد تريبيون ٥/٩/٩٠ قد قالت : « نفى متحدث باسم البنتاجون ان يكون الجنرال « نورمان شوارتسكوف » قد احتج على تصريحات «الأمير خالد بن سلطان » وقالت ان الأمير بندر قال : « ان الاتفاقية الاصلية بين الملك فهد وتشيني تنص على ان القوات الامريكية دعيت للمملكة للدفاع عنها ضد هجوم عراقي وذلك يعني ضرورة الحصول مسبقا على اذن سعودي قبل القيام بأي عمل ليست له طبيعة دفاعية . وقد وصف مصدرعليم الاتفاقية بأنها تنص أيضا على منع استخدام القواعد السعودية بدون مشاورة مع المملكة وموافقتها لشن ضربة ضد القوات العراقية قد تؤدي إلى ضربة مضادة ضد المملكة . وقال المسئولون العارفون بالخلاف ، ان الرئيس بوش لم يجعل من تصريحات الامير بندر قضية وهي التصريحات التي اكدها والده والتي نشرت على نطاق واسع يوم الأحد ، والتي قال فيها ان السعودية لن تكون قاعدة لغير الدفاع . واكد المسئولون في البيت الابيض ان التعاون السعودي الامريكي قام على الدفاع عن السعودية واعطاء الحصار الاقتصادي الوقت ليفعل مفعوله . اما قضية العمليات الهجومية فيقول هؤلاء المسئولون انها مؤجلة »

وكتبت جريدة « الاحداث » وهي تمثل شيعة الخليج تحت عنوان «خلاف بين السعودية وامريكا حول اصدار قرار الحرب » فقالت :« بدأ النزاع حين قال قائد عسكري سعودي هو الفريق الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز ان أي قرار باستخدام القوات الامريكية المنتشرة في المملكة يجب ان تسبقه مشاورات بين الرئيس بوش والملك فهد ثم كرر الاميرخالد بن سلطان بأن بلاده لن تسمح للقوات الغربية بمهاجمة العراق من اراضيها مما اثار الاستياء لدى قائد العمليات الامريكية . وفي وقت لاحق نقل بوش للسفير في واشنطن الامير بندر ، وهو شقيق الامير خالد وابن وزير

الدفاع ، حرص العسكريين (الامريكيين) على ضرورة خضوع القوات الامريكية للقيادة الامريكية بلا منازع . ولكن الامير بندر اعاد تأكيد ما ترى حكومته من ان الاتفاق الذي تم بين الملك فهد ووزير الدفاع ريتشارد تشيني وهو أن القوات الامريكية دعيت الى اراضي المملكة للدفاع عنها من هجوم عراقي ، وان ذلك يعني ضمنيا ضرورة الحصول على اذن سعودي للقيام بعمل خلاف عملياتها الدفاعية .»

وقد شهد بريماكوف انه لما قال للملك فهد ان الاتحاد السوفيتي يريد الانسحاب وإعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل الثاني من اغسطس لكنه يسعى لتحقيق ذلك بالسبل السلمية صفق الملك فهد » وقال ان القيادة السعودية :«كان يقلقهم نهج العراق في تغيير الشكل الديموغرافي للكويت ويبدو ان بين اعضاء العائلة المالكة من كان يميل إلى العمل العسكري نظرا لأن الوقت كان يعمل لصالح صدام ولكني استطيع أن اؤكد ان الملك فهد كان يأمل مخلصا في امكان ارغام صدام على الانسحاب من الكويت عن غير الطرق العسكرية » وقال ان الملك فهد نوه بضرورة التوصل إلى نظام يكفل عدم عودة العراق الى تهديد جيرانه والا فسوف يتحتم علينا التسلح حتى النهاية ليس فقط بزيادة استيراد السلاح بل وتصنيعه .»[16]

وهذه الحقائق تؤكد ان المملكة لا دبرت ولا سعت ولا ارادت ضرب العراق في البداية ، بل الاغلب انها اعتقدت ، كما اعتقدت الغالبية ، ان الحشد العسكري وقرارات مجلس الامن ستقنعان صدام بالانسحاب بلا قتال .ولكن تغلب خيار الحرب برفض العراق الانسحاب وعندما شن العراق حملة اعلامية تجاوزت الخلاف المطروح الى محاولة تمزيق الوحدة الوطنية السعودية بمخاطبة نجد والحجاز ثم المستوى الذي هبطت اليه صحافة العراق في الخارج وأخيرا التهديدات الارهابية ..

« ٣ محطات اذاعة عراقية موجهه للقوات العربية والمسلمة .. راديو مكة المكرمة الذي بدأ ارساله من يوم ١٠ اغسطس بالعربية ومن يومها وهو يهاجم يوميا الملك فهد والسعودية من اجل الخطيئة التي لا تغتفر بدعوة قوات غير اسلامية للمملكة . راديو مكة لا يشير الى السعودية ابدا بل يلقبها ارض نجد والحجاز ويلقب حاكمها بخائن الحرمين ويذيع اغاني ثورية ويدعو السعوديين للجهاد والثورة ضد البيت المالك .»[18]

واذاع راديو بغداد خطابا مفتوحا للملك فهد من الرئيس صدام قال فيه ان السعوديين قد اخطأوا وان وجود القوات هو اعلان حرب على العراق وقال اذا كان الملك يريد ان يرى العراق يسعى

للسلام فيجب ان يرسل القوات الدولية الى بلادها ويدعو ما شاء من الجيوش العربية لحماية السعودية.» CNN وقال إن الآلاف من السعوديين سيقتلون.» (ITV)

« يقول اللاجئون العراقيون ان طيارا سعوديا سقط في البصرة قطعت اذناه» (ABC)

اصبحت الحرب هي اخر الدواء أو الحل الذي لا مفر منه .. ليس فقط بسبب الخطر العراقي ولا الاستفزاز العراقي .. بل أيضا لأن السعوديين وكثيرا من حلفائهم العرب بدأوا يشكون في نوايا الامريكان ، وساد اعتقاد ان امريكا جاءت لتبقى لا لتحارب ، ومن ثم اصبحت الحرب هي بداية التخلص من الامريكان أو قل الامل في التخلص منهم .. وحتى بعد ان تأكد ذلك ، كانت المملكة تتمنى ان يأتي الفرج بانسحاب سلمي للعراق وظل الملك فهد يناشد صدام ان يفلت من المصيدة الامريكية وينقذ المنطقة بل العالم من المخطط الامريكي الجهنمي الامر الذي كان يثير حنق الامريكان فيلجأون الى صحافتهم تشن الحملات المفضوحة ضد النظام السعودي وال سعود .. وعندما ذهب الملك لاستعراض القوات في الجبهة وجه نداء لصدام وعده فيه بعدم الملاحقة اذا انسحب من الكويت وزاد على ذلك بامكانية بحث شكوى العراق بعدالانسحاب . وقال :

« لم نتخذ قرارا بحرب ولا سلام ولكننا اتخذنا قرارا بعودة الكويت سلما ما أمكن السلم وحربا حين لا يبقى سوى الحرب .. نريد أن يعرف الانسان الذي كنا نعتبره الاخ والحليف والصديق ان الستار لم يسدل بعد على مشهد الحرب المحرقة وان بإمكانه حتى هذه اللحظة ان يجنب نفسه وشعبه هولا سيكون هو وشعبه أول ضحاياه وانا بدورنا قادرون على أن نتخذ قرار الوئام وان قرار السلام في اللحظات التاريخية كثيرا ما يكون اشجع من قرار الحرب .» [١٩]

وبعد انتهاء الحرب كشف الملك فهد عن بعض ملابسات الغزو العراقي واكد اقتناع المملكة بنية الغزو العراقي قال : «ان الأمير جابر روى له انه لما كان في مؤتمر بغداد قال لصدام .. وعدتنا بالزيارة وطال الوقت وما زرت الكويت .. فكان جواب صدام سوف ازور الكويت في خلال الاشهر القليلة المقبلة فقال له الأمير : لابد ان نعلم عن ذلك حتى نقوم بالواجب . فقال صدام لا ما يحتاج ! أنا سوف ازورك وانت ما تدري وقال صدام اما موضوع الحدود فسوف احلها في الاشهر المقبلة هي وزيارتي سوف افاجئك بحلها .

«وبعد ان احتل صدام الكويت واخذت خبرا حاولت ان اتصل به وقيل انه بعيد عن الهاتف ! هل معقول ان رئيس دولة يهاجم الكويت وما عنده هاتف ؟! لقد ادركت انه لا يريد ان يتكلم معي . في العاشرة صباحا اتصل بي قلت له الهاتف لا يصلح قال انا سأرسل لك نائبي وكنت منتظرا

من نائبه ان يفوض المملكة بأن تعمل مجهودها لحل المشكلة بالطرق السلمية ويؤكد لنا انه مستعد ينسحب للحدود ولكن علي العكس من ذلك قال نائبه انا جئت مبعوثا من صدام حتي اقول لك ان الكويت جزء من العراق وان هذا الجزء عاد الى اصله. فاستغربت هذا الكلام وقلت هل عندك كلام اخر غير هذا قال ليس عندي شئ لقد كلفت ان انقل لك هذه الجملة . قلت لنائب الرئيس ليس هناك اصل ولا فرع نحن قرأنا التاريخ ونعرف العراق ونعرف الكويت من اكثر من مائتين وخمسين سنة وعمر العراق ما احتل جهة في هذه الاماكن أو وضع يده على الكويت . وانتم بارادتكم بارادة احمد حسن البكر وصدام حسين واقفتم على اتفاقية بينكم وبين الكويت وهي تنص نصا صريحا باعترافكم بدولة الكويت وبعد هذا تبادلتم العلاقات الدبلوماسية. فأنتم لم ترغموا ولم تحتجوا على شئ . كيف يمكن ان تقول الآن ان الكويت جزء من العراق ؟!

اذا كان يريد ان يجزئ فالموصل ليست جزءا من العراق فالعراق المعروف هو البصرة وبغداد . فكان جواب الرجل محدودا حيث قال ليس عندي شئ استطيع ان اوضح لك اكثر من ذلك ، يقول صدام ان الكويت جزء من العراق وعاد الجزء الى وضعه الطبيعي . عندها ادركت ان النقاش أو البحث ليس واردا وكلنا نعرف ان ابواب صدام قد طرقت من قادة العرب ومن قادة الدول الاسلامية ومن قادة الدول الأوربية والامريكية ومن كل مكان في العالم حتى قيل له صراحة اذا انسحبت من الكويت فنحن نضمن لك الا تهاجم في العراق هذا قيل حتى في المحافل والهيئات الدولية الا انه رفض رفضا قاطعا .

وقلت لكل من جاءني للتوسط هات كتابا موقعا من صدام انه ينسحب من الكويت بدون قيد ولا شرط وان اتفاق ١٩٦٣ هو النافذ وفي ذلك الوقت فيمكن ان نجتمع انا وصدام لاصلاح الأمور التي يمكن اثارت هذه المشكلات اما اني اجتمع مع صدام فهذا مستحيل نهائيا لأني ادرك ان صدام لأنه اصبح معزولا فهو لا يريد هذه المقابلة الا للدعاية .. وكل الذين ذهبوا لم يأتوا بنتيجة لأن النتيجة التي يريدها صدام هي ان يظهرهم في التليفزيون بأنهم جاءوا يترجون صداما في بغداد. والرجل لا يريد الا ابتلاع الكويت وكان يخطط لابتلاع جزء من المملكة وادركنا هذا خلال ايام قليلة جدا ويمكن الكثير لمسوا انه يوم ٢ اغسطس لم يصدر من المملكة أي بيان ، حتى ان الذين يريدون خلق مشكلة بين الكويت والمملكة قالوا ان هذا ربما يكون تآمرا بين صدام والمملكة علي اقتسام الكويت !

ولكن يوم الخميس كنا نفكر تفكيرا بعيد المدى قبل ان تعلن المملكة بصفة رسمية انها تريد

من الامة العربية والدول الاسلامية وجميع الدول الصديقة ان تقدم ما تستطيع من مساندة للقوات العسكرية السعودية.» [٢٠]

عقب توجيه الدعوة لنائب الرئيس الامريكي كويل لزيارة المملكة ليشكره للملك فهد شخصيا على موقف امريكا لخص الأمير بندر بن سلطان الموقف بقوله « ان الموقف الان في يد صدام والخيار خياره وانه قد حان الوقت لكي يساهم العراقيون في السلام.» [٢١] ولكن صدام صم اذنيه وصمم على الحرب ..

وهنا صرح الأمير خالد بن سلطان ان القوات السعودية ستكون في الصف الاول لطرد العراق من الكويت وقال «نحن نعتقد انه ان كان اصدقاؤنا هنا لإراقة دمائهم من اجلنا فان اقل ما نفعله هو أن نكون في المقدمة.» واضافت المصادر الغربية « ان السعوديين سيعبرون الحدود ويريدون الاشتراك في الضربة الاولى . وهذه التعليقات تشير الى ان السعوديين يتوقعون المساهمة في الضربة الاولى .

وتحدثت عن الأمير خالد الذي تخرج بدرجة الشرف من كلية الطيران العسكري الامريكية في ماكسويل فيلد في مونتجومري الاباما وقالت انه يصر علي ان تأخذ قواته المواقع الامامية حتى لو كان ذلك يعني خسائر بالالاف . ونقلت عن الأمير خالد قوله :«اذا مس أي شخص بلادي أو اذا صدرت اوامر من الملك سترون جنودا اشاوس يصدعون بما يؤمرون ..اعدكم بذلك.» الامريكان يتوقعون مقاومة صعبة من العراقيين ولكن السعوديين لا يتوقعون ذلك وقال الأمير خالد أنا متأكد من ذلك مشيرا الى ضعف معنوياتهم. ولما سئلوا عن الاختلاف في التقديرات رد سعودي آخر: نحن نعرفهم اكثر.» [٢٢]

وقد صدقوا ..

وردا على تصريحات الأمير الفريق خالد بن سلطان عن استعداده للدفاع عن وطنه صدر من بغداد ما وصفته القدس بـ : «تحذير عراقي شديد اللهجة ..نقلت وكالة الانباءالعراقية عن الفريق الركن رئيس اركان الجيش الذي لم توضح اسمه قوله : «اننا نقول لخالد بن سلطان وأعوانه بأنهم ان فعلوها فسنقطع رؤوسهم وسوف لن يحميهم عند ذلك اللجوء الى امريكا أو غيرها وستدحرج الكثير من الرؤوس الحائرة والخائبة.» [٢٣] وقالت العرب :«رئيس الاركان العراقي لخالد بن سلطان : اذا فعلتها قطعت رأسك» [٢٤]

وكان تعليقنا يومها : « اطرف ما في الخبر هو أن رئيس الاركان العراقي لم يذكر اسمه في

الانذار! وتفسير ذلك إما انه لا يوجد رئيس اركان في بغداد بعد التصفيات الاخيرة ٠ وإما ان رئيس الاركان يحاط للمستقبل اذا ما لجأ هو للسعودية ونزل في ضيافة الفريق خالد ٠٠ ولاحاجة للفريق خالد بتسمية نفسه مربعاً لأن الفرزدق لم يوقع زعمه!

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه القوات السعودية مشتبكة بالسلاح الابيض في شوارع الخفجي مع القوات العراقية حاول الملك فهد أن يرمي مرة أخرى طوق النجاة لوحش بغداد لينقذ العراق من التدمير، اذا كان مصير العراق يعنيه ، فدعاه للانسحاب من الكويت ووعده بوقف اطلاق النار وسلامة العراق ٠ولكن حديث الملك تضمن لأول مرة في تاريخ المملكة دعوة صريحة للجيش والشعب العراقي للاطاحة بصدام عندما دعا الملك «جيش العراق وشعبه للتصرف في هذه الظروف التي ليس من مصلحة العراق الاستمرار فيها ٠٠ وهذه امنيتي ٠٠» وهذا الموقف السعودي الثوري لا تمليه فقط الاعتبارات القومية التي تجعل الملك يقلق من خطورة ما يتسبب فيه نظام صدام للعراق والأمة العربية كلها ، بل وربما كان مؤشرا مهما على التطور الذي يحدث في المنطقة كلها وفي الفكر السعودي على ضوء الحرب الدائرة وبتأثيرها ، وقد قيل ان الحرب هي قاطرة التاريخ ٠ ولا يمكن تصور استمرار المفاهيم القديمة بين الجنود السعوديين الذين حرروا الخفجي من العراقيين ٠٠ ان الدم الذي سال بين الاخوة قد غير وسيغير الكثير، وربما يقال ان القومية السعودية قد ولدت مع الصواريخ وفي شوارع الخفجي ، اما ان هذا للخير أو للشر فلا نعتقد ان هناك ما هو اكثر شرا من الأوضاع التي صنعت الثاني من اغسطس ٠وقد قال رئيس وزراء بريطانيا ان الخليج لن يعود أبدا لما كان عليه وهذا صحيح جدا ولكن في أي اتجاه ٠٠؟! من يعش سيرى ٠٠

تصريح سلطان ..

أخطأوا تفسيره فأصابوا كبد الحقيقة !

الأمير سلطان سياسي مخضرم أو ان شئت ارقم يتولى العمل العام منذ كان بوش في المدرسة الثانوية وهو بلا جدال من اذكى اولاد عبد العزيز . ولاه ابوه ، الذي لا تخطئ فراسته ، امارة الرياض قبل ان يتم السادسة عشرة من عمره وفي ظروف قاسية على الجميع بعد حادثة مشهورة .

وعندما تصدى الملك فيصل لانقاذ البلاد من الأزمة التي سببتها بعض سياسات الملك سعود .. لم يكن للملك فيصل من اخ شقيق ولا مصاهرة في القبائل تشد ازره فقام التحالف الشهير بين فيصل وال فهد الذي بلا شك كان من اهم عوامل نجاح الملك فيصل ونجاح المملكة في تخطي ازمات العصر الناصري كله ، يوم كان الامريكان والانجليز يراهنون كل شهر على سقوط العائلة المالكة واستحالة ان تقدر على مواجهة المد الاشتراكي الثوري التقدمي العلماني الناصري البعثي ، كما كانوا يسمون حركات الخمسينات والستينات .ويوم كانت النظم تتهاوى والانقلابات تصبغ حياة البلدان العربية والاسلامية عن يمين المملكة وشمالها ومن فوقها ومن تحتها، وبقى نظامها وحده راسخا لاكثر من مئتين سنة والبعض يستطيع القول بل تسعين سنة .. هذا الاستقرار الذي كانت دعامته تحالف الفيصل مع الفهود ـ كما يلقب الملك فهد واخوته الستة ـ وهم اكبر مجموعة اشقاء من اولاد عبد العزيز والذين تربطهم مصاهرات مع جميع القبائل والعائلات ذات الثقل في المملكة .. في هذا التحالف كان الملك فيصل يكاد يتبنى الأمير سلطان .. فهو كاتم سره ومساعده الايمن ومستشاره ومنفذ افكاره .اول من يراه واخر من يفارقه .. ومما تجدر ملاحظته انه لما وقعت الفتنة الناصرية في اليمن وواجهت المملكة اول تهديد حقيقي من الخارج بعد سقوط العرش الهاشمي في العراق ، كان الأمير سلطان هو الذي تولى المسألة اليمنية فقتل ـ كما يقولون ـ لعبد الناصر والسلال بين الذروة والغارب ..واستطاع ان يجيش الجيوش ويؤلب القبائل ويدخل السلاح ويلعب بالسياسيين حتى حصر الخطر في اليمن ثم صفاه ..ولا شك ان أي عسكري في اليمن مهما كان مركزه يعرف ان لسلطان في اليمن من الجبل للساحل من الولاء والاتصالات بل والخبرة ما يحبط احلام أي مغامر . .الغريب انه بعد ثلاثين سنة عندما تهدد الخطر الصدامي المملكة من الشمال فإن ولدي سلطان هما اللذان توليا مسئولية

المواجهة.. خالد على خط النار ويندر على جبهة السياسة والدبلوماسية والاعلام معا.

والاعجب ان الأمير سلطان كان متوعكا من مرض في ركبته بسبب الما له عند المشي فلما وقع غزو الكويت واقترب الخطر من حدود المملكة اذا به ينتفض وكأنه عاد للوراء عشرين عاما ويفاجأ الجنود به في الجبهة يسعى بلا شكوى ولا الم .. تقمصته عزيمة عبد العزيز الذي ربط على جرحه واعرس واستكمل القتال حتى لا يشمت الاعداء أو تغريهم اصابته ..وهكذا راح سلطان يجوب المملكة من جيزان إلى حفر الباطن بل ودول الخليج، تراجع الم الجسد امام الأم الامة .. أو كما قال في جيزان :« ان الوضع الذي تعيشه الامة العربية والاسلامية وضع مأساوي اذ وجدت شعوب المنطقة نفسها تتقي شر بعضها البعض» وقال :«ان سبب ذلك هو التصرف اللامسئول الذي قام به العراق بغزو دولة الكويت واضاف انه يجب الا نترك رجلا لا يقدر المسئولية اخذ من التقدير والدعم فيما مضى ما لا يستحقه اذ اثبتت الايام نواياه في الاعتداء على جيرانه » وان هذا المثل يجب على الشعوب العربية أن تعيد من خلاله النظر في كل قيادة رعناء لا تتمسك بالشريعة الاسلامية ..»[٢٥]

قال الأمير سلطان :« إنه لا مجال لمناورة أو مداورة من العراق وعليه الانسحاب من الكويت طال الزمن أو قصر ..»واكد على الانسحاب العراقي وعودة الشرعية بقيادة الشيخ جابر وسحب الحشود العراقية وتأكيد ضمان عدم تكرار العدوان . وقال عن الربط:« من العبث والمستحيل ربط قضية فلسطين بالعدوان العراقي والسعي لتحرير الكويت ولكن قضية فلسطين ستكسب الكثير بعد انسحاب العراق ويتفرغ المجتمع الدولي لمعالجتها بنفس الروح التي ادان بها العراق ..»[٢٦]

لماذا هذه المقدمة ؟!

لأنني اريد ان اتحدث عن التصريح القنبلة الذي اطلقه الأمير سلطان في عنفوان ازمة الخليج فأثار اكبر عاصفة في حينه وخفض سعر النفط واستغرق كل تعليقات الصحف والاذاعات لاكثر من اسبوع ، واثار انزعاج البيت الابيض والبنتاجون فلم تكف تليفوناتهما عن الدق في جده والطائف والرياض ، بل قيل ان بعض الرؤساء توجهوا بأنفسهم إلى المملكة لتطمئن قلوبهم .. ودخل التصريح التاريخ ليفسره المفسرون والمحللون .. ومازالوا فيه يختلفون ..

وبداية وبعد هذه المقدمة ومهما اكد المسئولون فهو – أي التصريح – لم يكن – في اعتقادنا – زلة لسان ، فهذا السلطان الذي حدثتكم عنه يسيرة من شخصيته ووعيه وخبرته لا يزل لسانه..في مثل هذه القضايا..!

وسأبدأ ببعض ما نقلنا وكتبنا عندما صدر التصريح ٠٠قلنا يوم ٩٠/١٠/٢٣ :

« تصريح الأمير سلطان لم يحدث الاسترخاء ولكن الاسترخاء هو الذي لون تصريحات الأمير سلطان ، فكما اشرنا من قبل هناك اتجاه عام لخلق جو من الاسترخاء واستبعاد الحرب بالمبالغة في خسائرها وبالحديث عن تعاظم تأثير الحصار الاقتصادي على العراق وتزايد نشاط الدبلوماسيين الوسطاء الذين يسافرون شرقا وغربا ٠٠في هذا المناخ جاء تصريح الأمير سلطان فتعلقت به وكالات الانباء والمضاربون في سوق النفط وتلقفه رأي عام لا يريد الحرب ٠ وكان الأمير سلطان يتحدث بصفة عامة عن المبادئ التي يجب ان تسود العلاقات العربية ٠٠ وبعد أن اكد أنه لا حل الا الانسحاب الكامل غير المشروط وعودة حكومة الكويت الشرعية ، استعرض سلوك المملكة وكيف انها لم تجد غضاضة ولن تجد في أي تنازلات ارضية أو بحرية بين دولة عربية وشقيقاتها. ٠ وقال ان العرب على استعداد لاعطاء كل ذي حق حقه بما في ذلك العراق ٠٠ ولعل الاندبندنت قدمت افضل عرض لتصريحات الأمير رغم ما جاء في مقدمة عرضها فقد قالت « للمرة الثانية يثير الأمير سلطان الاضطراب بين حلفاء بلاده ، ففي اغسطس اثار الأمير غضب الجنرال نورمان شوارتسكوف قائد القوات الامريكية في السعودية بالاصرار على انه لن يشن هجوم من السعودية ضد من أسماهم اشقاءنا العراقيين ٠اما هذه المرة فبملاحظة بدا فيها كأن السعودية تريد الكويت ان تتنازل عن اراض للعراق ٠٠ وملاحظته دفعت العائلة المالكة الكويتيةالى ان تؤكد انها لن تقبل الا الانسحاب غير المشروط من أراضيها ٠٠ في واشنطن اندفع البيت الابيض لتوضيح الوضع فصرح المتحدث باسم البيت الابيض مارلين فيتزواتر: لقد أُبلغنا انه لا تغير في سياسة السعوديين وانهم مستمرون في اقتناعهم بأن الحصار فعال ويجب أن يستمر٠٠ وفي حديث من التليفزيون حث الملك فهد الرئيس صدام ان ينسحب من العراق قائلا انه لا يشينه ان ينسحب ٠٠

وعلقت الاندبندنت :« ان تصريحات الأمير سلطان أسيء تفسيرها ، فقد بدأ بقوله ان أي حل لا يتضمن الانسحاب الكامل وعودة الشرعية غير مقبول ٠٠ اذا كانت هناك أي حقوق للعراق فسنؤيدها٠٠ »

وقالت التايمس :« ان السعودية قدمت دعما غير متوقع للآمال في حل دبلوماسي لأزمة الخليج باقتراح ان الكويت قد تعطي تنازلات أرضية للعراق ٠٠قال الأمير سلطان للصحفيين ان السعودية: «لا ترى ضررا في ان يقدم بلد عربي تنازلات في الارض أو البحرلبلد عربي» وقالت إن امريكا سارعت لتوضيح للموقف بعد أن قال الأمير سلطان إن العرب على استعداد لاعطاء العراق

كل حقوقه ، ولكن الأمير قال انه لا سبيل لتخفيف مطلب الانسحاب غير المشروط، وقال البيت الابيض امس انه قد أكد لنا (مبني للمجهول) انه لا تغيير في السياسة السعودية ». ومع ذلك استمرت في القول: « ان هذا التحول غير المفهوم في موقف القيادة السعوديه فسر في كل من العالم العربي والغرب على انه علامة على ان المنطقة تتجه الان للمرحلة النهائية من النشاط الدبلوماسي المكثف قبل ان تستكمل الولايات المتحدة وحلفاؤها بناء قوتهم العسكرية. ومن المتوقع ان تشهد الاسابيع القليلة القادمة اشد مراحل التوتر منذ الغزو ».

اما الهيرالد تريبيون قرأت ان الأمير سلطان رفع احتمالات ضمان العراق مخرجا على الخليج ، ودعا العرب للبحث عن السلام بكل الوسائل ... و فسرت ذلك بأنه قد يكون اشارة إلى ان السعودية حريصة على تجنب مواجهة عسكرية مع العراق .. وقالت ان الموقف قد ازداد اضطرابا بالزيارة غير المتوقعة لمبارك وكانت CNN قد أذاعت (ان الرئيس مبارك هرع إلى السعودية لاستيضاح الموقف ..) وقالت « تصريحات الأمير سلطان الذي يعد الثالث في ترتيب العرش عززت الانطباع الموجود فعلا بأنه هو الذي يتزعم تيار الاعتدال بين القيادة السعودية.» (٢٣/١٠/) (قبل اسبوع واحد كانت هذه الصحف تقول ان سمو ولي العهد هو المعتدل وأن الأمير سلطان واولاده يقودون الجناح المتطرف !!) وذهبت صحيفة إلى القول :«ان المسئولين الامريكان قلقون من احتمال الخلاف بين افراد العائلة المالكة حول الخطوة التالية . وقالت ان استخدام مستر بوش لغة حاسمة ضد التنازلات من أي نوع قد ترجمت هنا على انها قصد بها صلب عود الرياض »[٢٧]

ومعروف انه في مثل هذه التصريحات المقصودة ، يصدر بعدها تفسير أو حتى تكذيب، فذلك عرف متفق عليه ومقبول في لعبة السياسة التي هي مثل قميص يوسف بسبعة الوان! وفعلا بعدما اشعل التصريح الموقف واستثار ما كان يريد إثارته ، وكشف ما اراد كشفه من المواقف والنوايا .. صدر توضيح لوكالة الانباء السعودية « لما بثه بعض وكالات الانباء من تفسيرات خاطئة لبعض الفقرات الواردة في حديثه ، ما يعتبر تحريفا واضحا في المعنى المقصود .واكد الأمير ان المملكة ملتزمة بجميع القرارات العربية والدولية التي تطالب العراق بالانسحاب الفوري والكامل دون قيد أو شرط ومنعا لأي التباس أو اجتهاد وجب ايضاح المعنى المقصود ...» (الشرق الأوسط)

وكنا قد ذكرنا في يوميات ١٠/٢٥ ما نصه : « قال محلل سابق في المخابرات الامريكية ان تصريحات الأمير سلطان كانت مخططة لمعرفة حقيقة مواقف الحلفاء وبعد رد الفعل الامريكي

السريع بالرفض سحب التصريح من جانب ابن الأمير والملك فهد»

وقد تشبث الامريكان والانجليز على المستوى الرسمي بالتوضيح ..

فنقلت التايمس عن وزير الخارجية البريطاني .. ان تصريحات وزير الدفاع السعودي قد حُرفت وان الحكومة السعودية قد اعطت تأكيدات بأن مطلبها في الانسحاب غير المشروط لم يتغير .. وكذلك اجتمع الأمير بندر بن سلطان وجيمس بيكر وزير الخارجية الامريكية لكي يؤكد له أنه لا تغيير في السياسة ، وقال للصحفيين ان صدام حسين يجب الا يعيش تحت أي وهم فنحن مصممون على الا تحمل العدوان بفيد ، يجب الا يكافأ العدوان .. (نص الشرق الأوسط عن تصريحات الأمير هو : «السعودية لم تغير موقفها على الاطلاق ولم ار شيئا يحث على التفاؤل ولا توجد مؤشرات على ان العراق مستعد للانسحاب ، وقال : «اذا كان الرئيس صدام يستمع اليه فيجب الا يقع تحت تأثير أي وهم وان السعودية مصممة على الا يكون للعدوان مكاسب وانه يجب عدم مكافأة العدوان ، ان السعودية لا تزال تهدف إلى انسحاب عراقي غير مشروط وعودة الحكومة الشرعية وبعد ذلك اذا اختارت الكويت التفاوض مع العراق فهذا متروك لها» [28]

ونسبت آن ديفوري في الواشنطن بوست للرئيس بوش قوله «ان السعوديين يؤيدون التشدد مع العراق ، ونقلت عن السفير السعودي في واشنطن انه انكر ان السعودية تريد من الكويت ان تتنازل عن اراض لحل ازمة الخليج سلميا ، وقال « ان السعودية لم تقترح تنازلا كويتيا لأي احد »

ونقلت الاندبندنت عن رئيسة الوزراء : «ان السعودية لم تغير موقفها وقالت :لقد اتصلنا اليوم مع سفيرنا في السعودية الذي اكد لنا رسميا ان الأمير سلطان قد حرفت كلماته وان الحكومة السعودية اوضحت بجلاء ان صدام يجب ان ينسحب تماما .» [29]

واكدت التايمس .. «ان بوش بذل جهده لامكات الحديث عن التنازلات عندما صرح انه لا يمكن ان تكون هناك مساومة مع هذا اللون من العدوان .. ليس النفط ما يشغلنا بل العدوان وهذا العدوان لن يستمر ، وقارن بين ما فعله صدام في الكويت ومافعله هتلر في بولندا » [30]

ولكن الصحافة والتحليلات الاهلية لم تتشبث كثيرا بالتوضيح واستمرت تفسر التصريح الاصلي:فاكتشفت التايمس والاذاعات الامريكية نبرة جديدة في حديث الملك فهد بل وحتى تصريحات مبارك .. قالت التايمس : ومع ذلك فإن الملك فهد ابدى امس اكثر مواقفه ملاينة لصدام فقد اكد للقائد العراقي انه لن يفقد ماء وجهه اذا ما انسحب ، وقال لن يكون هناك مبرر أو سبب للقلق والالم بل سيجد ان مصلحة العراق ومصلحته الشخصية ومصلحة الأمة العربية هي ان

ينسحب من الكويت . ويقول خبراء الشرق الاوسط ان هناك لينا في الموقف السعودي ، واستنتجت ان هناك مبادرة عربية جديدة .. تنبئ عنها تصريحات الملك فهد ولغتها الناعمة وزعمت ان الخبراء الغربيين لاحظوا الفرق بين تصريحات كل العرب الا حكومة الكويت وبين تصريحات زعماء الغرب مثل بوش وتاتشر حول حل المشكلة ..»[31]

الحمد لله لولا هذا التصريح فلربما عميت الحقيقة عن التاريخ والاجيال القادمة .. نعم كل العرب باستثناء حكومة الكويت كانوا راغبين عن الحرب واكرهوا عليها بمواقف صدام وتعنته الغبي أو المتآمر .. كل العرب كانت استراتيجيتهم وتمنياتهم تختلف عن استراتيجية ومخططات بوش وتاتشر .. وهذا ما كشفته ضربة المعلم المسماة بتصريح سلطان ! اما عن حكومة الكويت فلها عذرها طبعا ان تطلب اسرع حل يخلص بلدها من وطأة الاحتلال .. والفلسطينيون الذين اقاموا – كما يقولون – تنظيمهم في ١٩٦٤ بهدف توريط الانظمة العربية في حرب مع اسرائيل والذين لا يخفون رغبتهم وسرورهم لو اشتعلت المنطقة نارا مادام شعبهم يعاني الاحتلال الصهيوني .. هم اجدر بأن يفهموا موقف الكويت ، كما تفهمته السعودية وكما تفهمناه نحن .. ولكن ما عتبنا عليه وقتها هو الطريقة التي انفعل بها مجلس الوزراء الكويتي والحدة أو العنجهية كما سميناها التي اتسم بها بيانه تعليقا على تصريح الأمير سلطان ، فقد كتبنا يومها نقول: « .. ويلاحظ ايضا تسرع مجلس الوزراء الكويتي في اصدار تعقيب وكان يمكنهم الاتصال بالامير سلطان أو الاكتفاء بالتوضيح الذي اذيع باسم الأمير ولكن البيان الكويتي جاء متسرعا ومجافيا ، وبالعنجهية التي لا مبرر لها ولم تنشره الا القبس الكويتية التي قالت : « مجلس الوزراء الكويتي اصدر بيانا ردا على انباء ترددت مؤخرا حول مبادرة جديدة لانهاءالازمة اكد فيها تمسك الكويت الكامل .... ردا على ما اوردته بعض وكالات الانباء حول مبادرة جديدة لإنهاء الازمة ان الكويت اعلنت مرارا موقفها الثابت المتمثل في رفض أي مبادرات أو وساطات أو حلول تقل عن التنفيذ الكامل لقرار مؤتمر القمة العربي المنعقد ... الخ »[32]

واستنتجت الاندبندنت من جو الملاينة ان الوقت غير مناسب لاستصدار قرارات عنيفة في مجلس الامن مثل الحديث عن جرائم الحرب ونسبت ذلك لمصدر سوفيتي لأن المناخ يميل للتسوية والمساومة .بل ليس الوقت مناسبا لاي قرارات على الاطلاق . وان تصريحات الأمير سلطان عكست ليس فقط كراهية الحرب ضد شقيقة عربية ، بل ايضا التخوف من احتمال ان تخوض

الحرب وفي النهاية تجد صدام باقيا في السلطة ! وقالت:«اذا ما كان بوش يريد ان يكسب العرب إلى جانبه في الحرب فعليه ان يؤكد لهم انه سيقضي نهائيا على صدام وتساءلت ولكن من ذا الذي يستطيع ضمان ذلك .. ؟ »[٣٣]

ونقلت الشرق الاوسط عن وزير الدفاع البريطاني قوله : «لم نرسل قواتنا للتفرج على الاحتلال وستنسحب بعد الانسحاب من الكويت واقامة نظام امني.»

حتى الضجة التي اثارها الاعلام العراقي في الخارج حول تصريح الأمير سلطان كشفت حقيقة الموقف العراقي وانه لا يجر المنطقة للحرب والخراب من اجل فلسطين ولا سعيا لـ حطين بل من اجل قطعة طين هي الجزر والمنفذ على البحر .. فقد رحب هذا الاعلام وانتشى بتسوية تدور فقط حول التنازل عن قطعة من الكويت ..

خصصت صحيفة القدس (التي يفترض فيها انها تمثل المنظمة) افتتاحيتها لرئيس التحرير فتحدث عما اسماه مفاجأة الأمير سلطان قال فيها :« تصريحات الأمير سلطان عن ضرورة تقديم تنازلات ارضية يجب ان تؤخذ مأخذ الجد فهو الملك المقبل واولاده يتحكمون في الدفاع والطيران وهوالمسئول عن كل القضايا المتعلقة بالحدود»

وبعد ان استعرض التنازلات الارضية للمملكة مع جميع الجيران .. قال :ان العراق دولة حاربت من اجل العرب .. لقد آن الأوان للاستماع لصوت العقل الذي تمثله مبادرات واقعية كالتي اطلقها الأمير سلطان لانها المنهاج الوحيد في تجنب الكارثة.. »[٣٤]

الكارثة هي ما جرى على شعب فلسطين وقضية فلسطين بالغزو العراقي ، والنكبة هي قبول ذلك مقابل حصول العراق على قطعة من الكويت .. هل كان يمكن انتزاع هذا الاعتراف برخص الاهداف لولا تصريح سلطان ؟!

«السعودية في اول دعوة للمصالحة ..الكويت قد تتنازل عن اراض ...تصريحات سلطان خفضت سعر النفط ..» وانتهزتها فرصة لتحميل مبارك مسئولية الحرب مع التأكيد على شجرة العائلة للامير سلطان فقالت ان امريكا اعترفت بخطورتها والأمير سلطان بن عبد العزيز والد الأمير خالد قال ان السعودية لا ترى اساءة.. الخ.. «الامر الذي يعني ان السعودية قد عقدت العزم على ان تخفف من دعمها لآل صباح لقاء تخفيف حدة المواجهة بينها وبين العراق وان هناك املا في تحقيق ذلك مهما حاول مبارك والاسد وبوش»[٣٥]

« السفير العراقي في وشنطن رحب امس بما قاله الأمير سلطان عن السماح للعراق بالاحتفاظ

ببعض اجزاء من الكويت (الأمير سلطان لم يقل ذلك لا صراحة ولا كناية ح) و قال هذا هو صوت المفاوضات وهو ما دعونا له دائما . . وقد استبعد تماما أي انسحاب غير مشروط من الكويت كشرط مسبق للتفاوض»[٣٦]

وقد حللنا نتائج تصريح الأمير سلطان وضعها فيما اعيد نشره هنا بلا تعديل . . قلنا:« التفسيرات الخاطئة لتصريحات الأمير سلطان حققت هدفا ايجابيا رغم انف المفسرين . . (بالطبع لم يكن من حقنا انكار التوضيح الذي صدر ح) وتفسير ذلك انه منذ بدأ تدفق القوات الامريكية على الخليج انطلقت حكاية ان والسعودية تعجل الضربة للعراق . . السعوديون هم الذين يريدون الحرب . . » رددها المسئولون الامريكيون وقطيع الصحفيين والخبراء الامريكان الذين - كما وصفهم الأمير بندر بن سلطان - يجهلون أين تقع السعودية ولكن ما إن يحجزوا مقعدا على الطائرة للشرق الاوسط حتى يبدأوا في تحليل الاوضاع في المملكة وصراع الاجنحة ويصنفون من المتطرف ومن المعتدل ويشرحون لفقهاء الازهر وآيات قم خصائص السنة والشيعة . . ورجل الاعمال الذي قال والديموقراطية ووضع المرأة . . الخ والحمد لله ان اغلبية الامريكان لا تقرأ سياسة ولا تستمع لنشرة الاخبار الخارجية . . وفي نفس الوقت شاع في الاسبوع السابق على تصريح الأمير مناخ استرخاء بالحديث المتصاعد عن التسوية السلمية والوساطات ونشرت الاستفتاءات التي تؤكد ان الاغلبية الامريكية والاوروبية لا تريد الحرب . . وكأن مصر والرياض وحدهما يرفضان الحل السلمي المطروح على الابواب! وقد استغلت الدعاية العراقية هذا الجو في محاولة تفتيت الجبهة المعادية لاحتلال الكويت وجذب بعض الاطراف القلقة والتي بدأت تحسب حساب مواجهتها للعراق ، بعد ان اكدت كل التحليلات ان الولايات المتحدة لا تعارض بل تحبذ استمرار صدام حسين في حكم العراق.»[٣٦] . . ومجلة نيوزويك التي صدرت في يوم صدور تصريحات الأمير سلطان (والتي تكتب بالطبع قبل صدورها بأيام)هي التي اقترحت تسوية تقوم فيها امريكا « بالضغط على حكومة الكويت بالمنفى لكي تؤجر للعراق جزءا من جزيرة وربة وكل بوبيان » حرفيا من نيوزويك . . على عكس تصريح الأمير الذي لم يذكر اي ارض بالتحديد ولا تحدث عن الضغط على حكومة الكويت وانما كان - كما قال الوزير البريطاني وولد جريف - يشرح كيف ان العرب اعتادوا حل مشاكل الحدود فيما بينهم دون اللجوء للسلاح وانه حتى الدول العربية الصغيرة امكنها ان تحصل على تنازلات من شقيقاتها الاكبر وانه بين العرب لا حساسية ولا عار ان تتنازل دولة لشقيقتها أو كما قال الملك في اليوم التالي « ولا عار ان تنسحب دولة مثل العراق بعد ان تكتشف خطأها . . »

مهما يكن فقد اصاب تصريح الأمير سلطان مقتلا من الاعلام الامريكي الذي انطلق على الفور برفض التسوية ، وانكشف زيف حمامة السلام التي تستروا خلفها طوال الاسبوع الماضي ٠٠ ولا جديد في الموقف السعودي فمنذ اللحظة الاولى ترفض المملكة الغزوالعراقي وتسعى في نفس الوقت بكل الوسائل لتجنب الحرب وما ستجره على العراق والمنطقة ٠٠ (كتب ونشر في ٢٥/اكتوبر ٩٠)

كما نجح تصريح الأمير في كشف استعداد العراق وانصاره لجلب ويلات الحرب من اجل وربة وبوبيان٠٠ كذلك اجبرالتصريح الاعلام والمسئولين الامريكان على كشف رغبتهم واصرارهم على الحرب ورفض اية تسوية سلمية قبل تحقيق هدفهم ٠٠

افتتاحية الواشنطن بوست عاتبة ان تعلن هذه الصفقة في « لحظة لا تكتفي فيها العراق باحتلال وضم الكويت بل تنهبها وتفرغها من السكان ٠ وفي وقت تأكد فيه تصميم الامم المتحدة على نحو لم يسبق له مثيل ٠ان مطلب الانسحاب غير المشروط يجب ألا يضعف بأي تنازل ، ولكن شقيق الملك يقترح– ما معناه وان لم يكن نصا – عرضا بالسلام يتضمن التنازل عن ارض طرف آخر ٠٠ » (٢٥/١٠) (مرة اخرى عرض التنازل وبالضغط على الكويت ورد نصا في نيوزويك وليس في تصريح الأمير اج)

وقالت الصحيفة ان السعودية كانت « مترددة من البداية في طلب الحماية وتتمنى ان تتفادي التزاماتها ٠٠ انها تتمنى تحجيم صدام أو حتى ازاحته بضربة سريعة اشبه بالمعجزة ولكنها في نفس الوقت تعرف ان عليها ان تعيش بجوار غوريللا –٠٠ » واكملت وان هؤلاء اللذين لديهم ما يخسرونه يجب ان يعوا أو أن يذكروا بمخاطر تقديم صفقة من جانب واحد قبل الأوان لطاغية مثل صدام حسين ٠٠»[٣٧]وقال محرر الشئون العربية في نفس الصحيفة يوسف ابراهيم : « مع تزايد حسابات خسائر الحرب حاول القادة السعوديون ان يقدموا لصدام حسين اغراء لاقناعه بسحب القوات من الخليج ٠٠ الخ »

و لاحظت« الجارديان » التغير الذي اعقب تصريحات الأمير سلطان وتحدثت عن المكالمات التليفونية المحمومة التي تلقاها الملك فهد تحثه على سحب تصريحات وزيره ٠٠ وقالت : «ان ذلك صاحبه قرار وشنطن بارسال مائة الف جندي جديد للخليج ، وزعمت ان امريكا طلبت من السعودية الموافقة – على بياض – على ثمن هجوم من اراضيها ٠ وقالت ان بوش تحرك للحفاظ على التحالف ضد العراق ٠ »[٣٨]

ومقال اخر بقلم فيل داقيسون٠٠قال فيه :« لوحظ انها لم تكن المرة الاولى التي تحدث فيها الأمير سلطان علنا وليس وحده الذي تحدث ، فمنذ شهرين اكد سلطان لـ«أشقائنا في العراق اننا لن نسمح بهجوم عليهم من ارضنا» ووزراء اخرون أيدوا صدام في الربط بين الانسحاب من العراق والانسحاب الاسرائيلي٠ مثل الأمير سعود الذي طالب العراق بالانسحاب من اجل الفلسطينيين٠»[39]

واخيرا فلمن شاء ان يؤرخ فقد كشف تصريح من بضعة سطور من الذي اراد الحل السلمي ومن الذي رفضه٠٠٠ومن الذي جن جنونه لما حاولت المملكة ان تفتح باب المصيدة ليهرب صدام٠٠

وبعد ان اصر صدام على الحرب وانتقم لهزيمته ، بتخريب الكويت بمالم يفعله التتار مثل الأمير بندر بن سلطان :إن أمن المستقبل يتطلب حل بعض الاخطاء الجغرافية والتاريخية مثل حاجة العراق لمنفذ على البحر٠٠ فهل مازالت الامكانية قائمة لحل هذه القضايا في اطار تصريح الأمير سلطان ٠٠٠ ؟

الاميربندر: «الوضع تحكمه الآن مستجدات الحرب والتدمير الذي اصاب الكويت وما تعرض له شعبها على يد الاحتلال العراقي واشعال ابآر نفطها، والمرارة التي في قلب كل كويتي من الاحتلال العراقي ٠٠ على العموم هذه قضية يقررها الكويتيون ٠ »

ولعل خير ما تختم به هذا الحديث رسالة بعث بها إلى الهيرالد تريبيون من القدس قارئ اسمه جوزيف ليرنر قال فيها :«بندر بن سلطان السفير السعودي في الولايات المتحدة ذكر الملك حسين بعض الحقائق المهمة (خطاب للملك حسين عن بعض الحقائق نشر في ٢٧ سبتمبر) ٠٠ ولكن هناك بعض الحقائق الاخرى يجب ان نتذكرهاايضا ففي ٢٠سبتمبر قال وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان « قدسنا يجب ان تعود الينا من المغتصبين الاسرائيلين ٠» **فالمسئولون السعوديون جادون فيما يقولونه ٠٠ ولو هاجمت العراق اسرائيل بدلا من الكويت لانضمت لها السعودية ، هذه الحقيقة القاسية يجب ان تبقى في تفكيرنا لا ان نتغافل عنها »**[40]

الاسرائيليون لا يتغافلون ولا ينسون موقف المملكة الذي لم يتغير من الاحتلال الصهيوني لقدسنا وكذلك لا ينسى ولا يتغافل الامبرياليون الذين هرعوا « يحمون » المملكة وقد بدت البغضاء من اعلامهم وما تخفي حكوماتهم من شر للمملكة أكبر(كما سنرى في الفصل التالي) ولكن الذي نسى وقبل ان يستغفلوه ـ للأسف ـ هي الحركات الاسلامية ٠٠!

الفصل الخامس

هل جاءوا للتبشير أم للتحرير ؟!

طوال الخمسينات وردحا من الستينات ، كان عبد الناصر هو رجل امريكا الأول وربما الوحيد في المنطقة ، ومع ذلك كان اعلامه يتهم خصومه يمينا وشمالا بالعمالة لأمريكا ! وعلى ضوء هذه السابقة ، فإن المؤرخ المطلع لن يأبه بادعاءات صدام بأنه هو المتصدي للامبريالية الامريكية التي بزعمه تعادي نظامه الثوري ، وتذوب عشقا في النظام السعودي الذي هرعت تحميه !

اما عرضحالجية التاريخ الذين يؤلفون قبل ان يقرأوا فسيدهشهم حقا ان الولايات المتحدة والغرب عموما كان خلال ازمة الخليج اكثر حبا واقتناعا بالنظام العراقي الصدامي منهم بالنظام السعودي . وانهم كانوا يأكلون خبز السعوديين ويتجشأون حقدا على نظامهم ومجتمعهم ودينهم . حتى ليحتار ، من لا يعلم ، مع من كان الامريكان والانجليز ، وضد من كان حشدهم . . ؟!

ولنبدأ بهذا الجندي الامريكي المثقف الذي يعرف تاريخ الحملات الصليبية ، فلما سمعهم يتحدثون عن المسيحيين في العراق أراد اظهار ثقافته فسأل الضابط : هل هؤلاء المسيحيون من بقايا الحملة الصليبية . . « السابقة » ؟!

وليس المهم في حديثنا جهل الجندي بتاريخ المسيحية والمسيحيين في الشرق الأوسط، بل قوله الحملة الصليبية « السابقة » فهو مثله مثل عشرات الالوف من الجنود الامريكان والبريطانيين كان على يقين انه يخوض الحملة الصليبية «الحالية ، ضد الاسلام والمسلمين بل والعرب . . رغم حقيقة ان نصف العرب كانوا مع الولايات المتحدة ضد صدام ! إلا أن الاعلام الامريكي والمدارس الامريكية والشارع الامريكي تصرف وعبر عن اقتناع بأنه يحارب كل العرب والمسلمين منهم خاصة ! . . ولسنا في مجال استقصاء أسباب هذا الاقتناع في المجتمع الامريكي وإنما نقتصر حديثنا هنا على انعكاس هذا الشعور في صحافة واعلام الدول الغربية المتحالفة وبصفة خاصة الاعلام الامريكي والبريطاني .

فمنذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها جيوش الامريكان والانجليز أرض السعودية انتشوا بذكريات الصليبيين وتجددت احلام التبشير والآمال في إزالة اخر معقل استعصى عليهم في بلاد المسلمين ، آخر معقل يحسون فيه انهم في المرتبة الثانية بعد المسلمين ، آخر موقع لم تقم فيه كنيسة ولا كنيس ولا يسمح فيه بالتبشير . . ولعنة الله على العثي المارق الذي كان السبب .

وعداء بريطانيا لآل سعود ديني وسياسي وتاريخي ، فليس بين المملكة وبريطانيا ود مفقود إنما هي العدو الذي ما من صداقته بد أحيانا ولتخفيف وطأة الصديق اللدود . .أمريكا ! . . واذا كانت الادارة الامريكية تغلب مصالح الولايات المتحدة ، ومن ثم تحاول حفظ العلاقات مع السعودية فإن المجتمع الامريكي يسيطر عليه ويوجهه اعلاميا جماعات المبشرين وتنظيمات الصهيونيين ، وهؤلاء يكنون عداء خاصا للمملكة، ولا يدخرون جهدا في شن الحملات عليها .

ولنذكر انه خلال الشهور الستة لأزمة الخليج اصدرت التايم عددا خاصا تهجم فيه على المملكة وحكامها ولم تفعل مع صدام . . وانتشرت المقالات التي تهاجم المملكة وتدعو «للاصلاح » بمعني امركة المجتمع السعودي، كما حرصت الصحافة الغربية ، على افتعال القضايا التي تتهم المملكة بالتعصب الاسلامي وتثير الرأي العام الغربي المتدين – كما لا يعرف الكثيرون – ضد المملكة ، في نفس الوقت الذي تشيد فيه بانفتاح وعلمانية العراق . . ولا اظن ان المؤرخ سيذهب بعيدا لوقال إن القوات التي جاءت لحماية السعودية من غزو العراق كانت اشد عداوة للسعودية واقرب مودة وتلاقيا مع العراق ! وسنقدم هنا بعضا من فيض ما كتبه هذا الأعلام الصليبي المتعصب في جهله ، وهو ما امكننا الاطلاع عليه والتعليق عليه في حينه .

ففي الواشنطن بوست اكبر صحيفة في العاصمة الامريكية نجد مقالة للمدعوة جودي قيصر بتاريخ العاشر من اكتوبر ١٩٩٠ ، وهي مدرسة كانت تعمل في جامعة الملك سعود من ١٩٨٧ الى ١٩٩٠ ، كتبت مقالا في مسلسل الجهل والحقد ضد المملكة، فهي وقد بلغ من «علمها» انها تتطلع على الرسائل التي تهرب خارج البلاد وجميع الاشرطة التي تباع وفيهاخطب ضد النظام إلا أنها فشلت من التحقق اذا ما كان صحيحا ما تعلنه هذه الاشرطة من ان الداعية لقلب نظام الحكم يشغل حاليا منصب عميد الكلية الاسلامية في جامعة ام القرى وهو يقدم اسمه وصفته في الكاسيتات السرية !!

كذلك عرفنا ان الحكومة السعودية الغت التعليم والعلاج المجاني في الثمانينات بحجة الانفاق على الدفاع ! وأن الأمير عبدالله اكثر تدينا من الملك واكثر محافظة ويكره الامريكان. وكشفت سر حقدها عندما قالت ان الأعلام والتعليم السعودي هو الذي عبأ الشعب السعودي ضد الغرب واسلوب الحياة الامريكية . . ودللت على اهتزاز النظام بأن الأمير عبدالله قال في التليفزيون ان الشعب السعودي هو الذي بنى البلاد ووحدها . . « وقد علقنا يومها بقولنا . . بمثل هؤلاء الاصدقاء

من يحتاج لأعداء؟!(١١أكتوبر ٩٠)

هذه الكلمة الصادقة والمتوقعة التي قالها الأمير عبدالله، اشهوت قطيع المطلقين، فتحدثت مجلة «دير شبيجل الالمانية» عن صدمة الوجود الكويتي المتحرر في المملكة، والمؤتمر الديموقراطي الذي انعقد في جدة (تقصد الكويتي ج) واشارت إلى المعارضة اليمينية المحافظة والكاسحات التي تهاجم القيادة والامريكان وتتحدث عن الغرب الصليبي الذي جاء لسرقة النفط. وقالت إنه لمواجهة هذا الموقف وقع الاختيار على الأمير الوحيد الذي يتمتع بالشعبية بين الثلاثة آلاف أمير في العائلة المالكة وهو الأمير عبدالله المحافظ الشديد التدين والاكثر شعبية، وقع عليه هو الاختيار وليس الملك للادلاء بحديث تليفزيوني هام قال فيه إنه إذا كانت الوحدة السعودية تنسب لحكمة آل سعود فإن الشعب السعودي له فضل تحقيقها ؟

وتحولت كل ناقصة عقل وخلق في امريكا إلى مصلحة ومطورة وموجهة للسعودية.. فاذيعت ندوة عقدت في مؤسسة الشرق الأوسط اطلق فيها العنان للمدعوة «روبن رايت» وهي مجرد مراسلة لصحيفة «لوس انجلوس» لتهاجم الحكومة السعودية وتقدم لها النصائح !قالت :« السعودية يجب ان تصبح ديموقراطية لكي تعيش. مجلس الشورى لم يعد كافيا بل ان التغيرات يجب ان تمضي اعمق اذا كان لبيت سعود ان يبقى. لقد اثبت بيت سعود لشعبهم والمسلمين انهم غير قادرين على حماية بلدهم فضلا عن الاماكن المقدسة الاسلامية.. ولا حتى من الداخل.. وان السعودية استخدمت قوات اجنبية مرتين.. لقد استدعت قوات الصاعقة الفرنسية لاسترداد المسجد الحرام والآن لقد جاءوا بالامريكان وهذا جعل السعوديين يفقدون ثقتهم في البيت السعودي. ان فشل سياسة دفتر الشيكات اثبت عجز السياسة السعودية.. فالعراق ضدهم و المنظمة والاردن ولا جيش عندهم.. وعبرت عن تعاطفها مع اليمن والاردن وانتقدت موقف السعودية منهما ووصفته بالغطرسة والتعجل وصدر بلا تفكير وتعتقد ان ذلك سيكلف السعوديين غاليا.. وقالت ان المراهنة على الديموقراطية الاردنية افضل من المراهنة على الملكية المستبدة لآل سعود.. فالديموقراطية الوليدة في الاردن يجب أن تشجع وتحمى» وقالت ان السعودية تخسر حرب الدعاية ولا يمكنك سماع أي صوت لهم خلال الاسابيع الماضية انهم يكتفون برد الفعل وليس التحرك النشط.. واشارت الى تأثير المظاهرة والديموقراطية الكويتية وسط بلد غير ديموقراطي.»

وزعمت "CNN" ان مسئولا سعوديا قال لهم وان الغرب يجب ألا يأتي للخليج بالبندقية وحدها بل يجب ان يجلب مؤسساته معه ». (١٤ أكتوبر ٩٠)

ولقد ناقشنا هذا الهراء في غير هذا المكان ولكن ما يعنينا هنا ان هذا هو ما كان يقال للرأي العام الامريكي .. وهو ما كان في خاطر الموجهين للاعلام الامريكي . انها حملة أو فتح غربي للسعودية حيث المدفع يحمل المؤسسة الامريكية أو الغربية لبلاد المسلمين .. ومن حق الذين سمعوا هذا الكلام ان يقولوا إن آخر ما كانت تستهدفه الحملة الامريكية هو حماية النظام السعودي بل عندما سنمضي أكثر في استقراء ما كتبوه يمكن القول ان اول اهدافهم هو اسقاط هذا النظام الذي اعياهم القضاء عليه أكثر من نصف قرن .. وفي سبيل ذلك لم يتورعوا عن الدس وتزييف الاحاديث والكذب على المسئولين ، فقد نشرت بيزنس ويك في عدد ١١/١٩ ما زعمت انه مقابلة مع الأمير عبد العزيز بن سلمان وقد كذب الأمير، في محادثة تليفونية ، هذا الذي نسبه اليه المحرر . وقد جمعت المجلة بين الافتراء والجهل ، إذ صدرت المجلة المقال بقائمة تحت عنوان: من يحكم بيت آل سعود وعددتهم على سبيل الاحصاء .. الملك فهد .. الأمير عبدالله .. (الذي وصفته بانه اقل ميلا للامريكان من الملك فهد .) الأمير سلطان .. الأمير سلمان(الذي وصفته بانه محبوب جدا وحول الرياض إلى تحفة عصرية) الأمير سعود الفيصل .. ثم لم تجد نصيبا في الحكم للامير نايف ؟! .. واذا استعرنا مثلا لاتينيا شهيرا نقول للأمير وزير الداخلية – مع تعديل بسيط – ولا يهمك .. ان الحاكم الامثل هو الذي يبدو وكأنه لا يحكم !! أو الذي تغفل عنه مثل هذه الصحافة

وقال المقال :«ان الضغط الآن على السعوديين من الداخل والخارج ليس فقط لفتح ابواب مجلس الشورى بل فتح السعودية كلها وزيارة الرئيس بوش في عيد الشكر ستبرز الضغط على المحافظين السعوديين المتزمتين . ان الولايات المتحدة لها الآن توقعات كبيرة للرياض تتخطى مجرد كيفية تدبيرها امورها الداخلية . وترى واشنطن ان المملكة عنصر اساسي في تنظيم غربي للامن في الخليج من شأنه ان يقلب ميزان القوى في المنطقة بصفة دائمة .» « السعودية قد يبلغ دخلها ٩٥ بليون دولار العام القادم .وهذا ضعف التوقعات التي كانت مقدرة لهذا العام . الذي يسجل عجزا في الحساب الجاري ٤ بلايين ، بسبب نفقات الحرب والدعم .ولكن آل سعود والولايات المتحدة يخوضان مخاطرة طموح مع جيران عتاة مثل ايران وسوريا ، فالسعوديون لن يخدموا الموقف اذا ما بدوا وكأنهم دمى امريكية . فالحاجة لطلب مساعدة امريكية برغم اتفاق أكثر من مائة وخمسين

مليار دولار على السلاح في السنوات الاخيرة ، قد اثارت الشكوك حول صلاحية آل سعود لادارة البلاد . والاعتماد الكبير على الولايات المتحدة يمكن ان يثير ثائرة المتدينين الاصوليين أو غيرهم فيما قد يكون اشد شعوب العالم محافظة .» وقال « بعد ان هبطت القوات المحمولة جوا في الظهران بدأت تنتشر كاسيتات رجال الدين المحافظين اولا في المراكز الدينية في غرب البلاد ثم في المملكة كلها . وهي دعاية شديدة ضد العائلة المالكة (وقد نسب المحررهذا القول لرجل اعمال سعودي سمع هذه الشرائط لانه هو طبعا لا يفهم العربية-ج) ولكن هناك لغطا في قلب المؤسسة السعودية فبعد الغزو بثلاثة ايام حدث اجتماع في قيادة شركة البرق السعودية بجده وتحول الاجتماع لمناقشة حول مستقبل المملكة ونقل عن موظف قوله لم يحدث ان تكلمنا في السياسة من قبل . وهنا نسب للأمير عبد العزيز قوله ان الملك ، مع التقدير الكبيرله ، لا يستطيع ان يقوم بكل شئ وهو مواجه الآن بالعديد من القضايا التي تتطلب عنايته . . ويظن عبد العزيز ان الملك يجب ان يعين مجلسا من الحكماء الذين يوصون بالتشريعات . والكثير في واشنطن يعتقدون ان افضل الطرق لضمان الاستقرار السعودي هو تشجيع التحريرالسياسي الذي يستأصل الفساد . ونقل عن الأمير عبد العزيز قوله إن الديموقراطية لا تفرض بل تتعلم . . » واضاف الخبير الامريكي لمعلوماتنا ان الفريق على الشاعر من العائلة المالكة!! واشار إلى عزل اليماني الذي سماه من العامة . . (يقصد سيادته ان الرجعية خلعت البروليتاري أو اليد السفلى عبده يماني ووضعت مكانه الأمير على الشاعر! وواضح انه يخلط بين اليماني وزير البترول واليماني وزير اعلام الملك خالد ! وهكذا من علمهم بالصحابة بيصلوا على عنتر . .) وقال ان مجلس الوزراء يجتمع لإقرار القرارات الملكية ولكن ليس مناقشتها . وقال ان عبد العزيز الخالد الابراهيم واخاه تحولا إلى مليارديين لأن اختهما « منى» هي الزوجة المحبوبة للملك . وزعم ان الفساد يزعزع النظام كله . ولكنه اعترف ان النظام يحكم بلا اساليب وحشية كالتي يستخدمها جيرانه . فالنظام السعودي هو اكثر النظم إحساسا بنبض الرأي العام كما قال محمد جميل رجل اعمال من جدة . والذين في مرتبة جميل لهم حرية النقد وكثيرا ما يفعلون . الصحافة ظلت لا تحمل اخبار الغزو أربعة ايام وتتحدث عن القوات الامريكية كقوات صديقة وتوجه كبار رجال الاعمال في جدة للامير سلطان واحتجوا . . الانفتاح قد يخرج الجن من القمقم وهم الاصوليون والبعثيون واعداء الغرب والرأسمالية . وزعم ان الأمير عبد العزيز قال ان اجراء الانتخابات قريبا حماقة لأن «الاصوليين والبدو» هم وحدهم الذين سينجحون . . وقال الكاتب ان احتمال زيادة التوتر الداخلي كان خلف قرار المملكة استحالة البحث في اقامة قواعد دائمة امريكية في المملكة .»

وعلقنا يومها : اهمية هذا الكلام ليس في صدقه ولا كذبه بل في تعبيره عن آمال وطموحات ونوايا جماعات الصهيونيين والمبشرين وغلاة الاستعماريين في امريكا. فهم يريدون زعزعة الحكم السعودي وفتح المملكة للتغريب. والنظام السعودي يمكنه ان يقول انه اكثر النظم استقرارا في العالم. اقلها جريمة واقلها في نسبة المنشقين سياسيا . هل النظام السياسي اكثر استقرارا في ايران وسوريا منه في السعودية ؟!

ولماذا آل الابراهيم .. هل هم وحدهم الذين اقتنوا في المملكة ؟! وزوجة من اخت الحريري والعناني والخاشقجي وسنبر ..... الخ الخ وماذا عن ابن الرئيس بوش الذي ستدفع الحكومة من الخزانة الامريكية ألف مليون دولار لتغطية خسائره ولم يكن ليعين في منصبه الذي افسد فيه ، لولا مركز أبيه .وهل توجد شركة واحدة من شركات التسليف والادخار في الولايات المتحدة لا يرتع فيها الفساد ؟!

اما اذا انتقلنا للمزاح فربما كان اهم سبق صحفي في مقال المذكور انه كشف من الأمير سلمان اذ قال إنها ٦٤ سنة ويسرنا تأكيد ذلك ! (١١/١٢) وبقية الرد على ما اثاره من جهل ومغالطات سترد في اماكن اخرى من هذا الحديث .

وبينما كان بوش يطالب المملكة بدفع ثمن الدفاع عنها ، كانت الصحافة الامريكية تكتب التالي :

« اكدت زيارة بوش الانشقاق بين القوى الاجتماعية في مملكة الصحراء حيث تشير اصابع اتهام الطرفين إلى الولايات المتحدة . ففي هذا الاسبوع اتهمت المنشورات التي انطلقت من المساجد ، الولايات المتحدة بتنفيذ مخطط لاقتحام اخر معاقل الاسلام .وفي نفس الوقت يتزايد على الجانب الاخر عدد المثقفين السعوديين الذين يلومون الحكومة الامريكية لعجزها عن طلب المزيد من الاصلاحات الديموقراطية في السعودية مقابل الحماية التي تقدمها قواتها المسلحة .»

«الاوضاع هنا تتعفن ..الناس غير متأكدين إلى أين يتجهون ..فالحرب على الابواب والاقتصاد يواجه مشاكل ، اساليب الانفاق لم تتغير .البطالة في ارتفاع ، خريجو الجامعات لا يجدون عملا .» ونقل عن استاذ جامعي قابله هذا الاسبوع :« انني اعتقد اننا نتجه نحو نفس الظروف التي سادت ايران قبل العصر الخميني .»« خلال الأسبوعين الماضيين خطب رجال الدين المحافظون في المساجد ووزعوا طوفان من المنشورات .. بدأوا بنقد السيدات ومع مرور الوقت اخذوا في مهاجمة الوجود العسكري الامريكي في السعودية، واتهام عدد كبير من المسئولين بانهم

خاضعون للنفوذ الامريكي ومنهم وزير النفط ووزير المالية. وقال منشور وزع في الرياض هذا الاسبوع ان الحرب لم تنته بل بدأت .. ويتهم المنشور الحكومة الامريكية بزرع خريجي التعليم الامريكي في المناصب الحكومية لكي يسيطروا على الحكومة ويحولوا البلاد من الاسلام إلى دولة علمانية . ومنشور آخر يقول إن الولايات المتحدة شجعت العراق على غزو الكويت لكي تتدفق القوات الامريكية على المملكة وتقيم قاعدة دائمة في الخليج « وان طوفان الاحتجاجات من المتدينين المحافظين بما في ذلك مظاهرة من مئات امام دار الحكم في الرياض يوم ١٢ نوفمبر. هذه الاحتجاجات يقابلها برود من جانب الليبراليين الذين هم غالبا من الدارسين في الغرب ولكنه هدوء يخيف الحكومة أكثر . ان هؤلاء الليبراليين غاضبون لفشل الحكومة في قمع النشاط الديني . ويقول الناس ان آل سعود يجب ان يستنهضوا همتهم ... ان هذه الامور مثل الدمل يتورم ويتحول إلى قرحة ثم سرطان » وزعم انه «من خلال عدة لقاءات في الاسبوع الماضي عبر العديد من الكتاب ورجال الاعمال والاساتذة الجامعيين عبروا عن غضبهم الشديد ضد بيان الأمير نايف الذي ادان مظاهرة السيارات وكذلك ابدوا شكهم في جدية وعد (الملك) فهد في تنفيذ الاصلاحات الديموقراطية باقامة مجلس الشورى .. قال رجل اعمال من جدة ان اسمه مجلس الشورى لأنهم سيأتون بناس يقولون للملك : شور شور "Sur" (وهي نكتة امريكي مستعرب سخيفة) وزعم «ان كل من قابلهم قالوا عن الوعد بمجلس الشورى انه » بلا معنى .. الحكومة تحاول تخديرنا .. وتساءلوا .. مادام النظام يتمتع بتأييد الغالبية من الناس وهذا واقع .. فلماذا يعزلوننا لكي يرضوا حفنة من انصاف الاميين ..؟ » لماذا هذا الطفل الأمير يحصل على ٤٥٠ مليون ريال بينما اشقى انا لكي احصل على ملاليم . اعتقد ان الناس قد فاض بهم رجالا ونساء » وزعم ان «موظفا حكوميا في الرياض قال ان بعض السعوديين اصبحوا متأثرين بالدعاية العراقية المعادية للملكية والتي تستحث المواطنين ان يثوروا ضد الامراء الاغنياء الحاكمين. في الاسابيع الاخيرة عبر سعوديون كثيرون عن خيبة أملهم لأن الحكومة الامريكية فشلت في ان تطلب من الحكومة السعودية تنفيذ الاصلاحات الديموقراطية كشرط لتقديم المساعدة العسكرية الامريكية . قالت سعودية : ولقد اعددت خطابا مفتوحا باسم نساء السعودية لتقديمه للرئيس بوش يوقع UFO (معناها نساء غير معترف بآدميتهم) . ويتزايد عدد السعوديين الذين يشعرون بأن الامريكيين منافقون يطلبون تغيرا في العالم كله في بولندا ونيكاراجوا ولكن لا يبذلون جهدا لدفع مسيرة الديموقراطية في المملكة على حد قول مثقف من جدة . لماذا يقاتل الامريكان من اجلنا؟!

معقول ان يقاتلوا من اجل الديموقراطية . . . لماذا اقاتل أنا بدون تمثيل؟! .»(لم نسمع في التاريخ عن وطني يشترط برلمانا مقابل القتال دفاعا عن وطنه ! بل جرت العادة على تعطيل البرلمانات في الحروب . ج) وزعم ان استاذة بجامعة الرياض هربت إلى المنطقة الشرقية من التهديدات التليفونية . . ويقول الدبلوماسيون الغربيون ان العاصفة الاجتماعية يمكن ان تنقشع اذا استطاعت الحكومة ان تسيطر على الوضع إلى انتهاء ازمة الكويت . وقتها ربما تضرب الحكومة المتطرفين الدينيين .» وقال نقلا عن دبلوماسي غربي ان الملك ليبرالي في قلبه ولكنه ايضا حريص وهو لا يريد ان يهز المجتمع بطريقة تبدو خطرة .»[3] « انصار التحديث من المتعلمين في امريكا الذين بعد عقدين من الصراع ضد التقليديين الدينيين يتمنون ان يرجح الوجود الامريكي المكثف الميزان لصالحهم ، ويستعجل نوعا ما وقوع انفتاح في السعودية ، مثل ما جرى في الاتحاد السوفيتي . ولكن المحللين الغربيين في السعودية حذرون في توقعاتهم عندما يطلب منهم تحديد المجموعة التي ستستفيد من الوجود الامريكي . فبينما يتمنى المائة ألف متعلم في امريكا ان يشرق فجر مرحلة جديدة ، تنبأ مسئول متعلم في امريكا ان يحدث ما حدث في السبعينات ، أي التحديث مع انفتاح كبير على الغرب ، ولكن العقد التالي مر في ظل الثورة الاسلامية في ايران الامر الذي سبب ردة حادة ثم خرج البوليس الديني إلى القتال . . ولقد حدث ان البوليس الديني كان معسكرا خارج السفارة الامريكية في الرياض ليسأل كل امرأة امريكية تخرج من السفارة اذا كان الرجل الذي معها هو زوجها. «ونظرية اخرى يرددها بعض المحللين الغربيين تقول ان آل سعود سيخرجون من هذه الازمة بأسلوب قيادي اكثر حزما واقل اهتماما بآراء العرب الاخرين حول ما تفعله المملكة ، واقل اهتماما بمجاملات السياسة العربية . فالمراعاة القديمة لردة الفعل العربي لكل اجراء سعودي حل محلها شعار : إلى الجحيم برأي العرب . وتنبأ ت ان التكنوقراطيين سيحصلون على سلطة اكبر للتعامل مع الواجبات المتعددة التي تواجهها الحكومة مثل الاستعداد للحرب والدفاع المدني واستضافة القوات الاجنبية .»[4]

وقد علقنا وقتها : مرة أخرى : خطورة هذا الكلام ليس في مدى صدقه بل في تعبيره عن تفكير ونوايا الامريكيين فهم يريدون استخدام الوجود العسكري الامريكي لتغيير النظام السعودي أو دفعه لصدام مع رجال الدين . وهذه حقيقة ليست جديرة بانتباه الحكومة فحسب بل ورجال الدين بالدرجة الاولى ليتجنبوا الاستفزازات التي لا مبرر لها ، وليحذروا أن يجروا لمعركة مع الحكومة الوحيدة ، في العالم الاسلامي كله، التي تحترمهم وتحميهم . وليتنبهوا لما يمكن ان يتسبب

اليهم ، مثل المنشور المشبوه الذي أورد اسماء المتظاهرات ، ونعتقد أنه من الحركة النسائية نفسها أو من المخابرات الامريكية. ولعل المنشور يؤكد النظرية القديمة التي تقول ان الاستعمار الزاحف يعتمد دائما على اليسار المزيف أو المتأثرين بحضارته .

ومقال آخر زعموا أن كاتبه مسلم وقعه بامضاء «مأمون فندي» طالب دكتوراه في جامعة جنوب اليتوي ونشرته له نيويورك تايمز .. تحدث فيه عن الشيخ سفر الحولي عميد الدراسات الاسلامية في جامعة ام القرى بمكة الذي تركز عليه الدعاية الامريكية منذ اوائل الغزو العراقي وتزعم انه خميني السعودية ربما للتحريض عليه ! ونقل عن الشيخ قوله .. «ليس العالم ضد العراق وانما الغرب ضد الاسلام ».وقال ان اشرطة خطب الشيخ الدكتور التي تدين الحشد الامريكي في السعودية تنتشر عبر المملكة مثلما كانت كاسيتات الخميني منتشرة في ايران الشاه .وقال ان شرائط الحولي تزعزع البيت السعودي وتصرف الناس عن تأييد الحشد الامريكي .وقال ان الدكتور حولي هو احد ابرز المتفقهين و المتكلم الاول للمذهب الوهابي ونقل عن الشيخ ان الغزو العراقي للكويت لم يكن إلا الذريعة لتنفيذ مخطط امريكي قديم لوضع قوات دائمة في الشرق الأوسط. وان القدوم الامريكي هو إحدى مراحل غزو الروم التي تحدث عنها النبي .واذا كانت العراق احتلت الكويت فإن امريكا احتلت السعودية. وقال المقال ان الدكتور حولي لا يصل في كاسيتاته إلى حد المطالبة باسقاط آل سعود ولا يدعو لعمل عنيف بل يقول ان السعوديين ورجال دينهم قد اساءوا فهم دينهم ولابد ان يتوبوا لله . لأن الاتحاد مع المشرك هو عمل ضد الاسلام ». واستنتج الكاتب ان هذه الكاسيتات تؤكد أن الاصولية لم تمت مع الخميني وانهم يتحالفون مع الوطنيين في بلد تعتبرها امريكا صديقة ومعتدلة .»[5]

وكانت العرب قد نشرت « الأمير عبدالله اكتفى بتصريح وحيد معتدل منذ دخول القوات العراقية الكويت .وتردد ان الملك فهد يدخره لمحادثات المصالحة مع العراق .ومن بين رجال الدين الذين استعفهم الأمير كل من صفر الحوالي عميد الدراسات الاسلامية بجامعة ام القرى بمكة والباحث الكويتي طارق السويدان»[6]

اما جوديث ميلر فهي مجتهدة امريكية اجهل باليهودية منها بالعربية ، انحازت صراحة إلى جانب الدول المؤيدة للعراق و تنبأت ان الدول العربية التي عارضت الوجود العسكري الامريكي في الخليج وعارضت في نفس الوقت الغزو العراقي للكويت «ستلعب دورا دبلوماسيا اكبر في

الاسابيع القادمة وفي مقدمتهم الجزائر والاردن واليمن ، فهذه الدول كلمتها مسموعة عند الطرفين وقالت ان شاذلي بن جديد سيزور بغداد والرياض. ولاحظت بدهشة «ومن العجيب ان هذه الدول الثلاث بدأت مسيرة الديموقراطية بعكس السعودية وسوريا ودول الخليج ، ولذلك فموقفهم يعكس شعورا شعبيا ولو جزئيا . . وقال لها عبد الكريم الايرياني انها تعودت على عالم عربي لا مكان فيه للرأي الآخر ولكن ذلك لم يعد يتطبق على اليمن وقال لها دبلوماسي . . «نحن العرب نقول ان العالم ينقسم إلى ديوك وفراخ وخير للانسان ان يكون ديكا ليلة واحدة عن ان يكون فرخة لسنة .. وصدام حسين هو اول ديك عربي منذ زمن طويل . . » ووزير خارجية الجزائر قال لها « من حق السعودية ان تستدعي القوات ولكننا رفضنا ان تقدم غطاء عربيا لذلك فاعترضنا نحن واليمن وتحفظت الاردن »

و قالت ان صدام عنده عقدة الماسادة وشرحتها بأنها تدمير النفس والمنطقة اذا كانت الهزيمة محققة»[7]

وقد علقنا يومها : وهو تعديل يبدو انه خاص بصدام لان الماسادا المعروفة هي تفضيل الانتحار على التسليم اما الشمشونية فهي هدم المنطقة أو –كما قيل – علي وعلى اعدائي . وليس غريبا ان يكتشف في صدام عقدة مزدوجة شمشونية/ ماسادية . . الخ اما الايرياني الذي يتحدث عن الرأي الاخر فأين هو الرأي الاخر في اليمن أو الاردن . . تعدد الاحزاب؟ . . سوريا فيها تعدد احزاب ، ونصف دول الديكتاتوريات الشيوعية كان فيها جبهة من عدة احزاب . . كيف تكون ديموقراطية يحكمها عسكري جاء بانقلاب وغير قابل للعزل بل هو رئيس مدى الحياة أو لحين القتل؟! كيف يمكن الحديث عن انتخابات حرة واهم منصب يستمد شرعيته من الدبابة ؟! وكلنا نعرف ان علي صالح في السلطة ويغض الامريكان الطرف عن الاعيبه لأنه اول من تجرأ على الغاء الشريعة كمصدر الشريعة والدستور في اليمن . [8]

اذا كان ذلك الهذر يجوز على لسان الايرياني الذي فضل فتات السلطة على الوفاء لعمه المنتخب والمخلوع . . فكيف ترده صحيفة امريكية ؟! . . الجزائر تعيش حالة انهيار حكم عسكري ديكتاتوري فاسد حتى العظم فليست هذه ديموقراطية وانما انهيار السلطة وفي انتظار الديكتاتور القادم . وفي الاردن المجلس البلدي الذي تجرأ على معارضة سياسة الموالاة لصدام نكلوا به (انظر فصل جلالته والمنظمة) الملك اطلق سلسلة الكلب ليهوش به وفي انتظارهم مذبحة عظيمة فور انتهاء مهمتهم أو سقوط النظام كله كما تنبأت صديقة اخرى للاردن ولها نفس الاسم

جودت كيبر التي قالت في MONITOR WORLD ان الوضع في الاردن يخرج عن السيطرة وانه من الصعب تصور كيف سينجو الاردن من الازمة ». اما حكاية الدجاج والديوك فلم نسمع بها، والظاهر ان الامريكيات اصبحن اعرف بالعربية منا. ومن الواضح ان هذا الدبلوماسي الذي اعلن ان صدام هو اول ديك ، يعترف بأنه هو فرخة ومن هنا تفهم لماذا كان يحاول اقناعها بأن تصبح ديكا ولو لليلة واحدة والمثل العربي الذي نعرفه يقول : اذا اذنت الفرخة وجب ذبحها .

ونشرت الواشنطن بوست تحقيقا معاديا عن صفقات السلاح في المملكة ورغم ذلك اتضحت منه ايجابيات كثيرة عن التطور الذي تم في المملكة منذ السبعينات عندما اثيرت قضية العمولات وامرت السلطة بمنعها . «قالت الصحيفة ان النظام الجديد قضى على عملاء السلاح » عندما كان عميل واحد يحصل على عمولة صفقة كاملة » واحل نظاما جديدا من الشركات المشتركة التي يساهم فيها المواطنون السعوديون والتي تلزم شركات السلاح الموردة باعادة استثمار جانب مؤثر من ثمن السلاح لتدويره في الاقتصاد الوطني السعودي . ودللت الصحيفة على استمرار سيطرة الامراء انه في واحدة من هذه الشركات يوجد اربعة امراء بين ١٥٥ مساهما (اثنان ونصف بالمائة! نسبة الزكاة ج!!) وقالت المجلة ان السياسة الجديدة وضعها الأمير سلطان والامير فهد بن عبدالله نائب وزير الدفاع. وقالت وان النظام الجديد يعيد جانبا من ثمن السلاح ليدور في عجلة الاقتصاد المحلي بعدما كان يذهب لبنوك سويسرا»

وأحيانا اذا كان المراسل أبيض القلب وعرف كيف يختار محدثه تكون النتيجة ايجابية . . نشر شارلز ريتشاردزفي جريدة الاندبندنت تحقيقا عن الامير فهد بن سلمان في المنطقة الشرقية فقال : « كل يوم قبل الظهر يعقد نائب الحاكم المجلس لسماع التماسات مواطنيه . الأمير فهد بن سلمان بن عبد العزيز واحد من الجيل الجديد ذوي التعليم الغربي ، مشهور بنوع من التقدمية المعتدلة. وهو ابن شقيق الملك فهد حاكم الرياض وشقيق رائد الفضاء (سلطان بن سلمان) ويمتلك مجموعة خيول سباق في بريطانيا . وقد شاهد المراسل مواطنا شيعيا» عاش في ايران وقال انه تدرب على السلاح هناك ليخلق اضطرابات هنا ولكنه عاد وقد صدر امر ملكي بالعفو عن امثاله وجاء لمجلس الأمير يطلب عملا . . » وتقل عن سعودي متحرر قوله ان بعض رجال الاعمال جاءوا لمجلس الأمير يشكون من العسكر الامريكيين الذين يأتون لمحلاتهم باسلحتهم . وقد رفعت الشكوى للملك والملك تكلم مع قائد القوات الذي أصدر أمرا بوقف ذلك . وتساءل . . أين يمكن أن يحدث ذلك ؟! في الماضي لو احتج احد على تصرفات الجنود السوفيت في سوريا أو

مصر كان سيختفي وراء الشمس ٠٠وقال خالد الطريقي ان العائلة المالكة هي اللحام الذي يمنع المجتمع من التمزق بفعل التناقض بين الليبراليين والدينيين ونقل عن الأمير فهد بن سلمان ان المملكة تناضل من اجل التقدم والرفاهية واننا نحاول ان نستخدم النفط لتطوير المملكة ٠ وقال الأمير ان من يقول بانفراد الاسرة المالكة برسم السياسة هو مخطئ؛ لأن كل قرار يحول للجنة من المختصين من الخبراء والعلماء٠٠»[٩]

وكتب «جورج والدن» النائب البريطاني يقول ان « السلوك السعودي حتى الآن مثير للاعجاب ؛ فقد برز الكرم السعودي بشكل مدهش من خلال المعاملة التي تلقاها مائتا ألف لاجئ كويتي اسكنوا واطعموا مجانا ، مع ان الود لم يكن كبيرا بين الكويت والرياض قبل الأزمة ٠ وقد تبددت أوهام كثيرة ومخاوف حول تصرفات السعوديين التي توقعها البعض فلم يستجدوا السلام من العراق ، ورغم تدفق اعداد كبيرة من الاجانب على المملكة ورغم امتعاض المشايخ الاصوليين لم تقع إلا خلافات محدودة جدا مع السكان المحليين، الجميع كانوا يتوقعون ان يسبب منع الخمر والقيود الجنسية مشاكل وخاصة مع القوات الامريكية، ومع ذلك لا تشير التقارير ولا حتى الشائعات إلى مشاكل خطيرة ٠ اهم من ذلك انه لم تكن هناك ثقة في قدرة الرياض على الاحتفاظ بالتحالف الهش ضد صدام، وها نحن نقترب من اللحظات الاخيرة ومازال التحالف صامدا ، وتحدي سوريا الاخير لصدام يوضح ان الجبهة العربية تبدو للدهشة متماسكة ٠ ويعود الفضل لوزير الخارجية الذكي الأمير سعود ٠٠ وفي الحرب والسلم فإن السعودية تحتاج لكل المهارة الدبلوماسية لمواجهة الفوضى التي ستعقب ازمة الخليج ٠٠ وقالت الصحيفة ان التفكير الآن متركز حول وضع نظام امن اقليمي ، والتصور الامثل هو قيام تنظيم عربي يؤيده الغرب بشكل غير ظاهر ٠ ويعلق السعوديون آمالا كبيرة حول علاقتهم مع مصر بينما لا يثقون في السوريين الذين لا سياستهم الداخلية ولا اطماعهم في لبنان توحي بالثقة ٠ الايرانيون لا يتوقع منهم استثمار الازمة في المستقبل القريب، ولا أحد يعتبرهم شريكا موثوقا به لاستقرار المنطقة، بدون مساعدة الغرب لا يمكن الحديث عن استقرار الخليج لا في المستقبل القريب ولا البعيد ٠٠ ولكن بدون محاولة جديدة لحل النزاع العربي / الاسرائيلي فإن هذه المساعدة قد تأتي بأثر عكسي يوما ما ضد من يقدم المساعدة والذي يتلقاها ٠٠ولو ان السعوديين كسبوا من زيادة الانتاج وارتفاع السعر إلا أن هناك ثغرة بين الايرادات والنفقات العاجلة المطلوبة لإعالة القوات على الارض السعودية ودعم الدول العربية الصديقة والانفاق على استضافة الكويتيين [١٠]

مظاهرة السوبر ماركت ..

وربما تكون مظاهرة السوبر ماركت هي أول بالون اختبار أطلقته المخابرات الامريكية لاختبار المجتمع والنظام السعودي ، ولا يعني هذا ان كل المشتركات من المتآمرات . فأول شروط نجاح المؤامرة ان ينفذها المخلصون والمخلصات . ولا يعني ان كل الاطراف التي تحركت مع وضد كانت على وعي بالخيوط الدقيقة التي ارادت عجم عود النظام السعودي ، واكتشاف المنفذ الذي يمكن ان تتسلل منه ، «القوى المعادية» وايضا استغلالها كفرصة للتشهير بالمجتمع السعودي ونظام الحكم والمؤسسات الدينية ..

ومظاهرة السوبر ماركت معروفة عندما تجمع عدد من السيدات لأول مرة في تاريخ المملكة وقدن سيارتهن في مظاهرة تحد للقوانين والسلطة وقد طوق الحادث بسرعة وبحكمة وبلا تعقيدات .. بعد ان استصدرت امارة الرياض فتوى ان ليس فيما جرى جريمة مخالفة للشرع . ولكن القوى الخفية كانت في انتظار الاشارة فانطلقت تستثمرها على اوسع نطاق وحولتها إلى الماجنا كارتا أو سقوط جدار برلين .. ويحسن ان نبدأ بما نشرناه فور وصول انباء المظاهرة فقد كتبنا وقتها (١٦/١١/٩٠) تحت عنوان : أين تتحرر المرأة ؟! قلنا: « عندما زحفت القوات العراقية في اتجاه السعودية ، واثارت روح المقاومة والوطنية في الشعب السعودي ، توجهت النساء للملك فهد يطلبن مكانا في خدمة الوطن ، واستشار الملك رجال الدين وصدر القرار بفتح باب التطوع للتدريب على الدفاع الوطني والتمريض في المستشفيات وفي الميدان . وتطوعت ١٥ ألف فتاة من الاميرات في القصور إلى البدويات في الصحراء، لم يثر احد قضية الاختلاط ولا قضية اطلاع المرأة على عورة الرجل الجريح ، فهذه قضايا مجتمعات راكدة تنمو على وجهها الطحالب وتفتك بأحشائها وعقولها بلهارسيا التخلف .. ولكن عندما يتحرك المجتمع وتتدفق إرادة الحياة في عروقه تختفي الديدان، وهكذا وفي لحظة ودون ان يختلف اثنان قفزت السعودية ١٤ قرنا إلى الوراء .. نعم إلى الوراء .. لأن المرأة كانت كاملة المساواة ، كاملة الحضور، كاملة الاحتشام في المجتمع الذي حمل الاسلام للعالم . والمرأة كانت تمرض في ميدان القتال في غزوة احد . وارسل عليّ رضي الله عنه عائشة بعدما هزم جيشها في حراسة اربعين فارسة ملثمات شاكيات السلاح من العراق للحجاز . وكانت الخطوة التحررية سهلة وحاسمة وطبيعية ، لأن المرأة مثل الرجل يتحرران وتكتمل انسانيتهما وحريتهما من خلال تقدم وتحرر الوطن ، فلا توجد امرأة حرة في

من العراق للحجاز . وكانت الخطوة التحررية سهلة وحاسمة وطبيعية ، لأن المرأة مثل الرجل يتحرران وتكتمل انسانيتهما وحريتهما من خلال تقدم وتحرر الوطن ، فلا توجد امرأة حرة في وطن مستعبد ولا قضية تحرير للمرأة في وطن حر . الشاهبورة وقطيع الجواري حولها لم يكن متحررات بل غانيات ادوات جنسية للبيع والايجار ، لا يملكن غير الجسد ومن ثم يعرضن اكبر مساحة للمشتري .. فلما جاء الذين اعادوا المرأة للحجاب حملت المدفع الرشاش واحتلت السفارة الامريكية.

وهكذا بدا وكأن المجتمع السعودي قد حل اخطر مشاكله ، ونزع الفتيل الذي كان يراهن عليه المتربصون . فالدراسات المعادية التي تريد تفجير هذا المجتمع كانت تعرف ان ليس فيه مفجر طبقي، لأن الثراء يشمل الجميع وان بنسب متفاوتة . وليس فيه مفجر سياسي لأن السياسة تتبع الاقتصاد ، والسعودي منشغل بتجميع المليون الاول أو استكمال المليار كل حسب موقعه ، والمواطن العادي لو حدثته عن برلمان لانصرف عنك فليس في تجارب العرب الاخرين ما يغري بالمخاطرة بالأمن الذي يعيشه من اجل برلمان مثل العراق أو مصر أو الجماهيرية التي شعارها :«التمثيل تضليل والنيابة هيابه»..!

وليس هناك مفجر طائفي فالمملكة كلها على دين الاسلام وعقلاء الشيعة تتطوعوا في الجيش السعودي لمواجهة خطر صدام وهم يعرفون انه لو فتح باب الفتنة وحكم امثال جهيمان لذبحهم في الاسبوع الأول من حكمه .. فأين المفجرلمن اراد تفجيرا ؟!

الجواب في رسالات الدكتوراة والماجستير (التي تعد في جامعات الغرب بتوجيه من اجهزة المخابرات هناك لدراسة مجتمعات العالم الثالث) والتي اتفقت خلال الخمسين سنة الاخيرة على ان قضية المرأة هي العرق الحساس أو العصب الذي يمكن ان يلهب الجسد كله. .وهكذا تجمعت حفنة من خريجات الجامعات الامريكية في سوبرماركت ،عددهن كما تؤكد منشورات الطرفين ــ ٤٩ سيدة وقررن تحدي البلد في اكثر القضايا حساسية .. المرأة ..قررن القيام بمظاهرة قيادة السيارات .. والباقي فعل ورد فعل .اوقفهن البوليس ولو بتهمة قيادة سيارة بدون ترخيص . وشكلت لجنة سريعة افتت ان ليس في الامر مخالفة لنص ومن ثم افرج عنهن ، وطيرت الوكالات «المتنائرة» خبر الهوة النسائية وانفجر ائمة المساجد يوم الجمعة غضبة للدين والعرض والتقاليد والاختلاط والحجاب والسفور ..الخ وتحركت الطالبات يومي السبت والاحد ضد «الفاسقات المنحلات »ودارت المعارك في الجامعة بشد الشعر والعض ، ووقعت المئات عرائض يرفضن فيها

اللاتي يجيدن الحديث والاتصال بالمصادر الامريكية وليس بعيدا المؤتمر الذي عقد في القاهرة لتحرير المرأة بتمويل من مؤسسة فورد .. ومنشورات اخرى تنعى الدين والتقاليد وتطالب بالتحرك ضد الفتنة الشيوعية - الامريكية-الاباحية الخ . وحتى هذه اللحظة فإن ما عليه الاجماع هو أن قضية المرأة أصيبت بنكسة قاصمة ، وان الوفاق الثقافي الذي كان قائما بين خريجي الجامعات الاجنبية واصحاب الثقافة الوطنية من خلال الاتفاق على الجمع بين التكنولوجيا المستوردة والحفاظ على الهوية الحضارية لأرض الحرمين ، أو أن يهتم اول رائد فضاء مسلم بالبحث عن القبلة وهو خارج الكرة الارضية .. هذا الوفاق الذي سمح للقادمين والقادمات من جامعات اوروبا وامريكا بالوصول لأعلى المناصب وبنسبة تفوق أي بلد عربي ، وفي مجتمع يحلو للبعض وصفه بالبداوة ، هذا الوفاق يوشك ان يتصدع ودب الشك بين الجانبين لأن حفنة قررن تحرير المرأة في السوبرماركت بمعزل عن وعي وتقاليد ومشاكل واهتمامات الشعب كله نساء ورجالا .»[11]

ونشرت صحيفة « لوس انجلوس تايمز» تحقيقا عن «تظاهرة قامت بها الطالبات السعوديات في جامعتين احتجاجا على اشتراك بعض المدرسات الجامعيات فيما عرف بمظاهرة السيارات في الرياض وقد استجابت السلطة للعرائض الموقعة من مئات الطالبات، فصدر قرار ملكي بعزل ست استاذات في كلية الآداب للبنات . وكانت الطالبات قد تجمعن في ساحة الجامعة ورفضن دخول المدرجات وذلك يوم الاحد اول امس واتهمن الاستاذات بالفسوق . وبعد ان وقعت مئات الطالبات عرائض يعلن فيها رفضهن التعلم من المدرسات المتحرفات ويطلبن ابعادهن من مواقع التوجيه . وكانت بعض الطالبات قد كتبن عبارات : «كافرة» و«منحرفة» يوم السبت على غرف الاستاذات ممن اشتركن في مظاهرة السيارات .»

وتقل «كيم مورفي» كاتب التحقيق عن استاذة لها علاقة بمظاهرة السيارات .. « ان الناس غاضبون من وجود القوات الامريكية ، ولكنهم لا يستطيعون الحديث عنها وعندنا مثل في السعودية يقول : حطها على الحيطة الواطية والمرأة هي اسهل هدف »(ويبدو أن الاستاذة نسيت ان الاحتجاج جاء من المرأة وليس من الرجل ج)

ونقلت الصحيفة عن مسئول سعودي ان المؤسسة الدينية تتحرك مرة اخرى .. وقالت احدى المدرسات في القسم النسائي ان الطالبات اعتبرن المتظاهرات منحلات يردن هدم الدين والمجتمع ، وكان امير الرياض قد استند في الافراج عن المتظاهرات إلى فتوى لجنة مشتركة من رجال الدين

والقانون لم تجد نصا خولف . ولكن خطباء المساجد حملوا على المتظاهرات ووصفوا التظاهرة بأنها لا إسلامية . وقد اصيبت واحدة من حركة السيارات بحبوط نفسي شديد من انتقاد الطالبات لها ونقل عنها قولها: ولا طالبة واحدة فهمت موقفي ولا طالبة واحدة اقرتني على ما فعلت . وقيل ان الطالبات في الجامعة رددن انهن سمعن ان المتظاهرات كن يقدن السيارات وهن مرتديات الشورت وبعضهن احرقن العباية . واستاذة منهن قالت ان المتظاهرات يريدن المساواة وتحرير المرأة وانهن يقلدن الغرب . وقالت الصحيفة ان المجتمع السعودي الذي تحيط به الازمات من كل الجهات قد واجه الان أزمة من داخله . انه زمن التحول الاجتماعي . ويقول الدبلوماسيون الغربيون إنه إذا لم تاخذ الحكومة اجراء ضدهن فسيأخذ رجال الدين الأمر في يدهم .»[12]

وأفادت صحيفة التجمع في مصر :«أقال العاهل السعودي الملك فهد رئيس هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب مطالبته للهيئة تطبيق الحد على الأمير سلمان بن عبد العزيز امير الرياض لتقاعسه عن معاقبة النساء المشتركات في مظاهرة السيارات بالرياض في نوفمبر الماضي . كما اصدر الأمير نايف قرارا بوقف مستشاره القانوني الدكتور محمد المرزوقي لتطوعه بكفالة ثلاث سيدات اثناء التحقيق معهن في نفس القضية»[13]

وكان تعليقنا يومها : «المشكلة ليست مع الحكومة بل في تقاليد الشعب ، وها هو الدليل فالذي تحرك هن الطالبات والمفروض انهن اقل تمسكا بالتقاليد ولكن الفئة المتغربة وبعضهن لم يعش في السعودية الا بضع سنين لا يعبرن عن الرأي العام ولا يقدرن على اقناعه . وقد قالت فتاة سعودية في الاذاعة العربية الخاصة بلندن ان الحركة لم تقم بها سعوديات بل هي بزعامة ليبية تعمل في اليونسكو اسمها فريدة العلي .»[14]

«ولا طالبة واحدة اقرتني على ما فعلت » . . هذا ما اعترفت به الاستاذة المتظاهرة . . فهل التغيير الاجتماعي أو التقدم الديموقراطي هو فرض اجتهاد الاستاذة بالقوة على الطالبات؟! أليس المفروض لو كان الأمر يتعلق بتطور المجتمع السعودي ، ان تكون الطالبات اكثر تقدما من الاستاذات . . ؟ ولكن الواقع كما شهدت « الثائرة » هو اجماع الطالبات على رفض موقفها ومطلبها . . نعم اجماع الطالبات أي الجيل الجديد . . ولا طالبة وافقت . . ولا طالبة اقرت . . انها فجوة بين الاجيال ولكن بالمقلوب . . لماذا؟! لأن الموقف مستورد من مجتمع اخر . . ومحاولة فرضه على المجتمع السعودي لا تشكل تقدما ولا تحديثا بل محاولة فرض التغريب بقوة الاساطيل . . كما فتحت دور البغاء في القاهرة والبحرين وأبيحت اللواطة في ابوظبي وكانت

محرمة في لندن !

الديموقراطية والتقدم يجب ان ينبثقا من احشاء المجتمع وتحملهما الجماهير صاحبة المصلحة فتفرضهما من اسفل على السلطة الاعلى . أما ما تريده الاستاذات والامريكان فهو استمرار لمبدأ الوصاية للقيادة الرشيدة ، وفي هذه الحالة فإن هذه الوصاية الجديدة لا تحمل تفويضا ولا تاريخا ، ولا أحد يملك الحجة على ان متظاهرات السوبرماركت هن القيادة التي يحق لها فرض وصايتها واجتهاداتها على المجتمع السعودي الذي به خمسة ملايين لحية .. ولا حتى في حماية نصف مليون امريكي .

اما سلامة القصد فموضع شك كبير من اللذين اختاروا هذا الظرف بالذات لتحدي النظام ورجال الدين واجماع ذات الجماهير التي يدعون الدفاع عنها .

ويستطيع المجتمع السعودي أن يفخر بأن فرائصه لم ترتعد امام اكبر حشد صليبي تجمع على أرض الاسلام .. ولا اهتز من ارهاب صدام واعلام الغرب .. بل صمد ورفض التحدي شامخا بقيم الاسلام واستقلال القرار السعودي .. واثبتت الطالبات السعوديات انهن اكثر وعيا ووطنية واسلاما من بعض الملقون في مصر التي هرعت تدافع عن المتظاهرات لكي تسجل في قائمة الشيوخ المتقدمين كأن القضية هي رخصة سيارة وليست مبدأ التغيير تحت الحراب الامريكية !

وبصرف النظر عن لهجة بيان وزارة الداخلية الذي صدر عقب المظاهرة ، والتي كان لها ما يبررها ، ولو لتهدئة الغضبة العامة ، التي من الخطأ أو حتى التضليل ، الزعم بأنها اقتصرت على رجال الدين ، لأن شهادات المتظاهرات والاعلام المتحمس لهن ، تجمع كلها على ان الغضبة كانت على مستوى الجماهير وبالاجماع وفي اعلى مستوى ثقافي في البلد . وحتى اذا سلمنا ان المائة الف متعلم ومتعلمة في امريكا يوافقن على ما حدث فهم نسبة ضئيلة وثبت انه لا تأثير لهم أو لهن على اتجاهات ومواقف المجتمع .. من هنا كان على السلطة ان تسترضي القوى الحقيقية في المجتمع ، تلك القوى التي فوجئت بهذه المسلكية التي ضاعف من سوئها انها اشرأبت بعنقها في اطار الحماية الامريكية فإذا تفهمنا روح بيان وزارة الداخلية سنجد انه اشار لهذه النقاط الهامة :

١- ان عدد المتظاهرات ٤٧ سيدة استخدمن ١٢ سيارة

وفيهن من تربت على غير هذه الارض وفي غير هذه البيوت التي هي بيوتنا الاسلامية التي تعرف كيف تربي رجالها ونساءها ؟

٢- ان بعض اولياء امورهن قد اجازوا لهن ما فعلن

٣- ليس لديهن ترخيص بسياقة سيارة .

٤- قدرة الاعلام الاجنبي على التحرك اكبر من الاعلام العربي. واشار إلى الحاجة للنهوض بالاعلام السعودي ١٥

وكانت الفاينشال تايمز قد نشرت مقالا جاء فيه :

« عندما وجه الملك فهد نداء التطوع لبت النداء ١٥ ألف امرأة وقعن للتدريب (على اعمال الدفاع الوطني والتمريض) وهذا يعني انهن سيعملن مع الرجال ، وتفاءلت النساء بفرص عمل جديدة في مجال التمريض . وتقدمت الاميرات والبدويات للتدريب وانهت ٨٠٠٠ امرأة فعلا برنامج من اسبوعين واعلنت وزارة الصحة انها تنوي تقديم ٥٠٠٠ ممرضة سنويا ، وتجتاح السعوديات روح وطنية بمساهمتهن في خدمة الوطن وتعتقد كل متطوعة انها فلورنس نيتنجال FLORENCE NIGHTINGALE مستعدة لخدمة الرجال في الميدان (فلورنس نيتنجال الفتاة الانجليزية التي بدأت التمريض في الميدان خلال حرب القرم) وعندما سئلت الاميرة لمياء آل سعود(متطوعة وعمرها ٢٤ سنة) من سيهتم بالجرحي اذا غادر المرضات الاجانب البلاد ؟ اجابت بثقة : «نحن سنفعل ذلك.» ١٦

وكنا قد لاحظنا محاولة استغلال قضية المرأة من جانب القوى الاستعمارية ، والربط بين هذه القضية والوجود العسكري الامريكي من وقت مبكر جدا ، ففي الأسبوع الثاني من سبتمبر ١٩٩٠ نشرت الاندبندنت البريطانية مقالا تحت عنوان «ثورات القصر» قالت فيه : « ان منظر المجندات الامريكيات وهن يسقن السيارات ويخلعن الجاكتات لتغيير الاطارات ، قد غير الموقف في السعودية اكثر مما فعله الكفاح الهادئ للحركة النسائية عبر سنين . واذا كان السعوديون قد تغيروا فلابد أن يتغير الوضع في قطر وعمان والامارات . ان الملك فهد هادئ في قصره ولكن الجنرال «العاصفة» هناك في الصحراء على رأس ثمانين الف جندي بطائراتهم ودباباتهم . لقد حان الوقت لأن تتغير المملكة ، وستتغير شاءت أو أبت »

واجرت "CNN" مقابلة مع سيدتين من المعارضات لمظاهرة السوبرماركت ، «جواهر عبد الجبار» استاذة اجتماع قالت : ان النظام الاجتماعي السعودي يقوم على الفصل بين الجنسين وان السيدات اذا سقن سيارات فهذا يعني خلع الحجاب والاختلاط ، والشعب غير مستعد ولابد من التطور . ومجتمعنا يتغير بدليل مقارنتي مع امي وجدتي وإلا ماكنت اجلس هنا واعطي هذا الحديث ولا كنت قد تعلمت . وقالت «مرضيه البرديسي «اخصائية اجتماعية:« نحن نحتاج لاعداد الشعب وبعد أن يتقبلوا سلوكنا عندها نفكر في السواقة.»

وتسلمت الوكالات الامريكية في المملكة بيانا من بعض المشتركات في مظاهرة السوبرماركت يقول انهن مستهدفات من مجموعة قليلة من المتعصبين الذين يعارضون التقدم الاجتماعي .(كان البيان يكون اصدق نسبيا لو قال « المتعصبات » أوتلميذاتهن فشهادة الاستاذة جميع طالبات الجامعة كن ضدهن اج) !

وتلقت الصحف من جهة اخرى كشفا باسماء ٤٩ سيدة تحت عنوان :«الساقطات الداعيات إلى الرزيلة والفساد في الارض » كما اشار المنشور إلى اسماء اقارب وأزواج ١٢ منهن ومراكزهم مع نعوت والقاب من طراز شيوعي وعلماني امريكي..وختم المنشور بعبارة : «هذه اسماء الساقطات وبعض من يقف ورائهن من الشيوعيين والعلمانيين اعمل ما تراه مناسبا .»

كما وزعت بالفاكس قصيدة عنيفة موقعة من عبد الرحمن العشماوي بعنوان :«يا خادم الحرمين» جاء فيها :

تذر وربك بالمصائب تنذر ......

ما كنت احسبني اعيش لكي ارى

بنت الجزيرة بالمبادئ تسخر

يا خادم الحرمين اخشى ان ارى

يوما تسل به السيوف وتشهر ... الخ

و كتب كيم مورفي في لوس انجلوس تايمز يقول :ان القيادات الدينية ربطت بين مظاهرة السائقات والقوات الاجنبية..(اول من ربط وتمنى الربط هو الاعلام الغربي كما اوضحنا ج) واشار للمنشورات التي اشرنا لها من قبل . وذكر ان عددا من السعوديات المهنيات ممن يؤيدن إباحة السواقة قلن : ان المتظاهرات احرن القضية باثارة مواجهة شعبية حولها . وان هذا هو الوقت الخاطئ لمثل هذه الامور ، لأننا جميعا نواجه ازمات ليست فقط على المستوى المحلي ، بل ان العالم العربي كله منقسم. وقالت سيدة اعمال في الظهران ان السلطات الحكومية كانت على وشك الترخيص بالقيادة لو أن الامر ترك يتم تدريجيا مثل كل التغيرات في المملكة ، كما حدث في قضية التعليم .ونقل عن دبلوماسي غربي بالرياض قوله « انها ظاهرة خطيرة وسيئة ولم تتم فصولا بعد » وعن متظاهرة قولها: « لقد ألقوا عظمة لرجال الدين .» وعن قرار الحكومة ، انه «صدر والسعوديات ينظرن الامريكيات يسقن السيارات واللاجئات من الكويت قد سقن سياراتهن للسعودية .» وقال متحدث امريكي ان المنع الجديد لن يسري على المجندات

الامريكيات(١٠٠) وعاد المحرر فذكر الحجة التي تذرعت بها المتظاهرات عن خطر الحرب وانهن قد يحتجن استخدام السيارة لانقاذ اطفالهن . وعن الشعور بعدم الامن « اذا عرفت انك ستضطر للجري ولا تستطيع استخدام سيارتك ..» واشارت الصحيفة إلى منشور موقع :« امرأة سعودية فخورة » تحدث عن تعرض النساء اللاتي اشتركن في المظاهرة لاضطهاد والاهانة .»[١٧]

وعلقنا يومها :وهي حجج باطلة فهل يتصور عقل ان القنابل متساقط فوق الظهران مثلا وسيبقى عسكري المرور أو المطوع واقفا يفتش السيارات ويمنع السيدات ؟! هذه مبالغات سخيفة التبرير والاثارة في الصحافة العالمية .إذا كانت حماية الحياة يباح فيها ان تسمح المرأة الحرة لرجل أن يزني بها ليعطيها ما تأكله ، ولا تعتبرهي زانية.. فهل سيقف احد ضد أم تحمل اطفالها في سيارة وتهرب بهم من القنابل . ولماذا هذه الارستقراطية في التفكير.. ماذا عن السيدات اللاتي لا يعرفن قيادة السيارات أو لا يملكن سيارة اصلا .. لماذا لم تفكر الزعيمات في مشكلة هؤلاء؟!(١٦/١٧)

وقال JAMES LeMOYNE في النيويورك تايمز ان بعض النساء اللذين اشتركن في المظاهرة اتهمن بالعمل لحساب حكومات اجنبية ونصحن بالاختفاء تجنبا للعقاب.وقال ان القضية حساسة لدرجة انه ملمن مسئول أو مدني يريد ان ينسب اليه أي قول . فانهن في مأزق شديد وربما تتخذ ضدهن اجراءات اخرى .من الصعب على غير السعودي استيعاب حجم مظاهرة صغيرة من السائقات ولكن في بلد يفتقد لحرية التعبير فإن المظاهرة تحولت إلى عمل معارض سياسيا في وقت يدور فيه الحديث في دوائر النخبة عن الرغبة في التغيير بعد الغزو العراقي . و قد تثيرالقضية الخلاف بين التقدميين والمحافظين في العائلة المالكة ، فقد استغلها المحافظون لاتهام التحديث انه يمضي بسرعة كبيرة تهدد الاستقرار . وقال ان الملك فهد استاء لان المحتجات حاولن تغيير النظام بتحديهن علنا التقاليد .الملك يرحب بالتطور التدريجي والمسئولون يعتقدون انه كان سيسمح بالسواقة في ظل الازمة العراقية ولكن النساء أخرن القضية خمسة اعوام أو عشرة.»[١٨]

الذي أراد تحويلها لعمل سياسي هو الاعلام الامريكي والغربي عموما ، اما السلطة فلم تهتم في البداية .. فلما ثارت القوى الاجتماعية الاخرى ضد ما اعتبرته ابتزازا للمجتمع بالتهديد الامريكي، تحركت السلطة لتطويق الأزمة وفض الاشتباك .

ونشر نفس الكاتب في النيويورك تايمز تحقيقا من الرياض قال فيه « يبدو أن الأمير نايف يساند الخط المتشدد لرجال الدين بينما ليس كل اعضاء الاسرة المالكة يساندونهم.» وقال ان

السيدات المتظاهرات من ابرز العائلات ، من الطبقة المثقفة الصغيرة المتغربة ذات النفوذ القوي والتي في صدام مباشر الآن مع المؤسسة المسلمة المحافظة والتقليديين في العائلة المالكة . ونقل عن سيدة بارزة من عائلة سعودية معروفة جدا قولها اشعر بالحبوط والغيظ .. نحن في عام ١٩٩٠ وعلى حافة الحرب العالمية الثالثة بينما السعودية تمنع السواقة ! هذه حماقة ومحزن وشاذ .. ونقل عن من وصفه بـ «ناشر سعودي قوي النفوذ» انه كرر نفس الشيء واضاف ان الأصوليين يتدخلون في حياتنا .إنهم يجعلون من المملكة اضحوكة هل هذا ما جاء شباب امريكا ليدافعوا عنه اعني استمرار حكم المشايخ؟!»

وبالطبع علقنا يومها ان من حق هذا الناشر ان يقول رأيه في الأوضاع كما يشاء ولكن السؤال عن مهمة القوات الأجنبية واقتراح مهمة لها في أوضاع المملكة الداخلية ان صح عنه هذا القول ، فهو يهبط إلى درجة الخيانة واستعداء قوات اجنبية على وطنه وحكومته!

وزعم الكاتب الامريكي ان العديد من الأمراء الحوا في التعجيل بالتحديث وايدوا سرا مطالب النساء ويقولون ان الدولة حاولت في البداية تهدئة الامر ولكن رجال الدين صعدوه وزعم ان صحفيا سعوديا صور المظاهرة ظل في السجن لاكثر من اسبوع.[١٩]

قالت النايم ان بعض السيدات اللاتي قدن المظاهرة كانوا قد قدمن طلبا لأمير الرياض الأمير سلمان ونصحن بالعدول عن الفكرة أو على الاقل الانتظار عدة شهور وقال سعودي رفيع المكانة وأنا اقر مطلبهن ولكن توقيتهن كان سيئا جدا . والان يبدو ان الوقت ليس مناسبا ولعدة سنوات لأي تغير اجتماعي . »[٢٠]

و في مقال للنيويورك تايمز :« ان العسكر الامريكان استفزوا واهينوا بخطاب الأمير نايف الذي منع النسيدات من توسيع حقوقهن (!!ج)ونقل عن ضابط امريكي انه قال ان الأمير قال في نفس الخطاب ان الشباب السعودي يستطيع ان يهتم بأعمال اخرى شريفة عن أن يجدوا انفسهم مضطرين للاشتراك مع القوات السعودية ... وهو على أية حال اضطرار لم يحس به الا القليل . وهز الضابط رأسه وقال ان هذا الأمير يقول للشباب السعودي الا يهتموا بالانضمام للجيش السعودي في نفس الوقت الذي يستدعي مئات الالوف من الامريكيين للحضور إلى هنا والقتال . »[٢١]

وعلقنا يومها : يقول مثل لبناني : « من علمهم بالصحابة يصلون على عنتر » ونحن لم نجد هذا الكلام في خطاب الأمير بل وجدناه يقول « ان السعودية ستصد العدوان بكل قطرة دم تجري في اجساد هذا الشعب الابي الكريم »وقال :الامة كلها متجهة للدفاع عن الوطن ولأن يكونوا

جسدا واحدا رجاله ونساؤه وشبانه وفتياته ٠٠»(١١/٢٢)

واخطر ما في مقال الصحيفة هو قولها ان الجنود الامريكان اهينوا واستفزوا بخطاب الأمير عن حقوق النساء ٠٠!!

ها قد عدنا لرسالة الرجل الابيض ٠٠ البلد الذي تغتصب فيه امرأة كل ربع ساعة ٠٠ ولا تجد خمسة ملايين امرأة على الاقل مصدر رزق الا بيع جسدهن ٠٠ الجيش الذي هرعت مجنداته للحمل سفاحا للتهرب من اعباء القتال ٠٠أهينت كرامة جنوده بسبب حقوق المرأة في السعودية ! هذه هي العنجهية الاستعمارية التبشيرية التي جاء بها الامريكان إلى الخليج ٠

ولم يقتصر مهرجان « التايمس » على حرية جنودها في رفع الصليب ،(انظر نهايةالفصل ج) بل ابدت اهتمامها ايضا بحرية السعوديين فكتبت تقول :« السعوديون يعلنون الحرب على التحرر٠٠ «بدأت العائلة المالكة السعودية حملة ضد تأثير التحررالذي تفرضه المواجهة الخليجية على واحد من اكثر المجتمعات الاسلامية سلطوية ٠ في مكة اعلن الأمير نايف انه لا يسمح بالتظاهر ولا حتى من اجل مطالب مشروعة٠٠وقد أعتبرذلك اعلان حرب على النفوذ المستورد من قبل ٣٠٠ ألف جندي اجنبي ، نسبة كبيرة منهم من المسيحيين واليهود»

(ما دخل التقدم والتخلف في مسيحي أو يهودي إلا أن العقلية الصليبية تكمن خلف هذه المواقف والتعليقات ج) ٠٠وقالت الصحيفة ان «الأمير الذي يحكم وزارة الداخلية بيد من حديد منذ ١٩٧٥ قال:إنه لا حاجة للمظاهرات مادامت الابواب مفتوحة ٠ وقال لمستمعيه انه يأسف للتأثيرات السلبية لأزمة الخليج والتي من اهمها مظاهرة ٤٧ سيدة ، وكانت وزارة الداخلية قد اعلنت منع تراخيص السواقة عن كل السيدات ٠وتنبأت الصحيفة ان تثير احتفالات الكريسماس اعتراضات بسبب الرموز المسيحية ٠»[٢٢]

ونشرت نشرة يسارية تحقيقا عن قيادة السيارات تضمن لأول مرة ما زعمت أنه نص عريضة النساء السعوديات الموجهة للأمير سلمان جاء فيها :« لفتة كريمة وعظيمة من خادم الحرمين الشريفين انه فتح باب التطوع للمرأة السعودية المسلمة لكي تخدم بلدها ، في هذا المجال الحيوي ، وانها لدلالة اكيدة من خادم الحرمين وإيمان عميق منه ان المرأة ذخر لهذا البلد المعطاء ٠٠ بلدنا يناديننا في هذه الأيام العصيبة ان نرد له الجميل ونقدم له الولاء٠ ٠نناشدكم باسم المرأة السعودية الطموح والحريصة على خدمة وطنها ان تفتح لنا قلبك برعاية مطلبنا الانساني الا وهو قيادة السيارة داخل مدينة الرياض ٠٠» وعددت الاسباب في :«وجود الرجل الاجنبي داخل البيت

والخلوة معه داخل السيارة . . الاعباء المالية . . حدوث كثير من الامور اللاأخلاقية . . . حلول المرأة محل الرجل في الازمات . . الخ ثم فتوى من مشايخ منهم الغزالي والشيخ على الفقير وآخرين . »[٢٣]

مقال اخرقي نفس النشرة يقول « بوش نجح في وضع فهد في الاطار النهائي لسياسته، ظهر ضعف قدرات المملكة حيث تحيط بها ثلاث قوى اقليمية كبيرة تحمل مخزونا هائلا من العداء الموجه ضد المملكة ، وهذه الدول تملك القدرة والرغبة في ايذاء المملكة . . . فايران عادت بزخم للمنطقة وهي تطالب بحصتها من الدور السعودي . وقد ظهر من خلال الضغط على المملكة من ناحية موسم الحج وهي شروط تتعدى عدد الحجاج إلى اعطاء ضوء اخضر لتحويل الحج إلى منبر سياسي وفكري لايران يسمح بالاخلال بالتركيبة الداخلية للمجتمع السعودي نفسه . والعراق الذي كشف عن مخزونه القديم من الحقد على الانظمة الملكية والكيان الصهيوني (والحقد على الكيان الصهيوني قديم ليه ويحتاج لكشف ؟! ج) . . . ثم العامل اليمني والمصري كعامل اضطراب فاليمن تحولت إلى شوكة دامية في خاصرة السعودية الرخوة تفقد المملكة هيبتها العربية ، ومصر خرجت عن الأمر السعودي . . » وخرج من هذا العرض «بأن هذا الوضع جعل المملكة تسرب افكارا عن امكانية حل وسط مع العراق . » [٢٤]

في المشمش !

ومن الرياض كتب JAMES LeMOYNE يقول ان « السعوديات قديكن ممنوعات من السواقة رسميا ولكن يبدو ان بعضهن يحاولن مط حدود هذا المجتمع الاسلامي المحكوم بالرجال . (وفي امريكا عندما يكون رئيس الجمهورية و نائبه ووزير الخارجية ووزير الدفاع ومدير المباحث ومدير المخابرات كلهم من الرجال فهل هو مجتمع محكوم من النساء؟!ج)وزعم ان سيدة مهنية قالت له : « انا طهقانة مقهورة ولكن اعتقد ان التغيير سيأتي ، انا لا أرى كيف يمكن ان نبقى هكذا إلى الابد . انا افكر في مغادرة البلاد أو ان اتعرض لمتاعب عديدة . وقالت له اخرى رفضت ذكر اسمها لكي لا تتعرض لمعاقبة ابيها واخوتها عمرها ٣٠ سنة ومجبرة على العيش مع عائلتها حيث انه في السعودية يخالف القانون ان تعيش وحدها كامرأة غير متزوجة . . هذه السيدة تحتسي الويسكي في حفلة خاصة وترقص اوبعد محادثة طويلة اعترفت له انها مطلقة ولها عشيق (امال لو عاشت وحدها حيعمل ايه يا ساتر الستر ج) ولكن المسئولين قد علموا بعلاقتها ويتحرون عنها الآن . . ابوها هدد بحبسها في المنزل واخ لها هدد بقتلها . وقالت ان ذلك يدفعني للجنون (اكثر من ذلك؟!ج) وقالت له ثالثة وهي طبيبة سمت نفسها مريم ان مشكلتها هي ان الرجال لا يريدون ان

يتزوجوا المتعلمات جدا وان حبيبها لخمس سنوات اخبرها انه سيتزوج امرأة اصغر جدا منها ولكن ليس لديها شهادة جامعية. وقال لي انني اقوى واكثر استقلالية مما يطيق . انا احبيته جدا ولكن هذا هو ما جرى. الرجال السعوديون يخافون المرأة المتعلمة المستقلة حتى امهاتهم ينصحنهم الا يتزوجننا لأنه قد يكون من الصعب ان يسيطروا علينا .هذا التيار مشكلة في مجتمع ينتشر فيه التعليم .ونتيجة ذلك يقضين الوقت في صحبة العاطلات.(هل تقترح الاستعانة بالجيش الامريكي لالزام الرجال السعوديين بالزواج من العانسات المثقفات العنيدات القويات الشخصيات ..؟!ج)

وقال انه من حديثه مع النساء السعوديات استنتج انهن يشربن الكحول ..واذا كان الرقص واختلاط الجنسين ممنوع ولكن في الواقع فإن السكر والرقص وخلافه يتم خلف الابواب.ونسب الى دبلوماسي غربي انه «ابدى دهشته عندما اشترك في حفلة خاصة. .فالنبيذ يجري انهارا والرجال والنساء يتناقشون في كل شيء من السياسة للطعام، ثم قال له مضيفه السعودي : راقب هذا ثم خفت الضوء وظهرت سيدتان جميلتان محجبات في ملابس الرقص ورقصن ما وصفه الدبلوماسي بأكثر الرقصات جنسا مما لم يشهد له مثيلا في حياته ..وبعد دقائق تبين ان الراقصات هم من الزوجات السعوديات في الحفل. »[25]

والظاهر ان الويسكي هو الاسم الشعبي في الخليج لمشروب حلال لأنه لا يعقل ان يكون شربه متفشيا على هذا النحو بين السيدات ، فقد قالت صحيفة «لوس انجلوس تايمس» : « مسز «حياة مخنى »الكويتية وزوجة طبيب وتطوعت للعمل كممرضة في الصليب الأحمر كانت عاجزة عن وصف الليالي التي قضتها تشرب الويسكي في ظل الاحتلال العراقي . »[26]

وهذه الكتابات يستحيل ان تكون صادقة ولكنها تكتب وتنشر لكي تطعم طاحونة المتعصبين ومعهم بعض القوى التي تحركها المخابرات الامريكية ويكون دورها ان تصرخ وإسلاماه ! وقد طالبنا وقتها بالقبض على المحرر وتقديمه لمحكمة الشرع في المملكة بتهمة قذف المحصنات فإما يجلد أو يرشد لهذا الحفل الذي اقامه ديوث أو ديوثان .

وفي الصحافة المصرية ، اهتم اليساريون واليساريات وانصار تحرير المرأة والاعداء التقليديين للسعودية والاسلام بظاهرة السوبرماركت . ولكن الاكثر اثارة للانتباه هو حملة عدد من النسويين للاسلام ضد « الرجعية » في السعودية ، والمثير انها جاءت من شخصيات تأكل على مائدة السعوديين ومعظم دخلها العلني من السعودية وبعضهم يكتب بانتظام ويقبض بسخاء من الصحف السعودية .. مما اطلق تفسيرا بأن هذه الكتابات وان كان ظاهرها معارضة النظام

السعودي الإلا انها موعز بها من بعض اجهزة هذا النظام وقصد بها مواجهة المتطرفين الدينيين في المملكة .. كتبت الاستاذة « أمينة شفيق » تدعم المتظاهرات. وانظر فهمي هويدي السعودية وهو كاتب دائم في الصحف السعودية بأن التغيير قادم ، كما اتهم المملكة بأنها دبرت حملة ضد الغزالي (وهو ايضا من كتاب دار الشرق الاوسط وحاصل على جائزة الملك فيصل .. ولم يكتب حرفا ضد صدام إلى ان دخل الامريكان العراق فانهال عليه سبا ، وهو عاكف الآن على خطب ود الاعاجم بسبب العروبة ! ج) واشترك في الحملة كاتب على صلة بالمخابرات البريطانية « (١١/٢٢) وعلماء الدين في مصر يهاجمون علماء الدين في السعودية حول قيادة السيارات وان ذلك نشر في اللواء الاسلامي التي تصدر عن الحزب الوطني الحاكم»[٢٧]

وتوجت صحيفة « الاهالي » في مصر يوم ٦ نوفمبر عيدا للمرأة في السعودية وقالت انه في الخامسة صباحا افرجت الشرطة عن ست واربعين سيدة في محاولة لاستمرار التحفظ على ثلاث الا ان النساء رفضن العودة وهتفن باسماء الباقيات حتى افرج عنهن وان الشرطة عاملتهن بكل ادب واحترام[٢٨] وقال تحقيق في نفس الصحيفة :«مسيرة السيدات السعوديات تفجر معارك وانقسامات واسعة .. مطالب النساء تتسع إلى حق الموافقة على الزواج .. شرايط كاسيت وعرايض وحملات تشهير في المسجد ..»

نقلت الاهالي كلاما منسوبا للشيخ الورثان يخشى فيه انشاء برلمان في السعودية وقالت انه يوم الخميس ٢١ ربيع الثاني بجامع الملك خالد بالرياض افتى الشيخ ابن باز ان حادث السيارات بادرة سوء وقال انه تفاهم مع ولاة الامور حول قيادة الامريكيات للسيارات.. كما نشرت الاهالي نداء غير موقع ممن سمتهم الصحفيين السعوديين يتوجهون بنداء للافراج عن زميلهم المعتقل جاء فيه انهم يسعون من سنوات لانشاء رابطة أو جمعية للصحفيين ولكن لم يستجب لهم .وفي السادس من نوفمبر فوجئنا باعتقال زميلنا صالح العزاز من قبل المباحث وهو رئيس تحرير مجلة «التجارة» التي تصدرها غرفة التجارة[٢٩]

وكتب شخص اسمه ناجح دعس الشهري (اسمه كذا) مقالا بعنوان : « الاسلام الاخر في السعودية » جاء فيه : « قفزت المجتمعات العربية وخاصة النفطية قفزة كبيرة في العقود القليلة الماضية ومن بينها بقي المجتمع السعودي مجهولا .. من يذهب اليه لابد أن يصدمه كل شئ ولابد أن يرى العجب .. وللاسف ربطت كل هذه البدع بالاسلام ..اجعلها دعوة عامة لمن يعنيه الدفاع عن المرأة في هذا المجتمع المريض»

وقد اقترحنا معالجة الكاتب في المستشفى التخصصي !

حتى وصلنا الى :«ياسمين الخيام تهاجم علماء الدين في السعودية . . لأن السواقة ليست ضد الاسلام» ٣٠ .

وفي يوم ١٥ يناير ١٩٩١ كتبنا نقول :«اذا كان ما تدبره القيادة العسكرية الامريكية لصدام حسين أكثر من معروف الآن فإن ما تدبره القيادة السياسية للدول الحليفة في الخليج لا يزال مجهولا وربما كان ابعد غورا . . وقد كشفت لوس انجلوس تايمس امس عن تشكيل لجنة بقرار من الرئيس الامريكي تضم نواب المديرين في مجلس الامن القومي والمخابرات الامريكية ووزارتي الخارجية والدفاع للتخطيط لمستقبل الخليج الذي قال عنه احد كبار المسئولين الامريكيين . . «انا على يقين من ان صدام سيخرج من الكويت اما كيف سيكون الوضع في الخليج فهذا ما لا اعرفه» ونقل عن مجموعة العمل المكلفة بالتخطيط لما بعد صدام حسين «ان ازالة صدام حسين ستبدو عملا هينا بجانب ما يجب انجازه لتحقيق الاستقرار في المنطقة . والمجموعة يرأسها نائب مستشار الامن القومي روبرت جيتز والتعليمات التي تلقاها هي رسم مستقبل العراق والكويت والسعودية واحياء مسيرة السلام العربي / الاسرائيلي والسيطرة على الاسلحة غير التقليدية في المنطقة» . والخطوط العريضة حتى الان هي:

. اقامة توازن للقوى في المنطقة يضم ايران (قالت التايم :«مطلوب الان وضع توازن الضعف وليس توازن القوى في الخليج»

• معالجة مشكلة الثراء الفاحش والفقر المدقع في الدول الخليجية وجيرانها .

• السعي لمقرطة الحكم في الدول الملكية والجمهورية على السواء .

• ضرورة وجود قوة أمن في الكويت حتى تستقر الاوضاع ويقدر عددها بخمسة آلاف . »

وقالت الصحيفة ان هناك «مشكلة اخرى يبحثها الخبراء ، وتحدث عنها كواندت المستشار السابق في مجلس الأمن القومي الامريكي . . هي بناء امن السعودية في المستقبل . فهم يعتقدون ان السلاح ولو بكميات هائلة لم يعد يكفي فتعداد السعودية قليل وحقول نفطهم الشاسعة تغري بالهجوم . . ان الدفاع عن السعودية يتطلب ما هو اكثر من العودة للنظام السابق . وطالب كواندت ببقاء عشرات الالوف من القوات الامريكية لمدة سنة على الاقل . وفي المدى البعيد يجب ان يعتمد آل سعود على قوات سورية ومصرية وباكستانية . . السعوديون والكويتيون والامارات الاخرى يجب ان يشجعوا على استثمار ثرواتهم بأسلوب مختلف باستثمارها في تطوير اقتصاديات

جيرانهم تركيا والاردن والضفة وغزة واليمن .واقترح بنك تنمية تضع فيه دول النفط ٢٠ بليون دولار ومثلها من الدول الاخرى واستمرت البوست في تشهيرها بالمملكة فنشرت تقريرا لجاك اندرسون، ودال فان اطا بعنوان : « كابوس امريكي في السعودية » . . . عن اصدقاء امريكا في الخليج نسبت فيه لشخص اسمه سكوت نيلسون كان يعمل في المستشفى التخصصي وابلغ عن خلل في اجهزة الاوكسجين فقبض عليه وعذب ورحل إلى السجن حيث وضع مع ١١٠ سجناء في غرفة لا تتسع الا لخمسين وضربوه بالخيزرانه ووضعوا عمودا من الحديد في رجله وكسروا ركبته حتى توسط ادوارد كينيدي في الافراج عنه . . وشخص اسمه جيم سمورسكي الذي قبض عليه بتهمة التجسس سنة ١٩٨٥ وخلعت اظافره وبقي في السجن ٤٥٤ يوما . وختم التعليق بأن اليمنيين يقبض عليهم بدون تهمة ويعذبون»[٣١]

وفي الوقت الذي فرضت فيه السلطات وقبل الصحفيون الامريكان والانجليز رقابة صارمة على اخبار الحرب لكي لا تصل لمواطنيهم في العالم المتقدم .. تمتع هؤلاء بحرية تشويه موقف السعوديين بل والتطاول حتى على القوات المسلحة التي بلا شك وبشهادة الغربيين انفسهم أبلت فوق ما كان يرجى أو طلب منها .

« حدث اشتباك بين البوليس السعودي والصحفيين خارج فندق الظهران الدولي عندما قبض رجل بوليس على مصور كل من CBS و ABC وصادر افلامهما وصاح سام دونالدسون من CBS ارفع يدك عنه نحن هنا للدفاع عنكم » [٣٢]

(ستتكرر هذه العبارة الوقحة كثيرا على لسان الامريكان والانجليز مما يلقي الضوء على الدور الذي كان يلعبه التهديد العراقي في تمكين الغرب من ابتزاز السعودية بحجة الحماية)

وكتب كريستوفر واكر : النساء لا يعرفن كيف يضعن اقنعة الغاز بدون كشف وجوههن أو ازاحة الحجاب ولذلك تفضلن حمل القناع وعدم لبسه ويعتقدن انه يكفي حمله!» وردا على هذا الهذر نقدم هنا هذا النبأ : « رغم صدور فتوى من كبير الحاخامات بجواز حلق اللحية في زمن الحرب ليمكن لبس اقنعة الغاز فقد صمم اليهود الارثوذكس على الاحتفاظ بذقونهم والارثوذكس يشكلون ١٥ ٪ من تعداد السكان واستولوا على ٥٠٠٠ جهاز خاص يمكن من احتواء الذقن »[٣٣]

لماذا لم يسخر احد من عجز المتدينين الاسرائيليين عن لبس قناع الغاز . . واضطرار الحكومة لصنع جهاز خاص يحتوي ذقونهم . . لماذا حجاب المسلمة هو وحده مادة السخرية!

والصواريخ العشرة صدمت السعوديين واعطت صدام تفوقا نفسيا . . انفجارات بددت الرتابة

السعودية ..فلم تفكر الرياض ابدا انها ستكون يوما تحت ضربات الصواريخ. ولم يحسب حساب الخابئ في البنايات العامة حتى في ليلة الصواريخ كانت الطبعة الاولى من جريدة الرياض تبلغ القراء ان السلطات واثقة ان المنطقة خارج نطاق الضربات العراقية ، وهذه الجريدة التي كثيرا ما تنافق السلطة كانت اعدادها مكدسة على الرفوف في خجل ..»[34]

(وماذا عن جرائد تل ابيب التي كانت تقول ان سماء اسرائيل لا تخترق .. أو اسرائيل التي لم توزع اقنعة على الفلسطينيين ، ولجأ مواطنوها لخابئ الفلسطينيين لأنها افضل؟!ج)

«واذيعت رواية عن غضب الجيش البريطاني لانسحاب القوات السعودية من الحدود ويقول البريطانيون ان السعوديين اخلوا موقعهم في عجلة فور نشوب الحرب وقد انكر الجيش السعودي هذه المزاعم وأكد ان الانسحاب كان متفقا عليه من قبل وتم بعلم القوات المتحالفة .. كذلك اثار هذا الاعلام لغطا عن بعض ما سموه احذية الجيش السعودي التي وجدت في الخافجي .. وهو من التعنت لأن جنود الحرس الوطني يلبسون النعال وهو سهل الخروج من الرجل عند الانسحاب أو حتى الهجوم المفاجئ .. وكتب روبرت فيسك :«في الساعات الاولى لـ ١٦ يناير قامت ١٢ طائرة سعودية من قاعدة في شرق السعودية لمهاجمة العراق وقد اتخذ القرار الملك فهد شخصيا وأيده سرا الرئيس بوش . والنتيجة كانت اقل اهمية فقد عادت ١١ طائرة بحمولتها كاملة من القنابل اذ فشل الطيارون في تحديد اهدافهم ..(اثبت تقرير امريكي ان ٧٠ ٪ من القنابل التي استعملها الامريكيون أخطأت اهدافها .. على الاقل الطيار السعودي رفض القاء القنابل عشوائيا لتصيب المدنيين ج) في اليوم التالي كررت المحاولة بسبع طائرات تورنادو يقودها السعوديون ، ست منها فشلت في إلقاء قنابلها ولكن حفظا للمظاهر فقد جرى الاحتفاء بالطيارين امام الصحفيين .. ان السعوديين في المعركة لمجرد ان يعلن بوش ان العرب ايضا وليس الغرب وحده الذي يحارب العراق ..»[35]

والحمد لله سود الله وجه الصحيفة والصحفي اذ ان الطيار الوحيد الذي اسقط طائرتين بضربة واحدة في تاريخ الحرب هو الطيار السعودي اياد الشمراني .. أما إلقاء القنابل من السماء على اهداف في الارض فليس فيه لا شجاعة ولا حتى كفاءة بعد الليزر والقنبلة الذكية .. الخ

على أية حال فإن روح القتال بين القوات الامريكية لم تكن فوق مستوى الشبهات وقد كشفت التايمس عن الطريقة التي لجأت اليها المجندات الامريكيات للهرب من القتال اذ قالت ان معامل التحليل الملحقة بالجيش الامريكي تعاني من تدفق عينات البول التي تقدمها المجندات

الامريكيات وعددهن ٤٥ ألف مجندة لاثبات انهن حاملات . والاطباء يقولون ان الهدف هو الاعفاء من القتال ،وفقا للقانون الامريكي،اذا ثبت الحمل »٣٦

والمعروف ان المجندات لهن ستة شهور بعيدات عن فراش الزوجية ولا يمكن ان يخفى الحمل المشروع ستة شهور حتى يحتاج إلى فحص البول ! ومن ثم فعملا بالمبدأ الشرعي:الولد ولد الفراش ٠٠فكل نتائج هذا الحمل ستكون ولد حفر الباطن !

واخيرا اقرأ معي هذا التحريض ضد المملكة الذي تجاوز الحد في سذاجته اقرأه وحاول ان تخمن أي صحيفة عراقية كتبته :

«ولاشك ان طوابير الاسرى العراقيين ستكون اكثر اذلالا للعرب مما حدث للمصريين في ١٩٦٧ والسؤال هو إلى أي مدى يمكن للسعوديين والمصريين والسوريين البقاء في نفس الخندق مع الولايات المتحدة اذا ما وجدوا انفسهم جزءا من تحالف امريكي / اسرائيلي ضد اكبر جيش في العالم الاسلامي ؟! عندما اطلقت العراق الصواريخ على اسرائيل يوم السبت فان مراسل CNN في البنتاجون وصف ذلك بالكفر لانه وقع في عطلة اليهود بينما هجمت امريكا على بغداد يوم الجمعة ولكن لا أحد يهتم . ليس هناك شك في ان السعودية تظل تملك القدرة على وقف حمام الدم ٠٠ انها السعودية التي تمول القوات الحليفة وبدون النفط السعودي ستكون كل الطائرات والدبابات الامريكية مجرد قطعة حديد٠٠فكل ما على الملك فهد ان يفعله لانهاء المشكلة هو اغلاق الحنفية».

هل خمنت ؟!

خطأ !!ليست جريدة الجمهورية العراقية ولا حتى الثورة ولا هو تصريح من ولد الحسومات لطيف جاسم بل تعليق في الصحيفة البريطانية الاندبندنت بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٩١

٠٠٠٠٠الصليب والمدفع !

قدمنا بعض ما وجه ضد المملكة من الناحية السياسية من واقع رصدنا اليومي لما كان يكتب في تلك الشهور الستة وينبئ عما في ضمير الحلفاء الامريكيين من مشاعر العداء والتربص للنظام السياسي للمملكة٠ . فماذا عن دين المملكة ٠٠؟ الحق انه يصعب جدا على المتتبع للحملة الدينية على المملكة خلال ازمة الخليج ان ينفي وجود تنسيق بين الاعلام العراقي الذي يصرخ : «واإسلاماه٠٠» المملكة تسمح بوجود مسيحيين في حفر الباطن أو الاراضي المقدسة كما سميت للأسف بل وللعار من جانب مصادر تدعي الايمان والتقوى وتتحدث باسم الاسلام، وبين

الحملات المسيحية واليهودية ضد المملكة لأنها متعصبة وتمنع هؤلاء المسيحين واليهود الذين جاءوا للدفاع عنها فإذا بها تحرمهم حرية العقيدة بمنعهم من ممارسة شعائر دينهم بل وتمنع دخول الانجيل والمبشرين.. الخ فهؤلاء يهاجمون المملكة في الغرب ويتساءلون كيف تدافع عن النظام السعودي عدو المسيح وعدو حرية العقيدة ويشيدون بانفتاح العراق الذي يتبادل كبار المسئولين فيه الويسكي مع الامريكيين بل وتمارس فيه جميع الاديان حريتها إلى جانب حرية الرقص والعري .. العراقيون يثيرون الغوغاء في العالم الاسلامي ضد تفريط الملك.. الخ ! كيف لا يكون ذلك عملا متكاملا وباتفاق .. ؟!

نشرت صحيفتان بريطانيتان هجوما على المملكة لأنها تمنع المسيحيين واليهود من ممارسة شعائرهم في المملكة، وجاء نقد « التايمس » في شكل افتتاحية قالت فيها إن موقف المملكة يخالف تعاليم الاسلام المتسامحة مع الاقليات من اهل الكتاب وان القوات المسيحية الموجودة الآن في السعودية تضطر إلى التخفي وانكار صفة رجال الدين وتسميتهم بألقاب ترضي السعوديين مثل مستشارين روحيين ..وفي يوم الأحد لا يسمح لهذه القوات بممارسة الطقوس الدينية الكاملة .وقالت ان ايران التي تعتبر نموذجا للاصولية ليست فقط تسمح بحرية المسيحيين في العبادة بل تحتفظ لهم بمقاعد في برلمانها. والعراق تتسامح مع اقليتها المسيحية إلى حد ان منهم وزير خارجية العراق وخلصت إلى ان السعودية هي وحدها الشاذة ضد هذا التسامح الاسلامي الذي يمكن مقارنته بمعاملة غير المسيحيين في اوربا العصور الوسطى .وفسرت هذا الشذوذ بالمذهب الوهابي ونفوذ زعماء هذا المذهب على حكام هذا البلد مما ادى إلى وضع القيود التي سببت ضيقا حتى للمسلمين . فقد جرت العادة لسلطات الجمارك السعودية ان تصادر طبعات المصحف التي لا يقرها الوهابيون .ووفقا لمذهب الوهابيين فإن الكنائس المسيحية لا يسمح بها على الاطلاق . والقسس عليهم ان يخفوا مهنتهم . والقادة الانجليز والامريكان اتخذوا موقف الرضوخ للحساسية السعودية، ولكن سيكون خطأ وغير قانوني بالمعايير القانونية الامريكية والبريطانية اذا منعوا افراد القوات المسلحة الذين هم تحت قيادتهم من اداء فروض دينهم . مثل منع الكاثوليك من سماع القداس يوم الأحد ، كما سيفقدون مصداقيتهم اذا ادعوا للسعوديين بأن القداس لا يحدث وهو يحدث .. » وخلصت الصحيفة إلى ان حكومات الغرب لن تخرق ميثاق الامم المتحدة الذي جاءت القوات على اساسه فلذا نبهوا الحكومة السعودية الى أن مسئولياتها تحت هذا الميثاق هي توفير حرية العقيدة.»[٣٧]

وقد اثارنا هذا التجني والعنجهية التي وردت في افتتاحية التايمس وما اعقبها فرددنا عليهم في ثلاثة مواقع .. اليوميات وجريدة الوفد وجريدة التايمس ذاتها التي نشرت ردنا مختصرا .

في اليوميات قلنا :من حق خصوم المملكة أن يقولوا ان القوات البريطانية ليست الا حملة صليبية لفتح الكنائس في المملكة .. اما عن حجج التايمس فالرد عليها :

١- من المقال الذي يعزف نفس النغمة في صحيفة الاندبندنت ونشر في نفس اليوم يأتي الرد وان كنا لا نقره تماما قالت الصحيفة : «في الحقيقة ان الحكومة السعودية اقل قلقا من ممارسة غير المسلمين شعائر دينهم في الصحراء من قلقها من استخدام صدام هذا الامر في دعايته الموجهة ضد السعودية يوميا .»[٣٨]

فالعراق والدول التقدمية التي تثني عليها التايمس هي التي تثير هذه القضية وتمنع المملكة من ممارسة التسامح الاسلامي فيها، وبالمصادفة كتبت صحيفة العرب في نفس اليوم تقول عن اسلامية المملكة «هذه الورقة احرقتها المملكة بموالاتها الكفار وهو عمل يخرجها من زمرة المسلمين ثم هي دنست ارض المقدسات بفتحها امام عدو محرم عليه ان يطأها ، وصلى راباي باليهود في جزيرة العرب لأول مرة بعد خروجهم من خيبر وطردهم .»[٣٩]

ويبقى السؤال ماذا يريد:الانجليز هل ارسلوا قواتهم التي تدفع السعودية نفقات اقامتها لكي تقيم قداس الاحد ام تحرير الكويت والانتقال اليها سريعا حيث توجد الكنائس ليقيموا صلاة الشكر-[٤٠]

واليك ملخص مما نشر في الوفد والتايمس ونشرتنا معا ، فبعد تلخيص ما كتبته الجريدتان قلنا :

«وعلى رائحة الدم جاءت الضباع فانهالت الرسائل التي تطالب بحق فتح الكنائس وزرع الصلبان في السعودية فنشرت نفس الصحيفة بعد أربعة ايام اربع رسائل في يوم واحد كلها تهاجم المملكة لأنها خالية من الكنائس قال مستر دونال جامبل : «لو كان هؤلاء الجنود في بغداد لأمكنهم ان يختاروا لصلاتهم ما شاءوا من الكنائس وعلى سبيل المثال الكنيسة الإنجيلية الواقعة على الجانب الآخر من الشارع الذي يقع فيه الفندق حيث يقيم الرهائن في منطقة المنصور. وهي الكنيسة الانجيلية التي بنتها فرقة المدفعية الملكية تحية للرماة الذين ماتوا في تلك المنطقة، هذه الكنيسة التي ظلت تواصل خدماتها منذ الوجود البريطاني ومازالت تعرض شارات الوحدات البريطانية .ولو كان جنودنا في بغداد بدلا من السعودية ، لكان بوسعهم ايضا ان يحصلوا على بيرة وسندوتش من لحم الخنزير ويذهبون للسينما .والنساء منهم كان بوسعهن ان يسقن ويسبحن

ويأخذن حمام شمس . كثيرا ما كان العرب يقولون عنا اننا في الغرب لا نؤمن برب ولا مبادئ ولا كرامة لنا وانه من الممكن دائماشراؤنا. ويصعب دحض هذه الاتهامات الان اذا كنا نساوم على الصلاة على قتلانا [41]

وكتب الرايت اورنابول مونسيور جورج تانكريف رسالة اخرى في نفس الموضوع قال فيها : عبر مقالكم « الدين تحت الحجاب » عن مدى ابتعاد السعوديين غير المعقول عن أى تفكير فى التسامح الدينى. لقد كان الامر أجدر بالسخرية لولا أن قوات صاحبة الجلالة هناك يضحون بحياتهم اساسا للدفاع عن حقوق الانسان التى من ابرزها حرية ممارسة العقيدة .. اليست السعودية عضوا فى الامم المتحدة ؟! الا يجب ان تضغط على الامم المتحدة لكى تضع حدا للاهمال السعودى الواضح لهذا الحق من حقوق الانسان . لماذا نتملق السعوديين .. هل النفط اعز من القداس ؟![42]

وكتبت اليزابث نونان في نفس الجريدة تقول .. «اذا قامت الحرب هناك سيموت عدد من هؤلاء الشباب فهل سيسمح بدفنهم وفقا للشرائع المسيحية وهل سيسمح لنا بمقبرة حربية تحمل صلبان ؟ ! وهل سيسمح لذويهم بالذهاب إلى هناك واداء الطقوس المسيحية لاحياء ذكراهم ؟[43]

وكتب الريفراندمايكل باربر فى نفس الجريدة ونفس اليوم يقول : «المسلمون يباح لهم حق اداء شعائر دينهم علنا فى بريطانيا .. ولذا فمن المفروض ان يتعاطف السعوديون مع هؤلاء الذين لهم اديان مختلفة»[44]

وفي لندن وجهت الاذاعة البريطانية سؤالا للسفارة السعودية حول هذه القضية.

وقد رأيت ان ارد على هذه الحملة فكتبت كلمة بعثت بها إلى التايمس اقول فيها :

«ان مقارنتكم بين حرية غير المسلمين فى ايران والعراق وما وصفتموه بالتعصب فى المملكة اذ ليس فيها نواب ولا وزراء مسيحيون ولا كنائس ، هو عرض مضلل فهذا الوضع لا دخل فيه للنظام السعودى ولا للوهابية بل الحقيقة انه لا يوجد مواطن غير مسلم فى المملكة نتيجة قرار اتخذ قبل ظهور الوهابية بأكثر من الف سنة عندما اخرج عمربن الخطاب ، لأسباب أمنية ، غير المسلمين وهو يخوض اول حرب عالمية فى التاريخ. وحرية العقيدة التى تنص عليها ميثاق حقوق الانسان هى حرية المواطن فى بلده، فالمسلم لا يسمح له بزوجة ثانية فى بريطانيا بل حتى المواطن الفرنسى المسلم اضطر للجوء للقضاء لكى يغطى شعر ابنته الفرنسية .

ولعله من الجدير بالملاحظة ان العراق الذى تشيد التايمس بتسامحه هو الذى يشن اكبر حملة

على السعودية بحجة انها تسمح للجنود غير المسلمين بممارسة شعائرهم فى الصحراء.(وبالمناسبة وهذه للقراء العرب ما هى الحدود الجغرافية لجزيرة العرب التى وردت فى الأثر . ألا تدخل الكويت وقطر واليمن واجزاء من بادية العراق والشام فى اطارها ام ان الحديث وقرار عمربن الخطاب رضى الله عنه كانا يتحدثان فى اطار الحدود التى رسمها آل سعود لمملكتهم؟!)

«الوهابية ليست مذهبا ولا دينا لها مصحفها الخاص حتى تقول افتتاحية التايمس انها تصادر المصاحف المخالفة .والحقيقة هى ان منع المصاحف المطبوعة خارج المملكة هو قرار تجارى تقف خلفه دار نشر لمصالحها المالية . وقد عارضنا هذا القرار ومازلنا نرجو ان تعدل عنه حكومة المملكة لانه انزل ضررا قاتلا بطباعة المصحف فى العالم الاسلامى ،اذ تعتبر المملكة - وخاصة فى موسم الحج -اكبر سوق للمصحف وليس من مصلحة المسلمين والمصحف ان تحتكر دار نشر واحدة طباعته .

وختمت كلمتى للتايمس قائلا :

« دعونا نتكلم بصراحة اذا كانت القوات البريطانية قد ذهبت للمملكة لفرض حرية العقيدة ببناء الكنائس فقد اخطأت الطريق اذ كان عليها ان تأتى غازية وتبنى كنيستها بنفس الطريقة التى بنت بها فرقة المدفعية البريطانية قبل سبعين سنة الكنيسة التى فى بغداد .. اما اذا كانت قد جاءت لتحرير الكويت فلتنجز مهمتها بسرعة وترحل بسلام. .وبعد فإن وحدانية الدين فى السعودية ، حقيقة يتفق عليها كل المسلمين فحذار من محاولة تحديها ..»

وقد نشر الرد كاملا فى الوفد ومختصرا فى التايمس .

وقد ارسل لى الدكتور القصيبى هذا التوضيح :« لا توجد مؤسسة تجارية فى المملكة تحتكر بيع المصاحف ولكن يوجد مجمع الملك فهد الذى يطبع مصحف المدينة المنورة ويوزعه مجانا. وهذا المصحف بخط ممتاز وروجع مراجعة دقيقة ويطبع الآن بلغات عديدة. والعمل لا يراد به الا خدمة القرآن الكريم . بخصوص النسخ القادمة من خارج المملكة والمطبوعة لأسباب تجارية تبين أنها مليئة بالأخطاء المطبعية والمتعمدة. ومراقبة كل مصحف كل مرة عملية غير عملية ولهذا فالوضع الحاصل الآن أنه من يدخل المملكة بمصاحف تؤخذ منه ويعطى بدلا من كل نسخة(يحملها) نسخة من مصحف المدينة المنورة مجانية . يتضح أن الأمر لا علاقة له لا بمصاحف وهابية ولا باحتكار شركة تجارية وانما رغبة فى توحيد المصحف المتداول على نحو يضمن سلامته من الأخطاء، وهذه العملية تكلف الحكومة السعودية الكثير ولكن الملك يتابعها بنفسه.

وبالطبع فإن رد الدكتور– جزاه الله كل خير– لم يغير اقتناعنا فالمعروف ان بعضهم حقق أرباحا طائلة من هذا المشروع ، ومهما قيل عن التوزيع المجانى فإن الطيبات لا تتوافر بالمجان بل لابد فى النهاية من طرف يوقع الفاتورة وطرف يقبضها . . وليست هذه هى النقطة بل لعلها أضعف القضايا . . القضية الرئيسية هى ان هذا القرار الذي يستند لسوق المملكة الضخم و امكانياتها المالية الهائلة وغيرة حكومتها التى تمكنها من توزيع هذا المصحف الفاخر مجانا ، قد قضى على صناعة المصحف فى الخارج واوقف وجوده على مؤسسة واحدة فى بلد واحد ! وسيدنا عثمان عندما ضبط المصحف « طبع» منه اربع نسخ ووزعها فى الامصار الأربعة لينسخوه أو يطبعوه قدر اجتهادهم وبذلك انتشرت كلمة الله . . ولا يعقل ان المصاحف كانت فوضى وحافلة بالاخطاء إلى ان تولى الأمر الخاشقجى !! لقد حفظ الله مصحفه ، وصانه المسلمون وضبطوه ، خلال الف واربعمائة سنة ، إن توحيد طباعة المصحف وضمان الرقابة على صحته قرار لا تحله مؤسسة فى بلد واحد وهو لا يحتاج لفحص كل مصحف كما يقول الدكتور ليصعب الأمر . . بل هناك نظم متعارف عليها لرقابة الطبعات وليس النسخ . ولا يعقل ولا يتصور أن يكون بوسع المملكة أن تمنح مصحفا لكل مسلم يريده فى جميع انحاء العالم! ستصل إلى يوم يتعذر فيه على المسلم أن يجد المصحف إلا من له صلة بمجمع المدينة ! كما لا تجوز مصادرة المصاحف التى بصحبة الحجاج والقادمين للمملكة فآخر من حق له مصادرة المصاحف التى فى يد الناس كان عثمان ذو النورين وبموافقة الصحابة رضى الله عنهم .مازلنا نرجو العدول عن هذا القرار والسماح بدخول المصاحف الواردة من جهات مؤتمنة بل وشراء المملكة من هذه المصاحف تشجيعا لنشر المصحف فى جميع انحاء العالم . هذا الانتشار المهدد الآن بالزوال بسبب المصحف الفاخر الذى يوزع بالمجان !

واستمرت محاولات التبشير لا التحرير فى الصحافة البريطانية فانضمت الديلى تلغراف للتايمس والاندبندنت قالت ان والحلفاء فى صحراء السعودية يواجهون مشكلة حول دفن قتلاهم اذا انفجرت الحرب فبموجب القانون الاسلامى –الذى يسمى الشريعة– لا يسمح بدفن غير المسلمين فى الاراضى السعودية . وملك السعودية يتمسك حرفيا بهذ القانون بسبب الصفة الخاصة به كحامى الحرمين . والمسيحيون واليهود مع القوات الامريكية والفرنسية هم مشركون فى نظر المسلمين . وقال الامريكان انهم بقدر استطاعتهم سيعيدون قتلاهم للولايات المتحدة و هى الدولة الوحيدة التى تضم قواتها المسلحة وحدة حانوتية خاصة .ولكن بسبب التاريخ الاستعمارى للبريطانيين والفرنسيين فهم معتادون اكثر على ترك قتلاهم خلفهم فى مقابر

حربية، ، خلال حرب الفوكلاند تغير النظام فخيرت بريطانيا اهالى القتلى فى دفنهم حيث قتلوا أو نقل جثثهم إلى بريطانيا وقد طلبت معظم العائلات اعادة الجثث ." [45]

وقد علقنا وقتها :هذه من القضايا التى يراد بها قتل الناطور وليس اكل العنب لأن الدول الخليجية على استعداد لنقل القتلى على نفقتهاالى بريطانيا وفرنسا (والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه عددهم لم يتجاوز حمولة هليكوبتر اج مارس ٩١) ونعتقد ان الكويت ترحب باقامة مقبرة خاصة على ارضها بعد التحرير وحق الزيارة مجانا على الخطوط الكويتية ، كما لم نسمع عن زعم عدم جواز دفن غير المسلم فى المملكة ولا حتى فى الربع الخالى إلا إذا كان يريد الدفن فى مكة أو المدينة، ، وبعض الهبيز فى الصحافة الغربية اصبح ينافس علماء الوهابية والأزهر فى الفتوى[46]

وعن اللقاء الحضارى فى حفر الباطن قالت الهيرالد «ان الجندى الامريكى عرفوه بما يجب الا يفعله بدلا من التعرف على الاهالى والنتيجة ان الجنود الامريكيين وصفوا السعوديين بأنهم متعجرفون جهلاء متعصبون و عدوانيون بالدرجة الأولى ، يضطهدون المرأة ويمتهنون الاديان الاخرى ويتكبرون على الناس طيبات الحياة بينما يركبون سيارات فارهة تتصاعد منها اغانى الروك اند رول ، وهم يصفوننا الآن بالاصدقاء ولكن اذا انصرفنا عنهم فسنصبح المشركين مرة اخرى، ونقلت الصحيفة عن استاذة سعودية قولها لماذا لا تفكرون الا فى الجنس طوال الوقت ، لماذا لا تذكرون فضائلنا فليس عندنا وباء الايدز ولا حاملات قاصرات السن ولا اجهاض ، ، لماذا تصرون على ان طريقتكم هى المثلى ، ، »[47]

المتحضرون القادمون من امريكا وبريطانيا تلح عليهم قضية الدين، فبعد صحف بريطانيا جاءت الواشنطن بوست تقول : بلغ من حرص الامريكيين على عدم ايذاء المشاعر السعودية انهم تجنبوا القول ان الرئيس بوش ادى صلاة الشكر مع الجنود لأن السعودية كدولة اسلامية تحرم ممارسة دين اخر، ولذلك صلى بوش على ظهر بارجة فى البحر(ترى هل ستثير العراق حملة بحجة انه صلى فى المياه الاقليمية السعودية المقدسة !؟ وهل فى العالم الاسلامى كله دولة تستطيع ان تجبر بوش الجبار على ان يؤدى الصلاة فى البحر خارج اراضيها ، ، اليست هذه هى الدولة التى كتبت صحيفة « الحاج » ابراهيم شكرى تقول انها تعاقدت على استيراد خمور للعسكر الامريكان مع مصنع خمور فى الاردن بلد الشريف حسين وأحد أركان الجبهة الاسلامية المناصرة لصدام ، ثم

يتصل « المجاهد » ابراهيم شكرى من الخبر وينسبه لقارئ هو فى الحقيقة نقله من الجريدة التى يبدو أن رئيس الحزب لا يقرأها ج !!) وقالت الصحيفة: «الامريكيون الذين يحتفلون بعيد الشكر بالصلاة أو الذين سيحتفلون بالكريسماس وعيد الشمعدان (اليهودى) فى الوطن لا يشعرون بأى ازعاج لجيرانهم من الاديان الاخرى . ولكن الأمر جد مختلف بالنسبة للنصف مليون امريكى فى السعودية فالاحتفال بالاعياد سيكون اكثر تعقيداً لأن السعودية بلد اسلامى لا يسمح بممارسة شعائر أى دين اخر ولا يسمح بكنائس للأديان الاخرى فى المملكة . ولا يوجد تسامح مع ممارسة الشعائر غير الاسلامية ، حتى اظهار رموز الاديان علنا ممنوع الا الدين الرسمى للدولة، مما خلق تناقضا بين حرص القيادة الامريكية على عدم جرح حساسية السعوديين وفى نفس الوقت حرصها على حقوق الجنود. ومهما اختلفنا أو اتفقنا مع القيود المفروضة فى موضوع المرأة أو المشروبات أو الطعام اوالترفيه أو المجلات المتاحة للجنود فإن هذه القضية وتعنى التى تمس العبادات هى من نوع آخر. فلكى لا تستفزالسعوديين فإن القسس الامريكان يتنكرون تحت اسم ضباط اخلاقيين أو مستشارين روحيين. وأمروا ألا يرتدوا ثيابهم أو رموزهم خارج المنشآت الامريكية. ولا حاجة للقول إنهم لن يؤدوا أية عبادة فى أى مكان اخر. فى اوائل هذا الخريف أبلغت القيادة الامريكية أن الانجيل لا يمكن ان يرسل فى كميات للجنود وانما يسمح به فى رسائل شخصية للافراد من الجنود. وقد اكد البنتاجون للرأى العام ان القسس من كل المذاهب هم مع القوات وان العبادات تجرى بانتظام ولكن فقط فى داخل المنشآت الامريكية فلا تزال هذه الخدمات ضد القانون فى السعودية . والاعلام لا يشجع على نقل الممارسة (بالتليفزيون) وتتعرض مثل هذه التسجيلات لمراقبة دقيقة . ان السعودية لها ثقافتها الخاصة وقيمها وهى شديدة التمسك بالدين ولها موقع خاص فى العالم الاسلامى والولايات المتحدة لا تريد أن تتحدى شيئا من هذا كله ، ولكنها يجب أن تصر على حماية حق الجنود الامريكان فى العبادة فهذا الحق الدستورى يسافر مع الجنود ويجب أن يحترم حيثما كانوا.»[48]

وفى نفس اليوم نشرت « العرب » فى صدر الصفحة الاولى :«لأول مرة دوى(فى السعودية) صوت الصافور الأعظم لمناسبة الاحتفال بعيد رأس السنة العبرية ويوم كيبور»[49]

وكتبت « جيانت هوبر» من لندن رسالة تقول :«ربما يكون من الاسهل للجنود فى السعودية اذا حولت الصحراء التى يقيمون فيها إلى منطقة محايدة أو أرض لا صاحب لها ، فهذا يعفيهم من

القيودالسعودية الاجتماعية والدينية . فلا يخضعون الا لقانونهم وهذا يحل اشكال الطقوس غير الاسلامية في المعسكرات وكذلك قضايا الثياب والسلوك وشرب الخمر وبما ان هذه القوات هناك بطلب من السعودية فلن يصعب التفاوض على هذا مع السعوديين.»»

وفى الواشنطن بوست كتب كاريل مورفى تحت عنوان :« البوليس الدينى السعودى يصبح اكثر عدوانية .. منازل الاجانب الخاصة مستهدفة » فزعم ان المطاوعة (المطاوعة هم الذين يتولون تطوعا اعمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وقد ورد فى القرآن والذين يلمزون المطوعين ولم نصل فى استقصاء اصل التنظيم الحديث لأبعد من فتنة الأمين والمأمون فقد ورد فى تاريخ الطبرى انه لما حاصر طاهر بغداد انتشر فيها الفساد فتطوع بعض الاهالى لحفظ النظام والقضاء على الفساد والتعديات على الحرمات وسموا المطوعة أو المطوعين ج) هاجموا حفلا كان فى منزل رجل اعمال سعودى بارز فى جده حيث قبض على الضيوف من الرجال والنساء بتهمة شرب الخمر ومخالطة الجنس الاخر من غير المحارم كما اكدت المصادر ان اثنين من المقبوض عليهم فى الحفل قد ادينا فى اليوم التالى وحكم عليهما بالسجن سنتين . وال ١٤ امرأة اللائى اخذن من الحفل وسجنوا هن من بلاد عربية اخرى — كما زعم ان المطوعة اقتحموا منزل مواطن فرنسى كان يقيم حفلا وحطموا الاثاث واعتدوا على الناس ومزقوا الثياب تحت السلاح والقى القبض على ٤٦ غربيا منهم ثلاثة امريكان ليس لهم علاقة بالحكومة الامريكية وأخذوا إلى سجن المطوعين حيث قضوا عدة ساعات إلى ان انقذتهم سفاراتهم . السفارة الامريكية وغيرها احتجوا لدى الحكومة السعودية ضد العنف الذى وقع . إمرأة سعودية ابلغت عن تعرض المطوعين لصديقتها الامريكية التى لها شقيق فى القوات المسلحة الموجودة فى السعودية وان المتطوعين وبخوها وهى تتسوق لأنها لم تغط شعرها ولو أنها كانت مرتدية الجلباب الطويل فصرخت فيهم سيبونى فى حالى أنا اخويا بيحمى السعودية .. كل جده تتحدث عن الغارة.. بعض الناس يقولون ولو أن الحفل مخالف للاسلام والقانون و لكن لا تقبل اقتحام المنازل.«١٤»

قالت الصنداى تايمس :«تواجه القوات البريطانية احتمال القتال للدفاع عن بلد اجنبى من الغزو واعادة الحكم الشرعى لجيرانها، فكان من الطبيعى ان تتوقع مضيفين شاكرين وخصوصا من المتمسكين بدينهم والذين يعبدون نفس الاله كنا نتوقع ان يسمحوا للقوات العسكرية ان يحتفلوا بعيد الميلاد وفقا للتقاليد المسيحية.. ولكن السعودية تدعى انها بلد مقدس لا يرحب فيه بالمشركين فالجنود الامريكان والبريطان يرحب بهم كمقاتلين يضحون بحياتهم لحماية السعودية

وتحرير الكويت ولكن ان يغنوا اناشيد عيد الميلاد فممنوع ! إن وزارة خارجيتنا ، المستعدة للتراجع حرصا على حساسية العرب ، تساهم في هذه الاهانة بدعوى ان بريطانيا لو اصرت على السماح لقواتها بمراعاة شعائر المسيحية فإننا نخاطر بالطرد من المعركة ! كذلك فخضوعا لعداء المسلمين للمرأة أُلغيت زيارة الاميرة ديانا . فهل يعتقد المتخاذلون من موظفى الخارجية البريطانية اننا لومارسنا الشعائر المسيحية فى الصحراء أو نفذنا زيارة الاميرة المحبوبة، ستدفع السعوديين للمخاطرة بقبول العيش تحت حذاء صدام حسين .. اذا كانت الخارجية تعتقد ان العرب سيفضلون ما يجرى فى الكويت على ذلك فوزارة الخارجية لديها فكرة خاطئة عن العرب . ان الجنود (الانجليز) طالما عرفوا هؤلاء المسلمين المترنحين فى خمارات لندن .. فماذا تراهم سيقولون عن النفاق الذى يمنعهم من ممارسة دينهم .»[٢]

العيش تحت صليب الغرب أو العيش تحت حذاء صدام حسين .. هذا هو الخيار الذى نظمه صدام مع الاستعمار وسلطه على اعناق شعوب الخليج .. والحمد لله حتى الان صمدت شعوب الخليج فلا انحنت للحذاء ولا ركعت لصليب الاستعمار!

وفى اتجاه مخالف كتب فيليب شانون من الظهران يقول « طقوس الكريسماس ستكون مرعية ولكن السعوديين لن يلاحظوا هذه الاحتفالات ، فبعيدا عن اعين السعوديين سمح للقوات الامريكية بممارسة الشعائر .. الامريكان الجنود والبحارة سيحتفلون بعيد ميلاد تقليدى فى السعودية .. ولكن لا الشعب ولا الحكومة فى السعودية سيلاحظون الاحتفالات ..» ففى بلد لا يعترف الابعقيدة واحدة هى الاسلام.. كل حر فى ممارسة دينه شريطة ان يفعل ذلك بغير مظاهر. وهناك تعليمات من بعض القادة العسكريين بمنع حتى اظهار الصلبان فى التجمعات الخاصة . وحُذر العساكر الأمريكان من مناقشة دينهم مع السعوديين أو نشر الانجيل خارج معسكراتهم .

وهذه التعليمات اغضبت بعض الأمريكان .. ونقل عن سعودى قوله هذا بلد مسلم للاصوليين فيه قوة كبيرة ، وعندنا دائما اعداد كبيرة من مختلف الاديان يعملون فى السعودية وكلهم يتعبدون كما شاءوا ،وكل ما نطلبه هو عدم المجاهرة ..وقالت وزارة الدفاع انها تخشى ان يستغل العراق ما تنشره وسائل الاعلام عن الاحتفالات الدينية لغير المسلمين فى المملكة فى الدعاية ..وقال المتحدث باسم البنتاجون : تخيلوا فيديو عن احتفالات عيد الهنكة فى السعودية يقع فى يد صدام ويذيعه تليفزيونه مرارا وتكراراً ويصرخ ان المشركين دنسوا ارض الاسلام .. ان ذلك هو هراء بالطبع ولكنه خطر علينا جميعا..» وقال المحرر ان بعض اليهود اعربوا عن تمزقهم النفسى لأنهم

يدافعون عن بلد اقسم مرات ان يدمر اسرائيل ، و قادته يتحدثون دائما عن مؤامرة صهيونية .. ويقدر عدد اليهود ضمن القوات الامريكية بسبعمائة . ولكن الجنود يقولون إنه قد سمح لهم بالعبادة فى السعودية . وان احتفالات الهانكاه كانت افضل مما يتم فى بعض المدن الامريكية . كما قال الرابى دافيد لاب انه لا مشاكل فى ارسال رموز وكتب يهودية للمملكة مادامت لم تصنع فى اسرائيل . وقال الرابى لاب انه يعتقد انه لا يوجد عداء للسامية عند العرب بأكثر من عداء المسيحية .»[3]

«ادى اليهود فى العراق صلاة خاصة يطلبون فيها انتصار صدام حسين وقالت الصحيفة ان حكومة العراق افتخرت علنا بأن اليهود يمكنهم ان يمارسوا شعائرهم فى بغداد ، بينما في السعودية كل الاديان ممنوعة الا الاسلام.»[4]

. « جون براون الاسقف الانجليكاني لقبرص والخليج منح تأشيرة من بغداد لزيارة اتباع الكنيسة في العراق.»[5]

«من الغريب ان العراق تحتفل بالكريسماس ! فهذا البلد المسلم الذي على وشك دخول الحرب ضد الغرب يحتفل بالكريسماس.. فالشوارع في بغداد مزدحمة باضواء الميلاد والمطاعم والمحلات تبادل الزبائن تحيات عيد الميلاد ،وشجر الكريسماس يباع في كل مكان.. رغم ان المسيحيين في العراق لا يشكلون الا ٣و٥ ٪ من السكان ولكن كما قال الاسقف بيضاوي بطريرك بابل « ان السياسة العلمانية لحزب البعث الذي اسسه مسيحي سوري هو ميشال عفلق .. كانت مفيدة للمسيحيين العراقيين فقبل البعث كنا نعامل بطريقة سيئة ولكن تحت النظام العلماني للرئيس صدام لا يوجد أي تمييز.. واوضح مثال على ذلك هو طارق عزيز. لكن هناك بعض الاضطهاد الشخصي فلا يسمح بزواج المسيحي من مسلمة الا اذا تخلى عن دينه واعتنق الاسلام (دا كان زمان ! الآن ابن رئيس لبنان الماروني متزوج من مسلمة وآل(..) قتيل الخلف الاسلامي ابنتهم متزوجة من مسيحي !) ولكن الخطر هو ان التسامح الديني سيكون اول الضحايا اذا ما نشب القتال مع الغرب . »[6]

وعلقنا : انتهازية بعض الحركات الاسلامية هي التي سمحت لصدام ان يستخدم الاسلام على هذا النحو الهزلي فهو يثير عملاءه وبلهاءه ضد وجود القوات المشركة في السعودية أو ممارستهم لشعائر دينهم ، فإذا منعتهم السعودية ، هرول هو للغرب يقول انا التقدمي انا اسمح لليهود والمسيحيين بما منعوا !! ولكن موقف السلطات السعودية ايضا يتأثر بالدعاية المعادية التي

كما قلنا تستخدم الاسلام لخدمة اهدافها الدنيئة فهي تحتفل بالكريسماس في الشوارع ولكنها تنتقد المملكة اذا سمحت لجنود في معسكراتهم في الصحراء بالاحتفال ! حفر الباطن ليست ارضا مقدسة اكثر من بغداد .

وتساءلت صحيفة عراقية الاتجاه : « هل توافق السعودية على الدفن على الطريقة المسيحية» وقالت ان سؤالا قد قدم لوزير الدفاع البريطاني حول هذا الموضوع ، كما قدم طلب بارسال قساوسة لاجراء مراسيم الدفن . وقال الناطق بلسان وزارة الدفاع البريطانية ان الترتيبات قد اتخذت لمعالجة موضوع القتلى مع مراعاة مشاعر الدولة المضيفة . »[٥٧]

وقالت صحيفة « العرب » : « ان القنابل الامريكية مكتوب عليها إلى صدام حسين خذ هذه واذا لم يسعفك الله بتاعك فاطلب النجدة من المسيح . »[٥٨]

نشرت الهيرالد ان ثمانية جنود امريكان تسمموا من خمر مصنعة ذاتيا HOME-BREWED (أي صنعها الجنود) ولكن صحيفة «القدس»في معركتها الشريفة ضد المملكة نشرتها تحت عنوان: « الخمور السعودية الصنع تسمم ثمانية امريكيين»[٥٩]

بينما قالت الصحف الأخرى :« وزع على الجنود في السعودية بيرة من دون كحول بدلا من الروم التقليدي كما منع المرافقات من السيدات من الدخول مع بوب هوب . »[٦٠]

«اليهود الامريكيون في الخليج يحتفلون بعيد النور العبراني .. هناك اشاعات ان شموعا جرى نقلها جوا إلى السعودية للاحتفال بالحانوكاه . »[٦١]

وخاضت الصحف الغربية معركة حول بوب هوب وبروك شيلدز وجعلت دخولهما المملكة قضية..

كتبت سوزان اليكوت : « من شهرين انتعشت القوات الامريكية في الخليج لما عرف ان الممثلة بروك شيلدز ستزورهم ، ولكن وزارة الخارجية الامريكية فاجأت منظمي احتفالات الكريسماس بأن السلطات السعودية رفضت منح تأشيرة دخول لها مع انها كانت ستأتي في ملابس عسكرية وتغطي رأسها بقبعة . ان معارضة السلطات السعودية لرحلة الممثلة متصعد النفور المتزايد بين الرأي العام الامريكي الذي يتساءل لماذا يضحي بحياة الشباب الامريكي لحماية بلد لا يشارك الولايات المتحدة قيمها بالنسبة للحرية والديموقراطية . المشتركون في عملية درع الصحراء ممنوع عليهم الخمر، والمجندات يطلب منهن تغطية اذرعهم اثناءالعمل . المملكة التي تضم اقدس مدينة في الاسلام اقتضيت الجنود المتغربين عن وطنهم ، بتحريم قراءة الانجيل علنا ومنع القساوسة

من اظهار الصليب على ثيابهم . وفي مبادرة سعودية الغت السعودية المنع الذي كان على بطاقات عيد الميلاد ، بشرط الا تحتوي صور ميلاد المسيح أو العذراء مريم أو المسيح.»[٦٢]

وقد علقنا : من الواضح ان التايمس مازالت تنفث حقدها على المملكة ولكن لابد من الاعتراف ايضا ان المملكة تلزم ما لا يلزم أو انها تحت الابتزاز العراقي تسقط في الشرك الذي تنصبه لها الدعاية العراقية. فما من مسلم يجد حرجا في ان يشرب الجندي الامريكي خمرا في داخل معسكره بحفر الباطن على بعد الف ميل من الاراضي المقدسة ولا ان تتعري لهم بروك شيلدز مادام السعوديون لا يرونها . اما غير المقبول فهو منع بطاقة كريسماس عليها صورة من يعتقدون انه المسيح قادمة من مسيحي ليد مسيحي عبر الجيش الامريكي لم تمر ولا ضرورة لأن تمر على عين سعودي . .وصور المستحمات والمستحمين في فندق الرشيد بالمايوهات في قلب بغداد توزع على الصحف والتليفزيون بينما المملكة ترفض ان تتعري بروك شيلدز في معسكر الامريكان ؟!

وعلى صعيد الترفيه اعتذر وزير الدفاع الفرنسي عن فشله في الحصول على موافقة السلطات السعودية على غناء المطرب الفرنسي ابدي ميتشل بقوله ان الملك فهد قد رفض طلبا كتابيا من الرئيس بوش بالسماح لبوب هوب بالاختلاط بالجنود. ولم يعلق المتحدث باسم البيت الابيض على دور الرئيس بوش في تأمين الترفيه عن الجنود واكد البنتاجون ان بوب هوب سيرفه في السعودية ولكن ببرنامج محدود. وقالت اذاعة انه منع من ذكر أي نكتة عن الجنود الامريكان والسيدات السعوديات .وقال هو نكتة انهم ابلغوه ان الترفيه ممنوع في السعودية ومع ذلك سمحوا له . . انها اهانة لي !

ولكن الامر لم يكن كله بخفة دم بوب هوب كان هناك بعض غلاظ النوايا قالت الصنداي تلغراف: ان « صورة السعوديين سيئة بما فيه الكفاية بما تكتبه الصحف عن اوضاع الجنود هناك واخرها استياء الامريكان من اصرار السلطات السعودية على منع حفلات الترفية التي يقيمها للجنود » بعض الهواة من الجاليات الاوربية ، لأن البنات الانجليزيات يظهرن من سيقانهن ما يتجاوز الركبة اثناء الرقص .كثيرون بدأوا يتساءلون هل يجب ان يدافع جنودنا عن بلد قوانينه متخلفة إلى هذا الحد .»

وقالت نيويورك تايمز:« ان برنامج بوب هوب للترفيه عن الجنود قد منع عن الصحافة لسببين. . الأمن وأيضا لكي لا يستخدمه العراق في الدعاية .»

رسالة قارئ في التايمس تقول :« بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية لا يمكن ان يوجد نص يبيح دفع الثمن الباهظ الذي تمثله الحرب لانقاذ الكويت من سيطرة العراق. ان الحرب ستدعم مركز سوريا التي تغتصب المارونيين في لبنان وستدعم ايران التي تنشر الروح الاسلامية في الخليج وستدعم السعودية التي منعها لبناء أي هيكل مسيحي للعبادة جد معروف. وستعطي اسرائيل مبررا لطرد المسيحيين بحجة تعاطفهم مع صدام. وقال اذا كان الكيان الكويتي له مقومات حقيقية ، فسيقاوم السيطرة العراقية كما فعلت النمسا تحت الاحتلال الالماني ..إلى ان يفعل الحصار الاقتصادي مفعوله..» [٦٣]

« إدوارد توماس مدرس انجليزي كان يعمل في السعودية والتي عقده بسبب مقال كتبه بعد الغزو شكك فيه – على حد قوله – في مصداقية السعودية لأنها وصفت وفاة ١٤٠٠ من الحجاج بأنها « ارادة الله » (اا ج) كتب رسالة إلى الصحيفة يسب ويلعن في الاسلام .. وقال ان الذي لم يعش في المجتمعات الاسلامية المتعصبة لا يعرف نعمة حرية الرأي» [٦٤]

واخيرا اعلن ان بعثة من التليفزيون البريطاني قضت ستة اسابيع في المملكة تحت رعاية وزارة الاعلام تستعد لاذاعة برنامج يوم ٧ يناير وصف هنا بأنه « غير ودي » لأن البرنامج واسمه خلف درع الصحراء ، نظرته للمجتمع السعودي انتقادية .وسيقدم البرنامج ائمة سعوديين ثوريين يدينون الغربيين كمشركين وأحدهم يؤكد ان الكفر ملة واحدة . وقيل ان البرنامج لا يأخذ موقفا عدائيا من السعودية ولكنه يأخذ موقفا اقل من الاحترام للحياة السعودية الخاصة. ويركز على الطابع غير الديموقراطي للنظام الذي لا يسمح بالانتخابات أو الاحزاب المعارضة كما يتضمن البرنامج مناظر فيها سيدات سعوديات يحتفلن لطلبهن حق السواقة ..فهنا نعيش على حافة الحرب العالمية الثالثة ولكن كل ما يشغل بال السعوديين هو سواقة السيدات . بعد هذه الحادثة تعرضت السيدات ومعظمهن من خريجات الجامعات الغربية ويدرسن في الجامعات السعودية،ادعين انهن تعرضن لحملة شبه رسمية من الاضطهاد . الوحدة التي اعدت البرنامج قضت ستة اسابيع في السعودية يعملون بتصريح من وزارة الاعلام السعودية . وقال داقيد لوماكس محرر البرنامج للجارديان ان الفيلم قد طلب لعرض خاص و في حدود معلوماتي لم يطلب حذف شئ»

ولما اذيع البرنامج سجلنا هذه الملاحظات :

١– كان يرافقهم مندوب من الحكومة سهل لهم بالطبع تصوير بعض المواقف ما كان يمكن

تصويرها أو تسجيلها لولا خوف الناس أو ثقتهم بوجود مندوب الحكومة .

٢- وكان مثيرا رؤية الانجليزي وهو يطلب من مكتبة علنية ، كاسيتات يصفها بأنها معادية للوضع الحاضر ثم يأتي له الرجل ب ١٥ شريطا منها ! . واذا كان ذلك دليلا على الانفتاح وحرية التعبير في المملكة فقد سجل موقفا سخريا عندما ذهب الانجليزي بعد ذلك ليحرض جوردون المستشار السياسي للقوات الامريكية بأن هناك هجوما على الغرب.. فرد الامريكي ان كراهية الغرب حقيقة وهذه التسجيلات في اطار حرية التعبير.

٣- عبد العزيز الدخيل الذي وصف بأنه وزير مالية سابق قال «المؤسسات لابد ان تتطور ولا يهمني ان تأخذ شكلا شرقيا أو غربيا مادامت تسمح بالمناقشة ولا يعنيني ان تتم في خيمة أو في برلمان».

٤- الامير خالد بن فيصل لم يكن في اسعد حالاته وردوده لم تكن مقنعة .. ولا حتى تعبر عن اقتناع لما سأله عن الاحزاب المعارضة رد الامير لا يمكن ان تسمح مثلا بحزب يطلب الغاء الاسلام ! وعندما قال له ان تقرير لجنة العفو يقول ان عندكم ٦٠ سجينا سياسيا رد ليس عندنا ولا سجين سياسي واحد .. كان يمكن ان يضيف هل يمكن ان تذكر بلدا في العالم يوجد على حدودها نصف مليون عسكري معاد ، وعلي ارضها نصف مليون عسكري من شتى الجنسيات وليس فيها الا ٦٠ سجينا سياسيا ..؟!

٥- الامير سلطان بن سلمان كان جيدا في الحديث عن الاخذ بالتقدم والطيب من الحضارة الغربية والتمسك بالشخصية العربية والدين .

٦ - السيدات كن معقولات في ردودهن وخصوصا جواهر الجبار التي قالت انها رغم تأييدها للمطالبة بالسماح للسيدات بسواقة السيارات .. فإنها لا توافق على التوقيت وتعتقد ان المطالبة كان يجب ان تتم بعد الازمة أو قبل الازمة .

٧- من الواضح الان وبعد التسجيلات التي شاهدناها في البرنامج والتي لا يمكن توفرها الا باستعداد مسبق يرجح الآن ان مظاهرة السيدات كانت مدبرة مع الاعلام الغربي .

وثارت ازمة حول العلم الذي يحرقه الامريكيون في بلادهم ولكن حلا لهم ان يلبسوه في حفر الباطن ... نفت المصادر الامريكية الخبر المزعوم لـ CNN عن تحريم السعودية ارتداء الجنود العلم الامريكي وكانت الـ CNN قد جعلت منها قضية وسألت بعض الجنود الذين قالوا لا نريد القتال دفاعا عن بلد يحرم علينا ارتداء علم بلادنا ... الخ ثم تبين انه قائد مثبت للحرس الوطني

من فلوريدا شديد الحرص على عدم اغضاب السعوديين فتجاوز المحرمات إلى تحريم المباح .»[٦٠] وقد اكدت القيادة الأمريكية ان العلم محظور رفعه فوق الاراضي السعودية ولكن ارتداءه كقمصان أو خلافه ليس ممنوعا . وانتهت الزوبعة.

وحتى عندما تشب القتال لم تنس التايم (١/٢١)هدفها فراحت تهاجم وتبيأ أو قل تحرض . . تحت عنوان :«المسجد ضد القصر» كتب ستروب تالبوت يقول : «النفوذ الغربي في السعودية وصل إلى حد ان المطوع ينهى الغربيين عن المنكر باللغة الانجليزية. . رجال الدين المحافظون ما زالوا يشكلون قوة هنا ولا يغفرون قرار الملك فهد استدعاء المشركين للمساعدة في حماية المملكة . . الخبراء الامريكيون في الشرق الاوسط نصحوا لسنوات بأن البيت السعودي قد يكون مستهدفا ليس فقط من الرافضين للملكية بل ايضا من رجال الدين الاصوليين الذين يريدون لو استطاعوا تحويل المملكة الى اتوقراطية يصبح النظام الحالي حتى بمطوعية بالنسبة لها شديد التقدم . .في الخريف الماضي حذرت السي اي ايه CIA البيت الأبيض ان عملية درع الصحراء اذا استمرت طويلا قد تعمق التوتر بين المسجد والقصر في السعودية .ولعل هذا ما كان يفكر فيه الجنرال نورمان شوارزكوف عندما قال لنتصرف بحرص والا لن نربح الحرب بل وسنخسر السلام. لا توجد وسيلة لاخفاء ٤٠٠ ألف عسكري ولكن هناك طرقا عديدة لاحترام العادات المحلية ولذلك استترت بعض الأمريكيات عباءات . اعضاء كبار في العائلة المالكة قالوا سرا للرئيس بوش انهم يخافون التوتر في مجتمعهم اذا استمرت درع الصحراء إلى ما لا نهاية . وقال خبير عربي لو استمرت القوات الامريكية في الصحراء خلال رمضان الذي يبدأ في منتصف مارس فستزداد معارضة المتطرفين الدينيين ويحتمل وقوع اضطرابات.» وقالت المجلة ان الاصوليين يشكون – عن حق –في ان المتعلمين في الغرب يأملون ان تكون احدى نتائج الأزمة هي سرعة التحديث .»

وكتب « روبرت فيسك »من جده ما يشبه القصة السينمائية عن استدعاء احد الشيوخ له وذهب اليه فوجده بين مجموعة ملتحية وبادره الشيخ بسؤال :متى سيخرج الامريكان . .وقال يتر على لسان الشيخ المجهول :«عندما جاء الامريكان هنا كنا خائفين من صدام ولكن الان بعد ٣ شهور ولم يحدث شيء. حكومتنا قالت ان الامريكان سيغادرون عندما تنتهي الأزمة وصدقنا ذلك لاننا نريد ان نصدق .» ثم انتقل الكاتب إلى الاشاعات التي يروجها –كما زعم – رجال الاعمال السعوديون في جده عن عقود وقعت مع القوات الامريكية لايجار اراض لمدة ٥ سنوات وفي الظهران تعاقدوا على سنتين ايجار مواقف سيارات ومخازن ومواصلات . . والسفن

الامريكية تنقل المساكن مع السلاح .وقال ان الصحف السعودية تمدح بوش كل يوم لقراره باخراج صدام .وعندما زار المملكة نشر رجال الأعمال السعوديون صفحات كاملة في صحف الرياض لدعم قراره بارسال قواته للخليج .ثم انتقل لحكاية الكاسيتات التي تعبر عن القلق من الوجود الغربي في مهد الاسلام.. وان البوليس السعودي سحب على الاقل ٦شرايط من التوزيع في ال٣شهور الاخيرة بتهمة تضمنها دعاية هدامة .، ثم ذكرنا كعادتهم ان توزيع هذه الاشرطة كان اقوي اسلحة الخميني في اواخرعهد الشاه وتحدث عن شريط لشيخ اسمه سليمان العوده مشهور- أي الشريط- باسم « سقوط الامم » وعرفنا ان الشيخ هو عميد جامعة محمد بن سعود في القصيم وانه القى محاضرته في سبتمبر قال فيها ان الفساد ونقص حرية التعبير وغياب مجلس الشورى هي السبب الرئيسي للانهيار .وزعم انه بعد صدور هذا الكاسيت اعلن الملك فهد ان مشروع مجلس الشورى قارب الانتهاء .وقال ان الشيخ سخر من امير القصيم قائلا انه لا يصلح للإمارة ولو على شخصين . وشريط آخر ممنوع هو للشيخ سفر الحوالي عميد كلية اصول الدين في مكة الذي اعلن ان البعث العراقي هو عدو الساعة ولكن الامريكان هم اعداؤنا إلى قيام الساعة. وقال ان غالبية الشعب تؤيد ال سعود ولكن الخطب هي تعبير عن الخوف والقلق. واستأنف الدس أو التحريض فتحدث عن امال الليبراليين التي كانت معلقة بقدوم الامريكان ثم خابت بانتصار الدينيين فالمطاوعة اصبحوا إكثر قوة والملك فهد احرص على مراضاتهم منه من التخوف من خطرهم . وزعم ان المطوعة يهاجمون المنازل الخاصة في الرياض للتأكد من حرص سكانها على السلوك الاسلامي !. ونسب لصحفي سعودي قوله ان الاصوليين يريدون ان يبقى صدام طويلا في الكويت لأن ذلك يمكنهم من ابتزاز الحكومة . ٦٦

وحتى اذا اقتى المشايخ مع درع الصحراء فإن مفتي صحيفة الاندبندنت يطعن في ذلك باسم الاصولية !:« علماء السعودية يسيرون على خطى فهد .. خطب الجمعة عرضت على الرقابة يوم الخميس الرابعة ظهرا والآيات القرآنية التي تشير أو تهين الكفار أعيد تفسيرها .. وقد قال إمام من الأصوليين انه اسلام منتقى ، فالقرآن يحرف ليتماشى مع الأغراض السياسية الحالية لآل سعود واهداف الحرب للجنرال شوارتسكوف .. خارج مسجد جدة اعتقل شخص كان يحمل صينية عليها كاسيتات لخطب منشقين ويعلن ارتباطه باهداف جهيمان العتيبي ولما قبض عليه الحرس كان يصرخ بالسورة رقم ٦٠ في القرآن وهي تتعلق بالتعامل مع اليهود والنصاري . في نفس الوقت الذي كان الطيارون السعوديون يتعاونون مع الامريكيين لضرب اهداف في

الكويت وبغداد ، كان الائمة بالاجماع داخل المساجد يؤيدون الحكومة ولم تقع اشارة إلى الهجوم الصاروخي العراقي ، كما رُفض نداء صدام بالجهاد ، والنص المجاز دعا للجهاد تحت رعاية خادم الحرمين، واعتبر ادعاء صدام انه من نسل النبي كفرا. وفي نفس الوقت توزع منشورات ترد على التفسيرات الجديدة للمشركين والتعامل معهم من قبل علماء مهمين في المدينة وقد قبض على الموزعين واستجوبوا ثم افرج عنهم بعد مصادرة منشوراتهم ٠٠[٦٧]

والآن ٠٠٠ هل كانت المملكة، تواجه هذه الحملة الصليبية، مدعومة بالحركات الاسلامية التي كان يفترض فيها الوعي والجدية بما يسمح لها بادراك خطورة الضغط الذي تتعرض له المملكة من جانب اكبر قوة عسكرية صليبية في تاريخ الشرق الاوسط ؟! أو حتي هل اكتفت هذه الحركات بترك السعودية تقاتل معركتها ، وتمنع بوش من الصلاة على ارضها وقسس الحملة الصليبية الثانية عشرة التي استدعاها صدام يجبرون على اخفاء صلبانهم؟! هل تركوا المملكة تصمم على رفض منح تأشيرة دخول لأي جواز امريكي يحمل تأشيرة اسرائيلية، ،وهي مهددة كما تقول الصحف الامريكية بالعيش تحت حذاء صدام ؟!

للأسف لا ٠٠

وتعالوا نتناقش موقف الحركات الاسلامية ٠٠

فقط لحظة واحدة نثبت فيها الآيات من السورة ٦٠ التي اشار اليها المراسل وهي سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ٠ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ٠ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصيره قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وماأملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا وإليك انبنا واليك المصيره ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ٠ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميده عسى الله أن يجعل بينكم وبين

الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم • لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين • إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون •

﴿ صدق الله العظيم ﴾

الفصل السادس

من بيت ابي ضربت • السعودية .. والاسلاميون •

نقل عن الامير سلطان بن عبد العزيز قوله : «ان المملكة مدت يد العون والمساعدة للجماعات الاسلامية من منطلق ديني في سبيل نشر تعاليم الدين الحنيف وتثقيف الجماهير بالثقافة الاسلامية فإذا بها تلبس لباس الدين لتستغل الدين لغايات سياسية فأيدوا العدوان وناصروا الظلم وتجنوا علينا بالمهاترات والتظاهرات بحملات صحفهم متنكرين لكل مبادئ الاسلام وقيمه واخلاقه »[1]

وواضح من كلام الأمير أنه لأول مرة – فيما اعتقد – قدحدث شرخ خطير بين الحركات الاسلامية والمملكة العربية السعودية • شرخ تملأه مرارة الاحداث التي عصفت بالعلاقة الودية المفترضة بين المملكة وهذه الحركات •• وكان الأمير بندر بن سلطان قد سئل عن موقف هذه الحركات فقال :«اعتقد ان الحركات الاسلامية التي أيدت صدام ستخرج من محنة الخليج بمشاكل كثيرة •وارجو ان تتحلى بالشجاعة فتمارس النقد الذاتي ليس فقط لتعترف بخطئها بل لتصل الى جذور الخطأ الذى اسقطها فى شراك حاكم علمانى ، يعلمون ماذا فعل بالدين ورجال الدين ، وهم يعلمون اى افكار كان ينشر وماذا سيقابلهم به لو حاولوا نشر الاصولية فى العراق ..ستحاسبهم جماهيرهم على مهزلة الاستجابة لنداء الجهاد يصدر من صدام . وهم يتذكرون كما اتذكر كيف كان الرئيس صدام يتباهى بأنه رجل علماني يقود حزبا علمانيا ، وفجأة اكتشف الاسلام والجهاد! وليس لكلامه هذا اى وقع عند الناس ورجال الدين الاشراف.•» وقال «ان بعض هذه الحركات تعتب علينا اننا لا نمول نشاطها لقلب نظام الحكم فى بلادها . وموقف المملكة واضح وحاسم ولا يتغير، أننا نؤيد اى عمل فى خدمة الاسلام عامة ؛ وترفض اى تدخل فى السياسة الداخلية لأى بلد مسلم•• وغيرنا يتقدم باسم مساعدة الثورة الاسلامية وفى النهاية يتبين انه انما يشترى هذه الحركات لدعم سياسته ونظامه وتطلعاته فى المنطقة »(حديث صحفى للأمير) وقد صدقت توقعاته واول نتائج هذا الموقف ان جماعة الاخوان المسلمين فى الكويت التى خرجت من الازمة متوجة بالبطولة لموقفها ضد الاحتلال العراقى بالداخل قد اضطرت الى التخلى عن اسم الاخوان•• بعد ما اصاب الاسم فى محنة الغزو العراقى •وحقا إن خلفا كجلد الاجرب يسيء حتى للتاريخ بأثر رجعى !

ولما سئلت فى الاذاعة العربية بوشنطن عن السبب الذى جعل هذه الحركات تقف ضد

العراق وهو يتعرض للغزو الايرانى بينما وقفت معه وهو يحتل الكويت ويضرب الرياض بالصواريخ قلت ان السؤال يحمل الجواب .. هذه الحركات جرحت قوميا بموقفها المؤيد لايران ضد العراق .. فتشبثت بمعارضة الولايات المتحدة لتجديد المصداقية فى وطنيتها . .وهناك بالطبع عوامل عديدة حكمت مسلكية هذه الحركات وجعلتها تعارض المملكة .. ربما كانت حساسيتها من الاتهام التافه المشرع فوق رأسها دائما من خصومها بأنها عميلة المملكة .. هذا الاتهام الذى شنه عبد الناصر ومازال ايتام الناصرية يعلكونه الى اليوم ..ثم غذاه ورفع حدته الاعلام الايرانى بحيث اصبحت بعض عناصر هذه الحركات تتحرش بأى موقف سعودى لمعارضته اثباتا لاستقلاليتها..!

قال تحقيق فى روزاليوسف ١/١٠/٩٠.. «ان ازمة الخليج قد فكت بالفعل علاقة الارتباط الروحى القديمة بين السعودية والاخوان المسلمين فى مصر بعد ان كانت المملكة هى الصديق الاستراتيجى للاخوان ..وقال ان المهاجمين بشدة لموقف المملكة هما مأمون الهضيبى ومصطفى مشهور. اما الاتجاه الثانى فيمثله سيف الاسلام البنا، ورجح الكفة الاولى المرشد العام حامد ابو النصر .وقال ان هناك حلفا من الاخوان الهضيبى فى مصر والترابى فى السودان والغنوشى فى تونس ومحفوظ بن غانم فى الاردن .وقال ان شيوخ الناصريين متحفظون اما شباب الناصريين فأخذوا موقف التأييد للعراق ..» (٥/اكتوبر١٩٩٠)

وربما كان هذا الموقف يرجع فى بعض اسبابه لردة الفعل لسلوك المملكة فى الفترة الاخيرة حيث حاولت بدورها تفادى هذا الاتهام فكانت تتجافى لهذه الحركات ربما بتفسير الأمير بندر وربما للرغبة فى فتح مسالك مع القوى الاخرى وربما لتحجيم الحركة الدينية فى المملكة التى تشكل عنصر التطرف الرئيسى .. هذاالتطرف الذى كانت تغذيه كتابات وشخصيات هذه الحركات التى تطالب النظام السعودى بأكثر من طاقته ، واكثر مما تريد أو تتقبل جماهيره ..وأهم من ذلك بأكثر مما تتقبله هذهالحركات ذاتها فى بلادها!! وخلال المواجهة ضد ايران فى حرب الخليج الاولى وعندما انحازت معظم هذه الحركات لطهران حاولت المملكة ان تدير نشاطا اسلاميا موازنا، وكان المفروض ان تواجهه بنشاط اسلامى عام أو على الاقل بنشاط سنى وفى تلك الحالة كانت ستعتمد على عناصر قديرة من كل الجنسيات ، ومن الاسلاميين المصريين بالذات، ولكن كانت هناك فئة كاغب ديفيد التى استغلها البعض لاحقاد وارتباطات مشبوهة لشن حرب شعواء على المصريين ، لاخراجهم من معركة السيطرة على المسلمين كما توهموا .. وهكذا لم تجد

التنظيمات السعودية القيادات التى يمكنها التعامل مع الحركات الاسلامية.. وربما لو رجعنا ابعد فى التاريخ فقد نجد فى جذور الشك بين المملكة والحركات الاسلامية العامل التاريخى الذى جعل عبد الناصر العلمانى يتمتع بتأييد الشارع الاسلامى فى بيروت مما فرض على المملكة محالفة عناصر غير اسلامية ، تعادى عبد الناصر لعدائها للاسلام ، وقد علقت هذه العناصر بالمملكة الى اليوم .. وما زالت تسيطر على اعلامها المقروء خارج المملكة . لكن هذه كلها عوامل مساعدة انما السبب الرئيسى بالطبع هو موقف جماهير هذه الحركات التى كما قال الفلسطينيون تجمع بوصلة سياسية من مؤشر واحد ، يحدد أين تقف امريكا، فهناك ستكون اسرائيل، وبالتالى تصبح القبلة فى الاتجاه المضاد ويهرع الفلسطينيون والاسلاميون وبدون تفكير للوقوف هناك .. وهو موقف سليم من الناحية النظرية ولكن فى حرب الخليج كانت اخطاء التنفيذ اكبر من انحراف البوصلة.. فقد كان المفروض فى هذه القيادات ان تنتبه للغرض الحقيقى للولايات المتحدة واسرائيل حتى لا تنزلق لمساعدتهما فى تنفيذ هدفهما وهى تظن انها تحاربهما.. وقد شرحنا هذه القضية بما فيه الكفاية .. وشرحنا الخطة الانسب لمواجهتها وهى باختصار :اجبار صدام على الانسحاب لكى لا يعطى امريكا واسرائيل المبرر لتنفيذ مخططهما. ولكن معظم الحركات الاسلامية ساهمت فى تضليله وايهامه بقوة موقفه حتى تم المخطط بالكامل . فهى تتحمل مسئولية اساسية فى ما جرى.. لم تكن هناك معركة متاحة لمقاتلة الامريكان حتى يعلن الجهاد الذى لم يجاهده أحد للأسف .. ولم تكن هناك مصلحة اسلامية فى بقاء صدام فى الكويت الى ان تمكنوا من ضربه.. واذا كان هذا الخطأ الاستراتيجى الفادح سيترك بصماته على مستقبل هذه الحركات لسنوات عديدة.. فقد كانت هناك اخطاء تكتيكية لا تقل خطورة.. مثل الانسياق وراء الاعلام الصدامى واخذ موقف ذيلى بينما كان يفترض فيها ان تفرض نفسها على جميع الاطراف وتتحرك من مركز الحكم.. ولكن مصداقيتها تعرضت لهزة شديدة عندما قبلت ادعاء صدام الدينى ، وبعضهم بايعه أميرا للمؤمنين! وصدام هو من القوى المعادية للاسلام التى لا جدال فى عداوتها ..أو كما تساءل المستشار الهضيبى فى استنكار : « هل تتصور ان نظام الحكم العراق حكم اسلامى ؟! »[٢]

ولو أن هذا التصريح تأخرصدوره ثمانية شهور حسوما !!

لقد انتظر صدام ربع قرن قبل ان يضيف « عبارة الله اكبر للعلم العراقى »[٣] وحق ان يقال له الآن وقد كفرت من قبل ؟ والغى الاحتفال بمولد النبى للتوفير ويقام احتفال بمولدالرئيس صدام حتى والعراق تحت الانقاض !

ولا جدال في حجم ما انزله صدام من ضربات قاصمة بالاسلاميين والمد الاسلامي في المنطقة فما كان يليق ولا يقبل ان يتوج مجاهدا اسلاميا .. كان يكفي اعلان انه يحارب امريكا ومن ثم فهم يقفون معه من هذا المنطلق ، وهذا اضعف الايمان اذ كان يفترض ان يشترطوا عليه اسلمة الدولة والافراج وعودة العناصر الاسلامية .. ولكنهم اعلنوه مجاهدا، وذهب زعيم اسلامي بنافقه ساخرا من الحديث الشريف فيقول له:« كل مما يليك » اى استولى على الكويت والسعودية ! وطالب الشيخ اسعد التميمي امير جماعة الجهاد الاسلامي في الاردن المؤتمر الاسلا مي الذى عقد امس في بغداد الرئيس صدام ان يعلن نفسه خليفة للمسلمين وقال :ان عودة صدام للاسلام شكلت نقطة تحول في اليقظة الاسلامية وكان الشيخ تميمي مؤيدا بشدة لايران ايام الحرب مع العراق..»[4]

وكان من نتيجة هذه السقطة ، واعنى الخضوع لاعلام صدام وليس فرض التوجه الاسلامي على هذا الاعلام ، ان ابتلعت الحركات الاسلامية هراء هذا الاعلام عن الارض المقدسة والمشركين .. الخ وفى الاسلام فإن الغاية لا تبرر الوسيلة ولو سلمنا ان غاية هذه الحركات كانت سليمة في مقاومتهم أو رفضهم للوجود الامريكي في المملكة ، فليس من الاسلام استخدام الكذب والتضليل بالحديث عن استدعاء المشركين وتدنيس الارض المقدسة التي بلا شك زعزعت مصداقيتهم عند الناس .. فقد وصل بهما الامر لحد ادعاء ان المنطقة الشرقية أو حفر الباطن هي ضمن الاراضى المقدسة في المملكة التى يحرم على غير المسلم دخولها، ولكن يباح للمسلم ضربها بصواريخ مشركة ابل تدنى بعض هذه الجهات الى حد ادعاء ان القوات الامريكية موجودة في مكة والمدينة!. واصبح لا فارق بين الغنوشي الزعيم الاسلامي كما يلقب نفسه وبين جاسم لطيف وزير الاعلام الذى قال «انا نقولها بقوة للولايات المتحدة اخرجوا من مقدسات العرب في مكة المكرمة والمدينة المنورة لأنكم تستفزون مشاعر العرب والمسلمين واصبحت مكة والمدينة تحت حرابكم » *

وهذا التقديس الجديد جدا لكل اراضى المملكة انما يهدف للقول بأن العراق غير المقدس يباح له الاستعانة بالمشركين لزيادة قدراته العدوانية ولكن يحرم على سكان الارض المقدسة ان يدافعوا عن أنفسهم ! والاراضى المقدسة محددة بدقة بالغة منذ عهد الرسول وهى التى اذا قصد المسلم دخولها نوى الاحرام ، وخلع ثيابه .. ولذا فإن من يضيف شبرا الى هذه المنطقة فهو يفترى على الله ورسوله ويبدل دينا .

كذلك ارتكبت هذه القيادات خطيئة :يحلونه عاما، ويحرمونه عاما ..ذلك أن الاستعانة بالمشركين لم تبدأ بالكويت والمملكة .فالشريف الهاشمي استعان في عام ١٩٥٨ بالبريطانيين

وكانوا فى العقبة وعمان ـ كما قال الأمير بندر ـ اقرب لمكة والمدينة منهم فى حفر الباطن .
وعندما غزا صدام الكويت كان فى العراق خمسة الاف خبير سوفيتى ، امناء على جيشه وسلاحه ، وهم جميعا بحكم عقيدتهم الرسمية يكفرون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولم يمنع ذلك العراق من الاستعانة بهم فى حروبه التى كانت كلها بلا استثناء ضد المسلمين فمنذ ان تولى الهاشمى الادعاء صدام حسين قيادة العراق لم يقاتل جيشه الا المسلمين من الايرانيين الى اللبنانيين فالكويتيين ومن قبلهم ومن بعدهم مواطنيه الاكراد احفاد صلاح الدين .. كما استعان العراق بالامريكان فى حربه مع ايران المسلمة ولولا مساعدة الامريكان بحرا وجوا لما انتهت حربه هذه بالنتيجة التى آلت اليها . . لقد كان الأسطول الامريكى فى البحر يدافع عن ارض وسماء العراق حتى اسقط طائرة مدنية ايرانية بطريق الخطأ .. فهل يحل للعراق فى حروبه العدوانية ما يحرم على غيره فى الدفاع عن انفسهم ؟!

و استعانت الكويت فى ١٩٦١ بالقوات البريطانية وارسل عبد الناصر القوات المصرية لتحل محلها ، ولم نسمع فتوى من احد ..وقال الأمير بندر : « بعد ٦٧ عندما رأى عبد الناصر تزايد الضغط الاسرائيلى وان الوضع اصبح خطرا استدعى السوفيت بصواريخهم و بكامل سلاحهم .. واول من علق على هذا الامر كانت المملكة فقلنا وقتها لو استعان عبد الناصر بالشيطان ليساعدنا ضد اسرائيل فليفعل .. قلنا له :اطلب السوفيت واطلب صواريخهم .. لما اسقطت الطائرات السورية فى البقاع طلبوا سام خمسة ، وجاء الخبراء السوفيت مع الصواريخ الى ان دعم السوريون انفسهم .. »[6]

والان يطالب الفلسطينيون منذ سنوات بقوات من المشركين لحماية الشعب الفلسطينى والمسجد الاقصى ، ثالث الحرمين لحمايته من العدوان الصهيونى ومحاولات تدميره ويؤيدهم فى مطلبهم هذا كل المسلمين .

يخيل اليّ ان الحركات الاسلامية انساقت خلف صدام فى « الفتوى » الدينية لتغطية الجانب السياسى فى القضية . ذلك ان نزول القوات الامريكية فى الوطن العربى قضية سياسية مرفوضة . . ومناقشتها كقضية سياسية كان كفيلا بتحليل اسبابها ومن ثم إدانة صدام المتسبب فيها واهم من ذلك الوصول الى حل وهو ازالة اسباب قدومهم باجبار أو مناشدة صدام الانسحاب .. ولكن لتغطية الخطيئة السياسية كانت الفتوى الدينية التى لم تصمد للجدل .. وكما قيل « لا استغرب لجوء الاعلام الصدامى لمثل هذه الاساليب الرخيصة ولكن الفجيعة حقا هى فى استخدام هذه

الاساليب من بعض الهيئات أو الشخصيات التى تصف نفسها بالاسلامية .. رغم ما فى ذلك من خطورة على اقتناع الجماهير وفقدانها الثقة فى الشعارات ، وهى ترى مقدساتها ،وعقيدتها تمتهن على هذا النحو .اذ تستغل لتبرير مواقف سياسية دون حياء أو تحرج .. «ففى الوقت الذى تنشر فيه الصحف والاذاعات والتليفزيون احتفال العراقيين المسلمين بالكريسماس ورأس السنة بين الخمور والرقص فى عاصمة الرشيد ..بل» ويذهب القائم بالاعمال الامريكى الى وزارة الخارجية العراقية يوم الخميس حاملا زجاجة ويسكى لنزار حمدون نائب الوزير ..»[7] ولم تسمع كلمة احتجاج ، نجد شيوخ الاسلاميين يتباكون تحت قميص عثمان لأن الجنود المسيحيين يحتفلون بالكريسماس فى صحراء السعودية، وتجبرهم الحكومة السعودية على شرب بيرة بلا كحول !

وكنت قد علقت على الحملة أو الفتوى التى اجازت لصدام احتلال الكويت وحرمت على الدول الاخرى الاستعانة بالمشركين لمواجهته بقولى :انها مثل الاخ المجرم الذى يغتصب اخته فإذا صرخت تطلب النجدة نهرها قائلا : عيب صوت المرأة عورة .. عيب نحن عائلة محافظة ! (نشرت بالوفد)

فالمعارضة للهيمنة الامريكية اصيلة وحقيقية وحركت الجماهير وكان يمكن التركيز عليها والانطلاق منها فى عمل اسلامى يجنّب المنطقة الكارثة بدلا من التلفيقات ومحاولة اسلمة البعث الصدامى .... وقد شاهد العالم الاسلامى تحركات عديدة ضد الولايات المتحدة ففى باكستان :

« جرت معارك في كراتشي وهتافات : دمروا امريكا عدوة الاسلام .. يارب دمر امريكا واذل المشركين النصر للمسلمين والاسلام .. وسجلت الصحافة انه في تلك المظاهرة ، صدر اول هتاف ضد رئيس وزراء باكستان الجديد.. في طهران مظاهرات وقلق في التيار المعتدل .. وقال احدهم : الايرانيون يخطئون اذا ظنوا انه بعد ازالة صدام لن يكونوا هم الهدف الثاني »[8]و يخشى تحرك الاسلاميين الاصوليين في باكستان ضد الغرب وامريكا بالذات في حالة قيام الحرب حيث تواصل بعض التنظيمات السياسية الدينية تحضير الرأي العام ضد وجود قوات اجنبية في السعودية وشوارع كراتشي تعج بصور صدام حسين وتصفه بأنه بطل الاسلام الاكبر الذي يتحدى امريكا.»[9]

وفي باكستان اصبح تدمير العراق محور الصراع السياسي وبدأ العسكريون يلعبون عليه لاسترجاع السلطة من المدنيين فالحكومة اتخذت قرار ارسال ١٢ ألف جندي مساندة للقوات المتحالفة في السعودية.ولكن المظاهرات في الشارع التي تحركها الجماعات الدينية والمعارضة

للحكومة والمدنيين من المتعاونين مع القوات المسلحة اجبرت رئيس الحكومة على الخروج في جولة للشرق الأوسط يزعم فيها انه يبحث عن حل سلمي ٠وفور عودته وقبل ان ييئس يحرف كان قائد الجيش يخطب في الضباط مهاجما الدول الغربية التي دبرت مؤامرة لتحطيم العالم الاسلامي ٠ وقال انهم شجعوا العراق على غزو الكويت مما اعطاهم مبررا للحرب ولو أنه يدين العراق ٠٠ ألا أن الحلفاء لم يعطوا الوقت الكافي للحل السلمي والآن يريدون تدمير العراق ٠ وقال ان تدمير العراق هو كربلاء الثانية٠وقال ان مبادرة سلامية ممكنة وايران هي مفتاح النجاح»[10]

كذلك برز لأول مرة الموقف الاسلامي لماليزيا بصفة خاصة وجنوب شرق اسيا بصفة عامة ولهواة التفسير الاقتصادي للتاريخ يمكن ان يجدوا تفسيرا لذلك بالمجابهة الامريكية الصناعية مع دول شرق اسيا ٠ ٠وحقيقة ان ماليزيا تخوض الآن ما يمكن وصفه بملحمةانجاز الثورة الصناعية وقد حققت العام الماضي اعلى معدل تنمية في اسيا٠ «موجة من العداء للغرب بين المسلمين في جنوب اسيا تقيد دعم الحكومات هناك للتحالف . كلما طالت الحرب اصبح صعبا على الحكومات ان تحتوي الميل للعراق والمعادي للغرب٠ نصف مليون مسلم تجمعوا لثلاثة ايام في بنغلادش بهتافات :النصر لصدام والعار لبوش٠ ٠ ٠الثورات في باكستان والمظاهرات تهدد باسقاط الحكومة ؛ وزير التعليم في ماليزيا قال ان تأييد ماليزيا قرار الامم المتحدة مكروه من المسلمين٠»[11]واعلن المتطوعون الماليزيون انهم ذاهبون الي بغداد للقتال الى جانب العراقيين٠ ٠ «وقعت مظاهرات من المصلين يوم الجمعة في عدد من مساجد تركيا هتفوا فيها بسقوط الولايات المتحدة محتجين على اشتراك تركيا في الحرب ضد العراق وسجل ذلك اول مواجهة علنية بين الاصوليين وحكومة اوزال» [12]

«قتل المستشار العسكري للرئيس اوزال في انقره كعلامة على اشتداد المعارضة لسماح اوزال للطائرات الامريكية باستخدام القواعد التركية في ضرب العراق٠ » [13]

وكانت الجزائر هي المرشحة لتولي زعامة التحرك الاسلامي لعدة اعتبارات منها بقايا رصيد المليون شهيد، ومنها ان الحركة الاسلامية هناك كانت الأحدث عهدا في الظهور على المسرح السياسي فكانت بلا سوابق تدينها ٠ ٠ واهم من ذلك كله انهاالحركة الاسلامية الوحيدة التي اعلن ظهورها في صيغة ديموقراطية هي اكتساح الانتخابات البلدية ٠ ٠ وقد حاول عباس مدني ان يلعب دوره بزيارة الرياض وبغداد ولكنه صدم في بغداد برفض صدام اي حديث عن الانسحاب٠ ٠فاخلى عباس مدني الساحة مما تركها للمتاجرين ، بعد ان ادلي بتصريح قال فيه « انه

وجد لدي المسئولين السعوديين كل تجاوب وترحيب وتغليب للحكمة والحرص على مصلحة الأمة الاسلامية ، كما حرص على تكذيب ما نسبته له اذاعة بغداد من دعوة للجهاد ضد المملكة . . كان موقف عباس مدني شريفا ، ولكنه كان محكوما بالاوضاع الداخلية في الجزائر والمناخ العام في الشارع الاسلامي [14]

ولكن بروز التيار الاسلامي في الجزائر دفع قوى عديدة لمزاحمته . . منها بن بللا العائد يبحث عن بقايا نفوذه الذي ضاع خلال فترة حكمه القصيرة . . وقد اتخذ موقف المبايعة التامة لصدام حسين وتأييده على طول الخط . .

«قال بن بللا :صدام حسين مارد عربي يعيد الأمة العربية مجدها وقال :فوجئ العالم الغربي – ولأول مرة – بصوت مارد عربي خرج ليقول لكل اصحاب الهيمنة الاستعمارية اننا نرفض العبودية والاستعباد وسنقاتل دفاعا عن حريتنا وكرامتنا بكل قوة.»[15]

وهو موقف غير نبيل ممن كان يعتبر ابنا وتلميذا لعبد الناصر وها هو يقول« لأول مرة »!

وحاول الاعلام العراقي استثمار سمعة القائد الجزائري القديم والذي تبين ان ليس له من نفوذ حقيقي، لا في الجزائر ولا خارجها . .رغم انه استمر يحكي بالمليون فوعد بمليون متطوع الا انه عندما جد الجد لم يستطع ان يقدم للعراق ولا مليون ستيم . .والغريب ان بن بللا الذي دخل الحرب مع المغرب وطلب مساعدة عبد الناصر الذي ارسلها له على الفور من اجل نزاع على قطعة من الصحراء . . ايد احتلال الكويت واستنكر ان يصبح ذلك قضية !

«ورشحت الثورة الاسلامية والمجاهدون بن بللا لتولي فصائل الجهاد الاسلامية والعربية التي تستعد الآن في الجزائر وتونس والجماهيرية وباكستان للتوجه إلى المشرق العربي. والسؤال الآن هل ستعترض مصر على مرورها.» [16]

ولكن السؤال الاهم انها لم تنطلق ولا تجمعت .وهزيت العراق ولم تسمع لهم صوتا بل كان سفير الجزائر هو السفير الوحيد الذي هرب من بغداد ولجأ إلى طهران خوفا على حياته دون اخطار وزارة الخارجية أو حكومته . . وقد فصلته حكومة الجزائر من عمله في اواخر شهر مارس ويضاعف من مأساة موقفه انه يحمل رتبة الجنرال . . اسماء مملكة في غير دولتها ! اما بن بللا فذهب وحده إلى بغداد ليسارع بالخروج منها وهو يعلن :«يتعرض الشعب العراقي العظيم العربي المسلم لغارات جوية من الامريكيين والبريطانيين والنظام العميل في السعودية » [17] وكأنه مذيع في راديو بغداد وليس الزعيم المجاهد . .

كذلك استثارت الحركة الاسلامية في الجزائر ردة فعل من جانب حزب الحكومة الذي يحاول تحجيم جماعة عباس مدني وسحب الشارع منها قبل الانتخابات القادمة ، سواء باصدار قانون التعريب الذي عطله دهرا رغم اهميته في تحديد هوية الجزائر وايضا باصدار التصريحات ضد المملكة والتنفيث عن الحقد الدفين ضد القاهرة الذي يميز السياسة الجزائرية منذ انقلاب بومدين . وقدهاجم وزير الخارجية الجزائري مؤتمر القاهرة وحذر من الوقوع في مصيدة القاهرة مرة ثانية . وقال ان اندلاع الحرب بسبب قضية الكويت سيؤدي إلى اشاعة مشاعر الاذلال والاحباط العميقين في نفوس العرب من المحيط إلى الخليج .»[18]

وتأكيدا لديموقراطية الجزائر وإيمانها بالرأي الاخر منعت حكومة بن جديد دخول الصحف والمجلات العربية التي ايدت الغزو الامريكي للخليج والسعودية وساهمت في تضخيم القوة الامريكية العسكرية وابرزت مفاتن السلاح الامريكي وتخلت عن هويتها العربية مقابل حفنات من الدولارات »[19] ودعا الحزب الحاكم في الجزائر كل العرب إلى الوقوف مع العراق وقطع العلاقات مع الدول العربية الاعضاء في التحالف ضد العراق .»[20] وفي اطار منافسة الشارع الاسلامي اعلن بن جديد خروجه في جولة احيطت بالطبل والزمر، كما قلنا ، ولم تحقق شيئا .. وقد حاول صدام احتلاب هذه الجولة فنشر انه «قال لبن جديد انه مستعد للقاء فهد بدون شروط » (العرب- ١٢/١٤) ولكن المملكة رفضت ان تشترك في المسرحية فأكدت انها لا تقبل خداع الجماهير بادعاء المفاوضات دون ان يتعهد صدام بالانسحاب .. ولم يكن هناك كما قلنا تصور واضح عند الاسلاميين بحجم المشكلة ولا طبيعتها ومن ثم فقد افتقدوا الموقف السليم لمواجهتها وهو الاصرار على انسحاب صدام ثم طرح الشعارات الاخرى ..بل استمروا في تضليل الجماهير الاسلامية والعربية بادعاء ان الحل يكمن في تسوية بين بغداد والرياض ، رغم تسلح الولايات المتحدة باثنى عشر قرارا لمجلس الامن ! وكان «الرئيس صدام قال لبن جديد : «نستطيع ان نناقش كل شئ الا الانسحاب من الكويت .»[21]

ورفضت المملكة حتى زيارة بن جديد للرياض ، وابلغت الجزائريين انها غير مستعدة لمناقشة موضوع الاحتلال العراقي للكويت أو الدخول في مفاوضات حول شروط انهائه حيث قال العرب والمسلمون والمجتمع الدولي ممثلين في تنظيماتهم رأيهم في ضرورة الانسحاب بلا قيد ولا شرط قبل ١٥ يناير . وقالت وكالة الانباء السعودية انه لم يتقرر موعدا محددا لزيارة الرئيس بن جديد. وقال مصدر سعودي عن الزيارة ان المملكة تؤكد قناعتها ان انهاء الازمة اصبح في يد صدام الذي في

مقدوره ان يستجيب للاجماع العالمي.»[22]

وعرف بعد ذلك ان الملك فهد كان قد ابلغ الوسطاء انه اذا تعهد صدام حسين كتابة بالانسحاب فيمكن بحث خلافه مع الكويت .

« السعودية اعطت استقبالا فاترا لمبادرة الجزائر فقالت ان المشكلة حلها عند صدام وحده.ولم تحدد موعدا لاستقبال الشاذلي .»[23]

وقالت الديلي تلغراف ان البرود الذي قابلت به الرياض محاولة بن جديد ، قتلها في مهدها وذلك عندما اعلنت المملكة ان الحل في يد صدام واكدت انها غير مستعدة ابدا لعقد صفقة مع العراق . وان هذا الموقف علامة واضحة على ثبات حلفاء امريكا في اصرارهم على انسحاب عراقي كامل بدون مفاوضات . »[24]

«اكدت السعودية انها لن تقبل اقل من الانسحاب العراقي الكامل من الكويت ، وابلغت الجزائر ان زيارة بن جديد لن تحقق نفعا الا اذا قبل صدام الانسحاب الكامل غير المشروط وابلغ بن جديد ان رحلته للرياض ستكون بلا جدوى وقد تثير امالا كاذبة حول صفقة مزعومة »[25]

صحيفة الندوة قالت « ان الوضع تجاوز الحل العربي .» مصر رفضت مقابلة مبعوث جزائري وقالوا ان الشاذلي يبحث عن مساومة على حساب ضحية العدوان . الصحافة السورية قالت ان فرص الحل السلمي تتناقص. . »[26]

ولأن الجولة لم يكن يقصد بها حل الأزمة ، ولا كان في مقدورها كما يعرف بن جديد الذي له من الذكاء والسن والمعلومات ما يمكنه من ادراك ان الحل لم يكن لا في الرياض ولا في القاهرة. .بل كانت الجولة للاستهلاك الداخلي في الجزائر ولذلك نراه يسافر إلى طهران في الوقت الذي يعلن فيه انه يرفض الاجتماع بالكويتيين وان ليس في نيته السفر للقاهرة . . وفي طهران يلتقي برافسنجاني الذي لم يقصر منذ بداية الازمة في اعتصار كل قطرة فيها لمصلحة النظام الايراني .حتى قيل ان ايران هي الرابح الثاني بعد اسرائيل في دول المنطقة من الازمة . وفي طهران يعرض رافسنجاني« ان ينزل بثقله لجانب اخر محاولة جزائرية للوصول لحل اقليمي لأزمة الخليج . . »[27] «وقال الشاذلي ان ايران لها دور كبير وحاسم في حل ازمات المنطقة .»[28]..

وكانت قناعة الكثيرين في الرياض والقاهرة ان الوساطة الجزائرية والحديث المتزايد عن اجتماع قمة عربي واشاعات الاتصالات السعودية العراقية انما تهدف إلى شق الصف العربي باظهار المملكة بمظهر التي تخلت عن دعمها للكويت وتحالفها مع مصر وسوريا أو العكس بدس اخبار عن

مساومات جزائرية ـ سورية أو مصرية ـ جزائرية ٠٠ والهدف الثاني هو اعطاء صدام فرصة لتخطي موعد الانذار بالترويج بأن العرب على وشك الوصول لحل يربح الجميع ،وايضا لتثبيط جهود أوربا بالزعم بوجود حل عربي يجري اعداده ، وعليها انتظاره ! ويمكن القول اليوم ان هذا الجهد لم يحقق إلا تمكين الرئيس بوش من اضاعة الوقت حتى حل موعد الانذار ،وقد اشارت بعض المصادر العالمية إلى الرأي الذي يعتقد بمساهمة اسرائيل في ترويج اشاعات الاتصالات السعودية – العراقية ٠

فقد صرح مستر « فريد دتون» وهو من جماعات الضغط الامريكية العاملة لحساب السعودية في واشنطن بأنه طاف الخليج واوروبا مع مسئولين سعوديين كبار ومنهم الأمير بندر بن سلطان، ولم تكن هناك همسة عن شبهة اتصالات سعودية عراقية ! ووصف المعلومات التي انتشرت في اليومين السابقين بأنها معلومات تروجها اسرائيل عشية لقاء بوش وشامير٠ وقال إنه يعتقد ان الاسرائيليين ينشرون اشاعات المفاوضات والتهاون لكي يشككوا مقدما في المحادثات العراقية / الامريكية ٠ ٠»

وكتبنا يومها :قالت دوائر اخرى ان الهدف من هذا الحديث هو تخدير العراق والعرب إلى ان يمر موعد الانذار (١٥يناير) ويضرب العراق ٠ ٠وكان رأي كبار المسئولين في الرياض ان الدخول في مسرحية المفاوضات انما يضلل الجماهير العربية والاسلامية ، وايضا يضلل حكام العراق وشعب العراق عما يدبرله وينتظره من اهوال ٠٠ ويعطي انطباعا وكأن الحل لا يزال في يد العرب ٠ ٠ بينما لم يبق في يد العرب غير منفذ واحد هو مبادرة صدام بالانسحاب اليوم قبل الغد ٠ ٠» (١١/١٢/٩٠)

ولذلك نلاحظ ان الاعلام السعودي والمصري والسوري حاول التقليل من جولة بن جديد ومنع ابرازها في الصفحات الاولى بينما توسع الاعلام العراقي وجريدة الحياة في تضخيم الجولة ونسج الامال الكاذبة حول نجاحاتها ٠٠فعندما سافر بن جديد لمسقط عالجت الصحف الزيارة بقدر ما تمثله مسقط من تأثير في الاحداث ٠ ٠ اي اهملتها تماما! بينما نجد « الحياة » خصتها بمانشت في رأس الصفحة الاولي : «مسقط تدعو إلى دعم جهود الشاذلي لايجاد تسوية سلمية للازمة ٠»٢٩ (مانشت) وواضح انه اخراج لسان للعرب الذين قالوا انها جهود لا طائل من ورائها، ثم ان مسقط لم تصدر بيانا مشتركا ٠ ٠انه حديث مجاملة من وزير الخارجية ولم ترد كلمة واحدة على لسان السلطان فلم يكن هناك معنى لابرازه على هذا النحو ، الا لتدعيم اشاعة انشقاق السلطنة عن

دول الخليج ..

ولما زعمت جريدة الحياة ان الرئيس مبارك يقابل بن جديد «تكريما لجهوده في حل الازمة بالوسائل الدبلوماسية ...» (١٢/١٧) كذب الرئيس مبارك شائعات جريدة الحياة بشكل غير مباشر عندما حرص على ان ينفي : «ان يكون قد بحث مع الرئيس الجزائري اية مباحثات محددة لحل الأزمة في الخليج .. وفي الوقت نفسه نفى بن جديد ان يكون قد صرح مسبقا بأن هناك مبادرة ناقشها خلال جولته الحالية مع الرئيس العراقي صدام حسين . وقال اذا قلنا اليوم ان الحل هو عربي بنسبة مائة في المائة فاعتقد ان هذا قول خاطئ باعتبار دخول هيئات دولية في الخط .. وقال مبارك ان هدف اية مشاورات هو الانسحاب العراقي من الكويت وعودة الشرعية.»[30] «الموقف الجزائري في جولة الشاذلي بن جديد : لا امكانية لحل عربي والعراق مقبل على كارثة اذا استمر رفضه للانسحاب.»[31]

اشتكت صحيفة المنظمة : «يبدو ان جولة الشاذلي لم تثمر نتائج ايجابية بالرغم من المحادثات المكثفة وبالرغم من استجابة العراق لدعوة الحوار العربي / العربي واستعداده للبحث عن حل سلمي»[32]

وقد اضطر الرئيس الجزائري للاعتراف بالواقع وجاء البيان السوري الجزائري الذي تأخر عن موعده يومين يؤكد المفهوم السعودي – المصري – السوري عن انتهاء فرص الحل العربي بعد ما قام به العراق والمجموعة المؤيدة له وعلى رأسها الجزائر في نسف القرار العربي وتحديه ، و تكسيح الجامعة العربية ، مما نقل الأمر كلية إلى الأمم المتحدة أو الحل الدولي الذي تتزعمه وتريده الولايات المتحدة. وقد سجلت التايمس فشل جولة بن جديد فقالت : «نشر الشاذلي بن جديد بيانا في دمشق بعد محادثاته مع الأسد قال ان امكانات تحقيق حل في الخليج منفصلا عن حل دولي قد خبت . وحث العراق على الانسحاب من الكويت للسماح بعودة آل الصباح وناشد العراق ان يستمع لندايات العرب المخلصين . لقد اصبح مستحيلا بعد مرور الوقت وبعد صدور القرارات الدولية ان يوجد حل الا في اطار تسوية دولية ، وعلى العراق ان تأخذ المبادرة وتنسحب من الكويت وتجنب الكوارث المنتظرة» وعلقت الصحيفة أن البيان يوضح ان الجزائر قد اخذت بحزم جانب سوريا[33] «رحلة السلام الجزائرية انهارت بسبب العراق»[34] «تخلي الجزائر الواضح عن جهودها لتحقيق تسوية بين دول الخليج وبغداد اضعفت الامل في حل عربي .»[35]

«سوريا لم توافق على المبادرة الجزائرية .. والجزائر نفت وجود مبادرة . بن جديد اقترح

انسحابا فوريا للقوات العراقية من الكويت وللقوات الامريكية من السعودية ، نفت الجزائر رسميا ان بن جديد يحمل اية مقترحات معينة .»[٣٦]

«بن جديد يصل القاهرة .. لا مبادرة جزائرية ....وقد وصفت الجزائر التقارير التي افادت بأن الجزائر تعتزم الدعوة الى عقد اجتماع لوزراء خارجية دول الخليج بانها محض خيال . وذكر تقرير اذاعه راديو الجزائر ان الهدف الوحيد للجزائر يتمثل في تعزيز اية عملية سلام تضمن توفير الامن الاقليمي وانه ليس في الوقت الحالي اية مبادرة أو خطة جزائرية تتعلق بالأزمة .»[٣٧]

ولم يكن بن جديد بالذي يخاطر بسمعته فيهبط الى مستوى التضليل العلني حول امكانية حل عربي مزعوم فهو يعلم انه لا حل الا الانسحاب العراقي الذي رفضه صدام مع كل الذين حاولوا التوسط كما قال الملك فهد في مارس ١٩٩١ .. وهكذا انتهت جولة بن جديد كما بدأت رغم كل محاولات استثمارها من جانب الاعلام العراقي ولم يبق منها إلا الحملات على المملكة والدول المؤيدة لها ..من طراز :

«السعودية ترفض زيارة بن جديد وتعارض الربط بين فلسطين والخليج »[٣٨]

ونقل عن المصادر العراقية «ان الولايات المتحدة نسفت اكبر محاولة للسلام وهي محاولة بن جديد» فقد كانت السعودية قد عبرت عن رغبة قوية في عقد مفاوضات مباشرة مع العراق حول ازمة الخليج حتى تدخلت الولايات المتحدة ضد مبادرة بن جديد لتمنع مشاركة السعودية فيها .»[٣٩]

ومن الذي تدخل عند العراق لمنع صدام من اعطاء وعد لبن جديد بالانسحاب فيحبط مؤامرات امريكا؟!

«نقول لقادة المملكة السعودية ..احذروا الطغيان وركوب الغرور والله يعلم ان العراق لم يفكر مطلقا أو يبحث عن اي عدوان عليكم بل هو متمسك باتفاقية حسن الجوار الموقعة معكم كما ان الرئيس صدام رغم كل تصرفاتكم وافق على لقاء خادم الحرمين ولقد رفضتم ذلك مرتين، اجهضتم في الاولي مبادرة العقيد معمر القذافي بعد ان وافق الملك على موعد اللقاء مع الرئيس صدام واخيرا رفضتم زيارة الرئيس بن جديد»[٤٠]

هل لو أصدر الرئيس صدام بيانا يعلن فيه استعداده للانسحاب من الكويت تلبية لقرارات الأمم المتحدة ووساطة بن جديد .. هل كان يمكن لأي عربي رفض مقابلته !

ونقلت العرب عن اذاعة الجزائر«ان الجنرال الاسرائيلي ايرل شارون وزير الاسكان الاسرائيلي

وقائد ثغرة الدفرسوار ومخطط مذبحة صبرا وشاتيلا قد وصل الى الرياض ومعه جنرالات منهم رئيس غرفة العمليات لتقديم خبرتهم .»[41]

وقد علقنا يومها ان هذا دليل انهيار مستوى الكذب فالذي اخترع هذه الكذبة جاهل ايضا والا لاختار شامير .. لأن الجنرال شارون لا يمكن اخفاؤه بحجمه وكرشه بينما شامير يمكن ان يتنكر كأحد اليمنيين ويتحدث مع لجنة العفو ومنظمات حقوق الانسان عن اضطهاد اليمنيين .. والجنرال شارون بعيد عن الجيش منذ ٨سنوات الا اذا كان قد توجه الى هناك لبحث اعادة تعمير واسكان العراقيين !

ولأن آيت احمد يلعب ورقة معارضة التيار الاسلامي فكان له موقفه المخالف فقال : « ان صدام حسين استراتيجي سيئ وسيخسر الحرب وسوف يتم اجتياح الأردن وضمه والخاسرون الثلاثة الكبار هم الفلسطينيون والشرعية الدولية ثم الديموقراطية .»[42]

حزب العمل الاشتراكي / الاسلامي

واذا انتقلنا الى مصر فإن حزب العمل كان هو الساعي بقمة الحركة الاسلامية في مصر ولذلك أسبابه العديدة ، منها نظام تراخيص الأحزاب الذي يشبه تراخيص الاسمنت ، والذي يجبر قوة سياسية في حجم الإخوان على العمل برخصة عائلة احمد حسين ، وايضا يرجع ذلك لترهل الحركة الاسلامية العلنية ولأن عادل حسين بدون شك يتفوق على قياداتها سياسيا وديناميكيا .. وبينما اتخذ عادل حسين موقف اللامبالاة باحتلال الكويت وفي احسن الظروف اعتبرها حادثة قد تكون مؤسفة ولكن لابد من تجاوزها والبناء على نتائجها لا الدعوة للعودة لنقطة البدء ، وكان في ذلك متفقا مع الملك حسين الذي سئل : هل توافق على انسحاب العراق من الكويت فرد مستنكرا ساخرا .. « وتعود لنقطة البداية ..؟! » من ناحية اخرى حاولت القيادات الاسلامية ان تستمتع بتأييد العراق وسب الامريكان دون ان ينتقض لها وضوء بتأييد علني لاحتلال الكويت فكانت بياناتها كلها كما قال الأمير بندر بن سلطان :« بعض الاخوة اتخذوا ما هو اسوأ من الوقوف ضدنا .. قالوا تدين ما قام به صدام لكن انتم اخطأتم في استدعاء الامريكان .. اذا كنت تدين غزو الكويت .. فكل ما قمت به أنا هو نتيجة خوفي مما رأيته بعيني..حاولت أن امنع تكرار هذا الذي

تليته .. لا يمكن ان تقول لي جارك اخذوا بيته وحرقوه وهتكوا عرض اولاده واحتلوا حلالهم ولكن انت مخطئ لو طلبت الشرطة لأن احد هؤلاء الشرطة أجنبي .. لو أن صدام لم يحتل الكويت ما صارت هذه القضية . .. الامريكان لم يدفعونا لطلب مساعدتهم ، بالعكس صدام هو الذي دفعنا لذلك بسبب غزو الكويت ..لوأن هؤلاء يعارضون الوجود الاجنبي فعلا ، لركزوا جهودهم على اقناع أو اجبار صدام بالانسحاب من الكويت .ولكنهم بتأييد احتلاله للكويت فعليا وان ادانوه اسميا بنقل التركيز على النتيجة بدلا من السبب ، مكنوا هذا الوجود الاجنبي من البقاء ستة شهور بل وعرضوا العراق للقوة التدميرية الجبارة لهذا الوجود..»[43]

قال بيان لمرشد الاخوان في مصر.. الاستاذ محمد حامد ابو النصر، الذي نشر في الشعب..

« انهم استنكروا احتلال الكويت وحذروا من خطر التواجد العسكري الاجنبي على اراضينا العربية »

« مأمون الهضيبي هاجم بشدة وجود القوات الأجنبية في الخليج وشجب ضمنا الانظمةالتي استدعت الولايات المتحدة وفي مقابلة نشرتها المصور قال الهضيبي انه اذا كان هناك سارق (الولايات المتحدة) في المنزل لأن ابني فتح له الباب فهل يجب ان اؤنب ابني واترك السارق ؟ أم أطارد السارق ثم اهتم بابني .وقال انه كان يفضل رؤية العرب يناضلون وحدهم خلال عشرين عاما لتحرير الكويت بدلا من رؤية الامريكيين يضعون اقدامهم في العالم العربي .واعتبر ان مطالبة صدام حسين كشرط مسبق بتأكيد قبوله بالانسحاب من الكويت اغلق الباب امام اية مفاوضات .

كرر الهضيبي دعوة الاخوان المسلمين بسحب القوة المصرية من السعودية .وقال لم يعد يمكن الادعاء انهم هناك للدفاع عن السعودية .»[44]

وهذا التصريح اوضح مما قيل بعد الحرب ..والرد عليه سهل .. الابن فتح الباب للصوص .. صحيح ولكن اللصوص جاءوا في ثياب العسكر ويحملون بطاقات شخصية وامر قضائي بضبط ابني واخراجه من البيت والأمر صادر ومعتمد وموثق ومشهر من اعلى سلطة في العالم ..مجلس الامن ! فهل اترك اللصوص الذين هم في ثياب العسكر ولا سبيل لمقاومتهم فهم يجمعون بين القوة الفائقة والشرعية في اتم صورها والتي لم يسبق لها مثيل .اتركهم واستمر في تأنيب اهل البيت الذين افزعهم سلوك الابن واقتحامه البيت وفتحه الباب للصوص والغفر والمتشردين .. أم ابادر بالضرب على يد الابن والزامه بتنفيذ حكم المحكمة لكي لا يكون للعسكر أو اللصوص أي مبرر للاستمرار في بيتي..؟!

الذي اشترط على صدام الانسحاب من الكويت هو مجلس الامن وتشبثت امريكا به . . ويقول ان ذلك الشرط اغلق باب المفاوضات . . اي مفاوضات . . الا يعني ذلك انك تقبل العدوان والغزو والاحتلال وتدعو للمفاوضة تأسيسا على ذلك ؟! أليس هذا الموقف هو الذي مد الحبل لصدام حتى شنق العراق . . ؟! ونحن لا نوافق على هذا الادعاء اعني ان اشتراط الانسحاب هو الذي اغلق الباب . . بل اوضحنا في غير هذا المكان ان صدام كان بوسعه اعلان قبول قرار مجلس الامن بالانسحاب فيتيح الفرصة لاطراف عديدة لكي تتفاوض معه وله في تسوية ما . فالوضع الاصدق للقضية هو ان رفض صدام المسبق للانسحاب هو الذي اغلق باب المفاوضات . . لينفذه بعد ذلك صاغرا !!

ونحن كنا نفضل– كما قلنا– ان لا تتحرر الكويت ابدا ، وليس فقط ان يتأخر تحرير الكويت عشرين عاما «على رؤية الامريكان في المنطقة . . ولكن ما باليد حيلة . . الكويت لجأت لمجلس الامن والامريكان دبروا قدومهم مسبقا ، فلم يكن هناك من حل لاخراجهم الا بذل كل جهد ممكن للتعجيل بتحرير الكويت .

لماذا تريد انسحاب القوات المصرية من السعودية ؟..ما الضرر الذي كان وجودها يشكله على مصر أو الاسلام أو حتى العراق . . هل كنتم تريدون ان ينفرد السارقون بالعراق ؟!

والعجيب . . بل المثير للقرف ، انه لما تحققت مطالبهم وأُخرج المصريون من الخليج ، جددوا المناحة مرة اخرى ، وقالوا ان ذلك مؤامرة امريكية وتم بأمر الامريكان الذين يكرهون الوجود المصري في الخليج وهو صحيح جدا ! ولكن على الاقل اعترفوا انكم في مرحلة من المراحل كنتم تطالبون بما يريده الامريكان وهو منع وجود القوات المصرية في الخليج . . وأن الامريكان لا يستعينون بشيوخ البحرين والكويت فقط في تنفيذ اهدافهم بل وأيضا ببعض الكتاب الثوريين !

وقد نشرت مجلة اكتوبر مقابلة مع الاستاذ مأمون الهضيبي قال فيها : « كان يجب ان نعتمد على الله وعلى انفسنا لأننا مادمنا اعتمدنا على الغير فهو الذي سيتملكنا لأنه اجنبي . اذن كان يجب ان نعتمد على انفسنا ولو استمر جهدنا فترة اطول لكان خيرا من ان نأتي بجيوش لا تريد الا السيطرة ويصبح مبدأ ، بينما اسرائيل رفضت هذا المبدأ برفضها المؤتمر الدولي وقالت لا اسلم مصير بلادي لتداخلات أو آراء اجنبية . »

« كنا اول من نادى بتدخل قوات مصرية وقوات اسلامية لحماية السعودية يوم ١١ اغسطس اي بعد الغزو بتسعة ايام نادينا بارسال قوات عربية واسلامية وطالبنا الملوك والرؤساء العرب بالضغط

على صدام حسين وتشكيل قوة من مصر والجزائر وباكستان والمغرب ليس المفروض ان تحارب بل ليث الطمأنينة عند السعودية وعمل مفاوضات صلح ولكن لو اقتضى الامر تحارب فتكون الحرب حرب مسلمين وعرب وليست لمصلحة دولة اجنبية مرتبط ارتباطا عضويا بعدونا الصهيوني ٠في اخر بيان قلنا بصرف النظر عن نظام حكم صدام المستبد الكريه ٠٠ ادخلوه مصيدة الكويت وحطموه ٠ليست لصدام حجة شرعية ولا عقلية ولا دولية ٠ما فعله كان كارثة من اول لحظة قلنا هذا قلنا كارثة ومصيبة التزمنا في كل بياناتنا بقضية واحدة هي ان هناك قوى اجنبية تريد ان تحتل المنطقة وتحطم اي قوى اخرى فيها لقد دفع صدام لضرب ايران حتى يضرب الثورة الاسلامية٠٠»

ومنعنا من الاشتراك في الوفد الاسلامي ٠٠ ولو اشتركنا كنت ساقول لصدام انسحب فورا من العراق ٠ ٠أنت الذي ادخلت الامة العربية في هذا المأزق وعليك ان تخرجها منه ٠ نحن كنا نريده ان ينسحب لصالح الأمة العربية ٠ وغيرنا كان يطالبه بالانسحاب ولا يريده ان ينسحب، غيرنا كان يريد الحرب وتدمير المنطقة ٠٠ نتائج الحرب مصيبة وكارثة وفضيحة ٠٠٠ هل تتصور ان نظام الحكم العراق حكم اسلامي؟! وماذا كان يريد من الكويت ٠٠؟ كان يريد قرشين » (مأمون الهضيبي – مجلة أكتوبر ١٠ مارس ١٩٩١)

الرجل صادق بالطبع عندما يقرر ولا اقول يعترف بأنه « في جميع بياناتنا التزمنا بقضية واحدة٠ ٠ ان هناك قوى اجنبية ٠٠ الخ »

وهذا للأسف هو عين السبب الذي جعلهم يرقصون على طبول صدام بل وذات القوى الاجنبية ٠٠ لأن اصرارهم على هذه النقطة أو القضية الواحدة يعني الترديد لشعار المطالبة بانسحابها٠٠ حجب المخرج من نفس القضية أو الكارثة ٠٠ فمع تسليم جميع المخلصين بأن الخطر الاكبر هو في الوجود الاجنبي ، فقد اختلفت المواقف بين الذين ارادوا استثمار هذه الحقيقة في كسب وجاهة عند الجماهير برفع العقيرة ضد الوجود الأجنبي دون بذل اي جهد حقيقي لإزالة اسباب هذا الوجود٠ ٠ وبين الذين عناهم فعلا خطورة هذا الوجود وخطورة استمراره وخطورة اتاحة الفرصة له ليطلق نيرانه . ومن ثم تشبثوا بمطلب الانسحاب العراقي ليفقد هذا الوجود المبرر والشرعية التي اكتسبهما من الاحتلال العراقي للكويت واستمرار هذا الاحتلال .

فالذين اعطوا الامريكان مبرر القدوم عندما احتلوا الكويت ورفضوا الانسحاب يتساوون في الجريمة والتجريم مع الذين وضعوا العربة امام الحصان فطالبوا بانسحاب هذه القوات، دون المطالبة

بإزالة المبرر، أو وضعوا شروطا وترتيبات لارضاء صدام وهم يعلمون ان ارضاءه هو اخر ما يهم العالم أو يؤثر في القرار الامريكي . . كلنا تعلم ان امريكا جاءت لغير تحرير الكويت ولا يعنيها أمر الكويت فمن هو المخبول الذي ظن اننا نستطيع مساومتها على الكويت ؟! فكانت النتيجة اننا تركناها وصدام يدمرون الكويت والعراق معا وهما في منتهى السعادة . .

يقول المستشار انه لو اتيحت له الفرصة لكي يقابل صدام لقال له :انسحب فورا . . ونحن نصدقه ولا نعرف عنه الكذب . . ونتعجب اكثر من تعجبه من قرار منعه من السفر مما اخلى الجو لحزب العمل كي يتكلم باسم المسلمين المصريين جميعا ! ولكن هذا لا يعفيه من المساءلة . . فلماذا لم تفرض هذه النصيحة على القوى الاسلامية في مصر . . وتعلنه في الاعلام العالمي لينتفع به المسلمون ويلتفون حوله ويتفادون هدفكم من نصيحة صدام؟! ان كنت قد ادنت غزو الكويت واحتلاله فقد برزت الغزو الامريكي لأنك ادنته باللسان وامريكا اختارت ان تكون المؤمن القوي فجاءت تغير ما أدنت باليد والقنبلة الذكية . . . . تقول كان يجب ان نعتمد على الله وعلى انفسنا . . وقد ناقشنا في فصل سابق ظروف قبول الوجود الامريكي . . اما الاعتماد على الله فهو واجب ولكن مع اخذ بيعة الانصار ومعاهدة بني قريظة وبني النضير . . اما الاعتماد على انفسنا فكلام جميل . . لولا ان هناك امما متحدة وولايات متحدة هرولت تستفيد من الفرصة . . ولم يعد بوسعنا ان نحلها منفردين حتى ولو كانت لدينا القدرة على ذلك . .

«صرح الدكتور احمد عبده سليم امير الجماعة الاسلامية بأسيوط انه لا صحة اطلاقا لما نشرته احدى الجرائد والذي جاء فيه ان الجماعة الاسلامية في اسيوط تناهض موقف صدام حسين وتدينه في حربه ضد القوات الاجنبية في الخليج . والجماعة لم تغير موقفها وهو ادانة الغزو العراقي للكويت وكذلك ادانة وجود القوات الاجنبية في الخليج وضربها للشعب العراقي المسلم كما تستنكر الجماعة موقف الدول الاسلامية المتحالفة مع امريكا بالخليج وتؤكد ان ذلك فيه موالاة لأعداء الله .» [46]

شرم برم الوضح من ذلك !

وقال بيان لجماعة من المرتبطين بأجهزة سعودية ويصفون انفسهم بالاسلامية بعد أن ادانوا احتلال الكويت : « لقد حذرنا من قبل ونبهنا الى خطر الوجود العسكري الاجنبي على ارض العرب . . كما نبهنا الى ان اهداف هذا الوجود الاجنبي ليست اهداف العرب والمسلمين بل إنها تتناقض مع هذه الاهداف. وذكرنا بما عانيناه على ايدي الدول الكبرى عشرات من السنين من استخفاف بحقوق العرب الواضحة والمشروعة وتجاهل صارخ لمبادئ العدل والقانون والشرعية

الدولية في التعامل مع تلك الحقوق على نحو ما ظهر ولا يزال يظهر من الحقوق والمطالب الاساسية للشعب الفلسطيني . واذا كانت القوات الاجنبية تباشر اليوم عمليات عسكرية تتجاوز مهمة تحرير الكويت لتصل الى تدمير العراق .. اننا نفهم ان الجيوش العربية والاسلامية التي تجمعت على ارض المملكة لا تضمر عداء للشعب العراقي ويعز عليها كما يعز على كل عربي ومسلم ان تمتد يدها بالاذى والتدمير الى منجزات العراق ومنشآته انما تجمعت تلك الجيوش لتحقيق هدفين لا ثالث لهما «الدفاع عن المملكة وجميع دول الخليج والثاني تحرير الكويت. لذلك ندعو الحكومات العربية التي ارسلت تلك الجيوش الى ان تستخدمها في اطار هذين الهدفين والا تجاوزهما الى التورط في اعمال تدمر العراق ومنشآته ... كما نبهنا الى ان قاعدة الشورى تتممها في النظر الأسلامي وتجارب الشعوب قاعدة اخري هي قاعدة العدل في توزيع الثروة حتى لا يتجاور الفقر المذل مع الثراء المفسد المضل فتستعر بذلك التجاور نيران التباغض .. وتقوم بسببه الوان من الصراع وتقول بأعلى صوت واوضح عبارة ان العربي لن يكون بعد هذا الذي حدث كما كان قبل حدوثه»[٤٧]

فهم يريدون امساك كل العصي من النصف .. القوات العربية والاسلامية تقاتل المسلمين العراقيين ولكن داخل حدود الكويت! والعراق كان محقا في دعوته لتقسيم الثروة .. ويرددون مقولة حسين وهيكل أن العالم العربي لن يكون كما كان .. وهل تستبدلون به إلا شرا منه؟!

«ولعل بيان الاخوان المسلمين القوي الذي طالب حكومة مبارك بسحب قواتها من السعودية والخروج من التحالف الغربي هو مؤشر لما يمكن ان تحمله الايام المقبلة من مفاجآت، فالاخوان قالوا ان وجود القوات المصرية في السعودية اصبح مريبا خاصة ان السعودية ودول الخليج الاخرى لم تعد بحاجة الى حماية بعد ان اصبحت منطلقا للهجوم لتدمير دولة عربية اسلامية.»[٤٨] «وطالب الاخوان المسلمون الحكومة بالانسحاب من التحالف الذي يهاجم بلدا مسلما بطريقة بربرية مدمرة.. وقال الاخوان ان السبب الذي ذهبت من اجله القوات قد زال وهو الدفاع عن السعودية ضد هجوم محتمل من العراق.»[٤٩]

واتخذت الحركات الاسلامية التي توصف بالتطرف موقفا صريحا في عدائها للكويت فقد اصدرت حركة «الجهاد الاسلامي بيت المقدس» بيانا تساءلت فيه «اي دولة كانت الكويت ومتى كانت حارات الخليج دولا؟!» واعلن البيان رفض كل القرارات من ١٩٤٨ وان مساجد الاسلام الثلاثة هي اليوم تحت رحمة الكافرين» وقد ناقشنا موقف حزب العمل في غيرهذا الموضع واشرنا الى بعض ما كتبناه ضده، وهو كحزب سياسي تقليدي حديث عهد بالاسلامية

فقد كان كما قيل اذا خاصم فجر .. واذا حدث كذب .. وكان يمارس حملته على المملكة بكل الوسائل ودون اعتبار للحقائق وكان يمارس وساطته المزعومة بهدف كسب الوقت لصدام ، كما تصور، وأوحى ، وفي الحقيقة لكسب الوقت للامريكان لينفذوا مخططهم. ولم يتورعوا عن اختلاق الاكاذيب والترويج عن تنازل امريكا وهزيمتها المحتومة.. ولم يكن من المعقول ان يكون الحزب جادا في مساعيه الحميدة ، وقد نشر في نفس يوم سفره للمملكة خبرا يقول «خمر للجنود الامريكيين في السعودية .. تعاقدت المملكة مع بعض الشركات الاردنية العاملة في مجال تصنيع الخمور لتصنيع احتياجات الجنود الامريكيين وحلفائهم من الخمور ، وكانت واشنطن ارسلت مليوني علبة من الخمر الامريكية ولكنها نفدت » (الشعب سبتمبر)

وقد وصل الحزب في حملة الترويع الى حد التهديد بنسف الكعبة قال : « لو تعرض الهرم لخاطر لقامت الدنيا وقعدت وانتم ايها المسلمون لا تفزعون والكعبة يهددها الدمار .. يقولون لكم ان الاعداء على بعد ألف كيلو من الكعبة ولكن ألا تعلمون انهم في ينبع على بعد ٢٠٠ كيلومتر من قبر الرسول وماذا تعني الألف كيلومتر على اي حال في ظروف الحرب الحديثة ايها الناس ان الكعبة ليست بعيدة عن خطر الاصابة المباشرة والمرء يتساءل ترى هل كان ممكنا ان يسكت اهل هذا البلد اذا كان الهرم الاكبر معرضا للقصف .. ؟ »

ونشرت الشعب ما زعمت انه عرض لمباحثاتها في الرياض وبغداد في اطار الوساطة المزعومة فقالت :«وقد بدأ الوفد جولته بالسعودية حيث التقى بالملك فهد لمدة ثلاث ساعات وبعض الامراء والمسئولين على مستويات مختلفة .وقد ركز الوفد في كل مقابلاته مع المسئولين السعوديين على استنكار القوات الاجنبية في الجزيرة العربية والخليج والتحذير من استمرار هذا الوجود على امن المنطقة ومقدساتها وتقاليدها وثرواتها وضرورة تعاون الجميع على سرعة اجلائها بكل الوسائل مهما كانت التضحيات وافساح المجال لحلول عربية – اسلامية لقضية الكويت .. كما لمسوا لدى الملك فهد استعدادا واضحا لقبول الحل العربي – الاسلامي وذكر الرئيس صدام حسين شخصيا بخير ودعا الوفد الاسلامي الى مواصلة مهمته مما اعتبره الوفد مؤشرات ايجابية برغم تمسك المملكة بمواقفها المعلنة»

وفي العراق « دارت مع الرئيس ونوابه احاديث واسعة وصريحة حول الاتجاهات الاسلامية في السياسة العراقية ومدى تأثيرها الايجابي في الساحة الاسلامية العالمية، وعبر الوفد عن اتفاقه الكامل مع القيادة العراقية على وجوب تفادي الحرب » ..وقالت مخاطبة الرئيس المصري «ثبت صحة

مواقفنا من الخليج وترجو ان يراجع الرئيس سياسته . وقالت : «الرئيس مبارك اعلن انحيازه الصريح للجانب الامريكي بل وصل الى حد ارسال قوات مصرية لتشارك في الحرب تحت قيادة الولايات المتحدة . » ونسبت للامير سعود الفيصل انه قال : « ان الربط بين مسألتي فلسطين والخليج ضرورة حتى يمكن للسياسة السعودية ان تفلت من الانتقادات التي تواجهها بسبب الوجود العسكري الامريكي . »أو أن «السعودية تؤيد المطالب العراقية لكن على ان تنسحب من الكويت . . » أو «كان الملك فهد حكيما عندما قال لنا انه لا يريد ان يتوقف كثيرا عند ما حدث وكيف حدث ومن الذي بدأ بالخطأ يجب ان نتعامل مع الوضع الراهن كما هو . . ما حدث قد حدث هذه ارادة الله »

وفي نفس الصدد هجوم على المملكة ودول الخليج مثل انها وافقت امريكا على التعاون مع اسرائيل أو «الولايات المتحدة تحصل على مساعدات اقتصادية هائلة من السعودية والكويت . . . بينما تمتنع هذه الدول الخليجية عن تقديم اي عون للحكومة المصرية . » «دول الخليج ترفض تعويض مصر وتشترط موافقة مجموعة بوش »(الشعب)

وقال الاستاذ ابراهيم شكري : « هناك من كان يشجع الكويت على التعنت . . وقال عندما تحدثنا مع الملك فهد فهمنا من حديثه معنا انه كان على علم بكل هذه المسائل بل انه اشار الى انه في كثير من الاحيان نصح الكويت بعدم التشدد في موقفها تجاه مطالب العراق خاصة فيما يتعلق باسعار البترول ولكن كما قال كانت الاستجابة الكويتية لنصائحه محدودة . » وعن اجتماع عزت ابراهيم والشيخ سعد قال : « لم تكن هناك اية استجابة كويتية ولكن النقطة التي نتوقف عندها هي كيف ان الملك فهد لم يسألهما وهما معه على المائدة عما اذا كانا قد توصلا الى نتائج في محادثاتهما إلا أنه لم يسأل وقيل لنا في محاولة لتبرير ذلك ان الكويتيين حساسون واذا ما سألهم الملك فسيعتبرون ذلك تدخلا في شئونهم . لكنه لم يذكر شيئا عن الجانب العراقي في هذا الاجتماع وهذه المسألة تحيرنا . » (ربنا ما يحير مؤمن . . يسأل من ؟ الذي اتخذ قرار الهجوم قبل الاجتماع بيومين وعلمت به المخابرات الامريكية كما اثبت بوب وودوارد ؟ ! والذي امعانا في تضليل السعوديين اصر على ان يتحرك في سيارة واحدة مع « الاشقاء» الكويتيين . . ونحن نعتقد أن كل ما نسبه الاستاذ ابراهيم شكري للملك من اقوال لا أساس له من الصحة وقد شهد بريماكوف انه لما قال للملك انه اي الاتحاد السوفيتي يسعى لتحقيق انسحاب العراق سلميا خرج الملك عن البروتوكول وصفق له مما افعم قلب بريماكوف بالسعادة ج!)

وقال : «ان الملك فهد قال لهم انه لو كان يعلم بنية العراق لكنت قد انتقلت في نفس الليلة قبل

ان تتحرك القوات وانهيت المشكلة بالتصالح بينهما ٠٠وان هذا القول يدل على انه كان يمكن تجنب الأزمة ولكن ذلك لم يحدث » وتفى ان يكون صدام قد وعد أحدا بعدم الهجوم. (السفيرة الامريكية في بغداد اضافت الى مسلسل وعود صدام واقعة انه اتصل تليفونيا خلال الاجتماع معها - كما اخبرها - بالرئيس مبارك وابلغه انه لن يهاجم الكويت (شهادتها امام الكونغرس مارس ١٩٩١م) وقال «ان وجود القوات الامريكية والغربية على أرض الجزيرة العربية يشكل خطرا بالغا ورهيبا «انها جاءت للسيطرة على البترول الى الابد ٠٠ هذه القوات غير المسلمة على الأراضي المقدسة التي تضم الحرمين الشريفين٠٠»[٢]

وطالب الزعيم الجماهيري في الحزب النائب السابق الاستاذ مجدي ابن المرحوم الاستاذاحمد حسين طالب الكويت والدول المؤيدة لها بالاعتماد على الله في مواجهة التهديد العراقي ٠٠فتحت عنوان :«المشركون يستعينون بالمسلمين لضرب المسلمين ٠٠ قال مجدي احمد حسين ٠٠:ليس صحيحا انه كان هناك استدعاء للقوات الامريكية بل لقد فرضت امريكا وجودها العسكري على حكام الخليج والذين لا يمكنهم ان يردوا لها طلبا ٠٠وهل يمكن من الناحية النظرية تصور ان ترفض السعودية الطلب الامريكي وكل اموال السعودية في البنوك الامريكية وكل النظام الامني والعسكري في السعودية والخليج قائم على التعاون الوثيق مع الجيش الامريكي ٠ هل يمكن تصور ان حشد ربع مليون جندي كان قرارا سعوديا أو عربيا ؟ ان القرار كان امريكيا واتخذ الغطاء السعودي وفي اطار تخويف السعودية من احتمال غزو عراقي ٠نحن امام احتلال وغزو امريكي لارض الجزيرة العربية وان الحصول على الموافقة الشكلية من الحاكم العربي ليست بالامر الجديد » ويقول نائب حزب العمل ان «الملك فهد كان على قيد الحياة عندما قتل الملك فيصل وهو يعلم من الذي حرض وخطط لقتله٠٠٠اما القول بأن التدابير العربية والاسلامية قد لا تكون كافية٠٠ نقول لماذا لا تركنون الى الله ٠ولا يمكن لأمة مؤمنة ان يخذلها الله ٠٠لو اعلنت السعودية انها تستعين بغير المسلمين لمحاربة دولة اسلامية لكان ذلك مرفوضا خلقا ودينا ولكنها لا تقول ذلك ولا تستطيع ان تقوله ٠٠ان قضية من السبب اصبحت في ذمة المؤرخين نحن الذين سندفع الثمن من استقلالنا وكرامتنا »

سلم بقلك !

وما دمت تعرف انهم خوفوا السعودية من احتمال غزو عراقي ٠٠ فهل تقف مع الخائف أم مع المخيف، فتزيد تثبيت الخائف بطلب الأمن ولو من كفار الطائف ٠٠ وما دمت تعلم ان القرارامريكي

فلماذا ركزت حملاتك ووساطتك مع الذين لا يملكون القرار !! قضية من السبب أصبحت في ذمة التاريخ .. الا تلاحظ اننا نتكلم كالإسرائيليين الذين يريدوننا ان ننسى من كان السبب في مأساة الفلسطينيين .. ومع ذلك ليكن ذلك .. سننسى « من » كان السبب في قدوم القوات الاجنبية .. ولكنك تريدنا ان ننسى« ما » السبب ! وهو أمر خطير ترتب عليه كل ما جرى بعد الغزو العراقي للكويت إذ اصبحت «ما» هذه هي المبرر لضرب العراق ولاستمرار الوجود الاجنبي .

ورد على الكاتبة السعودية سهيله حماد التي تقول :« السعودية ليست في حالة حرب مع انجلترا وامريكا الامر الذي يجيز شرعا الاستعانة بقواتها .. قال : «هذه بالتحديد هي الطامة الكبرى فالوضع الطبيعي ان تكون دولة الجزيرة العربية في حالة حرب مع الاب الروحي والمادي لاسرائيل .. السعودية لم تشارك بصورة عسكرية ضد اسرائيل منذ ١٩٤٨ وبالتالي لم تجد نفسها في حرب مع امريكا»[٣]

وسيادته يعرف انه ولا دولة عربية في حالة حرب مع الاب الروحي هذا ولا العراق التي كانت طوال السنوات العشر الماضية الابن الروحي للولايات المتحدة ! أما عن مساهمة السعودية ضد اسرائيل فهي بلا جدال اكبر مما لا يقارن مع دور العراق الذي لم يطلق رصاصة ضد اسرائيل منذ ١٩٤٨ .. بل وخلالها تقريبا . ولم ينفق قرشا ضد اسرائيل . ان اكثر من نصف سلاح دول المواجهة اشتري من مال سعودي .

واستمر كتاب الشعب في حملتهم بالاساليب السياسية الرخيصة فاقترح خطيب وامام جامع سابق في القاهرة «ان تمنح الدول النفطية برميل نفط لكل مسلم مرة في الاسبوع» لأنه « ليس من المستساغ تضور الفلسطينيين واكلهم القطط والكلاب وجهاد الافغان وهم عرايا واستخزاء الاقليات المسلمة في العالم، بينما السعودية والكويت لهما فوائض في البنوك الاجنبية ٥٠٤ مليارات دولار.»[٤]

ومن المؤسف ان هذا الشيخ قد اسف في العناد الذي كاد يورثه الكفر فقد هاجم القيادات العربية لأنها من رعاة الغنم ! رغم الحديث الصحيح .. ما من نبي إلا وقد رعي الغنم .. قال :«احتلالهم ارضنا ونهبهم البترول واقرافهم جريمة الزنا ومعاقرتهم الخمر ولعبهم القمار وترويعهم الشعوب واقامتهم الصلاة اليهودية على ارض الحرمين الشريفين وتشييدهم الكنائس بها وحمل الحاخامات والقسيسين اليها هاهي امانيهم قد تحققت ورفعوا نجمة داود وصليب النصارى على

اطهر ارض الحجاز(هو كاذب اشر أو فاحش الجهل ، حفر الباطن ليست من الحجاز. وكما قلنا الهجمة الأمريكية التي مكنتها صدام حسين من الفتك بنا وبه اكبر من ان تحتاج لهذا التدليس ج) والتي لا يجوز ابدا على اي وضع ان يكون بها ديان ولا قيام للباطل الا في غفلة الحق . . عار على المليار مسلم ان يحتل الجيش الامريكي الخليج العربي ويهيمن على حقول البترول ويتحكم في مصائر الامة. .ان الاسلام قد انزوى في منبته لما تكاثرت جيوش الشرك في مهده واستغلظت الاشواك على ارضه وسطوا على الثروات في حقوله وكبلوا ايدي حماته وألجموا ألسنة دعاته وقصفوا اقلام مفكرية وقدموا نخالة العرب واخروا العباقرة **وصنعوا حكاما من رعاة الغنم** لا من قادة الأمم فدحرجنا الى الهاوية التي اعدت لنا خصيصا . . » **

خسئت والله . . ما قامت لنا دولة ولا عزة الا عندما حكمنا رعاة الاغنام !

والحديث : « ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم .قالوا يارسول الله كأنك قد رعيت الغنم ؟ قال أجل قد رعيت الغنم » (الترمذي و ابن حنبل والبخاري . .)

كيف سكت الاسلاميون على هذا التطاول على الانبياء ورسول الله صلوات الله عليه وسلامه، أم انهم قرروا ان يحققوا اهدافهم بخوض الباطل خوضا . . ولو بالتطاول من جانب رعاة الخنازير على مقام الانبياء !

وقد ردد دعوته في الذود عن الأرض المقدسة « مجاهد » اخر يحرم عليه دخولها هو جورج طرابيشي الذي كتب يقول :«القيادة التي تصور نفسها حامية حمى الأسلام وخادمة حرماته لم تتورع عن استقدام القوات الامريكية اليانكية لتتولي الدفاع عن حرمات الاسلام. . . » ٣٦.

وبينما يكتب الشيخ الغزالي بانتظام ما يرضي السعوديين في جريدة «المسلمون» السعودية حتى منحوه جائزة الملك فيصل ، نجد زوج بنته يهاجم في « الشعب » المملكة فيقول : «واتخذت اسرة مالكة مترفة بارادتها المنفردة قرارا بدعوة القوات الامريكية الى المنطقة .» ٣٧ وقال ايضا : «العديد من اولاد البلد لا يفهمون اسباب تواجد القوات المصرية على خط النار الى جانب جيش امريكا الشخم الذي يضم نصف مليون جندي. . يعني دورنا هناك ثانوي للغاية نعمل تحت امرة القيادة الامريكية وهذا لا يليق بمصر التي كان لها دائما دور طبيعي وقيادي »٣٨

لا عليك . . الامريكان ابعدوا قواتنا كما طالبت !

وتحت عنوان : « العراق انتصر » قال الاستاذ ابراهيم شكري :

« اختلفنا منذ القمة العربية ، قبل القمة كنا جميعا متفقين على ان عدوان العراق على الكويت

لا يمكن ان يقبله احد . كلنا ادنا هذا العدوان .. كنا نطمع ان تجد الاسرة العربية حلا في نطاق الأسرة العربية لا يجعل للاجنبي تدخلا . ولما سمعنا بالدعوة لمؤتمر قمة اسرعنا بتقديم بعض النقاط التي تصورنا انها يمكن ان تكون محورا للقرار الذي سيتخذ للوصول الى حل ولم يكن في هذه النقاط وضوح بالإدانة بالنسبة لغزو العراق . وانما تضمنت ان الإدانة ليست هي الطريق لتسوية مثل هذه المسائل وانما يجب ان يكون هناك بحث في الاسباب التي ادت الى هذا . وقلت ان الاقتراح المقدم (من الاغلبية ج) لا يصلح لأنه من بندين: الجلاء فورا عن الكويت وعودة الشرعية لها وهو لا يصلح لاحتواء الأزمة ولذلك خرجت جريدة الحزب تقول قرار القمة متحاز .. كان موقفنا ان فتح الباب للتدخل الاجنبي يعني فتح باب كبير لا يمكن اغلاقه ..

كانت هناك ١٨ مليار دولار دينا على العراق اخذتها من الكويت اثناء الحرب .. قالوا للعراقيين ان الأمير يقول لكم فلتعتبروا انها اسقطت .. فرق بين ان تعتبر وان تسقط بالفعل ..

و لما سأله المحرر عن رحلته حكى عن الملك حسين وفهد ونسي صدام ..!

وراح يضرب لنا الأمثال : « عندما يكون هناك منزل اشعل احدهم النار في جانب من جوانبه، فارق بين ان تطفئ النار وتبحث في عقاب من اشعلها أو ان تقول اتركوا النار تشتعل في البيت وبعد ذلك تعاقب المتسبب . كل الدول ادانت لكن اختلاف المواقف جاء بعد ان تبين ان هدف امريكا هو القضاء على الجيش العراقي وشعب العراق .. نية تدمير العراق موجودة لدى امريكا ولكنها اقتنصت فرصة خطأ العراق باجتياح الكويت ونفذت خطتها ولم تعط فرصة لمحاولة العدول عن هذا .. (من اللي ضيع الفرصة ..) علينا ان نبدأ صفحة جديدة لا تعتدي فيها دولة عربية على دولة عربية أخرى» ؟.

كلكم ادنتم العدوان ! كلكم واقفتم انه لا يمكن ان يقبل .. وبذلك باركتم قرار الأمم المتحدة وهرولة امريكا لإزالة العدوان ..

ما هو الحل الذي كنت تنتظره من الاسرة العربية .. ما هو الحل لما يدينه الجميع ولا يمكن ان يقبله الجميع ..؟! الجواب : إزالته .. أليس هكذا يتكلم العقلاء بل وحتى المجانين الشرفاء ؟!

وهكذا كان القرار .. ادانة .. ومطالبة بالانسحاب .. فما الذي اثاركم ؟!

ما هو الحل الذي لا يجعل للاجنبي علينا سبيلا ؟!

الادانة والانسحاب فورا .. أم ان تقبل الكويت والسعودية الضم العراقي ؟!

ومع ذلك لا انتم اقترحتم الانسحاب ولا ناشدتم الكويت والسعودية الدخول في امبراطورية صدام؟! بل طلبتم بفتح باب المساومة مع العراق .. أو قتل الوقت بحكاية الوساطة ومشاريعكم للتسوية حتى اكملت امريكا استعدادها العسكري والدولي ونفذت مؤامرتها.

كيف توقعت الا تدين الحكومات العربية عملا قلت انت انك ادنته وادانه الجميع واقررت انه امر لا يمكن قبوله ..؟!

هل من يريد فعلا ان يسد الطريق على التدخل الاجنبي يطالب بتأجيل الانسحاب ويفتح الباب للنقاش في الاسباب والمسببات والبحث عن الداء والدواء .. وامريكا تشحذ سيفها؟!

هل تقبل المبادئ ان تترك المعتدي المدان جاثما فوق ضحيته ويتفرغ رجال القانون وعلماء النفس لبحث اسباب عدوانه ؟! وهب اننا وصلت بنا الطاعة الى هذا الحد فماذا تفعل بالعالم الذي يصدر القرارات مثنى وثلاثا ورباعا واثنى عشر .. وفي ظل هذه القرارات يبعث عسكره بمئات الالوف وكأنه يخوض حربا ضد المريخ .. كيف يمكن اقناعهم بالرحيل حتى يبحث مجلس الجامعة الاسباب التاريخية والاقتصادية لاحتلال الكويت !! .. للأسف لا القانون ولا نواياهم تجعلهم يقبلون ..

هل القرار الذي يطالب بالانسحاب هو الذي فتح الباب للتدخل الاجنبي أم الذي يطالب بترك النار مشتعلة حتى يسجل امير الكويت في الشهر العراقي التنازل عن الديون وتبحث الفرق بين اسقط واعتبره ساقطا ! ولماذا يجب ان يسقط امير الكويت ديونه وهو صاغر وبالنص الذي يفرضه صدام .. هل هي مافيا .. غابة .. ليكن قانون الغابة ، كما اردتم، وهاهو الوحش الاكبر يضرب صدام وبتكلفة اقل :١٣ مليارا بدلا من ١٨ لصدام !

نية صدام موجودة واقتنصتها امريكا .. وانت ساعدتها باغراء صدام على الاستمرار في الخطأ حتى يحرر امير الكويت وثيقة اسقاط الديون ..

قرار الجامعة كان هو المختصر المفيد للخروج من الورطة وتصحيح الخطأ الذي تقول اصطادت به امريكا العراق .. وموقفكم هو الذي امسك الباب مطبقا على صدام حتى سلخوه .. واذا كنت تدعو الآن لفتح صفحة جديدة لا تعتدي فيها دولة عربية على دولة عربية .. أليس قرار الجامعة كان اول سطر في هذه الصفحة وقد رفضته وعارضته ووصفته بالانحياز .. فكيف ولماذا نصدقك اليوم ؟!!

قرار الجامعة يعيد الوضع الى ما كان عليه قبل الثاني من اغسطس .. لا احتلال وبالتالي لا

مبرر للحملة الامريكية .. لو انكم ساندتموه لو انه صدر بالاجماع وقبله صدام مع مالمناء من بيانات وتحفظات حول حقوقه ، لاحبطنا المؤامرة ولبدا الوجود الامريكي بشعا غير مبرر ولاستحال على امريكا ان تضرب العراق ، ولوفرنا له الانسحاب بكرامة وليس بشلوت في مؤخرته كما هدده بوش ونفذ... يا عارنا !

قرار القمة منحاز .. نعم .. وهو المفروض والمتوقع والمرجو من كل سلطة دولية ان تنحاز ضد ما سميته انت بالعدوان وأدنته وقلت ان أحدا لا يقبله .. اذا لم ينحاز الناس ضد هذا فضد ماذا ؟!

امريكا لم يكن من مصلحتها اعطاء صدام الفرصة للعدول عن هذا الخطأ فهل اعطيته انت هذه الفرصة ؟ أم وقفت تحرضه وتغرر به حتى أكلوه ، ثم تقول .. تعالوا نفتح صفحة جديدة .. هيهات حتى تبحث اسباب خطأك انت ، وحتى تسدد للأمة العربية ثمن ماارتكبت في حقها .

واستمر حزب العمل يضلل الشعب ويغرر بالعراق حتى الرمق الأخير، خرجت جريدته قبل الضرب بساعات تقول : «رغم التهويش وصلنا ١٥ يناير والمفاوضات على قدم وساق المباحثات تتواصل وتتزايد والولايات المتحدة التي تطلق التصريحات النارية لا تتوقف بلورها عن السعي خلف حل المشكلة بطريقة تحفظ ماء الوجه .. وجهها هي وليس وجه العراق وحده »[٦٠]

ولما وقع المحظور كتب يقول :« الصمود البطولي للعراق فاجأ الامريكان واخرجنا من عقدة ١٩٦٧ »[٦١]

بل حتى بعدما قصم ظهر صدام ظلت تتحدث عن مباحثات مطلوبة معه لتقسيم الثروة العربية! «المباحثات مع الملك فهد وبوساطة الرئيس مبارك (المطلوبة مع العراق) هي لمناقشة قضية الكويت وامن السعودية واستخدامات الثروة العربية في اغراض التنمية الشاملة » (الشعب ٢٩/١ عادل حسين)

ولكن في لحظة صدق مع النفس اعترف عادل حسين ان كل هذا الذي نسبه من اهداف لصدام حسين مجرد هراء ونصب واعترف ان القضية لم تكن اكثر من عشرة آلاف مليون دولار .. قال :« وغني عن البيان ان الولايات المتحدة لن تنصب على حلفائها الاقوياء (المانيا واليابان) ، ولكن سيقع الغرم ويتحقق المكسب على وقفا «الدول الخليجية بالذات (دفعت بالفعل ١٧ بليون دولار وتنتظر الولايات المتحدة منها ٢٠ بليونا آخر) ..ومعروف ان الوسطاء الطيبين اصحاب الحل العربي للأزمة العراقية الكويتية كانوا يرون ان ربع هذا المبلغ يكفي لحل كل المشاكل ولحقن

الدماء..»[62]

هذه باختصار شديد بعض مواقف الحركات الاسلامية والمنتسبة لها خلال الأزمة ويجدر هنا ان نشير لموقف الحركة الاسلامية العراقية التي يدها في النار وعانت حكم صدام حسين ، وكان لابد ان يكون لها موقفها المخالف بالطبع .. فقد نشرت الشرق الأوسط حديثا لزعيم ديني شيعي وصفته بأنه زعيم المعارضة الاسلامية في العراق وهو آية الله محمد تقي المدرسي ..قال فيه «ان قضيتنا الاولى هي اسقاط نظام صدام وقال إنه صدرالآن في العراق قانون يعاقب بالاعدام كل من يسب ايران أو يشتمها لأن صدام تصالح مع ايران ! وقال ان صدام صدر الأزمة الاقتصادية العراقية الى خارج العراق ، وقبل الغزو بيوم كان يزور البيوت العراقية على التليفزيون ويفتح الثلاجات فيجدها فارغة فكان يقول لهم ليش فارغة ؟ ! هاي الكويت يمكم ..وقال ان الحل السياسي مرفوض اذا بقي صدام.

اما رأيه بالنسبة للقوات الاجنبية فقد قال «ان مجلس الامن والامم المتحدة والمنظمات الدولية تعبير عن حالة حضارية تعيشها الشعوب فمن الطبيعي ان تستمر تلك المنظمات في عملها وأي قرار يتخذه مجلس الأمن نعتبره قرارا مقبولا خاصة اذا كان بهدف ردع العدوان ..»[63]

وربما كان من صالح العمل الاسلامي لو اخذت هذه الحركات مكانتها في التحالف المضاد لصدام ، لكن للأسف حالت عوامل تاريخية دون قيام هذا التحالف ولو على مستوى المعارضة العراقية الاسلامية .. الشيعية .. وعسى ان تتدارك الامور .. !

الفصل السابع

أيكم اكثر استقرارا ؟!

اختلفت التعليقات حول قرار الحكومة السعودية المفاجئ باعلان النية في تشكيل مجلس الشورى خلال ازمة الخليج . وكان الصحفيون في لندن قد علموا انه في حوالي الساعة الواحدة بتوقيت لندن طلبت وزارة الاعلام من الصحافة السعودية وقف الطبع وحجز الصفحة الأولى لأنباء هامة ستعلن من المملكة . ومع تساؤلات الصحفيين تسرب خبر بأن الامر يتعلق بمجلس الشورى .. .وكانت «الجارديان» قد نشرت مقالا لدافيد هيرست يوم ٣١ اكتوبر ٩٠ .. تحت عنوان : «بيت بني على رمال متحركة» تحدث فيه عن مبنى مجلس الشورى في الرياض الذي لم يشغل بعد .وقال ان القرآن قال : «وامرهم شورى بينهم» ولكن مقولة ان القرآن دستور المملكة هو مجرد ادعاء.. وقال : اذا ما اقتدى السعوديون بموقف الكويتيين في اجتماع جده حيث اكتشف آل صباح أنهم يحتاجون الشعب كما يحتاجهم الشعب.. كذلك فإن الولاء الذي ابداه الشعب السعودي في احداث اغسطس يجب ان يُعطي آل سعود الثقة في انه قد حان الأوان للتغير .وقال: «لو كان هناك شورى لتساءل الناس هل من الحكمة ان يطرد اليمنيون لأن رئيسهم عبد الله صالح اتخذ موقفا مؤيدا للعراق.. » (١١/٩و١٠/١١)

وعلقنا : بل لو كان هناك برلمان لطرد اليمنيين من سنوات عديدة .فالبرلمانات في الكويت والاردن هي التي شرعت قوانين الإقامة .وفي ظل البرلمان في مصر يحظرعلى ابن المصرية من اب عربي ليس فقط العمل بل والإقامة بدون تصريح .. الأمراء هم الذين أبقوا اليمنيين ينافسون التجار والعمال السعوديين ، ولو اصبح لهؤلاء برلمان لأصدروا تشريعات تقصر العمل عليهم ، كما هو الحال في كل الدول العربية ذات البرلمانات .

اعلن الملك فهد عن النية في اقامة مجلس للشوري وفهم من البيان انه لا تفكير حاليا في الانتخابات ويبدو أن هناك شبه اتفاق عام بين جميع السعوديين على ان الوقت غير مناسب للانتخابات ، فحتى بيان المنشقين المقيمين في الخارج دعا إلى مجلس بالتعيين، وكذلك نسبت مجلة امريكية ـــ كما اشرنا ـــ للامير عبدالعزيز بن سلمان انه لا يؤمن بالانتخابات في الوقت الحاضر. .والبيان الذي نسبته جريدة الشعب لشيوخ الدين في المملكة لم يطلب الانتخابات.. وفي حديث لاحق للملك فهد امتدح الديموقراطية المصرية وادرجها في الشورى الاسلامية ، واكد

أن مجلس الشورى السعودي سيكون بالتعيين :« سيشكل مجلس الشورى من خيرة المواطنين ادراكا ومعرفة سواء بالعقيدة الاسلامية أم بالامور التي طرأت علينا في اجوائنا العالمية »[1]

وقد تدفقت التعليقات على اعلان الملك :

قال خالد محمد خالد ان احد الشامتين قال له : ان اعلان مجلس الشورى في السعودية من بركات صدام »[2]

(إن صح ذلك فهي اعجوبة .. أن تثمر الديمقراطية من ابشع نظام ديكتاتوري في العالم ويخرج الحي من الميت .ج)

في التايمس كتب كريستوفر واكر يقول :«الملك فهد يسير في خطوات حريصة نحو الديموقراطية .» وتحت ضغط متزايد داخليا وعالميا اعلن الملك فهد ان المملكة ستأخذ خطوات حريصة نحو ديموقراطية اكبر باقامة مجلس استشاري يعينه الملك ..» وقال..وان هذا المطلب ينطلق اساسا من الفنيين اللذين درس غالبهم بالخارج ونفد صبرهم من النظام الشمولي الذي يضع الكثير في يدي الخمسة آلاف متنفذ من ابناء العائلة المالكة .وقد زاد الضغط من استقل بالتطورات في شرق اوروبا وفي بعض بلدان المنطقة مثل الأردن والجزائر واليمن .وقد زاد الضغط للتحرير السياسي بالغزو العراقي الذي صاحبه مطالبة بالتغيير الاجتماعي في المملكة وقد نفذ ذلك بمجموعة من السيدات المحجبات . » وقال الكاتب ان امير الرياض استدعى اهل الرأي فأفتوا ان ليس فيما فعلته النسوة مخالفة لا للقانون ولا العرف وهكذا اطلق سراحهن بعد التنبيه عليهن بعدم التكرار..وتوقع الغاء حظر السواقة في بحر سنة . كما نقل عن رجل اعمال امريكي قوله : «لقد فتح الباب السعودي وهبت الانواء من شتى الجهات .»[3]

(كل هذا من مظاهرة سيدات ؟! هذا يثبت ما كانت تتوقعه هذه الدوائر من نتائج لمظاهرة السوبر ماركت ولكن خاب فألهم اذ استوعبها المجتمع السعودي بسرعة ج)

وفي الفاينتشيال تايمز:«السعوديون يطورون الحكومة . الملك فهد سيعين مجلسا معينا.» وقالت ان الاصلاحات قد صدر الوعد بها منذ عقد . ولكن مما له مغزى انها اعلنت في ابان ازمة الخليج التي صاحبها نقد في السعودية والغرب لنقص الديموقراطية في المملكة والجمود في نظامها السياسي. فمنذ الغزو العراقي للكويت جرت مناقشات واسعة حول الحاجة لتغيير سياسي واجتماعي .وهناك مخاوف انه ولو ان الحكومة وعدت بتغييرات الآن فقد تتناساها اذا تغيرت الظروف . وليس واضحا اذا كانت التنظيمات التي يقصد بها ان تكون دستورا علمانيا ملحقا

بالشريعة الاسلامية، هل ستعطي السعوديين حقوقا سياسة واضحة .. ان المبدأ الاسلامي الذي ينص على الشورى كان يمارس من خلال استشارة الذين لهم القدرة على الوصول لمجلس الحاكم..»[4]

وذهبت الاندبندنت بعيدا في تخيلاتها فقال «روبرت فيسك» تحت عنوان:«في زمن الازمة... السعوديون يتبينون فضيلة الديموقراطية» وقال :«قبل اقل من اسبوعين من موعد قضاء بوش عيد الشكر مع قواته في المملكة اظهر الملك فهد أمس حنينا مفاجئا للديموقراطية واعلن قرب تشكيل مجلس للشورى يعطي السعوديين نصيبا اكبر في صناعة القرار.ولكن يجدر بالمتفائلين ان يخففوا من غلوائهم؛ فصحيح ان الامراء الصغار يلحون بطلب مشاركة اكبر من جانب العامة، (هذا لغز من الغاز الخبراء الغربيين، عجزنا عن حله! لماذا يكون الامراء الصغار وحدهم مع اشراك الشعب؟! المفروض انهم هم الذين يتعرضون لنقد ومزاحمة القيادات الجديدة من المثقفين. ولو أن الوضع مختلف تماما إلا انه تجدر ملاحظة أن الشيوخ الصغارفي الكويت هم الأكثر معارضة للمشاركة مع الشعب في السلطة والمال، وهم الذين يشكلون العصابات التي عاثت في شوارع الكويت واعتدت على المواطنين المطالبين بالديموقراطية إلى ان هددهم الشيخ العجوز سعد العبدالله بالشنق.ومساهمة في حل هذا اللغز اعتقد ان ما لا يفهمه هؤلاء الكتاب هو وجود فريق من الامراء الشباب يعتقدون أن لديهم من الكفاءات المكتسبة، وليست الموروثة،ما يمكنهم من البقاء على القمة في ظل انتخاب طبيعي .. وهم يفضلون ان يتقدموا بتفوقهم.ويذكر هنا العبارة التي يكررها الامير بندر .. ابي جعلني اميرا هذا صحيح ولكن لم يكن بوسعه ان يجعلني طيارا .. هذا صنعته أنا. هؤلاء الأمراء يعلنون عدم تخوفهم من الديموقراطية. ولكن ذلك لا يبرر خلق ادعاء بأن الأمراء الشباب اكثر ديموقراطية من آبائهم .. ج)

يقول الكاتب :«ولكن هناك اسبابا أخرى قد تكون خلف اكتشاف الملك لفضائل الديموقراطية، الرئيس بوش مثلا على وعي بأن الامريكيين الذين مازالوا يؤيدون سياسته في الخليج، عسير عليهم ان يحبوا النظم العربية التي طلب منهم تأييدها ضد العراق.واذا ما نشب القتال وتساقط الامريكان قتلى فهذه الشكوك يمكن ان تتحول إلى حركة معادية للحرب، وسيكون الوضع اسهل بالنسبة لبوش اذا كان بوسعه القول بأن الامريكيين يريقون الدم من اجل ديموقراطية أو ديموقراطيتين وليدتين، هذا اذا اخذنا وعود امير الكويت بجدية. وعدد من اقرب مستشاري الملك مثل الامير بندر ابن اخيه وسفيره في واشنطن قد طرحوا الحاجة إلى مشاركة جديدة في

الحكومة.» وقال الكاتب ان « المملكة الآن في ازمة والملك فهد يتحدث من جديد بحماسة عن المجلس الذي بنى له مقرا مهولا في الرياض من عشرسنين . اوضح الملك انه مجلس سينصح فقط حكومته ولم يقل حتى ان اعضاءه سينتخبون . هذه الثرثرة بين الامراء لم تحقق هذا الوعد ولا يعتقد ان مظاهرات النساء هي التي ستحمل التغيير ولكن السيف اصدق انباء ، فالجيوش تغير و«بوش» لا يريد ان يقال ان امريكا ضحت بشبابها لحماية أو لدعم ملكية مطلقة»

يخيل لنا أن الأزمة التي يتحدثون عنها كانت أضخم في عقولهم منها في الواقع ، وربما كان تأخر تشكيل المجلس أو أي تغيير هو رد فعل لهذا اللغو الاستفزازي الذي حاول ان ينسب التغيير والمجلس لضغوط امريكية فقررت المملكة ان تتحداهم بوقف التنفيذ. وفي« الواشنطن بوست» كتبت كاريل مورفي ، تقول : « الملك السعودي يعد بمجلس استشاري .. فهد يأخذ خطوة نوقشت في ازمات سابقة .. » وقالت « الملك فهد مدفوعا بأزمة الخليج قرر ان ينفذ المجلس الاستشاري الموعود منذ زمن بعيد استجابة لمطالب العديد من السعوديين بالمشاركة في ادارة بلادهم.. »

وقالت ان «الملك ابلغ بذلك المسئولين في الاعلام السعودي ويبدو أن قرار فهد تحركه الازمة التي تبعت الغزو العراقي وفي انتظار الصدام مع العراق وتوقع خسائر فادحة فإن العائلة المالكة تحتاج لولاء ودعم رعاياها وبخاصة الذين يملكون المال والخبرة . وفهد الذي لا يتخذ قرارا قبل مشاورة العلماء والأمراء والاعيان يعتبر الشورى من الخلق الاسلامي . وتبدو خطوة الملك لمواجهة نقدالمعلقين الامريكيين والغربيين لنقص الديموقراطية في المملكة ، هذا النقد الذي ينتقص من تأييدهم للدعم العسكري . وقد جاء وعد فهد في نفس اليوم الذي اعلن فيه عن ارسال مائة الف جندي امريكي وقبل اسبوعين من زيارة «بوش» . ومنذ الغزو طالب السعوديون باصلاحات ولو تدريجيا وبالذات في الاعلام فقد أثارهم ان لا تذاع انباء الغزو في المملكة لمدة يومين .. »

(فسرنا سر هذا القرار .. والاغبياء وحدهم هم الذين يفسرونه بالرغبة في اخفاء الأمر عن الشعب ! وهو هدف لا يخطر على بال ساذج ، إذ ان كل بيت في المملكة ، أو على الاقل كل بيت يهم الحكومة وأمّي سكانه ، يستطيع التقاط الاقمار الصناعية ، وانما كانت هناك رغبة وامنية عند المملكة في تلافي الأمر وتراجع صدام قبل ان تضطر المملكة لاعلان الغزوالعراقي، وبالطبع لم تكن ستذيعه كأخبار الطقس بل ستعلق عليه وتهاجمه ، مما ينهي دورها كوسيط ويصعد الأزمة الى مرحلة المواجهة)

ونقل عن عبد العزيز فايز استاذ العلوم السياسية في جامعة الملك سعود قوله « نحن مسرورون ، نحن لا نعلم الكثير عن كيفية تنفيذ ذلك ولكن على الاقل نأمل ان يحقق مطالب مجتمعنا الذي يتطور مثل كل المجتمعات» وقال سعودي آخر انه يريد برلمانا حقيقيا .»[٦]

وفي صحيفة «لوس انجلوس تايمز » تحت عنوان « الملك فهد يستعد لاقتسام صناعة القرار» .. كتب كيم مورفي يقول : « مع تزايد الضغط من اجل الديموقراطية في ملكيات الخليج اعلن الملك فهد ان المملكة تعد لتشكيل مجلس استشاري سيكون بالتعيين في البداية ولكنه سيعطي المثقفين السعوديين ورجال الاعمال مكانا في صناعة القرار في حكومتهم . وقد جاءت الخطوة بعد ايام من مظاهرة هي الاولي من نوعها .... والتي انتهت بقرار شديد الذكاء من حاكم الرياض الذي شكل لجنة من رجال الدين والقانون استفتيت فافتت بأن تصرف النساء لا جريمة فيه» . والحادثتان تدلان على بداية الانفتاح في مجتمع محافظ متشدد يحكمه آل سعود بتقاليد اسلامية محافظة . والضغط من اجل الديموقراطية يتصاعد منذ زمن في بلدان الشرق الأوسط ولكن الغزوالعراقي طرح القضية بشدة في امارات الخليج واثار السؤال حول قدرة حكم العائلة على الدفاع عن البلاد وحول الحكمة في ارسال القوات للدفاع عن حكومات غير ديموقراطية . (وهل استطاع حكم الحزب أن يدافع عن العراق ؟ أو الحكم الثوري الاشتراكي ان يدافع عن سوريا ومن قبلها مصر ضد اسرائيل ..؟ وهل استطاع الحكم الديموقراطي العنصري اليهودي في اسرائيل ان يحميها من صواريخ صدام أم اضطرت لطلب الحماية الامريكية والعسكر الامريكان؟! وهل كانت واحة الديموقراطية لتصمد لقبلية وعائلية العرب بغير الترسانة الامريكية ؟!وهل هناك مشاركة في صنع القرار، في الدول العربية ذات البرلمانات ، أفضل بما في المملكة ؟! حتى لو أخذنا بدعايات الغرب وقلنا ان القرار يحتكره خمسة الآف أمير في المملكة .. فكم عدد صناع القرار في مصر أو اليمن أو الاردن أو .. أو ..)

تتابع سيادته : «وفي الاسابيع الاخيرة واجهت السعودية وعود امير الكويت باعادة الديموقراطية وبالنساء الكويتيات والامريكيات يقدن سياراتهن في المملكة . وقد صاحب الغزو توسع في حرية الصحافة فغطت انباء الحشود وابيح لها ما كان ممنوعا من الهجوم على رؤساء الدول. ونقد النظام السعودي ممنوع ولكن الصحف خرجت بمانشتات غير معتادة تعلن : الديموقراطية عقب المؤتمر الوطني الكويتي . »ونقل الكاتب عن بعض السعوديين قولهم «ما حاجتنا

لنواب ونحن نقابل الملك .. ان البرلمان يطالب به المتغربون الذين لا يمثلون الشعب ولا يريدون ديموقراطية على الطراز الغربي في بلادنا ، بل حصة اكبر لهم في الحكم ..»

ونشرت الواشنطن بوست تحقيقا عن الملك فهد وقرار استدعاء القوات الامريكية بقلم كاريل مورفي وردت فيه عبارات تافهة منقولة من كتاب المملكة للأفاق لاسي ..ومن التفاهات المضافة قوله انه «على مائدة العشاء مع بوش يبدأ الملك الحديث بشرح القيمة الغذائية للتمر واللبن الزبادي ..»

وهذا نموذج للكتابات الطفولية الموجهة لقراء هبط بمستواهم العقلي ، التليفزيون والمخدرات وكتابات هؤلاء ..والا لما فاتته الحكمة في الحديث عن هذه الامور على عشاء يشترك فيه العديد من غير الحلقة العليا في البلدين ويشهده عشرات الخدم الذين يتلقفون اية اشارة عن توتر .. ولكنهم يرون الملك يتحدث هادئا كالعادة وفي مواضيع لا علاقة لها بالحرب ويشيعون ذلك في الخارج.أو على الاقل لا يسمعون حديثا عن الضربة المتوقعة . ولكن الكاتب الامريكي الجهول يجعلها فتشة ويتوقع ان يبدأ فهد العشاء بقوله:متى ستشن هجومنا الجوي على بغداد..يا سيادة الرئيس؟!..كم عدد الصواريخ الذرية التي معكم ؟! وهل ستستخدمونها؟!

وزعم الكاتب الامريكي ان وزيرة التجارة الامريكية جوانيتا كريس زارت المملكة لتنصح الملك ان واشنطن لن توافق على خفض العرب انتاجهم من النفط وقد هز الملك رأسه ولم يعلق . وخرجت الوزيرة سعيدة وكتبت لوشنطن تشرح كيف حث الملك على الاستمرار في انتاج النفط بالمستوى المطلوب . ولم تكن تعرف ان الملك ابرق للبيت الابيض قائلا انه «لا يعتقد ان هذه رسالة الرئيس اليه . وانه لا يجوز التحدث اليه بهذه اللهجة ابدا ..» الملك هو الاكثرصداقة للامريكان في العائلة المالكة .. رغم خيبة الامل المتكررة من تأييد امريكا لاسرائيل . وكان اخر القياديين السعوديين لرفض كامب ديفيد. واشار إلى مساعدات المملكة لثوار انجولا ونيكاراجوا..وبعض المعلومات الشخصية الحقيقية والمزيفة .. وقال ان الملك قاد تطوير المملكة بثروة النفط وحال دون انهيار المجتمع بتمسكه بالقيادات الدينية. وانه يؤمن بتطوير المرأة ومجلس الشورى ولكنه لا يريد استفزازعلماء الدين .وان اقرب المشيرين اليه هم الامير عبدالله وسلطان ونايف وسلمان .كما يتصل ثلاث مرات يوميا بالتليفون مع ابن اخيه الامير بندر سفيره في واشنطن .والتليفزيون يعرض باستمرار نشرات CNN في قصر السلام .»[٧]

وتحت عنوان :« تأسيس مجلس استشاري من العائلة الحاكمة السعودية لمساعدة الملك فهد

والرد على الغرب » كتبت «القدس »: «عرض الملك فهد احتمالات احداث تغيير ديموقراطي في المملكة ويذكر ان نظام الحكم في البلاد هو الملكية المطلقة (وفي العراق ايه.. عصابة مطلقة ! ج) والمجلس سوف يضم ــ بصفة اساسية ــ اعضاء من الاسرة المالكة ولن تكون له سلطات تشريعية وسوف يقوم الملك فهد بتعيينهم بدلا من أن ينتخبهم الشعب. ويشير المراقبون في جده إلى ان العائلة المالكة كثيرا ما وعدت بانشاء مجلس الشورى دون ان تتحقق الفكرة وان ذلك الاعلان هوللرد على الانتقادات في الغرب التي تتساءل عن معنى التورط العسكري لحماية دول تفتقر للبرلمانات مثل الكويت والسعودية (وهل أرسلت أمريكا قواتها الا لدول غير برلمانية ؟ ألم تكن حليفة لروميا «ستالين » وقاتلت دفاعا عن كوريا «سنجمان ري » وفيتنام الوغد « نجودينه ديم » وتحالفت مع فلبين « ماركوس » ؟ وما أخبار برلمان السلفادور وشيلي ، وهل تذكر الصحيفة كم مرة تدخلت امريكا ضد طغيان الملك حسين ؟ وهل نست التحالف مع « وغدنا في الشرق الأوسط» ثماني سنوات .. كيف يمكن ان يكون الاعلام المتحضر بهذا القدر من الكذب والادعاء ! ج) وان الاصلاحات لن تغير الكثير ما دامت المملكة تلتزم بصرامة باحكام الشريعة في الوقت الذي تنتقدها فيه الحركات الاسلامية لاستدعاء قوات اجنبية .»[8]

ويلاحظ ان الاعلام الامريكي يحتفي من يسميهم بالمتغربين ويحاول افتعال معركة بين القصر والمسجد كما اشرنا أو بين المتغربين والاصوليين .

« مجموعة صغيرة لا يحس بها احد هي وحدها التي تريد تغيير الملكية المطلقة في السعودية إلى نظام ديموقراطي على الطراز الغربي ، ولكن الأزمة في الخليج اثارت التفكير حول الطريقة التي يحكم بها الملك فهد مملكة الصحراء ..» ونسبت إلى عالم كبير في جامعة عبد العزيز في جده قوله : « ان الوقت قد حان لآل سعود ليشركوا شعبهم في المزيد من السلطة وقال ان الشعب يريد أن يسمع صوته .. وقالت الصحيفة ان وصول ٣٠٠ ألف جندي امريكي للمملكة ركز الاضواء على القضية عند التقدميين والرجعيين على السواء ..وقال رجل اعمال :لقد ايدت القرار الملكي لمواجهة العراق وطلب القوات الاجنبية ولكن القرار كان مثل كل القرارات اعني قرارا اتخذه الملك والامراء وحدهم . واكتشفنا فجأة إلى أي مدى ليس لنا كلمة في مصيرنا (قرار بوش بإرسال القوات صدر من بوش والكبراء ولم يعرض على الكونجرس الذي كان في اجازة. ج) ونسبت للامير عبدالله بن فيصل بن تركي رئيس اللجنة الملكية لينبع انه قال « أنت لا تتكلم عن مجتمع غربي بل عن مجتمع كان خارج هذا العالم لألف سنة. «واكد ان القيادة السياسية تشارك

في السلطة، وقالت ان كثيرا من السعوديين يقولون : حتى التقليديون يريدون أن تكون لهم كلمة في ادارة بلدهم . قال اكاديمي سعودي ان الازمة اثبتت لامرائنا انهم يستطيعون الثقة بشعبهم فنحن جميعا في نفس الجانب ..»[9]

وقد تصادف نشر مقالين في يوم واحد احدهما ليومة الناصرية في صحيفة القدس والاخر في جريدة لوس انجلوس تايمس التي قالت : « ان المحللين الامريكيين يعبرون عن قلقهم من ان تنتهي الحرب دون ان يكون هناك الطرف الذي يمكن اعتباره منتصرا على طول الخط ... بما في ذلك امريكا والسعودية والكويت .. لأن المكسب والخسارة لن يتقررا في الميدان ولكن في التوازن السياسي بين القوى التي ستبقى بعد المعركة .. واذا كانت التوقعات العسكرية تؤكد انتصار الحلفاء فإن الرابح الاكبر سيكون الكويت والحلف الذي تقوده امريكا والمحور العربي الجديد الذي قام حول مصر وسوريا والسعودية . هذا من الناحية النظرية وكذلك فالخاسر سيكون العراق وياسر عرفات واليمن والسودان» ..ولكن هذه ليست نهاية المطاف في ظن الصحيفة الامريكية فهي تقول ان « الكويت والسعودية يواجهان تحديات داخلية وخارجية قد تحولهما إلى خاسرتين في المدى البعيد . فقد تبين ان الكويت تعتمد كلية على الدفاع الخارجي . ومعظم دول الخليج ينفقن مبالغ طائلة على التسليح ومن الطبيعي ان يتساءل الناس ما جدوى ذلك ؟ ومن الطبيعي ان يناقشوا شرعية هذه الحكومات . كثير من الناس في هذه المشيخات سيشعرون بأنهم قد ضللوا» . اما في السعودية فقد نسبت الجريدة إلى «هنري شولر» من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية قوله :«ان العسكرة التي تجري حاليا والتي ستتزايد في المستقبل ستشكل الاغراء وتقدم الوسيلة للجيش لكي يستولي على السلطة من آل سعود» وشبه هذا الخبير الوضع بما حدث في ليبيا عندما وقع انقلاب القذافي بعد عقد صفقات سلاح ضخمة مع الغرب . وقالت الصحيفة «واذا وقعت حرب شوارع ووقعت خسائر فادحة فيجب ان نراقب تأثيرذلك في العالم العربي فالجميع يتحدثون عن تأثير الخسائر الامريكية ولا احد يعير انتباها لخسائر العرب . وعلينا ان نتوقع في حالة وقوع خسائر كبيرة بين العراقيين ان مصر وسوريا ستخسران ما كانتا تتوقعان كسبه من الانضمام للتحالف.»[10]

وكتب هيكل يقول :«السعودية بلد مليء بالديكور التليفزيوني ولكنها مجرد قوة مالية وهي لا تعني قوة اقتصادية بل أرضا هشة وما اعنيه هو صلابة الارض من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية » وقال:« الظاهر بيبرس المملوك المصري هو اول من اتخذ لنفسه لقب حامي الحرمين وليس الملك فهد .» ووضعت الحدود بواسطة ضابط بريطاني كان يسأل صيادي السمك عن

مكان وضع شباكهم حتى يضع خطوط الحدود لاشياء يقال لنا عنها الان انها دول ذات سيادة . . لا توجد شرعية لنظام يقوم على دبابات احتلال ولا شرعية لنظام لا تسنده في النهاية الا القوات الاجنبية » واضاف داعية حرب اليمن حول اشتراك القوات المصرية في الدفاع عن المملكة. . «لابد من معرفة اراء هؤلاء الجنود ولم يسأل احد هؤلاء ولا ذويهم عن رأيهم في المعركة أو ظروفها» (القدس١٦/١)

بالنسبة لكاتب لوس انجلوس تايمس فقد اثير سؤال : ماجدوى الاتفاق العسكري من اول يوم للغزو العراقي؟! ووجه السؤال للامير بندر بن سلطان الذي قال : أولا احب ان انبه إلى انه باستثناء روسيا وامريكا وربما الصين (وأضع خطا تحت ربما) . . لا توجد دولة في العالم تستطيع مواجهة كل الاخطار الخارجية معتمدة على جيشها وحده . وهذه بريطانيا طوال سنوات الحرب الباردة كانت تعتمد على الولايات المتحدة في صد الخطر الروسي ، وعلى هذا الاساس اعطت امريكا قواعد عسكرية وسمحت لها بوضع اسلحة نووية على ارضها ولم يتهم أحد بريطانيا بأنها عميلة للامريكان ، ولا انها لم تقم الجيش القادر على مواجهة روسيا . . أو بددت ميزانية الدفاع! . . ولا أحد يطالب الجيش السعودي بالتصدي لرابع أو سادس قوة عسكرية في العالم أولدولة تفوق تعداده عدة مرات. . ليس في طاقتنا مواجهة مليون جندي ، الف طائرة، خمسة الاف دبابة . . عشرة الاف ناقلة جنود ، عشرة الاف قطعة مدفعية . تشكيل القوات السعودية ، وضع في الاعتبار انها ستكون جزءا من كل أي أنها وضعت في اطار التكامل العربي وليس التقاتل العربي . . يعني لن تنشئ قوات سعودية لتحارب جيشا يضم مليون جندي وخمسة الاف دبابة . . لا توجد دولة في الشرق الاوسط ، تستطيع وحدها مجابهة هذا العدد (أو هكذا كانت الصورة ج) وأعود لحديث التكامل فأقول إن استراتيجيتنا كانت تشكيل القوة الجوية وامتلاك التكنولوجيا المتقدمة التي تسد نقصا خطيرا في القدرة العسكرية العربية وهذا ما نجحنا فيه إلى حد كبير . . فبالنسبة للقوات المسلحة السعودية عندنا تفوق جوي على العراق ، وكان هذا هو السلاح الذي انفقنا عليه الجانب الاكبر من ميزانيتنا العسكرية ما بين الاواكس والترنادو والـ F ١٥ مع التدريب المكثف للطيارين الذين بالمناسبة يضمون نسبة كبيرة من آل سعود (أول طيار أسقط طائرتين مرة واحدة ، كان طيارا سعوديا والحمد لله الذي شهد بذلك هو النيويورك تايمس يوم ٢٥/٤/٩١) فنحن أنجزنا استراتيجيتنا ، وللأسف كان في اطار هذه الاستراتيجية بناء قوة برية ضخمة للعراق وقد انفقنا ٢٦ بليون دولار على بناء هذه القوة التي تحولت ضدنا وطعنتنا من الخلف فاذا كان هناك تقصير

فهو في الثقة أكثر مما يجب في عروبة وحكمة النظام العراقي . واعتقد للاسف ان استراتيجية الدفاع السعودي بل استراتيجية كل الدول العربية ستتغير بعد هذه الحرب!»(من حديث للامير بندر بن سلطان سبتمبر ١٩٩٠)

ومعنى كلام الامير الذي تتفق معه وتؤيده كل المصادر المحايدة أن دول الخليج مهما انفقت على السلاح وبكل الحكمة التي يطالبنا بها الغرب ولا يمارسها (وفضائح البنتاجون اشهر من ان نذكر بها) .. حتى لو تم الانفاق الامثل فهي لا تستطيع الدفاع وحدها عن نفسها وهذه قضية لا علاقة لها بنظام الحكم، والا فما العيب في نظام الحكم البريطاني والالماني والياباني حتى تحتاج هذه الدول قوات ومعدات امريكية دائمة على اراضيها .. وبولندا جرت العالم كله لحرب ضروس لأنها عجزت عن مواجهة الغزو الالماني .. واسرائيل ــ رغم كل ادعاءاتها ــ ابرقت لامريكا في حرب رمضان : أنقذوا اسرائيل الان قبل فوات الأوان ... وفي حرب الخليج اضطرت اسرائيل امام حفنة صواريخ ان تقبل تولي القوات الامريكية الدفاع عنها .وتبين ان اسرائيل بكل ميزانيتها العسكرية لم تستطع حماية سمائها ولا مواطنيها .. ولم يقل احد أنه ثبت انها لا تستطيع الدفاع عن نفسها ولا سقط النظام .ولا استولى الجيش على الحكم . واخطر امتحان لشرعية النظام، هو قدرته على حماية الوطن مهما تكن الوسيلة .. وقد نجحت مشيخات الخليج تحت قيادة البيت السعودي في حماية الوطن وهزيمة العراق فتعززت شرعيتها وهي لو استمرت في التفافها تحت القيادة السعودية وحولها فقد تجتاز بسلام مؤامرات امريكا بعد الحرب .

ومصداقا لحديث الأمير عن القوات الجوية فقد كان الاشتراك الجوي السعودي بمائة وخمسين طائرة في الطلعة الاولى التي تعد اخطر مرحلة في الحرب، خير دليل على ما حققته الاستراتيجية الدفاعية .. وقالت الفاينتشيال :«السعوديون معجبون بسلاحهم الجوي الذي يعد من اقوى الاسلحة في المنطقة .. فهم يفخرون بالدور الذي لعبه الطيران السعودي في الهجوم على العراق.. ولكن هناك احساسا خلف ذلك بالتعاسة لمقاتلة العربي والمسلم»[11]

وكان السيد امين هويدي وزير الدفاع في مصر عقب اكبر هزيمة عربية قبل «أم المعارك» قد تساءل في «الاهالي» عن الصفقات العسكرية التي عقدتها المملكة وقال «ان المفروض ان تتناسب القدرة العسكرية طرديا مع حجم المستورد ولكن الملاحظ ان السعودية لم تكن قادرة على الدفاع عن نفسها خلال الحرب العراقية / الايرانية وفي الازمة الحالية استدعت السعودية قوات امريكية وقوات اجنبية اخرى للحفاظ على امنها ضد العراق على الرغم من الاسلحة الهائلة ..فهل العبرة

بالسلاح أم بالرجال خلف السلاح ٠٠»[١٢]

وهو سؤال جيد جدا لو أنه وجه لحكام مصرالذين كانوا في ١٩٥٦ و١٩٦٧ اكبر مستوردي سلاح بين العرب جميعا . وحققوا ايضا اشنع هزيمتين بل هزموا حتى في اليمن واسروا في المغرب واللاذقية. ٠على أية حال المملكة منذ وجدت إلى اليوم لم تهزم في حرب قط إلا في ١٩٤٨٠ ٠ بصحبة العرب اجمعين !

كذلك وردت انباء عن تسليح المملكة بالصواريخ كما جاء في مقال «جاك اندرسون ودال فان اطا» وهما متخصصان في الوثائق السرية لأجهزة المخابرات الامريكية ٠ وقالا في الوشنطن بوست ان تقريرا يعتبر اكثر من سري جدا من مخابرات وكالة الدفاع عرض على الرئيس بوش والتقرير لا يطلع عليه الا حفنة من كبار المسئولين في الولايات المتحدة ، افاد احدهم ان الامير بندر بن سلطان الذى كان قد عقد صفقة الصواريخ CSS2 مع الصين عام ١٩٨٥ والتي بلغ من نجاح السعوديين والصينيين في كتمانها ان واشنطن لم تسمع بها الا في يناير ١٩٨٨٠ (وهذا يعني ان الامير بندر استطاع ان يكتمها حتى عن البيت الابيض والبنتاجون ثلاث سنوات مما يعزز قولنا بلاهة بريماكوف وتخلفه العقلي الذي قال انه استطاع ان يسبر غور الامير بندر في لقاء واحد ج) ..قال: «استطعت استيضاح اعماق واحد من اهم مصادر معلومات البيت الابيض حول تطورات الازمة في منطقة الخليج »

تابع الكاتبين الامريكيين : «ويومها كتب الملك فهد للرئيس ريجان مؤكدا انها غير مزودة برءوس ذرية ولا تفكر المملكة في الحصول عليها. وتقول تقارير المخابرات الان ان الامير بندر طلب هذه الرءوس الذرية فور الغزو العراقي للكويت وحصل عليها ٠ وتفيد التقارير المخابراتية ان عدداً من خبراء الصواريخ الذرية الصينيين يتدفقون على السعودية منذ اوائل اغسطس وان الخبراء العسكريين الصينيين في السعودية يصل عددهم إلى الف وصل منهم أخيرا مائة خبير ، ومدى الصاروخ ١٦٧٨ ميلا»[١٣]

وتأكد النبأ بما نشر في الاندبندنت التي قالت : « وزارة الدفاع السعودية تقاوم المحاولات الامريكية للكشف على الصاروخ الصيني CSS2 « ريح الشرق» بعد ان قالت تقارير المخابرات ان الصين ربما تكون قد امدت السعودية بنصف دستة رءوس نووية لتركب عليها ويقول الخبراء ان ٣٦ صاروخا من هذا النوع منصوبة غرب الخرج جنوب الرياض وان نصفها مزودة باسلحة كيماوية» [١٤]

«وحسب مصادر البنتاجون فإن السعودية تتفاوض سرا مع الصين منذ شهرين لشراء سلاح ذري.»[1] لماذا لم تضرب المملكة العراق بهذه الصواريخ ردا على ضرب العراق الرياض بصواريخها ؟ .. فهذا سؤال يبحث عن جواب .

اما عن السنوسي والانقلاب العسكري فقد حاولته امريكا في السعودية اكثر من مرة وباءت بشسع نعل كليب .. عائلة السنوسي لم يكن فيها ثلاثة رجال يصلحون أو حتى يطالبون بالعرش فلا تجوز مقارنته بالبيت السعودي ، الذي كان نواة الدولة السعودية والكيان السعودي وأصبح الآن لحمة هذا المجتمع . وبعد نجاح القيادة السياسية في مواجهة الهجمة العراقية ، والمساهمة على جميع المستويات لآل سعود في الحرب في الجبهة فلا حديث عن قلبهم الا في أقبية الـ CIA واحلام مثل هؤلاء الكتاب .

بالنسبة لهيكل فهواستاذ تحريف الكلام عن مواضعه .. والرد عليه :

١- القول بأن السعودية قوة مالية وليست اقتصادية ولا سياسية ..قول لا يستند لا إلى علم ولا إلى صدق .. فالسعودية تتحكم في سعر النفط الذي يتوقف عليه اقتصاد العالم كله .. وما هي القوة الاقتصادية ان لم تكن كذلك .. اما كونها قوة سياسية..فما هو المعيار ؟ أهو من يكسب في النهاية ..السعودية كسبت حرب الخليج إن كان فيها من كاسب! بينما استطاع صدام ان يجند العالم كله ضده وخسر الحرب بما يشبه الفضيحة .ومن قبله خسر عبد الناصر جميع معاركه .. فمن هو الديكور ..ومن هو شاهد الزور الذي يفلسف؟!

٢- اما ان الظاهر بيبرس سبق الملك فهد في لقب «خادم الحرمين» فشكرا ، هذه بشرى خير . الظاهر بيبرس هزم التتار الذين سيطروا ودمروا بغداد وطرد الصليبيين من فلسطين.. على الاقل الملك فهد يسيطر فعلا على الحرمين فماذا عمن يتسمون بصلاح الدين ووزنهم التاريخي والواقعي أقل من كافور الأخشيدي.

٣- اما عن « الضابط البريطاني الذي كان يسأل صيادي السمك عن مكان وضع شباكهم حتى يضع خطوط الحدود لأشياء يقال لنا عنها الان انها دول ذات سيادة .» فهذا يثبت كذب هيكل في نصف مقاله الاول الذي حاول ان يدعي ان منع العراق من «وربة» كان مؤامرة بريطانية لأنه لو كان التخطيط مسبقا لمنع العراق من منفذ على الخليج ، لما احتاج الانجليز لسؤال الصيادين. وحدود العراق رسمت بواسطة مستر خمسة بالمائة الارمني الذي اخرج من جيبه قلما ورسم به خطا على الخريطة وقال : «هذه حدود الدولة العثمانية التي كنا نعرفها وخدمنا فيها » .. كل حدود

الدول العربية رسمها ضباط بريطانيون أو فرنسيون ..بدون سؤال الاهالي .. لا الصيادين ولا الحكام ..اين كنا عندما رسم الانجليز حدود السودان مع فرنسا او حدودنا الغربية مع ايطاليا !

٤ - ثم نصل لخفة اليد عندما يقول « لا توجد شرعية لنظام يقوم على دبابات احتلال ولا شرعية لنظام لا تسنده في النهاية الا القوات الاجنبية »

خفة يد لأنه يخلط بين النظام والوطن ..لا السعودية ولا حتى الكويت طلبت القوات الاجنبية لحماية النظام .. فلو حدث ذلك لصح قوله ان النظام يعتمد على الأجنبي ضد مواطنيه الذين يثورون ضده أو يتهددونه ..والغزو الخارجي لا يهدد النظم بل الأوطان ولا يوجد فاجر واحد يدعي أن النظام السعودي أو الكويتي كان مهددا من الداخل وحمته الدبابات الامريكية ! ولكن ما حدث هو استعانة بالاجنبي لصد خطر خارجي على الوطن، وقد اوضحنا ان كل دول العالم تلجأ لذلك بما فيها نظام سيده الذي استدعى ٧٠ الف سوفيتي ..إن القوات الأجنبية لا تحمي النظام السعودي بل لعلها اخطر تهديد له، ان لم تقل التهديد الوحيد.

٥- ومن العجيب ان الذي ايد ارسال العسكر المصريين إلى الكونغو ولمقاتلة المغاربة ولذبح الشعب اليمني يطلب الان استفتاء العسكر المصريين حول اشتراكهم في الدفاع عن السعودية بموجب قرار شبه اجماعي من الامم المتحدة ..وبأغلبية الجامعة العربية..متى استشرتم لتشيروا ..

وكنا قد كتبنا في ١٩٩٠/١٢/٣١ نقول .. « لرتكب الاعلام في قطر غلطة كلفته غاليا فلم يوجه الدعوة لمحررة امريكية هي جوديث ميلر للعشاء الاميري الذي اقيم تكريما للوفود في مؤتمر القمة فقررت المحررة ان تفرش لهم النيويورك تايمز أو الملاية كما يقول المصريون .. تحت عنوان :«لا شكر للامريكان» كتبت تقول :« البيان الذي صدر عن مؤتمر القمة في الخليج لم يتضمن كلمة شكر واحدة للولايت المتحدة التي تقدم تقريبا كل القوات لحماية هذه البلاد الفاحشة الثراء والشديدة العجز .هناك تفسيرات عديدة لتجنب الاشادة علنا بدور الولايات المتحدة، منها .. الحرج الذي تشعر به هذه الدول من عجزها عن الدفاع عن نفسها رغم البلايين التي انفقت على التسلح فقطر على سبيل المثال كانت ميزانيتها العسكرية ٦٠٠ مليون دولار في عام ١٩٨٩ وهذا يعني ان كل جندي قطري (جيش قطر ٧الاف) يتكلف ٨٥٧٠٠ خمسة وثمانين الف وسبعمائة دولار أو ٦٨٠٠ دولار لكل مواطن. .ولذا فان كل ذكر للقوات الدولية يحرك جرح المواطنين ويدفعهم للتساؤل لأول مرة : ماذا حصلنا عليه مقابل ريالاتنا ..؟!

ونقلت عن دبلوماسي يمني قوله هؤلاء الناس تعودوا ان يستأجروا من يقوم لهم بالعمل ثم لا

يشكرونهم ومعظم حكام الخليج يحسون بنفس الشئ نحو القوات الامريكية فحتي الامير بندر الذي لا يشعر بحرج بل بالعكس من القليلين الذين يعتزون بعلاقة حكومته بالولايات المتحدة لم يزر لا هو ولا غيره الخمسمائة جندي الذين يعيشون في خيام هنا في الصحراء خلال الشهور الاربعة الاخيرة. وفي البحرين دارت معركة في بار بين كويتي وعسكري امريكي لأن الكويتي اصرعلي ان الامريكان مرتزقة . وفي قطر ابعد الصحفيون الامريكان من عشاء الأمير الذي اقيم على شرف الرؤساء بينما دعي اليه الصحفيون العرب . وهذه الدول الخليجية كلها لم تجد حاجة بعد لاعلان التجنيد الاجباري وبريطانيا قدمت عشرة الاف جندي اكثر من مصر التي تساوي بريطانيا في العدد ويفترض ان مصالحها اكثر في تحرير الكويت .[16]

وعلقنا : بصرف النظر عن مشاعر الكابة التي كان الاجدر دعوتها للعشاء بدلا من اهانتها هي والصحفيين الامريكيين ، وفي نفس الوقت تترك تسرح وتمرح وتقابل المسئولين .. ولكن هذا لا يمنع ان نقول كلمة حق وهي ان بعض دويلات الخليج وبعض الشخصيات جعلوا التسليح هو مصدر دخلهم الشخصي فهذه واحدة والاهم انه حسب الارقام التي اوردتها فيمكن القول وبنفس الحسبة ان الميزانية العسكرية للولايات المتحدة يجب ان تكون :(٢١٤٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠) أو ٢١ ترليون دولار — وميزانية الجيش المصري (٤٢٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠ اربعة ترليون دولار) وهذا وضع لا مصلحة في استمراره .ولابد ان تتدخل السعودية مدعومة بالحلف العربي لوضع حد لذلك ، خاصة وان كل الناس يعرفون ان ميزانية تسليح قطر تذهب لجيوب الشيوخ ولوليم قازان الذي سلح الموارنة في لبنان لذبح المسلمين ورسم الصليب على موطن العفة في اخت العراق.. ومن الملاحظ ان الحملة على الانفاق العسكري امتدت حتى الي الصحف السعودية التمويل فقد نشرت صحيفة « الحياة » هذه البيانات الواضحة الدلالة كما يلاحظ انها اثارت مرة اخرى الأتهام الذي وجهته المحررة الأمريكية لدول الخليج وهو عجزها عن الدفاع عن نفسها مع ضخامة الانفاق العسكري واظن اننا ناقشنا ذلك بما فيه الكفاية قالت « الحياة » تحت عنوان :«ملاحظات بعد قراءة في ارقام عربية» : محصلة عائدات الدول العربية النفطية بلغت خلال هذا العقد ١١٢٠ بليون دولارا (تريليون ومئة وعشرون مليار)طبقا لما ذكرته نشرة النفط والغاز العربي الصادرة في باريس .ومن دون التفصيل في تحديد من هي الدول العربية صاحبة الأرقام ، يكفي ان نشير الي موقع اربعة منها :المملكة العربية السعودية ودولة الامارات ، ثم العراق والكويت ، وبين الاخيرتين جاءت ليبيا ، وتحقيقت عائدات الدول الاربع وحدها ما مجموعه ٨٧٥,٩٥ بليون دولار أو ما

يوازي ٧٣.٤ في المئة من اجمالي عائدات النفط العربي في ذلك العقد. • وبناء على الاحصاءات الصادرة عن جهات وثيقة العلاقة مع دول النفط العربي ، فإن عائدات الدول النفطية العربية في عقد الثمانينات ، تسربت في اربع قنوات رئيسية :الاولى وهي القناة الموصلة الى صرفيات شئون الدفاع والامن ، وحازت هذه على ٤٢٦ بليون دولار ، أو ما نسبته ٣٨ في المئة من اجمالي العائدات.

«وإذا كانت ظروف عدم الاستقرار هي التي فرضت الانفاق في مجالات الدفاع الذي لم يستطع ان يحول دون الكارثة التي وقعت في الخليج بعد الغزو العراقي للكويت او لعل الكارثة كانت نتيجة له.»[١٧]

وضنت علينا الصحيفة بتفسير كيف كان الانفاق العسكري سيمنع الكارثة ولا كيف تسبب فيها !

نعود لهيكل الذي استمر يتحدث عن خطأ دعوة القوات الاجنبية وانه كان يمكن الصبر على احتلال الكويت حتى يتشكل جيش عربي • • ويتعامى عن حقيقة انه لو ترك صدام لاحتل المنطقة النفطية في المملكة ولكانت القوات الاجنبية قد دعيت والسعودية محتلة لا الكويت وحدها .

والحديث عن الحل العربي بعد الغزو هو مغالطات لا هدف منها الا تخطئة القرار السعودي والتصرف المصري • كيف يمكن تشكيل جيش عربي يمثل اجماع الامة العربية كلها أو اغلبيتها ، بينما تسع دول عربية لا تريد حتى ادانة الغزو • • فهل كانت ستقاتله؟ ويعزز هيكل الاتهام الموجه لدعاة الحل العربي • • بأنهم لم يهدفوا من دعوتهم إلا كسب الوقت لحساب المخطط الامريكي فهو يتحدث عن الحل العربي ويرفض مطلب الانسحاب في نفس الوقت • • اي حل عربي ومن كان سيقبل اقل من الانسحاب الكامل غير المشروط؛ • ؟! هيكل يقول :«عندما يأتي احد ويطالب دولة بالانسحاب غير المشروط فلابد أن تكون هذه الدولة مهزومة هزيمة مطلقة • •»[١٨]

أو دولة عاقلة تعرف ان ذلك بالضبط هو المصير الذي ينتظر مغامرتها فتجنبه بالاستجابة لقرار الامم المتحدة • • ولا تستجيب لتحريض من يريد خداعها حتى ينفذ قضاء بوش فيها ! • • على اية حال اعترف هيكل أو لعله مهد لما حصل • • لا سبيل الا هزيمة العراق هزيمة ساحقة • • وقد كان • •

وهيكل الذي يعتبر من القلة الذين كانت وفاة عبدالناصر لمصلحتهم تماما يخرج منديله ويبكي على انعدام الرجال فيقول • • «بكلمة من جمال عبد الناصر سقطت الوزارة في دمشق • • •

ربما! فما اسهل سقوط وزارات دمشق .. ولكن كل صيحات عبد الناصر لم توقف محاكمات المهداوي التي اهدرت كرامة عبد الناصر ولا اوقفت الانفصال ولا دعمت حكومة السلال ولا حتي، بخمسين الف عسكري، استطاع ان يبقي اليمني مواطنا يمنيا!

ونعق جون بلوشي « ان الشرق الاوسط لن يعود كما كان أبدا .. السعودية والكويت بما فيهما من فلسطينيين لن تعرفا الاستقرار اذا لم تحل المشكلة الفلسطينية . اما في مصر والأردن وعدد من بلدان شمال افريقيا فإن التيار الاسلامي سيركز على القضية الفلسطينية ولذلك يجب ان يكون هناك مؤتمر سلام .. اسرائيل ستخرج اقوى نسبيا .. الخليج سيعود إلى وضع ما قبل السبعينات حيث تنتشر في أنحائه القواعد الامريكية والبريطانية الجوية والبحرية . وتماما كما كان الحال في السبعينات سترتفع الاصوات مطالبة بالانسحاب (في السبعينات لم تكن هناك قواعد إلا الدائمة في عمان والبحرين لأن بريطانيا انسحبت من الخليج عام ١٩٧٠ ج) والعودة لمبدأ نيكسون وهو البحث عن شرطي من المنطقة .. ايران واثقة من قدرتها على القيام بهذا الدور ولكن لا بريطانيا ولا امريكا متحمس لذلك ولكن لا بديل لأن السعودية تفتقر للارادة والسكان للقيام بهذا الدور . الكويت لن تعود الامارة شبه الاقطاعية ذات الحكم المستبد الذي كانت عليه فقد اتفق الحاكمون والمحكومون في الطائف على دستور جديد والتحرير الكامل للمرأة . . انها السعودية التي يمكن ان تشهد تغييرات اكثر حدة . وقد وعد الملك فهد بمجلس شوري ولكن ربما لا يكون ذلك كافيا لمنع القلاقل .»[19]

ويبدو ان حزب التجمع في مصر قد اخترع له تجمعا في السعودية أو بالمنفى فقد نشرت صحيفته :« دعا التجمع الوطني الديموقراطي في السعودية إلى رفض الهيمنة الاجنبية وانتهاج سياسة خارجية وطنية مستقلة واستخدام عقلاني طويل الأمد للثروة الوطنية وقال التجمع في بيان تأسيسه ان الحاجة في السعودية ماسة إلى انبثاق تنظيم يأخذ على عاتقه مهمة تحقيق الديموقراطية وصيانة حقوق الانسان فيها وتوطيد الاستقلال والارتقاء بتطورها لتكون في مصاف الدول الحضارية القائمة على احترام القانون والقيم الانسانية وطالب التجمع بانتخاب مجلس تأسيسي يقوم بوضع دستور دائم للسعودية ويكفل الحريات العامة وينظم مؤسسات الدولة وفقا لقوانين حديثة ومستمدة من روح الشريعة الاسلامية .»[20]

اما رئيس تحرير جريدة الحياة فالظاهر انه يائس تماما من الوضع أو يعتقد انه اكتشف الحل فهو يعتقد ان النساء كن سيقمن بقيادة الأمة العربية ويتخذن قرارات افضل مما يفعل رجالات العرب

الان « اننا لو سلمنا مسئولية القرار للنساء فقراراتهن لن تكون اسوأ من قرارات الرجال حتى الان وللملك رأي بعضنا ان يتراجع الرجل إلى المطبخ ويترك المرأة تفاوض عنه .» ٢١

وكتبت « تايمس اوف انديا» تقول : «ان العمل الذي تقوده امريكا قد قوى موقف الاصوليين في العالم الاسلامي مما يزيد الفجوة اتساعا بين الحاكمين والمحكومين بشكل خطير ، فصورة الطاغية الذي ابتلع جاره الصغير تحولت بسرعة بتأثير القصف الامريكي إلى القائد الذي تتجسد فيه كرامة وكبرياء العرب والمسلمين .» ٢٢

وقال بريماكوف ان :« أسامةالباز كان يدرك جيدا أبعاد ما بعد الازمة وبشكل خاص احتمالات تدعيم الاتجاه الاسلامي الاصولي »٢٣

وقد سئل الامير بندر بن سلطان : صدرت تصريحات تقول ان امن الخليج واستقراره يتطلبان اقرار الديموقراطية، والبعض يتحدث عن خطر الحركة الاصولية واحتمال خروجها من هذه الحرب اكثر قوة . . فهل تحسون بالقلق ؟!

الاميربندر : «نحن لا نشعر بأي قلق بل اسمح لي ان اقول اننا اكثر النظم استقرارا في المنطقة بل ربما في العالم كله باستثناء بعض الدول والا فالتفت حولك .. اين هو النظام المستقر في المنطقة من تسعين سنة عندما وضع جدي عبد العزيز اللبنة الاولى لهذا الوطن ؟ الجواب : النظام السعودي وحده . . كم من النظم تحدثت عن الاطاحة بنظامنا ثم طواها التاريخ ؟ لقد مرت فترة كنا نهدد فيها بالاشتراكية اوالنظم المتغربة وكلها سقطت . . الآن يتحدث الاعلام الغربي عن حركات الاصوليين ويزعمون انها تهدد المملكة.. ماذا يطلب الاصوليون ؟ انهم يطالبون عين ما كانت المملكة تتهم بسببه بالرجعية ! فهم يطالبون باغلاق المحلات في وقت الصلاة ، يطالبون بمنع الخمر والاحتشام ، يطالبون بتطبيق الشريعة كما هي مطبقة في المملكة .. ولذا فالاصولية كتعبير ديني لا تتعارض مع ما نشعر ونؤمن به المملكة ، وهي حركة منتشرة في كل البلدان التي كانت تعتبر تقدمية في الخمسينات والستينات .. يوم كنا نتهم نحن بأننا اصوليون وكان الشائع ان شاه ايران هو التقدمي والمتنور ، ولذا فنظامه هو الآمن والمستقر .. انظر ماذا حدث للشاه وانظر حولنا في العالم العربي والاسلامي .. كلهم يطالبون بما عندنا . . رجعوا إلى ما حافظنا عليه نحن .. لأنه لا يمكن حكم الناس رغما عنهم ولا ان تكون وصيا على الناس وتحدد لهم كيف يتصرفون في حياتهم الاجتماعية ، ولا تملك حكومة الحق في منعهم من السلوك وفق معتقداتهم . دور الحكام هو خدمة شعوبهم ، واذا كان هذا ما يؤمن به الناس فيجب إذعان الحاكم لارادة الناس .

فالاصوليون يطالبون حكامهم بأن يتبعوا ما تنفذه نحن في السعودية ، ومن ثم فهم لا يشكلون تهديدا لنا ، لأنهم لا يطرحون مطلبا متقدما على نظامنا أو يحرج حكامنا. وهذا هو مفهومنا عن الديموقراطية .. الحكم بما يريده الناس وليس قمع أو اكراه الناس على تشدد ليس من الدين أيضا ولا فرض تمدين يتعارض مع قيمهم وقابليتهم . ولكننا مجتمع متجدد وما تحقق في المملكة خلال الخمسين عاما الماضية تحقق في دول اخرى في مائتي سنة ، وقد سمعت تصريحات الملك فهد عن ضرورة اعادة النظر في كل المؤسسات بما يتفق مع قيمنا وإرادة شعبنا وما كشفت عنه محنة الخليج.»(تصريحات صحفية للأمير بندر في الفترة من سبتمبر ٩٠ / فبراير ٩٩١)

وكان الملك فهد قد أعلن ما يمكن وصفه بالمبادئ الأساسية لسياسة المملكة في ازمة الخليج والوضع الداخلي ويمكن اجمالها في :

- التمسك بالانسحاب الكامل بدون قيد ولا شرط ورفض المفاوضات .
- التأكيد على عودة القوات المساندة فور انتهاء الازمة .
- اعادة النظر في كل النظم والاوضاع في المملكة مع استمرار الالتزام بالقرآن والسنة.

كما ادلى بتصريح اثناء استعراضه للقوات في الجبهة قال فيه :

«ومع ذلك فليس الوقت وقت الاسف والتأسي على ما كان ، واذا كان النظام العراقي يتحمل وحده المسئولية الكاملة عن هذه الأزمة فلا يعني هذا اننا لا نطالب بمراجعة اوضاعنا واعادة ترتيب امورنا واتخاذ العبرة مما حدث . وفي هذا الاطار لابد لنا من اتخاذ كل ما ينبغي عمله لتقوية مجلسنا هذا ..

«فعلى الصعيد السياسي لابد من زيادة التنسيق والتعاون ..

«وعلى الصعيد الاقتصادي لابد من الاسراع في خطوات التكامل وبناء السوق الخليجية المشتركة..

- وعلى الصعيد الامني لابد من تحقيق الدفاع الجماعي والبناء العسكري ..
- ولابد لنا في هذا المقام من ان نعترف ان النظام العربي قد فشل في مواجهة الكارثة التي حلت بنا ولم يساهم بمعالجتها الا بالنزر اليسير، ولعل الدرس الذي نستخلصه مما حدث هو ان التعاون بين الاشقاء يجب ان يكون من خلال مؤسسات عربية تعمل بالشكل العلمي السليم ..
- وتأتي في طليعة اهتماماتنا اقامة تعاون اقتصادي بين الدول العربية يعمل على تطوير الهياكل الاقتصادية وتبني السياسات الانمائية الكفيلة بتحقيق الحياة الكريمة للانسان العربي .

• وعلى الصعيد الدولي فإننا جزء من هذا العالم الذي يشهد تشكيل نظام جديد للعلاقات بين الدول والامم وينقلها الى مستوى اكثر رقيا وارسخ سلاما ويسعى لحل الازمات سلميا. .»[24]

وقال الملك :« لقد قلت اننا على وشك الانتهاء من المراجعات النهائية للانظمة التي وضعت على قواعد واسس اسلامية وسيقوم مجلس الشورى بمهماته في مساعدة الدولة ومساندة مجلس الوزراء وسيعاد النظر في الانظمة الاخرى بما يخدم مصلحة المواطنين وستكون هناك تسهيلات مبنية على نظم واضحة وجلية وستخدم تلك النظم المصلحة المتطورة في جميع المجالات . »[25]

وكان الامير بندر قد قال في وقت مبكر (اغسطس ١٩٩٠) :«ان الغزو العراقي قد اسقط صيغة العمل العربي التي كانت مطروحة في الساحة منذ الستينات والتي تعرضت لإخفاقات متوالية من خلال المغامرات العسكرية واستغلال الشعارات في تحريك الجماهير من اجل اهداف وقتية وشديدة الخصوصية ، لا اقول انها حتى اقليمية بمعنى انها تخدم بلدا عربيا واحدا بل لم تكن الا محاولة لخدمة هذا الزعيم اوذاك . . واذا كانت الجامعة العربية ستعود ـــ وهي لابد ان تعود ـــ فلابد من صيغة جديدة تجعل لقراراتها استانا ، اما عن الوضع العربي فقبل الغزو كانت الصورة تبدو مبشرة بقدرة العرب على مسايرة التغيرات العالمية ، انتهت الحرب الايرانية – العراقية التي استنزفت طاقات العرب و انتهت ازمة الجامعة العربية بعودة مصر، واستئناف العلاقات بين مصر وسوريا، . وصفيت الاجواء بين مصر وليبيا وتحسنت بين مصر والسودان وتحققت وحدة اليمنين (التي بالمناسبة لا يمكن إلا ان تؤيدها المملكة لأنها تصفي مصدرا من مصادر التوتر على حدودها، ولأن المملكة مع كل وحدة عربية تزيد القدرات العربية، ولكن البعض يصمم على ان يجعل كل وحدة بين بلدين عربيين إما نكاية أو تهديدا لبلد عربي اخر !!) وبدأ انتشار التنظيمات الاقليمية (التي أنشئت على غرار مجلس التعاون الخليجي) والتي تشكل الخطوة العملية للوحدة الشاملة. . باختصار كان العالم العربي في واحدة من لحظات تقاربه النادرة . فماذا حدث بالغزو ، حدث ما اشرنا اليه من تخطي الجامعة العربية في الافعال والقرارات وحشد الجيوش العربية في مواجهة بعضها البعض والتوتر على الحدود والتمحور في اسوأ صوره »[26]

ونقلت «صوت الكويت» عن الفيجارو تصريحا للامير سعود الفيصل قال فيه: «نحن مهتمون بنظام عربي جديد اكثر من حفظ ماء وجه شخص . . اننا مهتمون بالخروج من هذه الازمة من خلال اسهامنا بنظام عربي جديد . »[27]

ورغم اننا اول من قال – ولايزال – بتآمر امريكي على النظام السعودي ، فإننا نعتقد ان العائلة

السعودية لا تضرب الا من داخلها .. واذا كانت الاصلاحات الداخلية هي من صميم شئون وقدرات السعوديين .. الا ان ما تملك قوله قد قلناه من ثماني سنوات وهو ارتباط المصير المصري والسعودي وان تضامن البلدين ليس لصالحهما وحدهما ، بل لصالح العرب جميعا ،ولست اجد ما اقوله اليوم الا ان اكرر نفسي .. ولشد ما اكره ان اكرر ما اقول ولكن ما حيلتي .. لقد قلت تحت عنوان : «ضرورة الحلف المصري – السعودي ..إن تعريب النفط ، سيمكن المجموعة العربية من ضبط إنتاج وسلوك المشيخات والشاهين ، كما سيفرض على الدول المعادية حساب مخاطر المواجهه العسكرية مع المجموعة العربية وليس مع دول قليلة العدد ضعيفة العدة .. ولسنا نزعم أننا نملك حلا يكفل الحماية الكاملة ، ولكن ما نفكر فيه هو تقليل المخاطرة ، وجعل ثمنها فادحا على العدو .. وما نعنيه بتعريب النفط ، هو جعله قضية كل العرب ، يشتركون في تخطيط استراتيجيته، ويتشاركون بنسبة ما بطريقة ما في عائده ، ويتحملون – كل قدر طاقته – مسئولية الدفاع عنه .

- وهذا الموقف العربي – كما قلنا – لن يتشكل إلا حول نواة مصرية – سعودية ، وقد ناقش الاستراتيجي الامريكي «كوانت» عضو مجلس الأمن القومي في عهد كارتر العلاقات المصرية – السعودية في كتابه « السعودية في الثمانينيات » قال : «من ١٩٧٢ الى١٩٧٧ كان الحديث يجري حول محور مصري – سعودي ، وتطلع بعض السعوديين إلى خلق مركز قوة عربي مستقر ومعتدل بقوة مصر وأموال السعودية ، مع علاقة خاصة بالولايات المتحدة ، الأمر الذي يحقق أفضل ضمانة لأمن السعودية ، ومن مصلحة السعودية ألا تكون ضدها القوات المسلحة المصرية التي تشكل أضخم قوة عسكرية في الوطن العربي ، وقد عبرت مصر عن رغبتها في تقديم مساعدات عسكرية للصومال والسودان والمغرب وحتى العراق وهذا يتماشى مع سياسة السعودية التي تدعم هذه النظم».

ثم يشير إلى الحقد السعودي من تجربة غزو محمد على للسعوديه وحرب اليمن .. ولا بأس أن نقف هنا لحظة عند قوله إن السعوديين لا ينسون « الغزو المصري » في القرن التاسع عشر وكذلك حرب اليمن .. !!

وهذه «الأحقاد» هي من زرع المدرسة الاستعمارية البريطانية بالذات ، ثم غذتها مجموعة المرتزقة من الكتاب الشوام ، وكان الهدف بالطبع هو منع اللقاء المصري – السعودي وذلك لخدمة المصالح الاستراتيجية العليا للاستعمار أو لخدمة المرتزقة من العناصر الشامية التي تخشى مزاحمة

المصريين . وقد فندت في كتابي (القومية والغزو الفكري ١٩٦٧ والسعوديون والحل الاسلامي ١٩٨٠) هذه الخرافة ، واثبت ان الجيش الذي غزا السعودية في عهد محمد على لم يكن مصريا ، فالجيش المصري لم يتشكل إلا في عام ١٨٢٤ والحرب في الجزيرة انتهت في ١٨١٨..!! أما حرب اليمن ، فقد قلنا وجهه نظرنا فيها في اكثر من موضع ورفضنا بكل قوة موقف السلطة المصرية . وفي السياسة - كما قيل - لا توجد احقاد ولا ثارات ، ولا حتى عداوات دائمة بل مصالح، ومصالح مصر والسعودية متفقه تمام الاتفاق ، بحيث أن الخلاف هو العارض والمؤقت ، واللقاء هو المعقول والمطلوب ، والجدير بالدوام .

وينبه «كوانتدت » الى ارتباط المصالح النفطيه السعودية باستقرار الاوضاع في مصر، فالسعودية المستخدم الاول لقناة السويس من ناحية تصدير النفط أو استيراد احتياجاتها، ولكن العلاقة دخلت مرحلة جديدة عندما تزايد الخطر حول مضيق «هرمز» الذي يعبر منه كل نفط دول الخليج باستثناء العراق ، ففي خلال الفترة القصيرة التي تعاون فيها النظامان السعودي والمصري (السبعينيات) تم بناء خط «سومد » الذي تمتلك فيه السعودية ١٥ بالمائة والذي ينقل النفط السعودي من ميناء السويس إلى ميناء غرب الاسكندرية وفي عام ١٩٨٠ كان ينقل ١.٥ مليون ب / ي ويمكن رفع طاقته إلى ٢.٤مليون ب/ي . كذلك أتمت السعودية مد خطين (بترولين) عبر الجزيرة العربية لنقل النفط السعودي ، بعيدا عن مضيق هرمز ومتاعبه ، رأسا إلي ينبع حيث ينقل من هناك إما عبر قناة السويس أو في خط «سومد » المصري - السعودي . وينقل الخطان ١.٨ مليون ب / ي ويمكن زيادتها الى ٢.٣٥ مليون ب/ي بل والي ٤ ملايين ، وهو ما يكفل الحد الأدني للاستقرار الاقتصادي للمملكة . وهذا يوضح الارتباط الطبيعي والمفترض بين الرياض والقاهرة ، بل وتناقض المصالح السعودية - الليبية على مستوى النفط لأن النفط السعودي على البحر الابيض يشكل مزاحما مهما للنفط الليبي .. ومن ثم يبدو غريبا أن تستجيب السعودية للغواية الليبية التي تريد اغلاق البحر الاحمر وقناة السويس لخنق النفط السعودي في مضيق هرمز .. »(والاعجب ان تستجيب مصر للغواية الليبية حيث كل المصالح متعارضة ج)

يقول كوانتدت : « يتساءل الكثيرون لماذا اختارت السعودية أن تنأى عن مصالحها الواضحة مع مصر وتتحالف مع المتطرفين المرتبطين بالاتحاد السوفيتي» ؟

وهو سؤال محير ، والاجابة عليه تملأ مجلدات .. وتتضمن العديد من العوامل وياليت المثقفين في مصر والسعودية يتفرغون لدراسة موضوعية للعوامل والقوى التي حرصت على زرع الخلافات

وافتعال الحوادث والازمات ، ، وعندها ستكتشف العجائب .. وتشير هنا الى واقعة هايشية جدا ولكنها تستحق التفكير فقد ذكر كواندت في صفحة ١٨٠ التالي «الملك فهد هو أقل عداوة لمصر من كثير من السعوديين ، وقد استاء شخصيا من انفراد السادات بقرار المبادرة ، ومهاجمته للنظام السعودي ، ولكنه استاء بالذات عندما اعطى السادات حديثا لصحفي كويتي وصف فيه السادات الملك فهد بأنه « .....» وفي البداية رفض الامير (الملك فيما بعد) فهد أن يصدق صدور ذلك عن الرئيس السادات حتى اشترى شريط التسجيل للمقابلةمن الصحفي الكويتي ، وسمع صوت السادات بنفسه . . . »!!

وقيل ان الثمن كان مليون دولار وخراب العلاقات المصرية السعودية عشر سنوات ! هل يمكن أن يكون هذا التصرف من الصحفي تصرفا بريئا ؟!وخاصة أنه كان من أشد المقربين للسادات ، وأنه وحده انفرد بالدفاع عن السادات وعن المبادرة وعن الصلح مع اسرائيل ، وانه وحده فصل من نقابة الصحفيين الكويتيين لأنه دعا للتطبيع أوزيارة اسرائيل قبل السادات بل وقبل حرب اكتوبر!..

(مصادرنا تؤكد – بعد التحريات التي اجريناها منذ نشر هذه القصة ان التسجيل لعب فيه وان الكلام عن الملك فهد أضافه شخص اشتهر بتقليد السادات وياليت المسئولين السعوديين يجرون تحقيقا في هذا الامر لتبرئة ساحة رجل كان يحب السعودية والملك فهد بالذات ج مايو ١٩٩١)

لابد من دراسة دقيقة موضوعية للقوى التي لم تبخل بجهد لافساد العلاقات المصرية – السعودية ، وهل هي مصادفه أن تكون أول مؤامرة سعودية مزعومة ضد عبد الناصر يبلغها له متهم بالخيانه زوج يهودية غادرت مصر فجر الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وطرفها الآخر مشبوه على صله وثيقة بالمخابرات الامريكية بل وتحركه احقاد طائفية .. وآخر «وقيعة» هي تلك التي قام بها صحفي كويتي مشبوه المواقف ؟!ولابد أيضا ، بل وأهم ، السمو فوق هذه المؤامرات وتقديم الدائم على العارض ، فمصلحة السعوديه ومصلحة مصر ومصلحة العرب والاسلام هي في التحالف المصري–السعودي.. ففي ظل هذا التحالف كما قلنا قامت الجامعة العربية ووضعت أسس الرفض العربي للظلم الصهيوني ، وتحررت مصر والسودان وليبيا والمغرب وتونس والجزائر واسقط حلف بغداد وأخرج الانجليز من الاردن ...» [٢٨]

ان هذا التحالف المصري مهدد بالتآمر ضده من كل القوى التي تريد التحكم في الشرق الاوسط واستنزاف النفط العربي وعائدات النفط العربي ،مهدد من الطائفيين واعداء الاسلام الذي تمثله المملكة ومصر . . وللأسف فإن معظم الذين يسيطرون علي الاعلام الخارجي للمملكة هم

من هذه العناصر .. يشد ازرهم في الاعلام المصري اللذين يريدون افقار مصر وتمزيقها لمآرب خاصة وحزبية أو في اطار الفتنة ..

الفصل الثامن

الكلب الذي ذبحوه !!

أولا عنوان هذا الفصل ليس من اختراعاتي تماما ، ولا قصد به أي اهانة . . وانماالفكرة فيه استوحيتها ممن لا يعصى له امر ولا يرفض له نعت . . الجنرال شوارتسكوف مدمر وفاتح العراق ، ومدمر و محرر الكويت . . فقد استعرض القوات الكويتية قبيل الهجوم وادهشه قلة عددهم مع أن المفروض أنهم اصحاب القضية ، فأراد الجنرال مجاملتهم فقال:« ليس المهم حجم الكلب وانما المهم حجم القتال في قلب الكلب . . »

اعجبني تشبيهه الكويت بالكلب . . وتذكرت على الفور مثلا وحكاية . . المثل هو:« الجنازة حارة والميت كلب . . » كناية عن تفاهة القضية وخطورة ما تسببه . . والحق انه ما من قضية كانت اهون في ذاتها على العرب والعالم من احتلال الكويت ولكن الجنازة التي اقامها بوش وتاتشر ستصيب بشرورها العالم كله ولسنين طويلة قادمة . . اما الحكاية فهي عن تدريب او استئناس القرد الذي عندما يصيدوه يرفض ان يستجيب لتوجيهات مدربه ، فالقرد لأنه اذكى حيوان باستثناء الانسان يرفض التبعية والانصياع لأسره، ولا يجدي معه تجويع ولا ضرب في المرحلة الاولى وقبل ان يكسر انفه ويذل قلبه. ولتحقيق هذا الهدف يحضر المدرب كلبا ويطلب منه القيام بالالعاب التي يطلبها من القرد . وبالطبع لا يفهم الكلب ولا يلعب . ويتظاهر المدرب بالغضب ويذبح الكلب امام القرد ويشل الرعب قدرة القرد على الاعتراض ويفعل كل ما يؤمر به بعد ذلك . . وقد كانت الكويت هي الكلب الذي ترك بوش العراق يذبحه لارهاب العالم كله وليس الخليج وحده . .

وهذا يقودنا إلى السؤال . . هل كان تحرير الكويت يستحق استدعاء المملكة للقوات وتعريض المنطقة لما تعرضت له ؟!

وصحيح اننا اجبناعن هذا السؤال مرة في اسم الكتاب ومرة في اطار اثبات ان استدعاء القوات كان لحماية المملكة وليس لتحرير الكويت فربما لو كان الأمر يمكن ان يقتصر على احتلال الكويت لفضلت المملكة ان يحل الأمر داخل الاطار العربي بوسيلة أو اخرى . . مع التأكيد بأنها ما كانت لتقبل الاحتلال العراقي ولا كان بوسعها التعايش معه، ولكن اسلوب المواجهة كان

سيختلف . .

على اية حال لا بأس من بعض كلمات عن الكويت . .

وهنا أتذكر على الفور فيلم إي تي فعندما سئل المخرج كيف ولماذا صنعت البطل وهو هذا المخلوق القادم من الفضاء بكل هذا القبح ؟! قال . . اردت ان اقدم شخصية قبيحة إلى الحد الذي لا يمكن ان تحبه إلا امه افجاء به بشع الملامح كما لاحظ الذين شاهدوا الفيلم. ويمكن القول فعلاً ان الكيان الكويتي هو كائن لا يمكن ان يحبه الا أمه . . اي بريطانيا ثم الكويتيون درجة اولى . . لما كان يحققه لهم من دخل اشبه بالاختلاس بلا عقوبة حتى الثاني من اغسطس . . وقد ساعد هذا المال على تورم الشخصية وتعفن العقلية الكويتية وتعطن الضمير والخلق . . . الا فيما ندر . وكما قلت اكثر من مرة لو كانت عملية صدام ستقتصر نتائجها على ازالة الكويت لفرح نصف العرب ولا اهتم النصف الاخر . . ولكن الغزو اثار قضايا عديدة منها مفهوم القومية العربية وعلاقة الدول العربية ببعضها والشرعية ورفض مبدأ حل الخلافات بالقوة ، بالاحتلال . خشية ان يطبق علينا قلنا اقوى حيوان في الغابة . ثم تطور الأمر على نحو خطير بالقدوم الأمريكي واتضاح نوايا الأمريكان التي وجدت مبررا لتنفيذها بالاحتلال العراقي للكويت. . وبالنسبة للسعودية فلم يكن آل صباح لا بالصديق ولا بالجار المحتل أو حتى الكافي خيره شره وقد ذكر هيكل انه خلال اجتماعاته مع الكويتيين قبل الحرب استعرضوا معه قائمة الاعداء التي يستعدون أو يتسلحون لمواجهتهم فجاءت السعودية على رأس القائمة!

وهذا صحيح . . فالكيد الكويتي للمملكة ولعبة التوازن التي جعلت الكويت تفوز بلقب الحرباية او الحواقة كما سماها الريحاني ـ هي لعبة قديمة منذ مبارك وعبد العزيز . واستمرت من يومها بتشجيع من الانجليز وبحكم الانتفاخ الكويتي . وكانت الكويت هي التي نسفت كل محاولات المملكة لتكوين قوة دفاعية خليجية أو نظام امني بحجة النظام الديموقراطي في الكويت!!

وكان مجلس التعاون مسرحا لهذه المسلكية الكويتية التي ادت للأسف لمنع دول الخليج من تنسيق عمل دفاعي يحمي امنهم وقد كتبنا منذ ست سنوات نقول : « في مؤتمر دول الخليج الأخير حاولت السعودية «انشاء قوة دفاع مشتركة تتراوح ما بين عشرة آلاف وثلاثة عشر ألف جندي ، ولكن الاتفاق لم يتم لأن الكويت تريد الاستمرار في لعبة التوازن وعدم الارتباط ، ولأنها تعترض على جنسية القائد ولا تقبل أن يكون سعوديا ، كما هو المفروض ، وكما تطالب بقية المشيخات،

ورغم تنازل السعودية عن منصب السكرتير الدائم؛ بل وحتى عن مبدأ التناوب . وكانت هناك فكرة في الدورة الأخيرة أن لا يجدد للسكرتير الكويتي ويعين «بحراني» لما لذلك من مغزى، ولكن الكويت أصرت وجدد لمندوبها . كما تنازلت السعودية عن مشروعها في طرح عودة مصر للجامعة العربية، رغم أنها كانت قد اتخذت قرارا بذلك كما صرح لي مصدر سعودي كبير جدا قبل انعقاد المؤتمر، ولكن الكويت عارضت، والغريب أنها سربت إلى الصحف الأمريكية خبرا يقول إن السعودية هي التي عارضت «وبقوة» الأمر الذي اضطر السعوديين لاصدار بيان توضيحي ينفي ذلك !

كذلك رفضت الكويت الموافقة على اجراءات تشكيل قوات الدفاع الخليجية المشتركة. بل حرصت على اعلان معارضتها، فما أن أذيع تصريح الملك فهد عن هذه القوات حتى انبرى وزير خارجية الصين ..«عفوا اقصد الكويت .. العظمى .. انبرى يوضح ويصحح! وبمقارنة تصريحات الملك فهد عن قوة الدفاع الخليجية المقترحة . وبيان أو توضيحات المتحدث الكويتي لا نلاحظ – فقط – تباين وجهتي النظر . بل حرص المتحدث الكويتي على إلقاء ماء بارد على التصور السعودي . وتأكيد ابتعاد الكويت عن هذا التصور.

فالملك السعودي قال وهو يعلق على انجازات اجتماع القمة لمجلس التعاون الخليجي : وفيما يتعلق بتنسيق الدفاع . فقد تدارس المجلس في دورته هذه كل ما يدعم الامن الجماعي لاعضائه . في اطار القوة الدفاعية لكل دولة . داخل تقدير مشترك . وهذا ينبع من تقدير جاد للمسئولية نحو شعوبنا والشعوب العربية الاسلامية وما أحب أن أؤكده انه بحبنا غير المحدود للسلام والاستقرار بين الأمم فمن الضروري أن نبني قوة دفاعية لحماية اوطاننا ومنجزاتنا وقهر ومقاومة كل معتد أو عدو وضمان الأمن والاستقرار لشعبنا فلا مكان في الخليج لأي تدخل أو نفوذ أجنبي ..»

واضح أن الملك يعطي أهمية كبيرة للقوات المشتركة المقترحة . ويركز على الأمن الجماعي، والاستقرار والامن لكل دولة داخليا وخارجيا، ويتحدث عن مقاومة التدخل وايضا النفوذ الاجنبي، ويربط ذلك كله بالقوات المشتركة المقترحة بينما حرص المتحدث الكويتي على:

١– نفي العمل الجماعي،

٢– ان القوات ليست دائمة بل تشكل – إن تشكلت – بقرار ولفترة محدودة ويجدد لها.

٣–لا حق لها في مواجهة أي اضطراب داخلي .

٤– لن يكون لها وجود حتى في الفترة المحدودة هذه بل تستدعى عند الحاجة اي شبيهة

بالقيادة العربية المشتركة .. تشكيل فوقي بلا قوات ..

وبينما جعل الملك هذه القوات الموضوع الأول في حديثه عن الاجتماعات .. قال عبد الله بشارة للصحفيين .. ان قرار القوات المشتركة هو قرار رمزي ..

«والغريب أن وجهة نظر الكويت هي التي انتصرت فلم تتشكل لا قوات ولا قيادة . ونفس الموقف اتخذته الكويت من اتفاقية الأمن التي اقترحتها السعودية وايدتها بقية الدول الاعضاء منذ ثلاث سنوات ولم تحقق بسبب «الفيتو» الكويتي . لانها تهدد نظامها الديمقراطي ، وكذلك دستورها ارغم أن الملك فهد قال في اجتماع البحرين الماضي إنه مستعد لاعطاء تعهد بأن الاتفاقية لن تطبق على أي نشاط سياسي أو دعائي ضد المملكة، والمملكة لن تحتج على مثل هذا النشاط في الكويت أو البرلمان البريطاني .. اقصد الكونغرس .. عفوا أعني ديوانية الريان أو مجمع الحويات المسمى برلمان الكويت.

ولن تطلب السعودية – قال الملك – تسليم أو محاكمة أي سياسي مقيم أو لاجئ في الكويت وأن الاتفاقية لا يقصد بها الا مكافحة الجريمة واللصوص والمهربين الاجانب ولكن الكويت التي كادت تزول كدولة بانفجار بضع قنابل .. ويتملكها الخوف فلا تطبق ولا حتى تنفيذ أحكام محاكمها .. الكويت هذه ترفض اتفاقية الأمن . وقد تجاوز الأمر في هذه المرة حدود المجاملات المعتادة . فالملك كان على رأس الوفد السعودي وفي ضيافة الكويت . واذا برئيس ديوانية الحويات يقف وأثناء وجود الوفد السعودي ليطمئن النواب على الديمقراطية الكويتية (....) من الاستبداد السعودي فيقول ـ كما حرصت وكالة الانباء الكويتية على اذاعته بالحرف الواحد ـ « انكر محمد يوسف العدساني رئيس الجمعية الوطنية الكويتية أية مخاوف من تأثير مجلس التعاون الخليجي على الديمقراطية الكويتية وقال في مقابلة صحفية ..إن مجلس التعاون قد مر عليه خمس سنوات . دون أن يؤثر على الديمقراطية الكويتيه (.....؟؟!!!) وهذا ينبع من الاحترام المتبادل بين الاعضاء (يعني الكويت تحترم ديكتاتوريتهم وهم يحترمون ديمقراطية الكويت .. التي ألغاها المرحوم صباح السالم بأصبعه.. وهو رحمه الله .. ولا بلاش ..)

وقال رئيس المجلس الوطني الكويتي عن اتفاقية الأمن المقترحة بين دول التعاون أنها ستوقع إلا إذا .. نعم إلا إذا .. كانت تتناقض مع الدستور الكويتي !

ومن قبل عندما تعرضت الكويت لاختراق مجالها الجوي ، قدمت لها السعودية كل المعلومات المتاحة من طائرات الاواكس ولكن الكويت رفضت توقيع اتفاقية تنظم تبادل المعلومات ، حرصا

على السير على الحبل أو عدم الانحياز .. ويتساءل السعودي بل كل العرب : انحياز ضد من ؟ ومع من ؟! ورحم الله الملك فيصل الذي قال لشيخ الكويت انتم تصدرون قرارات لا تصدرها الا دولة عظمى هل نسيتم انكم من عنيزة ؟ .(ص٥٥-٦١ من كتاب قيام وسقوط امبراطورية النفط الصادرفي يناير ٨٦)

وهل افاد ت تجربة الخليج ودور المملكة في تقويم الخلق الكويتي ؟! أم عادت ربما لممارسة دورها التاريخي وهو أن تكون رأس جسر للاستعمار والداعية لدخوله المنطقة وتمكينه فيها؟!

فبعد إعلان دمشق الذي لعبت المملكة دورا كبيرا في اصداره والذي نص في مادته الثانية على:« الالتزام بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين الدول العربية وعزمها على العمل المشترك لضمان أمن وسلامة الدول العربية . واذ تشير على وجه الخصوص الى المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية تعتبر ان وجود القوات المصرية والسورية على ارض المملكة العربية السعودية ودول عربية اخرى من منطقة الخليج تلبية لرغبة حكوماتها بهدف الدفاع عن اراضيها يمثل نواة لقوة سلام عربية تعد لضمان امن وسلامة الدول العربية في منطقةالخليج ونموذجا يحقق فعالية النظام العربي الدفاعية.» (هذه الصيغة العجيبة :« دول اخرى ..» أصرت عليها الكويت وظاهرتها البحرين لأن الكويت رفضت الاعتراف بوجود لهذه القوات على اراضيها بينما لم تجد المملكة اي غضاضة في ذلك .. ولا عجب فالكويت هي الدولة الوحيدة في العالم التي تسبق اسمها كلمة دولة .. والمعروف لا يعرف !)

وكانت خطة السعودية ومصر هي تشكيل نظام أمن اقليمي ، يسقط حجة الأمريكان في البقاء بعد تحرير الكويت . ولكن الولايات المتحدة أوعزت للكويت لتحطيم هذا الترتيب وطلب البقاء الدائم للقوات الأمريكية وقد اعتمدت الكويت في ضرب الموقف المصري السعودي على تمزيق وحدة دول الخليج بالتحالف مع البحرين .[1]

ولعبة الديموقراطية في الكويت لم تظهر الا لمواجهة التهديد العراقي في زمن عبد الكريم قاسم ، فقبل ذلك كان شيوخ الصباح يشنقون معارضيهم كما حدث في الثلاثينات ويطلقون في الطريق العام ـ اي يجلدون ـ المواطن الذي يتخطى سياراتهم .. ثم اصبحت الديموقراطية للشغب مع السعودية ، والتصدي لمطالب العراق ، والتشهير بالمعونات الكويتية للدول العربية ، واحيانا منعها نزولا على مطلب نواب الشعب أو الحويات في ديوانية آل الصباح .وحتى بعد ان اصبحت الكويت تحت الحذاء العراقي وتحول شعبها وحكومتها إلى لاجئين في المملكة تجد شخصا مثل وزير

التعليم السابق في حكومة الكويت ورئيس لجنة « حرروا الكويت الان » يقول في مقابلة مع شبكة الاذاعة العربية بالولايات المتحدة:«ان اي تنظيم اقليمي للامن في الخليج يجب ان يضم ايران ولن ينجح الا إذا اقتصرت عضويته على الدول الديموقراطية التي تحترم حقوق الانسان لمواطنيها (١١/٥) ومعظم الضجة القائمة الان في الكويت ومن خارجها حول الديموقراطية وحقوق المرأة هو لمنع اي تنسيق خليجي بقيادة السعودية ومن باب اياك اعني واسمعي ياجارة ٠٠

« ينتظر ان تحث (امريكا)العائلة الحاكمة (الكويتية) على الديموقراطية ولكن بهدوء حتى لا تزيد اضطراب الكويت ولكي لا تثير المملكةالمتصلبة المجاورة في السعودية ٠ »[2]

« كثير من الكويتيين يعتقدون ان آل صباح يتعرضون لضغط من آل سعود بعدم التخلي عن الحكم التقليدي لكي لا يضربوا مثلا لجيرانهم »[3]

وكتبت الواشنطن بوست ٢٠/٥/٩١ تقول :«وهناك تقرير يفيد أنه في اواخر مارس بعدما انتهت الحرب ، ابلغ الملك فهد ، برنت سكوكروفت مستشار الأمن القومي للرئيس بوش ، ان المملكة تطلب من الولايات المتحدة وقف ضغطها من اجل الديموقراطية في الكويت ٠ والسبب هو ان الملك لا يرحب بمثل هذه الافكار الخطرة على حدود ملكيته المطلقة ٠لسوء الحظ ولا حكومة في المنطقة مهتمة بالتغيير من اي نوع ٠ »

ولا حاجة للحديث عن فحش المعاملة الكويتية للمواطنين العرب وبعضهم في الكويت قبل ان يولد نصف شيوخ الصباح الحاكمين وقد قال فلسطيني :« اضطهاد ابناء العرب في الخليج اشد بكثيرمن الاضطهاد الذي يلاقيه الفلسطينيون على ايدي الصهاينة في فلسطين»[4]

ومع ذلك فقد كانت اوضاع الفلسطينيين في الكويت هي الافضل بالنسبة لبقية العرب، بحكم قدم وجودهم وقوة علاقاتهم مع الشيوخ (الذي يدير استثمارات جابر الاحمد فلسطيني ٠٠ وهناك اكثر من سفير للكويت من اصل فلسطيني ٠٠وجهاز المباحث الذي انشأه الانجليز في الكويت اعتمد اساسا على الفلسطينيين الذين اتى بهم الانجليز من فلسطين تحت الانتداب ومع تصفية الانتداب ٠وقد كانت مهمة هؤلاء لسنوات عديدة هي حماية أمن الشيوخ ونظامهم ٠) ولكن اهم من ذلك كله هو الارهاب الفلسطيني فمنذ انشاء منظمة فتح ، توقفت الاعتداءات على الفلسطينيين٠ ٠ وعاملتهم الدولة الكويتية معاملة خاصة بينما تدهور وضع المصريين مع انهيار وضعهم الاقتصادي ومع تضعضع هيبة مصر ٠٠ ومازالت هذه المسلكية حتى بعد الزلزال وفي ظل الاحتلال لقد اشارت الاهرام إلى اهانة مسئول عسكري كويتي للاطباء المصريين العسكريين الذين

يعملون في المستشفى العسكري الميداني بحفر الباطن وقالت ان حكومة الكويت تدفع للطبيب المصري الذي يعمل في حفر الباطن على الجبهة مع الطبيب الكويتي الفا ومائتي ريال بينما زميله الكويتي يحصل على ١٨ الف ريال شهريا ٠٠!!» *

وقد علقنا يومها :« وهذه التفرقة في الأجور إذا كانت مقبولة في مدينة الكويت زمن السلم ا٠٠ فهي خطيرة ومرفوضة في الميدان حيث الرصاص لا يميز بين طبيب اصيل وطبيب وافد»(١١/١٠)

وبينما كانت نسبة كبيرة من الأمراء الشبان في السعودية تتخذ مواقعها على الجبهة٠٠ كان شباب صباح كما قال جدهم ٠٠صغارهم للكلاب وكبارهم ٠٠ الخ ٠(انظر (كتاب السعوديون والحل الاسلامي) فلم يسمع عنهم جهد في تحرير وطنهم بل بالعكس شاعت فضائحهم حتى استنكرها الاصدقاء قبل الاعداء٠

«عدد الكويتيين في المنطقة الشرقية ٤٠٠ ألف كويتي ٠»[٦]

مقال بقلم دافيد لامبي عن القوات الكويتية على خط النار قال فيها ان «معظم الجيش الكويتي كان في اجازة رغم تصاعد انذارات الحرب لمدة اسبوعين قبل الغزو ونقل نكتة تقول انهم سألوا كويتيا هل الجنس متعة ام ضرورة؟ فقال متعة لأنه لو كان ضرورة لاستأجرنا باكستانيا يعمله! وقال انه من ٢٠ الف جندي لم يجتمع الا ٤٥٠٠ وتطوع ٧٠٠٠ اما بقية الكويتيين فإما في الجامعات السعودية أو في الفنادق والشقق التي تقدمها السعودية مجانا والذين على الجبهة تسلموا ٤١ دبابة يوغسلافية مزودة بشبكة تمنع التراب ومعها خبراء يوغوسلاف وعندما استعرض الجنرال شوارتسكوف الكويتيين علق على صغر عددهم بقوله « ليس المهم حجم الكلب الذي سيقاتل بل حجم القتال في قلب الكلب٠»[٧]

واكثر ما يسبب القرف للامريكيين هو التناقض بين الأوضاع القاسية التي تعيشها قواتهم في الصحراء وبين اوضاع الاغنياء الكويتيين الذين هربوا من وطنهم ويرون وهم يتسكعون حول افخر الفنادق ٠ ولاحظ المعلقون انه من بين ثلاثمائة الف كويتي هربوا من بلدهم لا يخدم في الصحراء إلا ثلاثة الاف مع القوات العسكرية مع ان الجيش الكويتي كان ٢٠٠٠٠جندي وهذا يجعل من الصعب على بوش ان ينال التأييد لحرب ستعيد للحكم عائلة كويتية غير ديموقراطية ، والدفاع عن نظام اقطاعي وحماية مصالح النفط التي تحقق ارباحا ضخمة٠ »[٨]

وفي رسالة نشرتها الاندبندنت لبريطاني مقيم في دبي يقول فيها٠٠ «يجب دعوة الكويتيين

في المنفى – قبل الانجليز – لخدمة العلم . . وقال انه استاء من قرار الحكومة البريطانية دعوة الاحتياطي ليس لأنها ليست حربا بريطانية ولكن ايضا لأن حكومة الكويت في المنفى وهي التي يتقرر مصير وطنها ، لم تتخذ مثل هذه الخطوة حتى الان ! وقال ان الشبان الكويتيين في دبي لا يفعلون اكثر من ازعاج السيدات وهم يسرعون في سياراتهم الفارهة .الصحافة هنا مراقبة تقريبا ولذا لا يعرف الناس عن الاغتصاب والقتل والسرقات التي يرتكبها الكويتيون بل وقام بعض الكويتيين بافعال فاضحة في الطريق العام . . الحكومة الكويتية بالمنفى يجب ان تستدعي الذكور الكويتيين للتجنيد الاجباري لا منطق في تجنيد البريطانيين أو الشبان المصريين للموت بينما المواطن الكويتي يتخذ موقف المراقب!»[9]

وقال نائب رئيس حزب الاحرار المصري(فرع العراق) انه حضر حفلا اقامه شيخ كويتي بمناسبة رأس السنة(٩٩٠/١٢/٣١) كانت ترقص فيه راقصة عارية تماما وان الشيخ قام بتذيس الدولارات حولها وقال ان ذلك يرمز لما سيحدث لكل من يقف (أو يرقص)مع الكويت بعد التحرير سيسبح في بحر من الدولارات .»[10]

هؤلاء الشيوخ الصغار ما ان حرر لهم الأمريكان الكويت حتى حملوا السلاح وطافوا في عصابات يقتلون الفلسطينيين ويروعون العرب هناك لدفعهم للهجرة تنفيذا لقرار :« لا عرب في الكويت» واهم من ذلك ان اول اعمالهم كانت محاولة اغتيال زعيم المعارضة الكويتية الذي بقي تحت الاحتلال العراقي بينما كانوا هم في مواخير اوربا . . حتى تدخلت سلطة الاحتلال الأمريكي واضطر الشيخ سعد لتهديدهم بالشنق . .

وهناك قول الان في الكويت ان عملية عاصفة الصحراء حررت آل صباح ولكنها لم تحرر الكويت. . .رغم تزايد المطالبة بالديمقراطية فإن العائلة المالكة لم تبد كبير حماسة ولا حتى للعودة لدستور ١٩٨٦»[11]

« امير الكويت سيتنازل فورعودته بعد تحرير الكويت وسيحل محله الشيخ سعد قال ذلك زعماء المعارضة الكويتية . وقالوا ان آل صباح استأجروا قتلة من عصابات ارهابية لشن هجوم على زعماء المعارضة . . الامير منهار إلى الحد الذي لن يبقى بعد الاعادة .وولي العهد من الطراز القديم وغير ديموقراطي .العائلة المالكة والمعارضة قررتا في اكتوبر ان تحترم العائلة الدستور ، وتستدعي هيئة من ثلاثين عضوا لوضع الدستور ولكن الاجتماع تأجل بعدما تبين آل صباح ان حكومة موسعة لن تسمح لهم بالتحكم في الدخل القومي وهذا دفع المعارضة الى التشدد في

موقفهما. وقد انهار الاجتماع امس في جده وقال ممثل المعارضة . . نحن لا نثق في هذه الحكومه .وستعرض قضيتنا على الرأي العام في الغرب وفي الكويت . .ويتهمون العائلة المالكة بانفاق دخل البلاد للعيش في بذخ. .

قال زعيم معارض امس ان الحكومة القادمة ستوفق سياستها النفطية مع مطالب الاوبك لانهاء زيادة الانتاج .اول شرخ في الوحدة ظهر في ديسمبر بعد تغيير في تركيبة مكتب الاستشارات في الكويت . . »[12]

وبقدر عدم اهتمام آل صباح بتحرير بلادهم اتكالا على المقاولة التي عقدوها مع الانجليز والامريكان، تفرغوا هم للسيطرة على الأموال بالخارج وضمان استمرار هذه السيطرة بعد تحرير الكويت من خلال دكها أو كما قال الشيخ على صباح حاكم الاحمدي « انه سيقبل تبطيط بلاده اذا كان هذا هو ثمن تحريرها. »[13]

تجد المعارضة الكويتية ايضا كان اهتمامها بحصتها في الاستشارات والحكم ابرز من اهتمامها بتحرير الكويت حتى يحق ان نتساءل هل فشل العراق فعلا في ان يجد حكومة متعاونة ام لم يكن جادا في ذلك حتى لا يضعف دعوى المحافظة ١٩ . . أم ان الغزاة العراقيين لم يرغبوا في اقتسام الغنيمة مع طبقة متعاونة من السكان المحليين ؟ !

وقد وصل الأمر بزعيم المعارضة احمد الخطيب حد تبرير الغزو العراقي فقد نسبت له صحيفةالقدس انه اتهم آل صباح باستفزاز صدام حسين بشكل سافر، وقال انه لو كان في الكويت برلمان لمنع غزو العراق . واضاف مبارك الدويلة انه يحتمل اقامة ملكية دستورية مثل بريطانيا في الكويت اذا استرجعت .»(١٦/١٠)

« قال احمد الخطيب ان التعاطف العالمي مع الكويت بدأ يتهرأ وامريكا قد تغير رأيها. .وقال ان الذين اضاعوا الكويت لن يسترجعوها وان هذا الاسترجاع اصبح بيد الاجانب . ليس لنا اي وزن في استرجاع الكويت ولا يعطف علينا احد لان صورتنا اهتزت منذ قام امير الكويت بحل المجلس عام ١٩٨٦ ان الامريكيين جاءوا الى الخليج من اجل مصالحهم وهناك احتمال كبير بأن يغيروا رأيهم اذا تعرضت حكومتهم لضغط الرأي العام الامريكي » وقال لاذاعة مونت كارلو ان مؤتمر الطائف هو مجرد مهرجان مسرحي لاظهار الولاء لعائلة صباح . . »[14]

الانتفاخ الكويتي ظاهرة عامة تسبب تصريحات مضحكة مثل اعتقاد الدكتور الخطيب ان العالم مهتم ومتابع لحياتهم البرلمانية الى حد الاهتمام ببرلمان ١٩٨٦ واهتزاز صورة الكويت عالميا

بسبب الغاء هذا البرلمان . . مما يذكرنا بقصة الذبابة والشجرة . . قالت لم اهتز عندما وقفت عليّ فهل اهتز عندما ترحلين . . وهو لا يستطيع ان يقول ان صورة الكويت مهزوزة اصلا لأن اقل من نصف مليون يعيشون بأعلى دخل للفرد في العالم بلا جهد . .

جاءت تصريحات احمد الخطيب وعبدالله الغانم المعادية لآل صباح في اطار الحديث عن المؤتمر الذي دعت اليه الحكومة الكويتية في الطائف وقيل انه سيضم الف كويتي بارزوفي وقت تتعالى فيه الاصوات ضد عودة آل صباح . قالت «القدس» :«المعارضة الكويتية بدأت تعيد تنظيم صفوفها وتهاجم آل صباح وتؤكد تراجع شعبيتهم» وقالت:«جاء موقف المعارضة عشية تحضير آل صباح لمؤتمر يدعم نفوذهم في وجه ما اثاره ميتران عن ضرورة اجراء انتخابات في الكويت ، الامر الذي اثار اعصاب الرئيس المصري فاندفع للهجوم على المبادرة الفرنسية. . وقالت انه رغم اتفاق زعماء المعارضة مع آل صباح على استعادة الكويت ولكنهم انتقدوا علانية عائلة صباح بسبب هيمنتها على مناطق النفوذ. . قال احمد الخطيب احد ابرز زعماء المعارضة الكويتية ان عقلية ما قبل الاجتياح لم تنفع وهي تتحول من سيئ الى اسوأ .واضاف الخطيب قائلا لرويتر في مقابلة في منزله في لندن يوم السبت ان كل شيئ مملوك لعائلة صباح فإنهم يقوضون بذلك التعاطف الذي كنا نتمتع به منذ بدء الغزو . . وقال ان الحكومة الكويتية تجاهلتهم في المنفى تماما وان آل صباح مازالوا مسيطرين على المؤسسات المالية والدبلوماسية في الخارج وقال الخطيب لسنا ضد الأمير كزعيم شرعي ولكن نعارض الطريقة التي يفرض بها آل صباح ارادتهم على كل شيء . . وقال لقد فكرنا في مقاطعة مؤتمرال صباح ولكن القضايا المطروحة من الاهمية بحيث لا يمكن تجاهلها ، ونسب الى عبد الله الغانم وزير كهرباء سابق اصبح من المعارضة انه قال لرويتر لا يمكن ان تكون هناك حكومة جديرة بالثقة يتولى مناصب الخارجية والمالية والدفاع والداخلية بها افراد من اسرة صباح. . واضاف ان محافظ البنك المركزي الكويتي قبل الاجتياح وحتى مدير المالية كان من آل صباح. . واضافت العرب بل حتى مدير الجمارك كان من آل صباح .»[10]

ونسب للمعارضة قولها :« آل صباح ينظمون انتخابات لجمعية وطنية بدون سلطات على الاطلاق. . الاعضاء ليس لهم حتى حق توجيه الاسئلة للوزراء آل صباح حتى ١٩٨٥ احتكروا الاغلبية في البرلمان وكانوا يمررون قوانين تجرد الدستور من روحه . الدستور ينص على ان الحاكم من آل صباح ومن فرع مبارك كما تنص المادة ٤ وله أن يعين نائبه ويستطيع تعيين ولي العهد ولكن هذا يحتاج لموافقة البرلمان والبرلمان يوافق أو يرفض ويعين ويفصل رئيس الوزراء. ليس في

الدستور نص على ان رئيس الوزراء يجب ان يكون من العائلة المالكة . كان اول برلمان لا يسيطر آل صباح على الاغلبية فيه هو برلمان ١٩٨٥ ولذلك حلوه . . بدأنا نستجوب وزير العدل الذي هو من العائلة الحاكمة كان متورطا في البورصة وانهيارها وحاولنا ابعاد وزير النفط . . مطالب العراق حول النفط على الحدود فاجأت الكويتيين الذين لم يكونوا ، كل هذا الوقت ، يعرفون ما يجري. هبوط السعر كان يضر العراق . كما فوجئنا بحقيقة اننا ننتج اكبر من حصتنا بسبب السرية التي فرضتها الحكومة وانها لم تنشر شيئا . . .»[16] آل صباح « لم يكونوا مستعدين عندما وقع الاحتلال. . الكويتيون يعيدون التفكير فيما يجب ان تكون عليه الكويت بعد التحرير يقولون بوجود مكان للأمير ولكن ليس لبقية العائلة . . الحكومة يجب ان تشكل بعد انتخابات ولا تضم احدا من الاسرة الحاكمة وبعض الكويتيين يطالبون ببقاء الشيخ سعد والشيخ صباح وزير الخارجية. اعتقد اننا عندما سنرجع لن يجرؤ احد على منع المرأة من الانتخاب.»[17]

ان « معظم الكويتيين يوافقون على حتمية تقلص قبضة آل صباح على المراكز الحساسة» . . ونقل عن سليمان المطوع وزير التخطيط قوله :« بعد ما حدث ومع استياءالذين بقوا في الكويت فان الامور لا يمكن ان ترجع لما كنا فيه »[18]

قال احمد الخطيب ان مسيرة التقدم نحو الديموقراطية الكاملة لا يمكن وقفها رغم الاشاعات عن نية آل صباح في اعلان الاحكام العرفية فور عودتهم الى الكويت وقال الخطيب سيكون من الخطر جدا الا تتوافر رقابة برلمانية على سلطة آل صباح بعد استعادة البلاد .»[19]

وقد اسهبت الصحافة البريطانية في حديث الصراع الذي نشب في مكتب الكويت للاستثمارات في لندن حول التصرف في البلايين التي كانت مرصودة باسم مستقبل الاجيال القادمة فانفقت على الجيل الامريكي الذي دمر وعمر الكويت . . . . البعض يطالب بتسييلها للانفاق على الشعب في المنفى والبعض يطالب بالحفاظ عليها باعتبارها الاحتياطي الرئيسي . . وقد انتهي الخلاف باستقالة كل الاعضاء من غير آل صباح»

« وزير المالية الكويتي قرر تشكيل لجنة لتقصي الحقائق عن استقالة بعض الموظفين من مكتب الاستثمار الكويتي بلندن مؤخرا.»

والصراع على الكنز ممتد الى اعلى مستوى في اسرة صباح ، بين جابر الامير وسعد ولي العهد وهذا من فرع جابر الاحمد بن جابرالمبارك والثاني من فرع اخيه سالم المبارك وقد لاحظ المراقبون بدهشة واستياء مظهر هذا الصراع أو الحرص على تأكيد ثنائية السلطة اذ لا ينشر حديث

ولا هتاف ولا بيان إلا وينص على « الامير وولي عهده» ولابد ان تكون الصور بنفس الحجم حتى ترويسة صحيفة « صوت الكويت» مزدانه بصفة دائمة بصورتين عن يمين وشمال بنفس الحجم للامير وولي عهده! مما ذكر البعض بعهد الشيخ احمد وولي عهده خليفة بن حمد في قطر عندما كان الهدف هو تأكيد المشاركة في السلطة وحتمية انتقالها لخليفة !. وقد انتهت هذه العلاقة بخلع الشيخ احمد آل ثان .. ولما اضطرت الصحيفة لاسباب جمالية لحذف صورتي الامير السعيد القسمات وولي العهد الوسيم الملامح وكانت توازن بهما الصفحة والموقف، ووضعت مكان الصورتين حكمتين واحدة من اقوال الامير على اليمين والثانية من اقوال ولي العهد على الشمال وعلقنا وقتها: تأمل ان تنتهي ازمة الخليج قبل ان تنفد حكم الامير وولي عهده..!

وقالت الصحف ان هذا الصراع تجلى في التشكيل الوزاري الذي انتهى بغلبة جناح السالم باستبعاد الشيخ صباح الأحمد مع انه هو الشيخ الوحيد الذي لم يصدر ضده اي اعتراض من المعارضة.. وحل محله سالم الصباح ابن اخ ولي العهد وابن الشيخ سالم الصباح الذي فرض وليا للعهد في حياة أخيه عبد الله السالم متخطيا الاتفاق على التبادل بين فرع سالم وفرع جابر ..

ولابد ان الذين تابعوا الازمة وكان بهم بعض العطف على الكويت قد شفوا من هذا العطف وهم يتابعون تصريحات سفير الكويت في واشنطن وهو من آل صباح .. ولم يتحرج في التهالك على اقدام الامريكان بل واسرائيل .واذكر له تصريحا استفزازيا علقنا عليه يومها بقولنا.. « تباينت المواقف من المذبحة (المذبحة الاسرائيلية في المسجد الاقصى) حسب الارتباطات والحسابات ولكن كان اسوأ موقف بلا نزاع هو موقف الشيخ سعود الناصر صباح سفير الكويت في واشنطن الذي بادر واعلن في مقابلة مع التليفزيون الامريكي ان المذبحة هي مؤامرة مدبرة بين صدام حسين والمنظمة لحرف الانظار عن احتلال الكويت وانه يعلم بصدور التعليمات بذلك للفلسطينيين بالداخل !! وقد اثارت هذه التصريحات استنكارا شديدا من العرب في امريكا واوروبا . خاصة وانها تناقضت مع تصريحات الوفد الكويتي في الامم المتحدة بل وحتى مع تصريحات بوش.. وياليت الامير يبادر بتولى نصحه وتوجيهه أو يطلب المعنيون من الشيخ جابر سحبه من واشنطن وترحيله إلى الخليج ولو بحجة اثراء المناقشات في المؤتمر الكويتي بالطائف ! فهو منذ بداية الازمة يصدر تصريحات تسيء تماما للموقف المعارض للغزو..» (١٠/ ٩٠).

ولكنه قفع موالوة العالم فعلا عندما هجمت الارمادا الامريكية على العراق يوم ١٧ يناير فإذا به

يعقد مؤتمرا صحفيا يشرح فيه « لماذا اضطرت الكويت . . . لشن هجوم اليوم على العراق!(١/١٧) . .

نعم الكويت هي التي هجمت !!

واخيرا فلست اجد عبارة ابلغ ولا اوجز مما قالته الصحيفة البريطانية : « ان **الكويت كانت دويلة دنسة تحكمها عائلة فاسدة ليس لديها ذرة من الوعي الديموقراطي .»**[٢٠]

فلا يحق لسعودي ان يتساءل لماذا لم تقبل المملكة اقتسام الكويت مع العراق . . فهذه القسمة لم تكن مطروحة ولا كانت ستحول دون الهجمة الامريكية بل ربما سهلت للامريكيين هدفا آخر مازالوا يتحينون الفرص لتنفيذه . . ولا ان يتساءل مالنا وللكويت لتجلب لأنفسنا كل هذا الهم . . فلم يكن من اجل عيون الكويت . . بل ربما كان من اجل العراق اكثر . .

وقد قال الملك فهد : « ربما ان صدام حسين كان يتوقع من المملكة موقفا مغايرا لما وقفته مع الكويت ونسي ان المملكة ليس من طباعها الغدر ولا الخيانة لكنه ادرك ذلك بعد فوات الأوان .»[٢١]

وكنا قد قلنا: يحق للسعودي ان يسأل لماذا تحملت المملكة كل هذه النفقات في اسكان واستضافة أصحاب اغنى مؤسسة في العالم ونعني اصحاب شركة الكويت . . لماذا تدفع المملكة اكثر أو حتى مثل الكويت في نفقات القوات المشاركة والكويت هي المحتلة وهي الاغنى بجميع النسب . . لماذا يقوم الجيش السعودي بعملية إزالة الالغام في الكويت . . لماذا لا يقوم بذلك الجيش الكويتي أو هؤلاء الاشاوس الذين حملوا السلاح وبدأوا المقاومة فور وصول نصف مليون امريكي الى الكويت وخروج اخر عراقي . . !

ولعل الملك فهد قد اجاب على الجزء الاول من السؤال عندما قال :« وقد يستكثر البعض حجم المبالغ التي انفقناها لتحقيق ما انجز على صعيد احداث الخليج من خلال عاصفة الصحراء ولكن اود ان أؤكد ان النتائج التي توصلنا اليها باستتباب الأمن ودحر الظلم وترسيخ الشرعية الدولية توازي ولله الحمد اضعاف ما انفقناه في هذا السبيل . »[٢٢]

ونريد ان نتوقف هنا عند نقطة الميرث بمناسبة الغزو العراقي وكنا قد تعرضنا نحن لها قبل هذا الغزو بسنوات ونعني قضية الانتفاع العربي بثروة النفط . . المشاركة في العائد بقدر المشاركة في المسئولية والمخاطر اما الاعلام الصدامي فقد عرضها كقضية اعادة توزيع ثروة النفط الخليجية بين العرب بالمفهوم الشيوعي أعني حق الفقير في ثروة الغني . . وهناك فارق بالطبع بين الاسس التي

بينا عليها دعوتنا من سنوات والحلول التي اقترحناها وبين الدعوة المضللة التي اطلقها صدام وصحبه وتلقفها الضالون والمضللون .. وبداية فإن الدعوة الصدامية لعدالة التوزيع تقصر هدفها على اخذ مال دول الخليج أو بالأحرى دول مجلس التعاون الست فلا احد يذكر العراق ! مع ان جريدة نيويورك تايمز قالت : « صحيح ان البدو الرحل الذين سكنوا الكويت من ٢٥٠ سنة قد اصابوا ثراء عندما اكتشف النفط ولكن العراق ليس اقل غنى . ان ثروته النفطية تمكن شعبه من ان يعيش في اعلى مستوى لولا ان صدام بدد اموالهم في السلاح والحرب »[٢٣]

فالعراق اغنى من كل دول مجلس التعاون ، لو عرف كيف يختار حكومة صالحة توظف امواله في التنمية التي يملك كل مقوماتها زراعيا وصناعيا وتجاريا .. واذا كانت هناك قسمة عادلة لثروات العرب ، فالعراق على رأس قائمة الدول التي ستدفع لا التي ستأخذ زكاة الركاز كما أفتى بعضهم! .. ومع ذلك فالعراق لم يدفع مليما للعرب ، ولم يقتصر الشذوذ على ذلك بل ان سياسة صدام حسين منذ ان جاء الى الحكم هي منع مال الخليج من الوصول الى مصر والدول العربية الفقيرة ليستأثر به العراق ، اما بالتواطؤ مع الامريكان الذين استأجروه لضرب ايران وفرضوا التمويل على دول الخليج ، أو بالتهويش والارهاب كما حدث في مؤتمر بغداد باسم محاربة كامب ديفيد .. أو بادعاء انتقال الزعامة اليه في قيادة الامة العربية ضد اسرائيل .. ومن ثم حق له جمع الجزية والعشور .. من العرب ليوزع فتاتها على حفنة مرتشية باسم الجوائز والمهرجانات والمربيدس .. فالشعار الذي انطلق مع الدبابات العراقية بأن سبب الغزو هو انعدام العدل في توزيع الثروة العربية .. اي ان العراق غزا الكويت بسبب شعوره بالظلم .. لم يستطع هذا الادعاء ان يقف ولا على اطراف قدميه لحظة ومن ثم تبناه الآخرون وعدلوه فزعموا ان العراق غزالكويت حسبة لله تعالى باسم الفقراء في مصر والسودان .. الخ . وهي كما قلنا دعوة باطلة اذ ان محك صدق الواعظ هو ان يبدأ بنفسه ، والعراق لا اعطى بل ومنع غيره من العطاء بالارهاب والتضليل .

«سيكون من الصعب على المواطن العربي والمسلم ان ينسى ان اشقاء لهم تعرضوا للمذبحة لا لذنب ارتكبوه غير محاولة التمسك بمواقف اخلاقية في رفض التوزيع الظالم للثروة وفرض احترام العرب على قوى عظمى تتغطرس .»[٢٤]

ولا احد يذكر ليبيا في الحديث عن عدالة التوزيع .. بل الدنس ان ليبيا نفسها ترفع عقيرتها مطالبة بعدالة توزيع اموال دول مجلس التعاون ! قال العقيد : «لو كان هناك توزيع عادل للنفط العربي لتجنبنا وقوع الكارثة .. ان النصيب الاكبر من النفط العربي كان يذهب الى خارج الوطن

العربي بما يعني ان نفط العرب ليس للعرب .ان الشعب العراقي ما كان ليعاني هذه المعاناة اوليذل وتقع عليه مسئولية هذه الكارثة لو كان النفط العربي موزعا توزيعا عادلا ..وقد علقنا على هذا القول في الحديث عن موقف ليبيا ونضيف هنا انه لا فارق بين ليبيا والكويت ، فالشعب الليبي ما زال في مرحلة البداوة اكثر تخلفا من كل الدول العربية التي تحيط به .. قلة سكان وثروة نفطية هائلة ونفس الانتفاخ الكاذب .. الجماهيرية العظمى .. ونفس الادعاء بالعروبة والوحدة ونفس الانانية ..واذا كان لا يوجد الثراء الكويتي على المستوى الجماهيري في ليبيا فلأنهم ابتلوا بحكومة بددت اموالهم في المغامرات والمؤامرات والأهواء .. ولكن ليبيا لا اقتسمت ثروتها مع مصر ولا مع تونس..ولا السودان أو تشاد .. بل استخدمت هذه الثروة في ارهاق البلدين الاولين وتدمير الاخرين ..

ولا أحد يتحدث عن ثروة النفط والغاز بالجزائر التي بددتها في استنزاف المغرب دفاعا عن حق الانفصال لسبعين الف صحراوي ..

الدول الثورية النفطية اقل سخاء واقل عطاء واكثر ايذاء وابعد رجاء ..ولذلك فإن الحديث كله يدور حول ثروة دول مجلس التعاون وليست كلها .. لأن ثروة عُمان اقل من احتياجات اهلها من ناحية ولأن الاستعمار البريطاني المستأثر بثروة عمان الى الآن يخفي فضائح نظام السلطنة ، فلا تجد في الاعلام البريطاني رواية واحدة عن فساد أو اسراف عماني حتى ليخيل لك انها السلطنة الفاضلة .. بينما الاوضاع فيها أسوأ بكثير من بعض دول المجلس الأخرى التي ينهش الاعلام البريطاني لحمها بصفة دورية .. كذلك لا أحد يريد اقتسام الثروة مع البحرين الغزيرة التعداد الشحيحة النفط .. وان كان بعض شيوخها لا يقلون شراهة واستغلالا وانتهابا لثروة البلاد من حكام نيجيريا بل اكثر. ويضاعف من خطيئتهم فقر شعبهم وارتفاع مستوى وعيه ، مما يضطر النظام هناك للاستعانة بالانجليز في ضبط الامن الداخلي ، وبالامريكان لحماية الأمن الخارجي.والبحرين وعمان هما الدولتان الوحيدتان في دول مجلس التعاون التي يمكن الحديث فيهما عن الحاجة الى العدل الاجتماعي الداخلي.. حيث يوجد شيوخ يعيشون في مستوى شيوخ الكويت وشعب يعيش في مستوى افضل بالطبع من مستوى المصريين ،واقل من دبي أو قطر ولكن يزيد احساسهم بالحرمان والمرارة حقيقة انهم مواطنون في دول نفطية ومعرفتهم بالمستوى الذي يعيش فيه من هم اقل منهم حضارة وعراقة من دول النفط الأخرى ..

وهكذا ينحصر شعار عدالة التوزيع في الكويت والسعودية وقطر والامارات ..فهؤلاء هم

الاغنياء عندما يتحدث ابواق صدام عن « علاقة الاغنياء بالفقراء في العالم العربي كشفت التجربة ان هناك قدرا غير قليل من التوتر يشوب تلك العلاقة .. غدا ضروريا للغاية ان لا تظل تلك الفجوة كبيرة بين الاغنياء والفقراء ولا التوتر مستمرا.»[٢٥]

وهو كما قلنا شعار غوغائي تضليلي لن يحقق اية ايجابيات ومن السهل الرد عليه بقول الامير سلطان:« عندما كانت الجزيرة العربية في ايام القحط لم يتقدم لها احد بكأس ماء الا فيما ندر وعندما توفرت لدينا الامكانيات سارعنا الى تقديم العون لجميع الاشقاء والاصدقاء»[٢٦]

والمبدأ المستقر عالميا هوما اكده نائب رئيس الوزراء المصري وهو ان كل دولة سيدة ومالكة الثروة التي تقع في نطاق سيادتها فوق الارض وتحت الارض .. قال عصمت عبد المجيد في افتتاح الجامعة العربية العائدة الى القاهرة :«كل دولة عربية لها السيادة المطلقة على ثرواتها الطبيعية والاقتصادية .»[٢٧]

ولا احد يحق له ان يقتسم مع مصر ماء النيل الذي يجري في حدودها .. وكنا قد اشرنا في ردنا على هذه الدعاوى انه يخشى ان تقول لكم تركيا انها يجب ان تقتسم معكم النفط مقابل سماحها لكم بعبور الماء . وقد تحقق ذلك وجاءت تركيا بمشروع لاقتسام كل شيء .. والحديث الآن عن اعادة توزيع ثروة النفط العربي يدور في الصحافة الامريكية على اساس المنطقة كلها بما فيها تركيا وايران واسرائيل ..

ولا يعني استناد الكويت لمبدأ مقرر هو حق كل دولة في السيادة على ثرواتها ، لا يعني ذلك ان صورة الكويتي مقبولة أو محبوبة .. فليس كل ما هو قانوني عادلاً فضلا عن ان يكون محبوبا.. وتاريخ الانسان هو تاريخ الرفض للحقوق الموروثة ، وتطلع الذين ليس لهم لما متع به شعوبا غيرهم ،وقد اصبح عرفا حق الشعب القوي في سلب الشعب الضعيف الثروة التي لا يستطيع حمايتها ..ومهما قيل أو وجه من اتهامات لدول الخليج حول اسلوب الانفاق أو السفه في السلوك فإن اخطر المآخذ على هذه الدول ، الجريمة التي تبيح نهبها ، هي جريمة الضعف .جريمة انها تملك ما لاتستطيع حمايته في عالم يحمد فيه جشع الاقوياء على صرخات وحقد المحرومين لزيادة ثروة الاقوياء . فهذا الضعف في دول الخليج يجردها من حقها في الاحتفاظ بهذه الثروة ويعطي الحق لكل من يجد في نفسه القوة لالتهامها ، بنفس المنطق الذي يأكل به الثعلب الارنب ووصفوا به الفروج لابي العلاء المعري وليس شبل الاسد ..! بل ان منطق صدام حسين هو منطق الانجليز والامريكان وكل الغرب المتحضر الذي وجد ان من حقه بل من مسئولياته ان يضع يده على

هذه البلدان وثرواتهـا . . والى حرب اكتوبر كان هذا الغرب يرى عدلا ان تدفع شركات النفط لحكومة الكويت في برميل النفط الخام اقل مما تدفعه نفس الشركة من ضرائب للحكومة البريطانية عن نفس البرميل ! ولا نتحدث عن الربح الذي تحققه الشركة من الفرق بين ما تدفعه للكويت وما تبيع به النفط في الاسواق ولا نتحدث عن الربح الذي تحققه الصناعة من تطوير هذا النفط . . انما نشير فقط الى ان حكومة بريطانيا كانت ترى ان حقها في نفط الكويت اكبر من حق الكويت حكومة وشعبا !

وبالطبع هناك دول صغيرة تملك نفطا مثل الدنمرك وفنزويلا ولكنها لا تتعرض لحملات التشهير التي تتعرض لها الكويت والامارات وقطر (لنا رأي من قديم ان السعودية ليست دولة نفطية بالمفهوم الذي ينطبق على ابو ظبي أو الكويت . . بمعنى الدولة البئر، أو الدولة التي تقوم على بئر النفط ولا مبرر ولا تاريخ لها خارج دائرة النفط . . المملكة وجدت ولعبت دورا قبل النفط ولها كيانها المستمر حتى لو نفد النفط . .) والسبب في اختصاص هذه الدول بالنقد هو الظروف التي تكونت فيها هذه الدول والتي اعطتها كيانا مفتعلا هشا تحجر بفعل الثروة . . وايضا الظروف التي صاغت شكل ملكية النفط في تلك الدول وبالتالي حكم اسلوب الانفاق الذي يثير الاعتراضات . . وكنا قد اشرنا لهذه النقطة في كتاباتنا قبل سنوات عندما قلنا :

« في الثلاثينات في بدايتها على وجه التحديد ، وفي ظل الهيمنة الاستعمارية الانجلو فرنسية المطلقة على العالم العربي ، والحكم البريطاني المباشر لمشيخات الخليج ، طرحت الامبريالية البريطانية المفهوم الاقليمي الضيق للنفط ، وايضا أو وأهم ، الصيغه الخاصة المكيته ، باعتباره ملكية خاصة للشيخ حاكم المشيخة وعائلته ! لا ملكية الشعب ولا حتى الدولة بمفهومها الحديث ، وكان هذا يلائم تمام الملاءمة المصالح الاستعمارية ، والمتمثلة في شركات النفط ، والتي تمكنت في ظل هذا المفهوم من عقد اتفاقيات نهب صريحة اللفظ والدلالة أخذ فيها النفط بلا ثمن تقريبا، حيث كانت حصة البلد العربي هي الاقل من بين جميع الاطراف والتي تتقاسم برميل النفط، كانت الضريبة التي تحصلها الحكومة البريطانية على شركات النفط العاملة في العراق أو قطر أو الكويت أكبر من حصة الحكومة العراقية أو شيخ الكويت .. وما كان ذلك ليتم إلا في ظل السلطة المطلقة للإنجليز من خلال الشيخ الحاكم ، وفي ظل غياب المعرفة فضلا عن المحاسبة على أي مستوى، ولا حتى داخل البلاط .. وما كان ذلك ليتم إلا بحصر النفط في كيانات تتميز بضآلة حجم السكان والتخلف الشديد ، مما جعل هذه النسبة الهزيلة من عائدات النفط التي تحصل عليها المشيخة تبدو

ثروة هائلة ، ونعمة هبطت من سماء الاستعمار بغير حساب ! .. ولو كانت في بلدان طبيعية ، لظهرت فداحة الغبن ، واضحة..

ولعله يجدر أن نشير هنا إلى أن الملك عبد العزيز الذي لا شك في عبقريته ، وأيضا في احساسه الواعي بخطورة التغلغل الذي كانت تمثله شركات النفط ، قد حاول محاولة هي الاولى والأخيرة من نوعها . وهي أيضا مجهولة لم يأت لها ذكر في أي تاريخ للرجل ، ولا أي مصدر إلى أن اشارت إليها مجلة الحرس الوطني ، فقد تبين من الوثيقة المنشورة ، وهي أمر من عبد العزيز إلى حكام الاقاليم يطرح فيه على الشعب تملك اسهم أول شركة للنفط جرت محاولة تأسيسها في المملكة قبل قدوم الامريكان .. وبالطبع لم تنجح المحاولة . وقامت ارامكو على الطريقة الكويتية .. ولا أحد يستطيع المبالغة في النتائج الممكنة لو نجحت محاولة عبد العزيز وقامت شركات مساهمة يمتلك المواطنون حصة بارزة من اسهمها إلى جانب حصة الدولة ، وحصة الطرف الاجنبي .. كان ذلك سيعجل بظهور رأسمالية عربية ، وسيخلق وعيا ، مشاركة وطنية في قضية النفط ، وسيحتم علانية الانتاج والاسعار وتوزيع الدخل ، وبالتالي ربما كانت المشاركة الشعبية أو حديث « ارم ذات العماد » قد تحققت منذ زمن بعيد ..

ولم يكن من الممكن حصر عائدات النفط في الشيخ واسرته ، وإن استمرت لهم حصة الأسد إلى يومنا هذا.ولكن المال تسرب ، بطريقة أو بأخرى إلى الطبقة المحيطة بقصر «الشيوخ» .. وقد حرص الشيوخ على اكتشاف صيغة تنفي أية مظنة في الاعتراف بحق مشروع للأهالي في النفط أو عائداته ، فكان انتقال الثروة من خلال شراء الاراضي بأسعار خرافية ، أو من خلال العطايا والهبات ، أو السماح بالاختلاس من المشروعات العامة .. أو الحصول على توكيل استيراد يعطي صاحبه عمولة على كل ما يباع في المشيخة دون أي جهد .. وتطور ذلك مع تطور الدخول ، وتطور الانفاق حتى ظهرت طبقة السماسرة المليارديرات ، وأغلبهم ليسوا من مواطني المشيخة، وبعضهم ليسوا حتى من المسلمين .

بل ليس سرا الآن أكثر من ثمانين بالمائة من سلاح ومصروفات « الكتائب » جاءت من دول النفط وعبر هؤلاء السماسرة والمستشارين .. ولا نريد أن نطيل في هذه النقطة الآن، المهم أنه اذا كان النفط العربي لم يستخدم يوما كسلاح حقيقي في المعركة ، معركة التحرر ومواجهة اسرائيل ، فإنه يمكن القول بكل اطمئنان أنه استخدم وبنسبة كبيرة في العمل المضاد لقوى التحرر . وفي ذبح المسلمين والفلسطينيين في لبنان .. » [٢٨]

فالكيان الذي قام في اطار امتيازات وتقسيمات مناطق النفوذ لاحتكارات النفط وصيغة الملكية التي حتمت ان يقوم هذا الشكل من الاتفاق ، جعل لها طابعا خاصا يتطلب حلا خاصا . . ومن ثم فنحن لا نعير صيحات من يسمونهم بالمعارضة اهتماما كبيرا ، فهم يريدون حصة اكبر أو كل حصة الشيوخ ، مع استمرار الصيغة التي جعلت حقوق الشيوخ موضع انتقاد . ولن يخفف هذا النقد انتقال حقوق جابر الاحمد لاحمد الخطيب . . الذي لا حق له في ثروة الكويت الا جنسيته ، وبالتالي فإن جابر الاحمد احق منه فهو الاقدم في الجنسية . . أو قل هو الذي يعطي الجنسية ! ان هذه المعارضة لا يمكن ان تثبت ديموقراطيتها وانسانيتها الا اذا وافقت على الغاء الامتيازات الموروثة ليس فقط للشيوخ بل للجنس الممتاز كله بحيث يصبح السباق حرا بين كل من يقيم على ارض الكويت بقدر جهده . . أو ان يجدوا صيغة لتعريب النفط فعلا كما دعونا من سنوات .

وهكذا فإن الصيغة التي قامت بها الدولة النفطية وانتقالها المفاجئ الى مرحلة الثروة النفطية بنفس التقاليد والأعراف التي كانت تنظم التصرف في انتاج البلد من البلح والسمك . . لتطبق هذه التقاليد على تقسيم بلايين الدولارات . . هذه الظروف ادت الى ظهور المخلوق النفطي الذي يثير اشمئزاز وغيظ العالم كله المتحضر والمتخلف . . خاصة وقد ظهرت شخصيات معظمها من غير اهل البلاد ، تخصصت في نشر الفضائح واستفزاز العالم بسلكية لو أن جوبلز كان يتولى تحريكها للتشهير بالعرب ما استطاع ان يضيف لما يفعلونه شيئا .

وما يعنينا في هذا الشأن ان هذه الدويلات لو استطاعت ان تلغي نسبها العربي لما كان لنا بنفطها حاجة ولا شأنا . . وهي في الحقيقة لا تربطها بالعروبة والوطن العربي الا ما يربط هونج كونج بالصين مجرد اللغة وادعاء تاريخي . . ولكن لظروف سنشرحها فإن هذه الدولة مرتبطة بالعرب . . ومن ثم فإن الذي يخطط لسلبها نفطها يضع في اعتباره انه سيواجه على نحو ما مقاومة العرب اجمعين . . وان عليه ان يضرب ويشل مقاومة هؤلاء الآخرين وبالذات كان الهجوم يركز على مصر وسوريا بل لا نبعد القول ان قلنا ان وعد بلفور كانت له خلفية نفطية . . وكما قلت من سنوات ان جميع مصائب مصر في الخمسين عاما الاخيرة سببها هذا النفط في دول الخليج ، لأن مصر في حد ذاتها مثل ولاد الحداية لا يتاكلوا ولا يتلعب بهم . . فلولا النفط العربي لما اهتم احد بمحاربة مصر والتآمر ضدها . .

ونجح الاستعمار الغربي الصليبي والصهيونية في استثمار حقد العالم على العربي النفطي لخلق

العداء لكل العرب ... وقد كتبنا في عام ١٩٨٥ نقول :«في هذا الجو تحققت نتيجة جد مفيدة لاسرائيل وانصارها وجد مضرة مدمرة للمصالح العربية ، ألا وهي افساد المناخ الذي كان قد تجمع عالميا ، وإفريقيا بالذات منذ هزيمة ١٩٦٧ ووصل الثورة ببطولات المصريين (الافريقيين) في حرب رمضان .زالت صورة جالوت العربي العاجز والمفتري والمتحدي ، وصورة داود الاسرائيلي، الصغيرة الراغبة في السلام والمضطرة للقتال بيسالة للدفاع عن نفسها ! وأصبح الرأي العام بعد ١٩٦٧ مقتنعا بتفوق اسرائيل العسكري ، وتخلفها خلقيا . ونواياها التوسعية . وصحيح أن العطف على العرب ظل فيما بين هزيمة يونيو وحرب أكتوبر ممتزجا بالشفقة إن لم نقل بالاحتقار ، إلا أن هذا المناخ زال تماما بعد العبور وخطوات السلام التي عرضها المصريون . وخلال تلك الفترة قطعت كل الدول الافريقيه علاقاتها مع اسرائيل وأمكن عقد وقيام المؤتمر الاسلامي ، ولكن «جاء النفط » فلطخ العبور ، بفضل الاثارة المدبرة ضد « الجشع» العربي والسفه العربي ، وقضايا الطلاق المنتشرة في محاكم أوروبا وأمريكا ، وما تردد فيها من أرقام فلكية عن ثروات السماسرة والنصابين والقوادين ، وتحكم المحاكم بنصفها لاشباه العاهرات ، فتحصل الواحدة منهن على حصة من مال النفط العربي — كما سيسجل التاريخ الجنسي العرب —حصة تفوق حصة الجيش الثالث المحاصر في السويس، بل وتفوق ما يلزم لتحرير الجولان أو ما دفع وسيدفع لجميع أرامل شهداء الثورة الفلسطينية !

ماذا يفكر الزعيم أو الحاكم الافريقي الذي يرى شعبه يموت جوعا ، لأن ارتفاع اسعار النفط — كما يقال له — أكل عائدات نصف صادراته ، والذى يعرف أن مائة مليون دولار يمكن أن تنقذ مئات الألوف من شعبه ثم يسمع أن فتاة تعمل في محل بريطاني ، حكم لها بثلاثة آلاف مليون دولار مؤخر صداق أو حصتها من ثورة زوج عربي سابق .. لا أمير ولا وزير ولا تاجر ولاشيئ البته .. بينما مجموع ميزانية وزارة الدفاع الاسرائيلية هو خمسة آلاف مليون دولار ؟ وثورة المحروس ستة وأمامها تسعة أصفار !! وهذا الثابت في المحاكم..أو أن مجموع رصيد دولة أوروبية من العملة الصعبة أقل من مجموع ثورة مهدي التاجر وعدنان خاشقجي !! .أو ان مضاربا كويتيا خسر ستين الف مليون دولار في شيءاسمه بورصة المناخ ! أو أن صحفيا كويتيا لا يعرف كتابة صفحة في كراسة طالب ابتدائي يمتلك طائرة خاصة !

هل نلوم الافريقيين والأسيويين اذا تحولت اجتماعاتهم مع المسئولين العرب إلى قضية واحدة هي : كم تدفعون لنا من هذا المال السايب مقابل المواقف العربيه في الأمم المتحدة؟ وهل نلومهم وقد

أصبح الناطق باسم العرب ، لا يحمل من المؤهلات إلا دفتر الشيكات ، وتراجع إلى الظل العرب أصحاب التاريخ والعلاقات مع الاسيويين والافريقيين؟!

ومهما دفع هؤلاء العرب ، وقد دفعوا أكثر من أية مجموعة أخرى في تاريخ العلاقات بين الاغنياء والفقراء ، فلم يخرجوا مشكورين ، لأن الاعلام المعادي والصيغة النفطية المرئية وتصرفاتهم المالية ، أو فضائحهم المالية ، ونوعية العناصر الطافحة على وجه النفط العربي، والمتحدثة باسم هذه الثروة ، كل هذا أعطى صورة خرافية وبشعة عن ثراء غير محدود وغير مكتسب يملكه من لا يستحقه ، ولا يحسن التصرف فيه ، وبعضه – تقول الدعاية المعادية – من دم الشعوب الفقيرة الذين يشترون النفط بأسعار العرب المطففين ! انتشر الحقد بين العربي الغني ، والعربي الفقير ، حتى أن الملك الحسن خرج عن كبريائه مرة ، ليشكو في مؤتمر صحفي من شح الاشقاء الذين لم يدفعوا له حتى ثمن النفط الذي استهلكته النجدة المغربية في حرب رمضان ، مع أن المغرب هي التي قاتلت وحدها على الجبهتين ، وبسالة .. والحق أن نهضة المغرب قد أصيبت بالشلل بسبب حرب الصحراء وارتفاع اسعار النفط ، وقد غمره عرب النفط بحبهم لا بمالهم ، ولم يكد عقد النفط يشرف على الانتهاء(١٩٧٣ – ١٩٨٣) حتى كان العرب داخل الاوبك ضد الدول الأسلامية (ايران + نيجيريا + اندونيسيا) والعرب ينقسمون إلى مجموعتين : المعتدلين والمتطرفين .. وحتى كانت الدول الافريقية تستأنف علاقاتها مع اسرائيل ويعلن سفير اسرائيل في الأمم المتحدة شامتا : « انهيار النفط العربي ودول النفط تم نتيجة طمعهم ، والدول الافريقية التي كانت في وقت ما تتعرض لاغراء العرب تعود الآن لإسرائيل .. (قيام وسقوط امبراطورية النفط ص٤٢–٤٤)

فبسبب من عروبة هذه الدول تصيب نار النفط ودخانه كل العرب ولا يصيبهم بالمقابل بارقاته ودولاراته ٠اي المشاركة في الغرم وليس في الغنم أو كما قلنا منذ سنوات: « في فرحكم منسية وفي حزنكم مدعية » « وهي قسمة ضيزى كما يرى العرب غير النفطيين ٠»

ومن البداية كان هناك نوع من القبول لعدم العدل في توزيع الاعباء اذ تتحمل مصر وسوريا ثمنا باهظا في سبيل قضايا العروبة ٠٠ تضحيات الدم والتخريب لانتاجهما ومنشآتهما ووقف خططهما في التنمية والحصار الاقتصادي العالمي والكيد لهما عالميا٠ وبالمقابل فإن دول الخليج مثل الكويت والامارات وقطر لا تخسر شيئا على هذه الاصعدة ، بل ولا حتى تقدم شيكات بما يرضي الدول التي تضحي بالحاضر والمستقبل٠٠ بل بالعكس تواصل رفع مستوى معيشتها واكتشاف

الجديد من المتع لتبديد اكبر قدر ممكن من الدخل ٠٠ اقول كان هذا الوضع مقبولا مع بعض التذمر الذي يتزايد بتزايد الاعباء في دول المواجهة وازدياد تدهور المعيشة فيها وتصاعد الترف النفطي الى معدلات تفوق مستوى معيشة الدول الكبرى ٠٠ ولكن الذي جعل الكيل يطفح ٠٠هو الدور الذي لعبته الكويت والامارات وقطر منذ السبعينات ، واعني تنصيب انفسهم امناء على العروبة يحددون المعركة واسلوب مواجهتها ومن اجاد ومن قصر ٠٠ وهم من هم من ناحية المساهمة في المعركة بل حتى في القدرة على الدفاع عن حدودهم ٠٠و كانت هناك عدة عوامل ادت الى ذلك ٠٠

ادعاء الدور القومي والتطرف فيه على مستوى الشعارات كان من ناحية بشكل تعويضا عن الاحساس بفقدان مبرر الكيان ٠٠ ومن ناحية للمزايدة على دول الدم بهدف التشكيك في مشروعية مطالبها المالية ٠

كانت حملة الاتهام بالتقصير ومن ثم فرض العقوبات على مصر محور المؤامرة الامريكية/ الاسرائيلية ، منذ وصول السادات للحكم لمنعه اولا من شن الحرب التي كانت متوقعة وكان يعمل لها ليل نهار ٠بينما كانت خزائن دول النفط المغلقة في وجه الدولة المصرية مفتوحة على البحري لكل من يكتب حرفا ضد مصر والسادات ، ويشكك في جدية مواجهتها ونيتها في الحرب ٠٠ فلما قامت الحرب والقى السادات بثقله وكل اوراقه لدفع العالم لاجبار اسرائيل عن الجلاء عن الاراضي العربية المحتلة ٠٠ حركت اسرائيل وامريكا كل ادواتهما في العالم العربي لمحاصرة السادات والتشكيك في تمثيله للأمة العربية وجدارته في التحدث باسم الفلسطينيين ٠٠ ولا يوجد في التاريخ عربي استطاع ان ينزل خسارة باسرائيل مثل السادات ولا يوجد زعيم أو حاكم أو عميل عربي تعرض لهجمات الفلسطينيين ومن يناصرونهم بالكلمات مثل السادات ٠٠ وهذا لغز يستحيل على الفهم الا اذا قبلنا مقولة ان الجانب الاكبر من الهجوم على السادات كان بتحريك من اسرائيل والامريكان لحصار النار التي اطلقها انور السادات برحلته الى القدس وحصر خسائرها في فقدان اسرائيل لسيناء وحدها ٠٠

وفي اطار هذه الخطة كان لابد من ارهاق الشعب المصري الى اقصى حد كي يتعجل قبول ما يعرضونه عليه ، ولزيادة الضغط على السادات ليتخلى عن اصراره على الحل الشامل ويقبل الحل المصري / الاسرائيلي ٠٠ ولتحقيق ذلك كان افقار مصر بمنع الدعم المالي عنها ، تارة بحجة انها انحرفت وخرجت عن خط الزعيم الراحل الذي فتن به عرب النفط فجأة ! وكم كان مثيرا ومضحكا ان ترى شيوخ الكويت يهيمون حبا في جمال عبد الناصر نكاية في مصر والسادات٠٠

وهم لم يبغضوا أحدا في تاريخهم مثلما ابغضوا عبد الناصر ولا كادوا لأحد مثلما كادوا له ، وكان أحد اشقاء الحاكم الحالي يسمي عبد الناصر المسيخ الدجال . . وتارة يمنعون المال عن مصر لأن بها فسادا ! ولن ينسى المصريون ما كان يفعله بهم العتيقي ولا الأعرالطفل المدلل الذي لا هوحمده ولا شكر ، مندوب صندوق الدين . . الذي كان يذل المصريين قبل ان يرفض طلبهم لقرض من صندوق على بابا الذي عينوه عليه . واضيف لذلك كله المعاملة المذلة التي تعرض لها المصريون في دول النفط هذه وليبيا ، فقد عوملوا معاملة اقل من الخدم الفليبيين واضيف الى ذلك معايرتهم بالخيانة . . كان المصري الذي قاتل في حرب اكتوبر واسر يهوديا أو قتل ونسف دبابة امريكية تحمل علما اسرائيليا ، ويعلم انه خسر جيلا كاملا وتخلف وطنه الرائد بسبب حربه ضد اسرائيل ، يرى كويتيا مشكلته الوحيدة في الحياة ان يكتشف فاحشة جديدة لم يرتكبها أو لم يسبقه اليها أحد . و يدير امواله يهودي ويخادن يهودية ، ثم لا يستحي أن يحدث ابطال اكتوبر ، وهو يسكر ، عن خيانة المصريين للقضية !!

اما في ليبيا التي اعتبرها رابعة الدول النفطية الخليجية قطر والامارات والكويت فقد ظل العقيد يسمي حرب اكتوبر « مؤامرة رمضان » التي جرت مصر سوريا اليها . . ! وفي الجزائر التي لا قيمة لها الا الغاز حرقوا التماثيل وضربوا السفارة . . الخ

وقد قام بهذا الدور اعني اذلال المصريين واستفزازهم . . طبقة جديدة ظهرت مع نفط السبعينات وتدهور مكانة مصر وكامب ديفيد وارتفاع الدخل الى الحد الذي اطلق سعار الجنون في تلك الفئة التي لم يكن لها لا اصالة الشيوخ ولا خبرتهم ولا معرفتهم بالتاريخ وحجم مصر الحقيقي . . كانوا مجموعة من الرعاع الوضعاء الاصل بقايا العبيد والقوادين والافاقين انتقلوا فجأة من الجوع واكل الجراد والمشي حفاة الى مليونيرات . . لا حدود لشهواتهم ولا خلق ولا دين . . لم يستطيعوا استيعاب حجم المال الذي انهال عليهم ، فاصبحوا كجهنم لا يكفون عن الصراخ في طلب المزيد . الذي لم يكن يعرف عدا بعد الألف امتلك المليون ثم المليار ومازال مسعورا يلهث يريد مليارا لكل ولد لكي يؤمن مستقبله وابوه امن مستقبل اولاده بعنزة . . الذي لم يكن يحلم بأن يمتلك دفتر توفير في البريد اصبح يمتلك بنكا . الذي ما كان يحلم ان ينشر له في بريد قراء مجلة مدرسة سنط الوز الاعدادية اصبح يكتب الافتتاحية في صحيفته التي تطبع في لندن والكويت ومصر ويمتلك دار نشر وطائرة خاصة يسافر بها لعمل حديث مع مانع العتيبة أو عبدالله النويس . . ويدخل من باب كبار الزوار في مطار القاهرة ويهرب المخدرات !! طبقة لا تعرف ما هو

الحرام ولا ماهو العيب .. تهب المال العام وتتقسمه مع اللصوص الوافدين من غير وطنها ولا جنسها ولا دينها ، دون ان يطرف لها جفن ، وتطلب عمولتها حتى من المرضى ! لا تتورع عن جريمة .. واكاد اقسم انه ما من فاحشة حرمت في قانون أو كتاب منزل أو عرف إلا وارتكبوها. .وقد انتشر بين هذه الطبقة عناصر تعمل في المخابرات الامريكية والموساد واولاد واحفاد عملاء المخابرات البريطانية .. وتجمعت المصلحة الخاصة وهي الرغبة في الاستئثار بعائد النفط ، مع الخط الامريكي / الاسرائيلي في افقار مصر، فشنت هذه الطبقة حملة شعواء ضد منح مصر اي دعم بحجة الخيانة لا في كامب ديفيد بل منذ وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر ١٩٧١. .. بل ومن قبل ذلك فقد شككت فئات منها والحرب تدور والدم المصري يراق بما يفوق تدفق نفطهم..

ولا اظن انني احسست بإهانة في حياتي كما حدث عندما رأيت صحيفة تصدر في دولة الامارات تهاجم مفاوضات الكيلو ١٠١ التي كانت تهدف لفك الحصار عن الجيش الثالث الذي كان يحصل على الماء بترتيب خاص بين الامم المتحدة وامريكا واسرائيل ومصر . ولكن هذه الصحيفة رسمت خيمة وكتبت عليها مفاوضات فك الاشتباك وبداخل الخيمة جنرالات مصر في حرب أكتوبر .. وخارج من الخيمة موشي ديان يزرر بنطلونه !!!

ولو أحرقت دولة الامارات أربعين مرة إحداها بالنعال لما شفي لي غليل ولا التأم الجرح الذي احسست به وقتها ..

هذا بعض ما كتبه غلمان النفط عن مصر وجنرالاتها غيرة على القضية .. ومن هنا قام حق المصريين والسوريين والفلسطينيين في المطالبة بحصة عادلة في النفط .. لأن من يملك التوجيه والنقد وفرض العقوبات باسم القضية يلزمه ان يدفع مصروفاتها .. لا يمكن ان يجلس الكويتي والابوظبياني في كباريه العمل العربي ينتقد المصري لأنه لا يحارب كما يريد طويل العمر ثم في النهاية يرفض دفع الفاتورة .. لا يعقل ان تثور وتنفذ الكويت قوائم المصريين الممنوعين من دخول الكويت والبلاد العربية المجاهدة بسبب موقفهم من كامب ديفيد .. فاذا ذهب المقاتل السابق للعمل في الكويت أو العراق عاملوه معاملة السائمة .. وها نحن نرى هؤلاء الذين صفقوا لاعدام السادات لأنه استعان بالدبلوماسية الامريكية لاسترداد سيناء .. نراهم وقد اراقوا ماء وجههم واهدروا البلايين على قدم الامريكان ليستردوا لهم حارة في سيناء اسمها الكويت .. وفور عودتهم على القيادة الأمريكية اسقطوا مقاطعة اسرائيل بحجة ضياع الدفاتر خلال الاحتلال العراقي

وتعذر الحصول على نسخة من عشرين دولة عربية ! (قارن هذا بموقف السعودية التي رفضت دخول عضو كونغرس امريكي هذا الشهر (ابريل ١٩٩١ تنفيذا لقرارات المقاطعة وامتنعت عن الجلوس مع اسرائيل) ..

باختصار ان الدور العروبي الذي اصرت عليه هذه المشيخات هو الاساس في مطالبتها بحصة من نفطها .. وهذا هو العدل ..

اما تقسيم الثروة باسم العدالة الاجتماعية ولمنع حقد الفقراء على الأغنياء فشعوذة ..

وكان بعض الصحفيين قد وجه السؤال التالي للامير بندر بن سلطان :

س — البعض يردد دعاية صدام عن اعادة توزيع الثروات بين الدول العربية.

الامير بندر — هذه قضية مهمة جدا ومتشعبة وبقدر ما تعكس الطموحات المشروعة تعكس التضليل ومحاولات التخريب ... صدام حسين يريد المصريين ان ينسوا انه هو الذي حرم مصر من الفائض المالي الذي ميز الثمانينات بسبب مؤتمر بغداد الذي استخدم فيه كل الوسائل لارهاب دول الخليج لمقاطعة مصر .. وفعلا استأثر هو بالجانب الاكبر من فائض اموال النفط في تلك الفترة . صدام هو الذي بدد من اموال النفط العراقية والعربية ما يقدر بمائتي الف مليون دولار خلال سنوات حربه مع ايران. ويمكنك تخيل ما بدده بسبب غزوه للكويت التي تقدر بنفقات تعميرها وحدها بمائة مليار ، والبعض يقول اكثر، وتخيل كم سيتكلف تعمير العراق وتعمير ما تخرب من المنطقة الشرقية في المملكة . صدام بدد ثروة العرب النفطية في الثمانينات والتسعينات . صدام اشترى بمال النفط صواريخ ضرب بها الرياض . صدام لم يفتح مدرسة في مصر ولا بنى مستشفى بل ومنع دول الخليج ان تفعل باسم معارضة كامب ديفيد . صدام لم يقتسم ثروته مع أحد لم يعط السودان مصنعا بل شبكة صواريخ لضرب السد العالي .. ثم هؤلاء الذين يرددون دعوته ، من منهم اقتسم ثروته مع الاشقاء ؟ ! هل اقتسمت الجزائر عائدات نفطها مع المغرب ام انفقتها في قتال المغرب على حق الصحراويين في تقرير مصيرهم وبناء دولة مستقلة بينما تنكر ذلك على الكويت المستقلة قبل الجزائر . ان شعار اعادة توزيع الثروة أو عدالة التوزيع هو شعار غاطئ مضلل مخرب ، وقد استقر القانون الدولي منذ كانت الدول على ان كل دولة هي المالك الشرعي والمتصرف الاوحد بما حباها الله من موارد طبيعية [٢٩] ولا تستطيع الكويت ان تفرض اقتسام مياه العراق . ولكن المطلوب هو اعادة تدوير المال العربي ، خلق دورة صحية تعود بالنفع على كل العرب .. وعندما اتحدث عن تدوير المال العربي المعطل فليس من العدل ولا من العلم ان ينحصر التفكير في المال

النفطي أو وصفه بأنه وحده المعطل ، بالعكس ان ملايين الهكتارات التي في السودان لا ينقصها الماء ولكنها معطلة عن الانتاج بسبب تخلف النظام والحروب الاهلية .هي مال عربي مهدور خسارته وعطلته افدح الف مرة من اي مال نفطي مستثمر خارج العالم العربي . .ان ملايين القوى العاملة المعطلة عن الانتاج في المغرب بسبب حرب الصحراء مع الجزائر هي مال مهدور ومعطل . . المطلوب هو مشروعات عربية يدور فيها رأس المال العربي النفطي والزراعي والبشري والفني ليخلق ثروة جديدة لجميع الاطراف اما لو حصرنا جهدنا في اقتسام الموجود فسترتكب غلطة الاشتراكيين الذين لم تحقق عدالتهم الا مساواة الفقر .» (حديث مع الامير بندر فبراير ١٩٩١)

وقد كرر نجيب محفوظ فكرة الامير وزاد ان طالب امريكا بتنفيذها قال لمجلة الشام : «كل العرب يحلمون بوحدة يستثمر فيها النفط واموال النفط عربيا للتنمية والمصلحة المشتركة. وامل ان تلعب امريكا دورا يتفق وعظمة شعبها في محاولة توحيد العالم وحماية العرب في الخليج »

وفي اعتقادي ان المملكة يجب ان تتحرك لاجبار هذه الدويلات الاستفزازية الكيان والمسلك على التواري في كيان عربي اكبر لمصلحة الجميع .هذا ما نصحنا به قبل منعرج كاظمة في عام ١٩٨٥ فلم يستبينوا النصح الى اليوم انعم إلى وليس إلا . .

فالمطلوب هو تعريب النفط من ناحية حمايته والقرارات المصيرية التي ستعود بنتائجها على الأمة العربية كلها . . فكويتي متطلع اتصل بمحتك في المخابرات الامريكية الذي نصحه بالانتاج بلا حساب للضغط على العراق . وشيوخ اصيبوا بالسعار في دولة الامارات يقيمون متاحف في لندن ويطورون جامعاتها . . لم يجدوا وسيلة لزيادة دخلهم الا فتح الانبوب على البحري . . تسببوا في غزو الخليج وما اصاب الامة العربية من اهوال. ليس عدلا ولا عقلا ان يترك النفط لقرارات مانع العتيبة والشيخ سلطان وجواسيس المخابرات الامريكية في الكويت . وقد كتبنا قبل ٨ سنوات نقول :«إن تعريب النفط ، سيمكن المجموعة العربية من ضبط إنتاج وسلوك المشيخات والمشاغبين ، كما سيفرض على الدول المعادية حساب مخاطر المواجهة العسكرية مع المجموعة العربية وليس مع دول قليلة العدد ضعيفة العدة .. »

ولسنا نزعم أننا نملك حلا يكفل الحماية الكاملة ، ولكن ما نفكر فيه هو تقليل المخاطرة، وجعل ثمنها فادحا على العدو .. ونعني تعريب النفط ، جعله قضية كل العرب ، يشتركون في تخطيط استراتيجية ، ويشاركون بنسبة ما في عائده ، ويتحملون – كل قدر طاقته– مسئولية الدفاع عنه . وهذا الموقف العربي – كما قلنا – لن يتشكل إلا حول نواة مصرية – سعودية . (من كتاب قيام

وسقوط امبراطورية النفط)

اما الاستثمار فمكانه الطبيعي في العالم العربي ونحن اول من اتهم المسؤولين في البلدان العربية غير النفطية بتطفيش رأس المال النفطي من المنطقة بالاشتراكية ولكن الدول النفطية وبالذات الكويت والامارات لم تحسن استثمار اموالها ولا كان الغرب اقل خداعا ونهبا لأموالها من العرب الاشتراكيين ولا كانت الكويت ذاتها بأقل طمعا ونهبا لأموال الخليجيين والمصريين والمغاربة ، وقد علقنا في حينه على فضيحة سوق المناخ ، وكذلك على اشهر استثمار فاشل للكويت وكان ذلك منذ ثماني سنوات فقلنا : « تمثال جاسم للطوع في متحف مدام «تسو» في لندن يحمل لقب «اكبر مفلس في التاريخ » ولو كانت الكويت تمارس الصدق مع النفس لكتبت على بورصة سوق المناخ : «اكبر افلاس للسياسة الاقليمية في النفط وقصر النظر والجشع » .ونموذج آخر من الانفاق الإتلافي النفطي ، هو شراء الكويت لشركة «سانت في » الامريكية ، فقد كانت نموذجا للغفلة والنصب معا، فالشركة الامريكية تملك امتيازات تنقيب عن النفط والمعادن في امريكا وأحد فروعها يعمل في الابحاث النووية ، أي فيها ما يكفي لاشباع الادعاء الكويتي ، ونشر المانشتات التي تتحدث عن دخول الكويت عصر الابحاث النووية ، واستثمار آبار النفط في قلب امريكا والسيطرة على اقتصاد اوروبا الى آخر هذا الهذر ..

ولما كان المبلغ الذي عرضته الكويت مذهلا وهو ٢.٥ مليار دولار ، فقد حرص الامريكيون — حتى على المستوى الحكومي — على تشجيع الكويت حتى يتم الارتباط ودفع المبلغ . فنشرت الواشنطن بوست مقالا بقلم «كيث جرسون » تحت عنوان : « الحكومة ستسمح للكويت بالتنقيب عن المعادن في الاراضي الامريكية ، وان ادارة ريغان تستعد للسماح للكويت بالتنقيب عن المعادن في اراضي الدولة ، وينتظر أن يصدر قرار وزير الداخلية (جيمس وات) في الاسبوع القادم ، وسيعلن ان الكويت دولة متجاوبة ، بموجب قانون التراخيص الذي يشترط المعاملة بالمثل للحصول على امتياز تنقيب» ، وقال ان كندا وقبرص والسويد تضع قيودا على الاستثمارات الامريكية ، ولكنها اعتبرت دولا متجاوبة لها حق الاستثمار في امريكا ونفس الشيء ينطبق على الكويت وصرح الوزير بنفسه في لقاء تليفزيوني ان الوزارة تميل لاعلان الكويت «دولة متجاوبة» واعلنت اللجنة الفيدرالية للاستثمارات الاجنبية في امريكا « أنه لا اعتراض لديها على الصفقة » واعلنت وزارة الدفاع ووزارة الطاقة رضاهما عن الوضع النووي للشركة ، وصدر بالفعل قرار بالموافقة على حق الكويت بالتمتع بامتيازات النفط ووقع القرار نائب الوزير «كاري كارتر» وتورط «عبد

المبارك» ودفع المبلغ وهو ملياران ونصف مليار دولار بعد خصم العمولات للسماسرة الذين تلاحقهم الآن محاكم امريكا، واصبحت الكويت رابع دولة من ناحية حجم الاستثمارات في امريكا عن عام ١٩٨١ (كندا – بريطانيا – فرنسا – .... الكويت!!) بل وأكبر مستثمر أجنبي في النفط الامريكي على الورق ! ..

وتشكل مجلس ادارة الشركة وعين ثلاثة كويتيين اعضاء في مجلس إدارة الشركة الأم هم عبد الملك الغرابلي، والشيخ على (ابن الشيخ جابر العلي وزير الاعلام السابق، والذي دفعه حقده على الاسرة وأوهامه عن ولاية العهد الى التآمر مع دولة اجنبية ضد الكيان !) وعبد الرازق ملا حسين ..

ونظرا لسمعة الكويت السيئة في معاملة «الاجانب» فقد حرص مجلس الادارة على تطمين العمال الامريكان باعطاء امتيازات وعلاوات، كما اعتمد مبلغ خمسين مليون دولار لتطوير أعمال الشركة ! وبعد ما أصبح المستثمر الكويتي في المصيدة، والمال في خزائن الامريكيين كانت المفاجأة .

قالت السلطات الامريكية : «لا يجوز لشركة عربية أن تعمل في الحقل النووي أو أن تمتلك مؤسسة نووية ! واكد الجانب الكويتي حسن تولاياه، وأن ابحاث الشركة مرتبطة بعقود حكومية امريكية، «وليس لديها أي سبب أو نية للعمل ضد السياسة الامريكية أو اصدقاء اسرائيل» الذين يضعون «فيتو» على أي نشاط عربي ذري حتى ولو كان في امريكا وتحت إشراف «العم سيمون» أوسام سابقا . وزاد الجانب الكويتي فوعد بأن الشركة لن تطلع حتى الشركة الأم في الكويت على الجانب الذري من نشاطها، ورغم يقين السلطات الامريكية بصدق الوعد، بل وحتى لو اطلعوا لما فهموا .. إلا أن هذه السلطات أصرت، وتنازل الكويتيون وقبلوا تصفية النشاط الذري للشركة، مع أنه كان «أبرز المنجزات» في الحديث عن دور الاستثمارات الكويتية في ضمان مستقبل الاجيال ووضع الكويت فوق الشمس ! ..

وجاء الدور على امتيازات النفط، قالت السلطات الامريكية : اذا اشتجم نفطا في امريكا، ونشبت حرب بين العرب واسرائيل وقرر العرب قطع النفط .. فماذا تفعلون ؟ .. تقدم الكويتيون بتنازل خطير، وهو تعهدهم بعدم قطع النفط وعدم الالتزام بأي قرار عربي فقد تعهد ممثل الجانب الكويتي الشيخ وعبد الرازق محمد ملا حسين» ما نصه حرفيا: «في حالة وقوع مقاطعة عربية نفطية فإن شركة النفط الكويتية (الشركة الام لسانتا في) لن تطلب منها العمل ضد المصالح الامريكية» .

أي انها لن تنفذ قرار المقاطعة حتى لو التزمت به حكومة الكويت .. بل حتى لو صدر القرار

احتجاجا على غزو الكويت ذاتها !

وما الثمن ؟ .. ملياران ونصف مليار دولار لو انفقت على استخراج نفط السودان لكان في الاسواق منذ سنوات ، ولدعم اقتصاد عربي ، ووطن عربي ..ولعاد بعشرة اضعاف الربح الذي كان يأمله الكويتيون لاستثمارهم الفاشل ، وبلا تنازلات قومية ووطنية ..

وماذا كانت النتيجة ؟ .. رفض الامريكان كل هذه التنازلات والغت الحكومه الامريكية حق الشركة بالعمل في النفط لأن المالك الجديد – أي الكويت – لا يسمح للشركات الامريكية بالعمل في النفط بالكويت !

لا طاقـه ذريه ولا نفط !! وهكذا أصبحت الشركة بلا عمل ، وذهب مع الريح الفان وخمسمائة مليون دولار .. « ومال الكذا بروح هيك » كما يقول المثل اللبناني القبيح!..

كتبنا ذلك منذ اكثر من عام فقامت علينا صحافة الكويت ، ومنذ اسابيع قالت صحيفة الوطن الكويتية ١٢/١١/١٩٨٤) تحت عنوان : «هل اصبحت سانتا في عبئا؟» . كلنا نذكر الضجة التي اثيرت عندما اشترينا شركات « سانتافي » الامريكية ، وبعضنا لا يزال يذكر دفاع الحكومة وقتها عن الصفقة هذا الدفاع الذي بالغ في امكانيات سانتا في ودورها المنتظر في دعم اقتصادنا الوطني، بينما ظن البعض أنها افضل استثمار لزيادة الدخل الكويتي . وقد ضللتنا الحكومة الامريكية والاعلام حول الصفقة ، ولكن ما أن تمت ودفعنا المبلغ ٢,٥ مليار دولار حتى افتعلت الحكومة الامريكية مشكلة مع الشركه والغت امتياز عملها في امريكا . والآن بعد ٣ سنوات فإن الشركة ترتبح ، وهو ما توقعه الخبراء وقتها (شكرا لسنا خبراء والله ولكن شرفاء فقراء يتقطع قلبنا حسرة على كل مليار من مال العرب ينفق هباء !ج) ولذلك تتجه الحكومة الكويتية لدعم الشركة باعطائها عقدا ب ٤,٤ مليار دولار لتطوير مصافي ميناء الاحمدي .. وهكذا تلجأ سانتافي للاقتصاد الوطني تطلب الدعم بينما كنا نرجوها لدعم اقتصادنا » !

قلنا هذا من سنة قالوا اطلع من البلد .. وبالطبع ستحول الارباح والاجور لأمريكا وستدفع الضرائب للعم السام فهي شركة امريكية المقر .. أي اننا عدنا للصيغة الطبيعية وهي استثمار امريكا للكويت وليس العكس مع فارق أن الاستغلال الامبريالي يتم الآن بمال الكويتي وتحت الراية الكويتية والغاوي ينقط بغترته أو طاقيته ! ..(وبعد سنة اخرى اثير استجواب في البرلمان الكويتي يتهم المسئولين في الصفقة بالرشوة والاضرار بمصالح ومستقبل الاجيال القادمة . . . فحلوا البرلمان حرصا على مستقبل الاجيال الغابرة والقادمة من المنتفعين . . (ولكن شركة سانتافي الكويتية

تستثمر الاكثر تخلفا فهي تعمل في مصر في صناعة النفط !)

هل هذا هو الاستثمار ؟

٢,٥ مليار دولار لو انفقت على استثمار نفط الصحراء الغربية أو السودان أو تطوير صناعة الفوسفات في المغرب أو تعمير الساحل المصري – التونسي ، أو تطوير الصناعات الحربية في مصر ألم يكن العائد الاقتصادي والقومي والكويتي اكبر ؟! ..

ولكن الذي خطط لكي تصبح اضعف الكيانات العربية هي الاكثر ثراء ، والذي جعل النفط رمزا للأنانية الاقليمية الضيقة الافق ، الشرهة الخلق ، لم يكن بالذي يسمح باستثمار هذه الأموال في الوطن العربي أو فيما يعود على العرب أو حتى على دول النفط بالمصلحة والارباح .. ولذلك احاط الاثرياء الجدد بالافاقين الذين ادعوا الخبرة العالمية والقدرة على التحول من مدير شئون اولاد وخدم قصر الشيخ الى مفاوضة الحكومة الامريكية وشركة مرسيدس ومنافسة موبيل أويل في امريكا ، واقنعوا النفطيين بأنهم عباقرة !!

لماذا تمول الكويت مصنعا لسيارات فولكس واجن في البرازيل ؟ ولماذا ليس في مصر أو العراق أو المغرب .. أو البحرين ؟ أليس المال العربي بقادر على انتاج سيارة عربية؟! واذا لم يكن لماذا ليس مصنعا للفولكس في بلد عربي ؟!

لماذا تنفق الكويت نصف مليار جنيه استرليني لتجميل مدينه لندن وحل أزمة المكاتب التجارية في عاصمة الدولة التي احتلتنا اكثر من قرن ، ولم تخرج حتى زرعت لنا اسرائيل؟!

لقد تبددت كل الاكاذيب التي قيلت حول الاستثمار العربي في اوروبا وامريكا وعندما صدر القرار الامريكي ضد شركة «سانتافي» وتنادى مغاوير الصحافة الكويتية بالويل والثبور وعظائم الامور ، صرح مسئول امريكي بكل هدوء : ان الكويت لا تملك وسيلة للانتقام ، لأن السوق المالية الاوروبية غير قادرة على استيعاب مفاجئ للاستثمارات الكويتية اذا ماقررت المهاجرة من امريكا » وهذا ما اكده رئيس وزراء الكويت وولي عهدها عندما قال في بيانه امام مجلس الأمة ونحن لا نملك حيلة ازاء القرار الامريكي فلا نقدر على سحب استثماراتنا من هناك ولا قطع النفط يؤثر عليهم » يعني اشربوها واسكتوا !!

وقال رئيس التحرير الكويتي لمجلة «العربي » اننا نخطط للعيش على ايراد استثماراتنا في الغرب ، وها هم يضغطون على شريان الحياة هذا ، فاليوم « سانتا في » وغدا غيرها .. اننا منزعجون ونتساءل ماذا تريد امريكا .» وهو يذكرنا بالنكتة المشهورة .. التي آخرها «تفتكر كان

عايز ايه ياعثمان ؟؟ !!

ولقد علق وزير المالية السعودي على الحادث بقوله : «ان المال المستثمر بالخارج مخاطراته اكثر ومردوده أقل ، وهو على كل حال يخضع لسلطة سياسية اخرى وبالتالي فسيطرة صاحب المال عليه أضعف بكثير من سيطرته عليه اذا ما كان في بلده ». (من قيام وسقوط امبراطورية النفط ص٦٨:٧٢)

تحرير الكويت . . لمن ؟

في سبتمبر(١٩٩٠) وفي عنفوان التصريحات البوشية الحارة للدفاع عن الكويت والشرعية قلنا ان الامريكان لا يكنون حبا لآل صباح ، وقلنا ان الامريكان عادة لا يحبون النظم الملكية ، لاعن خلق ثوري فيهم كما يدعي بعض الامريكان . . لا . . هذا هراء ! وانما لأن النظم الملكية لا يسهل التأثير والتغيير فيها مثل النظم الجمهورية . . وقلنا ايضا ان العلاقة التاريخية بين آل صباح والانجليز لا تجعل الامريكان حريصين على استبقاء هذه الاسرة . . واشرنا في نشرتنا للحوار الساخن الذي دار علنا بين الصحافة الامريكية المهاجمة لآل صباح والصحافة الانجليزية المدافعة عنهم باسم الشرعية وكانت صحيفة يو إس توداي قد كتبت يوم ٣١اغسطس ١٩٩٠: «لماذا ندمر اقتصادنا لحماية مشيخات هي اقل بلاد العالم ديموقراطية .» وكتبت الوشنطن بوست : « بينما تصر تاتشر على انسحاب العراق وعودة الأمير فإن امريكا تحب أن يتحقق الانسحاب من الكويت ولكن ليس بالضرورة عودة الامير .» ولم تطق التايمس صبرا فخصصت افتاحيتها يوم التاسع من سبتمبر ١٩٩٠ للرد على الحملات الامريكية فقالت : « كثيرون يحاولون انقاذ ماء وجه صدام قائلين انه لا يليق ان ينحاز الغرب الى جانب حكم اتوقراطي مثل حكم آل صباح . ويقول انصار هذا الرأي ان الالتزام بإعادة السيادة الشرعية للكويت لا يعني بالضرورة مساندة عرش آل صباح ، بل هناك فرصة ذهبية – في زعمهم – لجعل الكويت نموذجا ديموقراطيا ، حرة في انتخاب حكامها، ويقولون ايضا ان الجمهور في الغرب لن يقبل اقل من ذلك . .» وترد الصحيفة البريطانية :« ان قرار الامم المتحدة ينص على اعادة الحكومة الشرعية للكويت، وآل الصباح هم هذه الشرعية الوحيدة . . ولذا فإن الأمير يجب أن يعاد الى عرشه . يجب ان نميز بين تشجيع الديموقراطية وفرضها . والحديث عن اشراف الامم المتحدة على اجراء اصلاح سياسي في الكويت هو كلام غير مسئول وغير قانوني . ان تعليق اعادة السيادة الكويتية على بعض الشروط لا يشكل فقط انتصارا لصدام حسين الذي كان أحد مطالبه ابعاد آل صباح ، بل وتدخلا سيئا في شئون الكويت .»

وقد حاول صدام استغلال هذا الموقف الأمريكي فقد ركز دعايته على مهاجمة آل الصباح وقدعا الولايات المتحدة لاثبات ديموقراطيتها باجراء استفتاء في العالم العربي على عودة آل الصباح! » [٣٠]

كما «اكد الرئيس العراقي مع تليفزيون المكسيك ان افراد اسرة الصباح لن يعودوا للحكم ابدا واذا مات أحد وطلب دفنه بالكويت ربما سمحنا بذلك » [٣١]

وطوال شهور « التحرير » لم تدخر الصحافة الامريكية مسبة ولا اتهاما ولا سخرية الا وكالته لآل صباح كما قدمنا بعض نماذج لذلك . وقد هبطت هذه الحملة بعض الشيء بعد ان وعد آل صباح بسبعين بالمائة من عمليات التعمير للشركات الامريكية .. ولكن آل صباح اعطوا الانجليز ايضا ٢٢ ٪ وهي نسبة كبيرة في ظن الامريكان بالنسبة لقوة بريطانيا .. ولكن اهم من ذلك ان الشركات الامريكية فوجئت بالوحوش المسعورة من شباب آل صباح الذين تقدموا للعب دور الكفيل أو الشريك للشركات الامريكية . والقانون الكويتي الذي يشرع اختلاس المال العام باسم العمولة أو الكفيل أو الكويت يلزم كل شركة اجنبية ان يكون لها كفيل كويتي بنسبة ٥١٪ لا دور له الا القبض واحيانا يلعب دور المسهل الذي يسهل تمرير العمليات المشبوهة والقذرة ويوزع نسب العمولة على قطيع المختلسين والمرتشين في جميع المراكز . ولا بأس هنا من نكتة قيلت عن الكفيل في الكويت فقد تقدمت شركة لعمل جسر وطلبت مليون دولار فقال لها الكفيل .. العمل هنا لا يسير وفق مقاييسكم .. هناك التزامات واكراميات اطلبو مليونين وسنقسم المليون الثاني معا .. وافقت الشركة وانتقلت الاوراق الى مدير البلدية الذي طلب رفع المبلغ الى عشرة ملايين والفرق بالنص وقد كان وانتقل الورق الى وزير البلديات الذي رفعه بدوره الى خمسين وبالنص حتى وصلوا الى الشيخ المحترم من آل صباح فطلب رفع تكلفة الجسر الى مائة مليون. وهنا قال مندوب الشركة ولكن يا طويل العمر الناس سترى الجسر ولن تصدق انه تكلف هذا المبلغ .. فسأل الشيخ بكل براءة وهل تنوون فعلا بناء جسر؟!

ويبدو أن الامريكان لم يتقبلوا ذلك خاصة بعد الجهد الذي بذلته القوات الامريكية في تدمير وتحرير الكويت وأيضا لأنه في هذه المرة لابد ان يبنى الجسر فعلا .. لم يصدق الامريكان ان لهم نصف مليون جندي على ارض الكويت وما جاورها وست حاملات في الخليج ثم يحتاجون لكفيل يحميهم .. والآن هذا الكفيل هو مجرد مراهق من آل صباح يفرض اتاوة على الشركات

الامريكية ٥١٪ !!

ولا حظ الامريكان الصراع الدموي الذي نشب بين آل صباح وخاصة الجيل المتعطش عديم الخبرة مستشري الشهوة شديد الطمع ، وبين نظيره من رجال الاعمال والمثقفين الكويتيين الذين لا يخيفهم جميعا مما جرى الا نسبة العمولة الممكنة من مائة بليون دولار أو اكثر متدفق من ماسورة الانفاق الحكومي أو رصيد مستقبل الاجيال القادمة .. وبدأت الصحافة الامريكية تهاجم علنا وبصراحة آل صباح وحكمهم .. واقترحت صحيفة امريكية تلزيم الكويت كلها لشركتين واحدة للاشغال واخرى للنفط تماما مثل ايام المندوبين البريطاني والفرنسي قبيل الاحتلال البريطاني لمصر :«الرئيس بوش يجب الا يتأخر في زيارته المرتقبة للكويت والتي تمتد لها اخر ابريل لأن هناك ما لا يستطيع أحد غيره ان يقوله لامير الكويت ولأن القيادة الكويتية محدودة الخبرة في الديموقراطية.. بوش يجب ان يكلم الأمير حول التعثر في خطة البناء لأنها اصبحت مشكلة سياسية. يجب ان يحث بوش الاميرعلى ان يفوض السلطة اما الى كويتيين اكفاء أو لمؤسستين امريكيتين واحدة تتولى حقول النفط ، والآخرى لاعادة اصلاح البنية الاساسية ..وهؤلاء يعطون الاعمال للشركات الامريكية.»[٣٢]

«في الكويت تقوم عناصر المقاومة والقوات المسلحة العائدة بالقبض على الفلسطينيين والعراقيين وجنسيات اخرى حيث يتعرضون للتعذيب والاعتقال والاختفاء اوالترحيل. وقد وجه النقد للعائلة المالكة بسبب بطء اعادة النظام والخدمات العامة وهناك نداء للامريكان لكي يحولوا بين الكويتيين والانتقام من المقيمين من العمال العاجزين .ان المهمة الاولى للعائلة المالكة هي حماية رعاياها من الوطنيين والاجانب .هناك طبقة متقدمة متمدينة تعرف التعامل مع العالم الحديث انهم الذين يطالبون الان بالديموقراطية وحقوق أكثر للمرأة ولغير المواطنين ، والعودة للدستور البرلماني الذي تمتع به الكويتيون في الأيام الاولى .»[٣٣]

وعشرات الفلسطينيين يختفون بطريقة سرية ما بين التعذيب والاستجواب والترحيل واحيانا الموت . في مقبرة الرقة دفنت خلال الاسابيع الثلاثة منذ التحرير ٨٠ جثة مجهولة.ومن بين ٤٠٠ ألف فلسطيني كانوا في الكويت لم يبق الا ١٧٠ ألفا وقد عثر على ١٢ جثة لفلسطينيين ما بين سن ١٥ و٣٠ سنة تحمل اثار التعذيب مدفونة في قبر جماعي. ولجنة العفو الدولية اكدت التعذيب الذي يشمل الضرب بالعصي والقضبان والمسدس وصدمات كهربائية واطفاء السجائر في الجسم .»[٣٤]

وقالت الصحف ان السلطات الامريكية قدمت مستندات تثبت ان عمليات الارهاب ضد

الفلسطينيين والمعارضة يقوم بها عصابات بقيادة ابن الأمير وابن ولي العهد وان ولي العهد اقتنع فنفى ابنه خارج الكويت ..

«قال بيكر للصحفيين انه ابلغ الشيخ جابر وولي عهده الشيخ سعد ان دعم الولايات المتحدة للكويت عسكريا وسياسيا سيتأثر بموقف الكويت من حقوق الانسان..وقد اعترف ولي العهد بوقوع انتهاكات لحقوق الانسان بعد التحرير . ولكن البوليس منع مؤتمرا للمعارضين لأسرة الصباح التي تحكم الكويت من ٢٣٩ سنة (١١ ج) قال تقرير لجنة العفو ان مئات من الفلسطينيين والعراقيين والكويتيين الذين اتهموا بالتعاون مع العراق قد اعتقلوا وعذبوا وقتل بعضهم .»[35]

وكانت الانباء قد نقلت ان قادة المعارضة الكويتية طلبوا استقالة الحكومة وذلك خلال مؤتمر انعقد بجده اشتركت فيه الحكومة بما فيهم الشيخ سعد العبدالله وقال المندوبون ان الدعوة للاستقالة جاءت من القوميين العرب والبرلمانيين السابقين من اعضاء الجمعيات الاسلامية الذين طالبوا بحكومة انقاذ وطني من جميع الاتجاهات للحلول محل آل صباح.»[36]

وقد كشفت لوس انجلوس تايمس عن تشكيل لجنة بقرار من الرئيس الامريكي تضم نواب المديرين في مجلس الامن القومي والمخابرات الامريكية ووزارتي الخارجية والدفاع للتخطيط لمستقبل الخليج الذي قال عنه احد كبار المسئولين الامريكيين .. «انا على يقين من ان صدام سيخرج من الكويت أما كيف سيكون الوضع في الخليج فهذا ما لا اعرفه» ونقل عن مجموعة العمل المكلفة بالتخطيط لما بعد صدام حسين «ان ازالة صدام حسين ستبدو عملا هينا بجانب ما يجب انجازه لتحقيق الاستقرار في المنطقة» والمجموعة يرأسها نائب مستشار الامن القومي روبرت جيتز والتعليمات التي تلقاها هي رسم مستقبل العراق والكويت والسعودية واحياء مسيرة السلام العربي / الاسرائيلي والسيطرة على الاسلحة غير التقليدية في المنطقة .» والخطوط العريضة حتى الان هي:

- «اقامة توازن للقوى في المنطقة يضم ايران .
- معالجة مشكلة الثراء الفاحش والفقر المدقع في الدول الخليجية وجيرانها.
- السعي لمقرطة الحكم في الدول الملكية والاشتراكية على السواء .
- ضرورة وجود قوة امن في الكويت حتى تستقر الاوضاع ويقدر عددها بخمسة الاف.

وعن النقطة الاخيرة قالت الصحيفة « هناك قلق متزايد لدى الولايات المتحدة حول مستقبل عائلة صباح التي حكمت من سنة ١٧٥٦ وسواء بالحرب او بالسلم فإن الكويت لن يلتئم شملها

مرةاخرى، وتنبأ مسئول امريكي كبير ان المعركة بين عائلة صباح والذين بقوا في الكويت او تخلفوا في الكويت ستتصاعد وقال ان عندنا تقارير فعلا من الذين عبروا الحدود الى السعودية عن المرارة لدى الذين بقوا في الكويت نحو حكومتهم التي هربت مع اول طلقة وهذه مشكلة تجب مواجهتها »والسعوديون والكويتيون والامارات الاخرى يجب أن يشجعوا على استثمار ثرواتهم باسلوب مختلف باستثمارها في تطوير اقتصاديات جيرانهم تركيا والاردن والضفة وغزة واليمن واقترح بنك تنمية تضع فيه دول النفط ٣٠ بليونا والدول الاخرى ٢٠ بليونا .»[٣٧]

واعنف ما كتب حتى تاريخه هي افتتاحية النيويورك تايمز تحت عنوان التقدم للكويتيين قالت فيها : « اسوأ ما في وضع الكويت هو ان حكامها المستهترين يبدو ان الكارثة لم تعلمهم شيئا .. ولا شك ان الامريكان قد اكتسبوا حق الكلام ..وبناء عليه تقول ان العائلة الحاكمة التي قضت الشهور السبعة في منتجع سعودي لم تشعر بمعاناة شعبها .وأحد المسئولين في المنفى اساء للمقاومة الكويتية عندما اذهل المشاهدين الامريكيين وهو يبدي استعداده على التليفزيون للتضحية في سبيل الكويت باستعداده لقبول خادمتين فقط بدلا من اربع ! . ان كل ما يشغل امير الكويت وعائلته بعد الحرب هو من الذي سيفوز بعقود تعمير الكويت ..والأميرتلكأ ١٦ يوما قبل ان يعود لبلاده المحررة ومن يومها اختفى . والحكومة التي تسيطر عليها عائلته غير قادرة لا على الحكم ولا على تفويض السلطة لمن يطيقونه . اما الذين قاوموا الاحتلال العراقي والذين يطالبون بالديموقراطية فيجري اضطهادهم و بعضهم اطلق عليه النار ويوجد منهم ألفي معتقل في معسكرات لا تقل سوءا عن العراقية . الأمير مهتم باستئناف حياته المترفة اكثر من اهتمامه برعاية شعبه. وصحيح ان هناك وسائل دبلوماسية يمكن ان تعبر بها الولايات المتحدة عن رأيها ، ولكن الأمير وعائلته يجب ان يعرفوا ان رأي حكومة الولايات المتحدة هنا يعكس اشمئزازا امريكيا عاما . الامريكيون خاضوا حربا منذ زمن بعيد ضد الادعاءات الاقطاعية للملكية الوراثية .ويعرفون معنى التيجان الهاوية..... من بين المطالب المطروحة .. صحافة حرة وان تمنح الحقوق السياسية لغير الكويتيين ممن اثبتوا اخلاصهم والغاء تعدد المستويات في الجنسية التي تجعل بعض الكويتيين افضل من بعض ..وبالنسبة للكويت فإن التاريخ لا يعرف مثل هذه القلة التي تدين لكثرة هائلة بمثل هذا الدين الفادح .. وقد آن الأوان لكي تبدأ العائلة الحاكمة في سداد هذا الدين بالاعتراف بحقوق الكويتيين التي عانوا في سبيلها وتحول النظام الذي يقوم على الحقوق الموروثة الى نظام دستوري.»[٣٨]

(ملحوظة : تأمل هذا التدخل السافر في شئون الكويت وقارنه بادعاء رفض التدخل في الشئون الداخلية للعراق بعد ان قتلوا العراقيين ودمروا بلدهم ودعوهم للثورة ثم سمحوا لصدام بتهريب القوة الكافية لإبادة الذين ثاروا عليه واهلهم واطفالهم وجيرانهم وامريكا تقف لحماية ذلك باسم انها غير مفوضة من الامم المتحدة للتدخل في شئون العراق ؟! ومن فوضك في خلع آل صباح .. هذه هي امريكا وهي سيدة العالم .. ولكن الى حين ..)

ومجلة التايم تتحدث عن السفير الامريكي الجديد وكأنه سير برسي كوكس في مطلع القرن العشرين فهو الذي اجبر حكومة الكويت في المنفى على قبول قصف الطائرات الامريكية للاحمدي لوقف تسرب النفط في الخليج وافساد الحياة على الساحل الشرقي للمملكة بعد ان ظل الكويتيون يرفضون طلب السعودية ٤٨ ساعة تبددت في «جدل سوقي»وقد نجح السفير الامريكي لأنه ضحك على وزير النفط الكويتي وجعله يقتنع ان الفكرة فكرته هو (أي فكرة الوزير !!) » وفي هذه الايام يتبع السفير نفس الاسلوب في اقناع الحكومة الكويتية بتنفيذ الاصلاحات الضرورية ، وهو يحاول ان يجعل الكويتيين يخففون اعمالهم الانتقامية وقد اضطر السفير للتدخل لتشغيل الكهرباء ٢٤ ساعة يوميا وكانوا يكتفون بثماني ساعات ويبدي الدبلوماسيون الغربيون دهشتهم من اضطراره للتدخل لاقناع الكويتيين بهذه البديهية .»[٣٩]

«الحرية للكويت ولكل هواة التعذيب .. التوقيع : بيروت الجديدة »[٤٠]

على اية حال كل المؤشرات والتصريحات تؤكد ان لا الحكومة الامريكية ولا صحافة امريكا ولا المندوب السامي او المعتمد الامريكي يضمرون خيرا لآل صباح .. فماذا عن الكويت ذاتها..؟

الجيل الجديد من المشايخ والاتباع المحيطين بهم يرون الحل في الغاء عروبة الخليج فهو الباب الذي تأتي منه ريح المطالب والحسد والحقد، وانهاء عروبة الكويت يسد هذا الباب.. وقد ترددالحديث عن خلع عباءة العروبة خلال شهور الاحتلال وعندما اجرت حركة الكويت الحرة استفتاء عالميا حول الغزو العراقي اجرته في فرنكفورت ولندن ولاجوس وتل ابيب.. ولما سئل المسئول عنها لماذا لم تشمل القائمة بلدا عربيا قال ان هناك نقصا في الاعتمادات » (١٦/ ١١)

ويفكر هؤلاء في تصفية العرب داخل الكويت والاستعاضة عنهم كما يقال ببناء كويت تدار بالازرار والانسان الآلي ، بشراء وتركيب اعلى مستويات التكنولوجيا التي لم تجرب بعد في ارقى الدول الغربية.»[٤١]

الطبقة التالية لهؤلاء تريد ان تغلف ذلك بقشرة ديموقراطية فتخلع آل الصباح وترث هي جميع امتيازاتها! تريد ملكية مثل بريطانيا او جمهورية مثل فرنسا يحكمها اوغاد مثل المماليك في نهاية عصرهم.

على اية حال الامر لم يعد بيدنا .. ولننتظر ونرى كما قال بوش عن العراق![42]

تعود لحملة هيكل على الكويت في الصحافة وفي مهرجان الكتاب فقد اشار الى مطالبة الكويت بمعاقبة صدام .. فرد ردا جافيا جدا اذ انكر عليها هذا الحق لأنها «لا تملك القوة الذاتية لفرض العقاب.»[43]

ليكن .. فهذا ابن عمي في وشنطن عين نفسه محتسبا .. وهذه الامم المتحدة في نيويورك تملك القوة الامريكية لفرض العقوبة وقد فعلت ووضع صدام ذليلا مهانا بفضل تحريضاتكم.. فأنتم اوردتموه مورد التهلكة..

وواصل هيكل هجومه في مهرجان معرض الكتاب في القاهرة، فقال: «العراق في وضع صعب لأنه دولة تعيش على البترول دون ان يكون لها منفذ على الخليج. وهذا وضع في خرائط كلها جديدة ومرسوم من قبل قوى استعمارية مسيطرة وكان لابد ان يأتي اليوم الذي يتمرد فيه العراق على هذه الخرائط .. وفرق بين دعوى اسطورية مثل اسرائيل، ودعوى تاريخية لم يتنازل عنها اصحابها وتمثل مصلحة حقيقية (هذه الجملة أضافها ردا على ما قلناه في تعليقنا على مقالته في الصنداي تايمس – انظر الملاحق ج).. وقال هيكل ومن سنوات طويلة وانا اتابع ازمات دولية وارى وسائل ادارتها عن قرب أو عن بعد لكنني لم اشاهد في حياتي ازمة جميع الناس فيها وبلا استثناء اخطأوا فيها كما في هذه الازمة.. حجم الاموال الفائضة التي تديرها الكويت خرافية. في السنوات العشر الماضية طرحت نظرية سمعتها منهم هناك خاصة بمسألة الدفاع عن الكويت من اعدائهم المتمثلين في السعودية وايران والعراق وأكد لي قادة الكويت انهم في حاجة لأن يعطوا لأنفسهم قوة دفاعية ... وكانت نظريتهم الاعتماد على الطيران لوقف اي غزو وهو(الطيران) لا يعتمد على قوة بشرية واتفقوا على الطيران ٢٢ بليون دولار في السنوات العشر الاخيرة .. وعندما وقعت الازمة لم تحلق طائرة في الهواء كما لم يعثر على طيار كويتي واحد وهناك شك في طائرة الهليكوبتر التي ركبها امير الكويت ان تكون كويتية.»[44]

وقد علقنا يومها بقولنا: كلنا نشارك هيكل في العجب من سلوك الكويتيين ولماذا كانوا يكيدون للسعودية هذا الكيد العاجز..

ومعروف ان الكويت كانت الممول الاساسي للصحف الناصرية في لبنان نكاية في السعودية . وقد اشرنا الى كيف تبنى شيوخ الكويتيين الناصرية في عهد السادات ولعبوا دورا في احتضانها ووقف تطهير مصر من بقاياها، من خلال الضغط المالي والاعلامي والسياسي والشخصي على انور السادات. ويمكن مراجعة كتابات احمد بهاء الدين في هذا الموضوع .. وجازاهم الناصريون ما يستحقون. وطالب الدكتور خالد جمال عبد الناصر بمساندة العراق والوقوف بجانبه.. وقال ان ما يحدث للعراق هو استمرار لعمليات الابادة المنظمة التي بدأت الشعب الفلسطيني في دير ياسين حتى مذابح القدس الاخيرة. وان امريكا والغرب والصهيونية يحاولون وقف المد الاسلامي في العالم .(الله يرحم والدك سبقهم على الصراط..ج)وطالب خالد عبد الناصر بالصمود في مواجهه الهجوم وقال إنه كان يتمنى ان يسترد اهل الكويت ارضهم وان يكون للعراق منفذ بحري ولكن بعد العدوان فإنه يحيي جيش وشعب وقيادة العراق لصمودهم الباسل ...واصدر الحزب الاشتراكي الناصري تحت التأسيس بيانا طالب فيه جماهيرنا الناصرية ان تقف بوضوح مع شعب العراق وجيش العراق.»[45]

لعل موقف هيكل وغيره من الناصريين هو العقوبة العادلة على تهتك السياسة الكويتية بادعاء الناصرية ودفاعها عن الزعيم الخالد . اما عن موقف الطيران الكويتي فلهم في الطيران الناصري أسوة في حربي ٥٦ و٦٧ لم تحلق طائرة مصرية واحدة و اعتبر هيكل اختفاء الطيارين المصريين عبقرية من الزعيم ! فلماذا تنكرنفس العبقرية على الكويت..؟! لقد اصبح هروب الطيران سنة ناصرية اثمها على من ابتدعها الى يوم الدين لا ينقص من اثمهم شيئا ..

كان هذا تعليقنا قبل الحرب وقد تبين الآن ان حكومة الكويت تبنت نفس منطق هيكل لمنع اشتراك طيرانها في الحرب :« انقاذ الطيارين اهم من خسارة الطيران ..» واهم من ذلك ان الطيران العراقي هو الاخر لم يشترك في الحرب برصاصة واحدة بل هرب باتفاق امريكي عراقي ايراني الى طهران ..ولم نسمع بعد تعليق هيكل على اداء الطيران العراقي في الحرب ، فهو لم يكن افضل من اداء الطيران الكويتي حتى انه لما « سئل جنرال بريطاني ..ماذا كان بوسع صدام ان يفعل بطائراته؟ اجاب : يطيرها..»[46] فالعرب منذ عبد الناصر الى صدام حسين لم يكتشفوا بعد ان الطائرات تشترى للقتال .. للطيران..وليس لتحقيق سلامة الطيارين بالهرب من المعركة أو أم المعارك .

اما عن تصريح الزعيم الناشئ خالد عبد الناصر فقد علقنا عليه يومها : «بكل الشماتة التي هي

ليست من خلق العربي .. ولكنها للديلة ومن حقنا ان نستمتع بها .. بكل الشماتة في الكويتيين الذين اقاموا الدنيا ضد مبارك وحكومته ومصر عندما قدم خالد عبد الناصر للمحاكمة بتهمة اعترف عليه فيها المشاركون له .. ولكن الكويتيين وقفوا مع ابن الزعيم الخالد .. وهددوا بقطع كل دعم لمصر. وقال احدهم لن نقبل المساس بالزعيم الخالد أو آله وصحبه .. وبالمناسبة ابن الشيخ جابر العلي الذي قلنا عنه مرة إنه في سبيل اطماعه في ولاية العهد مستعد لبيع العهد كله .. وهاهو في اخطر مرحلة من تاريخ بلاده لم ينطق بحرف.» وابن ابنه الذي حمل من مصر الملايين وذهب ولم يعد ! (١/٢٤)

بل اذكر انه لما عتب السفير غازي القصيبي على الشيخة سعاد صباح الآرية الجنس المولودة في مانهاتن وأبرز شيوخ آل الصباح قبل صدمة صدام. لما عتب عليها الشاعر السعودي سبها للاعراب [٤٧] ذكرنا السفير يوم وقفت هذه «الشاعرة الكفيل»أو الشاعرة بالتجنيس أو التدليس ، تصرخ في احتفال في المنامة :« ان ما بين الكويت والبحرين لا يحتاج الى جسر» ؟ ! معرضة بجسر الملك فهد ! أهم عمل وحدوي تم في العالم العربي .وقلنا :بعض الكويتيين والكويتيات يرغمون الناس على القول : لقد نالت الكويت ما تستحقه.

أما قولك (هيكل) ان كل الأطراف اخطأت ادارة الأزمة فياليت صاحبك اخطأ مرة واحدة وادارفي حياته [٤٨] ازمة من ازمات مصر مثلما فعل بوش في هذه الأزمة التي ستدرس ادارته لها لعدة سنوات .

الباب الثالث

.. تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ..

جلالته ٠٠ والمنظمة ٠٠ والحل والربط !

١ اذا كانت هناك جائزة اوسكار لمسرحية الخليج فهي من حق الملك حسين بدون منازع !

الذين يأخذون بالنظرية التآمرية ، بمعنى ان كل ما جرى في الخليج كان معدا ومرسوما بدقة من جانب الادارة الامريكية وقبل زمن من انفجار الخلاف العراقي/الكويتي ، هذا الانفجار الذي جاء على قدر في سيناريو جورج بوش ٠ اقول ان انصار السيناريو المعد يجدون ما يعزز ظنونهم في حالة الملك حسين ، الذي كان تحالفه مع صدام ظاهرة مخالفة للقوانين الطبيعية والسوابق والممارسات ٠٠ثم قرار الملك المفاجئ بإجراء انتخابات حرة يسمح فيها بنجاح الاسلاميين ، بل ويضعهم في الحكومة ، واخيرا انحيازه للصف الثوري المعادي « للرجعية والامبريالية» وهو من هو ٠٠ الحسين ابن ٠٠٠ حفيد عبدالله ، ! كل هذه المفاجآت جاءت في موضعها تماما من الخطة الامريكية بحيث يستحيل على اشد العقول براعة تصور أنها وقعت مصادفة أو بنية صافية ٠٠

كان على من يدبر هذه المذبحة للعراق وهذا الغزو الامريكي للمنطقة ان يحسب حساب الفلسطينيين ، في اسرائيل وفي الخليج وفي الاردن ٠٠

في اسرائيل ٠٠ وضعهم الحكم العسكري القائم في بيوتهم من بداية الحرب الى نهايتها في اطول واشرس عملية اعتقال تمت لشعب عبر التاريخ ٠٠

اما في الخليج فقد حقق انضمامهم لصدام ضربة قاصمة للقضية الفلسطينية دون ان يسبب خسارة تذكر للمخطط الامريكي والعمليات الامريكية ، لأن قتالا لم يقع في الخليج، ولو حدث لكان بوسع ارهابييهم انزال ضربات عديدة مدوية في دول الخليج بحكم عددهم وتغلغلهم ، ولكن ذلك لم يقع بل عاشت دول الخليج فترة نادرة من الأمن والهدوء ٠٠ والعجيب ان العراق الذي استطاع اغتيال وزير الدولة الاماراتي ولو خطأ ، عجز عن تنفيذ عملية ارهابية واحدة في دول الخليج وهو يخوض ام المعارك ؟! اما عن الفلسطينيين في الكويت فقد وقاهم صدام« شر القتال كما يقول العامة جهلا[١] ٠٠فلم يقع قتال في الكويت ، حيث كان يتوقع لمقاتليهم ان ينزلوا خسائر

ملموسة بقوات الحلفاء، ولكن صدام لم يقاتل في الكويت بل ترك أو اتفق مع الامريكان على ترك الجبهة العراقية مفتوحة لهم فطوقوا الكويت ومن فيها. . ورغم ذلك تقدر بعض المصادر عدد الفلسطينيين الذين قتلوا حتف انفهم في الكويت بلا قتال ولا استشهاد بخمسة آلاف ! . . لماذا لم يضع صدام الفلسطينيين على الحدود العراقية . . لماذا لم يستخدمهم في هجمات انتحارية ؟!

قوى عديدة يهمها ان تبقى هذه الاسئلة بلا جواب !

تبقى مشكلة الفلسطينيين في الاردن الاكثر عددا والاقدر على الاضرار بمصالح امريكا. . فهم في الأردن ما بين سوريا المطلوبة في الحلف المواجه للعراق ، وبين العراق ميدان المعركة وبين اسرائيل قرة عين امريكا . . ؟! ما الذي كان يمكن ان يحدث لو ان الملك حسين اتخذ الموقف الذي تحتمه ارتباطاته بالمخابرات الامريكية التي تدفع له مرتبا ثابتا، كما كشف « بوب وودوارد» في كتابه « الخبي » أو بحكم تاريخه في العمالة والاتصال السري باسرائيل .لو اتخذ الملك حسين موقفه الطبيعي تحت المظلة الامريكية ماذا كان يمكن أن يحدث . . ؟

كان الفلسطينيون في الاردن سيدخلون «معركة دامية مع حكومة الملك حسين» ، وكلنا يعرف ان اسرائيل لا تسمح بقلب الملك حسين ولا بقيام جمهورية فلسطينية / اردنية ثورية على حدودها الاكبر . . اي انها ستتدخل . . وما الذي يمنع الجيش العراقي في هذه الحالة من ان يدخل لنجدة الثورة المؤيدة له والتي تقاتل فعلا غزوا اسرائيليا . . وهل يتصور ان تقاتل المملكة وسوريا ومصر مع اسرائيل ضد الفلسطينيين تمكينا للغزو الاسرائيلي للأردن ؟! لقد كانت الدبلوماسية الامريكية والاعلام الامريكي لا ينامون الليل خوفا على انفراط التحالف اذا ما ردت اسرائيل على صواريخ صدام بضربة جوية أو صاروخية أفكان سيبقى التحالف واسرائيل تقاتل الفلسطينيين في شوارع عمان ؟! وهل يعقل ان ينحاز الملك حسين لامريكا ويضرب العراق أو حتى يتحرش به ويسكت الفلسطينيون في الاردن . . ؟!

وهكذا كانت القضية المطروحة على واضعي السيناريو هي : كيف يمكن شل الفلسطينيين في الاردن. . . ؟!

الجواب في اعتقادي جاء من خبير في الـ« سي اي ايه » تذكر قصة الزمار والفيران والاطفال فقال..دعوا الملك حسين يلبس ثياب الوطنية والثورية مع قليل من الاشتراكية ويزمر لهم وهم

يرقصون على نغمات مزامره ويسيرون خلفه حتى يقذف بهم في البحر..

كان من الضروري ان يمسك الملك حسين الشعب الفلسطيني من قرونه بقفاز الوطنية وتأييد صدام ، وبذلك يمتنع أي دعم حقيقي له ، ونعتقد ان لوبة الديموقراطية والسماح للإسلاميين بالنجاح في الانتخابات بل ودخول الحكومة ، كله كان في اطار المخطط ليتولى الإسلاميون تهدئة وضبط الشارع الى ان تنفذ الخطة ويذبح العراق ، ثم يلقى الجميع جزاءهم ، وقد كان .

اصبح الملك حسين ثوريا وانضم الى صدام وهاجم الحكم الرجعي !! ودعا الى اعادة توزيع الثروات .. ومنع تصدير النفط العراقي! ووفر حدودا آمنة هادئة مع اسرائيل وسوريا وشل نصف مليون مقاتل فلسطيني .. سمح لهم بسب امريكا ومصر والسعودية ومنعوا من ان يطلقوا طلقة واحدة ضد اسرائيل أو الولايات المتحدة ..

والآن تساءلوا ماذا كسب العراق من موقف الملك حسين ؟ ألم يكن حسين العميل مع امريكا والف فلسطيني يخترقون الحدود الى اسرائيل ، افضل لصدام من حسين الثوري الذي يتحدث عن عدالة توزيع الثروات ويتصدى للمؤامرة الامريكية ، ويحول دون عملية فلسطينية واحدة من حدوده بل ويعقد صفقة مع سوريا بضرب العراق اذا ضغط عليه العراق من اجل تصعيد الوضع؟! .. هل خسرت امريكا بوطنية الحسين المفاجئة؟! ام كانت لعبة في منتهى الذكاء.. ساعد عليها بالطبع ضعف الوعي السياسي ان لم نقل الاخلاص في القيادات الإسلامية والفلسطينية التي اكتفت من الملك بشقشقة اللسان ولم تكن في جعبتها ولا في مقدورها ان تطرح على الفور برنامجا عمليا يكشف تضليله وخياناته ، أو يمكنها من ضرب اسرائيل والمصالح الامريكية .. وافساد المخطط .

فالملك حسين كان يقوم بدور مرسوم بدقة وبراعة وهو شل وتحييد الفلسطينيين داخل الأردن من خلال السماح لهم بالهتاف فقط ضد المؤامرة وتحت زعامته ! ومن خلال وضع الإسلاميين في السلطة ليصدروا مثل هذا القرار : واصدر مجلس النواب الأردني قرارا باعلان امريكا الشيطان الاكبر ABC

ومؤمن هذا الزمان يقاتل الشيطان بالهتافات ! كما عمل تحالفهم أو ذيليتهم للملك على اظهار جلالته في صورة المتمرد على الأمريكان الذي يطوف الافاق يسب دول التحالف ويدعو لصدام

وهذا هو الرأي الذي وصلنا اليه من اليوم الاول لأزمة الخليج واتضاح ملامح الدور الذي يلعبه الملك الشريف جدا ، وقد اتيحت لنا فرصة اعلانه في حديث لنا بالاذاعة العربية في الولايات المتحدة في شهر فبراير ٠٠ وفي ضوء هذا التفسير يجب ان نفهم كل ما جرى٠٠وتفهم قول وزير خارجية بريطانيا«ان استمرار الملك حسين يشكل مصلحة بريطانية٠»[٢] واعلان شامير : لسنا رسميا طرفا في التحالف ضد العراق ولسنا من صناع القرار ولنا آراؤنا ولكننا مهتمون بوجود أردن ثابت ومستقر واي تدخل من العراق لن نتسامح فيه ٠ واكد ان الملك حسين يعرف انه لا يتهدده اي خطر من اسرائيل ٠»[٣]

وبدون الموقف التضليلي الذي مثله حسين ٠ ٠ما كان ليستمر أو يستقر ٠ ٠

ومن ناحية اخرى كان موقف الحسين ونشاطه مهما في محاصرة المملكة ودول الخليج ودفعهم لقبول المساعدة الامريكية خاصة وقد طلب من الحسين ان يعيد التحرش بحكاية العرش الهاشمي واسترداد الحجاز من خلال اعلان نسبه الهاشمي والتسمي بالشريف حسين ٠٠ لاستفزاز السعوديين٠ ٠

وقد بادر سكرتيره لتأكيد هذا المفهوم من خلال التظاهر بنفيه ٠ ٠فكتب فؤاد ايوب السكرتير الصحفي للملك حسين للواشنطن بوست يستشهد بجاك اندرسون ودال فان اطا على ان الملك حسين لم يتآمر على تقسيم الجزيرة العربية مع صدام وقال : «ان الملك حسين تسمى بالشريف حسين لأنه من نسل النبي وليس لأي ادعاء ٠»[٤]

ولم يقل لنا لماذا عرف أو تذكر جلالته نسبه فجأة مع مؤامرة صدام؟! وفي نفس الوقت فقد ارسل رئيس وزرائه الى سوريا للتنسيق في حالة افلات الفلسطينيين من قبضته أو دخول العراق الأردن وهذا هو سررحلة مضربدران الى سوريا والتي تفننت بعض الصحف في تغطيتها بالزعم انها لمواجهة اسرائيل أو لمبادرة بحل عربي ٠ ٠ بينما لاحظت الاوبزرفر « ان الملك حسين عندما حشد قواته الاسبوع الماضي حشدها في القطاع الاوسط من وادي الأردن وليس في الجنوب حيث يفترض ان تتقدم القوات الاسرائيلية في اتجاه العراق »[٥] وكذلك البيان الذي اذاعه الملك حسين واكد فيه انه سيدافع عن الاجواء الأردنية ضد اي اختراق من اي جانب وكانت التايمس قد قالت

ان البعض يعتقد ان اسرائيل والأردن وسوريا ومصر ستحاول تجنب حرب ثانية في المنطقة. وقد تكتفي الأردن بالاحتجاج بشدة على اختراق مجالها الجوي.»[6]

وتصريح سفير الحسين في باريس الذي قال: «ان الاختراق الاسرائيلي الجوي للأردن سيعتبر عدوانا على المجال الجوي ولكن ليس حربا فلسنا طرفا في هذه الأزمة»[7]

وكنا قد طرحنا هذا التفسير وقت الزيارة وقلنا: ويعزز هذا الرأي ما جاء على لسان السفير البريطاني في العراق الذي توقع « تحركا من جانب العراق قبل ١٥ يناير وقال: ان صدام حسين قد يحاول ان يوسع من نطاق المشكلة بالزج بالفلسطينيين فيها وربما بإثارة شيء في الأردن..»[8]

وهو ما كان يشغل بال بدران وسيده الذي بعث به لسوريا ينسق مواجهة صديقه صدام وليس الحل العربي كما زعمت الصحف الموالية لحسين.

واذا كان شرط نجاح فن التمثيل هو الاندماج في الدور فتلك نصيحة ليست موجهة للممثلين وحدهم بل وللمتفرج ايضا الذي يجب ان يندمج وينسى ان الامر تمثيل في تمثيل، لكي يستمتع أو يستفيد من الرواية وحكمتها، وعليه فسنستعرض بعضا من حركات وعبارات الملك الذي لعب دوره بمهارة يحسد عليها حقا، خاصة اذا وضعنا تاريخه وسنه في الاعتبار كما نشير في الملاحق ردنا على واحد من خطاباته..

والملكة نور وصلت الى واشنطن وكان اول تصريح لها ان الدول المؤيدة للعراق هي الدول الاقرب للديموقراطية في العالم العربي مثل الأردن وتونس واليمن والسودان.»(٦أكتوبر٩٠)

اما اخو جلالته فطالب بانشاء «نظام عربي عادل باعتبار ان ذلك هو اهم ضمانة لكي لا يتكرر ما حدث لأنه كما قيل: من غير عدالة تصبح الملكية اغتصابا»[9]

وقال الملك حسين ان القوات الامريكية كانت قد قطعت نصف الطريق قبل ان تطلبها السعودية.» وزعم ان.. «الملك فهد ارسل له رسولا يوم ٧ اغسطس يؤكد له انه بعكس ما تقوله امريكا لا يوجد دليل على حشد عراقي على الحدود ولا خطة للهجوم.»(١٠/١٧)

(لا يستبعد ان يكون الملك فهد قد فعلها بجلالته فهو كان مفضوح التأييد لصدام. والسعودية كانت تجاهد لكسب الوقت، فلا بأس من كسبه، بتضليل الشريف سليل الاشراف.. والحرب خدعة..)

وصرح جلالته للتايمز ان صديقه صدام الذي يمثل مرحلة جديدة في القيادة العربية اعطاه وعداً بالانسحاب خلال اسبوع بعد غزو الكويت وان جلالته حاول ابلاغ ذلك للعرب ولكنه لم يستطع الاتصال تليفونيا لا بمبارك ولا الملك فهد (١٠/١٧)

التمرة غلط يا سيدي !!

ماري كولفن من عمان كتبت بعد لقاء مع الملك حسين نشرته الصنداي تايمس في اسفل الصفحة ٢٩ وعلى عمودين اشتكى فيه الملك من الاذلال الذي يلاقيه في العالم وخاصة من مارجريت تاتشر وقال ان السعودية عاقبته لأنها تريده ان يقطع علاقاته مع العراق . وزعم ان فقدان سوق العراق يخسر الأردن بليون ونصف بليون دولار هذا العام . ودول الخليج ابلغته انها لن تدفع له هذه السنة ال ٣٠٠ مليون دولار المعتادة . ونقلت عن دبلوماسي غربي ان الأردن ستنهار اذا لم تتلق مساعدة خلال شهر . وبريطانيا تحاول الان اقناع المجموعة الاوربية بالتعجيل بالمساعدة . ونقلت عن الامير الحسن .. نحن ملتزمون بقرارات الحصار ولكن نتعرض للعقوبة من السعودية والغرب ، انهم يدفعوننا بقوة في اتجاه العراق ».

وأفتت المحررة ان موقف حسين من صدام يرجع للتقاليد البدوية التي تفضل الموت على خيانة الصديق ونقلت عن الملك قوله ان الجرح سيبقى لاجيال ». [10]

قل تلك امانيكم !

الحقيقة هي غير ما قاله الشيخ حسين بن طلال (ومعذرة اذ يصعب على ان اتحدث عن مملكة وملك وأمير لشيخة شرق الأردن) فقد دفعت أمريكا الشيخ (الملك) حسين في اتجاه العراق من سنوات عندما عينته المخابرات الامريكية حلقة وصل بينها وبين صدام لتنظيم عملية حرب الخليج الأولى ضد ايران .

بعد مقابلة حسين لصدام روج ان الرئيس العراقي لا يمانع في مقابلة الملك فهد (!!) ولكن السعوديين رفضوا الحوار المباشر مع صدام الا اذا لمسوا ادلة على استعداد العراق للانسحاب من الكويت [11]

ورفض الملك ان ينسحب صدام من الكويت ورد ساخرا .. «هل ينسحب ونعود لنقطة البدء..؟! لم تكن هناك حدود محددة والا لما قامت هذه المشكلة » وايد موقف العراق من

الرهائن وقال طالما كان هناك تهديد ضدالعراق فهذا يعطل قضية من يسميهم العراق الضيوف ويسميهم بقية العالم الرهائن وطالما ان البعض يفكر في تدمير العراق فهذا هو السبب في رفض العراق التحرك ..وتنبأ الملك انه بعد انتهاء الازمة فستكون هناك حاجة للنظر في قضية الديموقراطية والمشاركة الشعبية والا فان المنطقة مستهدفة و لا يمكن ان ترجع الى ما كانت عليه.»[12]

وفي حديث مع جريدة الحياة قال من اسمته بالعاهل الأردني ..إنه يعترف بحكومة الكويت «إلى ان يقر ابناء الكويت في ظروف يعيشون فيها احرارا في بلادهم اي شئ يريدونه أو يشاءونه» وطالب بحفظ ماء وجه الجميع وانه كان يمكن تجنب كل هذا لو تنبه الاخوة العرب للاشارات التي بدت في قمة بغداد من الاخوة العراقيين»[13]

وعلى ذكر الديموقراطية فقد اشرنا في غير هذا المكان الى ان حرية التعبير في تلك الدول كانت في اتجاه واحد اما اذا ظهر صوت معارض.. فهذا ما يحدث :

«اشار تحقيق للواشنطن بوست عن تكبيل السلطات الأردنية بعمدة مدينة معان ومجلسها البلدي (١٢عضوا بما فيهم العمدة)الذين قبض عليهم واستجوبوا من قبل البوليس لأنهم أعلنوا تأييدهم للسعودية.»[14]

«في مقال في احدى الصحف المحلية كتب احدهم واصفا اجتياح العراق للكويت بالغزو العراقي فانهالت الرسائل على الصحيفة احتجاجا على نشر المقال وسرعان ما تراجع الكاتب عن موقفه واعلن خطأه وطلب المغفرة»[15]

« وجماعة الاخوان المسلمين تنتهج خطا سياسيا غير الذي اتبعوه في بداية ازمة الخليج وارغموا على مسايرة الشارع الأردني واحد قيادات الحزب الشيوعي الأردني الان شبه معزول نظرا لمواقفه المعارضة لاجتياح قوات العراق للكويت»[16]

« سفراء دول الخليج طلبوا من رئيس مجلس النواب الأردني اغلاق صحف الأردن لانها صحافة الرأي الواحد ولا تنشر رأيا معارضا.»[17]

ونسبت الهيرالد تربيون للملك حسين «ان صدام لن ينسحب من الكويت الا اذا حلت المشكلة الفلسطينية، وان القائد العراقي اتخذ قرار تحرير الرهائن كخطوة عملية وليس عن خوف»[18]

وكتب روائي اسرائيلي اسمه مازرك هالتر يطالب الملك حسين بالتنحي لكي تقام دولة فلسطينية في الأردن توقع الصلح مع اسرائيل لأن جلالته اعجز من ان ينفذ هذا الهدف وان كان لا يرفضه، ولكن اهم ما في المقال الذي نشر في النيويورك تايمز والهيرالد تريبيون معا هو قول الكاتب انه قابل الملك حسين في تل ابيب في مارس ١٩٧٣ حيث كان جلالته في واحدة من زياراته السرية لدولة العدو وكان هذه المرة بدعوة من جولدا مائير كما قال ان الموساد هي التي حذرت الملك من المؤامرات الفلسطينية لخلعه في ابريل ١٩٥٧ ويوليو ١٩٥٨ ومارس ١٩٥٩ واغسطس ١٩٦٠ و يوليو ١٩٦٦ و ابريل ١٩٦٧ ..» [١٩]

قال الملك حسين «انه لا يستطيع ان يدين أو يمدح الصواريخ العراقية على اسرائيل ودعا العالم للاهتمام ايضا بالاف العراقيين الذين يموتون ... وقال انه لم يعد له اي اتصال مع العراق منذ الحرب وان اي محاولة منه الان ستكون عقيمة مثل مثيلاتها قبل الحرب.» [٢٠]

وصحيح قل لي من هم اصدقاؤك اقل لك من انت ..أو وافق شن طبقه أو الطيور على اشكالها تقع أو بالعامية المصرية مين يشهد للعروسة ..الخ فقد مدح «التشاشيبي» الملك حسين في جريدة النهار ويقول ان جلالته حاول نصح حكام الكويت قبل الحرب وان موقف مصر هو نفس موقف السادات ..«طلب لقمة العيش.وقال ان الازمة الحالية جوهر الخلاف فيها بين جماهير الأمة العربية المطالبين بأن يكون بترول العرب للعرب وبين القابضين على مفاتيح الآبار والمكتفين بتوزيع الصدقات على بعض الدول وبعض الناس وبعض الوقت.» [٢١]

وقال هيكل إنه :«يرى ضباب الحرب وحوارات اشباح ودبلوماسية ظلال » ونصحناه بتغيير النضارة وشرب ينسون قبل النوم ولكنه دافع عن الملك حسين قائلا : «انا ارى ان الملك حسين متسقا منسجما مع نفسه ومع موقفه ..اي انسان عاقل يدرك مدى عتابه الشديد جدا على ملاك البترول .(اللذين يدفعون للأردن ٣٠٠ مليون دولار سنويا خلاف شرهة جلالته والعائلة الشريفة...) اذا رأيت الملك حسين خارج السياسة الامريكية فلابد ان تدرك ان لديه اسبابه القوية..» وتساءل: هل بامكان القائد الامريكي الموجود بالسعودية ان يحرك كل جيوش الدول العربية ورد على نفسه .. سترفض الامر لأنها تحت القيادة السعودية و هل تأتمر القوات الفرنسية مثلا لأوامر القائد الامريكي ..ومرة اخري اجاب اشك كثيرا» [٢٢] وقد ثبت انه هو موضع الشك.

وكذلك معلوماته وتحليلاته التي ثبت بطلانها، فالقوات الفرنسية كانت تهرول لاحتلال العراق تنفيذا لأوامر القائد الامريكي والقوات العربية كلها كانت على اتم ما يرام ..

على أية حال فإن اغنى فرد في العالم لم يخرج بيده فاضية من ام المعارك فقد «كان عند صدام ٤٠٠ مليون دولار نقدا في بنوك الخليج وقد حولت الى الأردن للاتفاق بواسطة الملك حسين»[٢٣]

وما ان ضرب صدام حتى كان حسين يتخلى عن الدور ، ويغسل وجهه من المكياج الثوري، ويقول .. كلمني عن بكره وابعد عن امبارح بل يتسى نفسه فيبدي فرحه باليوم السعيد الذي شهد هزيمة صدام فيدعو العرب الى أن نؤرخ به مرحلة جديدة في تاريخ العرب .. ! ونقلت «الصنداي تايمس» انه لا يحمل حقدا ومستعد لفتح صفحة جديدة .. «في هذا اليوم نرى بداية مرحلة جديدة في تاريخ العرب . اليوم هو يوم مداواة الجروح واعادة الوحدة العربية ووضع الاساس لمستقبل افضل . هذا هو اليوم الذي يجب ان نبحث وتطور النظام العربي الاقليمي» . وعلقت الصحيفة «ان الخطاب كان تحولا واضحا عن موقف الأردن السابق وتناقضا صارخا لبيانه في ٦ فبراير الذي اغضب دول التحالف عندما رفض ذكر اسم الكويت .. اما اليوم فقال الملك اخواننا الكويتيون يحتفلون بعودتهم الى وطنهم واستعادة استقلالهم ونحن نشاركهم سعادتهم وفي هذه المرة لم يذكر الملك صدام حسين على الاطلاق ! »[٢٤]

هكذا يفعل اشراف لانجلي

ويبدو ان المخرج الامريكي تعجل اسدال الستار وخلع الممثلين لثيابهم وتصور انه يمكن اعادة حسين لمكانه في الصف العربي ، بمجرد انتهاء دوره اولم يحسب الامريكان حساب البراعة التي اندمج بها الشريف حسين في لعب دوره مما اثار حفيظة الجماهير عليه في دول التحالف العربي بحيث اصبح لا يمكن قبولها قلب جلده واستقباله بهذه السهولة وبهذه السرعة التي تعجلها الامريكان .. ولذا عندما اعلن ان «جولة بيكر في الشرق الأوسط انما تستهدف مصالحة حسين مع الولايات المتحدة والبلاد العربية التي كانت في التحالف ، وقيل ان بيكر وسكوكروفت مستشار الامن القومي للرئيس بوش اجتمعا هذا الاسبوع مع عدنان ابو عوده مستشار الملك حسين وأن الرئيس بوش كتب خطابا للكونغرس يحتج على قرار المجلس بالغاء المعونة للأردن ثم عدل الكونغرس القرار ليجعل من حق الرئيس استئناف الدعم اذا رأى ان الأردن تتعاون في مسيرة

السلام» . . وتجدد الحديث عن اقتراح قديم بوفد فلسطيني / أردني »[٢٦]

و تسرعت جريدة « الحياة » فأعلنت ان : «الحسين سيذهب الى مكة ويعمل عمرة حيث يجتمع مع الملك فهد . الملك حسين زار دمشق مطلع الاسبوع الماضي وحافظ الأسد جاء للقاهرة »[٢٧] وكان قد اعلن ان الملك فهد توجه الى مكة لقضاء شهر رمضان .

وغضبت السعودية واصدرت بيانا كذبت فيه جريدة الحياة وقالت انه خبر لا صحة له . .

ومازال جلالته يبحث عن مؤلف وجائزة !

منظمة التحرير :السياسة هي فن الخسارة !

أما عن موقف المنظمة .. فقد ساعد على نسج خيوط الفخ الذي ترددت فيه عوامل تاريخية، وعناصر سبق اعدادها من قبل، بحيث الغت عنصر الاختيار في القرار الفلسطيني الى حد كبير.. واظن انه قد اصبح واضحا ان المخابرات الامريكية والاسرائيلية نجحت خلال السنوات الماضية في التغلغل في صفوف العمل الفلسطيني سواء بالسيطرة الكاملة على التنظيمات المشبوهة التي كانت دائما تأخذ خط المزايدة على فتح وتقوم بأعمال فاضحة السوء لتشويه سمعة الفلسطيني وتغطية جرائم الاسرائيلي، أو اعطاء المبرر لضربة اسرائيلية أو اغتيال عناصر فلسطينية أو عربية. هذه العمليات تنفذها هذه العناصر لحساب الموساد أو تنفذها الموساد وتدعيها هذه المنظمات. واخرها اغتيال ابو اياد وابو الهول .. الخ .. هذه المنظمات انتقلت مبكرا الى العراق وبدأت حملة المزايدة والترويع ضد فتح، فشلت قدرة ابو عمار على الاختيار، خاصة ان العلاقات كانت متوترة مع مصر بتحريض من العراق للمنظمة، وبالضغط على ابو عمار من العناصر المدسوسة .. وايضا باستفزاز مفضوح من عناصر، في صحافة مصر، معروفة علنا بعلاقتها بالمخابرات الامريكية والاجهزة الامنية، تهاجم المنظمة وابو عمار بالذات بفحش لا يقدم عليه الا عميل .. كذلك لم يكن ابو عمار أو المنظمة بالتي تستطيع التصدي للمرارة التي تحكم تصرفات المواطن الفلسطيني في مواجهة اي تحرك امريكي والاستجابة الفورية لكل نفير يطلقه عربي لمقاتلة الولايات المتحدة واسرائيل ..ولو كذبا! كان من المستحيل ان يقف ابوعمار والمنظمة ضد هذه المشاعر.. ولقد تساءل هو في براءة: هل كانوا يتوقعون ان اقف في صف الولايات المتحدة التي تدعم اسرائيل ضد شعبي .. ؟!

الجواب بالطبع هو ان القيادة لا تسير خلف الجماهير .. بل تقود الجماهير في الاتجاه الصحيح، فإن استحال ذلك فعلى الاقل تحاول محاصرة الخسائر قدر الامكان أو كما قالت شخصية سعودية بارزة:«ان العرب كانوا سيقبلون من ابوعمار ولو موقف الحياد نأيا بالقضية عن الخلافات العربية.»[25]

ولكن ابو عمار وقيادات المنظمة هاجموا مؤتمر القاهرة ووصفوه بأنه فتح الباب امام التواجد

الاجنبي وقال ابو عمار « اننا تنطلق من ثوابت اهمها ابعاد القوات الاجنبية من الاراضي العربية ومعالجة قضية الكويت ضمن الاطار العربي لصون حقوق ومصالح جميع الاطراف وبما يحفظ الكرامة للجميع ولذلك جاءت المبادرة العربية التي اعددناها مع عدد من الاخوة القادة العرب ضمن هذا النطاق لتعالج الانسحابات من الكويت والعراق وايران وفلسطين ولبنان والجولان »

وقد تحدثنا اكثر من مرة حتى مع ابوعمار شخصيا عن الاسلوب الذي ضمن نجاح الثورة الجزائرية وهو منع تعدد المنظمات ومنع استخدام الثورة الجزائرية في الخلافات العربية.. ولاشك ان القيادة المخلصة في المنظمة كانت تعرف تماما ان صدام حسين لم يحتل الكويت لتحرير فلسطين وان شيوخ الخليج والمملكة العربية بالذات ومصر..هم اخلص واحرص على القضية الفلسطينية من صدام حسين وحزب البعث ..بل ومن قبل البعث فالعراق كما قال الأمير سلطان : «العراق لم يطلق رصاصة واحدة في سبيل فلسطين ولم يشارك مشاركة فعالة في اية حرب من الحروب التي شاهدتها الساحة الفلسطينية لا في عهد صدام حسين ولا في العهود التي سبقته»[٢٩]

وكلنا تذكر « ماكو اوامر » واخلاء المثلث .ومساهمة العراق في حرب ١٩٦٧ كانت من اهم اسباب الكارثة فقد كانت طائرة القيادة العراقية ووداع المشير لهم ، سبب اصدار عنصر مشبوه في القيادة المصرية الأمر العجيب بمنع الدفاع الجوي ادخلت طائرات اسرائيل مجالنا الجوي بسلام امنين ! والعراق هو الدولة الخليجية الوحيدة التي رفضت قطع النفط في حرب ١٩٧٣ ..

كذلك كانت القيادة الفلسطينية تعرف ان العلاقات مع شعوب الخليج هي عمق استراتيجي لا يجوز التضحية به تحت تأثير الانفعالات وخدمة لمصالح صدام ومناوراته..

انها اكبر من مصادفة ان يكون الشيخ الوحيد الذي قتل من ال صباح وهو يدافع عن الكويت ضد الغزو العراقي هو الاخ ابو الفهود عضو منظمة فتح والذي اصيب في احدى معاركها .. وبعد الحب الذي كاد يكون عشقا لفتح تجد الشيخة لطيفة زوجة ولي العهد الكويتي (وهو بالمناسبة الذي تولى اخراج ابو عمار من قبضة الملك حسين عام ١٩٧٠) تعتقد انهم لن يذهبوا الى فلسطين قالت «اتحدى فيما لوعادت الضفة ومنحت الحكم الذاتي ان يعود إليها الفلسطينيون الذين في الخليج.»[٣٠]

وهكذا انتهت العملية بضرب جذورهم في دول الخليج التي كانت عمقهم المالي والبشري

والسياسي فأصبحوا يطالبون الامريكان بحمايتهم من شعوب الخليج وليس من حكوماته فقط ! تلك الحكومات التي كانت تمثل اغنى مواقع الرفض للوجود الصهيوني ، وقد لاحظت الدوائر الاعلامية الغربية بغبطة ، انه منذ انتهاء حرب الخليج اصبحت صحافة واذاعات دول الخليج بلا استثناء تذكر اسرائيل بالاسم وليس التعبير القديم: «الكيان الصهيوني» ٠٠ (اصدر مجلس التعاون قرارا قبل بالاجماع بقبول الجلوس مع اسرائيل في مؤتمر سلام اقليمي ٠) والحديث يدور علنا عن موعد الاعتراف باسرائيل والصلح معها ! في نفس الوقت الذي توقف الدفع المالي للمنظمة وبدأ البحث عن بلد يلجأ اليه الفلسطينيون ممن عاشوا في الخليج لاكثر من نصف قرن ٠٠ كانت هذه الضربة للوجود الفلسطيني في الخليج واحدة من الانجازات التاريخية لصانعي السياسة الامريكية ولصالح الكيان الصهيوني ٠ ٠وانا لا استخدم تعبير الكيان الصهيوني تقليلا أو ازدراء لاسرائيل بل اقول الكيان الصهيوني لأنه سيكون اكبر من اسرائيل هذه ٠

كان على القيادة الفلسطينية ان توظف ازمة الخليج لصالح القضية الفلسطينية ، لا ان تضع القضية والفلسطينيين في خدمة صدام حسين ! وسنرى ان هذا هو ما فعلته ، فتمكنت الولايات المتحدة من توجيه اكبر ضربة نزلت بالفلسطينيين منذ ١٩٤٨ ٠٠ وكل ما نرجوه الا تكون القاضية٠٠

كان على القيادة الفلسطينية ان تستفيد من ازمة الخليج في مواصلة معركتها الخاصة ولكن الذي حدث ان الشهور السبعة التي استغرقتها هذه الازمة سجلت اهدأ فترة في تاريخ الصراع الفلسطيني/الاسرائيلي لا عمليات فلسطينية من اي نوع اما عن تحجيم الخسائر وهو ما لم تستهدفه القيادة بل كان ابو عمار يتحرك وكأنه موظف في الحكومة العراقية ٠٠ ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نشطت عناصر المخابرات الاردنية في توسيع الرتق وتأجيج العداوة بين الخليجيين والمصريين من ناحية والفلسطينيين من ناحية اخرى بالحدة في الخصومة والفحش في التناول والدخول في تفصيلات لا علاقة للفلسطينيين أو قضيتهم بها ٠٠ ونحن نعلم ما هي المخابرات الاردنية وكيف انها مجرد اسم عربي للنشاط المخابراتي الاسرائيلي والامريكي بحكم العلاقات التاريخية التي تستحي من محاولة اثباتها ٠٠ ولقد بادرت عناصر هذه المخابرات فحملت سلم الثورة الفلسطينية بالعرض ولم تترك صديقا الا واستفزته ولا جسرا الا ونسفته ٠ وكان لابد ان ينتبه ابو عمار وقيادته

لهذه المؤامرة ولكنه كان يزاحم ميتران وجورباتشوف والملك حسين في البحث عن حل لمشكلة الخليج ..!

كانت صحيفة «القدس» هي الناطق الرسمي باسم الفلسطينيين في لندن .. ومن استعراض بعض مواقفها ستجد أنها لم تترك وسيلة للوقيعة الدائمة بين الفلسطينيين ودول التحالف لم تحاولها.. فقد نصبت نفسها منبرا معاديا للمملكة .. منحازا بلا تحفظ ولا معقولية لصدام حسين.

تساءل افتتاحيتها: «ما الذي يمنع عقد لقاء قمة بين الرئيس صدام والملك فهد .. الرئيس صدام اعلن مرارا استعداده لبدء المفاوضات مع اي دولة من الدول المتداخلة في ازمة الخليج ولكن باتت حرية اتخاذ القرار في الدول المتحالفة مع امريكا محدودة للغاية الا ان السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو اذا كان الرئيس الامريكي على استعداد للحوار فلماذا يمنع السعودية من اتخاذ مثل هذا القرار التاريخي؟»[31]

والسعودية تطلب وجودا دائما للقوات الغربية في اراضيها ..قال مسئولون في بريطانيا ان الملك فهد يعتقد ان هناك حاجة لوجود قوة دولية في الخليج حتى بعد انتهاء الازمة الحالية»[32] وكانت تصريحات الملك فهد اليومية تؤكد انه لن يسمح ولا يريد وجودا دائما..وقالت الفاينشال: «الملك فهد ابلغ قادة الغرب انه من الضروري انشاء قوات لحفظ السلام في المنطقة اذا انسحبت قوات العراق واستبعد السعوديون الوجود الدائم للقوات الامريكية في المنطقة.»[33]

وفي مناسبة اخرى اشار الملك فهد لتصريح بوش عن «انسحاب القوات المتحالفة التي اتت الى هذه المنطقة لإزالة ماحدث فيها من اخطاء واظن ان هذا كاف عندما يتحدث رئيس اكبر دولة في العالم ولا يتحدث الرئيس بوش عبثا واعتقد ان هذه هي الحقيقة.»[34]

و انتقد الشيخ ناصر المنقورسفيرالمملكة في لندن الذين «يتحدثون عن وجود القوات الأجنبية لأنهم يناقشون النتائج وينسون الاسباب وهي احتلال دولة عربية ذات سيادة وكيان من قبل دولة عربية اخرى.وقال ان الدولة التي أحتلت هي دولة حرة ذات نظام ديموقراطي لا تعرفه ولا تطبق احكامه الدولة التي ارسلت جيشها للاحتلال .. واكد ان طلب القوات المساندة جاء نتيجة الغزو والتهديد العراقي وفي اطار ميثاق الامم المتحدة.وقال ان الاحتلال العراقي يفتقد حتى الشرعية التي ادعاها الروس في احتلال افغانستان ، لأن المعارضة الكويتية وقفت مع حكومتها . واكد ان

القوات الاجنبية ستنسحب فور طلب المملكة . واكد انه ليس لدى المملكة أية نية حاليا بمنح قواعد عسكرية اجنبية في اراضيها ».

و ما مصلحة القضية الفلسطينية في استفزاز الملك فهد..؟ هل اعطى صدام للفلسطينيين ما اعطاه فهد .. او هل منع صدام عن الفلسطينيين ما كان فهد يمنحه بحكم علاقته مع الولايات المتحدة حتى وان كان جهد المقل بحكم غلبة النفوذ الصهيوني في امريكا وتمزق العرب الدائم ؟!

تحت عنوان «عرب امريكا والراقصون في العتمة » كتب خالد محا الدين (هذا اسمه).. «منذ ان استجاب بوش لدعوة بغداد للحوار بدا واضحا ان حجم حلفاء الولايات المتحدة السياسي هو في حجمهم العسكري وان واشنطن لا تقيم اي وزن او اعتبار لعربها الذين ركضوا الى خندقها»[35]

وكتب هو نفسه : «وصل مسئول سعودي يتولى منصبا هاما الى عمان وحجز جناحا في احد فنادقها ، واقام في بيت السفير السعودي وحمل معه حقيبة مملوءة بالدولارات وانفقها ولم يخرج في الصحافة الاردنية سطر واحد يرحب باستخدام القوات الاجنبية.» وقال : «كانت لنا الفرصة في اكتشاف جنرالات بلا عدد في دول مجلس التعاون ليس اولهم الفيلد مارشال سمو الأمير خالد بن سلطان ولا اخرهم الجنرال الذي قضى في شيراتون القاهرة ستة شهور كان المدرسون العسكريون يدرسونه في الفندق..»[36]

وكان الفلسطينيون المقيمون في الكويت يدركون خطورة الكارثة التي جلبها عليهم تأييد المنظمة لصدام.. ويعرفون ان مذبحة تنتظرهم وكتبوا على حائط الكويت:«الاردن ١٩٧٠ بيروت ١٩٨٢ الكويت ١٩٩١» كتبها الفلسطينيون الذين من يأسهم ايدوا صدام ، ويتوقعون انتقاما مرعبا ينزله الكويتيون بالالاف من الفلسطينيين الذين سيجدونهم هناك ..فمن سيكون مسئولا عن المذبحة..»

وقد كتبت وقتها كلمة في صحيفة الوفد بعنوان :« الفلسطينيون في ذمتكما يا فهد ومبارك..»

وكان يجدر بالقيادة الفلسطينية ان تنتبه لهذه الكارثة وتمنع مبرراتها برفض استخدام الفلسطينيين شرطة لجيش الاحتلال العراقي .. كان يمكن ان يطلبوا من صدام نقل الفلسطينيين المتحمسين الى الجبهة لشن حرب عصابات على القوات الامريكية ، كان يمكن كشف تهادنه

وتآمره ، وانه يساوم ولا يقاتل . وكان يمكن تجنيب الفلسطينيين القيام بالعمليات القذرة ضد الشعب الكويتي . . ولكن صدام لم يحاول القيام بعملية واحدة ضد الامريكان . . واذا كان الخبر الذي نشرته « الشعب » هو من باب الهذر الثقيل الظل عندما قالت : «معلومات خطيرة تكشفها الشعب عن اسباب الدخول العراقي للكويت » اما السر فهو رفض حكام الكويت اقتراحا عراقيا بتكوين فيلق عربي يضم ٣٠٠ الف مقاتل لتحرير فلسطين . . وقالت ان صدام كان يقترح وضعهم في سيناء تحسبا لأي عمل تقوم به اسرائيل واكد التقرير العراقي ان اسرائيل لن تقوم بأي عمل .» ٣٧

حتى اذا كان ذلك القول هذرا ومن باب الدعاية فقد سنحت المناسبة لتجربة صدام . . فلماذا لم تطلب منه المنظمة تشكيل هذا الفيلق واطلاقه في اتجاه اسرائيل عبر الحليف الاردني أو حتى عبر الحدود الكويتية ليشتبك مع الامريكان . . ؟ لماذا قبلوا ان يكون دورهم الوقوف في طرقات الكويت وطلب الهوية من الكويتي في بلده وتعذيب المصري أو على الاقل السكوت على ما كان يفعله العراقيون وجند الاردن في المصريين الذين لم يبخلوا بشئ في سبيل فلسطين . . لماذا لم يسمح لهم صدام بمقاتلة الامريكان أو اسرائيل بينما دفعهم لاطلاق التصريحات الاستفزازية التي لم يصدق منها حرف واحد مثل : «منظمة التحرير وضعت قواتها في حالة انذار . . كما ان اجراءات منظمة التحرير شملت ارسال وحدات عالية التدريب الى الكويت للمشاركة بصورة فعالة في مواجهة اي هجوم على القوات العراقية المتواجده هناك . . »(الاحداث)

« دعت منظمة التحرير الامة العربية والاسلامية وشعوب العالم الثالث وجميع الاحرار والشرفاء ومحبي السلام الى تحمل مسئولياتهم التاريخية والانسانية للتصدي للعدوان الغاشم .»٣٨

وفي بغداد اجتمع صدام وعرفات ونائب الرئيس اليمني وانضم اليهم الملك حسين وقرروا عقد لقاء بين الملك فهد وصدام . . !! وقالت صحيفة «القدس »ان لقاءات بغداد تحضر للقاء عربي /عربي وبالذات سعودي عراقي وربما كويتي يسبق اللقاء العراقي الامريكي للاتفاق على صيغة حل عربي بمظلة دولية وذلك كما اعلنت القيادة الفلسطينية.»٣٩ ولكن اعجب الوسطاء هو نايف حواتمه الذي اكد في دمشق «ان مشاورات تجري لبدء حوار بالذات مع السعودية تمهيدا لعقد القمة العربية الاستثنائية التي ستعقد لها الدول الثمانية التي رفضت قرارات مؤتمر القاهرة و قال حواتمه انه سينجز ذلك في ديسمبر»٤٠

« يشكل الفلسطينيون والاردنيون الاغلبية بين سكان الكويت اللذين كان يبلغ عددهم قبل الاجتياح العراقي ٢.٥ مليون نسمة فر اكثر من نصف سكان الكويت الاصليين وان عائلات الاردنيين والفلسطينيين يفرون من الكويت ولكنهم يتركون الشباب للمحافظة علي حاجياتهم والدفاع عن المدينة . »[41]

اليس الذين كتبوا ونشروا هذا هم الذين حرضوا الكويتيين على الفلسطينيين ؟!

واعلن هاني الحسن الذي وصف بأنه كبير المستشارين السياسيين لياسر عرفات «ان المنظمة ستقف مع صدام حسين اذا نشبت الحرب لقد نسقنا خططنا ان نقاتل مع العراق في خندق واحد»[42]

وعرفات يصرح لوكالة الانباء النيجيرية .. ان اندلاع حرب الخليج ستكون كارثة للعالم بأسره »[43] هذا في الوقت الذي تقول الصحف انه قد « سجل اعلى رقم للهجرة اليهودية السوفيتية منذ ازمة الخليج وهم يتزاحمون في القدس في ارقام قياسية.»[44] «سجل شهر ديسمبر اعلى عدد مهاجرين في خلال ٤٢ سنة هي عمر اسرائيل «٤٠ الف مستوطن »[45]

وقد علقنا يومها : لماذا لا يركز عرفات على كارثته وكارثة شعبه وهل من المعقول ان يحشد قواته في الكويت للدفاع عن المحافظة ١٩ ومقاتلة السعوديين والكويتيين والمصريين في وقت تصعد فيه اسرائيل حملة ابادة الفلسطينيين بالقتل والترحيل ..ام انه حقا يوجد بين المنظمة من يستغلون ابو عمار ليحرفوا الانظار عما يجري في فلسطين المحتلة ويتيحوا الفرصة لجيش اسرائيل لكي يخلصهم معا من حركة حماس..

« قال عرفات ان مقدساتنا اغلى من النفط والقدس اهم من الدولارات .. وكنا ومازلنا ضد الغزو والوجود الاجنبي لاراضي وطننا العربي وانه غزو يستهدف القوة العربية وتكريس نهب الثروات العربية..»[46]

وعرفات يقول سنقاتل الى جانب العراق في اي حرب ..»[47]

وبعد ذلك كله فإن بيان دول الخليج في أول قمة لهم بعد الغزو العراقي ، اكتفى بعدم ذكر المنظمة لكي لايوجه لها الرد على هذه التصريحات والمواقف ، فيتسع الشرخ ولكن ذلك لا يفوت اسطوات المخابرات الاردنية وبدلا من ان تتخذ صحف الفلسطينيين نفس الموقف حتى تمر الأزمة .

تجد القدس تلقي الضوء على اغفال البيان للمنظمة ، وتهاجم دول الخليج « مع وصول المهاجر رقم مائتي الف يهودي الى فلسطين. . اعلن قادة الخليج في الدوحة. .الخ البيان حمل تطورا جديدا هو حذف منظمة التحرير ، وهذا تنفيذ للسياسة الامريكية »[48]

وقد علقنا يومها : بل سيصل المهاجر رقم مليون بينما تتفرغ اقلامكم لمحاربة دول الخليج!

وأيضا ماهي مصلحة المنظمة أو الثورة الفلسطينية أو الشعب الفلسطيني في الدخول في معركة مع الاتحاد السوفيتي من اجل العراق . . هل ينقصهم الاعداء. . ؟!

«عرفات مستاء من موقف موسكو»[49]

وكتبت القدس تسب الاتحاد السوفيتي والانفتاحة واعادة بنائه واتهمته بان امريكا اشترته في سوق النخاسة « انها مؤامرة يتزعمها بعض المتآمركين تهدف الى انهاء الاتحاد السوفيتي وقبره نهائيا وازالته عن الخريطة السياسية العالمية واداتها هي البريسترويكا وشقيقتها الجلاسنوست »[50]

ولا تتورع العناصر المندسة حتى في الصحف السعودية عن مهاجمة الاتحاد السوفيتي اذا انتقد العراق فعندما قال شيفرنادزه بعد اجتماعه بالرئيس التركي «ان الغزو العراقي للكويت عرقل جهود تسوية النزاع العربي الاسرائيلي وقال ان هذا الغزو دفع الى الوراء الحل في الشرق الاوسط واعتبر ان فكرة السلام في الشرق الاوسط ما زالت حية .واضاف ولكنني لم المس تغيرا في موقف اسرائيل من الفكرة »[51]

تكافئه جريدة الحياة بكاريكاتير بنت صغيرة(ترمز لفلسطين) مطعونة بخنجر الاتحاد السوفيتي وتعليق :«حتى انت يا بروتوس!! »[52] . . الرجل لم يمس فلسطين بسوء ولكنه هاجم العراق بما كانت ترد‌ده القوى المعارضة لاحتلاله وفي مقدمتها المملكة التي تمول جريدة الحياة . . فتهاجمه الصحيفة وباسم فلسطين ؟! ومن المفيد تأمل كيف هرعت صحيفة « الحياة » تنهش القيادة الفلسطينية فور انتهاء الحرب فتردد مطلب الولايات المتحدة :« شرعية القيادة تستمد من انجازاتها والقيادة الفلسطينية لم تحقق شيئا لشعبها حربا أو سلما أو عن طريق طرف ثالث مثل الرئيس العراقي بل انها خسرت ويجب ان تحاسب على هذه الخسارة فهذا اسلوب الديموقراطية منظمة التحرير خسرت حرب الخليج مع الرئيس العراقي .»[53]

كثيرون يرفضون الفجور في مخاصمة الفلسطينيين من جانب بعض الكتاب في الصحافة

المصرية مع ان زعماء المنظمة يهاجمون سياسة مصر والحكومة التي يعمل عندها هؤلاء الصحفيون.. وبعض المصريين قتلوا فعلا على يد فلسطينيين .. ولكن ما مصلحة المنظمة والثورة والشعب الفلسطيني في تأجيج العداوة مع شيوخ الخليج وامراء الخليج .. كيف لم يتنبه قادة المنظمة لهذه الحملة التي تشنها باسمهم صحف مشبوهة؟!

صحيفة القدس لا تتورع ، بل تتعمد ، الضرب تحت الحزام .. فتنشر هذا الخبر الفاضح التلفيق :

« علماء الحجاز يدعون لقتال الامريكيين وضرب مصالحهم .. جاء من طهران ان مجموعة من رجال الدين السعوديين في مدينة قم شجبت هجوم القوات المتحالفة على العراق وحثت السعوديين على النهوض في مواجهة القوات الامريكية ،وقالت الوكالة ان جماعة علماء الحجاز قالت في بيان لها ان الشعب العراقي وقع ضحية للحرب التي اشعلتها الولايات المتحدة للدفاع عن انظمتها العميلة وقالت الجماعة في البيان الذي اصدرته امس ان الخيار واضح لدول المنطقة اما ان تنهض في سبيل الله لاستئصال شأفة الولايات المتحدة و إلا فعليها ان تتحمل خزي أن تطأها احذية المحتلين ..» *

الخبر لا يستفز الحكومة السعودية وحدها بل رجال الدين فيها .. وكاتبه يعرف ذلك ويستهدفه من حرصه على تكرار علماء الحجاز مرتين أي انهم ليسوا من الشيعة .. وعلماء السعودية اذا لم يكونوا شيعة فهم وهابيون والوهابي لا يدخل قم الا في نعش..!

وتتدنى لمستوى مقذع في تعريضها بالأمراء باسلوب لم تعرفه صحافة العرب من سنوات طويلة فتقول : « كوميديا الامراء .. امير من اولئك الامراء يتسم ابتسام سامية جمال ويعبث عبوس موسوليني وهو ضابط كبير في الجيش وقائد حربي فريد يشار اليه بأكبر اصبع من اصابع اليد» (!!!ج)**

عندما يتدنى المتحدثون باسم فلسطين الى هذا المستوى ويميعون القضية على مذبح صدام واحقادهم ضد الأمراء الذين كانوا يدفعون خمسين ضعف ما يلتزم العراق « اعلاميا » بدفعه ولا يفعل ،عندما ينشغل هؤلاء عن المذبحة بمهاجمة السعودية فإن القضية تصبح في خطر كبير، وعلي يد المارقين من ابنائها .

ولا تترك صحيفة القدس فرصة الا وتنحاز فيها لكل من يعادي المملكة أو يهجم عليها: «بن بللا لن يذهب الى السعودية على الرغم من الدعوات التي تلقاها من الرياض لانها مثل امريكا واعتبر ان السعودية بلد ميئوس منه فالسعودية والولايات المتحدة اصبحتا بلدا واحدا ٠ومساندة السعودية تعني مساندة الامبريالية وقوى الشر ٠٠»[٦]

«دون اي انذار سابق أو اعلان رسمي ٠٠السعودية تمنع تحميل البضائع الى الاردن«وان حركة الشحن تستفيد منها خمسة وخمسون الف عائلة اردنية وفلسطينية اصبحت بلا مورد ولكن لن يؤثر ذلك على المشاعر القومية للاردنيين على المستويين الرسمي والشعبي فهم متحفزون لتقديم كل التضحيات للمشروع القومي الذي يطرحه العراق٠» (٦/١٠/٩٠)

ما هو المشروع القومي الذي كان العراق يطرحه ٠٠ المحافظة التاسعة عشر ٠٠؟!

تبنت «القدس» وجهة نظر اليمن ونشرت بشكل بارز :«اليمن تدين الاجراءات السعودية وتقول لن نركع» ونقلت تصريحات على سالم البيض نائب رئيس مجلس الرئاسة اليمني الذي قال :للصبر حدود ٠٠وقالت ان التليفزيون يعرض ما تعرض له اليمنيون من مصادرة واهانة وان اطفالا ماتوا اثناء الطريق وان حوالي ٣٥٠ ألف يمني عادوا لليمن٠»

وقد يكون مفهوما ان تقف المنظمة ضد الامريكان أو حتى مع العراق ولكن لماذا ينسب لها كل موقف معاد للمملكة ؟!« صحيح ان المملكة هي المستفيد الاكبر ماديا من ازمة الخليج فدخلها اليومي اصبح ٣٠٠ مليون دولار وكان ٥٠ مليون دولار ٠ ومصر المستفيد الثاني ومع ذلك فان السعودية ستكون الاكثر تضررا حال اندلاع الحرب»[٢]

لم يكن صدام يهدف الى تحرير فلسطين ولا المساومة على الكويت لاستخلاص حقوق الفلسطينيين بل كان يتستر خلف الشعارات الفلسطينية لكسب الوقت ويأمل اجراء مساومة تعطيه بعض المكاسب في الكويت ، ولم يتردد لحظة واحدة في تأكيد هذه الحقيقة ٠٠ وان كان قد انتهى في النهاية الى شنق نفسه بشعاراته التي اراد بها الافلات من الفخ الذي وقع فيه : «خطة صدام الاساسية للافلات من الحرب هي طلب بعض التنازلات في قضية فلسطين الامر الذي لا يلوح في الافق ٠٠ ومهما يكن الهدف في البداية فقد اصبح هذا الموقف الان هو الحقيقة المزعجة لأن

المخرج الذي اعده صدام ليفلت منه تحول الى طوق اطبق عليه . . » [٥٨]

وبينما ظن الفلسطينيون الابرياء ان بشاعة الاحتلال العراقي للكويت تكشف احتلال اسرائيل لوطنهم . فإن الاعلام الأردني والعراقي والمدسوس كان في الحقيقة يبرر احتلال اسرائيل من خلال دفاعه عن الاحتلال العراقي للكويت . . تتساءل الصحيفة الناطقة باسم الفلسطينيين : « لماذا تقتطع اسرائيل شريطا لبنانيا لحماية حدودها الشمالية المزعومة ولا تحرض واشنطن ، بينما ممنوع على العراق استئجار جزيرتين عربيتين من دولة شقيقة . لماذا يريد الرئيس مبارك انتخابات حرة في الضفة الغربية والقطاع تحت الحكم الاسرائيلي ويعارضها في الكويت بعد انسحاب العراق » [٥٩]

وبالطبع يمكن قلب هذا المنطق . . اذا كان الفلسطينيون يقرون حق العراق في استخدام القوة للحصول على منفذ على الخليج . . فلماذا لا يكون من حق اسرائيل استخدام القوة لفتح منفذ لها على البحر الاحمر ، وتأمين مواردها المائية ! واذا كان الفلسطينيون يطالبون باستفتاء الكويتيين تحت الاحتلال العراقي حول من يمثلهم ومن يحكمهم فلماذا يرفضون هذا الحق لاسرائيل . . ؟! الخ كان المفروض هو ما قاله الامير بندر بن سلطان : « اما عن الفلسطينيين فهم آخر من يحق لهم تأييد صدام لأنهم يعرفون معنى اغتصاب الاوطان » (١٠/٢٧)

وقد كتب ستيفن روزنفيلد من عمان يقول : « ان الخاسر الاكبر في ازمة الكويت هم الفلسطينيون وعدد خسائرهم : « بتأييدهم للاحتلال العراقي للكويت اضعفوا حجتهم في رفض الاحتلال الاسرائيلي للضفة وغزة ، وهذا ادى لاضعاف المعتدلين الاسرائيليين وقوى الاتجاه المتطرف . . وابعد الفلسطينيين عن الاتجاه العربي المؤيد لهم . . كما خسروا علاقاتهم مع الروس والامريكان معا» [٦٠]

واذا كان الهدف اكل العنب وليس قتل الناطور ألم يكن يكفي الزعيم الفلسطيني ياسر عبد ربه ان يقول وهو يعلم انه مخطئ « ان العراق لن يتخلى عن فكرة الربط ليس من زاوية القومية وانما لمصالحه الوطنية » . . لماذا يضيف : « ان حل مشكلة الخليج اول بند فيه هو قضية التوزيع العادل للثروة » [٦١].

وبينما كان الصهيونيون يحتفلون لأول مرة «في موسكو بافتتاح المؤتمر التأسيسي للاتحاد الصهيوني في الاتحاد السوفيتي وحضره مندوبون عن مائة منظمة صهيونية من ٥٠ مدينة [٦٢] كان

ياسر عرفات يدلي بحديث في النيويورك تايمز اعلن فيه تأييده للربط بين الكويت وفلسطين ، وان معلوماته عن الجيش العراقي تجعله يتوقع حربا طويلة ومريرة تدوم ثلاث سنوات وخرابا وقلاقل في المنطقة . وتوقع ان تسود العلاقات مع دول الخليج فور انتهاءالازمة .وقدر خسارة الفلسطينيين بعشرة الاف مليون دولار وتوقع سقوط الحكومات. وحمل الاسرة الحاكمة في الكويت المسئولية الاولى في غزو الكويت. وانه شخصيا رجا الشيخ جابرقبل الغزو ان يبدي بعض اللين في قضية الدين العراقي . وقال انه نصح الكويتيين الا يركنوا لقرارات الامم المتحدة بل يأخذوا ما اعطوا بفرح حتى لا ينالهم ما نال الفلسطينيين (ووصفت الصحيفة هذا القول بأنه لحظة من النقد الذاتي بمعنى ان ابو عمار نادم لأن الفلسطينيين لم يقبلوا ما اعطتهم اسرائيل!) وقال ان المنظمة لديها مشروع من ٨ نقاط لحل أزمة الخليج ، يتضمن انسحابا جزئيا للعراق ، ثم مفاوضات حول تسوية مالية بين الكويت والعراق ومنظمة التحرير والدول العربية التي تضررت من الازمة .وقال انه لن يكون هناك حل لأزمة الخليج بغير حل المشكلة الفلسطينية . وختم تصريحاته بأن النصر في تلك الحرب سيكون حفنة تراب في فم المنتصر .» [٦٣]

ولا ادري من الذي نصح المنظمة بتكرار نشر تلك الارقام الاستفزازية عن خسائر الفلسطينيين وتقديرها بعشرات الالوف من الملايين .. من سمع عن شعب لاجئ أو حركة ثورية تخسر بلايين الدولارات..!

تأمل هذه الارقام وتأمل تأثيرها على المصري أو حتى الفلسطيني تحت الاحتلال الاسرائيلي الذي تقول له الدعاية الصهيونية ان زعماء المنظمة يتاجرون بآلامه لتكوين ثروات لحسابهم أو العيش في بذخ باسم النضال في فيللات في تونس وفنادق الدرجة الاولى ..

« تقارير عن هبوط دخل منظمة التحرير الى النصف منذ دخول العراق للكويت وانها خسرت مليارى دولار خلال الاشهر الاربعة الماضية وان دخل المنظمة هبط الى النصف.» [٦٤]

وقد تساءل الكثيرون .. هل يعني ذلك ان المنظمة دخلها ١٢ مليار دولار سنويا .. ان ذلك يجعلها اغنى من سائر الدول العربية غير النفطية !

« اوقفت الحكومة الكويتية مساهمتها المالية المباشرة للمنظمة في حين خفضت المملكة مساهمتها في المصاريف الجارية ، وكانت السعودية تساهم بمليار دولار سنويا وهو يمثل ثلث

التكاليف الجارية للمنظمة وانتقدت المنظمة قرار الرياض في اغسطس بدعوة القوات الامريكية للدفاع عن المملكة ضد هجوم عراقي محتمل . كان العراق يساهم ب ٥١ مليون دولار . لكن مكتب المنظمة في الرياض اكد ان جمع الخمسة في المائة مستمر .»[٦٥]

قال عرفات :« مكاسبنا اكبر من خسائرنا . . المكاسب السياسية التي حققتها المنظمة تفوق خسائرها المالية وانها وجهت انظار العالم الى تحقيق السلام في الشرق الاوسط وهذا هو انجازنا الحقيقي بينما بلغت خسائر جاليتنا في الكويت عشرة مليارات ونصف مليار وكذلك الدخل الذي كان يرسلونه لابناء شعبنا في الارض المحتلة »[٦٦]

« نقلا عن المصادر الفلسطينية تقدر خسارة الفلسطينيين في الكويت ب ١٥ مليار دولار .»[٦٧]

واستنادا لهذه الارقام توسعت الصحافة المعادية فكتبت الصنداي تايمس تحقيقا عن المنظمة وسياسة التقشف التي اضطرت إليها فقالت ونصح بعض المسئولين بسحب اولادهم من المدارس الامريكية الخاصة ، والحد من نفقات الترفيه . والاخرون طلب منهم البحث عن مسكن بدلا من النزول في فنادق خمسة نجوم . وبعضهم استدعوا من منتجعاتهم في اوربا كرها وارسلوا لمعسكرات تدريب في ليبيا . المنظمة التي كانت قبل الغزو تتلقى دخلا يعادل دخل شركة متعددة الجنسيات متوسطة الحجم ، خفضت ميزانيتها بنسبة ٣٠٪ وموظفوها الذين كانوا ينزلون في فنادق الليلة بمائتي جنيه استرليني في تونس ولا يتورعون عن وضع الويسكي على الفاتورة طلب منهم الاقتصاد . . كما طلب من كبار المسئولين في تونس مغادرة فيلاتهم الفاخرة وعدم السفر بالدرجة الاولى لتعويض الثلاثة بلايين دولار التي خسرتها المنظمة منذ الغزو . . ان ٣٥٠ الف فلسطيني في الكويت يطلبون المساعدة . ولكن المنظمة لا تواجه خطر الافلاس . . عندها ٨٥٠ مليون دولار استثمارات في اوروبا . . جمعوا عدة ملايين تبرعات من الفلسطينيين الاغنياء في امريكا اللاتينية . . ولكن عرفات لا يعرف متى تنتهي الازمة وهو مطالب بدفع ٢٥٠ مليون دولار مرتبات لـ ١٤ الف مناضل (حوالي الف وخمسمائة دولار شهريا او اكثر من خمسة الاف جنيه مصري وهو اعلى مرتب ناله مكافح أو مناضل في التاريخ ، واكبر من مرتب رئيس وزراء مصر ! . .) وينفق على تسعين بعثة دبلوماسية »[٦٨]

واليك ما سجلته الهيرالد تريبيون (٢٠/٣/١٩٩١) مغتبطة بعد الهزيمة قالت « وما الذي غيرته

الحرب ليصبح السلام مطروحا .. وتجيب ..: تغيرت موازين القوى فقد اصيب التيار المتطرف بضربة قاصمة دمرت قاعدتهم العسكرية في العراق وتبين زيف ادعاءاتهم. اما قيادة المنظمة فبسبب موقفها من صدام ، فقدت الثقة ليس فقط في الغرب بل وفي عين العرب كما دمرت قاعدتها المالية في الخليج فقد قطعت دول النفط دعمها .. ماذا بقي من الراديكاليين العرب ؟ جمهورية اليمن .. بقايا الاردن ..وبعض المشاغبين للابحار في المغرب ! لم يحدث منذ هزيمة ١٩٦٧ ان كانت العروبة في مثل انهيارها الحالي.»

وتنبأ جون بللوثي في الاندبندنت ان «اهم تغيير سيكون في منظمة التحريرالتي فقدت ثلاثة من مؤسسيها كما استقال خالد الحسن لأنه لم يقبل سياسة عرفات في تأييد صدام .. لا عرفات ولا اي من القيادة القديمة سيكون لهم مكان بل سيحل محلهم قيادات شابة جديدة من الداخل والمشكلة ان حماس هي التي ستسيطر.»[٦٦]

الخوف من سيطرة حماس يفسر الكثير مما جرى وما سيجري ..!

الارهاب المستأنس !

ورغم كل ما صدر عن صدام والمؤيدين له .. حول الضربات الارهابية القاصمة التي بعدها صدام فلم تقع حادثة واحدة تستحق الذكر إلا اغتيال المحجوب .. الذي كان من اهداف اغتياله تخفيف الضغط الاعلامي على مذبحة القدس التي نفذتها اسرائيل. وهناك لغز في الحادثة اشرنا اليه وقتها .. فعندما وقع حادث اغتيال المحجوب جاءت الشهادات الفورية لدوائر الأمن مؤكدة ان الفاعلين اجانب واتجه الاتهام على الفور الى صدام ولكن الولايات المتحدة لم تكن جاهزة للهجوم على العراق في هذا الوقت .. ولذلك استقبل اعلامها الحادث ببرود وتطوع اعلامها بتأكيد مصرية الفاعلين ! وقد بادرت عناصر مصرية معروفة بعلاقاتها بالمخابرات الامريكية بادرت على الفور بتأكيد ان الفاعلين مصريون .. رغم بيانات السلطات المصرية ، ورغم انه لم يكن قد اعتقل احد بعد! على اية حال لحسن حظ الولايات المتحدة حتى لا تحرج باعلان عجزها عن تنفيذ تعهداتها ، تم القبض على مصريين ووجه لهم الاتهام باغتيال المحجوب. والامر بين يدي القضاء. ولكن للتاريخ فهذا ما كتبناه وقتها : « الى ان يستقر الرأي على جنسية الذين اغتالوا رفعت المحجوب تميل التحليلات لتأكيد انها ضربة عراقية اختارت اضعف النقاط في الجبهة المعادية للعراق ليس من ناحية الأمن فقط بل من ناحية ردود الفعل الممكنة ، فليس لدى مصر قدرة على الانتقام لا ارهابيا ولا ماليا ولا حتى بترحيل الفلسطينيين .. كذلك فإن جهاز الأمن فيها هو الاضعف من بين الدول المعادية للعراق. اما اختيار المحجوب فالقصد به الدعاية لأن جميع المصادر التي ستتحدث عن الاغتيال ستقول الرجل الثاني في مصر وهو ما لم يفت صحيفة القدس فانفردت بعنوانها الرئيسي: « اغتيال المحجوب الرجل الثاني في مصر» وهذا صحيح دستوريا ولكن ليس صحيحا من الناحية الامنية ، فحراسته ليست في مستوى الرجل الثاني . وقد اشارت الصحافة الأجنبية لضعف الأمن المصري في نقطة حساسة (امام فندقي سميراميس وشبرد) حيث يقيم عدد كبير من آل صباح وايضا بعض الشخصيات العربيةالبارزة وخاصة في فندق سميراميس.

. اذا كان هدف عملية الاغتيال السهلة والاستعراضية لشخصية لا قيمة لها في الصراع العربي الا صفته الدستورية ، اذا كان الهدف هو ترويع المسئولين والكتاب العرب المعارضين للعراق ..

فسيكون علينا ان ننتظر لنرى مدى نجاح هذه الضربة في مسلكية هؤلاء . . واذا كان الهدف صرف الانظار عن مذبحة القدس فقد نجحت الخطة . اذ تراجعت المذبحة من العناوين الرئيسية .

وقد لوحظ عدم ابراز الاعلام الامريكي للعملية بل وحرص هذا الاعلام على الايحاء بأنها عملية داخلية بسبب اسلوب ادارة المحجوب لجلسات مجلس الشعب! وربما يكون هذا الموقف للتهرب من الاعلان الامريكي السابق بأن بدء العراق لعمليات ارهابية يطلق يد امريكا في الحرب . . أو للتقليل من الزهو العراقي بنجاح ضربته . وان اجمعت معظم المصادر ان حجم التنفيذ واسلوبه ليس في طاقة المنظمات المصرية المعارضة .» (من يوميات ١٥ اكتوبر ١٩٩٠)[٧٠]

العملية الثانية التي نجح فيها الارهاب الموالي لصدام هي اغتيال ابو اياد وابو الهول بتنسيق مع الموساد [٧١] . . ويمكن الاشارة ايضا لعملية ناجحة اتهمت بها الصنداي تلغراف المخابرات العراقية وهي القتل بالسم لاحد العسكريين المعارضين لصدام الذي انهار فجأة ومات خلال الادلاء بحديث صحفي للجريدة [٧٢] وما عدا ذلك كانوا كبقر الجنة لا ينطحون ولا يرمحون . . ورغم ادعاءات صدام.. فعندما «بعث امريكا برسالة الى العراق تحذرها من العمليات الارهابية . ردت بغداد ان الرئيس بوش يجب ان يتوقع تفجر شعور طبيعي لدى العرب والجماهير الاسلامية ازاء الجرائم التي ترتكبها امريكا ضد الامة العربية واهانتها للمقدسات الاسلامية باحتلال الأراضي المقدسة »

هدد العراق بنسف حتى انابيب النفط في الاسكا ولم يستطع ان ينسف محطة تحلية على بعد اميال من قواته في الكويت فاضطر الى القاء ملايين البراميل من النفط في الخليج ليسمم مياه الشرب على شعوبه . .

«وعدت المنظمات الارهابية بتنفيذ عمليات واسعة ضد امريكا في حالة نشوب الحرب . .»[٧٣]

واعلن اكتشاف ان اثينا هي مركز جماعات الارهاب التي تدعمها العراق للعمل في اوروبا في حالة قيام الحرب .»[٧٤]

«قالت مصادر ال «سي اي ايه» ان ليبيا والعراق لهما خلايا ارهابية مستعدة لمهاجمة اهداف في امريكا اذا قامت الحرب »[٧٥]

« حبش يدعو العرب لتحويل السعودية الى مقبرة للامريكيين »[٧٦]

«تقول مصادر المخابرات الغربية انه اذا اندلعت الحرب في الخليج فيتوقع عمليات عسكرية شعبية

داخل السعودية . »[٧٧]

« قال المراقبون الذين يعرفون صدام ان اسلوبه هو توسيع النزاع وليس تطويقه ولذلك يتوقعون ان يهاجم بالارهابيين الدول المؤيدة لامريكا . . ولضرب اهداف تثير الرعب وبغازات اعصاب . . »[٧٨]

تبين ان الارهابيين اكذوبة أو انهم كما تعتقد قد تمت السيطرة عليهم من قبل الاجهزة الامريكية والاسرائيلية ، وكنا قد اشرنا من سنوات ، الى الخطة الامريكية التي استعانت برجل المخابرات الامريكية الشهير « ولسن » ومن خلال التعاون مع مخابرات القذافي تم التغلغل والسيطرة على شبكة الارهاب الفلسطيني . . وقد تحدثنا بذلك تفصيلا في كتابنا عن عملية ولسن وهو تحت الطبع . .

وكما قلنا في غير هذا الفصل كان التضخيم الاعلامي في قدرات صدام الارهابية مقصودا لتضليله وافهامه بأن امريكا مرعوبة ولن تحارب ، وايضا لتبرير الاجراءات غير الدستورية وغير الديموقراطية التي اتخذت ضد العرب في بريطانيا وامريكا . . وابطلت كل ادعاء عن حقوق الانسان وسيادة القانون وقد ألقي القبض على كل من هو من اصل عربي وكان يطلب منهم ان يجيبوا عن سؤال حول موقفهم من الغزو العراقي للكويت !

وسواء أكان ذلك مقصودا في اطار هذا الهدف أو من آثاره الجانبية ، فقد بالغ الامريكان على عادتهم في ردة الفعل فانتابهم رعب حقيقي ضاق به البريطانيون فانتقدت التايمس الذعر الامريكي وقالت « والاوربيين قد انزعجوا من الرعب الذي ساد الامريكيين من تهديدات صدام الارهابية . تلك التهديدات التي واجهها العالم باحتياط عاقل الا ان الامريكان سمحوا لصدام بأن يزلزل طمأنينتهم ويغير اسلوب حياتهم، فقد انخفضت رحلات الامريكان للخارج وحتى الشركات الامريكية تنصح موظفيها بعدم السفر . . ان الخطر الذي يهدد به صدام لا يجوز ان يجعل الانسان الغربي يخضع لصدام ويغير اسلوب حياته فصدام لا يريد الارهاب في حد ذاته بل يأمل ان تنجح هذه التهديدات في زلزلة امن الانسان الغربي وتدمير اقتصاده واثارة الرأي العام في الغرب ضد الحرب . . لقد نجح ذلك في الولايات المتحدة الى حد ان صدام لا يحتاج لارسال ارهابيه الى هناك لأن تهديده وحده . . انجز المهمة ! »[٧٩]

وقد نقلت الاذاعات ان المباحث الفيدرالية نصحت الرئيس بوش الا يتوجه للكونغرس ويظل

معتصما في البيت الابيض خوفا من عملية عراقية ولكنه اجاب في شجاعة فائقة انه لن يترك صدام حسين يحدد له تحركاته .. وهو تصريح يبلغ من شجاعته ان يثير الرعب في العالم كله !

« صرح كابتن امريكي ان السلطات الامريكية العسكرية تعتقد ان الارهابيين العراقيين قداخترقوا الحدود السعودية وقادرون على الضرب اذا شاءوا ونتوقع شيئا مثيرا »[٨٠]

لم تقع الا حادثة واحدة يشك في علاقتها بصدام وفي جده على بعد الف ميل من القوات الامريكية .

وعندما وقع حريق في رأس تنورة كان تفسيرنا انه مفتعل من قبل السلطات هناك لتغطية اقتراب ساعة الصفر . ولتبرير وقف البيع التجاري لتوفير بنزين الطائرات وديزل الشاحنات والدبابات ولكن الاجهزة الامريكية نسبتها لصدام : « اعلنت مجموعة خبراء من CIA ارسلوا للتحقيق في حريق راس تنورة ان الحريق نفذ بمعرفة مخربين عراقيين وعلى يد عمال يمنيين »[٨١]

«ورغم كل ادعاءات صدام بشن حملة ارهاب عالمية فإن الخارجية الامريكية لم تبلغ الا عن ١٦٠ حالة خلال فترة الحرب معظمها عمليات صغيرة قام بها هواة ، عدد قليل منها مرتبط مباشرة بالعراق معظمها في مناطق مثل جنوب امريكا حيث لم يكن لها تأثير عالمي .

« وقد كبح الرئيس الاسد كباح العناصر الارهابية عنده بضغط من الولايات المتحدة والسعودية والكويت . وفي تقرير للواشنطن بوست افاد ان الولايات المتحدة حذرت القذافي من عقوبات مادية وعسكرية اذا تبين ان اي عملية ارهابية انطلقت من ليبيا»[٨٢] .

على أية حال ان فشل صدام وحبش وحواتمه وابو نضال وابو العباس وابو الكذاب في تنفيذ واحد على الالف مما كان ينتظر منهم في « أم المعارك » يفرض على الحركة الفلسطينية ان تعيد تطهير صفوفها ..

الربط التضليلي

كان الربط ، هو الشعار الذي طرحه صدام كضربة معلم عبقرية فتنت الفلسطينيين وتشبث بها مؤيدوه كورقة تين تستر تناقض موقفهم ، أي ربط احتلاله للكويت بالاحتلال الاسرائيلي لفلسطين.

وكنت قد كتبت يوم ٨ ديسمبر الماضي اقول : « كل عربي شريف يتفهم موقف الفلسطينيين ، فهم معنيون – ولهم الحق –بقضيتهم اولا واخيرا ولودمر العالم كله . وماذا يفيد الفلسطيني لو ربح العالم السلام وخسر هو وطنه . . ومن هنا ولطالما لم تحل قضية الفلسطينيين فسيشكلون الفيلق الشاكي السلاح المستعد للعمل فورا وراء كل من يهتف باسم فلسطين أو بسقوط الامبريالية واسرائيل . والذين ساءهم ان يهاجم ابوعمار الرئيس السادات لأنه على حد قول الزعيم الفلسطيني باع فلسطين بحفنة رمال تسمى سيناء ، لم يفهموا هذا المنطق الطبيعي فالعالم كله حفنة رمال اذا ما قورن بالوطن . . وصدام حسين يحاول الربط بين فعلته وآلام الفلسطينيين فهو – في زعمه وتصورهم – اراد ان يقدم للعالم نموذجا للعدوان الاسرائيلي ولكن من زاوية يمكن لهذا العالم المتبلد الحس والمنافق ان يحكم عليها بموضوعية ، وهكذا في حالة العراق ،ادان هذا العالم بما يشبه الاجماع كل ما فعلته اسرائيل وسكت عنه اربعين سنة لمجرد انها يهودية والعراق عربي!!وزعم صدام أنه بشعار الربط يضع العالم أمام خيار صعب فإما أن يدينوا اسرائيل كما ادانوه أو يتركونه ينعم بما غنم كما سكتوا عن اسرائيل !

وقال بعض العرب ان هذا اللون من الربط يبرر جريمة اسرائيل ولا يدينها، ويحول قضية فلسطين والشعب الفلسطيني من القضية الرئيسية التي يتمحور حولها الوجود العربي يحولها الى مجرد ورقة في جيب المفاوض العراقي يساوم عليها أو يبتز بها الولايات المتحدة ليحصل على نفط ومال وتعديل الحدود . ويعطي حجية قوية للمنطق الاسرائيلي الذي يبرر العدوان لتعديل الحدود والذي لا يعترف بالحدود القائمة ويطرح مبدأ العدالة في توزيع الثروات . فاسرائيل لاتكف عن القول بأن لها نعجة واحدة وللعرب عشرون ويطمع العرب في نعجتها كما في قصة داود . اسرائيل تطلب عدالة التوزيع بالقوة في الارض والماء ، فلو ربطنا اليوم بين شعارات العراق في عدالة توزيع النفط بين العرب وبين القضية الفلسطينية يعني اننا نربط بين مطالب اسرائيل ومطالب العراق ونقدم

الوطن العربي على طبق لكل الذين يريدون اعادة توزيع ثرواته ليفوزوا بنصيب الأسد وللأسف العرب ليسوا الأسد . بل ان الذين سمعوا شامير يرفض المؤتمر الدولي ويطالب بحل الخلاف بين الاطراف المعنية ، خيل لهم انهم يسمعون صدام واعوانه وهم يطالبون بحل عربي واستبعاد التدخل الدولي .. كل هذا المنطق لا يمكنه اقناع فلسطيني ، وهو يعامل معاملة الهنود الحمر ، وبمنطق انا الغريق قامر الفلسطينيون بالكثير جدا على مغامرة صدام . وقد نشرت صحيفة القدس ـ وهي مع العراق بالكامل ـ ان السعودية كانت تدفع للمنظمة مليار دولار سنويا أو عشرين ضعف ما كان يدفعه العراق (٥١مليونا) كما قدرت خسائرالمنظمة حتى الان بمليارى دولار .. ويبدو أن احدا لا يحسب خسارة الانتفاضة ونسيان العالم لجريمة تهجير وتوطين اليهود السوفيت ..»

«اكدت قيادة البحث الترابط الجدلي بين قضية الخليج وقضية فلسطين .» [٨٣] والمقصود بالربط هو ربط احتلال صدام للكويت أو ما عرف بأزمة الخليج بقضايا الشرق الاوسط الاخرى ، مثل احتلال اسرائيل للاراضي الفلسطينية ، واللبنانية والسورية والوجود السوري في لبنان .. الخ وبالطبع فإن النقطة التي استرعت الاهتمام وجرى عليها التركيز هي القضية الفلسطينية ..والمعنى السوقي الذي روجه الاعلام الصدامي هو استخدام الكويت رهينة تساوم عليها امريكا واسرائيل.. لحل القضية الفلسطينية واعادة الاراضي المحتلة .. ! ولابد ان المؤرخ سيشك في سلامة القوى العقلية للأمة العربية ، لمجرد أن هذه الفكرة خطرت ببال قادتها ورجال اعلامها ..«قال الرئيس العراقي ان فلسطين هي التي تحتاج لتحرير وليس الكويت . وانه لن يترك الكويت الااذا ترك الاسرائيليون فلسطين. »

وقد وصف جورباتشوف هذا القول بالسفه «اذ لا يمكن ان تحتل دولة من اجل انقاذ دولة اخرى.» ..الا ان مما يعزي المواطن العربي ان الذين رفعوا هذا الشعار لا كانوا يؤمنون به ولا بإمكانية تحقيقه ، وانما كان مناورة قصد بها التسويف في قضية الكويت واستخدامه لاحراج الجبهة المتحالفة مع الولايات المتحدة . فالمعروف ان الولايات المتحدة منحازة لاسرائيل ولن تقبل ان يعقد مؤتمر توضع امامه قضية احتلال الكويت وفلسطين على قدم المساواة . والاتحاد السوفيتي اخذ جانب امريكا ، ومجلس الأمن صوت في شبه اجماع على قضية الكويت .. ومن ثم فمطلب الربط لن يحقق الا تأجيل الانسحاب العراقي من الكويت بما في ذلك من اضرار لا على

الكويت ودول الخليج فحسب بل على العراق اولا .. وهذا الاقتناع بأن الشعار هو مناورة ليس اكثر، كان متوفرا عند الجبهة العراقية ومن ثم لم تكن القضية الفلسطينية هي هدفهم بل كانت اداة في مناوراتهم .. وعندما طرحت القضية في مجلس الأمن بمناسبة الاعتداءات الاسرائيلية كتبنا تقول «ليس المهم نتائج القرار على الوضع الفلسطيني فهذه القضية هي اخر ما كان يشغل بال المتحاورين في مجلس الأمن .. وانما كان الحوار يدور اساسا بين العرب الذين يريدون انهاء الاحتلال العراقي للكويت قبل ان يتدهور الوضع العربي الى هاوية لا قرار لها. وتصبح كلنا المحافظة ١٩ في اسرائيل الكبرى أو الولاية الحادية والخمسين اذا قبل الامريكان ان يضموا اليهم اغبى واغنى أمة في العالم . وبين حلفاء العراق الذين كانوا يقامرون على وجهي العملة فإن استخدمت امريكا حق الفيتو، صرخوا مهللين فرحين في عرب امريكا -كما يسمونهم - وكأن انحياز امريكا لاسرائيل حقيقة جديدة اكتشفناها بعد احتلال الكويت ! أو كأن ذبح الكويت وتعريض العراق للدمار هو العقوبة المناسبة لتحيز امريكا .. فكما ترى كل الجدل والشعارات باسم فلسطين وهي اخر ما يعنيهم .»[٨٤]

وقلنا: «... نجد العراق من ناحية اخرى ماضيا في استغلال القضية الفلسطينية ملحقا بها الخسائر، مستفزا الولايات المتحدة الى مواقف لم تكن ترغب في اتخاذها، وليس من مصلحة العرب دفع الولايات المتحدة اليها. ولكن ما بين الاستفزاز العراقي والضغط الاسرائيلي وهما متممان لبعضهما تدفع الحكومة الامريكية الى مواقف وقرارات سياسية تشكل سوابق يصعب التراجع عنها، ومن وجهة نظر الفلسطينيين ما هي المصلحة في التحرش بالولايات المتحدة والدخول معها في مواجهة وخاصة بعد انهيار المعسكر الشيوعي، وبعدما اثبت التصويت في الأمم المتحدة ان الغالبية العظمى للعالم باستثناء اليمن وكوبا، تمشي وراء المندوب الامريكي؟! ولكن العراق يقول علنا انه يريد كشف امريكا والمتعاونين معها اقليس الهدف خدمة الفلسطينيين بل الاضرار بخصوم صدام من العرب . والقوى العربية التي ترفض الربط لا ترفضه لأنها لا تريد حل قضية فلسطين أو انها اقل اخلاصا وعطاء من العراق الذي لم يطلق رصاصة في اتجاه فلسطين منذ (ماكو اوامر) في ١٩٤٨ أو كما قال الامير بندر في محاضرته في اكسفورد امس الجمعة عندما عدد الفرق التي يحشدها العراق على الحدود التركية والايرانية والسعودية وقال «ولكن لا يوجد جندي عراقي واحد

في اتجاه الحدود الاسرائيلية عبر الأردن .» وانما عارض المتحالفون العرب لعبة الربط لأنهم يدركون ان ابتزاز العالم باحتلال الكويت وتقطيع جزء منها كل يوم وارساله لمجلس الأمن يشجب دما في طلب الفدية المزعومة وهي قضية فلسطين ، أو بالأحرى مجرد وعد بمؤتمر دولي ينقذ ماء وجه صدام وان استمر اراقة الدم الفلسطيني وتغيير وجه فلسطين العربي .هذا الاسلوب يجعل العالم يكره القضية والمدافعين عنها ويحتقر العرب الذين لا يتورعون عن المتاجرة بالفلسطيني لإطالة احتلال وطن الكويتي ! واذا كان جورباتشوف نفسه صرخ .. ان هذا الربط هو سفه اذ لا يمكن ان تحتل دولة من اجل انقاذ دولة . وكلنا نعرف سيطرة اليهود على بوش ...ولكن انصار العراق في مجلس الأمن يهرعون لاستصدار قرار بعقد مؤتمر دولي ، ويهز مندوب اليمن رأسه امام عدسات التليفزيون وهو يقول : « يجب ان يتم تصويت ..» اين في التاريخ دولة أو امة تعرض على حصول تصويت ضدها ؟! إلا لأنهم يشتهون الفيتو الامريكي لكي يصرخوا به في اعلامهم ضد مصر والسعودية.. كأن العرب يكتشفون الان انحياز امريكا أو كأن امريكا انحازت بسبب موقف هذه الدول ! ولماذا لا تتخذ اليمن اجراء ضد الشركات النفطية الامريكية بل توقع ثلاث اتفاقيات جديدة معها ، خلال الأزمة ؟!

وكانت المملكة هي اول بلد يصدر بيانا يدين مذبحة المسجد الاقصى كما كان الاميران سعود وبندر العربيين الوحيدين اللذين طلبا واجتمعا فعلا بالرئيس بوش ولعبا دورا في تشكيل الموقف الامريكي الذي سمح بصدور قرار الادانة . وقد ابرزت الشرق الاوسط هذا التحول في الموقف الامريكي فكان عنوانها :« السعودية لمست تبدلا في موقف واشنطن ..» ونقلت عن الأمير سعود ان اجتماعه كان ايجابيا مع بوش..واوضح الامير سعود التصور السعودي وهو التعاون العربي الامريكي لحل ازمة الخليج ثم التوجه الى حل دولي لأزمة الشرق الاوسط ..وركز على النجاح في الحصول على قرار بالادانة المشتركة مع الامريكان واستنكر محاولة صدام الربط بين المشكلتين بهدف منع حلهما معا.» (١٠/١٠/٩٠)

ورفض جورباتشوف مطلب الربط اذ قال « ان اصرار العراق على حل شامل لمشاكل الشرق الاوسط لا يجد استجابة من احد نحن امام عدوان قد ارتكب ويجب ان يوقف وعندها فقط يمكن ان تواجه القضايا التي تحقق تسوية شرق اوسطية » (٢٨/١٢/٩٠)

حتى الشيوعي السابق والناصري حاليا الاستاذ احمد حمروش لما استكتبته جريدة «الشرق الاوسط» السعودية رفض الربط وقال : « لا جدوى من الربط بين ازمة الخليج وقضية فلسطين ٠٠ » ووصف هذه الدعوى بأنها رغبة في صرف الانظار عن العدوان العراقي على الكويت ٠٠ وتساءل الا يشكل الربط تعطيلا لحل القضيتين "[85] ٠٠

وقبل الغزو العراقي كانت السعودية ومصر تحتضنان الدعوة للمؤتمر الدولي لحل المشكلة الفلسطينية والمحادثات الامريكية الفلسطينية ـ التي قطعت بسبب عملية ابو العباس المقيم الآن في العراق ـ كانت تستهدف ذلك في نهاية المطاف ٠ وكانت الدبلوماسية العربية قد نجحت في زيادة التناقض الامريكي – الاسرائيلي حتى جاء الغزو العراقي الذي اعاد «شهر العسل للعلاقات الامريكية – الاسرائيلية كما صرح دافيد ليفي بعد عودته من اول زيارة له لواشنطن وقال ان هذا الغزو يتيح امكانية العودة للعلاقات الذهبية ايام ريجان.» (٤/١٠/٩٠)

وكتبنا :« في الأمم المتحدة يجري ابتذال قضية الشعب الفلسطيني بين مناورات اليمن والعراق التي تهدف كما قال الجنرال برنت سكوكروفت « ان صدام يلعب الورقة الفلسطينيه بهدف تمزيق العرب وان منظمة التحرير تؤيد صدام وذلك ضد مصلحتها ٠» فكما قلنا امس إن مندوب اليمن حريص على الفيتو الامريكي ليحرج السعودية ومصر ٠٠ اكثر من حرصه على صدور قرار لصالح فلسطين ٠٠ وصدام حسين يريد سقوط القرار فيخرج لسانه للعرب المتحالفين ٠

لم يكن هناك عربي يعارض الجلاء عن فلسطين وانما كانت المعارضة للربط كما يطرحه العراق كمناورة لتعطيل الجلاء عن الكويت ولما كتبت القدس :« تنوعت مبررات رفض الربط ولكن الرافضين لم يستطيعوا جميعا ان ينكروا ضرورة حل المشكلة الفلسطينية لكي يتحقق الأمن والاستقرار في المنطقة وكان بعضهم يؤكد انه مع حل مشكلة فلسطين وانما بعد حل مشكلة الكويت ٠ ولكن هناك من يقدم اعتراضه على نحو ذكي فهو يحرص على التأكيد بانه اذا تم حل مشكلة الكويت فان ذلك سيكون نموذجا يتبع مع فلسطين وفي هذا القول مغالطة ٠٠ »[86]

« انهم يعارضون الربط بين ازمة الخليج وقضية فلسطين ليس لأنهم حريصون على حل الاولى بل لأنهم مصممون على عدم حل الثانية ٠ عزاؤنا ان عرب الارض المحتلة لا ينتظرون قوات صديقة ولا شقيقة ولا متعددة الجنسية ٠٠ »[87]

وكتبت جريدة « الحياة » تدافع عن الربط العراقي : «من الصعب القول بأن الذين رفضوا الربط كانوا اكثر حكمة ، فأن يرفض الامريكي الربط بين القضايا يعني ان واشنطن قررت التجرد من كل تخطيط استراتيجي ومن كل معرفة تاريخية . . . المضحك المبكي ان بين العرب من يؤيد أو يرفض حاليا اي شئ شرط ان يشكل ذلك هزيمة للعراق .»[88]

وكتب رئيس تحريرها يقول : « الولايات المتحدة ترفض الربط بين الكويت والقضية الفلسطينية لأن الرئيس العراقي يصر عليها . . نحن كعرب نصر على تسوية القضية الفلسطينية نصر على الا يستخدم احد ازمة الخليج عذرا للتنصل من مسئولياته . . »[89]

كان ردنا : واذا كان سخفا القول بأن بعض العرب مصمم على عدم حل قضية فلسطين . . فقد كان جهلا انكار القول بأن حل قضية الكويت شكل نموذجا يمكن ان يتبع في قضية فلسطين . . فالحقيقة انه ليس الاحتلال العراقي للكويت هو ما اثار الضمير العالمي ونبه الى ضرورة حل قضية فلسطين ، بل موقف الأمم المتحدة والولايات المتحدة والمجتمع الدولي من استنكار هذا الاحتلال والهمة القعساء التي بذلت في مقاومته نجدة لشعب الكويت وتمسكا لرفض الاحتلال وحل المشاكل بالقوة . . الخ هذا الموقف كشف بشاعة الظلم الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني وبشاعة النفاق الذي تتعامل به الولايات المتحدة بل والمجتمع الدولي مع القضايا المماثلة . . وقد كان لنا ان نتوقع صحوة ضمير او خجل على المستوى العالمي اكبر بكثير مما تحقق لولاموقف منظمة التحرير ، وصواريخ صدام التي قلبت الآية ووضعت اسرائيل مرة اخرى موضع عطف وحنان العالم . . بل ان الهزيمة والتمزق الذي تسبب صدام في انزالهما بالعالم العربي قضيا على قدرة العرب على الاستفادة من الموقف العالمي . .وها نحن عند كتابة هذه السطور نلهث خلف بيكر لعله يتكرم بحل ، ويعامل الفلسطينيين معاملة الاكراد ويغفر لهم تهديداتهم بقتل الامريكان حتى يصعب على ذويهم زيارة مقابرهم !

« رغم التأكيد على عدم الربط فإن مصادر البيت الابيض تقول ان بوش طلب من روبرت جاتز نائب مدير مجلس الأمن القومي وهو احد مستشاريه في مجلس الحرب ان يبلغ الخبراء في الخارجية وكذلك مجلس الأمن وال « سي اي ايه » لوضع خطة جديدة لحل القضية الفلسطينية -الاسرائيلية . فرغم تأييد عرفات لصدام فالقليل من صناع القرار على استعداد لاستبعاد المنظمة .

ولوأن اسرائيل تطلب قيادة جديدة من الداخل . هناك اقتناع عام بأن بوش عليه ان يواجه مشكلة السلام بين اسرائيل والدول العربية . . وقد صرح « لي هاملتون » رئيس لجنة الشرق الاوسط في الكونغرس ويجب ان نعد للسلام بنفس الحزم الذي اعددنا به الحرب »[90]

وقال بيكر وقد حددنا موقفنا من فترة وهي ان مؤتمرا دوليا معدا باحكام وفي الوقت الملائم ربما يكون نافعا لذا نحن لا نوصي بعقد مؤتمر دولي عن المشكلة العربية الاسرائيلية الان ولا نحن نؤيد قرارا في مجلس الأمن يطلب عقد هذا المؤتمر »[91] وقال ماجور رئيس الوزراء البريطاني ان بريطانيا تفضل مؤتمرا دوليا «ولكن لا ارى ربطا بين مثل هذا اللقاء وازمة الخليج »[92]

ولكن الاندبندت غير متفائلة فتقول :«وطالما ظل الليكود في السلطة فلا امل في التنازل فمثل هذا المؤتمر لن يفضي الى انسحاب اسرائيل ولن يقود الى حق تقرير المصير للفلسطينين فالتنازلات ليست في برنامج الليكود . . والعالم العربي المتهاوي لن يكون في وضع الذي يمارس ضغطا »[93]

فالذي اوصل العالم العربي الى الهاوية والتهاوي ، هو المسئول عن الخسارة الفادحة التي لحقت بقضية فلسطين . وقد اعترف ابو عمار شخصيا ، ان الخاسر الاول في حرب الخليج هم الفلسطينيون . . ولابد أنه يعني خسارة قضيتهم . . ولابد ان موقفهم من حرب الخليج هو العامل الاكبر في وقوع هذه الخسارة . .

واخيرا ليست القضية هي استغلال صدام لقضية فلسطين بل الفضيحة هي في تأييد من أيدوه رغم علمهم انه كان لا يريد اكثر من قرشين كما قال المستشار الهضيبي . . أو عشرة بلايين دولار كما حددهم عادل حسين الذي انب العرب لأنهم رفضوا الحل العربي بعشرة ملايين وفضلوا الحل المستورد الذي كلفهم ثلاثة اضعاف . .

خلاف ضربة الميعات !

واخيرا فقد تساءل الأستاذ عادل حسين ببراءة لا تتفق ابدا مع المسئوليات التي يقوم بها ونتوقعها له ولا مع ذكائه الذي كنا اول من اكتشفه . . قال في تعداد الاسئلة التي بلا جواب: «لماذا تأخر اعلان العراق ربط قضية الانسحاب من الكويت بقضية الانسحاب من الاراضي الفلسطينية ؟ . . لقد اعلن العراق في ١٢ أغسطس بيانا يحمل كل ذلك وغيره، ولكن لو اعلن هذا البيان في الايام الاولى للأزمة لكانت النتيجة تختلف . . هل كان هذا التأخير مجرد خطأ في الاعداد

السياسي ؟» ٩٤

وكما يقول العامة « الغرض مرض » أو كما قال العرب : آفة الرأي الهوى . . فالجواب لا يخفى على مثلك! الجواب ان صدام حسين ما خطر بباله حين غزا الكويت انه يفعل ذلك من اجل فلسطين، بل كان يطمع ان يعطيه الامريكيون الكويت مقابل تنازله وخدماته في قضية فلسطين. . فلما فوجئ بالغضبة العالمية هرع يرفع قميص فلسطين من اجل تغطية فعلته والمزيد من المساومة.

وما دمنا في حديث فلسطين وخسارتها التي تحسب مباشرة في قائمة ارباح اسرائيل. . فدعونا نحكي بعض الشئ عن مفاجأة صدام الوحيدة خلال حرب الزولو . . ونعني صواريخه التي ضربت لأول مرة تل ابيب . .

صواريخ صدام ٠٠مسوّمة في امريكا !

في الحديث عن صواريخ صدام التي بلا شك كانت النقطة الوحيدة لصالحه عند الشارع العربي في تلك الحرب المأساة ٠٠ فإن أول سؤال يطرح نفسه هوما قاله الأمير فهد بن سلمان نائب حاكم المنطقة الشرقية عندما تساءل في مقابلة مع CNN « اذا كان صدام يملك هذه الصواريخ فلماذا لم يستخدمها ضد اسرائيل قبل احتلال الكويت ٠٠؟»

نعم ! لماذا لم يطلق هذه الصواريخ قبل احتلال الكويت والعرب ملتفون حوله والعالم محايد٠٠؟! لو هاجم صدام اسرائيل قبل غزو الكويت ،لوقف العرب عن بكرة ابيهم معه ولو طلب الكويت وقتها « لانطوه » اياها ومعها قطر ٠٠وربما استطاع وقتها ان يطرح فعلا الحل الشامل لقضايا الشرق الاوسط والوطن القومي الفلسطيني ولكانت خسائره اقل حتى لو ردت اسرائيل وقتها بضربة انتقامية ، فما كانت لتنال منه مثل ما فعلت ترسانة امريكا وبريطانيا وفرنسا٠٠ ولكنه لم يفعل ٠٠ بل لو كان صدام جادا لوجه ضربته هذه بعد نزول القوات الامريكية في المنطقة وتبين نية الحرب ٠٠ ولا شك ان فرصته وقتها كانت اكبر وطائراته معه وبالذات السوخوي التي تستطيع حمل الاسلحة غير التقليدية ، وصواريخه كاملة بمنصاتها الثابتة الاقدر على التصويب والمتحركة وبطيرانه ٠٠ لاشك ان الضربة وقتها كانت افضل منها بعد ان حطمت قدراته واصبح فوقه ألف طائرة وكل القوة العسكرية العالمية في صف اسرائيل واقعيا ان لم يكن رسميا٠ ،هذه الاسئلة تلقي ظلالا كثيفة من الشك حول نوايا صدام ومدى جدية عداوته لاسرائيل ورغبته في صدام حقيقي معها ٠ ،وهذه الشكوك عبر عنها اكثر من مصدر وقتها ٠

ولكني أثير هنا قضية اخرى ٠٠

اذ يخامرني شك قريب من اليقين ان الولايات المتحدة قد تمنيت عمدا ضرب قواعد الصواريخ سكود لكي يتمكن صدام حسين من اطلاقها في اتجاه اسرائيل والسعودية٠٠ والا فقد قيل من اليوم الاول ان اول هدف للضربة الجوية الساحقة الماحقة سيكون شبكة الصواريخ هذه لأن الولايات المتحدة تعرف ان صدام سيضرب بها اسرائيل لتمزيق التحالف بجر اسرائيل الى

الحرب. . على الاقل هذا ما كتبته مجلة نيوزويك «وان الهدف الاول في الضربة المنتظرة هي شبكة اتصالات صدام وصواريخه المتجهة لاسرائيل للاعتقاد بان اول رد للعراق على الضربة الامريكية هو توجيه ضربة لاسرائيل لكي يوسع الأزمة . والاولوية التالية هي ضرب صواريخ ارض ارض التي يمكنها ضرب السعودية. وان فرنسا ابلغت امريكا كيف تعطل صواريخها التي عند العراق. »[95]

وقد كشف الصحفي المتخصص في فضائح المؤسسة الامريكية انه «لم يدمر سوى ثمان من ثلاثين منصةلصواريخ سكود الثابتة . . بعض المنصات المتحركة اصيبت ايضا ولكن لا يوجد دليل على ذلك اذ لا توجد صورة واحدة لتدمير المنصات المتحركة»[96]

ولم يقدم حتى اليوم تفسيرمعقول لنجاة هذه الصواريخ وبقائها قادرة على الانطلاق الى اخر يوم في الحرب بعد ان دمرت كل قدرات العراق . . حتى اصبحت الحرب ـ كما قيل ـ مثل الحرب ضد ملك الزولو من طرف واحد ! وحتى يسأل قائد الفرقة الاولي الامريكية ، نائبه في الميدان : هل انتم «مشتبكون» مع الفرقة «مدينة» من الحرس الجمهوري فيأتي الرد بالراديو : خطأ يا سيدي . . نحن لسنا مشتبكين بل نحن «ندمر» الفرقة «مدينة»[97]

كيف يتأتي ان الضربة الاولي والى يوم ٢٠ يناير، كما «قالت المصادر البريطانية لم تدمر الاقل من خمسين صاروخا من سبعمائة يملكها صدام»[98]

وفي نفس الوقت ما هو سر الصفقة التي جعلت صدام لا يرسل طائراته في اتجاه اسرائيل و جعلت امريكا تغض الطرف عنها حتى تصل سالمة الى ايران . . ؟!

«قال وزير الدفاع الاسرائيلي ان كل الطائرات SU ٢٤ السخوي طارت الى ايران. . وهذا يبعد خطر احتمال ضرب اسرائيل بالاسلحة الكيماوية لأن الصواريخ لا تستطيع ان تحملها . »[99]

كان صدام على يقين من ان الطائرات لن ترجع ، ستأخذها ايران تحت اي مبررمثل تعويضات حربها أو باسم التضامن مع الشيعة الذين يبيدهم صدام . . فلماذا حرص صدام على تسليم الطائرات لإيران . . ؟ إلا إن كان الامر صفقة مع امريكا اساسا لضمان خروج الطيران العراقي نهائيا وسقوط أي احتمال لاستخدامه ضد اسرائيل . . ؟!

في اعتقادنا ان هذه الصواريخ السياسية تركت عن عمد لتحقق اهدافا في استراتيجية

بوش المتعددة الرءوس ..

و تعالوا نتأمل النتائج السياسية التي كسبتها الولايات المتحدة .. واسرائيل من حفنة الصواريخ .. هذه !

أولا :إذا أخذنا بالنظرية التي تقول ان الحرب لم تكن تهدف لازالة صدام بل تحجيمه عسكريا وفي نفس الوقت تحويله الى بطل من الطراز الناصري الذي تتمثل بطولته في الهزيمة وليس النصر.. من هذه الزاوية يمكن القول إن الصواريخ أدت دورها وزيادة.. فهو بموجب الصواريخ اول حاكم عربي يضرب تل ابيب .. اول حاكم عربي يجعل الاسرائيليين يعيشون في المخابئ ويلبسون اقنعة الغاز ويهلك بيوتهم ..وفي قلب تل ابيب..ولم تبخل الصحافة في تذكير وتبليغ العرب بذلك : «في تل ابيب كان اسبوعا يائسا لم يسبق له مثيل لسكان اسرائيل ..فلليوم الثالث كان سكان مدن اسرائيل الاساسية معرضين لهجوم قد يملأ بيوتهم بالغاز السام .. » [١٠٠]

« صواريخ العراق الثمانية التي دكت تل ابيب » [١٠١] «ضرب قلب اسرائيل لأول مرة في التاريخ » [١٠٢]

ولا شك ان امة اعتادت منذ انتهاء حرب ١٩٤٨ان تدور الحرب في ارضها كل مرة ، ومنذ ٤٨ لم تحلق طائرة عربية في سماء اسرائيل ولا ألقيت عليها طوبة من طائرة او صاروخ.. ولما اخترقت طائرات سورية حاجز الصوت في اسرائيل هللت الصحافة العربية اولكن ها هو زعيم عربي يطلق في كل يوم صاروخا أو اكثر ..في اتجاه اسرائيل.. لا شك انه أمر اثلج قلب العربي . حتى السعودي العادي في الساعات التي سبقت ضرب الرياض ، واسعد بصفة خاصة الفلسطينيين الذين تعاملهم اسرائيل معاملة الهنود الحمر وابقتهم في حظر تجول دائم لاكثر من شهر في داخل بلادهم ..

« صدام اصبح اكثر شعبية من اي وقت بين الفلسطينيين في الأرض المحتلة . العرب في الارض المحتلة انبهروا بقدرة صدام على الصمود ضد هجوم قاتل ورغم ذلك يستطيع ضرب اسرائيل.. ونقل عن فلسطيني قوله ..ان صدام يحارب ٢٨ دولة ولكن بعد يومين يضرب تل ابيب ب١١ صاروخا .. هذا هو النصر» [١٠٣] .

«الفلسطينيون في العراق وجهوا رسالة تحية لصدام عبر الراديو قالوا فيها ان الصواريخ التي

وجهت لاسرائيل قد اثبت ان العراق يفي بوعده للفلسطينيين ٠٠ان هذه الضربات تقول للانتفاضة ان الوعود الصادقة للعراق قد نفذت ٠٠ فصبرا ان ساعة النصر دقت وحانت ساعة التحرر» [١٠٤]

«السوريون هللوا للقصف العراقي لاسرائيل وتظاهرات عربية ضخمة في دول عربية عدة وتظاهر مابين الفين وثلاثة الاف شخص يؤيدون العراق في الجزائر ٠٠ورقص مقاتلون يحملون الرشاشات تحت الاعلام الفلسطينية ٠٠وقال رجل دين جزائري ٠٠لأول مرة يضرب صاروخ مسلم تل ابيب» [١٠٥]

« الجو المتقيض الذي ساد العالم العربي مع الضربة الاولى حل محله الابتهاج بأن صدام صدق وعده وضرب اسرائيل ٠٠ وتوقع الفلسطينيون ان تدمر عدوتهم اللدود ٠٠» «فرحة عامة في العالم العربي بالهجوم الصواريخي العراقي على اسرائيل» [١٠٦]

«الصواريخ العراقية اثارت الفرحة في معظم العالم العربي يوم الجمعة وبالذات في تونس ٠٠ التونسيون رقصوا في الشوارع ٠٠ المنظمة قالت :اسرائيل اشتركت في حرب الخليج ٠٠اقوى تأييد لصدام جاء من الجزائر ٠٠ الالاف من اللبنانيين والفلسطينيين ذهبوا الى الشوارع في مدينة صور للتعبير عن فرحهم ٠ وقال وليم كواندت «ان صدام يطمع ان يدخل التاريخ كالرجل الذي تحت وطأة الضربات الامريكية استطاع ان يضرب اسرائيل بالصواريخ» [١٠٧]:« صدام حسين دخل التاريخ فعلا كأول زعيم استطاع ان يضرب في قلب اسرائيل واذا استمرت الحرب فسيصبح بطلا وستبدو النظم العربية من حوله متهافته هشة وربما ادى ذلك لقلب هذه النظم وفي هذا الإطار فإن الغارة على السعودية تهدف لكشف الملك فهد الذي يسميه صدام بالخائن» [١٠٨]

«الكتاب والفنانون السوريون يدعون لتأييد العراق في بيان وزعوه امس يعارضون فيه خط الحكومة ٠ البيان وقعه ٤٣ من مشاهير الكتاب والادباء والفنانين ادانوا الولايات المتحدة وقالوا هذه الحرب المجرمة تضر لا سوريا فقط بل كل العالم العربي ٠٠ولذا يجب على العرب في كل مكان وبصرف النظر عن قدراتهم يجب ان يواجهوا اجرام امريكا ٠٠ قال المعلق : في الماضي كان محرما مجرد ذكر اسم صدام والان يناقشون افعاله واحيانا يعبرون عن تعاطفهم معه علنا وصواريخ العرق ضد اسرائيل زادت حدة المناقشة ٠» [١٠٩]

وتحت عنوان : «لماذا يحارب صدام حسين ؟!» كتب شارلس كراوتامر : «ليس لصدام ميول انتحارية ولا هو يهوى الاستشهاد بل ان موهبته هي دفع الآخرين للاستشهاد .. بل لأن صدام يعتقد انه سيكسب .. كيف ؟ لأن النصر في القاموس العربي يعني مجرد تحدي القوى الكبرى وتأملوا تاريخ العرب في الاربعين عاما الاخيرة فهم حاربوا خمس مرات ضد اسرائيل وخسروها جميعا ولكن في مرتين حولوا الهزيمة في المعركة الى نصر سياسي . في ١٩٥٦ خسر عبد الناصر سيناء وبورسعيد .ولكن الامريكان والروس تدخلوا واخرجوا بريطانيا وفرنسا وكانت النتيجة هي تحويل عبد الناصر الى بطل العرب لانه وقف في وجه اليهود ودولتين عظيمتين سيطرتا دهرا على الشرق الاوسط . صدام يتبع نفس الاستراتيجية..»[11]

ثانيا : إن كان الهدف تدمير العراق وازاحة صدام وفتح المنطقة لتسوية تصبح فيها اسرائيل الباب العالي فإن ضربة الصواريخ كانت ضرورية وحققت هذا الهدف بنجاح رائع.فلولا هذه الصواريخ لخرجت اسرائيل من حرب الخليج بلا حصة في الغنائم بل ولاعتبرت في نظر الكثيرين من جهة الاخرين التي يجب ان ينالها التأديب بصورة أو اخرى فهي معتدية بصفة دائمة ولم ينظر لها منذ يونيو ١٩٦٧ والى ضربة الصواريخ –كضحية أو دولة محبة للسلام خاضعة للقانون الدولي بل هي المشاغب المستهتر بالأمم المتحدة وقراراتها وهي التي سبقت صدام في احتلال واغتصاب ارض الغير ورفض قرارات الامم المتحدة. ان الحجة الوحيدة لصدام وانصاره كانت .. لماذا تسكتون على ما تفعله اسرائيل وتستنكرون صدام اذا فعل نفس الشئ .. وقد اشرنا في غير هذا الموضع الى الحالة التي كانت عليها العلاقات الامريكية / الاسرائيلية قبل الصواريخ وتصويت الولايات المتحدة لأول مرة على قرارات تدين اسرائيل . واهم من ذلك ان واشنطن كانت تتحاشى الظهور العلني الى جانب اسرائيل وطلب من السفير الاسرائيلي في واشنطن ان يتجنب الانظار..

و نشر المعلق الامريكي الكبير جيم هوجلاند مقالا عن التحول الذي حدث في العلاقات الامريكية السعودية وتأثير ذلك على علاقات اسرائيل مع واشنطن وكان عنوان المقال الذي نشر في الهيرالد تريبيون – والآن .. السفير السعودي هو الذي يبتسم ..»وقد ارجع ما يعتقده من برود في العلاقات الأمريكية – الاسرائيلية وبالمقابل نجاح الدبلوماسية السعودية إلى التطورات في المنطقة

منذ التحالف الامريكي الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ إلى التحالف الامريكي السعودي الحالي في ازمة الخليج .. وايضا للعنجهية الاسرائيلية وحنكة الامير بندر الذي وصفه بأنه ابن الاخ «المفضل» عند الملك فهد . والذي على حد قول كاتب المقال كسر العزلة السعودية فقبل وصوله الصاخب لواشنطن كان معارف السفراء السعوديين خارج دائرة اهل النفط والمال .. جد محدودين» وقال جيم هوجلاند «ان السفير السعودي الان في واشنطن هو الذي يلقى الترحيب في البنتاجون والبيت الأبيض . هذا الترحيب الذي كان يختص به السفير الاسرائيلي في السابق..

ونقل عن السفير الاسرائيلي قوله لقد « اصبحنا مثل العم العجوز الذي يغلقون عليه الباب لكي لا يراه الضيوف .. » وقدم الكاتب نموذجا لما يعتقد انه أحد اسباب التغير في العلاقات فقال ان الدبلوماسي الاسرائيلي كان في حفل تعارف بالواشنطن بوست في نفس اليوم الذي صوتت فيه الولايات المتحدة للمرة الثانية على ادانة اسرائيل في حادثة المسجد الاقصى* ولما سئل كيف ارتكبت حكومة شامير هذا الخطأ كان رده :ليس خطأ من الحكومة وانما لأن اليهود يحسون بسوء معاملة امريكا لهم فأرادوا ان يقولوا لكم .. نحن لا نتعامل على هذا النحو ..»

وانتقل الكاتب لمقارنة هذا الرد الغليظ بدبلوماسية الامير بندر فقال ان الامير حضر في اليوم التالي نفس الاجتماع مع محرري الوشنطن بوست « فكشف كيف انه بعد ما يقرب من عشر سنين من العمل في واشنطن قد استوعب حقا اسلوب التعامل مع العاصمة الامريكية . وذلك عندما سئل هل تتوقعون اذا ما نجح التحالف السعودي – الامريكي الحالي ان تحلوا محل اسرائيل كحليف امريكا في الشرق الاوسط . فرد بواقعية « .. لا اظن .. بل ربما نقترب من الحصول على علاقة مماثلة لعلاقة اسرائيل بامريكا ولكن هذا يعتمد على ما سنفعله في بلادنا من ناحية الاصلاحات .» وعلق الكاتب الامريكي « انها اجابة قصد بها التعبير في تواضعها وتركيزها على الواقعية وهذه هي الكفاءات التي مكنت اسرائيل في الماضي من السيطرة على واشنطن . ان السفير السعودي سيشكل علاقات بلاده على مثال العلاقات الامريكية–الاسرائيلية القديمة»!!!

وبالطبع لم يكن لا الامريكان ولا اليهود ولا حطب جهنم من العرب ، بالذين يقبلون حدوث ذلك وجاءتهم النجدة على جناح السكود ..

قبل الصواريخ ناقشت الصحف اهمية اسرائيل في الاستراتيجية الامريكية في العالم العربي

وقالوا ان حكاية الاعتماد على اسرائيل في حماية المصالح الامريكية في المنطقة قد سقطت ، ففي اول مواجهة امريكية اصبح ينظر لاسرائيل كعبء ، ويطلب منها البقاء بعيدا منعا للشبهات وحرصا على سمعة الولايات المتحدة ،وهكذا لو انتهت حرب الخليج بدون صواريخ صدام لما كان لاسرائيل حصة في الغنائم بل ولكان عليها ان تتوقع معاملة جديدة ،ومما يذكر انه عشية نشوب القتال طالب رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في نيويورك ، اسرائيل « بأن تتحادث مع الفلسطينيين الان ،اسرائيل لابد ان تعرف ان السياسة العالمية تغيرت ولن تكون دائما قادرة على الاعتماد على فيتو مضمون ضد اي قرارلا يحلو لها .» [١١٢]

ولكن هذه الصواريخ التي لا يعرف بالضبط حجم ما انزلته من خسارة مادية ولا يبدو انه فادح.. هذه الصواريخ فجرت الوضع العالمي لصالح اسرائيل، وجعلها تبدو مرة اخرى كما ادعت في مايو ١٩٦٧.. الوديعة المسالمة التي يصمم العرب على العدوان عليها وافنائها .. فهي لا تحارب وصدام يضربها في عقر دارها بالصواريخ التي سلحه بها الاتحاد السوفيتي ، وبعض الدول الاوربية الشريرة التي مازالت تخفي ميولا معادية للسامية تحركها دوافع الجشع .. الخ وسقطت كل معارضة للحرب وهرع زعماء اوربا يقدمون قروض الطاعة والتعويض لاسرائيل حتى اطلقنا نكتة وقتها تقول ان اسرائيل تطالب المانيا بدفع تعويض عن هدايا شارلمان لهارون الرشيد !

والاسرائيليون الذين صبروا على صواريخ صدام يعتقدون ان من حقهم الان البقاء في الارض المحتلة .» [١١٣]

وكان بوش عندما سئل لماذا تستنكر اطلاق عدد من الصواريخ على اسرائيل ، بينما تواصل ضرب العراق ليل نهار .. رد:«ان اسرائيل دولة بريئة غير متورطة في القتال ضد العراق . وان الصواريخ لم تستهدف اية نتيجة عسكرية ، واثنى على اسرائيل لضبط النفس » [١١٤]

و قلنا وقتها : واذا كانت صواريخ صدام في اتجاه اسرائيل قد فشلت في تجميع العرب حوله فقد نجحت في تجميع العالم حول امريكا .. « وقد سجلت الاحصائيات ان تأييد الشعب الامريكي للرئيس بوش «ارتفع الى اعلى مستوى حققه رئيس امريكي في الثلاثين سنة الاخيرة ٦٨٪ » [١١٥]

«الحكومة الاسرائيلية واعية ان هجوم العراق على شعبها حرك عطفا عالميا لاسرائيل على مستوى لم يعرف من عدة سنوات ..» [١١٦]

«ان محاولة العراق تحويل مجرى الحرب باطلاق الصواريخ ضد اسرائيل قد ارتدت في نحره بأن قربت بين امريكا واسرائيل بينما لم تثر احدا في التحالف . وقال الدبلوماسيون الامريكان والاوربيون ان ثمن ضبط اسرائيل للنفس سيذهب ابعد من مجرد تقديم الصواريخ باتريوت لاسرائيل والجنود الامريكان الذين سيديرونها . بل ربما تحقق الصواريخ مكاسب سياسية لاسرائيل مع حكومة بوش في التحرك السياسي بعد الحرب . وهكذا بدلا من اعطاء الغرب نصرا فادح الثمن فإن صدام قضى على اي امل في ان يتقدم احد لمساعدته .» [117]

« سلم السفير السوفيتي في القاهرة رسالة من غورباتشوف لمبارك امس وقال السفير : « نحن ضد توجيه الضربات لاسرائيل لأن ذلك يعني توسيع نطاق الحرب .» [118] ووجه الاتحاد السوفيتي نداء لاسرائيل يطالبها بالحلم والعفو وضبط النفس بل ودعا العرب والاسرائيليين للتعاون :« وجه الاتحاد السوفيتي نداء يوم الجمعة لاسرائيل والدول العربية في التحالف لافشال ،محاولة صدام حسين لاثارة حرب اسرائيلية / عربية جديدة ووصف الهجوم الصواريخي بأنه محاولة لاستفزازهجوم اسرائيلي مضاد »[119]

وهاجمت صحيفة « القدس » (١٩/١) الرئيس ميتران لأنه انتقد الهجوم الصاروخي على اسرائيل وذكرته بصداقته للعرب ، «وتناست ان ضربة الصواريخ وما فجرته من عطف على اسرائيل داخل فرنسا، اجاد اللوبي الصهيوني استخدامه ، هي التي جعلت ميتران يندفع في تأييد اسرائيل علنا ودون مبالاة بعربي . . اذ تحركت كل القوى تتسابق في الدفاع عن اسرائيل بل ان صحيفة الفيجارو تبكي لأن السلاح الجوي الفرنسي محروم من شرف تدمير الصواريخ اللعينة التي تضرب الاسرائيلي العزيز «بينما الطيارون الامريكان والانجليز يقتحمون سموات العراق يفتشون عن الصواريخ التي تضرب اسرائيل لتدميرها . . بأي حق تحرم الطيارين الفرنسيين من اداء هذه المهمة .»

يا حرام !!

واشتدت الحملة على ميتران ووزير دفاعه بعد ضربة الصواريخ لأنه يقدم رجلا ويؤخر الاخرى مما اضطره الى الظهور على شاشة التليفزيون حيث . . « رفض الاتهامات التي قالت ان القوات الفرنسية تحارب بالقطعة اي تمتنع عن ضرب العراق وتقصر نشاطها على ضرب الكويت ، حتى

فاليري جيسكار دستان الذي عرف حتى هذا الوقت بتأييد سياسة ميتران في الخليج ، ولكنه يوم السبت هاجم سياسة الحرب المحدودة التي يتجهها وزير الدفاع وقال انها تبيح ضرب الضحية وليس المعتدي . . وقد انكر ميتران وجود اية قيود جغرافية على القوات الفرنسية في الجبهة . واكد ان هذه القوات ستلعب دورا اكبرعندما يتحرك التحالف الى مرحلة الهجوم الارضي »[١٢٠] واطاح صاروخ بصديق العراق في الحكومة الفرنسية فقد اجبر ميتران بعد ضربة الصواريخ على طرد وزير دفاعه المتعاطف مع العراق والذي قال في خطاب استقالته «ان اهداف الحلفاء في الحرب تحمل مخاطر تجاوز اهداف الامم المتحدة »[١٢١]

وتتدلل اسرائيل ويهرع العالم الغربي يلقي على اقدامها بالقروض ودية الثلاثة الذين قتلوا والرابع الذي اصيب بصدمة نفسية خوفا على كلبه ! وتصرخ اسرائيل ميبوني عليه . . ويبوس بوش نيابة عن العالم راسها . . معلهش امسحيها في دقني انا حاكسره وانا سداد من مليون لألف . . وتطلب اسرائيل ١٣ بليون دولار وتقول اشاعات ان الكويت ستدفع المبلغ مقابل الا تشترك اسرائيل في الحرب . .

وقد اتفقت كل التعليقات على ان اسرائيل هي الرابح الاكبر من صواريخ صدام وحرب الخليج حتى لو ان شامير هو الذي يصدر القرارات في بغداد لما كان بوسعه ان يفعل لاسرائيل افضل من ذلك . .

وليس هذا رأينا وحدنا فقد كتب السياسي البريطاني دينيس هيلي يقول « ضربة صدام الصاروخية ضد اسرائيل تدعم موقف اسرائيل فشامير سيطلب من بوش مقابل الامتناع عن ضرب العراق ان يحد بوش من اهدافه الدبلوماسية بعد الحرب . و في الحقيقة ، إن كل ما فعله صدام منذ يوليو يمكن ان يكون خطة موضوعة لتدعيم موقف اسرائيل وليس اقلها هو دفع المنظمة والاردن لوضع معاد للغرب . . »[١٢٢]

« اسرائيل حصلت على مكاسب بارزة والنتائج مرضية جدا للرأي العام في اسرائيل فقد اعتمدت على حليفتها التاريخية التي نقلت التزامها بحماية اسرائيل كما استغلت حاجة امريكا لابقائها بعيدة عن الحرب لفرض توجهها على السياسة الامريكية ليس فقط في احتواء العراق بل تدميره فاسرائيل ضغطت لتحصل على التزام من الولايات المتحدة لتدمير ، ليس فقط الاسلحة

التقليدية العراقية ، بل البيولوجية والكيماوية والامكانيات الذرية. وهذا تعهد اعطته امريكا لاسرائيل وتدعي الان انها نفذته . والنتيجة رغم ان نهاية الحرب ما زالت بعيدة فإنه يبدو ان اسرائيل احتفظت باحتكارها لأسلحة التدمير الشامل في المنطقة.. و تحطيم جهاز الحرب العراقي سيزيل اخطر تحد عسكري لاسرائيل . كذلك فان حصول اسرائيل على الصاروخ باتريوت ألغى اهمية ترسانة الصواريخ السورية »

وهذه نقطة مهمة اذ انها جردت سوريا من ورقة هامة في المفاوضات أو المساومات المتوقعة بعد الحرب. وقالت نفس الصحيفة «اسرائيل تعرف ان ضربة الصواريخ قد كسبت لاسرائيل عطفا عالميا. وكما في ١٩٦٧ هناك تناقض بين القلق في الرأي العام والغبطة عند القيادة التي تعلم بالكسب الهائل الذي حققته اسرائيل ..» [١٢٣]

ولأول مرة اقر عالميا بل ومن جانب بعض الدول العربية حق اسرائيل في ضرب بلد عربي «دفاعا عن النفس» ..ولم يكن من المنتظر والرياض تضرب بنفس الصواريخ .. ان يقول مسئول سعودي أو عربي متحالف .. للعرب حق الرد دفاعا عن النفس ولكن اسرائيل .. لايحق لها !

ثالثا : وتحت ابتزاز الاعلام الغربي الذي ظل يعلك حكاية ان التحالف سيفرط اذا ما ردت اسرائيل على هذه الصواريخ ، مع انه لا السوابق ولا الظروف التي تمت فيها عملية الصواريخ كانت تسمح بهذا التصور .فسوريا لم تضرب اسرائيل وهي تغزو بيروت وتحطم صواريخها في البقاع.. ومصر لم تنفعل الى حد الحرب عندما ضرب المفاعل العراقي ولا عند غزو بيروت. وبالنسبة للسعودية ودول الخليج فهي لا تثق في وطنية صدام بل تعتبر ان الخطر الذي يمثله صدام هو الخطر العاجل أو كما نقلت النيويورك تايمز عن مصدر سعودي :« ان هناك اقتناعا في المملكة بأن صدام يحاول جر اسرائيل للمعركة لتمزيق التحالف ودعم احتلاله للكويت وليس لتحرير فلسطين ولا محاربة اسرائيل وكذلك محاولة خلق فجوة بين حكومات التحالف العربية وشعوبها.. ولن ينجح »[١٢٤]

وقبل ستة شهور كان العراق يقاتل الى جانب اسرائيل في لبنان ، و العراق لم يتحرك ولا مرة واحدة لضرب اسرائيل وهي تقتحم بيروت ولا في عدوانها اليومي على لبنان ولا وهي تدمر الصواريخ السورية . واهم من ذلك كله انه لم يغير موقعه ولا فكر في الرد على اسرائيل عندما

دمرت اسرائيل مفاعله هو الذري ، مؤكدا انها تحاول صرف انتباهه عن المعركة الاساسية مع ايران وانه لن يسمح لها بجره بعيدا عن معركته الكبرى . . الخ فعلى اي اساس يتخوف الاعلام الغربي من غضبة الكويت المحتلة والسعودية التي يضربها بصواريخه ؟

يخيل الينا ان الاعلام الامريكي كان يهدف بتضخيم حكاية النتائج المترتبة على الرد الاسرائيلي الى تضخيم الثمن الذي يجب ان يدفع لاسرائيل نظير امتناعها عن الرد وانقاذ التحالف! وكانت الدعاية الامريكو اسرائيلية قد روجت قبل الحرب « ان اسرائيل «رفضت الطلب الذي حمله اليها المبعوث الامريكي الخاص ايكلبرجر وكيل وزارة الخارجية الامريكية بعدم الاستجابة للاستفزاز العراقي تاركة مهمة الرد والردع للقوات الامريكية ، وذلك حرصا على اعدم احراج أو استفزاز الدول العربية في التحالف . ورفضت اسرائيل الرجاء الامريكي واصرت على الرد على اي هجوم يقع عليها .» [١٢٥]

كما يخيل لنا ان السياسة الامريكية واعلامها كانت لهما مصلحة في تشويه موقف دول التحالف وجعلها في مركز من يعطي الاذن لاسرائيل بضرب العراق بل وتحديد حجم الضربة، مع ان هذه قضية بين الامريكان واسرائيل والى اي مدى ستخدم مصالح اسرائيل بالرد أو بالتظاهر بضبط النفس . .

واجرت CNN مقابلة مع سمير الشهابي سفير السعودية في الامم المتحدة . . وسئل عن الصواريخ العراقية التي اطلقت على اسرائيل فقال : « ان النظام العراقي يحاول استغلال القضية الفلسطينية . . ولكنك لا تحرر فلسطين باحتلال الكويت . وضرب اسرائيل هي محاولة في هذا الاطار . هذا فعل ضد امريكا اكثر منه ضد اسرائيل »

وفي الحقيقة هو فعل مقصود به العرب والقضية الفلسطينية ، وقبل ذلك العراق ذاته وهو بالطبع لصالح امريكا . . لأن هذه الصواريخ جمعت انصار اسرائيل في امريكا خلف بوش .

وانتقد سفير المملكة العربية السعودية في باريس هجوم العراق بالصواريخ على اسرائيل قائلا ان هذا لن يجر بلاده الى حرب ضد الدولة اليهودية وقال السفير جميل الحجيلان للتليفزيون الفرنسي: لن تسمح المملكة لأحد ان يجرها الى حرب لا ترغب فيها .» وقد نشرت كل الصحف الارقام والمساعدات التي حصلت عليها اسرائيل ثمنا لصواريخ صدام من المعدات العسكرية من احدث

طراز ويلا مقابل وهي بالطبع اسلحة لا تعمل في اتجاه العراق وحده . وتعلن اسرائيل صراحة وبلا تحفظ ان البلايين الثلاثة عشر التي طالبت بها ستخصص منها عشرة بلايين لاسكان المهاجرين السوفيت في ارض العرب المسماة بفلسطين سابقا .. وبالاضافة الى ذلك حصلت على صواريخ باتريوت التي كما قيل الغت اية قيمة للصواريخ السورية أو اية صواريخ عربية..

«صواريخ باتريوت شحنت من امريكا ووصلت صباحا لاسرائيل ..»[126] «وستساعد القوات الامريكية في ادارة البطاريات بل يقوم الجنود الامريكيون بالعمل فعلا»[127]

رابعا : وهنا نقطة يحتمل ان تكون ضمن الارباح الاضافية في مخطط بوش وهو ارغام اسرائيل تحت ضرب الصواريخ بالتخلي عن ادعاء اسرائيلي عريق أنه لا يدافع عن اسرائيل الا الاسرائيليون ، فبسبب الصواريخ قبلت اسرائيل رسميا الحماية الامريكية. أو كما قالت CNN «لأول مرة يدافع الجيش الامريكي عن اسرائيل» .ومهما قيل عن الصداقة الامريكية الاسرائيلية فمن مصلحة امريكا وقد اعلنت وصايتها على العالم ، ان تقر المنطقة كلها بالحاجة للحماية الامريكية وربما يسهل ذلك التسوية المقبلة التي قد تعتمد الحماية الامريكية لاسرائيل مقابل تنازلها في موضوع الحدود الآمنة .. قال كوانذت :«ان قبول اسرائيل للدفاع الامريكي المباشر عنها قد يسهل الوصول لتسوية مع العرب على اساس الانسحاب من الارض المحتلة بعد ان يحل الضمان الامريكي مشكلة الامن الاسرائيلي .»[128] وأيضا لأن ضرب اسرائيل بالصواريخ يضعف حجة العمق الارضي في الدفاع عنها إذ ان احتلالها للضفة لم يوفر عليها الابضع ثوان ما بين الانذار وسقوط الصاروخ ، هذا اذا كانت ستحتل الضفة وتبقيها منطقة عازلة للابد.. بينما الواضح هو انها تعمل على استيطانها بالجنس السامي «الذي بدوره سيكون في متناول الصواريخ! وبالتالي يستطيع المفاوض الامريكي المطالبة بالاعتماد على العلاقات ونوع النظام الحاكم في البلد العربي في حماية أمن اسرائيل وليس احتلال كل الاراضي العربية .

خامسا : هذا عن الصواريخ التي ضربت اسرائيل ، فماذا عن الصواريخ التي وجهت للمملكة.. وكنا قد كتبنا فور ضربة الصواريخ نتساءل عن تركيز الاعلام الامريكي كل الاضواء على الصواريخ ، حتى انه لم يعط للعمليات فوق العراق الا المرتبة الثانية ؟! وفسرنا ذلك بأن الصواريخ العراقية على اسرائيل الهبت الحماس في امريكا للحرب وأثارت لأول مرة مظاهرات

مؤيدة لبوش . . ولكن لا نفهم لماذا يعيد التليفزيون الامريكي الى حد الملل التسجيل الذي وقع في أحد الملاجئ السعودية في فندق حياة ريجنسي حيث سمع صراخ » (يوميات ٢١ / ١ / ١٩٩١)

وقد عرف الان السبب . .

فهذه الصواريخ التي وجهت للمملكة قد خدمت عدة أهداف . . انهت أية الام اعترت الضمير العربي حول ضرب الاهداف المدنية في العراق بعد ان انهالت الصواريخ العراقية على المدنيين السعوديين . . وردت على أولئك الذين اثاروا بعض الاعتراضات – عن اخلاص – ضد قرار استدعاء القوات الامريكية للدفاع عن المملكة ، فقد سقطت كل حججهم مع اول صاروخ ، بل اصبح من حق معارضيهم ان يقولوا لهم ماذا لو استمعنا اليكم . . ماذا لو لم تكن حكومتنا حصيفة وامريكا حليفة فطلبت الاولى الصواريخ باتريوت وقدمتها الثانية !! . . ماذا كانت تفعل المملكة بدون الصاروخ باتريوت المضاد ، واسرائيل التي قامت شهرتها في المنطقة على قوة سلاحها الجوي الذي جعل سماءها لا تخترق ، مع ذلك اخترقها الصاروخ العراقي حتى اسرعت تطلب الباتريوت الامريكي يدافع عنها؟! فضلا عن الحقد الذي زرع الى امد غير محدود في قلب السعودي نحو العراقي بفضل صواريخ صدام التي لم تدمرها الولايات المتحدة . .

في ليلة ٢١ يناير سقط اول صاروخ سكود على الرياض ، وبعد ان فشل الصاروخ العاثر في الوصول الى السعودية تذكرت بغداد ان بينها وبين الرياض معاهدة عدم اعتداء فقررت الغاءها هي وسائر الاتفاقيات بين البلدين وخاصة اتفاقية الحدود .

سادسا : وهناك تعليق كتبناه في وقتها ولكن لم تتح الفرصة يومها للتوسع فيه ونعود إليه اليوم في جردة الحساب الختامي لصواريخ صدام ، ففي حديثنا عن اكبر عرض للسلاح بالذخيرة الحية قلنا . . « ولا شك ان سماسرة الباتريوت يتبادلون الانخاب وسعر الصاروخ يرتفع والطلب عليه يشتد مع كل سكود يصطاده . .بينما يواجه سمسرة التورنادو محنة حقيقية بعدما ثبت انها طائرة جديرة بأن يكتب عليها :« صنع في زامبيا » فهي طائرة تسقط نفسها ! ووصلت ال F15 عنان السماء والفضل للطيار السعودي إياد الشمراني الذي استطاع ان يسقط بها عصفورين بحجر واحد أو طائرتي ميج عراقيتين ولعل ذلك يخرس تقولات محرر الاندبندنت على الطيارين السعوديين . . » واليوم نضيف ان الشركة المنتجة لصواريخ باتريوت حصلت على

دعاية على تليفزيونات العالم كله لا تقدر بمئات الملايين والعالم يشاهد تجربة حية للصاروخ الامريكي يلتهم الصاروخ الروسي مما ادى الى اعتماد ميزانيات الصاروخ وارتفاع اسهم الشركة المنتجة له.. بعدما كان مهددا بالالغاء . والان وقد قلنا ان هذه الحرب تشتهيها الاحتكارات الامريكية .. أترانا نسرف في الخيال ان قلنا ان شركة باتريوت تمنت على قيادة الجيش ان تترك بعض صواريخ سكود لتجربتها في مواجهة صاروخها باتريوت.. ؟[129]

وقبل ان يتوقف دوي المدافع كان بازار السلاح قد فتح على مصراعيه في الشرق الاوسط :- البيت الابيض ابلغ الكونغرس في تقرير سري انه سيبيع الشرق الاوسط سلاحا بـ ١٨ بليون دولار.. والمانيا وافقت على ان تبيع لاسرائيل احدث غواصات يمكنها اطلاق طوربيد وصواريخ missiles cruise .

الاتحاد السوفيتي يبيع احدث طائراته مثل ميج ٢٩ لايران وسوريا ..الصين ستبيع صواريخ اكثر دقة من السكود الروسي[130]

لقد كانت صواريخ صدام حسين متعددة الرءوس .. كلها اصابت اهدافا لصالح الاستراتيجية الأمريكية، ما يجعلنا نعتقد انها كانت امريكية التوجيه .

• كلهم كومبارس .. الذي مع والذي ضد !

اليمن أيضا في اعتقادي لم تشذ عن الموقف المطلوب .. ومن يتأمل الاحداث يجد ان الدوائر الغربية لم تغضب منها بل بالعكس وقف الاعلام الامريكي والبريطاني وبالطبع بقية اعلام الغرب مع اليمن ضد المملكة، وبالذات في قضية اليمنيين الذين انهيت اقاماتهم وخدماتهم في المملكة.. وسنلاحظ ان المسئولين اليمنيين ركزوا هجماتهم على السعودية وليس الولايات المتحدة . وقد اكدت زيارة بيكر لليمن ان حبل الود لم ينصرم بين واشنطن وصنعاء كما جاء منح اليمن عقد امتياز نفطي لثلاث شركات امريكية في عنفوان أزمة الخليج ، يؤكد ان أم المعارك لم تفسد للنفط قضية..

ومحاورة صالح و بيكر(كما نقلها الاعلام الغربي) تضفي البطولة والثورية على العقيد فعندما قال علي صالح انه لا يؤيد وجود القوات الاجنبية في المنطقة رد بيكر واعدا بأنه «بمجرد ما تنتهي الأزمة فنحن نريد قواتنا ان تعود الى الوطن اننا لا نريد ولا نرغب في اي وجود دائم .»[1] ولكن علي صالح اصر : «اننا نعتقد انه يمكن ايجاد حل دبلوماسي ولكن هذه القوات الاجنبية تعقد القضية بدلا من حلها»[2] وكان الايراني وزير خارجيته قد قال «ان العرب وحدهم قادرون على حل الأزمة وان القوات الاجنبية جعلت من صدام حسين بطلا قوميا»[3]

طب وزعلان ليه ألا تحب لأخيك ما تحب لنفسك ؟!

والطبقة الحاكمة في اليمن وهي زيدية لا تحب السعودية .. سواء بحكم المذهبية والخوف من تطلع سنة اليمن للمملكة أو الحساسية الطبيعية بين جارين احدهما يشكو كثافة سكانية عالية وانخفاضا في الدخل وادعاء بالعراقة والتمدين ومطالب في الارض.. والآخر يعاني انخفاضا في نسبة السكان وارتفاعا حادا في الدخل ويضم الاراضي التي يدعيها الجار الاخر الذي يتهمه بالبداوة وحداثة الثراء .. وقد اكتشف السعوديون ، وان يكن متأخرا جدا، ان الكتب المدرسية اليمنية التي تطبع على نفقة السعودية تتحدث عن يمنية بعض المقاطعات السعودية .. كذلك فإن شيوخ

الزيدية وقادتها ، يخشون المذهب الوهابي ولا يقبلونه . . وقد اشتكوا من نشاط بعض المتحمسين السعوديين الذين راحوا يدرسون لليمنيين فقه ابن حنبل وكتب ابن تيميه . . مع ان الزيدية هم كما قيل شيعة السنة أو سنة الشيعة إلا انهم لم ينظروا بعين الرضا لتوسع الاجهزة السعودية في الجهاز التعليمي اليمني . . ولا في الاعتماد اليمني على الدعم المالي السعودي ، خاصة بعدما تمت الوحدة وظهر النفط واصبح العقيد يتطلع لدور دولة كبرى ، أو على الأقل ، الدولة الكبرى في الجزيرة، واثبات خروجه من الوصاية السعودية . . يضاف الى ذلك عنصر اليمنيين الجنوبيين وهؤلاء مازالوا بفعل القصور الذاتي يجترون بقايا الحرب الباردة ويعتبرون ان من مقومات الشرف الوقوف في موقع مضاد للولايات المتحدة الامبريالية والسعودية « الرجعية » عمال على بطال . . ولعل الأمير سلطان قد كشف عن عامل آخر في موقف على عبد الله صالح وهو عقدة : اتق شر من احسنت اليه أو الرغبة في اثبات الاهلية والاستقلالية من جانب العقيد المعروف انه وصل للحكم بمساعدة السعوديين أو كما قال الأمير سلطان :« اذا شعرنا بالمرارة لموقف عبدالله صالح فلأن المملكة قد اسهمت في ايصال على عبد الله صالح الى سدة الرئاسة على الرغم من معارضة الاصدقاء اليمنيين وقد كان دافعنا لذلك هو حرصنا على تجنيب اليمن اخطار الوقوع في دوامة صراعات داخلية دامية . »[4]

على هذه العوامل نسج كاتب السيناريو بحيث تكون اليمن في المعسكر العراقي شوكة في ظهر السعودية تدفعها في الاتجاه المطلوب ، وعنصرا من عناصر التمزيق النهائي والقضاء على خرافة الأمة الواحدة . . وان كانت مصادفة كون اليمن عضوا في مجلس الأمن اخلت بعض الشئ بتتابع الاحداث إلا انها ايضا اضفت بعض المصداقية والكثير من التشويق على السيناريو . .

في « النيويورك تايمز» راح العقيد عبد الله صالح يشرح موقفه ويبرر عداوته للمملكة فهو ضد الغزو العراقي ولكنه «لم يدينه لأنه كان يأمل في ان يلعب دور الوسيط» ! كما لخص العقيد عبدالله صالح ، الذي جاء للحكم بانقلاب عسكري ويحكم بقوة الجيش ، لخص خلافه مع المملكة في قضية الديمقراطية : فالمملكة «ترتعد رعبا من نظامه الديمقراطي الذي يسمح بوجود ٣١ حزبا و٢٥ جريدة . . » كذلك «تتخوف المملكة من الوحدة اليمنية والأمير سعود الفيصل سافر لليمن الجنوبية قبل الوحدة ليرشو المسئولين هناك ليمتنعوا عنها وهذا ما جعل العقيد يتعجلها وقال انه مستعد

لبحث خلافات الحدود مع المملكة (ا) وانتقد السعودية لاستدعائها القوات بزعامة امريكا ، كما اتهمها بمحاولة زعزعة اليمن بتهجير نصف مليون يمني . وقال ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والعديد من الدول العربية حاولت عبثا ان تقنع السعودية بوقف اجراءاتها ضد مليوني يمني يقيمون في السعودية (وقد علقت الصحيفة الامريكية هنا بقولها واكد المسئولون الامريكيون كلام المستر صالح !!)

واكد المستر صالح ان علاقته مع الامريكان طيبة .وقالت الصحيفة « حديث صالح عن السعودية كان يتميز بالمرارة ووصفها بالبلد غير الديموقراطي وانها عملت لسنوات لزعزعة استقرار بلده .. » (ربما كان اسوأ ما فعله السعودية انها اوصلته للسلطة ودعمت بذلك التيار العسكري في مواجهة التيار الديموقراطي الذي كان يحاول جاهدا تخليص اليمن من حكم العسكر . .ولعلها تكون عبرة يستفاد منها في المستقبل .ج) وقال انه ليس مع العراق ولا يقر الغزو ولكنه ايضا لا يقر وجود قوات اجنبية في المنطقة. وقال العقيد صالح «انه قبل أزمة الخليج كانت السعودية تمول قبائل الشمال للعمل ضد الحكومة اليمنية . وقال ان السعودية وتمول المنشقين كلما اختلفنا معهم وهذا اسلوب قديم تعودنا عليه .» وزعم ان الملك فهد قال له ان الكويت اخطأت في سياستها نحو العراق وان علاقاته طيبة مع صدام وان هناك مخرجا .. ولكنه فوجئ بقرار الجامعة العربية ووصول القوات.» (٢٧ / ١٠)

«جورج حبش زار صنعاء وابدى رضاه على موقف التحدي من عبدالله صالح » *

وفي تحقيق للاندبندنت من اليمن نقلت فيه عن الايرياني ان السعودية رفضت الاستجابة لطلب امريكي بوقف الاجراءات ضد اليمنيين في المملكة السعودية لتجنب ازمات جديدة في المنطقة. وقال ولكن على الاقل عرفنا ان امريكا توسطت .(امريكا حلوه غيرتي السعوديين يسلطوها ج ا) توقع ان يطرد اليمنيون الباقون لأن سياسة السعودية هي ابقاء اقل عدد ممكن من اليمنيين . وقالت الصحيفة ان نفوذ اليمن بعد الاتحاد غلب نفوذ النفط السعودي في الجزيرة . وقال الايرياني انه ليس من المعقول مطالبة العراق بالانسحاب غير المشروط وان هذا المطلب يسد الطريق على الحل العربي. وقال طالما لا يقدمون للعراق الا الانسحاب غير المشروط فلا يمكن التفكير في انسحاب عراقي . » [1] (دم العراق في عنقك . هذا القول حرضه حتى ذبحوا العراق

وانسحب ليس فقط بلا شرط بل بشروط قاسية ولكن ضده هذه المرة

ومن الغريب ولا غرابة استمرت الصحافة الغربية تؤيد اليمن ضد السعودية وتخترع الأسباب للموقف اليمني إلا أزمة الخليج وموقف حكومة صنعاء ! ايان جلوفر جيمس المراسل الدبلوماسي في الصنداي تايمس واشترك معه جون سواين من الظهران، «أربعون ألف يمني يعبرون الحدود خارجين من السعودية كل يوم، .. وقالا ان مابين مليون ومليوني يمني يعيشون في السعودية وان هناك ما يشير الى اضطهاد سعودي، بعض اليمنيين قالوا ان العسكر السعودي اوقفوا السيارات والقوا باللبن الذي تحمله العائلات لاطفالها .. واضاف المقال: «منذ الاتحاد اليمني الذي اقام دولة قوية تضم ١٧ مليون نسمة تجددت مخاوف السعوديين من جارهم الجنوبي»[٧]

وبالطبع لم يتذكر احد ان الاتحاد اليمني قام قبل أزمة الخليج ولم تتخذ السعودية اي اجراء ازاء اليمنيين، بل ان المملكة كان لديها اسبابها للترحيب بالاتحاد الذي خلصها من الحكم اليساري في جنوب اليمن، وهو الحكم الوحيد الذي دخلت معه في اشتباك مسلح قبل الغزو العراقي .. وان الامر لا يعدو ما قاله الأمير بندر : «بالنسبة لليمن كان من الطبيعي وقد اتخذت موقفا مؤيدا لصدام ان يعامل اليمنيون في السعودية معاملة السوريين والمصريين» (١٠/٢٧)

بديهي أنه لم يكن ممكنا ان يأتي المصري أو السوري بكفيل ومدة اقامة محددة ليقاتل دفاعا عن السعودية بينما اليمني الذي يتظاهر في صنعاء بل وفي المملكة تأييدا لصدام يعفى من هذه الشروط .. ! ولكن حتى الجنود البريطانيين في الجبهة يصدرون نشرة فكاهية تتحدث عن قواعد المرور في المملكة فتقول: «اذا صدمت سعوديا بسيارتك فأنت المخطئ واذا صدمت كوريا فهو المخطئ اما اذا صدمت يمنيا فلك مكافأة من ادارة المرور»[٨]

ومع ذلك فإن بعض الحقائق تسربت في غمرة الانحياز الاعلامي الغربي .. ففي مقال منحاز لوجهة النظر اليمنية في خلافها مع المملكة .. جاء فيه .. ان اليمنيين طردوا بسبب موقفهم من الغزو العراقي . وقال ان اليمن ادانت الغزو العراقي ولكنها عندما انتقدت الرياض لاحضارها القوات الأمريكية عاقبتها السعودية فورا ..» وقال «٦٥٠ الف يمني غادروا الحدود وكان طردهم احيانا يتسم بالقسوة .. وطرد حتى المرضى، ان بعضهم طردوا دون ان يتمكنوا من بيع ممتلكاتهم، وسمحوا للبعض بنقل متاعهم ومنعوا البعض» وقال «الاجراءات السعودية فاجأت

عبدالله صالح وان معظم العائدين لا يشكون من سوء معاملة بل من الخسارة المالية . وقال ان تقرير لجنة العفو يتحدث عن تعذيب . ولكن جميع العائدين الذين استجوبهم لم يردد أحد منهم هذه الاتهامات . وقال وربما اعتقل الذين عذبوا بعد المظاهرات المؤيدة للعراق في اغسطس » ولم يقل اين جرت هذه المظاهرات ولا من اعتقل من ؟! وقال انه كان يجري تحويل ثلاثة بلايين دولار سنويا من السعودية لليمن . وان الفقراء هم الذين رحلوا بينما الميسرين دبروا الكفيل . وقال بالنسبة للسعوديين كان ما جرى خطأ في الحساب فقد فشلوا في كسب اليمنيين للسياسة السعودية بل لقد خلقوا عداء شديدا في جبال وشوارع اليمن ضد الملك فهد لقد ضمنت المملكة عداء يمنيا طويل المدى على حدودها الجنوبية مما يدعم الخطر العراقي في الشمال . . » ٩

واعتقد ان هذا هو المطلوب من قبل واضع سيناريو الموقف الثوري اليمني فهو من ناحية يضيق الخناق على سياسة المملكة المستقلة ، ومن ناحية يضيق الخناق الاقتصادي على اليمن ،ليسهل على امريكا املاء سياستها بعد ان رفعت روسيا يدها . . والغريب انك لا تقرأ مثل هذا الحديث عن المصريين المطرودين من العراق والذين لم يسمح لهم بالخروج الا بما حملت ايديهم بينما كانت الصحافة الغربية تصور سيارات نقل مهولة يرتفع فوقها متاع كرعوس البخت ويقف بجانبها اليمني ، وتذرف الصحافة الغربية الدمع على معاملة السعودية لليمنيين ١٠٠ و لم تحرك لجنة العفو لبحث حالة المصريين الذين كانوا يصلون القاهرة في صناديق ولكنها هرولت لبحث شكوى العقيد التي انكرها اليمنيون كما شهدت صحيفة الاندبندنت ، وما ذلك الا لزرع عداوة بين الشعب اليمني والشعب السعودي حتى لو تصالح الحكام وهو ما نتوقعه .

ومن صنعاء ادلى عبدالله صالح بحديث للواشنطن بوست دعا فيه بوش لإرسال مبعوث خاص لمحاورة صدام وكرر القول بأن التدخل الامريكي هو الذي خلق التأييد العربي لصدام وقال المراسل ان صالح تجنب نقد السعودية تنفيذا لاتفاق تهدئة مع الملك فهد (ولذلك تولى المراسل الامريكي مهمة مهاجمة المملكة . . ج) فنقل عن مسئولين يمنيين ان السعودية طردت اليمنيين لأن صنعاء ترفض التنازل عن ارض ثبت ان فيها اكثر من بليون برميل بترول . وان السعودية تخشى اليمن الموحدة التي لها جيش من ستين الف عسكري وان المملكة تمول زعماء القبائل في الشمال وتحاول رشوة الشيوعيين في الجنوب لتحطيم الاتحاد . ولكن خوف السعودية ينبع من ديموقراطية اليمن

التي يخشى آل سعود ان يطالبهم السعوديون بمحاكاتها .. وتطوع الصحفي وليم دروزدياك فوضع لليمن حيثيات غزو السعودية .فقال ان المملكة تتخذ نفس موقع الكويت الذي اثار الغزو العراقي .وهو الاستعلاء على اليمنيين كما كانت الكويت تعامل العراقيين وكذا النزاع على حقل نفط مشترك يستأثر به الجار الغني ، واليمن لها مطالب في ثلاثة اقاليم جنوب غرب السعودية ثم الاكتشافات النفطية في الجنوب الشرقي ..» [10]

وهكذا يضع الامريكان سيناريو اعلان اليمن ضم المحافظة ١٩ وربما يسمونها «القاتية» نسبة للقات الذي اعطوه للمراسل بكثرة .

«اتهم مسئول يمني السلطات السعودية بالتفرقة بين شمال اليمن وجنوبه فقيما تسمح تلك السلطات للجنوبيين حاملي تأشيرة الدخول بالعودة الى السعودية ترفض السماح للشماليين بالعودة حتى لو كانت معهم تأشيرة دخول ، ورأى المسئول ان هذا التصرف هو لزعزعة الوحدة ..» [11]

خوش وحدة التي تفك بتأشيرة دخول للسعودية ! وهذا على الاقل يثبت ان القرار السعودي ليس موجها للجنس اليمني ولا خوفا من اليمنيين لأن شيوعي الجنوب يخيفون اكثر..

وكلنا نعرف ان الوحدة اليمنية هي من هوامش التصفية الشاملة للامبراطورية السوفيتية عبر البحار ولأن روسيا قررت ألا تعول الثوار في اليمن الجنوبية ، فقد اعطت التزامها لأمريكا وهذه جيرتها لليمن الشمالية . ولولا مجاملة امريكا لروسيا والاتفاق على الا تقع انهيارات فاضحة لا في اليمن الجنوبية ولا في افغانستان .. لتمزقت جمهورية اليمن الثورية .. ولكن بعض اليمنيين يريدون ان يجعلوا هذه الوحدة محور الكون بل والسبب في حرب الخليج !.. الدكتور انور عبدالله كاتب يمني مقيم في باريس نشر مقالا تحليليا طويلا جدا عن بحث امريكا عن مبرر لانزال قواتها في الخليج وبعد ان اسهب في شرح العوامل التي حتمت هذا الانزال والبحث عن مبرر له وهي فشل « العقل المفكر والمدمر للامبريالية الامريكية في الاعتماد على الايديولوجية الدينية بعد تشويهها بأموال النفط . كانت السعودية البلد المهيأ اساسا للاضطلاع بتطبيق مبدأ الله والبترول ولم يقتصر الامر على فشل امريكا في استخدام الدين السعودي بل فوجئت.. » باحياء فكرة

الوحدة العربية على أسس سليمة التي تقف منها المملكة وامارات الخليج موقفا معارضا بل معاد٠» اما قاصمة الظهر التي جعلت القدوم الامريكي امرا محتوما والا انهار الغرب فكان بالطبع « دولة الوحدة اليمنية التي تضم ١١ مليون نسمة(حتى التعداد غير متفق عليه !) في بلد له موقع استراتيجي يتحكم بممر البترول الثاني باب المندب وله احتياط واسع من الاراضي المزروعة وعمق صحراوي كبير ، مما يعطيها قدرة التصدي لسياسة السعودية المذلة تجاه اليمن ٠» وليت الامر اقتصر على هذه الاهوال٠٠بل وقع «بداية التقارب الليبي العراقي بعد الحرب وبحث ليبيا الدائم عن حليف قوي تنسق معه المواقف المشتركة لعدائها لامريكا والسعودية والخليج بفعل هذه التطورات ولعجز الاستراتيجية السابقة استراتيجية الله والبترول عن استيعاب تلك التطورات بما يضمن المصالح الامريكية « بدأ العمل لخلق مبررات للتدخل العسكري وهو ما يشكل بالنسبة لنا المدخل العام لفهم سر المخطط الامريكي في الخليج والجزيرة العربية ٠» [١٢]

وعلقنا يومها : أما حكاية وحدة اليمنين التي يتغنى بها اليمنيون فكلنا نعرف انها لم تفاجئ امريكا بل اتفق عليها الامريكان والروس في اطار تصفية مراكز الحرب الباردة وامر الروس نظامهم العميل في عدن بالموت في احضان نظام الشمال بدلا من القتل على طريقة شاوشيسكو فانصاع٠فلا تصدعوا رؤوسنا بحديث قلب الموازين ومفاجأة امريكا بوحدة المفلسين ٠ ٠التي باعتراف الرئيس اليمني :« تحققت الوحدة اليمنية ولكن المهم هو الديمومة والحفاظ عليها من المشككين والمغرضين والحاقدين والموتورين والطائفيين والانفصاليين والمتقمعين في كل مكان ولا ننسى الانتهازية ٠» [١٣]

كان الله في عون وحدة يتربص بها كل هؤلاء ٠٠ واخطر منهم نوعية المدافعين عنها !

•• عُمان تقاتل العراق وتؤيده بالبيانات !

اذا كانت قطر قد سمحت لبعض المنشقين باعطاء الموقف القطري بعض التميز، فإن عمان حرصت على الاعلان على المستوى الرسمي ما يثبت استقلاليتها عن دول الخليج ٠٠رغم انها صوتت على جميع قرارات الجامعة ومجلس التعاون ، واستقبلت بعد الحرب قواتها التي ساهمت في طرد العراق من الكويت ورأينا طارق بن تيمور يحمل سيفه ويمنح الأوسمة للذين ابلوا تحت قيادة الجنرال نورمان ! ولكن السلطنة كانت حريصة لاثبات استقلاليتها عن « الاستعمار» وهي التي تضم اضخم قواعد امريكية وبريطانية والتي يدير سياستها الانجليز والامريكان بالكامل ! (انظر مقال : مستشار السلطان عواجه وحرامي / التوحيد٤) عمان التي استثنت الشئون الخارجية من اهتمامات مجلس الشورى ، تماما كما كان الحال في معاهدات الحماية التي تنازل فيها السلاطين عن السياسة الخارجية لضباط الدولة البهية البريطانية حتى يبيد التراب ويشيب الغراب[١٤] ٠٠ وربما لتغطية هذه العلاقة مع الاستعمار والمرفوضة من الجماهير والمثقفين الشرفاء في السلطنة ٠وايضا موازنة لموقف اليمن ، التي كانت لفترة طويلة قاعدة النشاط المعارض للسلطنة ٠ لهذه الاسباب وربما لغيرها ستكشفه الأيام ، تظاهرت السلطنة بأن لها موقفا متميزا يميل بعض الميل للعراق ٠٠ مما يرشحها للعب دور الوساطة !كما عاكس وفدها في مؤتمر القمة الخليجي٠ واستقبلت السلطنة الشاذلي بن جديد وحدها من دون سائر دول الخليج٠ وتعددت التصريحات المعتدلة لمسئوليها واشادت بمواقفها صحف العراق٠ وكله بالطبع تهجيص في تهجيص ومعابرة للتعبير السوقي ٠٠إلا ان هذا الموقف التقدمي السلطاني يضفي بعض التشويق على المسرحية التي كان يخرجها الرئيس بوش٠٠ ويعطيها نكهة حريفة ٠٠

وهذه بعض مواقف السلطنة الاستقلالية للتاريخ والتفكه (ولاحظ انها لم تر أية ردة فعل عند الطرف الآخر كأنما كان الأمر على بينة منهم ! :

والعلوي يحمل رسالة من قابوس ٠٠ مسقط تدعو بكر وعزيز للنظر في مجمل قضايا المنطقة٠٠ اوفدت سلطنة عمان مبعوثا رفيعا لاجراء محادثات مع الرئيس اليمني عبدالله صالح

وقالت وكالة الانباء العمانية ان وزير الدولة للشئون الخارجية يحمل رسالة من السلطان قابوس الى الرئيس صالح »[15]

اجرت جريدة الحياة حديثا مع وزير خارجية عمان تحدث فيه وكأنه وزير خارجية فرنسا وهذه هي العناوين : «وزير خارجية عمان : نأمل من الحوار الامريكي العراقي ان يشجع على تمديد مدة الانذار . . حل كل المشاكل قبل ١٥ يناير امر مستبعد . نحن نأمل ان يظهر في الحوار ما يشجع على الاستمرار وامكان تمديد مجلس الامن المهلة التي اعطيت للعراق لتنفيذ القرارات . وقال ليس ما يمنع الولايات المتحدة من العمل على حل قضايا الشرق الاوسط وطمأنة العراق بشكل عملي الى ان قضية الشعب الفلسطيني ستلقى الاهتمام الكامل للعمل في سبيل حلها .

وقد حرص محرر الحياة على سؤاله : هل السلطنة تقبل مبدأ الربط بين الأزمة وقضايا المنطقة الاخرى؟ واجاب وزير السلطنة :« القضايا الشرق اوسطية المطروحة على المجتمع الدولي للحل منذ فترة طويلة وليس هناك من يرفض حل قضايا الشرق الاوسط وفي مقدمتها القضية الفلسطينية حلا نهائيا ودائما وعلى الأسس نفسها التي عبر عنها مجلس الامن الدولي . »[16]

قالت « الحياة » «ان مطالبة قابوس بالحل السلمي جاء ترجمة للسياسة العمانية التي رفضت الاحتلال العراقي للكويت لكنها في الوقت نفسه دعت الى التعقل في معالجةالأزمة وهذا ما يمكن ملاحظته بوضوح من خلال تعامل الأجهزة الاعلامية العمانية مع اخبار الأزمة . »[17]

الكلام لعمان واسمعي ياجارة .. أو وتعقلي يا جارة !

كما تعاطف الاعلام الغربي مع السلطنة ورجح نظامها على النظام السعودي وابرز مواقفها . . وقد كتبنا وقتها نقول :

« سجل مقال بقلم كاريل مورفي في الواشنطن بوست . . فوز مجلس السلطان قابوس على المجلس المنتظر في المملكة بالنقط . فقد حدد موعد قيام المجلس العماني في نوفمبر القادم في العيد الوطني كما اعلن السلطان قابوس انه لن يضم موظفين حكوميين وكان المجلس السابق يضم ١٩ موظفا من بين ٥٥ عضوا واهم من ذلك ان السلطات في عمان سربت للصحف ان المجلس سيكون بالانتخاب فقال الكاتب ان مصادر من عمان قالت له انه يمكن ان يشكل المجلس بالانتخاب . اما « الحياة » فقالت « ان مصدرا عمانيا اكد لها ان المجلس سيكون بالانتخاب »

ونفس الشيخ اكدته « القدس » . وقال الكاتب الامريكي ان اعلان مجلس قابوس بعد عشرة ايام من اعلان الملك فهد هو دليل اخر على تزايد الاحساس بمطلب الطبقة الوسطى في دور سياسي ».

وابرزت لوس انجلوس تايمس موقف السلطنة في تعليقها على بيان القمة الخليجية بقولها: « ان البيان حيا الجهود الاخوية والصديقة لمحاولة الوصول الى تسوية سلمية للأزمة ولكنه فشل في اقرار عرض من عمان بإرسال بعثة الى بغداد في محاولة للتعرف على ماالذي يمكن ان يقبله الزعيم العراقي لسحب قواته من الكويت . وقالت ان الاجتماع اوشك ان يفشل عندما هدد السلطان قابوس بوقف اي دعم للهجوم العسكري ضد العراق اذا لم تجرب الحلول السلمية مرة اخرى . كما قالت مصادر المؤتمرات القادة الآخرين اصروا على المجابهة واصدر الملك فهد واحدا من اقوى بياناته منذ بداية الأزمة معلنا انه لا تزال هناك امكانية سلام ولكن الخليج مستعدايضا للحرب»[18]

وقالت النيويورك تايمز :« ان الاجتماع بين بوش وجورباتشوف تم تحت حراسة اقل شدة من اجتماع قمة الخليج . والصحفيون كانوا سجناء في فندق على الجانب الآخر من المدينة . ورغم ان المجلس حاول اتخاذ موقف موحد امام العالم فإن الخلافات الطويلة اطلت برأسها . . عمان مثلا ألحت من اجل حل بالمفاوضات للأزمة العراقية الكويتية وهي الدولة الوحيدة التي استقبلت مسئولا عراقيا كبيرا . ولذا فقد حيت جهود بن جديد من اجل ايجاد حل عربي يضمن الانسحاب العراقي من غير حرب ولكن السعودية في بيان من الملك فهد اخذت موقفا اكثر تصلبا . مؤكدا أنه لا مساومة مع بغداد على الاقل حول الارض الكويتية»[19]

وابرزت صحيفة العرب انباء الخلاف العماني ، واثنت على السلطان وانتقدت الخليجيين: وكانت انظار الشعب العربي تتجه للدوحة وتنتظر تشكيل وفد للحوار مع العراق وقد حاول السلطان قابوس والشيخ زايد اقناع المجتمعين بذلك الا ان العنجهية الكويتية تصرفت كعادتها ».

والسلطنة تطالب بالحل العربي والمملكة تهدد الاشقاء . . قالت مصادر عربية ان الخلافات الجوهرية تركزت على دعوى بعض زعماء الخليج خصوصا في سلطنة عمان الى تأييد حل عربي للأزمة واعطاء السلام فرصة تتعدى مهلة منتصف الشهر المقبل. »[20]

« تسلم غالي رسالة عاجلة من يوسف بن علوي وزير الخارجية العماني نقلها اليه امس السيد عبدالله بن حمد سفير السلطنة في القاهرة وصفتها الدوائر الدبلوماسية في وزارة الخارجية بانها

تتعلق بالجهود الرامية لانقاذ العراق والمنطقة من الدمار .»[21]

وبعد الحرب عندما بدأت المصالحة تذكرت صحيفة الحياة فأثنت على استقلالية السلطنة وموقفها الثوري خلال الأزمة وتبنت موقفها من القوات غير العربية فقالت : «وكذلك ترى ان السلطنه قادرة على مخاطبة العرب الاخرين الذين وقفوا في مواجهة دول التحالف التي اخرجت الجيش العراقي من الكويت وحررتها ، مثلما كانت قادرة على استقبال الملك حسين ثم السيد طارق عزيز وزير الخارجية العراقي (آنئذ) في عز احتلال الكويت .» (يا أسد اح)

والى« هذا الدور الخليجي والاقليمي في الترتيبات الامنية والذي تحرص عليه عمان ، تلاحظ الأوساط الديلوماسية أن السلطنة تعتقد بأن دور دول التحالف الغربية في هذه الترتيبات لا غنى عنه من اجل تحرير الكويت ورفع التهديدات عنهم ، فضلا عن ان الجميع يعرفون ان الوجود الغربي كان قائما في شكل من الاشكال وهو بقدر ما تحتمه المصالح الغربية في هذه المنطقة الحيوية ، يشيع مزيدا من الامن والاستقرار في دول الخليج والارتياح الى مصالحها ومستقبلها ايضا . . . خصوصا بعد «التجربة الكويتية » وما جرت من مآس على العالم العربي برمته .»[22]

واخيرا . . .هل كانت نبوءة مرتزق ام هي المكافأة التي وعدوا السلطان بها مقابل موقفه المتميز ، عندما اكدت نبوءات الفلكي الالوسي ان السلطان قابوس هو الملك القادم للجزيرة العربية بكاملها . كما اكدا ان اسم السلطان قابوس لا يستجيب للحسد[23]

وهذه تؤيدها . . لا اسمه ولا رسمه

القذافي .. اللسان لصدام والدعم لمبارك !

عند الحديث عن موقف ليبيا يكفي الحديث عن القذافي .. فهو ليبيا وليبيا هو .. ما لهما عن النفط غنى ورحم الله شوقي وعبد الوهاب ! وهو نسخة من النموذج الناصري الذي عممته الولايات المتحدة في العالم الثالث ، والذي في مقدمة خصائصه حجب الوطن والشعب والتاريخ خلف صورة الزعيم الراكب .. فيصبح هو وحده المتحدث والمقرر .. وكان دور القذافي في السيناريو هو حفظ مؤخرة مصر التي تقرر من اللحظة الاولى ان تقف مع السعودية والكويت والولايات المتحدة .. ولم يكن ليسمح للقذافي أن يشاغب أو يزعج مصر في تلك اللحظات الحاسمة ، وما عدا ذلك يهبص كما شاء .. ولذلك وجدناه ، يعكس جميع حسابات السوق ودهماء العمل السياسي ، بحيث خلال الحملة المصرية ضد العراق اجمل فترة في العلاقات السياسية مع حكام اسطبل دافيد! .. بل ويفتح ابواب ليبيا للمصريين .. وان استمر يخمخم بعض عبارات ثورية،احيانا ضد الامريكان واحيانا مع أو ضد العراق ومعظم الوقت ضد السعودية والحركة الاسلامية .. بل وألقت السلطات في ليبيا ولحنت الاغاني ضد التحالف ووزعت خارج ليبيا ولكنها لم تدع من الاذاعة الليبية ! مثل: « وين الشعب العربي وين» .. واغنية: «قبرك يا محمد يحموه الامريكان .. »

وكان المفروض ان تكون ليبيا وهي عش الارهاب ، قاعدة لانطلاق عمليات ارهابية مما توعدت به العراق والمنظمات الارهابية الفلسطينية ولكن افاد تقرير :«للواشنطن بوست ان الولايات المتحدة حذرت القذافي من عقوبات مادية وعسكرية اذا تبين ان اي عملية ارهابية انطلقت من ليبيا» [٢٤]

والليبي لا يلدغ من امريكا مرتين .. فوقى القذافي بلاده شر العقوبات .. ولأن الولايات المتحدة لم تنذر بعقوبات على التصريحات فقد تبحبح العقيد :

«في تصريح للقذافي .. ان الاحداث قد تضطره لتعبئة مليون مقاتل وطالب بازالة الدولة الاسرائيلية»(١٠/١٧)

ولحسن حظ امريكا وشيعتها ان الاحداث ما اضطرتوش .. أما مطلب ازالة اسرائيل فعندنا مثل يقول :«الذي لا يدفع يقول اذبح ما يستر.»

«طلبت ليبيا عقد مجلس الامن بجنيف ! كما اعلن سفير العقيد في باكستان ان ليبيا ستقف مع العراق اذا نشبت الحرب . » واعلن العقيد ان أحدا لا يستطيع ان يقف متفرجا اذا نشبت الحرب في الخليج وقال انه لا مستقبل للرأسمالية »[25]

ومرة اخرى الحمد لله لم تنشب الحرب والا لاضطر العقيد لتنفيذ تهديده ! (وهي دي حرب.. ؟! دي علقة !)

وعندما قامت الحرب اكتفى بقيادة مظاهرة سلام من مليون شخص في شوارع ليبيا[26] وكان امينا كعادته فلم يخص بها العراق بل قال انها ضد العدوان ومن اجل حق تقرير المصير[27] .وعلقنا وقتها ان المظاهرة يمكن ان تكون من اجل ليتوانيا أو حتى مع الكويت !

واحيانا يصرح ضد صدام والسادات وحاولت جريدة العرب تحميلها لرويتر .. فقد قال العقيد «ان العراق سيخرج من هذه الأزمة عميلا للامريكان كما بدأ السادات عدوا لامريكا واسرائيل في حرب اكتوبر وخرج اكبر حليف لهما . .وقالت «العرب»:« اساءت وكالة رويتر نقل تصريحات العقيد امس وادعت انه شبه صدام بالسادات معتمدة على قول القذافي ان العراق قد يخرج من أزمة الخليج صديقا للولايات المتحدة واسرائيل والحقيقة ان القذافي كان يتحدث عن نظام اخر يقيمه الغرب بدلا من النظام الحالي .»[28]

لكن القدس فهمت ونقلت ما نقلته رويتر فقالت « رأي غريب للقذافي في العراق بعد ترحيب بغداد بمبادرة بوش .. قال الرئيس الليبي وهو يشبه الرئيس العراقي بالرئيس السادات ان العراق قد يخرج من أزمة الخليج صديقا للولايات المتحدة واسرائيل وان السادات دخل الحرب وهو عدو امريكا واسرائيل وخرج منها صديقا لهما .»[29]

وبعد ان جرح صدام عاد يداويه : «صرح القذافي انه يعتمد على الاسلوب المرن الذي يتميز به صدام من اجل تفادي حدوث الأزمة وقال ان العراق يأتي عادة بقرارات لا يمكن لنا ان نتوقعها»[30]

«واحدى المفاجآت هو نقد ليبيا لصدام فقد وصف القذافي موقفه بأنه «غير مسئول » وطالب القذافي بحصر المعركة في تحرير الكويت..»[31]

وضد السعودية .. فهو يقرر عقد مؤتمر صحفي لاعلان نجاحه في عقد اجتماع بين الملك فهد وصدام وينسى ان يبلغ الاثنين فلا يجتمعا بالطبع ، ويغضب العقيد ! ويعلن فجأة الغاء المؤتمر الصحفي كما دعا اليه فجأة .وقال إنه كان ينوي ان يجمع بين الملك فهد وصدام في ليبيا ولكن الملك فهد خدعه : « العقيد الغى مؤتمره الصحفي بعد رفض فهد لقاء صدام ... !! فأعلن القذافي نحن ضد المتعنتين » ويقول الخبر : «حمل العقيد امس الملك فهد مسئولية فشل محاولته للوساطة بينه وبين الرئيس العراقي صدام حسين وصدر بيان قال حرصا من الجمهورية العظمى «..ثم حقائق في مستوى صدق عظمة الجمهورية! وانتهى للقول ان ليبيا تتبرأ من الاطراف المتعنتة ولم يعد مشكل الخليج يهمها من بعيد أو قريب ويترك الاطراف المتعنتة تدفع ثمن سياستها سواء كانوا السعوديين أو الكويتيين أو العراقيين »[٣٢]

وهكذا اختار العقيد سياسة ابعد عن الشر وغني له ! أو تصحتهم .. عند منعرج العظمى...

ولم يكن نائبه جلود بأقل كرما منه في التأييد الكلامي لصدام فقد نقل عنه ان ليبيا تدعو مصر للحرص على الرئيس صدام وان مصر وسوريا اعطتا غطاء للقوات الامريكية وان امريكا لا تتقن الحرب والاغنياء العرب في الخليج يجب ان يقتسموا ثروتهم مع الفقراء وان الشارع في مصر مع صدام .»[٣٣]

عن العرب عن اذاعة طهران عن جلود انه قال :« طالما ان قوى الكفر موجودة في السعودية وان ارض الاسلام مدنسة فإنه لن يسمح باتمام الحج »[٣٤]

وكان العقيد قد هاجم المملكة في شهر سبتمبر وقال « ان ادخال السعودية للقوات الامريكية مخالف لميثاق الجامعة .. ان هذه الواقعة اوضحت بشكل جلي ان حكام السعودية والخليج لا يستطيعون عمل اي شيء . وان هذه الدول عبارة عن محميات امريكية ، واتضح ان مكة والمدينة كمشاعر مقدسة ، يجب ألا تكون تحت رعاية دولة بعينها . » (عن مجلة التضامن)

والعقيد يقابل الرئيس مبارك ويقدم كل المساعدات التي تمكن مصر من اداء مهمتها في هزيمة العراق ، وهو يستأصل الحركة الاسلامية والاسلاميين في ليبيا وفي نفس الوقت يستضيف مؤتمر الحركات الاسلامية المناصرة للعراق ليسمعهم رأيه في الأزمة وبالمرة يسمعهم حملة شعواء ضد الاخوان المسلمين. ولأمر ما جلس قادة هذه الحركات يسمعون سبه في حسن البنا وكلهم بحيث

على ادعاء التلمذة على حسن البنا ! ممثل حماس فقط هو الذي تصدى يدافع عن الامام الراحل الذي لا يتورع تلاميذه على ان يفعلوا به ما فعل البعثيون بأستاذهم فقد نثرت الشعب بعض كلمات الوفود التي سمت نفسها الحركات الاسلامية والتي اجتمعت عند القذافي لتسمع سب حسن البنا والاخوان المسلمين اويسجل للاخوان في مصر وجبهة الانقاذ بزعامة عباس مدني امتناعهم عن الحضور(حضر احد منافسي عباس مدني وهو محفوظ النحناح رئيس التحالف الاسلامي) ولوحظ تبني معظمهم للموقف العراقي باستثناء ممثل حماس الذي واته الشجاعة للدفاع عن البنا وهذه بعض مواقفهم :«ان الافكار التي اعلنها العقيد القذافي بهدف التوصل الى حل عربي عبرت عن رؤية متكاملة ومتوازنة وقد نرى وفق منطق الحل المتكامل ضرورة ان تشمل المبادرة مبدأ الربط بين قضية الخليج وقضية فلسطين ٠ (ابراهيم شكري)

وان ميزة مبادرة القذافي انها لم تتورط في ادانة احد وفي تقديري ان وجود الكفار في جزيرة العرب امر لا يمكن قبوله شرعا وان كان لهذه الاحداث من عبرة فهي انها فضحت الباطل » (حسن الترابي)

« نحن لا يخطر ببالنا ان زوال السبب يزيل المسبب فليس معنى خروج العراق من الكويت ان تخرج بعده القوات الاجنبية من الخليج لأن اهداف الغربيين غير اهدافنا ٠ ونحن نعلم ان ٨٠ ٪ من ثروات العالم الاسلامي مركزة في المنطقة المحيطة بالكعبة الشريفة٠٠٠»(راشد الغنوشي) (الكعبة في واد غير ذي زرع ولا نفط ,وكان السيناريو يقتضي ترك الغنوشي يسرح ويمرح وفور انتهاء الحرب بدأت تصفيتهم ٠ج)

٠ وان أزمة الخليج تهم المسلمين وتهم القضية الفلسطينية فلو حدث لا قدر الله ودمرت القوة الاسلامية والآلة الحربية فإن ذلك سيكون اكبر هدية لاسرائيل ٠ ٠نحن تعلمنا في مدرسة حسن البنا وتعرفنا معنى الجهاد الحقيقي ٠ ٠ وما يقال هنا عن الامام البنا فيه تجاوز كبير فإن مدرسة البنا هي التي قادت الجهاد الحقيقي ضد اعداء الامة وضد الصهاينة ٠ »(مسئول حركة حماس)

على اية حال فات الجميع تعريفنا بمبادرة القذافي فذهبت ام بدره مع ام المعارك كما ذهب الحمار بأم عمرو٠٠ الخ

وفي العيد الرابع عشر لاعلان سلطة الشعب ومولد أول (وآخر ان شاء الله ج) جماهيرية في

التاريخ قال العقيد : «لو كان هناك توزيع عادل للنفط العربي لتجنبنا وقوع الكارثة «ان النصيب الاكبر من النفط العربي كان يذهب الى خارج الوطن العربي بما يعني ان نفط العرب ليس للعرب». ان الشعب العراقي ما كان ليعاني هذه المعاناة أو ليذل وتقع عليه مسئولية هذه الكارثة لو كان النفط العربي موزعا توزيعا عادلا (مش فاهمين.. هل يقصد النقم تمنع النقم .. اي لو كان العراق اعطى العرب الفقراء ام يريد ان تعطي السعودية العراق ولا تعطي مصر؟ ! ولماذا لا يوزع هو النفط الليبي توزيعا عادلا .. ودعنا من مصر بشاعة الكاتب لماذا لا يعطي تونس أو المغرب أو السودان أو المسكينة تشاد..؟!)وقال ان القوات الامريكية نفذت قرار الامم المتحدة بتحرير الكويت .اما ما عدا ذلك فيعتبر عدوانا وان الامور تجاوزت الخط الاحمر بعد ان تأكد لنا ان هناك عملية اذلال.وقال ان الكويت والسعودية اقوى الان من العراق .

وقال ان «الثورة في ايران الهبت حماس الكثير من المغفلين وتشكلت وفقا لذلك اتجاهات اسلامية واحب البعض ان يحولوا دولهم الى جمهوريات اسلامية انطلاقا من هذه الثورة وشعاراتها مثل ان الشيطان الاكبر هو امريكا والزحف الى القدس والقضاء على ما يسمونه الاستكبار الدولي الذي تمثله امريكا ..وها هي امريكا جاءت الى العراق على حدود الجمهورية الاسلامية فأين الحرس الثوري واين خط الامام واين الثورة الاسلامية ؟ها هو الشيطان الاكبر على الحدود . ان الثورة قلبت ايران من مملكة شاهنشاهية الى جمهورية ونحن ايدناها وقاتلنا معها باعتبارها قوة تحررية تقاتل الاستكبار . وقال ان الذين ايدوا المجاهدين الافغان مغفلون وانه يؤيد النظام الثوري التقدمي في افغانستان نجيب الله رئيس الحكومة في كابول يعتبر شيوعيا ومسلما وثوريا وتقدميا..(عشرة بقرش واللي ما يشتري يتفرج ! ج) بينما اتضح ان المجاهدين هم مع السعودية ومع الحلفاء ضد العراق وضد بعض الحركات الاسلامية التي تساند العراق. وقال ان المظاهرات التي اجتمعت وتدعي استعدادها لمقاتلة امريكا ما هي الا لاحراج الحكومات وتصفية للحساب معها وان الذين انضموا لهذه المظاهرات من المغفلين مثل الذين انخدعوا بثورة ايران »

وبعد ان انتهت الحرب التي اتخذ فيها العقيد موقف الحياد الايجابي وكانت علاقته مع مصر اكثر من سمن على عسل. هاجم القذافي صدام حسين لأنه قبل شروط مجلس الأمن! (العرب ٤ مارس ١٩٩١)

و يتساءل عادل حسين في براءة عن تفسير اللغز الذي يحيره ويحرجه فالقذافي ثوري بموجب علاقاته مع الحزب فكيف تتحسن علاقاته مع رجل الامريكان الأول في العالم العربي .. يقول :«لقد فترت العلاقات المصرية – السودانية (كالعادة دون اسباب معلنة مفهومة) قبل الخليج ، ولكن التدهور وصل ذروته اثناء المواجهة ، بينما لم تتأثر العلاقة مع ليبيا ، رغم أن موقفها من مواجهة الخليج لم يكن يختلف كثيرا عن موقف السودان واصحاب الحل العربي الآخرين ..اننا نرحب بتحسن العلاقات المصرية الليبية ، ولكن من حقنا أن نفهم المنطق والاسباب حتى تطمئن الى امكانية الاستمرار في هذا التحسن.»

ما حيلتنا اذا كنت ترفض ان تفهم منطق «الإخوة »الامريكان !

السودان الذي باعوه ..!

ومن ليبيا الى السودان ، فركة كعب ثوري ..زعماء السودان بالوراثة قبلوا أن يضعوا السودان في حقيبة القذافي .. فلا ملامة علينا ان جئنا به في عرضنا حيث وضعوه والمرء حيث يضع نفسه!

وموقف السودان الذي اذهل الكثيرين واحتاروا في تفسيره .. لا لغز فيه ولا اعجاز.. يكفي القول انه لم يكن ليسمح له بدور آخر .. فكما ادخلوا صدام المصيدة ومنعوه من اي قرار الا مقاتلة المخطط ، كذلك لم يكن ليقبل من السودان الا الموقف الذي اتخذه ، لأنه هو الذي ييسر تحقيق المصير الذي يدبر له .. وهو باختصار ازالة رجل افريقيا المريض وتمزيقه إربا لأكثر من دويلة على انقاض السودان الذي لم يبق منه الا الاسم الجغرافي.. وقرار ازالة السودان صدر من سنوات . ويمكن القول ان تنفيذ هذا القرار قد دخل المرحلة النهائية ولا سبيل في ظل الاوضاع الحالية للعالم العربي لتفاديها.. وكل ما يجري في السودان منذ الاستفتاء على الوحدة مع مصر عام ١٩٥٥ الى حركة قرنق وخلع النميري ومسلسل الانقلابات وانتصار الحركة الاسلامية وتطبيق الشريعة ، وارتفاع حدة العداء لمصر وخروج المظاهرات ضد المصريين ، بل ورفض الجرسون السوداني ان يخدم الزبون المصري ..الخ . كل هذا انما للتعجيل بتمزيق السودان ثلاث دويلات على الاقل .. وهذا بالطبع حديث طويل .. المهم انه لو اتخذ السودان موقفا مغايرا في أزمة الخليج لتعثر تنفيذ المخطط بعض الشيء .. كانت مصر والسعودية ستؤيدان وتدعمان وحدة السودان ، الاولى برجالها وموقعها الجغرافي والتاريخي والثانية بمالها ..

وبالموقف الثوري السوداني من أزمة الخليج ضمن منع الدعمين المصري والسعودي بل اصبح الاسلاميون في السودان يتحرشون بالمصريين والسعوديين بالذات ! والسودان بدون مصر والخليج هو اقل من الصفر بمائة درجة . ولو وقف السودان مع امريكا لاضطرت لوقف نشاط قرنق أو امرته بالاحتشام كما امرت الفتنة في مصر بالتحجب الى ان انتهت حرب الخليج .. وقرنق على وشك ان ينفذ مخطط المبشرين والصليبيين فيضيف دولة مسيحية الى مسبحة الفاتيكان التي ينظمها البابا النشط في افريقيا .. ومن ثم كان لابد ان يرفع البشير والتنير راية الموقف التقدمي من أزمة الخليج لكي تضاعف امريكا مساندتها لجارنج أو قرنق .. لقد استمتع السودانيون بتصريحات

البشير من طراز :«ان هناك حملة ضد السودان في صحف المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج وانه يأسف للملك وقال البشير ينبغي على هذه الدول الا تقصر ضبط النفس من جانبنا على اله جين ٤٠"٣

وباستثناء الشفاء العليل ..هل يستطيع سوداني ان يدلنا على فائدة واحدة كسبها السودان من موقف حكومته خلال أزمة الخليج ؟!

ووداعا سودان ..

ملحوظة: الحقيقة ان الحركة الاسلامية والجماهير الاسلامية في السودان تحمل الكثير من المرارة لموقف مصر المعلن في الصحف وهو العداء الغريب لكل اتجاه اسلامي في السودان . وأسباب ذلك يمكن فهمها من معرفة نوعية العناصر التي تسيطر على الصحافة في مصر . ولكن خصوم السودان والاسلام استغلوا هذا الموقف المصري الخاطىء لضرب الاسلام في السودان.

كل الصيد في عباءة الملا..!

قيل عن ايران انها المستفيد الثالث من حرب الخليج بعد اسرائيل والولايات المتحدة.. وقيل إنها تخطىء كثيرا اذا لم تعرف ان الدور سيكون عليها بعد العراق .. مع انها تعاني بما فيه الكفاية من الحرب التي شنها عليها العراق بايعاز وتدبير وتمويل الولايات المتحدة الامريكية .. ولقد استطاعت ايران ان تلعب دورها بذكاء فحصلت من العراق على كل ما كانت تريد باستثناء التعويضات وهذه ربما تكون قد حصلت على دفعة كبيرة منها سواء بالطائرات العراقية التي لجأت اليها ..أو في شكل كميات نفط مجانية.. وفي نفس الوقت استطاعت ان تخرج من الحرب بريئة نظيفة اليدين من دم العراق فلا اعانت عليه ولا حتى حرضت بل لم تنفذ الحصار بدقة وتركت الطعام والدواء وغيره يذهب للعراق متمسكة بالاعتبارات الانسانية..واعلان العجز عن مكافحة المهربين! وفي نفس الوقت لعبت لعبة تعدد المراجع في ايران دورا جيدا في ارضاء جميع الأطراف . فكان رافسنجاني أو الدولة مع الشرعية وقرارات الامم المتحدة ، بينما كان العديد من ايات الله ضد الشيطان الاكبر والوجود العسكري الامريكي في المنطقة..

« رفضت ايران دعوة الوفد العراقي الذي زارها بالمساندة وقال رافسنجاني ان امريكا لها نوايا شريرة للمنطقة ولكن وزير خارجيته قال ان العراقيين هم الذين يعطون امريكا المبرر للوجود في المنطقة واكد حياد ايران اذا قامت الحرب.. »[٣٦]

«رافسنجاني يقول : خطر نشوب الحرب يتصاعد .. لا يبدو أن أيا من الطرفين على استعداد للتخلي عن موقفه وقال ان ايران تعتبر دائما ان انتهاء أزمة الخليج يمر عبر انسحاب القوات العراقية من الكويت.. »[٣٧]

« رافسنجاني دعا الى الصلاة والدعاء بأن الحرب لا تقع بين العراق وامريكا . كذلك تطلعت ايران ان تعود بعد الحرب لتلعب دورها التاريخي في الخليج بل راحت ترنو اليها الابصار لتستأنف دور الشاه شرطي الخليج أو الأخ الاكبر..وهي بدورها لم تتأخر في اعلان ضمان حدود دول المنطقة ورفض اي تغيير في الحدود ورفض ان تعطي الكويت الجزر للعراق وان طابت نفس الكويت..

واصدر ولاياتي تصريحا تعهد فيه بأن ايران لن تشترك في حرب ضد العراق ولكنها ترفض اي تغييرجغرافي في المنطقة .»[٣٨]

وتحت عنوان :«طهران تؤكد ادعاءها انها حامية الخليج » ..قالت الفايننشال انه وعندما تنازل صدام عن كل ماخرج به من حربه مع ايران قال للرئيس الايراني لقد حصلت على كل ما كنت تريده .ولكن يبدو ان ايران بدأت تحصل حتى على ما لم تكن تتوقعه .. الان في دول الخليج يتحدثون عن ضم ايران في تركيبة امنية جديدة .وقالت ايران امس انها ترحب بتلك الخطوة من المجلس ومستعدة لمناقشة ترتيبات الامن. لقد كان هدف ايران هو اقناع دول الخليج انها لا تستطيع الاستغناء عن الحماية الايرانية.»[٣٩]

ولكن صدام حقق المعجزة.. عدوانه اقنع دول الخليج .ومن كان يصدق انه سيأتي يوم تنشر فيه صحف العراق مغتبطة وكخبر رئيسي :« قمة عربية – ايرانية حول تدويل الاماكن المقدسة في الحجاز والقدس..» وقالت ان القمة اذا عقدت سوف تبحث في افكار ايرانية لبلورة قرار يدعو الامم المتحدة لتدويل الاماكن المقدسة في السعودية واسرائيل وارسال مراقبين دوليين مسلمين الى مكة والمدينة ومراقبين مختلفين الى القدس لتأمين سلامة الحجاج ووقف استخدام هذه الاماكن كسلاح سياسي في يد المشرفين عليها ومغتصبيها اذ لن يكون بعد اليوم في استطاعة شعوب اسلامية كثيرة مثل ايران والعراق واليمن والسودان وغيرها الوصول الى المقدسات السعودية كما ليس بامكان الشعوب الاسلامية عامة زيارة المقدسات في القدس .»[٤٠]

«صحيفة المتشددين الايرانيين تدعو الى قوة متعددة الجنسيات للدفاع عن العراق ونشرت لوزير الاعلام العراقي ان زيارة بوش للسعودية تشكل استفزازا لمليار مسلم ومبارك حليف امريكا ولا نثق بكلامه .»[٤١]

وهي ذاتها التي ستعود فتسب رافسنجاني وايران :« لم تكن مفاجأة لنا ان يخرج الثعلب رافسنجاني من عبه مؤامرة انتهازية رخيصة ...فذلك اعد بديلا جبانا وفور توقف القصف الامريكي سارع رافسنجاني بحشد ايرانيين كانوا مقيمين في العراق قبل ان يطردهم عند بداية العدوان عليه منذ عشرة اعوام ... العراق هو من علم البشرية الكتابة في هذا الظرف الذي تطل فيه المؤامرة الايرانية تجاهل خادم الحرمين..... الاضطرابات التي مولتها ودفعتها ايران فهل هو ....

وهل يعلم ان نجاحها سيكون ضده وستحرك له المنطقة الشرقية وهل يعرف و.. معنى قيام دولة شيعية بجوار ايران وعلى حدود السعودية ام ان الرجل........ »[42]

ونشرت صوت الكويت مختبطة ما سمته اللاءات الاربعة التي تواجه بها ايران العراق وهي: ولاضم للكويت .. لا للانسحاب الجزئي .. لا لاستئجار جزيرتي بوبيان ووربه.. لا لحلف معلن أو غير معلن مع العراق عسكريا كان أو تجاريا »[43]

ودعت صحيفة جالف تايمز التي تصدر في قطر « دول الخليج وايران للعمل على التوصل لحل لأزمة المنطقة وقالت الصحيفة انها تأمل في مبادرة قوية لتفادي الحرب وانسحاب العراق .»[44]

وزير خارجية قطر اعلن « ان هناك مباحثات في الطريق لضم ايران في اي تنظيم امني جديد للخليج .وقال ان لنا علاقات تاريخية مع ايران وستدخل في تنظيمات الامن بحق الموقع الجغرافي.»[45]

ويبدو ان الفيتو الايراني خلف تحرك البحرين والكويت لنسف مشروع الأمن العربي الذي تبنته السعودية ومصر وسوريا.

بل واعيد النظر في كفاءة ايران وحقيقة ما جرى في الحرب العراقية / الايرانية فقال تحليل في الاوبزرفر « جيش صدام سينهار وقال عسكري بريطاني ان المشكلة التي ستواجهنا هي استقبال الاف الاسري من الجنود العراقيين .ويجري الآن عرض شرائط لطوابير المستسلمين من الايطاليين للانجليز في الحرب العالمية الثانية والجنود المصريين الحفاة العائدين من سيناء في ١٩٦٧ .. وهذا الشعور بانهيار قوات صدام بدون مقاومة، له ما يبرره فالانجاز العراقي كان سيئا جدا خلال الحرب مع ايران ولو أنهم كانوا افضل تسليحا ويحاربون عدوا جيشه قد تمت تصفية ضباطه بثورة دموية، واضطر نظام الخميني للتوجه لسماسرة السلاح للحصول على قطع غيار للطائرات الامريكية والدبابات البريطانية وجف السوق بسرعة ، بينما اندفع الغرب لتسليح العراق وتنافست الدول الغربية في بيع احدث المعدات لصدام، ومع ذلك فشل العراق في كسب الحرب ، كان الملحقون العسكريون في بغداد يمزقون شعورهم ويقولون للصحفيين ان العراقيين بكل ما لديهم من معدات كان يفترض ان يكونوا في طهران الآن . العراقيون لم يفشلوا فقط في كسب الحرب بل بدوا في اكثر من مرة على وشك خسارتها .. فحرس الخميني الثوري من المراهقين والشيعة المتدينين

هاجموا بشجاعة تشبه ما فعله اليابانيون في الحرب العالمية الثانية . اما العراقيون فكانوا يفضلون أن يحفروا ويدفنوا دباباتهم عن الخروج بها للقتال ويختبئون في الخنادق يشربون الويسكي ويشاهدون افلاما جنسية . »[46]

وفي نفس الوقت لكبح جماح ايران وتحذيرها من المغامرات تنبهت الصحف الامريكية فجأة إلى أن : « امريكا تعتقد ان طهران مثل بغداد تحاول تطوير قنبلة ذرية . »[47]

وانت عارف اللي قال إنه ح يطور عملنا فيه إيه . . !

وفي اعتقادنا ان احتلال الجيش الأمريكي لجنوب العراق لم يكن يهدف لتطويق الجيش العراقي في الكويت والذي سمح له على أية حال بالهروب سالما بأمر خاص من بوش . . بل كان هذا الاحتلال لمنع مساعدة ايران للشيعة في الجنوب الذين كانت ثورتهم متوقعة ومعد لتصفيتها دمويا بواسطة الطلقاء من جيش صدام ، وتحت حماية الجيش الأمريكي لهؤلاء الطلقاء نعامة الكويت وأسد البصرة !

وكان من مفاجآت الحرب قرار سلاح الطيران العراقي زورقات الى طهران ، وقد عرف الآن انه لم يكن فرارا من صدام حسين بل عن علم وبترتيب معه وقد علقنا وقتها : « لغز الاسبوع هو هروب طائرات امير المؤمنين للمجوس . . وقد تأكد الآن ان الطائرات العراقية قد ذهبت الى ايران بعلم صدام حسين وبالتأكيد بعلم ايران . . ولكن السؤال الآن هو هل تم ذلك ايضا بعلم القوات الامريكية ؟! وقد فشل المتحدثان الامريكي والسعودي في الاجابة على سؤال الصحفيين : «هل تريدنا ان نصدق ان تسعين طائرة عراقية يمكن ان تقلع من داخل العراق وتتجه الى ايران دون ان تتصدى لها القوات الحليفة . . رغم السيطرة المطلقة على السماء . .؟!» وواصل الصحفيون في الحصول على جواب مقنع والى ان يجاب على هذا السؤال وبالتالي يقوم ابعاد المرحلة القادمة فإن التحليلات انحصرت في معرفة اهداف صدام حسين . . وان كنا نعتقد ان صحيفة الفايننشال تايمس قد تكون قد لمحت الى بعض الجواب . .

« صدام ارسل افضل طائراته لحمايتها في ايران ويعتقد ان صدام على الاقلة يريد ان يحتفظ بافضل طائراته عندما تنتهي الحرب ليكون عنده بعض المقومات العسكرية التي تحفظه في السلطة . . »[48]

واليوم يتأكد لنا ان هروب الطائرات العراقية تم بلاشك بترتيب مع الامريكان الذين كانت لهم السيطرة التامة على الجو وكانت هناك استحالة ان يحلق هذا العدد ويصل الى ايران اذا لم تغض امريكاالطرف .. ولم يكن هدف امريكا واضحا في ذلك الوقت ولكن بعد الحديث عن أهمية ابقاء العراق قادرا على سد اطماع جيرانه فيه ومنع التمرد الذي يمكن ان يحركوه داخل اراضيه يمكن فهم هذا الجزء من سيناريو المسرحي العالمي جورج برنارد بوش !

«بعض مستشاري بوش يقولون انه يجب بذل كل جهد ممكن لكي يخرج الجهاز العسكري العراقي بقوة كافية لمواجهة تهديد الجيران وحفظ السلام داخل حدوده ، ومعظم الخبراء يتوقعون حربا اهلية نتيجة تحطيم اجهزة الامن العراقية التي نجحت حتى الآن في توحيد العناصر المختلفة . ويقول هؤلاء ان تركيا ستسرع للاستفادة من انهيار العراق . بطرح مطالبها عن شمال العراق الذي يرجع لأيام العثمانيين..»[19]

ووجدت التايم التبرير :« دول الخليج لها مصلحة في حماية سيادة بغداد لأن العراق الممزقة يمكن ان تعطي ايران المتبجحة الفرصة للسيطرة على المنطقة »[20]

يضاف الى ذلك ما اشرنا اليه في فصل الصواريخ عن صفقة مع الولايات المتحدة، ابعدت بموجبها الطائرات السوخوي وهي اخطر ما كان يهدد اسرائيل ..(انظر فصل صواريخ صدام)

وبعد الحرب ثار الشيعة في الجنوب وذبحوا كالعادة .. وقيل ان ايران باعت طائرات صدام لباكستان..!

مـــصـــر ..والمولـد ..والحـــمص

مرة اخرى مع الخجل الشديد نضطر للقول ان موقف مصر أيضا ، لم يكن فيه اجتهاد ولا اختيار. فهي بحكم علاقتها بالمملكةالسعودية ، واعتمادها على الولايات المتحدة ، ومحنتها مع صندوق الدين والديون ، وبحكم موقعها الاستراتيجي بالنسبة لاسرائيل والسعودية وقناة السويس.. وفوق ذلك ما تبقى من مكانتها التاريخية في العالم العربي .. لم تكن بالتي يمكنها الحياد فضلا عن الانضمام لصدام حسين .. وهي لم تكن لديها أية اسباب للوقوف مع صدام حسين فهو العدو رقم واحد لمصر..ولا ذكرى طيبة لمصر مع العراق عموما منذ نوري السعيد والوغد عبدالاله ، الا فترة قصيرة هي حكم عبد السلام عارف ، وحتى هذه كانت حبا من طرف واحد هو قلب عبدالسلام الطيب الطاهر الخالص الوطنية والعروبة المتيم بمصر المفتون بعبد الناصر رغم فجيعته فيه اسلاميا وعروبيا، عندما سقط ناصر في مستنقع الشيوعية والتبعية للروس.. ولأمر ما كان هيكل لا يكف عن التحرش بعبد السلام عارف والكيد له واستفزازه ..

العراق على زمن نوري السعيد رفض ان يقاتل في فلسطين ووقف يتفرج محيدا على الجيش المصري وهو يتعرض للهجوم اليهودي ، وامتنع الجيش العراقي عن التدخل تحت الشعار الشهير: ماكو اوامر ..ثم انسحب من المثلث الشهير وسقط لقمة باردة لليهود.. وفي حرب ١٩٥٦ كان بكل قواه مع المهاجمين لمصر . وفي ١٩٦٧ لعبت القيادة العراقية دورا اساسيا في تنفيذ خطة اسرائيل في مفاجأة الطيران المصري بدون مقاومة مصرية. فقد كان المشير عامر متجها لمقابلة الضيوف العراقيين ، ولذا صدر امر مشبوه بمنع استخدام وسائل الدفاع الجوي خوفا من اصابة طائرة المشير والضيوف البعثيين !! وفي ايلول الاسود بادر العراق بسحب قواته من الاردن فور اصطدام النظام الهاشمي العميل مع الفلسطينيين، وكان يستطيع قلب الموقف تماما بل قلب المنطقة رأسا على عقب لو تدخل الى جانب الفلسطينيين . وتحرش بعبد الناصر وهاجم مصر على طول الخط فلما قامت حرب اكتوبر رفض تنفيذ قرار قطع النفط الذي اعلنته دول الخليج . فلما بدأ انور السادات مسيرة السلام والصلح مع امريكا واسرائيل ، تزعم الحملة على مصر بهدف ارهاب

وابتزاز دول الخليج للاستئثار بثرواتها وفرص العمل فيها وسرقة اموالها كما فعل وزيره في صندوق ابوظبي .. والعراق هو المسئول الاول عن حرمان مصر من عائدات النفط خلال السبعينات والثمانينات واخذها هو وحده. وكما قال الرئيس مبارك ان ما اعطته الكويت وحدها للعراق يفوق ما اعطاه العرب جميعا لمصر من ١٩٤٨ الى اليوم ..

وقد اكد الأمير سلطان ان الموقف العربي في مؤتمر بغداد كان تحت ضغط العراق ولم يكن عن اقتناع من الدول الخليجية فقد قال: «وليس سرا اننا كنا ضد الجبهة التي حدثت في قمة بغداد (حول كامب ديفيد) وكنا ضد قطع العلاقات مع مصر وحاولنا ان نقنعهم بأن هذا السلوك لن يثير الا العناد والتمزق.. لأن مصر لم ترتكب جريمة بل طالبت بحق وحصلت عليه بالسلام ووفرت الدم وكسبت صداقة العالم»[٩١] (الاخبار ١٨/١٠/٩٠)

ورغم هذا الموقف القبيح الأنانية من جانب العراق فقد اجبرت مصر بالضغط الامريكي على ان تقف مع العراق خلال حربه الغبية ضد ايران .. ولم تكسب مصر من ذلك شيئا بل بالعكس ساهمت بسلاح لم يسدد ثمنه . وبالدم المصري الذي لم يكرم حتى بذكره فلا توجد احصائيات عن عدد القتلى من المصريين ولا حتى اسرائهم في حرب العراق وايران.. ماتوا بلا مقابل ولا حتى مقابر .. واكتفت حكومتنا بتجاهلهم كتما لفضيحة مصرعهم! ثم حل صدام مشكلة الجنود العراقيين المسرحين والضائقة الاقتصادية بقتل المصريين والاستيلاء على ما جمعوه وادخروه خلال سنوات العمل في العراق ! ثم لما بدأ صدام ينسج مؤامرته الاخيرة بدأ التقرب لمصر وتفويض مكانتها في نفس الوقت، جرها بعيدا عن المملكة والخليج بادخالها في تحالف غامض مشبوه الاهداف لا يمكن ان يحقق الا ازعاج المملكة ودول الخليج . وفي نفس الوقت يحرض علينا الفلسطينيين وصحافة الكويت الثورية أو المرعوبة أو المأجورة ، والغريب ان الكويت التي تملك اعلى مستوى دخل للفرد في العالم ، احتلت صحافتها المكانة الاولى بين الصحف المأجورة في العالم العربي بعد انهيار صحافة لبنان.. ولم تكن فقط صحف ابتزاز وقبض بمدح من دفع وسب من امتنع بل باعت حتى الوطن وتهتكت على اعتاب صدام والقذافي .. وابتزت صحافة الخليج.. وتاجرت باللقاءات التي تحققها في مصر وحولتها في نفس الوقت الى تجارة وصفقات وتمريرات من الجمرك .. واشترت بعض الصحف والاقلام في مصر حتى سكرتير الحزب الشيوعي

المصري اعطوه وظيفة في الكويت فاكتشف انها الاكثر ديموقراطية وانحاز اليها ضد صدام .. واستطاعت هذه الصحافة ان تنشر صفحة اعلان في صحيفة التجمع .. وكانت الحكومة الكويتية سعيدة بميراث صحافتها لدور الصحافة اللبنانية وكان الشعار الرائج عندهم هو:«الكويت لبنان الخليج ..» وقد كان !

المهم لم يكن بين مصر والعراق ود يبرر أن تخسر مصر علاقتها مع امريكا والسعودية ودول الخليج كرامة لمغامرة صدام حسين . وموقف مصر كان ضروريا للمخطط الامريكي ولسلامة مصر .. ولو اخذت مصر بنصيحة انصار العراق لتحرشت بها ليبيا والسودان واسرائيل.. وفي هذه الحالة كانت ليبيا والسودان ستتضامنان للسعودية وامريكا .. ولاشتعلت الفتنة الطائفية في مصر .وقد كان كاتب هذه السطور هو وحده الذي لاحظ اختفاء الفتنة تماما بفعل ساحر فور قرار مصر ارسال قوات الى الخليج .. وقلنا ان هذا يعزز الظن بأن الفتنة من اساسها من فعل فاعل له مصلحة في تهدئة الجو في مصر طوال أزمة الخليج ..والغريب انه فور انتهاء الحرب ، عادت الفتنة تظهر!! *٢

لو وقفت مصر ضد امريكا لتحركت الفتنة وتأججت ولطالبتنا الدول بديونها وقررت افلاس مصر..

ولذلك فإن الموقف المصري تجلت فيه الوحدة الوطنية.. وبعكس ما حدث ايام السادات عندما منع البابا الاقباط من السفر الى اسرائيل محطما قرار السادات بالصلح .في هذه المرة وقف غبطته مع الحكومة ، ففي رسالة عيد الميلاد أيد غبطته استخدام القوة ضد العراق.. .فقد دعا الى حل سلمي «والا فسيضطر العالم الى اتخاذ الحل الاصعب وهو الحرب»

وكذلك اعفيت مصر من جانب مهم من ديونها سواء عند الدول الخليجية أو اليتاجون وبعض الدول الاوربية ، وتلقت مبالغ لا يعرف بالضبط حجمها، لأن حكومتنا لا تؤمن بأنه اما بنعمة ربك فحدث ..ولا تحب اطلاع الشعب على ما آتاها الله خوفا من الحسد أو ان يتكل الناس فلا يعملوا .ولذلك سيبقى من اسرار الفراعنة حقيقة ما دخل من اموال ومن اي باب دخل ، وأين استقر..

واذا كان الموقف المصري لا خيار فيه «إلا انه يمكن القول ايضا انه ما كان احتلال بلد عربي

وهتك عرضه ،على نحو ما فعل صدام ، بالذي يغري مصر بتأييده ٠٠ولا كان من المقبول استراتيجيا ولا شعبيا ان تترك المملكة العربية السعودية ،العمق الاستراتيجي لمصر، ومع الروابط العميقة التي تربط شعبي البلدين ، تترك تواجه التهديد العراقي وحدها، وفي اعتقادي ان الحرب الوحيدة التي يرحب بها المصري هي الحرب الدفاعية عن المملكة. والبعض يقول ان مصر لعبت دور الغطاء العربي لقوات الاحتلال الامريكية، وحتى الكويتي الذي اراد مدح مصر (حمد العيسى) قال :« لولا موقف مصر لما تمكنت الولايات المتحدة من الحصول على تأييد العالم »

ليكن.. مصر هي التي اعطت العملية صيغة عربية ودولية وحالت دون ان تكون قوات احتلال، ، مصر هي التي جعلت أمرهذه القوات بيد المجموعة الدولية وليس الولايات المتحدة وحدها ، حتى ولو كان ذلك من الناحية الشكلية ،ولو لم تنضم مصر ومن اتبعها من الدول العربية ومن تشجع بموقفها من الدول الاخرى لقامت الولايات المتحدة بمفردها بالعمل ولكانت حملة امريكية أو حماية شكلا وموضوعا ٠٠ اما عن مساهمة مصر العسكرية فتعترف انه قد اسقط في يدنا بشهادة انيس منصور المتصل بجميع الاطراف والذي يؤكد ان «مصر رفضت دخول العراق أو دخول الكويت » (الاهرام ٩١/٤/٢٦) وبناء عليه يصعب تحديد اين قاتلت القوات المصرية اذن!!٠٠ وازاء شهادته فإن القول بدور رمزي للقوات العربية المساندة هو الارجح ، ولا يحق للاستاذ صلاح منتصر ان يغضب لأن الافلام التسجيلية الكويتية اغفلت تماما دور القوات المصرية!

اما القول بأن مصر لم تكسب من أزمة الخليج فتلك قضية اسبابها سابقة على هذه الأزمة، ولا يعقل ان الكويتي الذي شاهد ما نبنيه في مصر يسعى الينا لتعمير الكويت٠٠!! اننا صدقنا ما يكتبه بعض كتابنا في مدح هذا الوزير او ذاك وكلهم حصل على شقة قبل أو بعد الكتابة الا استطعتم ان تجدوا كاتبا واحدا مدح وزيرا لله فحدثونا عنه وصدقوه!٠٠ ان الذين خربوا مصر وقضوا على قطاعها الخاص لا مكان لهم في السوق العالمية ٠٠ وليس لنا مقومات تجعلنا توظف الأحداث لمصلحة مصر ٠٠ لأسباب عديدة منها انه لا أحد يفكر فعلا في مصلحة مصر ٠٠بل كل مواطن يريد أن يقبض حصة مصر في جيبه ، وبالتالي لا يبقى لمصر حصة إلا الحطب ! فلنترك اذن حديث المكاسب ٠٠ فقط نرجو من المرتزقة الذين لم يكتبوا حرفا لحساب الكويت والامارات إلا وقبضوا ثمنه، ألا يزيدوا الام الشعب بحديث لزج عن مصر التي لا تحركها المادة بل المبادئ والتي

لا يهمها ان تخرج من المولد بلا حمص بل يكفيها شرف الموقف!! لو كانوا يؤمنون بما يقولون فليتبرعوا بنصف ما حصلوا عليه خلال الشهور الثمانية الماضية مقابل ما كتبوه في أزمة الخليج.. ولا ادري لماذا لا تطبق الحكومة قانون الوظيفة العامة على الصحفي فتطالبهم بإقرار ذمة قبل الأزمة وبعدها ولو لتحصيل الضرائب .. ولا استطيع ان اتهم كل الصحفيين، ولكن الثابت ان صحافتنا تجاوزت حتى ما كان يريده اصحاب القضية انفسهم، فأصبحوا ملكيين اكثر من الملك وقد روى أحدهم كيف حاولت اجهزة الاعلام السعودية التخفيف من غلواء الصحفيين المصريين الذين كانوا يدقون طبول الحرب تأييدا للمملكة في اعتقادهم .. فقد اتضح مما نشر في «صباح الخير» ان وزارة الاعلام السعودية قد رتبت لهم على ما يبدو عملية غسيل مخ ضد الحرب فقد نشر على غلاف صباح الخير: «في جده .. لم اسمع دقات طبول الحرب!» وقال كاتب التحقيق الصحفي: «في جده لم اسمع قط دقات طبول الحرب بل كان على ان اجيب عن سؤال وجهه لي كثير من ابناء الشعب السعودي .. لماذا يدق الاعلام المصري طبول الحرب ؟! .. لا احد صادفني يوافق على الحرب ..»

وقال: «ومع ذلك اردت ان اتأكد من حقيقة موقف المثقف في السعودية فربما قيل ان هؤلاء الناس جهلة فرجوت وزير الاعلام السعودي الوزير الذكي ووكيل الوزارة الدكتور شهاب جمجوم واسع الثقافة ان ينظم لنا «مجموعة الصحفيين المصريين» لقاء بعدد من المثقفين السعوديين .. وبالفعل دعانا الاستاذ عزت المفتي الى اجتماع حضره اكثر من اربعين شخصية سعودية في بيت محمد سعيد رئيس مجموعة تهامه للنشر .. وكان امرا مدهشا لي جدا ان ارى اغلب المثقفين السعوديين لا يدقون طبول الحرب بل يعلنون رفضهم لها تماما ويدركون مخاطر الخيار العسكري بل ان بعضهم عاب على الاعلام المصري دعوته الصريحة لهذا الخيار ... وما ادهشني هو ان هؤلاء هم اصحاب القضية الاصلاء فهم قد اعلنوا على العالم ان العراق يهدد باحتلال بلادهم .. ومع ذلك فهم لا يريدون الحرب ؟! وحدثونا بحرية كاملة رغم حضور «الحكومة» »[2].. وقد اكدت شهادات صحفيين آخرين ما كتب في صباح الخير . وهكذا .. فالاعلام المصري الذي بلا شك كان اخلص مدافع عن قضية الخليج واشرس مهاجم لصدام حتى قال الأمير خالد «ان الصحافة المصرية كان لها دور كبير ومستمر وفعال في توضيح الموقف العربي .. والمملكة ومصر

بلد واحد . » [٥] وكثيرا ما كان الأمير بندر بن سلطان يتساءل دهشا وساخرا من بلاهة صدام حسين : « هل هناك عاقل يعادي اعلام مصر ؟! » كان هذا الاعلام للأسف يعاني عيوب الميراث الناصري . . مسخ كل الجديات . . التسابق لارضاء السلطة بما يفوق حتى اهداف هذه السلطة . . رخص المواقف . .

ولم يكن التبذل وضعف الحجة صفة ينفرد بها الاعلام المعارض بل كان يشمل بصورة أقبح الاعلام المؤيد لصدام فبعض هذا الاعلام كانت تحركه عقيدة فعلا وهي الصيغة السوقية لمعاداة الولايات المتحدة حتى ولو كانت هذه المعادا ة تفضي بصاحبها الى تحقيق أو المساعدة في نجاح المؤامرة الامريكية . . وبعض الاصوات المعارضة كانت مأجورة للعراق أو ليبيا . . وبعضها كانوا من الذين لم تهتم الكويت بالدفع لهم فرفعوا عقيرتهم بسب الاميريالية لابتزاز السفارة الكويتية وتذكير الاستاذ ع. م. [**] بهم . . وفيهم عناصر وضيعة من التي منحتهم الدولة للاسف احزابا وصحفا يسترزقون بها كأفحش ما كانت صحف بيروت تفعل . . وبعضهم هرع يصدر صحفا في قبرص يلم بها النقطة . . وبالعموم كان مخلصهم ومرتشيهم يتحلى بالجهل الشديد والسطحية، إلاقلة من الأولين . . وقد ناقشنا في غير هذا الفصل موقف حزب العمل وصحيفته وهي كانت بالطبع اعلى الاصوات في تأييد صدام حسين . . . . ولا اظن انه منذ ان اخترعت الكتابة توفر نص فيه هذا القدر من الجهل بالتاريخ والجغرافيا والسياسة مثل هذا النص : « ان امريكا تفضل توحيد كل النفط العربي في دولة واحدة قوية بسياسة بترولية موحدة (!!!) و امريكا ترى ضرورة فصل الاماكن « المقدسة » في « نجد » والحجاز عن اماكن الثروة في المنطقة الشرقية وان الاحتمالات هي تغيير من داخل الاسرة يكتفي فيه ابناء سعود بالولاية على اماكن الحج والعمرة وعلى اقليمي نجد والحجاز ويتم ضم المنطقة الشرقية الى دويلات الخليج في كيان واحد متماسك . . » الخ هذا الخبل [٦]..

وبالطبع اشرنا الى موقف الاستاذ هيكل وكتاباته « الثورية » المؤيدة لصدام ونبوءاته عن التغيير الذي سيحدث في الخليج . . ولا ادري كيف يستبشر عربي أو مصري بتغيير بدايته احتلال والغاء لبلد عربي ونهايته تحرير يتم بحراب نصف مليون امريكي . . ولكن هيكل يبشرنا بأن « الوضع لن يعود الى ما كان عليه . »

ونشرت الاهالي مااستحت الاهرام ان تنشره من كتاب محمد حسنين هيكل «الانفجار» وهو الجزء الذي يهاجم فيه السعودية التي كما قال «استعانت بتجار السلاح والمخابرات والبترول واسرائيل لمواجهة عبد الناصر في اليمن وتحدث عن استعانة فيصل بالامريكان الى حد اشتراك الطيران الامريكي في خلع الملك سعود»![٥٧]

وهو جهل بالطبع فقد كان الامريكان مع عبد الناصر في بداية حرب اليمن .. ورفضوا كل طلبات فيصل .. (انظر كتابنا ثورة يوليو الامريكية .. الممنوع من التداول في المملكة!)

وقد امتد تدمير الاعلام المصري الى مستويات خطيرة فنجد كاتبا في مكانة وقرب الاستاذ انيس منصور من السلطة يشهد بأن الرئيس المصري قد اهان الشعب المغربي وليس فقط النظام المغربي.. !!قال« احس الملك الحسن ان الرئيس مبارك قد اهانه واهان الشعب المغربي في حديث له مع احدى الصحف الفرنسية فسحب سفيره ثم نقله الى السعودية [٥٨] -السبب الثاني ان مصر استقبلت وفد الجمهورية الصحراوية رسميا وفي ذلك اعتراف بها فانسحب الوفد المغربي من المؤتمر الافريقي بالقاهرة».[٥٩] (!!!!!) بالنسبة للدولة المصرية كان مسلكها لا غبار عليه .. فقد حاول الرئيس ومستشاروه تجنب الحرب وحاول الرئيس بالذات تحذير الرئيس صدام الى الحد الذي كاد يفشي فيه اسرار المخطط الامريكي .. فما اكثر ما صرح الرئيس مبارك : « ان العراق سيكون الخاسر الاكبر في الحرب وسيموت عدد كبير من العراقيين .» وفي خطابه في عيد العمال قال الرئيس مبارك : « انه بعث لصدام ينصحه بالانسحاب فورا أو اعلان نيته في الانسحاب قبل الهجوم الجوي « فنشني » ثم قبل الهجوم البري نصحه بالانسحاب فورا» . . .

وكتب مصطفى الفقي المستشار للرئيس مبارك يقول : « الحل العسكري لأزمة الخليج ليس في صالح الأمة العربية واكد انه ليس في صالح مصر الخيار العسكري وان الرئيس مبارك يحذر من الحل العسكري ومخاطره الجسيمة على الأمة العربية ، وقال لن تكون مصر كما كانت حامية للذات العربية وبعيدة عن المصالح الشخصية وهذا لا ينقص من مفهوم القومية العربية»[٦٠]

وقد حاولت مصر تطويق صدام حسين بالجامعة العربية ومواجهته بقرار جماعي من الدول العربية يطالبه بالانسحاب الفوري لقطع خط الرجعة على مؤامرات التدخل الاجنبي ومضاعفاته.. ولكن المفاجأة كانت في مجلس الجامعة ، إذ رفضت تسع دول فيه التصويت على الانسحاب

واقرت فعليا احتلال بلد عربي لبلد اخر عضو في الجامعة بل وتربطه علاقات طيبة بكل الدول التسع !.. ولقد شرحنا سر هذا الموقف المذهل. .واشرنا الى انه كان في اطار السيناريو الامريكي.. ولعب دوره في تطويق جهود مصر .. واغراء صدام بالبقاء وادعاء انه يحتل الكويت باسم الأمة العربية أو على الاقل نصف العرب ! ورفض العراق باصرار وبمنهجية اي حديث في موضوع الانسحاب.. ويمكن ان نضيف هنا ان منع الحل العربي وفرض الحل الدولي كان يتطلب تمزيق صورة الجامعة العربية امام العالم وهلهلة موقفها، ابتداء من استقالة امينها العام ورفض نقل المقر واحتجاز الملفات والالتزامات المالية ، إلى استقالة مندوبها في واشنطن وظهوره كل يوم ثلاث مرات على التليفزيون الامريكي معلنا انهيار الجامعة العربية وسقوط فعاليتها لكي يخفت اي صوت اوربي يحاول نقل القضية للجامعة . ولما قضى يعقوب حاجته ، اذا بهم يحضرون اول اجتماع للجامعة العربية بعد الحرب بالاجماع لم يتخلف منهم واحد .. واذا بهم جميعا يقبلون ويقررون عودة المقر الى دار المقر .. ويؤيدون ترشيح مصري لمنصب الأمين العام.. وسبحان مجمعهم ومفرقهم .. على اية حال هذا مؤشر على ان الولايات المتحدة تريد الجامعة لأمر ما بعد انتهاء مسرحية الخليج .قولوا خيرا ..

و يشير الرئيس مبارك الى ما اسهبنا فيه عن التهديد العراقي للمملكة واستفزازها بهدف دفعها دفعا لطلب الحماية العسكرية ..

وفي خطابه امام البرلمان قال الرئيس مبارك :« كنا نحبذ أن يتم التوصل الى حل للمشاكل المتصلة بالغزو العراقي في اطار عربي . غير ان هذا الامل تبدد بسبب غموض الموقف العراقي القائل أان ضم الكويت للعراق هو اجراء نهائي لا رجعة فيه ولا تنازل عنه ولا تفاوض بشأنه وهو ما قطع الطريق على جهود الوساطة العربية وجعل السعي لحل عربي أو اسلامي أو غيره امرا غير ذي موضوع .وكان هذا هو موقف العراق النهائي الذي ابلغ الينا والى الاقطار العربية الاخرى رسميا بواسطة وفود عراقية عالية المستوى اخرها الوفد الذي مثل العراق في مؤتمر القمة العربي الطارئ ، وكرر الوفد العراقي لي العبارات القاطعة وهي ان العراق ليس مستعدا لأي مراجعة في هذا الاجراء وكان الكلام واضحا وقاطعا .وجاء هذا الموقف مخيبا لامالنا ومناقضا للرجاء الذي بعثت به لصدام .وزاد الطين بله ان العراق صعد تهديده للاقطار الخليجية ، في نفس اليوم الذي انعقد فيه

المؤتمر، بشن هجوم اعلامي فظيع محموم على المملكة السعودية على نحو يماثل ما اتبع مع الكويت تماما بلهجة يمتزج فيها التشهير بالتهديد . ولم يكن من الممكن والحالة هذه ان تتفادى سير الامور على النحو الذي سارت فيه .. ولم تسمع إلا الآن ان العراق لم يمنعه من الانسحاب سوى الاداة العربية . «وقال انه بعث فرقتين للسعودية البلد العربي الشقيق للدفاع عن هذا القطر العربي العزيز والبلد الامين الذي ربطتنا به دائما اوثق الروابط . وسوف نظل حافظين للعهد، نتضرع لله ان يلهم القيادة العراقية الصواب .»[٦١]

وتصدت مصر لحملة التهويل في قوة العراق والتي كانت تهدف من ناحية للتغرير بالعراق ومن ناحية اخرى لتبرير الضرب الوحشي الذي كان مبيتا ضده ، والذي نفذ بافراط لا مبرر له ولا غطاء إلا اسطورة الجيش الرابع أو السادس في العالم (اختلفت الروايات !) وبينما كانت صحافة العالم كله بما فيها الصحافة المصرية التي مع والتي ضد تتحدث عن قوة صدام المهولة بدا صوت الرئيس مبارك نشازا وهو يبدي دهشته من هذه المبالغة .. ثم تبين انه وحده كان الصادق .. واذا كان تنبأ اللواء محسن الحلبي ان القوات العراقية ستنهار خلال ايام من قيام الحرب »[٦٢] جاء بعد الضربة الجوية.. فإن توقعات الرئيس مبارك سابقة بكثير على فضيحة القوات العراقية عند المواجهة العسكرية .

وكان موقف مصر واضحا من ضرورة حماية الكيان العراقي ومنع تمزيقه ورفض محاولات اخافة مصر أو اغرائها بإزالة المزاحمة العراقية ..وان تكن خالفت الموقف الامريكي في انها حرصت على العراق وليس على صدام حسين .. بصرف النظر عن تصريحات بطرس غالي !

صرح بطرس غالي وزير الدولة المصري للشئون الخارجية « ان قلب صدام حسين ليس من اهداف التحالف وتعهد بالعودة الى التعاون مع العراق عندما تغادر قواته الكويت.. وقال ان مصر تعايشت مع القدرة العسكرية العراقية قبل غزو الكويت وتستطيع ذلك مرة اخرى وان اي تغيير في العراق يجب ان يتم بارادة العراقيين »[٦٣]

« ونقل عن مصدر مصري مسئول ان مصر لن تؤيد اي مجهود امريكي خلف التفويض الذي حددته الامم المتحدة لتحرير الكويت واكد ان القوات العراقية يجب ان تبقى سليمة لكي تحفظ التوازن في المنطقة في مواجهة ايران . »[٦٤]

وفي البداية كان الموقف المصري المؤيد للولايات المتحدة رصيدا اضيف لحساب القضية الفلسطينية، وأدى لهبوط اسهم تل ابيب في البورصة الامريكية، وبدأ البعض يقول ما حاجتنا لإسرائيل اذا كانت كبرى الدول العربية معنا . . وراحت مصر تتحسس نبض الادارة الامريكية من اجل تشجيعها على تسوية مرضية للقضية الفلسطينية بعد الحرب . . ولكن . . وكل تاريخ العرب تعترضه لكن هذه . . جاءت صواريخ صدام تنسف هذه الجهود وتفجر الحب الدفين لاسرائيل في قلوب الامريكيين : « وقبل ان عصمت عبد المجيد طلب ان تضغط امريكا على اسرائيل بعد الحرب للتنازل في سبيل تسوية فلسطينية اسرائيلية ونقل عن مصدر عربي قوله «ستتعرض لضغط كبير اذا لم تجد حلا سريعا للصراع العربي /الاسرائيلي بل ستصبح في نظرالجماهير العربية عملاء الاستعمارالذين قتلوا الشهيد العظيم كما سيصبح صدام عندهم» وقالت الصحيفة. .ان بوش لم يعط عبد المجيد اية وعود . . وقالت ان مصر والدول العربية التي انضمت لامريكا كانت تتوقع ان يعطيهم اشتراكهم في التحالف ميزة عند انتهاء الحرب تمكنهم من مطالبة حكومة بوش بالضغط على اسرائيل للقبول بمؤتمر سلام للشرق الاوسط أو خطة سلام اخرى ولكن بعد ان سقطت صواريخ سكود على تل ابيب وحيفا وارسلت القوات الامريكية للدفاع عن اسرائيل لأول مرة لم يخف المسئولون الاسرائيليون اعتقادهم بأن ضبط النفس الذي تحلوا به قلب المائدة على العرب فالرأى العام الامريكي الآن اكثر اهتماما بالخطر الذي يواجه اسرائيل والادارةالامريكية تحس بأنها مدينة لاسرائيل »*[6]

وقد اثار الموقف المصري ، والحب الذي تفجر في دول الخليج ، نحو مصر وشعبها واحتمال عودة المصريين لشغل مكانهم الطبيعي في دول الخليج . .رعب المرتزقة الذين اغتصبوا مكان المصريين بفضل التخريب الناصري ومؤامرات الانجليز واسرائيل ثم الامريكان . . وخلال سنوات العداء لمصر استثمروا هذا المناخ ونهشوا في لحم المصريين. قطيع المثقفين من غير المصريين الذين فرضوا على دول الخليج وجودهم واستنزفوا ثروة الخليج رغم انهم لا تربطهم بالخليج لا عاطفة ولا دين ولا خلق ولكنه حلف عجيب شاذ بين اعداء ما لصداقتهم مبرر الا الزعم بمواجهة مصر الناصرية ثم مصر كامب ديفيد ، ولم يكن لهذا القطيع من هدف إلا انتزاع لقمة العيش من المصريين. . هذه العناصر هبت مذعورة تحاول تخريب العلاقة الجديدة واستفزاز المصريين أو الدس

عليهم بالتشكيك في موقفهم وجدية تأييدهم للمملكة ضد العراق . . ومعروف تاريخ جريدة الحياة وعلاقتها بحلف بغداد ونظام نوري السعيد والمخابرات البريطانية وكيدها لمصر في عهد عبد الناصر . . و هي صحيفة يملكها شيعة ويحررها مسيحي فلا تربطها بالمملكة صلة من قريب أو بعيد ولكنها ادعت مساندتها للمملكة ضد عبد الناصر . . ولم تكن تقف هذا الموقف حبا في دولة الوهابيين بل بغضا في مصر العربية السنة حتى ولو كان يحكمها عبد الناصر . . واذا كانت مخابرات عبد الناصر قد اغتالت صاحبها فقد دفعت المملكة دية لبنان كلها للمتاجرين باسمه . .

وقد عادت الحياة في ثوب جديد قبيل أزمة الخليج ولكن رئيس تحريرها لم يفته ان يقف في الحفل الذي حضره زمرة من الناصريين ووزير اعلام يدين بتاريخه لعبد الناصر ولكنه وقف يسمع صاحب الحياة الجديد يقول قولة جورو فوق قبر صلاح الدين [٦٦]: ها! قد عدنا ياعبد الناصر . . هذه الصحيفة اتخذت لأسباب غير واضحة موقف الدس والتشكيك والتأييد لصدام حسين . . وقد حاولت ان تغمز موقف مصر المؤيد للمملكة وانه كان موقفا مأجورا.. فعندما اعلن اعفاء مصر من بعض ديونها خرجت بعنوان يقول :« ثمن المساعدة المصرية والسورية . . . » وقد وصفنا العنوان وقتها بأنه خسيس جدير بصحيفة عراقية وليس صحيفة سعودية التمويل بالكامل ! وقلنا: «والمعروف ان الصحافة المصرية والعربية هاجت على الاذاعة البريطانية عندما استخدمت لفظ ثمن في الحديث عن الدعم أو المعونة المقدمة لمصر . . . وكلام الوزير الامريكي الذي نشرته الحياة ليس فيه أية اشارة الى ثمن بل قالت« واكد بيكر مجددا على اهمية اعفاء مصر من ديونها العسكرية وقال ان ذلك مهم جدا من اجل نجاحنا في الخليج — . . . ولا حظ ان الاعفاء لن يزيد في اعباء امريكا لانها ديون لا يمكن تسديدها » واذا كان يمكن التخابث بحكاية الديون للحديث عن ثمن امريكي للموقف المصري فما الذي زج بسوريا . . حتى تتحدث « الحياة » عن ثمن المساعدة السورية فالعبارات المنقولة من حديث الوزير عن سوريا لم تشر الى مساعدة امريكا لسوريا بل العكس » (١٠/٢٠)

وعندما تنشر الصحف « ان الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز قائد القوات الدولية اعجب بقدرة الجيش المصري على البقاء خلف خطوط العدو . . وشاهدهم وهم يأكلون الثعابين حية» [٦٧] تغتاظ صحيفة « الحياة » من ثناء الأمير خالد على القوات المصرية ودور مصر وعلاقة المملكة مع

مصر فتنشر تعليقاته على هذا النحو : «واكد ان مصر هي في قلب كل سعودي كما ان السعودية في قلب كل مصري(٠٠٠) ٦٨ فقد اعقبت هذه الجملة بالنقط بين القوسين وهي اصطلاح يعادل قولهم في الانجليزية (SIC) واعتادت الصحف اللبنانية بالذات استخدامه للدهشة أو السخرية أو ان الكلام لا يصدق ، أو على ذمة قائله!!

وقد اشرنا في فصول الكتاب الى محاولاتها للدس على مصر ويمكن الرجوع اليها وكان اخرها هو الترويج ان مصر تحاول استصدار قرار بوقف اطلاق النار دون انسحاب عراقي وتسبت ذلك الى مصدر مصري رفيع ٠٠ ولم تحدده رغم خطورة ما قال وتوسعها في نشر ماقال، فهو يتنافي مع خط الجبهة المتحالفة :« مصر تسعي لوقف اطلاق النار عبر قرار لمجلس الامن ٠٠٠ تسلم غالي رسالة عاجلة من يوسف بن علوي وزير الخارجية العماني نقلها اليه امس السيد عبدالله بن حمد سفير السلطنة في القاهرة وصفتها الدوائر الدبلوماسية في وزارة الخارجية بأنها تتعلق بالجهود الرامية لانقاذ العراق والمنطقة من الدمار ٠ وصرح مصدر رفيع للحياة ان مصر تسعى الى اصدار قرار دولي بوقف اطلاق النار وجلاء العراق عن الكويت داخل الاطار العربي من خلال مبادرة عربية وبدعم اقليمي ودولي وهي تجري في هذا الصدد مشاورات على مستوى عال مع عدد من العواصم العربية لمحاولة الوصول الى موقف عراقي ايجابي، حتى يمكن توفير النجاح للجهود العربية الرامية الى وقف النار. وقال المصدر ان مصر حريصة على العراق وشعبه وقدراته العسكرية والاقتصادية واستمراره احدى ركائز القوة في النظام العربي ، مؤكدا ان استمرار الخسائر في الجانب العراقي والاضرار التي تلحق بالأمة العربية ،اكبر من اي خلاف في وجهات النظر٠»٦٩

وقد كذب الرئيس مبارك كل ما اشيع عن محاولته وقف اطلاق النار وما دبجته الحياة على لسان مجهول رفيع ٠٠ فقال ان انسحاب العراق من الكويت شرط لايقاف اطلاق النار واقناع المجتمع الدولي بوقف الحرب٠٠ مصر دولة رائدة بالمنطقة لا تستطيع إلا أن تكون مع الشرعية وموقفها من احتلال الكويت ثابت لن يتغير ٠٠ بدون الانسحاب لن تستطيع اقناع المجتمع الدولي بوقف الحرب ولا تستطيع اليوم ان تعلن مبادرة لوقف اطلاق النار ومن الذي سيسمع لهذا الكلام ومن الذي سيقبله وموضحا ان وقف اطلاق النار وبقاء القوات العراقية في الكويت سيكون مخالفا لقرار مجلس الامن ٠» ٧٠ «مصادر الخارجية المصرية تفت التكهنات بأن مصر تتحس

احتمالات وقف اطلاق النار لتسهيل انسحاب العراق من الكويت عبد المجيد قال للسفير الجزائري إن مصر تصر على الانسحاب الكامل وغير المشروط .»[٧١]

كذلك لوحظ الحاح من الصحافة الغربية على ضعف الوضع في مصر وان الحرب اذا استمرت فسينهار الموقف المصري وسيسيطر انصار صدام أو الاصوليون على الشارع..

وقد كتبت الواشنطن بوست تتنبأ بمتاعب خطيرة في مصر وللرئيس مبارك اذا ما طالت الحرب قالت :« اذا انتهت الحرب كما كان متوقعا(ضربة سريعة حاسمة) بحكم التفوق التكنولوجي فان مصر ستكون الرابح الاكبر اما اذا انقلبت الى حرب مريرة يقتل فيها الالوف من العرب فان مبارك ومصر يمكن ان يدفعا ثمنا غاليا .. وعاصفة من الوطنية يمكن ان تزعزع الوضع في مصر.»[٧٢]

واذا كانت حملة التهويل في الصحافة الامريكية حول نتائج تدمير العراق وامكانية تفجر الثورة الشعبية في العالم العربي والاسلامي ، اذا ما تهدد العراق خطر التمزق أو انهار النظام فيه . اقول اذا كانت هذه الحملة مقصودة لتبرير الاتفاق الامريكي الصدامي أو الاستراتيجية الامريكية بحماية نظام صدام واطلاق يده في الفتك بالشعب العراقي لمنع قيام نظام شعبي عربي اسلامي .. فإن ردة الفعل العربية والاسلامية للتدمير الوحشي الذي انصب على الشعب العراقي ولم يصب الطاغية ولا أحدا من اعوانه وآله بسوء .. كانت غضبية طبيعية وقد اضرب حوالي ثلاثمائة من الصحفيين المصريين وبعضهم لا يكن حبا لصدام ولكن رفضا للمذبحة ..واكثر من ثلاثمائة صحفي مصري اضربوا امس للاحتجاج على التدمير المنظم والمستهدف للعراق من قبل الحلفاء.. المحتجون كان بينهم عدد من العاملين في الصحيفتين الحكومتين الاهرام والاخبار .. قالوا ان شعورهم هوان موقف الرئيس مبارك مع بريطانيا وامريكا قد يقضي عليه .ونقل عن محررة في روزا اليوسف « لا يمكن ان نقف مكتوفي اليدين وبلد عربي يفتت بالقنابل ، وخاصة من قوات الغرب الذين ليس لهم دخل في القضية .. انا اكره صدام ولكن ما يحدث الآن لا يمكن لعربي ان يؤيده ..العراق اصبح رمزا لكرامتي العربية انكم تدفعوننا لحب صدام .. ممثل الاخوان قال ان ما يجري الآن هو ابادة دولة عربية وليس تحرير الكويت.. اذا دمر العراق فهذه كارثة ستبقى لسنوات.. يقال ان مبارك بعث عبد المجيد ليؤكد للامريكان ضرورة انهاء الحرب سريعا واذا كان

ذلك متعذرا فبذل الجهود لوقف اطلاق النار . »[73]

وبينما اهتم العالم كله بمأساة اليمنيين الذين الغت المملكة اقامتهم بأن طالبتهم بنفس شروط الاقامة التي تطلب من المصْري والسوري وسمح لهم بالمغادرة بكل ما يملكون لا نجد احدا يهتم كثيرا بمأساة المصري في العراق والكويت . .

وقد كتبنا وقتها : « من ابناء المصري بائس العرب ان العراق « مازال يمنع خمسمائة مصري من عبور الحدود للاردن ويبقيهم بلا طعام ولا ملجأ في منطقة قارصة البرد وقالت صحفية سودانية ان المصريين على الحدود العراقية هم اخر من يقدم لهم الطعام» [74]

وتحت عنوان « المصري اول من يقتل واخر من يأكل » نقلنا ما كتبته صحيفة لوس انجلوس تايمس :

«الاف من العمال المصريين من الذين سمح لهم العراقيون اخيرا بمغادرة الحدود يوم الاربعاء لا يستطيعون دفع اجرة الشاحنة واسوأ من ذلك ان هؤلاء المصريين اجبروا على الجلوس في البرد القارس والمطر عند نقطة الحدود العراقية المعزولة التي تدعى «طربيل» لاكثر من اسبوع . وقد عمل النظام العراقي على استبقاء المصريين وحدهم في هذه الظروف بسبب انضمام بلادهم للتحالف فكانوا اخر جنسية يسمح لها بالعبور الى الاردن، واكدت معلومات اللاجئين ان خمسة مصريين قد تركوا ليموتوا بردا وجوعا ، ثلاثة اطفال وشخصين بالغين ، بينما سمح العراقيون للمواطنين من جميع الجنسيات بالسفر . وقال القادمون ان امرأة مصرية جاءت تصرخ للحراس :ابني يموت. . خلونا نمشي من هنا . . فضربها الحارس . واشار مصري الى كدمة في جبهته وقال : طلبت بعض الماء فضربني بماسورة المدفع الرشاش هنا . وقال اللاجئون لقد حجزونا عشرة ايام في طربيل في البرد القارس ويلقون لنا بقطعة خبز مرة في اليوم يقذفونها على الارض كالكلاب» . ويبدو ان قطعة الخبز هذه جاءت انتصارا لكفاح المصريين فقد قالوا: «العراقيون عاملونا بسوء جدا في الايام الاولى تركونا بلا طعام كانوا يقدمون الطعام للفلسطينيين والاردنيين فقط فاضربنا ورفضنا طاعة اوامرهم . خالد عثمان قال الحكومة العراقية كانت تريد المصريين ان يموتوا في طربيل ». (لوس انجلوس تايمس ١/٣١)

«واذاع الاتحاد العام للعمال المصريين ان العراق يمنع اكثر من نصف مليون مصري من مغادرة

العراق وصادر جوازات سفرهم واجبرهم على العمل في الخدمات المدنية والاعمال المساعدة للجيش العراقي وان العراق مدين للعمال بالمصريين بمليارات الدولارات.»[35]

وقد علقنا يومها : « نشرت جريدة القدس الموالية للعراق بيان اتحاد العمال المصري بكل دقة ، وإن قدمت بالطبع النفي العراقي وجعلته في العنوان ، لكنها لم تعلق . اما الغريب فهو تجاهل الشرق الاوسط والحياة للبيان .»[36]

ونحن نكتب ذلك الآن اعلن الرئيس مبارك قرارا مفاجئا جدا بسحب القوات المصرية من المملكة والكويت !

وقال مصطفى امين انه يظن ان السبب مالي ! [37]

ولست احب ان افرغ من حديث الموقف المصري دون ان اثبت شهادة للتاريخ لصالح الرئيس مبارك .. يزيد من اهميتها انها على لسان الاستاذ عادل حسين .. ففي واحدة من مقالاته التي هاجم فيها السيد الرئيس بتاريخ الثامن من يناير ١٩٩١ اي قبل اسبوع واحد من تحقق كل ماقاله السيد الرئيس وأيده عليه الناطق باسم حزب العمل..! قال : « ما معنى ان يقول الرئيس في هذه اللحظات الحرجة « المواجهة الدامية هي غير متكافئة بكل المقاييس » .. واخشى ان تقترب من جحيم لا يرحم ومن ايام رهيبة ان كل ما يفعله العراق لن يمنع مصيرا تشيب فيه الرءوس وتتقوض المدائن وتتناثر اشلاء الضحايا في بحور الدماء الفتاكة واسمح لنفسي ان اكرر وبأعلى الصوت ان الموقف أخطر مما يمكن أن تتخيله أية توقعات » ما معنى ان يوجه الرئيس مبارك هذا الكلام لشعب العراق وجيشه ؟ هل يخدم هذا الكلام مخطط الحرب النفسية التي تشنها الولايات المتحدة ..؟ ثم اننا نذكر ان الرئيس قطع الارسال الاذاعي والتليفزيوني في مناسبة سابقة (٢١ اغسطس) لكي يوجه نداء خالصا لوجه الله، وقد ناشد في هذا النداء الرئيس صدام ان ينقذ الانسان والكيان في عالمنا العربي من حرب مدمرة تأكل الاخضر واليابس لا يعلم الا الله كيف تكون النهاية المفزعة اذا بدأت . وقال انه يناشد «الرئيس صدام حسين ان يتخذ القرار بانسحاب القوات العراقية من ارض الكويت لكي تعود الاوضاع الى ما كانت عليه .. انني اتوجه اليك بهذا النداء في هذه الساعات الفاصلة الحاسمة الصعبة وكلي ثقة انك ستستجيب اليه »

ثم يبدأ المتحدث باسم حزب العمل يقرع الرئيس فيقول : « حين صدر هذا البيان الأول تصور

كل من استمع اليه ان الحرب ستنشب على الفور .. ولكن وبعد مرورأشهر خمسة بدون قتال وبدا أن الامريكان اوصلوا الى الرئيس معلومات مضللة دفعته الى اصدار بيانه. وقد ردت القيادة العراقية ايامها بأن الرئيس مبارك كان يشارك في الحرب النفسية ضد العراق فلم تصدقها ، ولكن ماذا تقول الآن بعد صدور البيان الثاني ؟ ان الايام تمضي مرة اخرى بدون قتال . بل تكثفت الاتصالات وغمحت في تدبير لقاء للمفاوضة فهل يعقل ان يضلل رئيس الدولة مرتين ؟! » حرفيا

لا حاجة للاجابة على هذا السؤال ..و وانما اطرح على كل مصري سؤالا آخر : بربكم من كان مع شعب العراق .. النذير المشفق الصادق في ما انذرهم به .. ام صدام الذي اصم اذنيه جهلا أو عمدا.. وحزب الشعب الذي ضلل العراقيين واوهم امتنا ان العراق ند لامريكا وما حشدت ..؟!

سوريا .. المفاجأة المحسوبة !

كان لابد أن تقف سوريا مع الولايات المتحدة .. **فوقفت ..!**

لو اتخذت سوريا موقعها المتفق مع مماحكات العشرين سنة الماضية وتشنجات الكامب وسب مصر وامريكا .. لحدث اضطراب لا داعي له :

أولا .. كان من الممكن أو حتى من الضروري أن يعيد العراق ضخ النفط عبر سوريا فيفشل الحصار الاقتصادي أو تضرب امريكا سوريا والعراق معا مع ما للذلك من **مضاعفات .**

ثانيا .. كان من الممكن أن يتوتر الجو بين سوريا واسرائيل في لبنان أو الجولان أو بسبب نشاط فلسطيني **مع ما للذلك من مضاعفات .**

ثالثا .. باعتبار الدور المرسوم للأردن لم يكن من مصلحة التحالف قيام هلال خصيب «نوري» .. من العراق والاردن وسوريا .. مما يشكل ضغطا على السعودية ، واسرائيل، ومصر **مع ما للذلك من مضاعفات .**

رابعا .. كان يجب وجود قوة عربية مراقبة ورادعة وجاهزة للتحرك إذا أفلت زمام الفلسطينيين من الملك حسين .وقد أشرنا إلى ذهاب مضر بدران رئيس وزراء الاردن إلى دمشق في عنفوان اختلاف البلدين ووقوفهما في معسكرين متعادين من الناحية العلنية. وقلنا إن الرحلة كانت لضمان حصول الملك على مساندة سوريا اذا تمرد الفلسطينيون أو تجاوز العراق الخط ودخل الاردن .. ولاشك ان مساندة سورية في هذه الحالة أفضل من مساندة اسرائيلية .. ولعل هذا الدور المحجوز لسوريا .. يفسر بعض الشيء الشائعات التي كانت تروج عن موقفها وتحفظاتها إزاء الموقف الامريكي فلما جد الجد ودكت العراق قالت جريدة البعث السوري: «لا يجوز ذرف الدمع على هذا النظام الذي اغلق عينيه وأذنيه في مواجهة دعوات اشقائه العرب. »[٧٨]

«وفاجأت الطائرات الامريكية القواعد العراقية في الغرب بهجوم غير متوقع بعدما سمحت سوريا لها بالتحليق في الأجواء السورية لمفاجأة صدام .» CNN وكان الامير خالد بن سلطان قد فتش القوات السورية عشية الحرب ووجد كل شيء على ما يرام : ونقلت الواشنطن بوست تفتيشه على القوات السورية «التي كانت قد رسمت بالاحجار عبارات تقول الله اكبر لقد جئنا

إليكم ونحن منكم .. النصر لأمة العرب ..وقال الأمير خالد للجنود السوريين نحن لسنا ضد شعب العراق ولا جيش العراق ولو أعتدي عليهم لهرعنا لنجدتهم ولكن اذا ضللهم حاكمهم فلا خيار لنا إلا التصدي له ومقاتلة جنوده . ولما سئل اذا كان السوريون سيرفضون قتال العراقيين قال ان ذلك غير صحيح ..»[79]

ولا شك ان المؤرخ الجاهل سيقف طويلا امام ما يبدو ، وكأنه من العجائب ومحاسن الصدف مثل إقدام مصر وهي عضو في تنظيم مع العراق والاردن واليمن على تحسين مفاجئ في العلاقات مع سوريا قبل ظهور أزمة الخليج . وهذا التحسن في العلاقات كان من عوامل استفزاز العراق وتحرشه بمصر في مؤتمر بغداد الأخير .. وبدا التحرك المصري وقتها والاستجابة السورية أمورا غير مفهومة، ولكنها كانت ضرورية ولو بالمصادفة (!!) لنجاح سيناريو هذه الأزمة .وكذلك التصفية العجيبة في لمح البصر للجنرال عون الذي تدعمه العراق والذي شغل لبنان عامين وسقط في ساعتين بفعل ساحر .. ! اما دول الخليج فتمثلت بشعار: عدو ما من صداقته بد .

على أية حال ان الرئيس السوري الذي اعتاد ان يخرج من جميع أزمات المنطقة بحصة الأسد . يمكن أن يسجل حتى الآن اطلاق يده في لبنان ، والدعم المالي الذي حصل عليه وما سيحصل عليه من دول الخليج .. وتحسن العلاقات مع امريكا وبداية الحديث عن الجولان ،ولو أن شامير لخص المفاوضات المنتظرة بقوله « سنجتمع نحن والسوريون وسيقولون هاتوا الجولان وسنقول لهم لن نعيدها إليكم .. وهذه هي المفاوضات .. » ويمكن للذين يسيئون الظن القول بأن اشتراك سوريا في الحرب إلى جانب دول الخليج كان مطلوبا ايضا لموازنة الحضور المصري ومنعه من التحرك منفردا في الخليج .

وكان دافيد هيرست قد قال : «إن روح الانانية تتفشى في دول الخليج وقال ان هذا الاحساس أقوى في الجمهور منه عند الحكومة . والسعوديون لا يخدعون انفسهم حول عواطف المصريين الذين دخلوا الحرب لإسقاط الديون . ويقولون إن العاطلين المصريين سيحلون محل اليمنيين. والسعوديون رشوا الأسد لكي يتغاضى عن المؤامرة الامريكية التي يصرخ محذرا منها عند كل منعطف . وقال مسئول سعودي نحن نعرف الاسد الذي استأجر ايرانيين لقتل دبلوماسيينا ولكن نحن نحتاج قواته لستة شهور ومن ثم ندفع له وبعدها كل في طريقه ..» [80] وقد كان .

وبينما استجابت مصر على الفور لقرار التفتيش رفض الأسد ان يعامل كشاهد الزور يذهب للمحكمة في مرسيدس ويرجع ماشي فقد اعلن تصميمه على حماية امن الخليج على داير المليم ..
ومازال سفر العجائب مفتوحا.

الباب الرابع

... وعز المغيث ...

الفصل الحادي عشر

أوربا ٠٠ الحرب كانت ضدها ٠٠!

اشرنا إلى المواجهة الامريكية / الاوروبية وإلى قلق امريكا من الوحدة الاوروبية التي أصبحت تشكل هي واليابان عملاقين اقتصاديين يهددان باختصار الاقتصاد الامريكي المنهوك القوى بينهما ، وقلنا إن من أسباب الموافقة الامريكية على اتحاد ألمانيا ، هو توقعها نسف الوحدة الاوروبية من الداخل ، من ناحية بإرباك ألمانيا اقتصاديا لما ستكبده من تكاليف إنهاض أو إعالة نصفها الشرقي المخرب اقتصاديا ، ومن ناحية أخرى لأن ألمانيا الموحدة ستثير مخاوف الدول الاوروبية من سيطرة ألمانيا «العظمى »

الهدف الأول يبدو انه تحقق واهتز المارك الجبار تحت وطأة ما تنفقه ألمانياالغربية في بالوعة اقتصاد ألمانيا الشرقية ، وزاد الطين بلة الاتاوة التي فرضها الباب العالي الامريكي على الألمان والتي كان لابد ان تغطى بزيادة الضرائب مما جعل كول يخسر الانتخابات في معقله ٠ وسجلت مجلة امريكية مغتبطة متاعب ألمانيا المالية فقالت :«ألمانيا تحولت من دولة مصدرة كبرى إلى مستوردة كبرى ، واستدانت في العام الماضي ٦٢ بليون دولار مما ألزم البنك المركزي برفع سعر الفائدة ، ويمكن ان يتجاوز العجز في ١٩٩١مبلغ ٩٠ بليون دولار حتى ان البعض اقترح في الاسبوع الماضي ألا تدفع الخمسة بلايين ونصف بليون التي تعهدت بها لأمريكا[1] (هذا هو القسط الثاني ج)

على الاقل احتجت ألمانيا واليابان على الدفع بالسعر الجديد للدولار٠٠ وناقشنا مدى الدقة في تقدير الولايات المتحدة لتكلفة حملة الخليج وهل تقدم امريكا بيانات حقيقية ام تحاول ان «تختصر» حفنة بلايين٠٠ وكيف يحاسب المتعهد الأمريكي على اساس التكلفة التي كانت مقررة قبل الحرب مع ان الحرب انتهت بمفاجأة استسلام العراق بثمن بخس وفي ايام معدودة ؟!

«وزارة المالية الالمانية اعلنت في بداية هذا الشهر انها تريد اعادة النظر فيما يجب ان تدفعه على ضوء التكلفة الحقيقية للحرب ٠» «وقد اضطر المستشار لزيادة الضرائب وادعى انها ثمن الوحدة٠ والمعارضة تصوره كدمية يسمح للولايات المتحدة باستغلاله لكي يدفع نفس المساهمة التي وعد بها

حتى ولو ان الحرب تكلفت اقل »[2]

« اليابان اعلنت في يناير انها ستدفع ٩ بلايين دولار لتمويل حرب الخليج وتقرر المبلغ على اساس ١٣٠ ينا للدولار ولكن السعر الآن ١٣٩ ينا للدولار ، وفي ألمانيا قال وزير الخزانة إن ارتفاع سعر الدولار سيزيد الدعم الالماني ٢٥٤ مليون دولار وسيرفع المساهمة من ١٧.٦ بليون مارك إلى١٨.٣ بليون مارك .»[3]

ولكن الباب العالي لم يتزحزح ولا رق قلبه ، بل اصر على الدفع بالكامل وبالسعر الجديد للدولار ..« اكد بوش ان تكلفة الحرب لن تكون اقل من التقديرات الاولية وقال وزير المالية الالماني إن الولايات المتحدة ستقدم لهم كشف حساب تكلفة الحرب ، وقال كلما كانت الأرقام صحيحة ودقيقة فذلك يسهل توضيح الامور ليس للامريكان فقط بل وللألمان ايضا. ويقدر مجموع التبرعات التي ستدفع لامريكا ب ٥٤ بليون دولار .. وصرح بوش بقوله:آسف إن التكلفة لن تكون اقل »[4] (وفي آخر الأخبار ان اليابان قررت عدم دفع الخمسمائة مليون دولار المتبقية وفقا لحسابات خان الامريكان !)

وان كان المعلق الامريكي جيم هوجلاند قد كشف عن صراع سياسي خلف هذا القصال حول الاتاوة المطلوبة فقال : «تحت عنوان : « أيام عصيبة لبوش مع ألمانيا واليابان » قال: « ان الجدل الذي أثير حول كم تكلفت حرب الخليج فعلا ومن الذي يجب ان يدفعها ليس خلافا حول النقود بل حول النفوذ في العهد الجديد انهم يتساءلون حول ماذا سيحصلون مقابل تمويلهم لنصر عسكري امريكي مجيد.. فهم لا يمكن ان يتحولوا إلى ماكينة طبع نقود! ويقول مسئول ياباني بعض الامريكان يقولون انتم تدفعون ونحن نفكر!! نحن نستشار في المسائل الاقتصادية ولكن بعد حرب الخليج هل سنستشارأيضا في السياسة والشئون العسكرية ؟»[20] .

وكانت اليابان قد حاولت ان تتفادى هذا المأزق ولو برشوة صدام حسين فقد عرض رئيس وزراء اليابان مساعدة اقتصادية للعراق اذا جنح الرئيس العراقي لحل سلمي لأزمة الخليج وقبل ان المبلغ المعروض ٣ مليارات دولار ..

كذلك فإن الصحافة الامريكية لا تخفي توقعاتها بغزو امريكا لشرق اوروبا التي تمثل بالنسبة لألمانيا ما تمثله امريكا اللاتينية للولايات المتحدة : «تتوقع امريكا ان تلعب دورا في اوروبا الشرقية

حيث اقتصاد ألمانيا مطلوب ولكنهم لا يثقون فيها، وكذلك في شرق آسيا حيث ما زالت اليابان تثير نفس المشاعر، وفي امريكا اللاتينية ستبقى تحت المراقبة الدقيقة مادامت تعتبر الولايات المتحدة اي تدخل هناك تهديدا لأمنها.» " واحكمي وسودي.. يا أمريكا هذه المرة!

اما عن إثارة الرعب من ألمانيا العظمى فقد عبرت بريطانيا عن هذا التخوف علانية في تصريحات احد وزراء حكومة تاتشر قبل أزمة الخليج، ثم في موقف تاتشر الذي ادى لاستقالتها، وتصريحاتها التي اعقبت أزمة الخليج والمنشورة هنا. وكانت ازمة الخليج في احد جوانبها هي محاولة الولايات المتحدة تطويق العملاق الاوربي والتحكم في شريانه النفطي ومجاله الحيوي في الشرق الاوسط وما وراءه.. وقد تصيدت امريكا اضعف الحلقات وهي بريطانيا التي من ناحية - كما قلنا - ليست سعيدة بالدخول في اوروبا حيث تعلم انها باقتصادها الضعيف ستكون في المرتبة الثانية بعد ألمانيا، ان لم تكن الثالثة بعد فرنسا. وبريطانيا بحكم العوامل اللغوية والتاريخية والاقتصادية تحب ان تكون حيث تقف الولايات المتحدة، ولا يقل اهمية عن ذلك كله الارتباطات البريطانية مع دول الخليج والكويت بالذات التي كما قلنا تشكل اهمية اقتصادية لبريطانيا اكثر من ويلز أو شمال ايرلندا.. وتاريخيا كانت بريطانيا تتصرف بعصبية وحسم بالغ ضد كل صوت يرتفع من العراق مهددا الكويت. ومن ثم لم تكن بريطانيا بالتي تترك للولايات المتحدة شرف حماية الخليج أو تحرير الكويت وحدها وتستأثر بالغنيمة. وهكذا كان اللقاء «الصدفة» المريب بين تاتشر وبوش في الولايات المتحدة يوم الغزو، الذي تتزايد مصادفته عجبا عندما يتصادف أيضا ان يكون بيكر وزير الخارجية الامريكي مع شيفرنادزه في نفس اللحظة في الاتحاد السوفيتي..!. وانحازت تاتشر على الفور للموقف الامريكي ودون مشاورة مع شركائها الاوربيين، والبعض يظن انها هي التي فرضت الاستجابة السريعة وبهذه الحدة في الموقف الأمريكي.. اما على وجه اليقين فإن بياناتها العنيفة تخطت لهجة وحدود الموقف الامريكي المعلن.. وقد زعم بريماكوف ان تاتشر قالت له « بشيرة شديدة وحادة : لا يكفي انسحاب العراق بل لابد من توجيه ضربة قاصمة إلى العراق » كسر العمود الفقري لصدام حسين وتصفية كل قدرات هذا البلد العسكرية والاقتصادية إن أمكن » حتى ملكة بريطانيا لم تكن اقل تشنجا من رئيسة الوزراء فإن اسوأ ما سمع صدام في حياته هو ما جاء في رسالة الملكة في عيد

الميلاد بألفاظ من النادر ان يستخدمها الملوك فضلا عن الملكات اذ وصفته : « بلطجي طاغية لا خلاق له ». [1]

وكان الانحياز الفوري من جانب بريطانيا للموقف الامريكي ، ودون مشورة أو مشاورة مع حلفائها الاوربيين ، أول ضربة أو أول شرخ في الوحدة الاوروبية .وظلت بريطانيا معارضة ومتناقضة مع الموقف الاوربي حتى بعدما اقتضت المصلحة ان يرأس الوزارة ، رئيس وزراء اقل هيستيريا في تصريحاته، .واقل استفزازا – أو كما قالت صحيفة امريكية – رئيس وزراء اقدر على كسب تأييد اوروبا بالتخفيف من حدة العداء للعراق في حديثه ، وهو ما حاوله رئيس الوزراء « ماجور » . . وقد أثار السخرية حتى في بريطانيا ادعاء وتصرف تاتشر وكأنها قوة عظمى وذلك بالجلوس على كتف بوش والصراخ بصوت أعلى من بوش نفسه ! فانتقدت صحيفة الاندبندنت ذلك وقالت : « لقد تكلمت تاتشر في مجلس العموم وكأنها هي التي تتخذ قرار الحرب في الخليج ولكن هذا نصب واحتيال (!!) امريكا لها ٣٠٠ ألف جندي وبريطانيا اقل من ثلاثين ألفا . . فهي في تحريضها الامريكان على الحرب تهوش وتخدع نفسها كما تخدع نحن ايضا انفسنا .اذا هزمت العراق فسيكون ذلك نصرا امريكيا . . كما سيكشف حقيقة دورنا المحدود كقوة كبرى . ». [2]

ووفقا لنظرية الدومنو أو الجاذبية فإن انفصال بريطانيا عن الجسم الاوربي احدث خلخلة في الموقف الفرنسي . . فرنسا التي تبنت سياسة فصم التحالف الانجلو فرنسي والارتباط بألمانيا وحشد اوروبا من خلفهما . . هذه السياسة التي وضع جذورها بيتان ثم اكسبها ديجول صيغة وطنية تحررية ، واعطاها طابع المواجهة مع الولايات المتحدة وبريطانيا التي كانت تشكل حصان طروادة أو الذيل الامريكي في السياسة الاوروبية منذ هزيمة السويس. وقد قامت السياسة الفرنسية منذ ديجول على التحالف ثم الاتحاد مع ألمانيا وتدعيم الوحدة الاوروبية لتصدي للهيمنة الامريكية. واصبح الطابع المميز للسياسة الفرنسية هو الحرص على مخالفة الموقف الامريكي أو ما عرف بالاستقلالية الفرنسية ، وبدأ ديجول سياسته الذرية لتحقيق استقلال الدفاع الاوربي عن واشنطن تحت المظلة الفرنسية .وقد وجهت الولايات المتحدة بالتعاون مع الحركة الصهيونية ، ضربة قاصمة لهذه السياسة بمظاهرات الصهيوني كوهين التي سموها ربيع باريس والتي ادت في النهاية إلى

سقوط ديجول ونكسة في الاقتصاد الفرنسي ٠٠ثم التسليم بالزعامة العسكرية الامريكية، ولكن سرعان ما استعادت فرنسا قوتها ومضت بخطوات اسرع في طريق الوحدة الاوروبية التي كانت تريدها بدون بريطانيا لما توقعته من دور مخرب ومثبط لبريطانيا في هذه الوحدة٠٠بل ربما كانت ضربة ربيع باريس من العوامل التي ساعدت على ذوبان الحساسية من ألمانيا وقبول حتى الانضواء تحت راية المارك الخفاقة ٠ وجاء انهيار شرق اوروبا كما اشرنا في كتابنا (الروس والمسلمون) يثير المطامع والمخاوف والمنافسة بين الحلفاء الاوربيين ، وبدأ الصراع بين الاتجاه الاوربي الذي قطع شوطا مبشرا في طريق الوحدة وبين المصالح القومية التي انعشها زوال الخطر الروسي وضعف الاقتصاد الامريكي والامكانات التوسعية في دول شرق اوروبا والبلقان ٠٠وجاءت ضربة الخليج وارتبكت السياسة الفرنسية كعادتها في الازمات ٠٠ وبدأ صراع الاتجاهات ٠٠ فهناك الاتجاه الاستقلالي أو ان شئت الاوربي المتضامن مع ألمانيا الذي يعارض الهيمنة الامريكية، وفي مواجهته الاتجاه التقليدي الذي لا يطيق ان يرى الانجلو ساكسون ينفردون بالسيطرة على الشرق الاوسط و منابع النفط ، ومن ثم يهرول للانضمام اليهم ٠ وهذا الاتجاه دعمته خلال ازمة الخليج ، قوى الصهيونية ذات النفوذ القوي في فرنسا ٠٠ خاصة اذا ما سنحت فرصة اثارة اتهام بالعداء للسامية، ٠وهو ما حققته صواريخ صدام ٠ وهكذا جاءت فرنسا تقدم رجلا وتؤخر الأخرى محاولة ان توازن بين الاتجاهين ٠٠بكل ما في السياسة الفرنسية من تقلب وشخصانية ، وايضا تحت تأثير العلاقات الفرنسية – العراقية، والدور الذي لعبه السلاح الفرنسي في دعم العراق في حربه مع ايران ، بل والانحياز الفرنسي للعراق سياسيا ضد ايران ٠ وفرنسا شديدة القلق من انتشار الروح الاسلامية في شمال افريقيا بل وبين الفرنسيين المسلمين في قلب فرنسا، ومن ثم فهي في حاجة لصدام المعادي للبعث الاسلامي والغارق في دم المسلمين ، وتخشى ان يعقب سقوطه ظهور تيار اسلامي في العراق ٠وقد تعاونت فرنسا والعراق في لبنان لدعم الجناح المتطرف من المارونيين ، وكان اول اجراء اتخذته امريكا فور ازمة الخليج هو اطلاق يد سوريا لتصفية هذا الجيب الفرنسي/ العراقي ففر عون وصفيت مليشيته ولجأ للسفارة الفرنسية ٠٠وفي نفس الوقت تريد فرنسا ان تحتفظ بعلاقاتها مع دول شمال افريقيا وهذه كلها لأسباب مختلفة أيدت صدام حسين ٠٠وهناك جماعات الضغط اليهودية والصليبية في فرنسا التي تعادي السعودية وتؤيد العراق نكاية في الإسلام

والمملكة ، التي يتهمونها بدعم الحركات الاسلامية في العالم كله . وكانت الهيرالد تريبيون قد نشرت في الاسبوع الاول من سبتمبر ١٩٩٠ حديثا لمستشرق فرنسي هو «برون اتين »صب فيه حقده على المملكة وقال :« عاجلا أو آجلا فإن السعودية يجب ان تتخلى عن الأماكن المقدسة . ان سمعة السعوديين قد ترديت في اوساط المسلمين المؤمنين ، ويمكن ان ترجع العائلة المالكة إلى ارضها الاصلية التي تضم حقول النفط ويمكن عندها ان يحميهم الغرب . وساعتها ترجع مكة للملك حسين ويصبح الاردن الوطن القومي للفلسطينيين . . وذلك هو الجزاء العادل لما فعله السعوديون بأنفسهم . فالسعوديون والباكستانيون قدموا الجانب الاكبر من التمويل الذي يحصل عليه المتطرفون المسلمون ، انهم يقدمون اكثر مما تقدمه ايران وليبيا ، وهم يتولون اثارة وتمويل ودعم المسلمين المتطرفين في اوروبا الغربية . ان السعودية زعزعت استقرار الجزائر بدعمها الحركة الاسلامية التي على وشك الاستيلاء على السلطة هناك . اما الاتحاد السوفيتي فهو يأمل ان تتوقف السعودية عن تمويل الاسلاميين الاصوليين في جمهورياته الاسلامية المتمردة . وايضا وضع حد للدعاية المعادية للسوفيت التي تروج بين المسلمين السوفيت في الحج .» كانت اوروبا تحاول ان تتخذ موقفا متميزا تدشن به دورها المستقل كقوة عالمية في النظام العالمي الجديد . . وتحاول التعبير عن ضيقها بالأسلوب الامريكي في معالجة الوضع في اخطر منطقة بالنسبة لاوروبا . . . «الحلفاء الاوربيون حتى بريطانيا يعبرون عن ضيقهم لأن امريكا لا تشاورهم ولم تبذل جهدا كبيرا في احاطة الحلفاء بقرارها محادثة العراق فضلا عن نواياها العسكرية . . وفي نفس الوقت تشكو واشنطن من قلة ما يقدمه الاوربيون . . كيف يتوقعون ان تقدم اوروبا قوات عسكرية ان كانوا لا يستشارون في الاستراتيجية . ويقال ان بوش تعهد لفهد بطلب موافقته قبل شن اي عمل عسكري ، ولكن الحلفاء الاوربيين غير متأكدين انهم سيستشارون . وبالطبع لن يكون لهم حق الاعتراض .»[8]

وقد ردت دول السوق الاوروبية« برفض تمويل الحرب الامريكية وقالوا لا ضرائب بدون تمثيل والقرار كان قرارا امريكيا لم تستشر فيه »

ومرة قلنا إن الفاتيكان هو الناطق بصوت اوروبا . . وقد خرج البابا عن حياده في هذه الحرب واعلن معارضته لها بداية ونهاية . . . «وصف البابا في رسالة عيد الميلاد الحرب المتوقعة

في الخليج بأنها ستكون مغامرة خاسرة أو بلا نتائج ٠٠» والبابا أدان حرب الخليج وسماها ظلمات ألقت بظلالها على البشرية جمعاء »[9]

فالضيق الأوربي بموقف امريكا ظاهرة عامة إلا أن فرنسا كعادتها تريد ان تسبق اوروبا بخطوة سواء في معارضة امريكا أو في علاقتها بالعالم العربي ٠٠وقد استمتعت فرنسا بعض الوقت بهذا الموقف المتميز فبينما رفض العراق قبول ممثل بوش كان ممثل ميتران هناك وحدد له موعدا مع صدام قبل موعد بيكر مع عزيز واستغرق الاجتماع اربع ساعات ونصف ساعة ٠٠

« لأن ميتران ميز نفسه عن ادارة بوش باقتراح اجتماع جديد لمجلس الامن قبل اي اجراء عسكري ضد العراق وقال انه سيجري محادثات مع بيكر في باريس يوم الثلاثاء قبل ان يسافر إلى جنيف لمقابلة عزيز٠ وكرر دعوته لمؤتمر دولي يعالج المشاكل الحادة للشرق الاوسط ٠٠ وقال ان فرنسا لن تتخطى الاهداف المحددة للأمم المتحدة «انا لا اؤيد حربا وقائية» وعندما سئل عن الحاجة لتدمير قدرة العراق العسكرية قال ان فرنسا لا تعتبر نفسها بوليس العالم ٠٠»[10]

«اكد الرئيس الفرنسي في رسالة عيد الميلاد «تصميم فرنسا على الوقوف بحزم إلى جانب مبادئ الأمم المتحدة وقال طالما ظلت الكويت محتلة فلا شئ ممكن ولكن بالانسحاب العراقي كل شئ يصبح ممكنا[11] » و قالت الجارديان « ان مباحثات الخليج قد تبدأ في اوروبا ٠٠»

ويمكن القول ان ميتران حاول جاهدا ان يخلص العراق من الفخ الامريكي ولكن لا الفريسة ولا الصياد اعطياه الفرصة ٠٠ حاول الفرنسيون ايجاد مخرج لقضية الربط ليتستر صدام خلفها وينسحب مرفوع الرأس ، وكان ميتران اول من طرحها دوليا بقوله في خطابه امام الأمم المتحدة: «ان كل القضايا قابلة للحل بما فيها الوطن القومي الفلسطيني وحل مشكلة لبنان اذا ما تعهد العراق بالانسحاب من الكويت ٠»ولم يستطع الرئيس بوش ان يعارض موقف ميتران فقال بدوره :« انا اؤمن انه قد توجد فرصة للعراق والكويت لحل الخلافات بينهما بصفة نهائية ولدول الخليج لوضع ترتيبات جديدة للاستقرار ولكل الدول وشعوب المنطقة لحل المشاكل التي تفصل بين العرب واسرائيل »٠

وقد تبنت فرنسا – لفترة – فكرة المؤتمر الدولي الذي دعا اليه العراق وقالت ان رفض هذا المطلب لا يساوي مخاطر الحرب ٠الأمر الذي اثار ثائرة امريكا وبريطانيا فهما لا يريدان اغضاب

اسرائيل من ناحية، ومن ناحية اخرى – وهي الاهم – لا يريدون ايجاد مخرج لصدام قبل تنفيذ المخطط .. ولذلك فإن فرنسا : « اغضبت الحلفاء باصرارها على مؤتمر السلام. فقد اصر دوما على ان يشار إلى المؤتمر عن الشرق الاوسط في القرار الذي طال تأخيره في مجلس الامن وهذا اغضب دول التحالف التي تريد حذف الاشارة إلى هذا المؤتمر لتجنب الاحراج الذي سيسببه استخدام امريكا حق الفيتو لمنع القرار بصيغته الفرنسية المقترحة . دول التحالف الذي يشمل بريطانيا والسعودية وسوريا ومصر . كلهم يؤيدون المؤتمر ولكنهم وافقوا على حذف الاشارة اليه من مشروع القرار لأنهم لا يريدون ان يكونوا في موقع من يكافىء صدام على عدوانه . حتى منظمة التحرير تبدو مستعدة لاستبعاد الاشارة من القرار بأمل ـ كما يقول الدبلوماسيون ـ ان توافق امريكا على استئناف المحادثات التي توقفت في الصيف الماضي .. قال دوما إن فرنسا لن تصوت مع القرار إلا إذا تضمن الاشارة إلى مؤتمر سلام . وان امتناع فرنسا عن التصويت سيعني انشقاقا خطيرا في التحالف المضاد للعراق [١٢]

وكان دوما وزير الخارجية الفرنسي قد طالب بأن يكون من حق اي حكومة من المجموعة الاوروبية طلب محادثات مع بغداد[١٣]

ولكن الاخطر من ذلك هو البيان الذي اعلنته فرنسا في آخر لحظة والذي كذبت فيه الشائعات التي تزعم ان فرنسا وعدت امريكا بالموافقة على قرار باستخدام الحرب.. ورئيس وزراء ايطاليا وهو رئيس الدورة الاوروبية قال انهم «يعملون لتجنب الحل العسكري» . وقد رد صدام باستعداده للتفاوض مع فرنسا .. « واقترحت فرنسا التوسط بين امريكا والعراق لتسهيل الحوار.»[١٤]

وعندما امسك العالم انفاسه و الأيام الأخيرة تمر سريعة في ظل اللعبة الامريكية وهي رفض المفاوضة والعجز عن تحديد موعد، حاولت فرنسا وألمانيا تحريك اوروبا لانتزاع المبادرة التي كانت ستتولاها فرنسا بالطبع .. كان التحرك الاوربي مفاجئا للولايات المتحدة وبريطانيا ويهدد باخراج الخلاف الاوربي الامريكي إلى العلن .. فقد اعلن عن اجتماع طارئ للمجموعة الاوروبية وكتبنا وقتها نقول : « بعد غد يجتمع وزراء خارجية المجموعة الاوروبية فيما يبدو انه اكبر انشقاق في الموقف الغربي بين امريكا واوروبا حول الموقف من العراق .. واذا كانت الولايات المتحدة تستخدم عبارات هادئة في التعليق على التحرك الاوربي لاخفاء حجم الخلاف فإن بريطانيا

تعبر بصوت مرتفع عن الانزعاج من هذه التحركات الاوروبية ، ويفهم من تعليقات الصحف ان الاجتماع الطارئ سيقرر ارسال مبعوث إلى بغداد هو في الغالب جاك بوز وزير خارجية اللوكسمبرج الذي يترأس الاجتماع ، و قال لطيف جاسم وزير الاعلام : ان العراق مستعد للحوار بدون شروط مسبقة ولو أن العراق لم يخطر رسميا بالتحرك [15]

«وفي نفس الوقت يتردد ان المجموعة الاوروبية قد توجه الدعوة لطارق عزيز للاجتماع معها وان الوزراء سيقررون اذا كان عزيز سيجتمع ببوزوحده أو مع بوز ووزيري خارجية ايطاليا وهولندا وقد يجتمع مع الاثنى عشر وزيرا كلهم .» [16]

«وقد صرح بوز للـ BBC انه مستعد لمناقشة كل قضايا الشرق الاوسط بما فيها الصراع العربي/ الاسرائيلي ولكنه رفض الربط المباشر بين الخليج وقضية فلسطين .

« ونقل عن جيمس بيكر انه يرحب بجهود المجموعة الاوروبية حتى تتجمع لديهم حقائق الموقف عن المحادثات مع العراق .. فقد صرح في اجتماع حلف الاطلنطي انه يؤيد فكرة اتصال اوروبي مع العراق ، مادامت المجموعة الاوروبية تلتزم الخط المتشدد الذي تريد الولايات المتحدة ابلاغه لبغداد . .وقال بيكر : نحن نؤيد كل الجهود الدبلوماسية التي تحاول حل هذه الأزمة سلمياً . وان كان المتحدث باسم الخارجية الامريكية قال إنه لم يحدث تقدم في الموقف ، فالولايات المتحدة مازالت تصر على ان يتم الاجتماع قبل الخميس (٣ يناير) والعراق تريد الاجتماع في ١٢ يناير ..وقالت الصحيفة ..ويحتمل ان يزور بيكر دول الخليج في وقت ما قبل ١٥ يناير ووجوده في السعودية قد يجعله قريبا من العراق فيستطيع الانتقال اليها بسرعة اذا استطاع البلدان تخطي الموقف المتجمد حاليا ووافقتا على موعد لقاء وإلا فان رحلته ستكون لبحث الاجراءات العسكرية مع الدول الخليجية .» [17]

واستمرت بريطانيا في التعبير عن قلقها فصرح هيرد وزير الخارجية « ان اي اتصال مع العراق يجب ان يكون على مستوى السفراء [18] وقالت الصحيفة ان « اعلان وزير خارجية لوكسمبرج انه مستعد لمقابلة وزير خارجية العراق لمناقشة ازمة الخليج هو اعلان لا يلقى ترحيبا . لقد اوضح بوز تغير الموقف الاوروبي كرد فعل للجمود في الموقف بين امريكا والعراق حول تحديد موعد للمحادثات قبل ١٥ يناير . وبالطبع هناك دائما دور في كل المفاوضات الدبلوماسية لوسيط

شريف قادر على حل المشاكل العارضة التي تمنع حوار الاطراف المعنية ولكن العقبة التي تعترض الحوار الان ليست من هذا النوع .ومما يؤسف له ان مستر بوز يبدو وكأنه سيكون مستعداً لتحديد اجندة تتضمن موضوعات أخرى في الشرق الاوسط.»[19]

قالت التايمس : «بريطانيا تبدو شاذة بين حلفائها في المجموعة الاوروبية التي تستعد للقيام بآخر محاولة لتجنب الحرب في الخليج ..فالمجموعة الاوروبية بعد ان اعلنت عن اجتماعها الطارئ، حذرت بريطانيا وامريكا المجموعة من إرسال إشارة خاطئة لصدام حسين، ، فقال دوجلاس هيرد:« يجب ألا نعطي العراق شعورا بأن العالم مستعد لعقد صفقة معه ..»[20] ورفعت التايمس حدة نفورها من التحرك الاوروبي وحركت ورقة ميونيخ والسويس فخصصت افتتاحيتها للتحذير من تكرار هزيمة السويس .كتبت تقول ان وزراء خارجية المجموعة الاوروبية يجتمعون تحت «ظلال السويس» وقالت «عندما يجتمع وزراء الخارجية هذا الاسبوع تحت الرئاسة الجديدة للمستر جاك بوز سيكون عليهم الاجابة عن عدة اسئلة، ،منها : هل هناك اي هدف من ارسال بعثة دبلوماسية جديدة إلى بغداد قبل ١٥ يناير؟! يقول بوز انه يريد ان يناقش كل قضايا الشرق الاوسط مع العراقيين ، و لابد أنه يعرف ان هذه المفاوضات الموسعة تتناقض مع السياسة القائمة للتحالف ضد صدام وهي السياسة التي تطالب بالانسحاب العراقي اولا ثم امكان اجراء محادثات حول النزاعات الاخرى في المنطقة ، لأن العراق يمكن ان يفسر بعثة المجموعة كأول شرخ في الجبهة الغربية .» وقالت الصحيفة ان « السويس تشكل الشاهد على الكارثة التي حدثت بسبب فشل اوروبا وامريكا في العمل كجبهة موحدة ، وليس صدام حسين بحاجة لمن يذكره بعبرة السويس»[21]

ورحب السفير العراقي في واشنطن بالمبادرة الاوروبية وقال ان الوقت قد حان لكي يعلن الاوروبيون سياستهم ويكفوا عن ان يكونوا تابعين للامريكان.»[22] (فلما فعلو صفعهم زعيمه برفضه مقابلتهم !)

ومن المؤكد ان هذا التحرك الاوربي كان عنصرا اساسيا في قرار بوش المفاجئ بإرسال بيكر للاجتماع مع طارق عزيز، لاحباط المحاولة الاوروبية التي كانت تهدد بافلات الصيد الثمين ، وفعلا صادر بوش التحرك الاوروبي وعاونه ـ كما قلنا ألف مرة ـ صدام الذي رفض اليد

الأوروبية بل وعاملهم بازدراء غير مفهوم ٠٠ قالت النيويورك تايمز : « الشعار الذيّ انطلق الآن هو : اذا لم تكن امريكا مستعدة للتفاوض فغيرها مستعد والمرشح الاول لتولي زمام الازمة من ناحية المفاوضات هو فرنسا بالطبع « التي من بداية الازمة وهي وبعض الدول الاوروبية تريد ان تضمن ربطا غير رسمي بين الازمة والقضية الفلسطينية اذا كان ذلك سيحقق الانسحاب »[٢٣]

وقالت النيويورك تايمز إن الفرنسيين وغيرهم في التحالف يريدون تقديم وعد ما إلى صدام بمعالجة مشاكل الشرق الاوسط الاخرى مثل قضيةالعرب والاسرائيليين بعد الانسحاب العراقي وليس فقط الوعد بعدم ضربه ٠» (٨/١/٩١) بينما اكد بيكر انه وهيرد (وزير خارجية بريطانيا) متفقان ألا يعطى صدام إلا هذه الضمانة وان اي ربط سيعني مكافأة على العدوان. ولكن بوز وزير خارجية اللكسمبورج والمتحدث باسم المجموعة الاوروبية يفضل اعطاء وعد أو التزام بمؤتمر بعد الازمة اذا ما انسحب صدام من الكويت، الجميع يحاولون التقليل من شأن هذه الخلافات لكن لو ابدى العراق بعض التساهل أو لمح لحل سلمي فيمكن ان يتحول هذا التباين في للآراء إلى خلاف حاد داخل الحلف المعادي لبغداد ٠»[٢٤]

فالموقف الاوربي المستقل كان موجودا وله جذوره واشرأب بعنقه للتصدي لامريكا ومنع مخططها ٠٠ كل ما كان يحتاجه هو ان يمد صدام يده لاوروبا ، لكي يمكنها من كسب الرأي العام العالمي باقناعه انها قادرة على تسوية المشكلة اذا ما تركتها امريكا تعالج الموقف بالتفاوض مع صدام ٠٠أو كما قيل لو ابدى بعض التساهل ٠٠ ولكن لأمر ما لم يظهر حاكم العراق هذا التساهل، بل والاعجب انه عامل اوروبا والامم المتحدة باحتقار ٠٠ وفي نفس الوقت لم يتمسك بإصراره على الموعد الذي حدده بل وافق على لقاء بيكر لعزيز في جنيف . فليس اقتراح بوش المفاجئ لاجتماع جنيف هو الذي سحب البساط من تحت اوروبا ، بل قبول صدام لهذا اللقاء ، هذا القبول الذي كان اكثر مفاجأة من العرض ! واسوأ من ذلك هو نهايته التي استفزت العالم كله بتعنت عزيز٠٠ مما أدى ليس فقط لتماسك التحالف ضده بل وان تكون فرنسا أول من يغزو العراق !

وقد كتبنا وقتها نقول : «كانت المجموعة الاوروبية قد اعلنت ما وصف بأنه « رفض القبول بتعمد خلفي فيما يجري بعد ان اتضح عجزأمريكا والعراق عن التوصل لحل٠٠» وتقود المعارضة الاوروبية العلنية هذه المرة فرنسا والمانيا وقد دعتا لاجتماع عاجل يوم الجمعة الماضي مما أدى

لتسارع الاحداث وتحرك امريكا ، وتنظيم اللقاء العراقي الامريكي فيما يشبه الهرولة لقطع الطريق على اوروبا و الأمم المتحدة. . (ونضيف اليوم ان ذلك ما كان لينجح لولا تعاون بغداد مع واشنطن/ مارس ٩١) وقد اتخذت المجموعة الاوروبية قرارات مستقلة مثل ارسال ممثل عنها إلى بغداد ودعوة طارق عزيز للاجتماع معه ووضع مشروع تسوية . ولكن التحرك الامريكي جعلها تتراجع إلى حين بل وتظهر ارتياحها » ونقلت بعض المصادر أنه عندما وصلت الاخبار بأن عزيز وافق على مقابلة بيكر صدرت عن المجتمعين (وزراء خارجية المجموعة الاوروبية) تنهيدة ارتياح كان يمكن سماعها بوضوح» وكانت المجموعة الاوروبية قد ناقشت مشروعا اعدته ألمانيا وفرنسا معا ويعرض المشروع ضمانات للعراق بعدم الهجوم عليه اذا انسحب . والتأكيد على إمكان مناقشة كل قضايا المنطقة في مؤتمر عالمي . ومن باب يكاد المريب يقول خذوني جاء تأكيد جاك بووز وزير خارجية اللوكسمبرج التي تترأس دورة المجلس بأنه « لا توجد جملة واحدة في البيان الاوربي يمكن ان تثير حساسية الامريكان . . » . . ولما سئل بووز . . فلماذا دعوة عزيز ليجتمع مع المجموعة بدون امريكا؟ « قال« لكي تبلغ العراق نفس الرسالة مرتين»!! [٢٥]

وقد اعترفت الصحافة البريطانية بأن آخر مبادرات بوش كانت لسد الطريق على المجموعة الاوروبية وان ذلك كان على هوى بريطانيا الشريك الوحيد في التحالف المصمم على تدمير العراق . . فقالت الصنداي تلغراف : « «بريطانيا وحدها سرت عندما سحب بوش البساط من تحت وزراء خارجية الدول الاوروبية بمبادرته التي قللت من شأن المبادرة الاوروبية التي هددت بعزل بريطانيا مرة أخرى . . ان الاجتماع الاوربي قد كشف الخلاف بين بريطانيا التي تريد الحرب وفرنسا التي تحاول تجنبها . . وموقف فرنسا مدعوم من بلجيكا وايطاليا ولوكسمبرج وزاد ثقله بانضمام ألمانيا لهم» وقالت ان البريطانيين» حاولوا التقليل من شأن زيارة المبعوث الفرنسي لبغداد ولكن بريطانياانزعجت من الزيارة واعتبرتها تعكيرا غير مطلوب للماء في وقت حرج . »[٢٦]

وكانت التايمس قد كتبت :«ان الشك يحوم بين حلفاء فرنسا الغربيين وبالذات بريطانيا وامريكا حول التزام فرنسا في ازمة الخليج وقد ثار الشك ليس فقط من الاستفتاء الذي اظهر ان ٦٠٪ من الفرنسيين ضد الحرب بل من الشوشرة التي يثيرها ميتران ومساعدوه . . منها السفر غير المتوقع لواحد من اقرب مساعدي ميتران ميكل فوازيه إلى بغداد والتي اعتبرت مبادرة فرنسية

شبه رسمية خارج نطاق استراتيجية المجموعة الاوروبية ٠ »[٢٧]

«ازمة الخليج وصلت الذروة وما من وقت يحتاج فيه التحالف إلى الوقوف بثبات وتجنب الحديث عن التنازلات مثل اليوم ٠٠ ان اي إشارة عن الانقسام بين الحلفاء أو نقد بوش ستجعل إراقة الدم اكثر احتمالا وليس العكس ٠ وعلى مستر بوش ان يحافظ على التحالف ويسكت اصوات المتهزمين فلا شئ سيخرج صدام من الكويت إلا اذا اقتنع بنية الحرب عند مواجهيه ٠٠»[٢٨]

وبالطبع كانت بريطانيا هي التي ضربت عرض الحائط بالاستراتيجية الاوروبية ٠

«كان مستر هيرد يعكس تحفظ الادارة الامريكية عندما لم يركز على عرض المجموعة الاوروبية توفير الامن والاستقرار والتنمية في الشرق الاوسط ، اذا خرج العراق من الكويت ٠ بالعكس فالذي ركز على هذه النقطة هم وزراء خارجية آخرون منهم مستر بوروز الذي قال :انه يريد ان يناقش الوضع بعد الأزمة مع عزيز ٠و قال ان المجموعة عبرت عن عدم خشيتها من الحوار مع المسئول عن الأزمة ٠» (٩١/١/٥)

واستخدم الطرفان الصحف لترويج الشائعات ، فقالت الصحف الفرنسية ان العراق وافق خلال مفاوضات سرية في جنيف وفيينا على الانسحاب من الكويت كما جاء في البطة الضاحكة ان ميتران أبلغ بذلك برسالة سرية من السفير الفرنسي في بغداد. وباري ماتش قالت ان العراقيين والكويتيين والسعوديين يتفاوضون من خلال الامريكان في فيينا وجنيف مع عدنان برزان التكريتي (اخ غير شقيق لصدام) وهو السفير العراقي للأمم المتحدة في جنيف ٠ وقالت ان العراق وافق من ناحية المبدأ على الانسحاب من الكويت في مقابل تنازل قدمه الأمير المخلوع والملك فهد ، وهو تأجير بوبيان ووربة التي تحسن اتصال العراق بمياه الخليج لمدة ٩٩ سنة ووافق حسين على التفتيش على ترساناته الكيماوية والبيولوجية اذا وقع نفس التفتيش على كل دول الشرق الاوسط بما فيها اسرائيل [٢٩]

وكذبت العراق الخبر ![٣٠]

ومن الجانب الامريكي انطلقت شائعة تقول : إن فرنسا ترفض تزويد الولايات المتحدة بمعلومات عن جهاز تضليل ضد الصواريخ يمكن للعراق استخدامه لتفادي هجمات الطائرات الامريكية ٠ وان امريكا قد صدمت لرفض فرنسا التعاون معها لأن الامريكان يعلقون اهمية كبيرة

على هذه المعلومات فبدونها لا يمكن تأمين ضربة جوية امريكية ضد العراق . وزعمت الصحيفة ان المفاوضات تجري في صمت لكي لا يعرف العراق قوة ما يملك ! » [٣١]

و اعلن ميتران ان فرنسا ستحاول الدخول في مفاوضات مباشرة مع العراق اذا لم يتحقق الحوار بين الولايات المتحدة والعراق حتى الثالث من يناير . وقال انه يرفض اي تسوية اقل من الانسحاب العراقي . اما عن التنازلات الجغرافية المطلوبة من الكويت فيمكن ان تناقش مع حكومة كويتية مستقلة مسيطرة تماما على اراضيها (ولاحظ انه تجنب عبارة الحكومة الشرعية) . واكد الرئيس الفرنسي (وكأنه يرد على تصريحات كويل ..) على ان فرنسا قد ارسلت قواتها للخليج بهدف تحرير الكويت وليس لتحطيم قدرات العراق العسكرية ، فاذا تحققت مطالب الأمم المتحدة في الجلاء واطلاق الرهائن فمن حق العراق ان يطمئن إلى انه لن يهاجم عسكريا . كما اشار إلى امكان اعطاء وقت اضافي للعراق ليكمل انسحابه . واقترح ميتران ان يتقدم العراق بجدول للانسحاب .وعلقت الهيرالد تريبيون إن هذا التفسير يختلف عن تفسير بوش الذي يعتبر ١٥ يناير هو آخر موعد للانسحاب » [٣٢]

وعلى الطائرة في طريق عودته للولايات المتحدة ، دخل وزير الدفاع الامريكي في حوارمع الصحفيين على طريقة مجادلات سقراط، وكان واضحا انه يهدف إلى القول بأن فرنسا ليست على نفس الالتزام الامريكي باستخدام القوة لتحرير الكويت ..وكان المعروف ان وزير الدفاع الفرنسي يعارض على طول الخط ضرب العراق وهو أحد مؤسسي جمعية الصداقة الفرنسية / العراقية .وقد طالب« الولايات المتحدة ان تتنازل للعراق في موضوع المؤتمر الدولي للسلام » [٣٣] وكان يتحين الفرص للخلاف مع السعودية ، وربما كان يتعمد استفزاز المملكة لتطلب سحب القوات الفرنسية من القوات المشتركة ، فخلال زيارته القوات الفرنسية في السعودية ألغى موعدا كان مقررا مع الامير سلطان وذلك على سبيل الاحتجاج . اما السبب فهو إلغاء السلطات السعودية حفلتين روك كان نجم الروك اند رول « ايدي ميشل » يستعد لتقديمهما للقوات الفرنسية المقيمة هناك، لأن السلطا ت رأت فيها مخالفة للإسلام ». وقالت الجارديان ، التي بدورها لا تدخر هجوما ولا تعريضا بالمملكة والاسلام ،: إن الجنود الفرنسيين هناك وعددهم ٦٢٠٠ طفح بهم الكيل بعد ان منعوا من القداس وغناء الروك ونقلت عن اللموند الفرنسية ضيق العسكر الذين

اصبحت حياتهم مثل السجناء ، وان هذه الاخبار القادمة من السعودية قد تضعف الرغبة في الحرب . واعتبر الموقف من الفرقة الفرنسية ضربة للكرامة الفرنسية . وكان المغني الفرنسي عندما وصل إلى قاعدة الملك خالد نبهت السلطات على المصورين المرافقين له ان التصوير ممنوع والا ألقي القبض عليهم . ولم تقدم السلطات السعودية تفسيرا لقرار إلغاء العرض إلا أن الضباط الفرنسيين قالوا ان السلطات السعودية استاءت من الدعاية التي احاطت بوصول ميتشل واعتبرت بعض اغانيه غير مقبولة [٣٤] وتعاطى وزير الدفاع القضية نكهة محبوبة عند الفرنسيين وهي مزاحمة امريكا فبرر غضبته بأن المملكة سمحت لبوب هوب الأمريكي بالترفيه عن الأمريكان ورفضت مغني الروك ايدي ميتشيل وقد عرض التليفزيون الفرنسي برنامجا يقول «ان معنويات الجنود الفرنسيين في جبهة الخليج تتسم بالمرارة بعد ان منعت السعودية مغنيهم . وتساءلت صحيفة الليبراسيون اليسارية لماذا سمح لبوب هوب بالترفيه عن الامريكان في السعودية ومنع ايدي . . هل بوب هوب اقل اثارة من ايدي ميتشل أو ان واشنطن أقوى اقناعا من باريس . . »[٣٥]

ولم يقل احد : الاثنان معا يا سيدي ! كما في النكتة المنسوبة لنابليون وجنده !

ولكن عندما جد الجد كررت فرنسا مع صدام نفس ما فعلته مع محمد على (والقياس مع الفارق ومع الاعتذار لمحمد على) في النصف الاول من القرن التاسع عشر عندما ظلت تدعمه بالتصريحات حتى نزلت القوات المتحالفة بقيادة بريطانيا في سوريا فانسحب اسطول فرنسا وهزم محمد على وخسر كل ما كان يعرض عليه ورفضه بتشجيع فرنسا . فبعد ان ظلت تكرر مرة كل ٤ ساعات انها لن تحارب خارج الكويت اشترك طيرانها في اول طلعة لضرب العراق واحتل جيشها اول مدينة عراقية . . وفصل وزير الدفاع المعارض . . وكما قالت التايم « ان فرنسا لم تكتف بالاشتراك في العمليات العسكرية فقط بل سمحت بعبور وتموين الطائرات الامريكية . واكد ميتران ضرورة تدمير قدرات العراق العسكرية . »[٣٦]

ولم يبق من تميز الموقف الفرنسي إلا أن فرنسا انفردت بتحمل نفقات واقامة قواتها في الخليج . هكذا افتخر الناطق الرسمي باسم القوات الفرنسية في الخليج ريمون جرمانوس[٣٧]

وعدم حصولها على حصة مناسبة في « يغمة» تعمير الكويت !

ألمانيا صح منها العزم .. والفرنسي أبى ..!

وإذا كنا قد بدأنا الحديث بفرنسا فلأن موقفها هو الذي رجح كفة الميزان لصالح أمريكا فلو صمدت مع ألمانيا لتعذر تماما على امريكا تنفيذ مخططها .. وتخليها عن ألمانيا هو الذي ألقى بأوروبا عند قدمي الولايات المتحدة ولكن ألمانيا كانت بلا شك قائدة المعارضة للولايات المتحدة وحربها في الخليج .

وقبل الحديث عن ألمانيا يجدر أن نلقي نظرة علي التاريخ الذي يحب ان يكرر نفسه في بلاد المتخلفين.. فإذا كان صدام اعتقد انه سيخرج الكويت من التاريخ، وايدته ألمانيا خلال مفاوضات الرهائن ، وكان واضحا تباين الموقف الالماني عن الموقف البريطاني .. فإن دخول الكويت التاريخ له علاقة مباشرة بألمانيا أو الصراع الالماني / البريطاني على السيادة العالمية ، والذي افضى إلى دخول الكويت في حماية بريطانيا وانفصالها عن الدولة العثمانية وليس عن العراق .والحكاية كانت في نهاية القرن التاسع عشر اي قبل مائة سنة وكانت بريطانيا تسيطر على الخليج ومعظم اسيا ونصف افريقيا. اما ، ألمانيا فكانت قد انجزت ثورتها الصناعية ووحدتها الوطنية وبدأت تتطلع إلى الدور العالمي أو الامبراطورية .وقررت ان تغزو الشرق من بوابته في ذلك الوقت اي اسطمبول عاصمة الدولة العثمانية وبدأت السياسة الاسلامية لبرلين وزار القيصر الشام وقرأ الفاتحة بالالماني علي قبر صلاح الدين. وستتكرر نفس الحكاية في الحرب العالمية الثانية عندما يحتضن هتلر الزعماء المسلمين الهاربين من بريطانيا وفرنسا ويطلق العامة في العالم العربي على هتلر اسم الحاج محمد هتلر لمجرد الأمل في ان يخلصهم من المستعمرين الانجليز والفرنسيين .. نعود لألمانيا القيصرية التي وضعت مشروعا للوصول إلى مياه الخليج ومنه إلى الهند . ولأن بريطانيا تسيطر على قناة السويس فكان مشروع سكة حديد بغداد / البصرة .وولدت قضية البحث عن ميناء ينتهي اليه الخط ويسمح برسو البواخر والمدمرات التي تمكن ألمانيا من مواجهة اسطول بريطانيا سيدة البحار وقتها ، والبصرة لا تصلح لهذا الدور. وهنا برزت اهمية الكويت باعتبارها الميناء المنشود، وتذكرت ألمانيا وتركيا ان شيخ الكويت يتبع تركيا وتقرر مد الخط الحديدي الالماني للكويت وتحركت الامبراطورية البريطانية وكان ما كان .وهذا الذي بدأ في الخليج

بتحريك الالمان للوالي التركي في البصرة لخلع شيخ الكويت (مبارك وهو والد جد الشيخ الحالي واصبح اشهر عميل للانجليز في التاريخ) واستنجاد الشيخ بالاسطول البريطاني .. انتهى بمذبحة في اوروبا عرفت بالحرب العالمية الاولى حيث كانت ألمانيا وتركيا في جانب ، وبريطانيا والكويت في الجانب الآخر . وكنت اظن ان هذا تاريخ انطوى وحلت محله حقائق عالم جديد كما بغرر بنا بوش وصبيته ، حتى رأينا الصراع ينفجر بين ألمانيا وبريطانيا مرة أخرى وفي نفس المواقع.. ألمانيا مع والي البصرة، وبريطانيا مع امير الكويت والألفاظ ساخنة لا ينقصها إلا طلقات الرصاص. اما فرنسا ففي موقفها التاريخي «المتغطي بها عريان » .والاتحاد السوفيتي يحتل مكانه عن جدارة بين جيبوتي وغينيا بيساو .. وحاكم البصرة ارتكب نفس خطأ الباشا التركي لم يحسب حقيقة توازن القوى ولو تأخرت الاحداث حتى تشكل ألمانيا جيشها وتنهض بقسمها الشرقي من مستنقع التخلف الذي ألقته فيه الشيوعية . ثم تحزم اوروبا حولها بحبل المارك المتين، وتستأنس ما سيتبقى من الاتحاد السوفيتي ، عندها ربما كانت فرصة والي البصرة اكبر .. اما الآن فمازالت كفة الأمير والملكة ارجح من كفة السلطان والقيصر [38]

والغريب انه في عنفوان أزمة الكويت الحالية جاء خبر يقول : « إن العراق سيبني ميناء في الكويت بالقرب من ميناء وسيمد خط سكة حديد يربط الميناء بالبصرة. » [39]

وقد اشتد التلاسن بين بون ولندن بما ذكرنا بالايام الخوالي .. اعلن ان احزاب ألمانيا الغربية سيجتمعون اليوم لمناقشة ارسال ويلي برانت المستشار السابق إلى بغداد كوسيط وانه بعكس موقف بريطانيا الذي حرص على نفي اي صلة بين هيث والحكومة فإنهم في ألمانيا يؤكدون ان برانت على علاقة قوية بالخارجية الالمانية وبالرئاسة .» [40]

وقد انتهزت التايمس قرار برانت بالسفر إلى بغداد لاستخلاص الرهائن الالمان في الظاهر وللتعبير عن موقف ألمانيا في الاساس، فراحت تهاجم السياسة الالمانية كلها. قالت عن المستشار كول : « ان سياسته التي لم تعد خافية على أحد وهي السياسة التي تفترض ان سياسة اوروبا الخارجية يجب ان تتطابق مع سياسة ألمانيا ابتداء من السماح بضم شرق اوروبا للمجموعة الاوروبية إلى ارسال فيللي برانت لبغداد! ان هذا التصور هو مجرد اوهام . ولطالما ظل المستشار يتحدث بلهجة الفيدرالية في الخمسينات بينما يمارس وطنية التسعينات فليس له ان يدهش اذا عامله الآخرون

بيرود».[41]

وفي بغداد قال برانت انه جاء يحمل حلا سلميا سيناقشه مع صدام وقال معرضا بموقف بريطانيا « ان الموقف الامريكي يمكن ان يتغير اذا اتحد الموقف الاوروبي . وقال انه يؤيد حلا عربيا ولكن لا وجود لهذا الحل اذا لم يتكون اجماع حوله . وقال انا اعتقد ان كل الاطراف يجب ان تدخل في حوار بما فيها الولايات المتحدة لانقاذ الوضع . ونقل عنه «ان صدام مستعد لمناقشة حل لمشكلة الخليج يتضمن وضعا جديدا للكويت وسيؤيد مبادرة دبلوماسية عربية»[42] ونسبت اليه جريدة مؤيدة للعراق « ان فيللي برانت في مقدمة الذين يرفضون عودة آل الصباح ونقلت عنه انه قال لمجلة فرنسية ان الأمير مزواج ونقلت عن المجلة ان في عصمة جابر الأحمد ٣٦ زوجة انجب منهن ٧٠ ولدا وبنتا وان الأمير كان يفضلهن بفوبات وعلراوات .»[43]

وقالت الجارديان ان وزير الخارجية الالماني زاد الضغط امس من اجل حل سلمي للأزمة بعد وصول معلومات جديدة عن مبادرته والتي قد تتم في شكل لجنة سداسية ، ثلاث من اوروبا هي ايرلندا وايطاليا ولوكسمبرج ، وثلاث دول عربية هي الاردن والجزائروتونس

أو ان تعقد المجموعة الاوروبية كلها مؤتمر قمة اوربي - عربي للبحث عن حل سلمي .»[44]

وكشفت التايمس عن خلاف الماني - امريكي فقالت :« ان ألمانيا تضغط على المجموعة الاوروبية لكي تأخذ خطا اقل تشددا من موقف الولايات المتحدة ضد العراق في سبيل ايجاد حل سلمي وتأمين اطلاق كل الرهائن . وكان ذلك واضحا امس من الطريقة التي طلب بها وزير خارجية ألمانيا من نظيره الايطالي دعوة وزراء المجموعة لاجتماع عاجل لمناقشة المواجهة في الخليج . وقد طلب الوزير الالماني الهرجنشر من الوزراء مناقشة وسائل تحقيق السلام في الخليج وتحرير كل الرهائن . وكان وزير الخارجية الالماني قد رفض اي نقد لمهمة برانت وتمنى له النجاح . وقال انه لا يحتاج لإذن من الأمم المتحدة للذهاب ، وان هذه الرحلة لبغداد مهمة لتجربة كل الامكانات لخدمة السلام والرهائن . وقد فتشت طائرته في فينا للتأكد انها لا تحمل الا أدوية وطعام اطفال»[45] وعلم ان وزير الخارجية الايطالي سيتصل بالسكرتير العام للامم المتحدة يطالبه بتجديد جهوده لإرسال بعثة من الأمم المتحدة، لبحث الاطلاق غير المشروط للرهائن والبحث عن حل دبلوماسي للأزمة. وذلك بناء على اقتراح من وزيرالخارجية الالماني الذي قال إن المجموعة

الاوروبية والجزائر وتونس والاردن سيعملون على حث صدام لقبول البعثة الخاصة للامم المتحدة . وفي نفس الوقت رفضت بريطانيا مهمة برانت واصرت وزارة الخارجية البريطانية على ان البرنس صدر الدين اغا خان هو وحده المؤهل للمفاوضة حول تحرير الرهائن.»[46]

وعندما زار بوش ألمانيا في جولته التي اراد بها تجميع تأييد عالمي للحرب ضد العراق، وقف المستشار الالماني يقول علنا في خطاب الترحيب بالرئيس الامريكي : ان «اي شخص يعتقد في الحل العسكري عليه ان يفكر في النهاية وليس البداية .. لابد أن يوجد حل سياسي بأية طريقة . نصيحتي أناالعاجلة هي اننا يجب ان نستهلك كل الطرق للمفاوضات.» [47] وقالت الصحف : «فشل بوش في الحصول على اي دعم علني للعمل العسكري من ألمانيا »[48]

« وحذر وزير خارجية ألمانيا من النتائج الخطيرة لأزمة الخليج على اقتصاد الاتحاد السوفيتي وشرق اوروبا»[49]

كانت ألمانيا تحاول جذب الاتحاد السوفيتي إلى صفها ولو نجحت لانقلب الموقف تماما، ولكن امريكا استخدمت كل الوسائل لابعاد موسكو عن برلين ..من اغراء جورباتشوف وغواية شيفرنادزه ورشوة الجياع الروس واللعب أو المساومة على جمهوريات البلطيق..بل نحن نعتقد ان واشنطن عملت على اقواع الالمان بتقوية التيار اليميني في روسيا وذلك من خلال الإسراف في إذلال دعاة الانفتاح والاستهتار بالكرامة الروسية أو الحديث عن روسيا في الكونغرس وكأنها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر .. وعددت صحيفة امريكية مظاهر المعارضة الالمانية للحرب فقالت «تشهد ألمانيا اكبر حركة معادية للحرب في العالم..موجة من الاحتجاج اقفلت الفصول واوقفت العمل في المصانع ودهنوا الشوارع بدماء الخنازير .. فمنذ قامت الحرب و مئات الآلاف يخرجون للشوارع ..الكثير يقفون في صمت يشعلون الشموع ..وقد نجحوا في إغلاق بورصة فرانكفورت حتى فرقهم البوليس بعد ساعة بالعصي المطاطية كما اغلقت المدارس لكي يسمحوا للاطفال بالانضمام إلى المظاهرات المعادية للحرب .. والاذاعة التي تدعمها الحكومة دعت المستمعين للخروج للشوارع..ثمانون بالمائة من الالمان يعتقدون ان استخدام القوة ضد العراق كان خطأ .. العمال اضربوا لفترة قصيرة للتعبير عن معارضتهم للحرب .. »[50]

وقالت التايمس البريطانية :«حتى الآن مازالت ألمانيا تمثل شعبيا اكبر قوة معارضة للحرب ،

وتدل الاستفتاءات على ان ٧٥ ٪ من شعبها يعارضون الحرب والمظاهرات في الشوارع والهتاف ضد الامريكان والمكالمات التهديدية تسأل الامريكيين كم قتلتم اليوم من العراقيين ؟ ولكن الحكومة الألمانية تبذل جهدها للظهور بموقف المتضامن تحت تأثير الضغط الامريكي، وآخره تهديد رسمي بأن امريكا قد تخفض دعمها العسكري لاوروبا إذا ساءها موقف الاوروبيين من الحرب في الخليج .»[1] وكذلك تحت تأثير موجة العطف على اسرائيل التي دفعت ألمانيا الى رفع دعمها المالي للحرب في الخليج وتقرير مساعدة عاجلة لإسرائيل ١٥٦ مليون دولار .. لكن ذلك اقل من المتوقع من اغنى دولة اوروبية . .»[2]

وقد أسفت بعض الاجهزة الألمانية في التعبير عن ضيقها بالموقف الامريكي والدول المتضامنة معه، حتى ان وكالة الأنباء الألمانية لم تتورع عن نشر خبر يقول إن طائرات اسرائيلية هبطت في السعودية ! وصحيح ان الوكالة الألمانية نقلته عن راديو بغداد وحتى وان كان ناقل الكفر ليس بكافر إلا أن ناقل الجهل ـ اذا كان ألمانيا ـ لابد ان يكون منحازا . .ولولا التحيز الألماني المسبق ما هوت الوكالة إلى هذا المستوى!

ويمكن القول حول الأزمة المعاصرة انه إلى ان سقطت صواريخ صدام على تل ابيب كانت ألمانيا هي اكبر قوة معارضة علنا للعملية الامريكية في الخليج ، وكانت ألمانيا بذلك تمثل السياسة الألمانية التقليدية بقدر ما تعبر ايضا عن الموقف الاوربي المستقل الذي يعتبر نفط الشرق الاوسط شريان الحياة ، ويشعر بالقلق من الاستراتيجية الامريكية والوجودالامريكي المكثف هناك .ولكن ألمانيا بغير قوة عسكرية ، ومعارضة بريطانيا وانتهازية فرنسا ومهددة بعودة الاتحاد السوفيتي لسياسة ما قبل جورباتشوف ، اضعف من ان تتصدى بشكل حاسم للولايات المتحدة ، وقد اتهم الألمان بريطانيا بأنها الطابور الخامس الذي يمنع قيام موقف اوربي موحد هو وحده ـ بعد غياب الاتحاد السوفيتي ـ كان القادر على تغيير المسلكية الامريكية .

وكما قلنا لم يكن صدام يساعد نفسه لكي يساعده الآخرون . . فبعد ان « بطط » كل محاولات اوروبا للتدخل ، متفقا بذلك ، المخطط الامريكي . تشبثت أوروبا بآخر قشة وهي الأمم المتحدة ممثلة في دي كويار سكرتيرها العام الذي قرر التوجه لبغداد وحاولت المجموعة الاوروبية اغراء العراق بالتعاون معه وقيل ان « فرنسا وألمانيا وايطاليا واسبانيا قد ابلغوا بغداد ان الكلمة

الاخيرة ليست في جنيف ..(المكان الذي تحدد للقاء طارق وبيكر)»[3]

و دعت المجموعة الاوروبية بناء على طلب من فرنسا وألمانيا لاجتماع على مستوى وزراء الخارجية اليوم في جنيف حيث يلتقون بسكرتير الأمم المتحدة في طريقه لبغداد واذيع ان المجموعة في سعيها لانقاذ السلام زادت جهودها للدعوة إلى مؤتمر دولي لبحث قضية فلسطين فور انسحاب القوات العراقية وأن هذا الوعد قد يدفع العراق لاعلان انسحابه من الكويت فيما تبقى من ايام... مستر كويار يتوقع ان يتعهد بحماية العراق من اي هجوم وذلك باقتراح وضع قوات دولية بين العراق والقوات التي تقودها امريكا إلى ان يتم الانسحاب . وصرح وزير خارجية ايطاليا ان اهم عرض لبغداد هو قوات حفظ سلام تستبعد منها الولايات المتحدة وحلفاؤها.»[4] كما سيقابل كويار وزير خارجية يوغوسلافيا الذي يترأس مجموعة عدم الانحياز ».

ولكن لأمر ما اختار العراق ان يصفع كويار، ويعامله باحتقار ! فأحبط جهود من حاولوا تخليصه واحكم بيده الطوق الامريكي على عنقه !

فلما مكنت صواريخ صدام الولايات المتحدة والصهيونية من شهر سلاح عداء السامية.. وابادة اليهود.. هرول الجميع يقدمون فروض الطاعة ويدفعون الجزية لاسرائيل . وانطلقت الحملة ضد ألمانيا بالذات بحجة انها هي التي سلحت صدام.. وأيضا لا تنسى انها مرة من ذات المرات اضطهدت اليهود .. والبابا برأ اليهود المعاصرين من خطيئة اجدادهم مع المسيح . ولكن خطيئة الرايخ الثالث تتوارث.. ويشير بها الألمان إلى الأبد :« لا شي كان سيزيح شبح الرايخ مثل رؤية الجنود الألمان يقاومون الصواريخ سكود التي تضرب اسرائيل من قواعد ساعد الألمان على بنائها »[5]

ومهما قيل في الموقف الاوروبي وعدم قدرته على مواجهة الولايات المتحدة في جبروتها وقد انحاز اليها الاتحاد السوفيتي فيما يشبه ما جرى خلال أزمة قناة السويس.. الا ان العراق قد لعب دورا اساسيا في تفشيل الجهد الاوروبي وقد كتبنا يومها نقول.. «يبدو ان الولايات المتحدة ليست هي وحدها التي لا ترغب في التدخل الاوروبي وانما الذي يثير اكبر من علامة استفهام هو موقف العراق الذي رفض الاجتماع بالمجموعة الاوروبية ودعاها هي إلى التوجه إلى بغداد . وقال ان السبب هو انهم ألغوا دعوتهم السابقة !! وهذا بالطبع يثير الاتهام القديم بأن أمرا مطبوخا بين واشنطن وبغداد ومن ثم فإن خروج القضية من ايديهما قد يكشف أو يعطل الاتفاق . ولكن الذي استرعى

الانتباه ان الاعلان جاء بعد الاجتماع بين مبعوث ميتران وصدام حسين . » وتستطيع ان نضيف اليوم انه يحتمل ان يكون طارق عزيز هو احد عملاء الـ «سي اي ايه» الذين قال مايلز كوبلند وهو على فراش الموت انهم يحيطون بالرئيس صدام . . ونعتقد انه إلى جانب سد الطريق على اية محاولة لاخراج صدام من الفخ برفض الدعوة الاوروبية ، والمؤتمر الصحفي الاستفزازي الذي عقده بعد اجتماعه الفاشل بيكر، والذي بلغ من سرور بوش به انه مدح طارق عزيز وقال انه مفاوض صلب . . كذلك المعاملة التعسة لسكرتير الأمم المتحدة .وايضا نعتقد انه فعل مثل شمس بدران . . كان ينقل لصدام صورة مخالفة عن حقيقة الموقف السوفيتي ، وهناك اشارة وردت عرضا تفيد ان موسكو كان لديها هذا الشك في طارق عزيز . . وقد اشرنا اليها . .

واذا كان بوش قد استطاع ان يحول المستشار الألماني في اقل من سبعة شهور من نجم العالم . . بطل الوحدة ديك اوروبا المنتشي . . إلى المتهم الاول بمتاعب الألمان والذي تروج الشائعات عن استقالته ثلاث مرات يوميا . . فقد سبق كول على المقصلة وزير الدفاع الفرنسي و قائد البحرية الايطالية في الخليج بعد ان نشرت مقابلة صحفية معه قال فيها « ان الحرب كان يمكن تجنبها اذا ابدى الحلفاء قليلا من الحكمة واعطوا الحصار فرصة اكبر للعمل . مع تقدير افضل لما يواجهنا . . وكان من الممكن الوصول إلى حل سياسي . »[٩٦]

وكان الحل هو إخراجه أو خروجه من الخدمة . . فلا احد يعارض اليانكي . . !
اما شيفرنادزة فقد سقط على المقصلة المضادة !

التركي.. دخل الحرب جنرالا وخرج سقا!

عندما دبرت المخابرات البريطانية قتل حسني الزعيم قال مندوبها لزميله الامريكي .. يجب ان تشكرونا اذ دفناه في مقبرة الفرنسيين لكي لا تكشف عمالته لكم .. وتركيا تحب ان تدفن مع الاوروبيين ، تفضل ان تكون الاخيرة في اوروبا عن ان تكون الاولى في الشرق الذي دان لها بالولاء ما يقرب من خمسة قرون.. والرئيس التركي تورغو اوزال يثبت اوروبية تركيا لجملة «انايم» بحقيقة انهم كانوا « يطلقون على الدولة العثمانية لقب رجل اوروبا المريض .. فنحن من اوروبا» « واليوم نحن بالتأكيد غربيو التوجه ، عندنا ديموقراطية واقتصاد حر ولو أن ٩٨ ٪ من السكان مسلمون إلا اننا دولة علمانية» ووعد بادخال الكتب المعادية للاسلام الممنوعة بسبب قوانين قديمة في تركيا. لتأكيد اوروبيته!

وهكذا فوددنا للاتراك قد ألحقنا الحديث عنهم بنهاية حديثنا عن موقف اوروبا ..

صحيح ان النظام القائم في تركيا ، والخاضع لإرادة الولايات المتحدة لم يكن بوسعه رفض المطالب الامريكية ، ولكن تركيا كانت تتصور انها بموقفها من ازمة الخليج ، قد عادت إلى العالم العربي ومن أوسع الابواب .. باب العم سام .. وكانت قد خرجت منه بعد الحرب العالمية الاولى على يد الحلفاء أو بريطانيا بالذات التي نظمت مخابراتها ما سموه توقحا واستهتارا بالثورة العربية الكبرى ، التي جعلوا عائلة الشريف حسين شرابة خرجها.. وقد « انتصرت» الثورة العربية الكبرى انتصارا ساحقا مما أدى إلى فوز فرنسا بسوريا ولبنان، وبريطانيا بالاردن والعراق ، وتأكيد سيطرتها على مصر والسودان والخليج وجنوب الجزيرة العربية ، كما اعطيت فلسطين لليهود على ان تتولى بريطانيا تصفيتها من العرب!

ولا تعرف ثورة أخرى في تاريخ البشر حققت مثل هذا النجاح الذي ما زلنا نعاني من آثاره إلى اليوم ولعلها لذلك استحقت ان تسمى ثورة العرب الكبرى وان يتيه بها الشريف الملك حسين بن طلال– وله الحق– شرط ان نعرف من يعني عندما يتحدث عن العرب ! اما تركيا فلأسباب عديدة فقد كرهت العرب و كرهت الاسلام الذي جاءها من العرب ويربطها بهم .. ولعقت حذاء الغرب الذي تعطف وتركها تستمر كدولة بعد أن قص اطرافها وحطم عظامها ، بشرط ان تمضي

في محـاربة الاسـلام ، ويأمل ان تكون قـدوة تزيل الاسـلام فـيـمـا تبـقى من العالمين العربي والاسـلامي.. وقد ظلت علمانية تركيـا هي المثل الذي يضـربه لنا كل فـاسق يظهـره ويظاهره الاستعماريون في العالم العربي إلى يومنا هذا! .. فلما تقرر ضـرب العرب ، واتاح صـدام حسين الفرصـة لذلك ، ظهرت الحاجة لتركيا لعـدة عوامل : العـامل الاقتصـادي وهو انه لا يمكن احكام الحصار على العراق الا بغلق خط النفط العراقي المتجه عبر تركيا-[٤٧] كذلك كانت تركيا مطلوبة لتوفر التسهيلات العسكرية للطيران الامريكي ، وللضغط على العراق لكي لا ينقل كل قواته للجبهة الجنوبية . وان كـانت هذه النقطة لعبت بعـد ذلك لصـالح صـدام اذ ان القـوات التي كـانت على الحدود مع تركيا بقت وانضمت للقوات التي سمح بوش بافلاتها من الكويت لضرب الشـعب العراقي .. كما كان دور تركيا مهما في تقرير مصير الاكراد وموازنة الضغط الايراني والتحسب لاحتمالات انهيار العراق وتقسيمه .. وقد داعبت امريكا احلام التوسعيين الاتراك بالحديث عن حق تركيا في الموصل .. على اساس انها ضـمت للبصرة وبغداد عندما قررت بريطانيا تشكيل العراق الحديث ..

وبهذه المناسبة فالحديث عن العراق شابه كثير من سوء الفـهم وسوء الظن .. فالقول بأن العراق لم يكن موجودا قبل الحرب العالمية الاولى يتناقض مع صيحة :يا أهل العراق ! ..من اكثر من ألف وثلاثمائة سنة .. ولاشك ان عراق الحجاج والعباسيين كان اكبر من العراق الحالي وكان ابراهيم الموصلي يغني للخليفة في بغداد بدون إذن إقامة ولا كفيل .. ولكن لما دخل الوطن العربي كله في الامبراطورية العثمانية قسمته إلى ولايات أو محافظات أو سناجق أو متصرفيات على طريقة الدول الكبرى في كراهية الوحدات الكبيرة داخل امبراطوريتها. ولعلنا نذكر ان مدينة الاسكندرية لم تمنح ولايتها لمحمد على إلا بعد انتصاره على الانجليز في رشيد ، وهكذا كانت الكويت مرتبطة مع والي البصرة وفقا للنظام القبلي الذي يعطي لشيخ الكويت صلاحيات واسعة، ولكن في حدود ادارة شئون قبيلته فقط.. كما كانت الموصل مرتبطة بالاستانة مثل بغداد .. فلا يجوز ان نعلق كبير اهمية على التقسيمات العثمانية الإدارية .. ولكن عندما طرح إمكان تقسيم العراق هرع الورثة يفتشون خزانة العائلة.. » واصبح الجيش التركي يضبط خطوته في الطوابير على لحن يقول : «صدام يذهب والتركي يركب ..» [٤٨]

وقال متحدث تركي ان انقرة لا طموحات اقليمية لها في المنطقة وذلك خوفا من اثارة ايران وسوريا والاتحاد السوفيتي .. ولكن الموصل وكركوك على القائمة وكل تركي يعرف ذلك . الصحفيون الاتراك قالوا إن اوزال يدرس الوثائق التي تثبت حق تركيا في الموصل»[59]

و اجرت CNN مقابلة مع الرئيس التركي اوزال قال فيها: «ان احتمالات انسحاب صدام هي ٣٠٪ اذا ما وافق الكونغرس على تخويل بوش صلاحيات الحرب .. وقال ان العالم يجب ان يأتي بحل للصراع العربي / الاسرائيلي سواء انسحب صدام سلما أو لم ينسحب .. مع العلم ان غزو الكويت لم يكن بسبب فلسطين، نحن مع المؤتمر ولكن ليس كمكافأة للعراق . وعن احتمال اشتراك تركيا في الحرب قال: اذا لم تهاجم العراق تركيا فلن نفتح جبهة اخرى ولكن بعد الهجوم الكبير على العراق وانهيار النظام فقد نضطر للتدخل .» (الظاهر انه لم يعتبر السماح للطائرات الامريكية بمهاجمة العراق من القواعد التركية في انسرليك جبهة ثانية ، ولا حتى تدخلا !) ويبدو انه بحث مع ايران الموقف في حالة تمزق العراق ، فقال ان رافسنجاني يعتقد بوقوع فراغ سياسي في العراق وسيخلق ذلك وضعا خطيرا .. وقال انه يأمل ان يتدارك جنرال عراقي الوضع ويحمي سلامة العراق .» اي بانقلاب .. ولعل اخطر ما قاله هو: « لن يكون الخليج كما كان قبل الغزو العراقي .»

وارسل حلف الناتو إلى تركيا من المانيا وبلجيكا وايطاليا ٤٣ نفاثة مقاتلة ، و لأول مرة ذهبت وحدة المانية عسكرية للعمل خارج الحدود في تركيا . وحوالي ٢٧٠ من الطيارين ومساعديهم هم جزء من وحدة للدفاع عن تركيا ضد احتمال هجوم عراقي[60] ولمواجهة الثورة العراقية التي كان يتوقعها الجميع ، وبيتوا الغدر له .. قامت تركيا باسترضاء اكرادها لتهدئتهم إلى ان تمر العاصفة ثم تعود للسياسة التقليدية في معاملة الكردي .. وهي اقل من الابادة بما يكفل استمرار العذاب .. فقد اعلن اعادة السماح للاكراد باستخدام لغتهم الكردية بعد حرمان دام ٦٥ سنة ، وبالطبع استراب المعلقون في هذه النخوة التركية المفاجئة . وقالوا : « زوج امي يتبسم لي وليس اليوم يوم عيد ولا عندنا ضيوف .. لابد أن وراء الأكمة ما وراءها!»[61]

وعندما ثار الاكراد كان من اهم عوامل ترك مفتاح العراق بيدهم هو رفض تركيا وايران قيام كيان كردي مستقل يثير طموحات اكرادهم .. فلما استحر القتل في الاكراد واضطروا إلى

الهروب إلى الجبال ، لم يحسن الاتراك استقبالهم واشتكوا بأن اللاجئين يكلفونهم مليونين ونصف مليون دولار يوميا . .وقال اوزال ردا على انتقادات اوروبا . . لو ذهبت بحمولة طائرة واحدة من هؤلاءاللاجئين لأي بلد اوروبي لردونا على اعقابنا . .(التايم) وهرعت اوروبا لنجدة الاكراد ، وفي اعقابها امريكا وارسلوا قواتهم الى شمال العراق . . حيث الجو ارطب من الجنوب واقرب للاتحاد السوفيتي المحبوب ، وتكون امريكا مسيطرة على النفط من الشمال والجنوب !

وربما كان من اسباب الحديث عن ضم الموصل الغنية جدا بالنفط هو الرغبة في دعم اوزال الذي واجه معارضة شديده من الجماهير المسلمة والاحزاب المعارضة للولايات المتحدة.. والتي قاعدتها المصالح الاقتصادية مع العراق. و هي اهم واكبر من كل مصالح تركيا الاقتصادية مع امريكا ويكفي ان نقارن هذه الارقام التي وردت في تحقيق التايم. . فالمعونة الامريكية التي لا تعتمد لتركيا كل عام الا بعد ان يمسح الكونغرس البلاط بكرامة الباشا التركي ويشتم السلطان حول حقوق الانسان اليوناني في اغتصاب قبرص وتنصير السكان المحليين من عبدة الاوثان المسلمان . . هذه المعونة هي اربعة عشر مليون دولار ورفعت مكافأة لموقف اوزال هذا العام إلى خمسين مليون دولار ! بينما خسرت تركيا حتى الآن (مايو ١٩٩١) بليونا واربعمائة مليون دولار بسبب وقف ضخ النفط العراقي إلى ميناء YUMURTALIK التركي ، وخسائر تركيا التجارية بسبب الأزمة تجاوزت ٩ بلايين دولار . . والعراق كان ثالث اكبرمتاجر مع تركيا ، وربما اكبر سوق لشركات المقاولات التركية .احدى الشركات التركية كانت تنفذ بناء سد بخام على دجلة بما قيمته ١,٥ بليون دولار، توقفت عن العمل بسبب الحرب بل وفقدت معدات ثمنها ٢٥٠ مليون دولار، و بالطبع فإن انحياز تركيا إلى الكويت قد قضى على فرصة الشركات التركية في مقاولات العراق ولو إلى حين، .ونقلت التايم عن رجل اعمال تركي : « الكويت لن تحتاج إلى العمليات الضخمة مثل العراق وكل العمليات فاز بها الامريكان والانجليز . . وحصلت شركة تركية على عقد يتم لتوزيع الماء ! » الباشا التركي الذي دخل الحرب ليتولى مصرفية الموصل عينوه سقا! ولم يبق له إلا أن يقول:اشرب من دي وسيب دي . .صدام خرسيس ادب سيس والعيد وسيده على باب الامريكان ! ولذلك لم يكن غريبا ان ينحاز الاتراك ضد اوزال ومعسكره في الحرب وقد زعم بيتر ارنت الذي اشتهر فترة الحرب بصداقته مع صدام زعم ان والنساء في تركيا يسمون اولادهم

وبناتهم باسمه »[٦٢]

وواستقال القائد العام للجيش الجنرال نجيب تورمتاي لأنه غير سعيد بموقف رئيس الجمهورية من العراق وغير سعيد ايضا من ارتفاع المد الاسلامي في تركيا !!وقالت المعارضة ان استقالة القائد التركي تعبر عن نفور المؤسسة العسكرية من الاشتراك في الحرب ، وان البلاد قد انحازت بسرعة إلى جانب امريكا ضد بلد مجاور»[٦٣]

واذا كان اوزال قد انحاز إلى جانب امريكا ليعزز أوروبيته ، ويفوز بجانب من الغنيمة أو كما قال يدفع قرشا ليربح ثلاثة .. فالنتائج حتى الآن تؤكد انه خسر على جميع الجبهات.. فسياسيا .. لم ترحب اوروبا بموقفه ، ونحن قد حللنا الميول الحقيقية لأوروبا في أزمة الخليج ، وكان اوزال قد مني شعبه بأن موقفه في أزمة الخليج سيفتح له باب الانضمام للمجموعة الاوروبية، ولكنه فور انتهاء الحرب تلقى صفعة بأن طلبه لن ينظر فيه قبل خمس سنوات نظرا لاضطراب الأوضاع في شرق اوروبا ! بل رفضت السوق الاوروبية حتى طلب أنقرة زيادة المسموح بتصديره من منسوجات تركيا للسوق الاوروبية .. امريكا فقط ضاعفت الحصة .

واشرنا إلى بعض خسائر تركيا الاقتصادية والتي ادت إلى ارتفاع العجز في الميزانية التركية إلى الضعف وارتفع معدل التضخم إلى ستين بالمائة سنويا ..وارتفع العجز في الميزان التجاري اكثر من الضعف فاصبح ٩.٦ بليون دولار وهبط الاحتياطي بليونين . تركيا التي وعدوها بأربعة بلايين لم تحصل إلا على ثلث هذا المبلغ ، امريكا اعطتها سلاحا وذخائر بـ٨٢ مليون دولار، ورفعت امريكا مساعدتها من ١٤ مليونا إلى ٥٠مليونا !

السعودية وحدها دفعت الأكثر- كما هي العادة -حتى اذا كان القتيل هو الكويت ! فقد اعطت المملكة لتركيا نفطا مجانا قيمته ١.١ بليون دولار ، اما الكويت التي وعدت بـ٥٣٩ مليون دولار لم تدفع منها إلا ٣٠٠ مليون وادي وش الضيف ! السوق الاوروبية اعطت تركيا قرضا بـ ٢١٠ ملايين بدون فائدة لعشر سنوات »[٦٤]

وهكذا زاحمت اسطنبول ، مرة اخرى ،القاهرة على الفوز بلقب : « نقبك على شونة ! »

الأذلان .. روسيا والصين !!

عشية الهجوم الامريكي على العراق قال السفير الياباني في بغداد : «الكارثة هي ان العراقيين يعتقدون ان روسيا والصين لن يسمحا باستخدام القوة فورا بعد ١٥ يناير»[٦٥] وفي تحقيق نشرته التايم عن الامبراطورية الامريكية العالمية الجديدة أو تحول امريكا الى شرطي أومافيا العالم.. سيان.. نقلت عن رئيس وزراء ماليزيا « محاضر محمد » قوله:«العالم في رعب من امريكا .. لم تعد هناك روسيا يمكن الاحتماء بها »[٦٦]

واذا فرضنا حسن النية في الرئيس العراقي وحكومته ، فيمكن الاعتذار عنهم بأنهم لم يستوعبوا حقيقة خروج الاتحاد السوفيتي من التوازن العالمي كقوة مؤثرة في القرار الامريكي ، حقيقة سقوط التحدي الشيوعي والمواجهة الروسية للولايات المتحدة . لم يقدروا نتائج انتهاء الحرب الباردة . وكون هذا الانتهاء لم يتم عن تراض أو توازن الردع بل نتيجة أو بتأثير الانهيار الاقتصادي في روسيا وشرق اوربا وعجز الصين عن تحقيق طفرة صناعية / تكنولوجية كالتي حققتها اليابان أو حتى كوريا الجنوبية .. لقد اصبح الاتحاد السوفيتي غير قادر على مواجهة امريكا بل بحاجة الى دعم امريكا الاقتصادي .ويطرح نفسه على اعتاب الدول الرأسمالية السبع يناشدها مائة مليار تمنع الاتحاد السوفيتي العظيم من الانهيار ! واخطر من ذلك اصبح جورباتشوف وما يمثله بحاجة الى الدعم السياسي الامريكي في الصراع على السلطة داخل الاتحاد السوفيتي.. ومن ثم لم يكن هناك اي مجال للاعتماد عليه في مجابهة ضد الولايات المتحدة ، ولا حتى في منع الولايات المتحدة من غزو العراق، ولو من خلال الأمم المتحدة والانذارات العنترية التي اطلقها خورشوف في عام ١٩٥٦..

وسواء أكان التوقيت من جانب روسيا أم من الاجهزة الامريكية ، فقد تزامن الغزو الامريكي للخليج وضرب العراق مع اشتداد الأزمة في جمهوريات البلطيق الساعية للاستقلال ، حيث وصل الأمر لاستخدام الدبابات الروسية لمنع انفصالها . وهكذا انحصرت مناورات الاتحاد السوفيتي في محاولة إسكات المعارضة الامريكية لما يفعله هو في البلطيق ، مقابل سكوته وتأييده لغزوها أو تدميرها للعراق، ..مع بعض الغمغمات لترضية المعارضة الروسية .

وقد اشار تحقيق في الواشنطن بوست عن بعض الثمن الذي دفعته امريكا لشراء موافقة

موسكو. فضلا عن شحنات الطعام، سكت بوش عندما هدد جورباتشوف بنسف مؤتمر باريس إذا سمح لجمهوريات البلطيق بالاشتراك فيه. بل وقاطعت الولايات المتحدة احتفالات لاتفيا بيومها الوطني، وألغت زيارة كانت مقررة لوكيل وزارة الخزانة لليتوانيا. وكذلك انهت الولايات المتحدة قرار الحظر الذي فرض على الاتصالات الرسمية مع الصين وسيزور وفد صيني تجاري الولايات المتحدة..»[67]

ولكن.. هل صحيح كان موقف الاتحاد السوفيتي هو موقف الشيطان الأخرس أو العاجز الذي لا يطلب أكثر من السلامة؟! هل كان موقف الاتحاد السوفيتي مثل موقف الصين الذي لا يحتاج لكثير من التحليل أو التفسير، فهي لا تستطيع مواجهة امريكا والاتحاد السوفيتي معا، وهي بحاجة للدعم أو المساعدة الامريكية ولكنها رفضت ان تتحمل أية مسئولية في قرار ضرب العراق وامتنعت عن التصويت. وكان ذلك آخر جهدها.. ولا يفوتنا هنا ان نشير لمصادفة عجيبة جعلت السعودية تعترف بالصين وتتبادل معها العلاقات عشية أزمة الخليج! ولا يستطيع أحد أن يجزم إن كان ذلك مجرد حسن حظ سفير المملكة في واشنطن ـ وهو صاحب المبادرة ـ إذ لولا هذه الصفقة الدبلوماسية والاقتصادية لكان من المحتمل ان تستخدم الصين حق الفيتو ولوقع اضطراب كبير في استراتيجية «تحرير الكويت»!

ومهما يكن فالصين لم تكن تملك وسيلة لدعم صدام ولو أرادت! كما قالت صحيفة بريطانية «لا توجد وسيلة لتموين جيوش صدام حيث إن الصين وروسيا يلتزمان بقرار مجلس الأمن في الحصار وبما ان قدرات العراق الانتاجية محدودة فإن كل يوم يمر من ايام القصف الجوي يتركه اضعف، والتحالف اقوى.. صدام لا يمثل للغرب ما كان يمثله هوشي منه للفيتناميين. فهو معتد على بلد عربي بينما هوشي كان محررا لبلاده من الاستعمار..»[68]

وحتى لو أرادت الصين خرق الحصار فلم تكن لها حدود مشتركة مع العراق، وهكذا لم يكن امام الصين لتوازن بين موقفها التاريخي في معارضة الهيمنة وعلاقاتها السابقة مع العراق وعلاقاتها الجديدة المبشرة مع السعودية وما وراءها من دول الخليج، وحاجتها الى ان تدهن مع الامريكان فيدعنون في قضايا حقوق الانسان الصيني.. لم يكن امامها إلا الامتناع عن التصويت في الأمم المتحدة.. والتلفح بالغموض الدبلوماسي في التصريحات، ولا آمركم ولا انهاكم.. وكمثال على

الغموض الدبلوماسي انقل ما كتبناه في شهر نوفمبر : «قرأت الاطراف المعنية (كل على نيته) تصريح المتحدثة باسم وزارة الخارجية الصينية فقرأته صوت الكويت : « نفت بكين ان تكون قد أبلغت بغداد موقفها من احتمال صدور قرار جديد عن مجلس الأمن باستخدام القوة العسكرية وأكدت انها لن تستخدم الفيتو في حال اتخاذ هذا القرار » [69]

وقرأته صحف العراق : «انكرت الصين ان تكون قد اعطت تعهدا بعدم استخدام الفيتو ضد قرار الحرب . وقد صرحت المتحدثة باسم الخارجية الصينية بقولها « في حدود معلوماتي لم يتكلم وزير الخارجية في هذا الشأن . ان موقفنا هو السعي لحل سلمي طالما هناك شعاع من امل» [70]

« الصين قد تعيق قرار الأمم المتحدة بعمل عسكري ضد العراق . » [71]

وبينما كانت هذه التصريحات حمالة الاوجه تصدر في بكين كان للموقف الصيني في الرياض شديد الوضوح ، حيث الصينيون يعملون ليل نهار في دأب يأجوج ومأجوج وهم يقومون بتركيب صواريخ ريح الشرق وتزويدها برءوس نووية ، واحكام تصويبها في اتجاه العراق!

على اية حال لقد اشرنا لموقف الصين لنقارنه بموقف الاتحاد السوفيتي ونقول إن الاتحاد السوفيتي لم يكن في الأزمة حليف العراق ولا الصديق الناصح ولا حتى المحايد، بل كان عنصرا اساسيا في نجاح الجبهة العالمية التي كونها الرئيس بوش ، وعنصرا ضروريا في تشكيل الغطاء الشرعي في الأمم المتحدة . .

قال الدكتور كورليينكو النائب الاول لجروميكو : «ان شيفرنادزه هو اول من اوصى باستخدام القوة ضد العراق وانه مهد الطريق بذلك امام الرئيس الامريكي بطرح استخدام القوة بالفعل ، ووافق على القرار ٦٧٨ وهو قرار يجيز استخدام القوة بغير حدود مما اوشك ان يمكن الولايات المتحدة حتى من استخدام الاسلحة النووية تحت علم الأمم المتحدة. » [72]

فهل كانت موسكو ايضا عنصر خداع للعراق قاده الى التهلكة بوهم التوسط والتفاوض والمعارضة احيانا . . هل كان هناك اتفاق سري بين مجموعة جورباتشوف ـ شيفردنادزه والولايات المتحدة الامريكية . .

على الاقل هذا التواطؤ وتوزيع الادوار شكت فيه صحيفة بريطانية محترمة عند تفسيرها

لواحدة من النوبات التي كانت تنفجر في الاتحاد السوفيتي ضد السياسة الامريكية في الخليج وسرعان ما تنقشع !

في نهاية اكتوبراطلق جورباتشوف تصريحات في مدريد وصفتها الاوبزرفر(البريطانية) بأنها اكثر تصريحاته معارضة للحرب فقد قال :«الآن ونحن نبتعد عن عصر القوة وسباق السلاح والجيوش يجب ان نجد وسائل أخرى لمواجهة هذه المشاكل الخطيرة جدا. . ان العودة للسلاح أمر مكروه مكروه ..» ولمح جورباتشوف إلى استعداد العراق لعقد صفقة حول الكويت ..وطرح حكاية الحل العربي فقال :« الوقت قد حان لتحرك عربي للمساهمة في حل المشكلة ودعا العرب لإعلان موقف واضح» .

وقد حاولت « الايكونومست » ان تجد تفسيرا لهذا التقلب في الموقف السوفيتي ،من التأييد الكامل الذي بدأ في الأمم المتحدة ، ثم في هلسنكي عندما صرح جورباتشوف انه لا يستبعد استخدام وسائل أخرى ولكنه في لقاء باريس صرح ..« إن الحل العسكري مرفوض مرفوض ..» وطالب باخراج المشكلة من الاطار الدولي وردها مرة أخرى الى الملعب العربي «فهو نزاع بين عرب وعلى ارض عربية ولذا يجب ان تكون هناك مبادرة عربية تقودها السعودية ..» وقالت الايكونومست: ربما كان هذا الموقف السوفيتي، خطة مبيتة مع الولايات المتحدة ،..ان الموقف السوفيتي يمكن تفسيره بأحد امرين ان يكون جورباتشوف يعلم ان العراق على وشك الاستسلام، ووفقا لخطة دبلوماسية منسقة باحكام مع الامريكان ، يمثل فيها بوش دور المتصلب الذي يهدد بالحرب ويلعب جورباتشوف دور الملطف الذي يقود صدام نحو الاستسلام بكرامة. وهذا التحليل قد يفسر ماذا كان يقصد جورباتشوف عندما قال ان مجهودات مستر بريماكوف هي «جزء عضوي » من جهود مشتركة بعضها سري ..» (٩٠/١١/٣)

فهناك جهود مشتركة بعضها سري ونشاط بريماكوف جزء منها .. وهناك احتمال بتواطؤ سري وتمثيل أو توزيع ادوار .. وهذا هو المناخ الذي دارت فيه وقائع حرب الخليج.

وتؤكد صحيفة أخرى «ان واشنطن مقتنعة انها اذا ما حزمت أمرها فلن تقف موسكو في طريقها»[٧٣]

وبعض هذه الانفجارات ، التي كانت تصدر عن موسكو لم تكن كلها تمثيليات ولا هي

من باب المناورة ولكسب سالفة عند العراق ومؤيديه .. ولا حتى للمساومة على جمهوريات البلطيق إعمالا لمبدأ حق السيد في تأديب العبد الآبق وتضامن السادة في رد العبد للطاعة. فيترك جورباتشوف بوش يقيم العالم الجديد في الخليج ، ويتغاضى بوش أو يعصر ليمونة على ضميره المفعم بحقوق الانسان الى ان يقيم جورباتشوف عالمه في البلطيق .. بعض الغضبات الروسية لم تكن نفاقا كلها ، بل كانت تعبر عن الصراع الذي لم يحسم بعد في الاتحاد السوفيتي بين المدرسة الامبراطورية التي ترى ان شعار انهاء الحرب الباردة استغل من جانب الأمريكان لتدمير الاتحاد السوفيتي وتطويقه وفرض السيطرة الامريكية على العالم .. وهذا الجناح الذي اتفق على تسميته باليمين حاول استثمار موقف جماعة جورباتشوف من الغزو الامريكي للخليج وضرب الحليف القديم .. اي العراق .. لإحراج جورباتشوف واتهامه ببيع المصالح الروسية للولايات المتحدة . وكتبت صحيفة هذا الجناح اليميني في الحزب الشيوعي السوفيتي : هل يمكن أن يلام العراق وحده على الحرب ... لماذا لم يطلب العالم والاتحاد السوفيتي تدمير معتد آخر وهو إسرائيل ولماذا لم يعاقب العالم امريكا لمهاجمتها غرينادا وبناما..»[٧٤]

«استدعى البرلمان السوفيتي وزير الخارجية لمناقشته حول تصويته في مجلس الأمن على قرار استخدام القوة لأن بعض النواب السوفيت يعتقدون ان وزيرهم تجاوز حقوقه الدستورية بهذا التصويت»[٧٥] ومع ذلك فإن «البرلمان السوفيتي ايد تماما قرارات الأمم المتحدة في الخليج »[٧٦]

وكان هذا التيار يواجه جماعة جورباتشوف وشيفرنادزه ، ولا أحد قد نجح في تحديد مفردات هذا التيار ، ولكنه في ازمة الخليج كان يضم القوى الديموقراطية المراهنة على امريكا و إزالة كل بقايا الحرب الباردة ، وانضم إليهم الصهيونيون بالطبع .وقد قدم الاستاذ احمد الخميسي عرضا طيبا للصراع بين المعسكرين داخل الاتحاد السوفيتي ، فقال:« ولم يكن هذا الحماس (لضرب العراق ج) قاصرا على شيفرنادزة ، فقد دقت أقلام كثيرة طبول الحرب في أجهزة الإعلام . وكتب بافل فيلجينجاور في صحيفة « الجريدة المستقلة » السوفيتية قائلا في ١/٢٢ : إن نجاح الحلفاء في الشرق الوسط – حيث يحترمون(يقصد اهالي الشرق الاوسط) القوة والجبروت أكثر من المبادئ – سيحسم مصير الديمقراطية عامة لدينا في الاتحاد السوفيتي » ويعلل فكرته هذه بأن هزيمة العراق ستكون من الناحية الفعلية هزيمة للسلاح السوفيتي في مواجهة السلاح الأمريكي المتطور

والحديث، ومن ثم لا يعود بوسع المؤسسة العسكرية الصناعية السوفيتية أن تجد سوقا لترويج وبيع السلاح ، بعد أن ثبت عدم كفاءته .وحينئذ يمكن لقوى الديمقراطية (!) أن تتصدى لتلك المؤسسة وللعسكريين السوفييت وتفرض عليهم التغيير اللازم . ويختتم «بافل فيلجينجاور» مقالته بقوله : «والآن لا يبقى أمامنا إلا أن ندعو الله ، ونصلي ، من أجل النصر الأمريكي السريع والحاسم في الشرق الأوسط ، فمصيرنا نحن ايضا سيتحدد هناك ». وقد رد على هذه المقالة المعلق السياسي لجريدة «ازفستيا» الصحفي المعروف «ستانسيلاف كوندراشوف» في ١/٢٦ تحت عنوان «لا يمكن النهوض دون الشعور بالكرامة» قائلا : «وأنا أتابع تغطية حرب الخليج في صحفنا ، وهي تغطية يصعب عادة أن تميزها عن التغطية الاعلامية الأمريكية ، وأنا شخصيا لا أعرف السيد «فيلجينجاور» ، ولكني أشعر – إذا لجأنا لكلمة مهذبة – أشعر بالخجل من أناشيد المديح التي مجد بها «فيلجينجاور» الآلة العسكرية الأمريكية ، وبالخجل من الصفعات التي انهال بها على كل ماهو سوفيتي . ومثل هذا السلوك – الذي صار قاعدة للصحافة الجديدة لايكشف إلا عن انعدام الكرامة لدى أصحابه . ولست ضد النقد ، وليكن النقد كاسحا ، ولكن بإحترام لشعبك ؛ لأنه من دون ذلك لا يمكن للمرء أن يحترم نفسه . نعم نحن نمر بأزمة طاحنة ، لكن أرضنا وبلادنا ما زالت بين أيدينا ، ولا تعني الأزمة أن يؤكد البعض لنا أن الحرب الأمريكية في الشرق الأوسط هي التي ستقرر مصيرنا ، وأنه إذا نجح الامريكيون في حربهم ضد صدام حسين فإن الديمقراطية والرخاء سيحلان علينا . »وفي الوقت نفسه طالب الكتاب المشايعون للصهيونية في الاتحاد السوفيتي بالتدخل الحازم – عسكريا – ضد العراق ، وقطع العلاقات الدبلوماسية ليس فقط مع بغداد بل ووقف كافة الاتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية لأنها تناصر صدام حسين . .ويكتب بوريس بوليفوي في مجلة «العصر الحديث» العدد ٣٥ قائلا : إن لصوص بغداد لا يتورعون عن مختلف السرقات الرخيصة لمكونات انتاج السلاح الكيميائي من دول الغرب لتطوير أسلحتهم ، الأمر الذي يتنافى و يتعارض مع كافة القوانين الدولية ، ولنتذكر كيف أن هتلر نفسه لم يتجاسر على استخدام الغازات المحرمة اثناء الحرب العالمية ، بينما تنتج بغداد اكثر من أربعة أطنان من هذه الغازات شهريا . . ويكتب بيوتر جلادكوف في نفس المجلة تحت عنوان : « لا أكاد اصدق» فيقول : « في كل الحالات لابد من ملاحظة أن بلدان العالم الثالث ستصبح من الآن فصاعدا اكثر عدوانية

وستسعى لاملاء شروطها على مسرح السياسة الدولي». وترفض السيدة جاليا ميدروفا منح العراق ولو فرصة للتراجع ، فتكتب : اليوم كانت الكويت هي الضحية ، ولا نعرف على من سيحل الدور غدا . فالقضية الآن هي ضرورة الانصياع لمعايير ومبادئ المجتمع الدولي المتحضر - ولابد من وضع لعقاب المعتدي وتمضي قائلة : لقد التقيت مع مسئول أميركي وتحدثت معه حول أن العالم الثالث الآن يشهد فراغا في ظل غياب التنافس السوفيتي الأمريكي ، وقد تحاول قوة اقليمية أن تشغل هذا الفراغ ، أما عن إمكان العثور على مخرج سلمي من الأزمة فتقول : إن موقفي أقرب إلى موقف الذين يعتبرون أن الحوار مع مجرم دولي (تعني صدام حسين) هو موقف لا أخلاقي .

وتكتب ايزفستيا في ٨/١٧ عن صدام حسين فتقول : أنه قاتل ثاقب البصيرة بارد الدماء ولد والمسدس في يده وهو انسان يبحث فقط على الرعب داخل بلاده . ويشكو بريماكوف من رسالة نشرت في الايزفستيا .. تدعي ان الاتحاد السوفيتي اذا لم يشارك في الحرب المظفرة ضد العراق فسيحرم نفسه من حق المشاركة في التسوية السياسية»[٧٧]

هذا التيار كان يعبر عنه شيفرنادزه الذي لم يكن يتحفظ في تأييده لواشنطن وكأنه يخطط للهرب واللجوء الى الولايات المتحدة اوقد شن التيار المضاد حملة شعواء ضد شيفرنادزه مما اجبره على الاستقالة بزعم تخوفه من الديكتاتورية . واضطر الاتحادالسوفيتي أو جورباتشوف لإطلاق رسوله بريماكوف الذي لم نثق في جدية مهمته من اللحظة الأولي واتهمناه بالبلاهة أو الاستهبال .. وتأمل هذا التصريح العجيب من وسيط فضلا عن حليف :

« دعا بريماكوف لمبادرة سياسية جديدة لحل أزمة الخليج باقناع صدام بتسليم الكويت سلميا مقابل وعد من القوى الكبري بوضع تسوية عامة لقضية الشرق الاوسط . وقال في مقابلة صحفية في نيويورك : خلال بحث هذه المبادرة يجب ألا يتعجل مجلس الامن اصدار اي قرار يعتمد استخدام القوة . **ولكن إذا صدر هذا القرار فيجب ان يتبع الفعل القول بمهاجمة العراق فورا** فأنا لا أحب التهويش في الأمور الخطيرة.»[٧٨] (!!!)

وقال مرة أخرى : « يجب ان نبحث عن بعض الإمكانات لتجنب صداما عسكريا ولكنه اضاف ايضا انه لا يمكن ان يكون هناك قرار يكافئ صدام حسين على عدوانه . »[٧٩]

وياليت بريماكوف هذا ثبت على هذا الموقف ولكنه أورد صاحبه مورد التهلكة باختراع عبارة

«حفظ ماء الوجه» ودعا لاعطاء صدام ما يحفظ هذا الوجه . . وهو كمستشرق يتقن العربية على طريقة الوفد الروسي في مسرحية تحية كوريكا فقد زعم ان اهم ما يعني العربي هو حفظ ماء الوجه . . وقال في مذكراته :« ينبغي عند التعامل مع الساسة العرب والشرقيين عموما ، غض الطرف عن خصائصهم السيكولوجية ولا سيما تلك التي تتعلق بحساسيتهم إزاء ما قد يمس الشرف أو الكرامة » (المصور)

وهكذا كما قلنا بدأت دبلوماسية حفظ ماء الوجه التي ضللت صدام اذ اعتقد ان بريماكوف سيدبر له تسوية يخرج بها منتصرا وقد بدأ تحديته لصدام لمحاولة اخراج الرهائن السوفيت . .

« ايفيجني بريماكوف قال لهم إن صدام يريد ان يخرج بما يحفظ له ماء الوجه وذلك بمؤتمر سلام للشرق الاوسط يبحث النزاع العربي — الاسرائيلي والحدود الكويتية العراقية والوجود السوري في لبنان . وقد ردت الولايات المتحدة وحلفاؤها الاوروبيون بأنه لا مكان لمثل هذه الصفقة وان على العراق ان ينسحب من الكويت بلا شروط . يجب ألا يخرج صدام رابحا من الغزو . وقالت ان المندوب السوفيتي كان متفائلا بسبب وعد صدام له باخراج ٥٠٠٠ ٧سوفيتي وهي فرحة لم تطل اذ أعلن العراق انه سيبقيهم رهائن لضمان عدم تسرب المعلومات العسكرية للامريكان . »[٨٠]

«ويتندر الامريكيون على بريماكوف لأنه أعلن نجاحه في الافراج عن ألف سوفيتي وثبت كذب ذلك . ولم يعد أحد كما تقول الهيرالد تريبيون يهتم بتصريحات بريماكوف ولا مبادراته . (١١/١٨) ولكن صدام ظل يهتم وطارق عزيز يغرر بصدام حول دور ومواقف الاتحاد السوفيتي .

وقد اشرنا الى شكوكنا في الدور الذي كان يلعبه طارق عزيز وقد ورد نص غريب يفيد ان قادة الاتحاد السوفيتي يعتقدون ان طارق عزيز كان يزور رسائلهم لصدام حسين ! فقد كتب جيم هوجلاند:« يجب الا يعلن بوش وبيكر انه لا تمديد بأي حال لموعد ١٥يناير ويتجنبا السقوط في فخ المفاوضات » وضرب لهم مثلا كيف نشر جورباتشوف حديثه علنا في الصحافة قبل وبعد الاجتماع مع طارق عزيز ونشرت نص التحقير الحاد الذي وجهه جورباتشوف له في اجتماعهما، بينما كان لا يزال الاجتماع منعقدا لكي لا يحرفه عزيز عندما ينقله لصدام »[٨١]

وعندما استحر القتل في العراق استمر الاتحاد السوفيتي يحرك ويفرك بزعم سعيه لوقف اطلاق النار وسافر بريماكوف وعاد وانطلقت تصريحات ضد تدمير العراق دون بذل أي جهد لمنع هذا

التدمير . فصدرت تصريحات على اكثر من مستوى تشير إلي أن تدمير العراق ليس ضمن قرارات الأمم المتحدة وانه هدف لا يمكن ان توافق عليه موسكو . . وان امريكا لها مصالح مشروعة في المنطقة ولكن الخطأ هو ان تدعي واشنطن ان هذه المصالح تندرج تحت التفويض الذي اعطي لها من الأمم المتحدة . وقد تناغمت هذه الدعوة مع تصاعد المعارضة العربية والاسلامية لتدمير العراق .

وكان لابد ان يرد بوش على هذا الاستعراض السوفيتي الذي يأتي في اطار التحول الى اليمين في موسكو والاستعداد لشرق اوسط ما بعد الحرب . . قال بوش : انه لا يفكر في تدمير العراق فنحن نحترم شعب العراق ولا نريد دولة كسيحة بحيث يصبح العراق نفسه مستهدفا واكد ان الحرب في الخليج ليست حربا دينية ، بل هي حرب عادلة لأنها جاءت بعد استنفاد كل المحاولات الدبلوماسية ورد على اتهام المصالح بقوله « نحن لا نطلب شيئا لأنفسنا واكد ان القوات الامريكية ستغادر اذا انهت مهمتها أو اصبح وجودها غير مرغوب فيه أو لا حاجة اليه»

وقالت الهيرالد :« الاتحاد السوفيتي يحاول ان يستخدم بقايا نفوذه في العراق لاقناع صدام بالخروج من الحرب ويعرض عليه ان يحمل رسالة التسليم لامريكا اذا وافق . . »[٨٢]

وقد تناولنا مواقف روسيا في غير هذا المكان خلال استعراضنا لتطور الاحداث ويمكن القول – مرة أخرى – ان هذا الموقف كان محكوما بالتواطؤ الجورباتشوفي /الامريكي وبالصراعات الداخلية التي تحتاج لمناورات بريماكوف لإقناع المتمردين بأن الاتحاد السوفيتي العظيم لم يدخل بالكامل في الحظيرة الامريكية ولعدم اثارة الجمهوريات الاسلامية وايضا بالرغبة في هزيمة العراق لكي يكون ذلك عبرة لأي متمرد في تلك الجمهوريات المسلمة ، ولاحظ انه منذ أزمة الخليج خفتت المقاومة تماما في الجمهوريات الاسلامية التي كانت قد شهدت أعنف تمرد على السلطة السوفيتية ، بل وبعد ان ذبح الكلب الكويتي والقرد العراقي صوتت هذه الجمهوريات بأعلى نسبة ضد . . نعم ضد . . الاستقلال ! والعاقل من اتعظ بغيره .

وجورباتشوف الذي قبل ،من الصهيونية ،ما رفضه السلطان عبد الحميد ،لم يكن في وضع يسمح له باغتصاب اسرائيل بعد ان رضخت روسيا للضغط الصهيوني ووقعت صفقة ترحيل مواطنيها . . واعترفت بوصاية اسرائيل عليهم بسبب الدين !

ومن هنا يمكن فهم التناقض في المواقف والشعارات فتارة يثور جورباتشوف ويهدد وتذاع

تهديداته ليلا من التليفزيون السوفيتي خلال وجود طارق عزيز الذي استدعي الى موسكو لسماع ما يكره بعد ان نفد صبر الاتحاد السوفيتي من لعبة الرهائن التي يلعبها صدام مع السوفيت ومع تأكد تصميم الولايات المتحدة على الحرب ووجود موافقة عالمية أو حتى رضوخ للأمر الواقع يتزايد قلق الكرملين على رعاياه في بغداد. ويتهم الروس صدام حسين بخرق وعوده وهي التي كان قد اعطاها لبريماكوف صاحب الابتسامة البلهاء. ولكن الرهائن السوفيت لم يفرج عنهم إلا بعد ان هدد جورباتشوف بارسال العسكر .. وقد اتفق الموقف السوفيتي أخيرا مع وجهة نظر الحلفاء الغرب فأعلن جورباتشوف «ان مصير العراق في يد حكامها والوقت يجري ..» ورفض جورباتشوف مطلب الربط اذ قال « إن اصرار العراق على حل شامل لمشاكل الشرق الاوسط لا يجد استجابة من أحد نحن امام عدوان قد ارتكب ويجب ان يوقف وعندها فقط يمكن ان تواجه القضايا التي تحقق تسوية شرق اوسطية » (١٢/٢٨)

ولكن مع ارتفاع صوت المعارضة لجورباتشوف في الاجهزة السوفيتية ، وبعد الاطاحة بشيفرنادزه ومع وصول وزير الخارجية السوفيتي الجديد الى واشنطن .. وتحركات شمال افريقيا واليمن وايران لوقف اطلاق النار ومع تصاعد الاحتجاج الاوربي على ضرب جمهوريات البلطيق وتردد صدى هذا الاحتجاج في الكونجرس ، بدأ الاتحاد السوفيتي يعزف نغمة الاستياء من ضرب العراق أو ما وصف بأنه «انفصال موسكو عن واشنطن يتسع حول الهجمات على العراق»[٨٣] وبدأ العزف بتصريح الكسندر دزاخوف عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الروسي وسفير سابق في سوريا الذي قال ان موسكو تحاول من خلال اتصالات جديدة مع الولايات المتحدة والمجموعة الأوربية والدول العربية ، تشكيل مبادرة تحاول انهاء الحرب سريعا بمفاوضات داخل الأمم المتحدة.. وطرح تسوية شاملة للشرق الاوسط وقال ان موسكو تعمل من اجل اقتراح يتضمن انسحاب القوات العراقية ووقف اطلاق النار مع ربط ذلك بجولة أخرى من المناقشات تؤكد اهتمام العالم باجراء تسوية شاملة في الشرق الاوسط ..

«موسكو قلقة من مئات الالوف من الجنود والمدنيين الذين سيقتلون في حرب ستدمر منطقة شديدة الاهمية للاقتصاد العالمي فضلا عن دمار البيئة . وكذلك ستصبح المشكلة العربية / الاسرائيلية اعسر حلا.. ان هذا القلق لا يقلل من التزامنا بقرارات الأمم المتحدة ولكن هدفنا هو

كيف نوقف هذه الحرب أو تمنع انتشارها على الاقل .. ان مجلس الامن هو المخول بوقف القتال..وقال وزير الخارجية السوفيتي ان الخليج في مقدمة القضايا التي سيبحثها في نهاية الاسبوع ويوم الاثنين مع الرئيس بوش وقال نحن نؤيد قرار مجلس الامن بتحرير الكويت ولكن يبدو أننا انتقلنا لمرحلة ثانية هي تعرض العراق لتدمير خطير كما يتزايد الخطر على السكان المدنيين.وقال وزير الخارجية لوفد فلسطيني من منظمةالتحرير انه يمكن الوصول الى صيغة ينسحب العراق بموجبها من الكويت وتضع الاساس لتسوية شرق اوسطية .وقال دبلوماسي سوفيتي نحن نقول لهم انقذوا بلدكم من الدمار بقبول الانسحاب ، ستمهدون الطريق لتسوية شرق اوسطية .قال دزوكوف ان مصالحنا تختلف عن مصالح الامريكان وكون ان للولايات المتحدة مصالح في المنطقة لا يعني انها متطابقة أو مرتبطة مع قرارات الأمم المتحدة .ولم يخف استياء موسكو من القول بأنها سمحت للولايات المتحدة وحلفائها باستخدام القوة لفعل اي شئ لاعادة السيادة واستقلال الكويت»[84]

وكان تعليقنا يومها : الولايات المتحدة لمعرفتها بدوافع موسكو لا تعلق اهمية على هذه الشنشنة السوفيتية بل لعلها ترى فيها استمرارا للتغرير السوفيتي والفرنسي الذي جعل صدام يرفض جميع الحلول معتقدا بأن الروس أو الفرنسيين لن يسمحوا لامريكا بضربه.وهو الآن بالوهم الروسي الجديد سيرفض الاستسلام في انتظار مبادرة سوفيتية.وعلقت الدوائر الامريكية «الولايات المتحدة ترى ان بيان وزير الخارجية السوفيتي الذي يحذر امريكا من تدمير العراق هو بداية مجهود سوفيتي لحماية نفوذهم في العالم العربي بعدما تنتهي عاصفة الحرب . ادارة بوش غير مهتمة بملاحظات الوزير التي كانت اقوى نقد صدر من موسكو ضد السياسة الامريكية في الخليج . قال مسئول امريكي ان امريكا ستبدأ في الاهتمام لو أبدوا اي علامة لتأييد الجهود التي تبذلها دول شمال افريقيا وعدم الانحياز لوقف القتال.فالمهم انهم لم ينضموا لطلب وقف اطلاق النار ، هذا هو المهم .. انهم يحاولون غسل ايديهم من الحرب الدائرة»[85]

«المتحدث باسم الرئيس السوفيتي قال :ربما يكون الوقت قد حان لمبادرة سلامية جديدة..وقال ان موسكو تناقش افكارا عديدة مع عدد من الدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة ..وهناك عدة مبادرات مقترحة واشار الى احتمال مبادرة هندية.والمندوب الهندي في الأمم

المتحدة اقترح خطة لوقف اطلاق النار لثلاثة ايام للنظر في إمكان التوسط على أن يسحب صدام قواته على اساس ان الحرب ستستأنف اذا لم يحدث تقدم ٠٠ ولما سئل هل الاقتراح السوفيتي يهدف لانهاء الحرب قال ان هدفنا يغطي قطاعا واسعا من القضايا ولكن الاهتمام الرئيسي هو كيفية انهاء المشكلة وتجنب المزيد من إراقة الدماء ٠٠»[٨٦]

وهذا الكلام هو الذي ابقى صدام في انتظار مبادرة سوفيتية لوقف اطلاق النار على غرار ما حدث في ١٩٥٦٠٠ حتى دمر كل شئ واضطر للتسلل من الكويت بعلم وأمر الرئيس بوش.

وبينما كان جورباتشوف يرفض الربط ويصدر الاتحاد السوفيتي بيانا مع اسرائيل يستبعد المؤتمر الدولي ايلعب بيكر وبيسمرتنيخ الوزير السوفيتي الجديد ، على مشاعر عرب الربط ، ومعارضي جورباتشوف فيصدران بيانا مشتركا على هوى صدام والفلسطينيين يؤيد حل مشكلة فلسطين بعد انتهاء حرب الخليج ٠٠ وقد علقنا يومها : « وفي اطار كسب الوقت وتأجيل المعركة البرية يمكن ادراج موقف السوفيت والبيان المشترك الروسي / الامريكي الذي فاق اي تصور في التنازل من جانب الامريكان فهو لأول مرة يقبل وقف اطلاق النار بخطاب نية بالانسحاب وليس بالانسحاب غير المشروط ولا حتى الشروع فيه٠٠ وكذلك الربط الصريح بالوعد بحل الصراع العربي الاسرائيلي بعد حل ازمة الخليج! وقد وصفت التايمس البيان المشترك بقولها :«امريكا تقدم لصدام طريقا للخروج من الحرب٠٠ والاقتراح يبدو أنه يحمل تغييرا في السياسة الأمريكية التي كانت تطالب بالاستجابة الكاملة لقرارات الأمم المتحدة وليس مجرد وعد بالانسحاب٠وقد عرضت الدولتان ايضا ان يعملا معا للسلام بين العرب والاسرائيليين بعد انتهاء الحرب ٠٠ وقالت مصادر أخرى انه بعد تدمير الإمكانات الكيماوية والذرية واضعاف العراق فقد امكن للتحالف ان يحقق شروطه»[٨٧] ٠٠

وقلنا يومها :وليس الا حماقة صدام التي يمكن ان تفوت هذه الفرصة للنجاة من « مؤامرة تدميره»واقساد الوفاق الاسرائيلي الامريكي ٠٠ولكنه رد بغزو السعودية!!» (تعليق بتاريخ ٩١/١/٣١)

فهل من شك الآن في ان اخر ما كان يعني صدام هو قضية فلسطين ٠٠ ؟!

يلح على خاطر في تفسير هذا الموقف من صدام بعدما تأكد انه خسر الحرب ، وهو أن الاتفاق

معه كان يتضمن دخول القوات الامريكية العراق ، واسباب حرص امريكا على الدخول مفهومه. أما صدام فكان بحاجة للحماية الأمريكية لتطويق الثورة من الجنوب.. ولو قبل البيان وقتها لما كان هناك مبرر لدخول الأمريكان ولأطاحت به ثورة الجنوب المدعومة من ايران وبثورة الاكراد في الشمال .

اضاع صدام فرصة التشبث بهذا البيان والافلات تحت مظلته .. وتحتج اسرائيل ويتراجع البيت الابيض ويقسم انه ما شهد ولا اقر .. وتقول الاندبندنت وان البيت الابيض اوشك ان يستنكر البيان ، وبدت صورة الادارة الامريكية هكذا :الرئيس يقسم أن يبيد الطاغية صدام بينما وزير خارجيته يعرض صفقة تبقي صدام في السلطة .. واكذالبيت الأبيض ان بوش لم يستشر مقدما وكذلك لم يعلم حلفاء امريكا شيئا عن البيان قبل اعلانه،واسرائيل احتجت علنا . وانتشرت تكهنات بوجود خلاف بين بوش وبيكر المعروف بقلقه من التوسع غير المعلن في اهداف الحلفاء الحربية بحيث اصبحت تشمل خلع الرئيس صدام.. واتهم بيكر بالتراجع ليسر وزيرالخارجية الروسي.» [88]

ثم اضاع الاتحاد السوفيتي ، على العراق ، أربعة أيام قاسية في مفاوضات تحت القصف المستمر بحيث كان طارق عزيز لا يستطيع الوصول ولا بسيارة . ووضع مشروع ونقح ووافق عليه جورباتشوف وصدام .. وإليك رواية بريماكوف كذاب الزفة : «..قلت لصدام إن امريكا تنوي أن تشن هجوما بريا كبيرا وأن السياسة هي فن الممكن وبتعليمات جورباتشوف اقترحت أن يعلن العراق الانسحاب من الكويت في موعد قريب قدر الامكان وبلا شروط . وفي الساعة الثانية صباحا يوم ١٣ فبراير قدم طارق وثيقة تقرر ان القيادة العراقية تدرس بجد الافكار التي قدمت من الرئيس السوفيتي وستقدم ردها في المستقبل العاجل وبعد يومين قال مجلس الثورة انه مستعد للتجاوب مع قرار ٦٦٠ ولكنه وضع شروطا عدة وعندما اجتمعوا بجورباتشوف ووزير خارجيتنا في موسكو في ١٨ فبراير قال عزيز انه رغم الضربات الوحشية على العراق فانه لن يستسلم وهذا نهائي . قال جورباتشوف ان موقفكم متقلب فمن ناحية اتخذتم خطوة مهمة في سبيل تسوية سلمية ، ولكن مادمتم اعترفتم بالقرار ٦٦٠ الذي يطالب بالانسحاب غير المشروط ، فلماذا تضعون شروطا وتحفظات ؟! واراد جورباتشوف ان يعرف ايضا لماذا لم ترد في البيان العراقي

كلمة « الكويت » . وقال جورباتشوف اذا كنت تهتم بحياة مواطنيك ومصير العراق فإن الوقت أزف . . غادر عزيز الى بغداد في نفس اليوم وفي ٢٠ فبراير تسلمنا رسالة من سفارتنا في بغداد لقد طلب عزيز طائرة تنقله الى موسكو . . . . . . الروس بحثوا معهم وحددوا موعدا الكل شيء من تبادل الاسرى لرفع الحصار الاقتصادي كل هذا والامريكان ليس عندهم خبر أو على الاقل لا يلتزمون بحرف من ذلك . بل اعطى بوش انذاره : «يجب ان تخرج من الكويت قبل ظهر ٢٣ فبراير توقيت واشنطن»[89]

واستدعى فيتالي جياتيكو الصحفيين العالميين في الساعة الثالثة صباحا وهنأ المتحدث باسم جورباتشوف العالم بالوصول لاتفاق . . . . . . ثم قالوا لطارق عزيز بلهها واشرب منها.. متأسفين . . كان عليك ان توافق على شروط بوش !! ولم يبق امام صدام الا ان يقبل شروط بوش الذي راح يستعرض جبروته لإذلال الأمة العربية بل لاذلال العالم كله وقد خلا له الجو ! بفضل صدام والروس .

كان صدام هو آخر افرازات الحرب الباردة . . وجرى عليه ما يجري على الكائنات التي تتخلف عن التطور . وما فعلته امريكا كان اول اجراء في المرحلة الجديدة أو النظام العالمي الجديد . . فهل يكون الأخير ؟! هذا ما توقعته صحيفة بريطانية عندما قالت : « صحيح ان مجلس الامن قد اباح أو اقر كل خطوات العملية التي تقودها امريكا في الخليج ولكنها ابعد ما تكون عن مسلكية النظام العالمي الجديد ،انها اخر تدخل كبير من الولايات المتحدة كقوة عظمى »[90]

ومهما يكن مصير أمريكا فإن الأمر المؤكد بالنسبة للاتحاد السوفيتي، أن أزمة الخليج كانت آخر مرة تتعلق به اوهام دول العالم الثالث كدولة عظمى . . أو حتى دولة معارضة للهيمنة الأمريكية .

الباب الخامس

..سقط العراق ... وانتصر الزعيم!

الفصل الثاني عشر

طومار بوش بن أبي سفيان

والآن وقد طوفنا قـليلا ، حول موقف الدول من أزمة الخليج ، نعود إلى حيث تركنا بوش وصدام يلعبان بأعصاب العالم برفض كل منهما أن يتم اللقاء إلا في الموعد الذي يحدده هو لا الطرف الآخر . بوش يصمم ان يتم الاجتماع قبل الثالث من يناير .. وغرضه مفهوم . أما ما احتارت البرية فيه فهو اصرار صدام على ألا يتم اجتماع قبل الثاني عشر من يناير .. وتمحت اللعبة وانصرم شهرديسمبر دون ان يتمكن اي طرف من كبح جماح الولايات المتحدة ، ومنعها من المضي في خطتها لإرهاب العالم ، ولم ينصرم الشهر قبل ان يوقع بوش قرار الحرب باليوم والساعة.. واصبح المطلوب كسب الوقت الباقي وتلهية العالم حتى موعد الضربة .. وهنا فعل بوش ما فعله معاوية! فعندما اراد معاوية اعلان انشقاقه عن علي بن أبي طالب بعث للمدينة برسول يحمل طومارا (اي لفافة كبيرة مما ترسل فيها المكاتيب) وطاف الرجل على بعيره بأسواق المدينة بحيث رآه كل الناس وعرفوا ان هناك رسالة اعتراض من معاوية ،حتى وصل الى علي بن أبي طالب الذي فض الطومار فوجد بداخله ورقة بيضاء! فقد كان الاعلان عن الرسالة هو كل ما يعني معاوية بن أبي سفيان وليس محتواها .. ونفس الشئ فعله بوش في الاسبوع الأخير قبل الضرب.. كانت الايام قد مرت وفرص التراجع ضاقت .. واشتد قلق اوروبا والعالم، حتى البابا هاجم حرب الخليج بعبارات أخرجت غبطته من دائرة الحياد .. وكانت خطة بوش - كما قلنا - هي منع تدخل اي طرف ثالث، فبعكس كل ما قيل عن الموقف الدولي والغطاء الدولي.. الخ كانت السياسة الامريكية شديدة الحرص على منع تدويل أزمة الخليج وابقائها في دائرة القرار الامريكي وحده مع الاكتفاء باستصدار قرارات الامم المتحدة ، التي تدعم الموقف الامريكي وتعطيه الشرعية ..والغريب ان سياسة صدام هي الأخرى كانت منع تدويل الأزمة !

وكان العالم قد ضاق ذرعا - كما قلنا - بمخافة الاختلاف على تحديد موعد ، وبشاعة ان تنشب الحرب لأن كل طرف يرفض الموعد الذي حدده الآخر ! ومالت الاغلبية لاتهام بوش

بالتحث وسد الطريق على صدام .. وهنا كان لابد ان يخرج بوش من عبه أرنبا كبيرا يلهي به الرأي العام ويكسب الأيام الأخيرة، خاصة وقد ترددت انباء عن تفكير في داخل حزب البعث للبحث عن مخرج من جانب بعض العناصر الواعية التي اقلقها هول ما يدبر للعراق وخشت على مراكزها اذا ما وقعت الحرب ، ففكروا في اجبار صدام على التراجع استجابة لطلب الجماهير تحت شعار :الكويت فداؤك يا صدام ! ابق لنا وانسحب من الكويت ..

وقد تناقلت وكالات الانباء هذا الخبر فعلا ..

كان ارنب بوش هو مجرد طومار اعلن انه سيرسل بيكر ليجتمع بعزيز في جنيف ليسلمه رسالة إلى صدام حسين .. وبالطبع تعلقت انظار العالم كله بهذه الرسالة وتشوق الناس لمعرفة محتوياتها .. خاصة وقد أعلن أنها ارسلت بالعربية والانجليزية ، ربما لكي لا يتعلل العراقيون بالبحث عن مترجم أو الخطأ في الترجمة !

اما الرسالة فلم يكن فيها إلا السباب والتهديد .. ونفس الشئ ، يمكن قوله عن الاجتماع إذ لم لم يكن، هو أيضا ، إلا طومارا .. اي الهدف منه هو مجرد الاجتماع وليس مضمونه ولا نتائجه ! بل وحرص الطرفان على ان يحيطا الاجتماع بجو استفزازي يقضي على اية آمال في الاتفاق ..اعطى الامريكيون الاجتماع جو المافيا وبيكر لا يحمل فقط رسالة تهديد بل وصورا تكشف لصدام انهم يعرفون كل شئ عن تحصيناته وانهم يستطيعون قتله لو شاءوا. ..!

وفي الاذاعة التي وجهها بوش للشعب الامريكي لم يترك منفذا ولا مجالا للتفاوض ، إلا سده! .. فهي محادثات ليست سرية .. بل مجرد رسالة بالمختصر المفيد : انسحب بلا شروط وفورا والا فالعواقب وخيمة.. الانسحاب سيتم هذا العام (؟) نأمل سلما أو حربا اذا لزم الامر.. تحرير الكويت سيكون سريعا وحاسما . لن تكون هناك فيتنام اخرى .. استبعد زيارة بيكر لبغداد .. كل يوم يمر تصبح القوات العراقية اكثر تحصينا ويرفع الثمن الذي يجب ان نبذله لو اعطينا العراق وقتا آخر.. صدام يشكل تهديدا استراتيجيا لعواصم مصر والسعودية واسرائيل وسوريا وهو يهدد الديموقراطية الجديدة في اوروبا واقتصاد الولايات المتحدة ..(!!ج) الذين يطالبون بالصبر هم كما قال امير الكويت ليسوا مجبرين على العيش تحت الاحتلال العراقي .. لا نعلم اذا كانت العقوبات الاقتصادية ستنجح ام لا وهي لم تنجح حتى الآن .. تستخدم القوة

لإقرار النظام العالمي الجديد ..»

وطارق عزيز- بدوره - لم يظهر استفزازا ولا استعراضا إلا وتلاه في بيان قبول الدعوة: «ان الإدارة الامريكية ربطت الدعوة بتصريحات متعجرفة تعبر عن نواياها السيئة .. العراق لا يخضع للتهديد.. العراق يقبل الاجتماع انطلاقا من احترام الرأي العام العالمي وحسن التعامل بين الدول وليس عن ضغط .. العراق سيركز على موقفه المبدئي في رفض التهديد والتمسك بحقوقه واستعداده للدفاع عن هذه الحقوق بقوة . وسأعرف اذا كان الآخرون يريدون العمل على تحقيق السلام والامن المبني على العدل.. واهم قضية هي قضية الفلسطينيين وحقهم في بناء دولتهم الحرة في ارض فلسطين وعاصمتها القدس»؟

ولم يذكر الكويت بحرف .. بينما الطومار والاجتماع كله يدور حول الكويت وحدها أو على الاقل عن الكويت اساسا .. من وجهة نظر الامريكان بل ومن وجهة نظر الامم المتحدة و٢٨ دولة ارسلت قواتها لتحرير الكويت ..ولكن صدام عامل بوش كما عامل بن جديد : « لا حديث في الانسحاب ونتباحث في كل ما عدا ذلك ! »

واليك ما كتبناه وقتها .. « جاء من بغداد ان العراق وافق على الاجتماع بين عزيز وبيكر في آخر يوم اقترحه البيت الابيض وهو التاسع من يناير.. واعلنت المجموعة الاوروبية على الفور ان اجتماعها مع طارق سيكون في اليوم التالي .. ومن الواضح ان خمسة ايام لن تكفي لاصدار قرار الانسحاب فضلا عن تنفيذه بل ان المصادرالغربية تشكك في اهمية الاجتماع مع « طارق عزيز الذي ليس لديه صلاحيات وهو في الاجتماعات يقرأ من ورقة مكتوبة ولا يخرج ابدا عن النص فحتى القضايا الدبلوماسية الصغيرة لا يمكن ان تحل إلا بمقابلة الرئيس صدام .

«من الواضح ان بوش هو الذي يسعى لكسب الوقت لهدف استراتيجي في ذهنه ولا فائدة من محاولة استنتاجه . اما ما يحاول كسبه الآن والى الخامس عشر من يناير ان كان يريد حربا أو بعد ذلك التاريخ ان كان يدبر ما هو اخطر من الحرب ..فهو منع اي قيد يفرض على حركته أو يعطي العراق انطباعا بأن قرارالحرب قد خرج من يد بوش ، وسد الطريق على اي طرف ثالث خوفا من تنازلات للعراق . ولذلك كانت مبادرته التي يصفها كبار المسئولين في واشنطن أنها مبادرة «مسلوقة » اقترحت على عجل ودون اعداد كبير. ونعني مبادرة شحن بيكر إلى سويسرا ليكون

تحت طلب طارق عزيز اذا شاء الحديث ! ولكن من ناحية أخرى يمكن القول بأن بوش قد كسب بهذه المبادرة تبريد الكونغرس والمجموعة الاوروبية . وقطع الطريق على الحمائم والوسطاءالذين كما قيل اندفعوا في سيل من المبادرات الخاصة لتحقيق تسوية سلمية»

وان توقيت عرض البيت الابيض للتفاوض مع العراق لم يكن مصادفة بل جاء في نفس يوم انعقاد الكونغرس لقطع الطريق على اية مطالبة من الكونغرس بأن يذهب بوش الميل المتبقي لتجنب الحرب. وايضا لتفريغ ما وصف بأنه انفجار هواة مبادرات السلام بما فيها مبادرات المجموعة الاوروبية والذي لا تقوله الادارة الامريكية علنا هو ان اي مفاوضات يجريها العراق، مع طرف آخر غير الولايات المتحدة ، ستفضي إلى تنازلات للعراق غير مقبولة وهذا يشمل التفاوض مع العرب أوالاوروبين»[1]

على اية حال منذ ان نشرت التايمس هذه الحقيقة لم تعد سرا تخفيه امريكا عن صدام، اذ لابد ان سفارته النشطة في لندن كانت تقرأ التايمس . . فلماذا حرص صدام على انجاح اللعبة الامريكية، لماذا رفض ان يتفاوض مع الاوروبين أو ان يبعث للملك فهد بموافقته على الانسحاب لكي تبدأ المباحثات أو الحل العربي ؟!

« ويتهامس كبار المسئولين في حكومة بوش «بينما يبدو الرئيس متحمسا لإرسال بيكر فإن الكثيرين من المسئولين يقولون إنهم سيرتاحون اذا رفض الاجتماع من جانب العراق لأن الفكرة كلها من ارسال بيكر مسلوقة وخطأ من البداية»" «خطوة بوش لعقد الاجتماع ينتظر ان تفرمل المجموعة الاوربية عن محاولة طلب اتصال مباشروستعطي امريكا فرصة لمتابعة جهودها في المحادثات. ويقول الرسميون في لوكسمبرج ان الضغط على المجموعة خف بعرض بوش مقابلة بيكر لعزيز.»[1] «ضغوط الكونغرس والحلفاء تتصاعد من اجل الحل السلمي واستجاب البيت الابيض بالتنازل عن شرط مقابلة عزيز لبيكر قبل الثالث من يناير وأوحى لبغداد بالاستعداد لقبول موعد قبل ١٢ يناير وخطة الادارة هي الحصول على تأييد الكونغرس والحلفاء اذا تقرر الحرب.»[2]

وقد حرص الرئيس بوش على « سحب البساط من تحت اقدام المجموعة الاوربية »

«واوضح بوش ان اللقاء هو مجرد ابلاغ رسالة بالمختصر المفيد : انسحب وإلا تحمل النتائج»

«ويعتقد ان بيكر سيقدم لعزيزليس فقط معلومات بتفاصيل القوات العسكرية العراقية بل وايضا

كشفا بالتحركات الاخيرة للرئيس صدام مما يؤكد انه لو قامت الحرب فيمكن تتبع المخابرات الامريكية للرئيس صدام وقتله.»[8]

وقد علقنا يومها بقولنا : إذا كان بوش يستطيع قتل صدام بواسطة المخابرات الامريكية ولكنه فضل أن يشرك في العملية مليون جندي ..فهو اما مجنون أو كما قال الشاعر : قتل امرء في غابة جرم لا يغتفر .. وقتل شعب بأكمله مسألة فيها نظر .

من الواضح الآن ان قتل أو اسقاط صدام لم يكن إطلاقا على قائمة اهداف عملية عاصفة الصحراء .. بل لعل سلامة صدام حسين كانت احدى مسئوليات الجنرال شوارتسكوف .

ووصفت صحيفة العرب طارق عزيز بأنه« يجتمع مع بيكر باسم تسعين بالمائة من العرب.. وانه يمثل العرب الشرفاء .. ودعوتنا من البكاء المصطنع على الكويت فتلك قضية داخلية هامشية جدا »[9]

وتم اجتماع جنيف المرتقب وانتهى تماما كما أراده الطرفان : « اضاع تسعة ايام..ثم الخروج بلا نتائج إلا الاعجاب بكفاءة وصلابة طارق عزيز !.. «فالاجتماع طال حتى انتعشت الآمال وهبط سعر النفط ليعاود الارتفاع بعد ان انتهي الاجتماع ، بثلاث مؤتمرات صحفية شديدة التشاؤم إذ لم يتم الاتفاق ولا على نقطة واحدة ..أو كما قال بوش: ست ساعات اجتماع ومؤتمر صحفي لم يخطئ فيها طارق عزيز مرة واحدة ويذكر الكويت فضلا عن الانسحاب منها .. وكسب بوش الوقت وسخط الناس على تعنت صدام وأصبح الرأي العام العالمي والامريكي بالذات اكثر قبولا بأن الحرب محتومة وهي اخر الدواء .. بينما كسب صدام تأييد الجماهير الفلسطينية وقطاعا كبيرا من الرأي العام العربي الذي مازال يطرب لرفض حاكم عربي تسلم رسالة رئيس امريكي لأنها سيئة الأدب.ووزير خارجية يعلن انه سيضرب اسرائيل بكل تأكيد..وباختصار ان جميع الاطراف تعلن انها تسير الميل الأخير في طريق السلام بينما هي في الحقيقة تهرول إلى الحرب.. »[10] (ولعلنا تذكران فصلا في سيرة ابوزيد الناصري كانت حكاية رفض انذار امريكي مزعوم من دالاس .. ها هو ابوزيد التكريتي يرفض انذارا حقيقيا ومن بوش !)

أما انصار صدام في الصحافة العربية فقالوا :« وعلى كل حال اجتماع جنيف ما كان يمكن ان ينتهي إلا بالفشل فنجاحه الوحيد الممكن كان على حساب العراق ولمصلحة الولايات المتحدة ،

واذا افترضنا جدلا ان الرئيس العراقي عازم على الانسحاب في النهاية فهو غير مضطر ان يجير هذا الانسحاب للرئيس الامريكي وهو عدوه الاساسي في المواجهة الحالية »[11]

واظن انه قد تبين الآن بما يقطع من كل مكابر ان فشل مؤتمر جنيف كان لمصلحة الولايات المتحدة وضد مصلحة العراق على طول الخط وعلى كل خط .. وماذا كان يضير طارق عزيز .. لو قال حتى في المؤتمر الصحفي امام العالم .. سنخرج من الكويت بشرط عقد مؤتمر السلام أو حتى الانسحاب من كل اسرائيل! فقط كان يكفيه أن يقول انه مستعد للانسحاب ويطلب التفاوض .. لماذا اخراج لسانه للعالم بالاصرار على ان الكويت محيت من التاريخ فلا يذكرها بحرف ..

سؤال .. فهل لديكم جوابه ؟!

واخيرا جاء كويار !!

نجح بوش في ابقاء صدام في الفخ حتى الاسبوع الثاني من يناير واصبح الأمر يعد بالساعات .. ولكن كلمة قالها طارق عزيز كهربت الجو مرة أخرى فقد تساءل عن دور الامم المتحدة .. ولماذا أمريكا هي التي تفاوض وتحارب .. اين الامم المتحدة ..؟!

وتشبثت اوروبا بتحرك الامم المتحدة ..؟! واسقط في يد بوش .. وفي نفس الوقت رأى انها فرصة لإضاعة الساعات المقبلة وهكذا همس في اذن كويار انه لا مانع من ذهابه إلى بغداد .. والباقي على صدام وطارق عزيز ..

وفي هذه المرة لن نتنازل عن تفسيرنا بتواطؤ صدام مع بوش .. والا فمن يفسر لنا سر المعاملة التي عامل بها النظام العراقي ممثل الأمم المتحدة .. ولنرجع إلى اليوميات لننقل ما كتبناه وقتها ..

« بينما تتخذ الاجراءات الأخيرة جدا للاعداد للحرب مازال البعض يريدون تجربة حظهم أو اثبات انهم هم ايضا ساروا الميل الاخير في طريق السلام .. دي كويار سكرتير الامم المتحدة الذي لا يوحي وجهه في الظروف العادية بأي امل ، زاد من قتامته باعلان انه ذاهب إلى بغداد بلا امل .. ويبدو ان رحلته هي لابطال الحجة الذكية التي اثارها عزيز عندما قال ان بيكر يتحدث عن

العالم والأمم المتحدة ولكن الذي يفاوض ويهدد العراق ليس سكرتير الامم المتحدة بل وزير خارجية الولايات المتحدة . كما سيحاول ميتران ان يستولي على المسرح خلال الاسبوع المقبل .. ولو كان القرار الامريكي بالحرب لا رجعة فيه فإن هذه الزيارات والاجتماعات والاتصالات ستكون في اطار الجهود الحربي لأنها ستستنزف جهد وتركيز الرجل الوحيد الذي يملك كل القرارات في بغداد »

وكتبنا ايضا :«في الانجيل قول منسوب للسيد المسيح معناه : ها هو الحجر الذي كان ملقى في العراء قد اصبح حجر الزاوية .. وهذا القول ينطبق على سكرتير الامم المتحدة دي كويار الذي اصبح فجأة نجم الاسبوع الذي تتعلق به كل الانظار في انتظار الحل السلمي أو الذي ذهب إلى العراق ليأتي بالترياق ..وكان سكرتير الامم المتحدة قد تنبه فجأةالى مركزه وانتقاد الكثيرين لسلبية الامم المتحدة في معالجة الموقف.. فاعلن ضيقه من هيستيريا الحرب التي اثارها قرار الامم المتحدة .. وقال انه يعتقد بخطأ خلق هذه الهيستيريا عن حتمية الحرب يوم ١٥ يناير .. وكان ذلك يوم الخميس في اجتماع مع سفير لوكسمبرج للامم المتحدة وتردد ان كويار أيد فكرة ان يوجه رئيس مجلس الامن نداء يدعو لحل سلمي للأزمة وايضا قيل انه ايد الجهود المستقلة للتدخل في الأزمة بالحديث المباشر مع عزيز ..ثم اقترح ان يجتمع مجلس الامن قبل الخامس عشر من يناير ليقرر ماذا يحدث اذا لم ينسحب العراق وبعد ساعات سحب دعوته وقال انه وقع سوء فهم .[١٢]

وكان التراجع تحت ضغط الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معا ولكن الفكرة طرحت على ميتران في سؤال صحفي فبادر بتبنيها .. بينما رفضها بوش على الفور وفي تصريح صحفي..وان كان قد خفف من الهيستيريا التي اشتكي منها كويار فقال ان ١٥ يناير هو آخر موعد للانسحاب وليس موعدا لجيشنا ليبدأ الحرب ..

« وحتى الآن لم يصل كويار لبغداد ولا قابل الزعيم العراقي وانما نجح في تحقيق اهم هدف من رحلته في مخطط السياسة الامريكية في اعتقادنا ، وهو سد الطريق على الوساطات الأخرى واستهلاك ما بقي من وقت على الموعد الذي حددته الامم المتحدة للحرب.. والمعروف ان بيكر هو الذي اوحى له بهذه الجولة وشجعه عليها بوش عندما انهارت محادثات بيكر / عزيز ونشطت اوروبا لتسلم الموقف واصدر ميتران تصريحاته التي اكد فيها انه سيتابع جهود السلام إلى اليوم

السادس عشر واعلن عن اعتزام المجموعة الاوروبية طرح مشروع يتضمن الدعوة لمؤتمر دولي لبحث القضية الفلسطينية.. وكانت هذه التطورات تعني خروج القرار من يد امريكا وبدء مرحلة من المفاوضات تشل يدها عن التحرك بعد ١٥ يناير.. ومن هنا كان الايعاز لكويار بالتصدي، وفعلا انسحب الجميع وتركزت الجهود في رحلته المفترض ان تستغرق المدة المتبقية ويصبح العالم امام الخامس عشر من يناير أو قرار بالانسحاب من صدام حسين. وقد اختلطت المواقف الآن بين الخطوات النهائية التي تعد للحرب والتي نكاد نتوقعها في منتصف ليلة الخامس عشر إن لم تفتعل قبل ذلك بحادث اقترحه مستمع على CNN عندما اقترح ان يبدأ جيش الكويت القتال قبل الموعد بالشروع في تحرير بلده وعندها تنشب الحرب بدون موعد وبدون القلق الذي يسيطر على الحلفاء من احتمال ان يبدأ صدام من جانبه الحرب قبل الموعد. .وقد حدد بيكر للجنود الامريكيين في السعودية ان الموعد هو منتصف ليلة الخامس عشر من يناير بتوقيت واشنطن ، الثامنة صباح السادس عشر في الرياض ،وقد اعلن ان دول الخليج ابلغت بيكر انها لا تحتاج لمزيد من المشاورات في موضوع الحرب وانما تنتظر الآن مجرد اشارة ببدء القتال..

وفي نفس الوقت سادت شائعات قوية في الصحافة عن مشروع تم الاتفاق عليه بطريقة ما بين العراق والامم المتحدة على انسحاب ما في موعد ما تحل فيه قوات دولية المناطق التي يتم الانسحاب منها. .ولخصت CNN هذه الشائعات في المشروع التالي الذي زعمت ان كويار يحمله لبغداد:

«انسحاب العراق من الكويت «لا يتعرض العراق لهجوم اثناء ولا بعد الانسحاب «الحلفاء ينسحبون من المنطقة « تدع الأمم المتحدة لمؤتمر سلام في الشرق الاوسط. .وصرح مندوب بريطانيا في مجلس الامن ان كويار يمكنه ان يعطي صدام ضمانات بعدم الهجوم ، تأييد الامم المتحدة لمفاوضات لحل خلافه مع الكويت ولكن بشرط ان يبدأ الانسحاب فوراً»

ألم يكن ذلك يحقق سلامة العراق وجيشه وكيماوياته ونووياته وايضا يحقق الربط الموعود؟!

ماذا لو تشبث صدام بهذا المعلن واعلن نيته في الانسحاب على اساسه وفاوض كويار أو المجموعة الاوروبية عليه ، أو حتى ادعى أنه انسحب بناء على ذلك؟!

وملاحظة أخرى وردت في نفس الإذاعة وهي سيناريو الحرب الذي طبق حرفيا. .ويتلخص

في ضرب جوي مكثف فإن لم يسقط صدام لم يبدأ **هجوم ارضي على العراق** يعقبه هجوم على الكويت ٠»(ولاحظ انه منذ هذا التاريخ على الاقل والمعروف والمنشور هو ان الهجوم سيتم من الجبهة العراقية وليس الكويت ، واستعن بذلك على قبول اتهامنا لصدام بأنه متواطؤ معهم على تجنب الحرب البرية الموعودة ج ابريل ١٩٩١)

وقالت نيويورك تايمز «ان مشروع صدام هو :مبادرة بعد ١٥ يناير مباشرة يعلن فيها تأييده المبدئي للانسحاب وفي نفس الوقت الدعوة لمؤتمر دولي يبحث مشاكل الفلسطينيين وضمانات دولية بعدم تعرض العراق للهجوم وبحث خلافاته مع العراق ٠»[١٣]

ولكن صدام رفض أن يعلن ولا حتى موافقته على الانسحاب من الناحية المبدئية بل بالعكس اصدر قرار:« **لا تفريط في الكويت**» !

وكتبنا يومها : «علماء النفس يقولون انه لا يمكن أن تتم جريمة قتل بنجاح إلا إذا تعاون القتيل! وفي كتاب مايلز كوبلاند انه لا يمكن ان تنجح مؤامرة انقلابية بغير تعاون المسئول الذي يدبرضده الانقلاب ! أي ان يرتكب كل الاخطاء المطلوبة لتسهيل الانقلاب٠٠ ووفقا لهذه النظرية فإن الرئيس صدام حسين يتعاون إلى اقصى حد مع الذين يعدون العدة لضربه خلال الايام القليلة المقبلة. فهو « يلطع » سكرتير الامم المتحدة ، ست ساعات قبل ان يسمح له بمقابلته ولم يحدد الموعد إلا والرجل على وشك ان يغادر بغداد يائسا من لقاء الزعيم٠ وتجاهل الاعلام العراقي الزيارة فلم تظفر بلقطة واحدة في التليفزيون الذي أذاع لقاء كواندا ٠٠ رغم ان كويار من العالم الثالث وحرص على ان يقدم نفسه بأنه جاء يعبر عن ارادة العالم في السلام ٠٠ واختار صدام وجود كويار في بغداد لكي يسلح الشباب ويرسلهم في الشوارع لمراقبة الانزال الامريكي وهو يعرف طبعا انه لن يحدث انزال وكويار في بغداد ينتظر مقابلته ٠ وفي نفس اليوم توزع وزارة الاعلام العراقية تسجيلا للرئيس صدام يشرح فيه حتمية الانتصار على الامريكان استنادا لقول الله سبحانه وتعالى ان العراقي أو المسلم بعشرة من الكافرين ٠٠ واكد في رده على الرئيس الاسد ان الكويت جزء من كل ٠٠الخ واذيع الحديث اثناء وجود كويار لكي يسمعه ٠٠والى جانب الرئيس صدام يقف الرئيس عرفات يبتسم ويؤكد ان الحرب لن تقع ويدلل على ذلك بقراره البقاء في بغداد وان الحرب لو قامت فلن تقتصر على الخليج ، ويؤكد عرفات ان ١٥ يناير لا يشكل ساعة الصفر ولا أهمية له

إلا انه عيد ميلاد جمال عبد الناصر ! CNN

وهاجم صدام كوبار بعد رحيله من بغداد وقال انه جاء بدون دعوة ولا يحمل معه مشروعا ، ووافق الرئيس بوش على الاقل في نقطة واحدة عندما قال ان المشكلة لم تعد في الكويت بل في المواجهة بين العراق وامريكا، وكان الرئيس بوش قد قال في رسالته المرفوضة . . «ان القضية المطروحة الآن ليست مستقبل الكويت بل مستقبل العراق ذاته انك اذا لم تنسحب من الكويت فستخسر اكثر من الكويت . . »

هذا ما قلناه قبل الضرب بساعات . . ولم يكن يعيب صدام ولا يشينه ان يتنازل لممثل الامم المتحدة أو ان يحتفي به ويبدأ معه مفاوضات تبرد الاندفاع الامريكي . . وتجمع الرأي العام العالمي حول المفاوضات وتنقل القضية من يد المخابرات الامريكية والبيت الابيض إلى مجلس الامن والأمم المتحدة . . وكما اشرنا كانت هناك رغبة عالمية أو على الاقل اوربية في نقل الأمر للأمم المتحدة قبل ان يطلق بوش مدافعه . . كل هذا كان يمكن ان يتحقق لو احسن صدام مقابلة كوبار وابتهل الفرصة ودخل معه في مباحثات . . ولكنه لم يفعل . . وفي انتظار تفسير من أهل التبرير !

ولكي تكتمل الشرعية لقرار بوش بضرب العراق . . وجاءت رصاصة الرحمة بقرار البرلمان العراقي بعدم التنازل في قضية الكويت كأنه على موعد معهم» (كتب : ١٤/يناير ٩١)

وبعد ان استحر القتل في شعب العراق لجأوا لكوبار فقال . . الصيف ضيعت اللبن أو «ان الوقت ليس مناسبا لعمل دبلوماسي لحل أزمة الخليج .»[١١]

وكتبنا أيضا . . « مازال كسينجر يتنبأ بأن صدام سيقوم بتحرك في آخر لحظة مع ان آخر لحظة انقضت منذ ساعات ! وحجة كسينجر انه لا يوجد سبب مفهوم يجعل صدام يحرص على مقاتلة الولايات المتحدة الامريكية أو الدخول في حرب محتومة الخسارة . . إلا أن كسينجر قال ايضا إن الحرب يجب ان تقع خلال ٧٢ ساعة من ساعة الصفر والعالم في حمى توقع الضربة وقبل ان تبرد العاطفة .» CNN

والانباء المتواترة تفيد ان الهجوم قريب جدا فالحاملات دخلت الخليج وهذا بالطبع يعرضها لضربة عراقية ومن ثم فدخولها هو الاجراء النهائي وفي نفس الوقت ورد من السعودية ان الشوشرة على الرادارات العراقية قد بدأت . .

وحيث انه لا دور لنا عندما يقعقع السلاح فلنحاول فهم جنون صدام ..

هناك تفسير قاله كوبلاند حول دخول عبد الناصر حروبا محتومة الخسارة وتحاشيه حروبا ممكنة النصر .. فسر ذلك بقضية السلطة وعدم تردد الديكتاتور في المقامرة بخسارة البلد اذا كان ذلك يضمن استمراره في الحكم ! وقد قلنا امس إن حسابات صدام أكدت له أن خسارة الحرب أقل تأثيرا على وضعه من الانسحاب بلا حرب . وربما يفكر صدام في تكرار تجربة عبد الناصر في ١٩٥٦ عندما تحطم الجيش المصري ودمرت صفقة السلاح الشهيرة وفتح خليج العقبة وخرج بطلا ومازال المؤرخون الناصريون يعتبرون انسحابه من سيناء اعظم عمل عبقري .. وربما يسجل المؤرخون الصداميون نفس العبقرية للانسحاب من الكويت بعد تدمير الجيش العراقي والسلاح الذي دفعت فيه البلايين ومصانع الاسلحة غير التقليدية ..الخ. وربما تكون هذه هي الخطة المتفق عليها : تدمير ما تريد اسرائيل وامريكا تدميره وانسحاب صدام بحجة منع تطويق الجيش وخروجه بطلا، واستمراره في السلطة فوق عراق كسيح .. الوقت اصبح اقصر من ان يسمح بالتحليل ..(كتب ونشر صباح ٩١/١/١٦)

اللهم فاشهد أن قد بلغنا ..

وكانت التحليلات الغربية قد استنتجت أو أوحت أن صدام ليس له من مخرج إلا قبول الهزيمة..

«صدام يعتقد انه قد يتحمل هجوما على العراق ويخرج منه افضل من الخضوع للغرب.»[١٥]

« نشرت لوس انجلوس تايمس تحقيقا مع خبراء الشرق الاوسط الامريكيين اتفقت غالبيتهم على ان الحرب ولو خاسرة هي الخيار الافضل لصدام حسين « الذي يعرف ان حربا مع الولايات المتحدة ستكون دامية ومدمرة ولكنه يقدر انه سيكون في وضع افضل اذا خاطر بالحرب منه اذا قبل الاذلال العلني بالاستسلام لمطالب بوش »[١٦]

«المصادر العراقية في واشنطن تقول إن السفير العراقي المشاط ابلغ صدام ان بوش لا يقبل اقل من الاطاحة به . وانه حذر من ان الانسحاب من الكويت لن ينقذه الآن.»[١٧]

وبالطبع هذا هراء فقد كان بوسعه الاستسلام أو التنازل لكوبار أو ميتران أو اليابان التي عرضت عليه٣ مليار دولار لو انسحب .. ثم ان الامم تقاتل معارك خاسرة اذا فرضت عليها

وفشلت كل محاولاتها لتجنبها ولكن ما من قائد وطني يقود امته عن سبق اصرار وتصميم لمعركة ليس فيها ذرة من احتمال للنصر . . انه في هذه الحالة في صفوف الاعداء بلا منازع . . ثم ان ما حدث هو عين ما يزعمون انه حاول تجنبه فقد رفض قبل الحرب ان يستجيب للأمم المتحدة ونداءات الملوك والرؤساء العرب . . ، ولكنه بعد الحرب انصاع لبوش ولقادة القوات الاجنبية في العراق . . فأيهما اكبر مذلة ؟!

اما ان صح ما نسب للسفير العراقي فهذا يفسر بعض اسباب تقاعسه عن العودة لبغداد ثم لجوئه لكندا . . وما خفي كان اعظم . . !

واذا قبلنا تفسير انه لم يصدق انهم سيحاربون . . فوقع في الفخ . . فماذا بعد ان وقع الضرب فعلا . . لماذا استمر يرفض التسليم ويرفض كل عروض الوسطاء إلى ان نفذ بوش هدفه كاملا فإذا به يقبل كل الشروط السابقة واللاحقة ؟!

أنا اميل للتفسير الذي قلته قبل الحرب وهو انه كان ينفذ اتفاقية بتدمير ما يزعج اسرائيل ، واتاحة الفرصة للولايات المتحدة لتنفيذ الحرب التي ارادتها والتي كان الكويت والعراق من اقل اهدافها شأنا . . ولا أظن ان تدمير صدام كان هدفا امريكيا على الاطلاق، وانما هو في الاغلب كان هدفا بريطانيا خاصا الحت عليه لندن بشدة . . وربما كانت المبالغة في ضرب الاهداف المدنية ونشر صورة مرعبة للخراب هي بهدف اقناع العالم بجدية المسرحية الامريكية وايضا لترويع العالم اجمع كجزء من سيناريو فرض الرعب الامريكي كاساس للسيطرة العالمية أو كاساس للنظام العالمي الامريكي الجديد . . وفقا لنظرية «أضرب الجبان الضربة الهائلة يطير لها لب الشجاع » أو كما يقول المثل المصري : اضرب المربوط يخاف السايب ! كانت هناك بعض الدوائر البريطانية التي تريد اسقاط صدام وربما تمزيق العراق نهائيا لتأمين السلامة الأبدية للكويت . . ولأنها لم تتوقع علاقات طيبة مع صدام اذا استمر في السلطة . . ولأنه تجرأ واعدم جاسوسا يحمل جوازا بريطانيا . . واخيرا لأن من مصلحة بترول بحر الشمال ان يختفي النفط العراقي من السوق . وقد رفضت هذه الدوائر فزاعة صدام الذي سيصبح زعيما على الطريقة الناصرية . . كانت الصحافة البريطانية لا تكف عن القول :

« اذا لم يقتل صدام في المعركة فلابد ان تكون شروط وقف القتال قاسية إلى الحد الذي يضمن

خلعه من جانب شعبه . صحيح ان مشاكل الشرق الاوسط لن تختفي فور سقوط الديكتاتور ولكنها ستصبح مستحيلة الحل مادام حيا .»[18]

قال توم كينج وزير الدفاع البريطاني :« صدام وجنرالاته سيشكلون هدف الضربة الاولى ضد العراق لأن ذلك يعجل بانتهاء الحرب »[19]

«ان صمود صدام في حرب طويلة ضد الغرب سترفع سمعة صدام في العالم العربي وتزيد قدراته على حث جيرانه الاغنياء مرة أخرى لتمويل اعادة تسليح العراق بعدالحرب. . »[20]

وعلقنا يومها :« وهذا الرأي ليست خطورته في تشدده ولا في انه يعكس خلاف بريطانيا مع المجموعة الاوروبية ، وقد تناقلت وكالات الانباء الخلاف البريطاني – الالماني حول زيارة برانت لبغداد لجلب ما يمكن جلبه من الرهائن –الا ان اخطر ما في رأي المجلة البريطانية ان دعوتها لازالة صدام حسين تتعارض مع الاتجاهات الامريكية لا التي يعبر عنها اعضاء الكونغرس والمحللون بل التي عبرعنهاالجنرال نورمان شوارتسكوف قائد القوات الامريكية في الميدان . . في تصريح هو الاول من نوعه في تاريخ العسكرية بما يجعله اشبه بتعهد علني اذ قال :إنه عسكريا يستطيع ان يمسح العراق من الوجود ولكن مثل هذا الاجراء لن يكون لصالح الاستقرار في المنطقة . . هذا الاستقرار الذي لابد ان يقوم على توازن صحيح للقوى، ولكن لا اظن ان التدمير الكامل للعراق في مصلحة هذا التوازن على المدى البعيد . »[21] وكتب جون واتربيري في نفس الجريدة بعدما بدأ دك العراق في اكبر عملية قصف على بلد واحد منذ المانيا:«الهدف الامثل لهذه الحرب هو تكسيح وليس ازالة العراق والرئيس صدام. . فأسوأ نهاية للحرب هو التدمير السياسي والعسكري للرئيس صدام حسين فلا نحن ولا حلفاؤنا العرب نملك بديلا لنضعه مكانه. واهم من ذلك اننا لو فعلنا فسنذل جيلا من العرب مثل الجيل الذي جرح بالهزيمةعام ١٩٦٧ . . ولذا فان احسن نهاية هي استمرار صدام حسين مع تحجيمه ، باعادته إلى ما كان عليه قبل اغسطس.»[22]

وقد استمر من يومها الدق في الاعلام الامريكي على ضرورة الحفاظ على عراق صدام. . وان ليس من المصلحة اسقاطه . . كما حرصت امريكا على تهييج الجماهير عالميا وعربيا ضدالمطلب البريطاني من خلال الربط بين استمرار صدام واستمرار العراق . . اي ان زعيمة العالم الجديد التي حشدت نصف مليون حربة لاعلان ميلاد النظام العالمي الجديد على ضفاف الخليج تبنت منطق

الطاغية ، الذي يجعل سلامة الزعيم هي سلامة الوطن ويدعي انه هو الذي يمنح الوطن استمراريته فتصبح الأوطان معلقة بصحة الزعيم .. اصبح وجود صدام هو الشرط الوحيد لاستمرار الوحدة الوطنية العراقية! بينما لم يشهد العراق تمزقا ولا تذابحا مثل ما يجري الآن .

وقد واجه الامريكان التشدد البريطاني بحملة اعلامية واسعة .. واستطاعوا إما بمصادفة سعيدة ، أو بطريقة ما لم يكشف الستار عنها بعد تخليص الموقف البريطاني من هستيريا تاتشر بسقوطها.. وان اصرار مسز تاتشر على محاكمة صدام على جرائمه في الكويت قد ادى إلى تعثر العمل في الامم المتحدة»[23]

كما استطاع الاعلام الامريكي ان يبرقرع الحرب على العراق وتقسيمه ..

« مشكلة جديدة تواجه بوش وهو يعد ضربة سريعة وحاسمة ضد العراق فقد ذكرأن بعض مستشاريه للشرق الاوسط واجهوه باسئلة محرجة عما سيحدث عند تحقيق نصر شامل امريكي يترك فراغا في السلطة العراقية . قالوا ان العراق لو انهار فسيتبع ذلك سلسلة انهيارات وفراغ في المنطقة يفوق ما سيجري على العراق نفسه وسيحاول جيران العراق الاقوياء التوسع على حسابه وفي غيابه .. وستتحرك الاقلية الكردية في شمال العراق متحدين مع اخوانهم في الدول المجاورة لمحاولة انشاء وطن قومي ، وهذا يمكن ان يثير دورة أخرى من الحرب بين القوى الأساسية في المنطقة . بعض مستشاري بوش يقولون انه يجب بذل كل جهد ممكن لكي يخرج الجهاز العسكري العراقي بقوة كافية لمواجهة تهديد الجيران وحفظ السلام داخل حدوده ، ومعظم الخبراء يتوقعون حربا اهلية نتيجة تحطيم اجهزة الامن العراقية التي نجحت حتى الآن في توحيد العناصر المختلفة . .

ويقول هؤلاء ان تركيا ستسرع للاستفادة من انهيار العراق . بطرح مطالبها عن شمال العراق الذي يرجع لأيام العثمانيين..»[24]

المسئولون في البيت الابيض اعترفوا لأول مرة انه ولو ان العراقيين ارتكبوا جرائم حرب فإن الرئيس العراقي قد يبقى في السلطة حتى بعد هزيمته (CNN)

والخيار الوحيد هو بين لبننة العراق أو عراق موحدة يحكمها احد تلاميذ صدام..»[25]

والثابت بعد الحرب ان صدام ونظامه وجهازه وجيشه جميعا خرجوا من الحرب في حالة

مكنتهم من ضرب الثورة في الشمال والجنوب . . وان ذلك كان بأمر من الرئيس بوش وعلى عينه! وهو ما فضحه الجنرال شوارتسكوف الذي اصدر تصريحه المفاجأة، الذي اعلن فيه انه كان على وشك ان يطبق على القوات العراقية فلا يغادر منها احد، لولا ان جاءه امر من بوش ان يتركهم يفلتون . . وقد اثار التصريح الاضطراب في واشنطن . . وتعمد الجنرال الذي يحلم بآمال سياسية ويخشى ان يجعلوه كبش فداء لجريمة ذبح العراقيين على يد جيش صدام ، فراح يؤكد تصريحه باسلوب خبيث وهو الاعتذار عن نقده للرئيس وتكرار الاعتذار حتى اضطر الرئيس بوش الى الاتصال به ورجاه ان يكف عن الاعتذار الفضيحة . . ثم انطلقت الصحف تهاجم الجنرال الذي لم يكن صريحا للنهاية فهو مازال يزعم ان العراقيين « خموه » - وهذا تعبيره - وجعلوه يوافق على استخدامهم للطائرات الهليكوبتر . . ولم يكن يتوقع ان الاشرار سيستخدمونها في قتل المعارضة العراقية !! وبالطبع لا أحد يصدقه في هذا الزعم والدليل رفض حكومته سحب موافقته رغم الحاح العالم كله عليها في ان تحنث في يمينها !!

والان اليك ما كتبته النيويورك تايمز ضد الجنرال ودفاعا عن بوش . . ولكن ما كتبته يثبت كل ما قاله الجنرال . .

« في ٢٧ فبراير وهواليوم الذي قرر فيه بوش وقف المذبحة سأل صحفي الجنرال شوارتسكوف: هل اديت مهمتك ؟ قال الجنرال . . بلى . . فعندما يقرر صناع القرار وقف القتال فلا احد يمكن ان يكون اسعد مني . واكملت المجلة « كانت هذه هي الاجابة النموذجية من سفر الاقرار بسيطرة المدنيين على القوات المسلحة . ولكن الجنرال يقول الان انه كان يفضل الاستمرار في تصفية القوات العراقية مدة اطول . . ربما يكون الجنرال يدافع عن نفسه في مواجهة اتهامه بأنه ترك اعدادا كبيرة تهرب . فقد تبين انه بالغ في تقدير حجم الاسلحة العراقية التي تمكن من تحطيمها ولم يستطيع ان يخمن سرعة قيام الثورة ولا الوحشية التي يمكن ان يصفيهم بها الجيش العراقي . . » ورغم ذلك قالت الصحيفة « ان تدمير قدرة العراق على مهاجمة جيرانه كان قرارا سليما ولكن تدمير قدرته على الدفاع عن نفسه ضد مؤامرات جيرانه هو خطأ خطير . وهذا يبين لماذا كان مستر بوش حصيفا في وقف القتال عندما امر بذلك . . وكذلك فإن الرئيس على حق في استبعاد القوات الامريكية من الصراع الداخلي . »[٢٦] وكما ترى فالصحيفة رغم غضبتها على

الجنرال اعترفت بأن الحفاظ على قدرة صدام (الذي تسميه العراق) على ضرب معارضيه (الذين تطوعت ونسبتهم لمؤامرات جيرانه !) كان قرارا حصيفا من جانب بوش ، وما بين رأي الجنرال بأنه كان قرارا مؤسفا ورأي المجلة بأنه كان قرارا حصيفا تبقى الحقيقة وهي :انه كان قرارا امريكيا. .

بعض الاصوات الامريكية كانت اكثر صدقا وصراحة . .

فمن وقت مبكر جدا ، وقبل اخصاء صدام توقع جيم هوجلاند «ان الرئيس سيرى في صدام شريكا محتملا في استقرار الشرق الاوسط .»[27] وبعد العملية الجراحية كتب ايضا في الواشنطن بوست : «ان حكومة بوش رجعت لفكرة استخدام صدام حسين بدلا من تدميره والتخلص من نظامه المثخن بالجراح. عادت الفكرة القديمة عن ان صدام هو اداة مقيدة . اعلن البيت الابيض ان القوات الامريكية لن تمنع القوات العراقية من استخدام الهليكوبتر في ذبح وابادة الثائرين عليه. ونقل عن المسئولين الامريكان ان خطتهم الان هي ان يتركوا صدام يقوم بالعمل القذر اي قمع الاكراد والشيعة ، ويأملون في حكم سني يأتي هذا الصيف غير ملوث بدمهم.»

«روبرت هنتر من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية وبعض النقاد يقولون ان امريكا سمحت بهروب قوات عراقية اكثر من اللازم ٧٠٠ دبابة و ١٤٠٠ مدرعة تركت تهرب . . القوات الموالية لصدام استردت قريه هانخير الكردية وذبحت جميع السكان عن بكرة ابيهم النساء والرجال والاطفال .»

وكما هي العادة فحتى الذين اعترفوا بالخطيئة في تدعيم بطش صدام بشعبه حاولوا تحميلها للسعودية !

«البلد الوحيد الذي اعتادت امريكا ان تشاوره هي السعودية ولكن السعوديين لم يظهروا اية دلائل على اغتنام الفرصة لقيادة المنطقة ، تلك الامكانية التي اتيحتها عند اقدامهم عملية عاصفة الصحراء. وبدلا من العمل مع القوات الشعبية التي ثارت على صدام فإن السعوديين يدعمون عددا من الجنرالات والمسئولين الذين اشتركوا في نظام صدام المتوحش. الولايات المتحدة شجاعة في الحرب ولكنها في السلم تتبع سياسة السعودية المستأنسة. .»[28]

«السعودية وتركيا حذرتا امريكا من التدخل لمساعدة الثوار . . فالسعودية لا تريد نظاما مواليا

لإيران . ولا تركيا تريد انتشار الثورة الكردية في أ راضيها . . . . »

لم يكن الامر يحتاج لا لتكتيك ولا لسياسة مستأنسة ولا متوحشة ولا لأي دور للسعوديين . . فقط لو كانت سياسة امريكا سياسة شريفة واكملت ما وعدت به من تصفية القدرة العسكرية لصدام أو لوسحبت قواتها من العراق قبل ان يصفي صدام المقاومة فمكنت جيرانه وانصار الشعوب من مد يد العون ، أو على الاقل سحبت قواتها لكي يفقد صدام عنصر التشهير باتهام كل من يقاومه انه يعمل لصالح المحتلين الامريكان . . ولكنها ابقت قواتها عمدا في الجنوب حتى تمت تصفية الثورة هناك وفر الاكراد في الشمال فهرعت تحمل لهم الماء والبطاطين !!

وكتب روزنتال في النيويورك تايمس : « إن واشنطن قررت ان تترك صدام يذبح الثوار بالطائرات الهليكوبتر التي سمحوا له بالاحتفاظ بها . في العراق قال الجنرال شوارتسكوف : العراقيون خدعوني ! وفي اوتاوا جعل بوش العالم يعتقد انه سيمنع هذه الطائرات ولكنه لم يفعل . . وكذلك قرار بدء جولة اخرى من تسليح دول الشرق الاوسط هو قرار يثير الغثيان . ان هذا يعني حربا اخرى بين العرب والعرب أو العرب واليهود أو الاثنين . »[٢٩]

وكتبت فلورا لويس . . « عندمايعلن مارلين فيتزواتر المتحدث بالبيت الابيض حياد الولايات المتحدة قائلا نحن لا ننوي ان نزج بانفسنا في الصراع الداخلي بالعراق ، فهو انما يكرر نفس كلمات السفيرة « ابريل جلاسبي » عن النزاع الكويتي / العراقي . ان القوات الامريكية لا تحتاج للتدخل بل كان يكفيها ان تمنع العراق من استخدام طائرات الهليكوبتر ولكنها لم تفعل . » (أي أن واشنطن اعطت صدام حسين، مرة ثانية ، الضوء الاخضر، ولكن لافتراس الشعب العراقي هذه المرة . ج)

لأن امريكا كانت تحارب العراقيين وليس صدام ، لذا فالتدمير الذي وقع كان من نصيب الوطن و الشعب العراقي . . وهو هدف مشترك لصدام وبوش واسرائيل . . لأن تدمير الوطن في مخططات البيض اهم الف مرة من نجاة زعيم الهنود الحمر . . وتحطيم البنية الاساسية افعل من تدمير الجيش . لذلك كان التدمير الذي اصاب الاهداف المدنية اكثر مما اصاب الاهداف العسكرية والدليل مرة اخرى هو جيش صدام الذي يقاتل على جبهتين وطائراته السليمة في طهران . . وصواريخه التي ظلت تنطلق الى ما قبيل وقف اطلاق النار الاول ، ثم تبين انه خرج من الحرب

وهو لا يزال يمتلك ستين صاروخا وعددا من طائرات الهليكوبتر كافية للقتال على جبهتين ! وما يقال عن نجاة معظم اسلحته غير التقليدية ، ومطالبته بتدميرها ! .. فالتركيز على الاهداف المدنية واضح لتكسيح العراق اقتصاديا واجباره على اتفاق دخله في اعادة التعمير.. ولأن نظام صدام واستمراره كان ولا يزال هدفا امريكيا.. والا كيف نجا هذا الجيش المنتصر على جبهتين بينما التدمير الذي اصاب الوطن والشعب هو كما قال تقرير الامم المتحدة ويشبه ما تتحدث عنه نبوءات سفر الرؤيا في انجيل يوحنا ..!» وان جميع وسائل الحياة العصرية قد دمرت .. الخ » وتتساءل الصحيفة الامريكية .. هل كان هذا القصف ضروريا لتحديد نتيجة الحرب ؟ وتقول .. سبعون بالمائة من القنابل التي القيت اخطأت اهدافها حتى القنابل الموجهة اخطات بنسبة ١٠ بالمائة »[30]

وتقول صحيفة اخرى : ان تعريف الحلفاء للهدف العسكري شمل كل مولدات الطاقة والمعامل التي تولد الكهرباء دمرت كلها . لا توجد وسائل اتصال ولا نقل كما تم تدمير الماءوالمجاري وزاد خطر وباء الكوليرا، الماء في بغداد اقل من عشرة بالمائة مما كان قبل الحرب .[31]

كان التدمير في اطار الاستراتيجية الامريكو/اسرائيلية الدائمة بالنسبة للعالم العربي وهي تحويله الى هنود حمر تتوسع اسرائيل في بلادهم .ولم تكن زلة لسان ولا تفكيرا سينمائيا عندما «كتب الجنود الامريكيون لافتة تشير الى العراق وكتبوا عليها : الطريق الى بلاد الهنود الحمر »[32]

الم يقولوا انهم اعادوا العراق الى ما قبل العصر الصناعي..؟!

أمريكا آكلة الأكباد وحامية أوغاد !

ولا نريد أن نتوقف كثيرا عند الحرب وما جرى فيها، فلم يمر الوقت بعد الذي يجعلنا نحكي تفاصيلها دون ان نذوب خزيا وعارا .. فقد جاءت وقائعها كما تنبأت الكمبيوترات ، بل وبما فاق تنبؤاتها. فقد زعموا ان الكمبيوترات توقعت ان الحرب ستكون شبيهة بحرب الزولو الذين

حاربوا المدافع والدبابات بالرماح والسهام المسمومة ودعوات السحرة .

فعلى ذمة صنداي تايمس ٣/٣/١٩٩١م توقعت الكمبيوترات ان تكون الحرب مثل حرب الزولو ٢٠ الف قتيل عراقي ولا اكثر من مائة من التحالف »

ولكن النتيجة كما هو معروف «كانت اكبر حرب من جانب واحد في التاريخ :١٤٩ قتيلا و٥١٣ جريحا بين الحلفاء مقابل اكثر من مائة الف جريح وقتيل بين العراقيين.»[٣٣]

وقد رأى العرب ما فعله بهم رجل الكرامة ، عندما صعقنا جميعا بمنظر الجندي العراقي يقبل حذاء الجندي الامريكي . . . وطوابير الاسرى التي فاقت وغطت على طوابير ١٩٦٧ . . والاندفاع من جانب النشامي للاستسلام . . ثم رضوخ صدام منصاعا لكل مطالب بوش حتى اذاعة قبول الاستسلام بصوته !

«وبدأ الاستسلام الجماعي بمجرد الوصول الى الخطوط العراقية . . . اكثر من مائة الف اسير يلوحون بالمناديل والسراويل وكل شئ ابيض بعضهم حاول عبثا الاستسلام لطائرة اتوماتيكية بلا طيار RPV . . ودبابة امريكية يقودها جندي واحد غرزت في الرمل وتقدمت العربات العراقية فأخرجتها من الرمال واستسلموا لقائدها »!!![٣٤]

«بعض الأسرى العراقيين رفعوا القرآن وعدد كبير منهم كانوا يهتفون باسم بوش.»[٣٦]

« لقد اصبحوا مثل الأغنام الشاردة . . كل ما كنا نحتاجه هو كلب يجمعهم ويسوقهم الينا.»[٣٧]

« ولاشك ان طوابير الاسرى العراقيين ستكون اكثر اذلالا للعرب مما حدث للمصريين في ١٩٦٧»[٣٨]

مع ان صحيفة الجمهورية العراقية وعدت قراءها « انه لن يبقى من الجيش الامريكي الا حفنة من اشباه المجانين يرون للاجيال ما جره عليهم عدوان بوش.»

لا نريد ان نضع الملح في الجرح العربي الذي لن يندمل الا بأكتوبر ثانية . . وعسى ان يراها اولادنا . . ولنذكر انها لم تكن غلطة ولا تقصير الجندي العراقي فكما قال الامير خالد :« ان الجندي العراقي كفء ولكنه لا يؤمن بما يحارب في سبيله »[٣٩]

حسبنا ان نشير الى بعض النقاط :

١- ان وضع الجيش العراقي في المصيدة الكويتية خلف تحصينات مبالغ في قيمتها وتحت الضرب المستمر لاكثر من شهر والذي دمر : « ٧٥ ٪ من القدرة القتالية للقوات العراقية في الكويت .»[٤٠] ومع التجويع والارهاق المعنوي ..وقد قال الجنرال نورمان شوارتزكوف ان تسعين بالمائة من تموين القوات في الكويت قد توقف.. كل ذلك بزعم انتظار الحرب البرية عندما يقع الهجوم الامريكي على الكويت ..والمبالغة في نتائج هذه الحرب البرية وانها هي التي ستقلب الموقف لصالح العراقيين الذين ليس عليهم الا الصبر في خنادقهم الى ان يأتي لهم الامريكان الى مرمى مدافعهم ! نجح الاعلام الغربي في خلق اقتناع بأن فرصة صدام هي الحرب البرية التي ستدورفوق ارض الكويت..قال كواندت :« يبدو ان استراتيجية العراق هي محاولة اطالة الحرب واجبارنا على شن الحرب البرية التي نحاول تجنبها »[٤١]

«تأجيل الهجوم البري عدة شهور يقدم بديلا اقل خسائر ومخاطر .»[٤٢]

ثم لا تقع هذه الحرب !!

يذهب الامريكان الى حدود العراق فيجدونها مفتوحة بلا عسكر ولا خنادق ولا تحصينات.. لم يكن ينقصها الا لافتة تقول : العراق ترحب بكم .. ويلتفون حول النصف مليون جندي الذي وضعهم صدام في مصيدة الكويت ، فيستسلم من استسلم عن يد ويهرب من هرب عن بينة وعلم من بوش ! .. نحن نزعم ان ذلك كان خطة اتفق عليها الجانبان لتقليل خسائر الامريكيين الى ادنى مستوى في تاريخ الحروب ..بفتح الحدود العراقية للهجوم الامريكي لتطويق الكويت وتجنب المعركة البرية .. مقابل السماح بقوات الحرس الجمهوري بالانسحاب الى العراق سليمة وابقاء صدام في السلطة .

وهنا تطرح عملية الخفجي نفسها باعتبارها المعركة البرية الوحيدة التي خاضتها القوات العراقية قبل دخول الجيش الامريكي العراق ..وقد ابلى العراقيون فيها بلاء يذكر مما يعزز توقعاتهم عن الحرب البرية الشاملة وايضا يضاعف الشك حول الطريقة التي تفادت امريكا بها هذه المعركة!

ولدينا عدة تفسيرات لعملية الخفجي التي كانت اخر مفاجآت صدام حسين في تلك الحرب العجيبة والتي وصفته فيها احدى الصحف « نحن نشاهد فيلما عن وحش مجهول يُضرب بكل الاسلحة التكنولوجية ولكنه لا يسقط بل يستمر في توجيه ضرباته.»[٤٣]

فربما كانت عملية الخفجي هي جزء من خطة تهدئة القيادات العراقية الشريفة بإيهامها أن النصر ممكن وقادم في الحرب البرية ، وما عليها الا انتظار قدوم الامريكان وانزال الهزيمة بهم ! والا كيف نتصور ان التحرك العراقي لم تسجله اجهزة الرصد الامريكية من رادار على الارض وطائرات في السماء واقمار صناعية في اقطار السموات والارض؟!

وربما كان من اهداف ترك العراقيين يحتلون مدينة سعودية هو القضاء على اية معارضة سعودية لغزو العراق ٠٠ ولعلنا نشير هنا الى واقعة ان الامير خالد بن سلطان اختفى تماما من الاخبار فور نشوب الحرب ٠٠ واشتدت دهشة المراقبين ٠٠بل وتساءل الصحفيون الاجانب عن سر اختفائه فقال قائلهم أو على وجه الدقة قائلتهم في مؤتمر صحفي«اين الامير خالد هل هو غير راغب أو غير قادر على التحدث الينا عن وقائع الحرب ؟! ورد المتحدث العسكري السعودي انه ليس عازفا ولا غير قادر وسأطلب منه اليوم ان يأتي ويتحدث اليكم غدا ٠»

ولم يظهر الا يوم وقع الهجوم على الاراضي السعودية وكان هو الذي تولى قيادة معركة تحرير الخفجي ٠٠ وقد كتبنا يومها :«انتهت المغامرة الصدامية باسترداد القوات السعودية مدينة الخفجي حوالي الساعة الرابعة مساء الخميس ٣١ يناير توقيت الرياض٠٠وفي اشارة عاجلة قال المتحدث ان الاسرى العراقيين مائة وستون ونعتقد انه لم ينج احد من القوى المهاجمة ٠وكانت هذه هي المناسبة الوطنية التي اعلن فيها اسم الامير خالد بن سلطان فهو الذي اعلن استرداد المدينة » (٣١/يناير٩١)

الا ان هناك تفسيرا اقرب للعقل وهو ان معركة الخفجي قامت بها قيادة عراقية منشقة في الكويت رفضت ان تستسلم لمخطط صدام الذي يبقيها مكتفة جاثمة تحت الضرب الامريكي والتجويع والعطش ٠٠ فغامرت بالهجوم بأمل جر صدام جرا للقتال الذي يتجنبه٠ وكان المفروض ان يدفع صدام بقوات لتعزيزها بعد ان نجحت في احتلال مدينة سعودية ولو مهجورة وبعد الضجة الاعلامية التي اثارها هذا العمل غير المتوقع ولكنه لم يفعل ٠ ٠بل تركهم يقتلون ويؤسرون ، دون أية محاولة من جانبه لنجدتهم، مكتفيا باعلان ان غزو الخفجي كان من تخطيطه شخصيا ٠٠ ونسي ان يقول ان تخطيطه الاساسي هو حرمان جيشه من ام المعارك مع الامريكان وادخارهم لعار المعارك مع مواطنيهم ٠

المهم هو ان العالم كله كان يعرف ان هذه الحرب البرية التي جمد صدام قواته في انتظارها لن تقع وان القوات الامريكية ستغزو العراق وليس الكويت ! ولا اريد ان استشهد بعشرات النصوص التي تحدثت عن الهجوم على العراق وليس الكويت قبل الحرب بشهور ولابد ان صدام قد سمع بها ولكنه عن عمد ترك الجبهة العراقية بلا تحصينات ولا جنود.. ! «اعطى بوش امرا بتطويق القوات العراقية في الكويت بغزو العمق العراقي » من يوميات (٩١/١/٢٠)

وهذا ما كتبناه نحن بعد معركة الخفجي : « الامريكان غير متعجلين المعركة البرية خاصة ان مجرد الاشتباكات توحي بضخامة ضحايا المعركة البرية الشاملة فعدد القتلى في معركة الخفجي حتى الآن يزيد على خسائر ٢٠ ألف طلعة جوية .. ولذلك يحاول الحلفاء تأجيل المعركة البرية اطول مدة وفي خلال ذلك تنطلق وعود بوقف اطلاق النار واستمرار القصف الجوي وايضا يحتمل ما اشارت اليه الجريدة.. «الاعداد لترك التحصينات في الكويت والالتفاف حولها بدخول العراق ذاته كما فعل هتلر مع خط ماجينو..»[44]

«القوات العراقية استحكمت خلف تحصيناتها وخنادقها على طول ٢٢٢ كيلومترا من الحدود الكويتية / السعودية ينتظرون ما توقعت بغداد ان يكون الهجوم الكبير للحلفاء. وقوات الحلفاء ركزت امامهم ولكن في الـ ١٦ يوما الاخيرة التي سبقت الهجوم تحركوا غربا الى مسافة ٥٠٠ كيلومتر من الخليج عبر الحدود مع العراق في صحراء خالية. جزء من القوات كان عليه ان يندفع في اتجاه الفرات قاطعة خط الرجعة على القوات العراقية في الكويت وجزء آخر كان سيتجه شرقا لضرب الحرس الجمهوري على الحدود العراقية الكويتية».

وكان رئيس الوزراء البريطاني قد رفض استبعاد ان يحمل الحلفاء المعركة الى داخل العراق[45]

صدام وحده هو الذي لم يتوقعهم ! ولم يبذل اي جهد لمقاومتهم .. هل كان ذلك لمجرد الالتزام بالنص الناصري لكي ينوح : « الذين توقعناهم من الجنوب والشرق جاءوا من الغرب » أم كان الأمر قد دبر بليل؟!

بصرف النظر عن القرار الامريكي هل هو ابقاء صدام بصفة دائمة ليستأنف دوره الامريكي في العالم العربي والخليج .. ام ان الخطة هي كما قال ليسلي جلب: «القضية ليست صدام لأن بوش لن يستريح حتى يبعده وهو سيبعد » [46] فالخطة هي الحفاظ عليه حتى يصفي النتائج البشعة للحرب

فإذا قامت سلطة جديدة بعده لا تتقدم للشعب في صورة زيور باشا أو حكومة التسليم ٠٠ وسواء اكان ضرب صدام للشعب العراقي هو هدف استراتيجي للولايات المتحدة المعادية بطبعها للحركات الثورية الجماهيرية في العالم الثالث ٠٠ أو انها ارادت ان تمحو بمذبحة صدام جريمتها ضد الشعب العراقي ، وحتى يختلط الامر على الباحثين والمؤرخين فلا يعرفون ما دمرته الطائرات الامريكية مما دمرته طائرات الهيلكوبتر العراقية ٠٠ وها نحن نرى العالم كله قد نسي حرب الامريكان في اقل من شهر وانصب الحديث كله عن وحشية العراقيين، ويتوسل العراقيون ومعهم كل العالم للقلب الرحيم في واشنطن ان يتدخل اكثر في شئون العراق! مهما تكن الخطة الامريكية فالثابت هو ان استمرار صدام في السلطة ٠٠ واستمرار قدرته على قمع الشعب العراقي بالحديد والنار كان قرارا امريكيا صدر من الرئيس بوش نفسه ٠٠

فتكون امريكا قد ذبحت شعب العراق مرتين مرة في حربها المرية ضد صدام ومرة على يد صدام ٠٠ أو كما قال كاتب امريكي : « لقد مزقنا البلد ودعونا الشعب للثورة والآن نتفرج عليهم يقتلون »

واصبح العراق ارضا لا صاحب لها ٠٠

وتحركت اوروبا ٠٠ هرعت فرنسا ترسل قواتها الى حيث تشم عبير الموصل بعد حرقة قلب دامت سبعين سنة منذ ان فصلت بريطانيا اللواء وضمته للعراق ٠٠ الذي اصبح بفضل صدام العروبة ، كبيت الغانية يؤتى من كل جانب ٠٠ ويفتح الباب في العالم العربي للعودة لسياسة حماية الاقليات ٠٠ وهو الباب الذي دخل منه الاستعمار الغربي قبل اكثر من قرن ٠٠ وهل يعيد التاريخ نفسه الا في بلاد المتخلفين ٠٠

أما عن الدول العربية فكما يحدث في كل المسرحيات عقب انتهاء العرض يهرع الممثلون ٠ ٠ القاتل والقتيل ٠٠ اللص والشرطي ٠٠ الغانية والراهب ٠٠ يهرعون جميعا الى خشبة المسرح وقد امسك كل منهم بيد زميله ، عن يمين وشمال ، في ود وانسجام، نسوا تماما احداث الرواية فهم يعلمون أنها كانت تمثيلا في تمثيل ٠٠ وينحنون للجمهور في انتظار التصفيق أو الصفير ٠٠ فريق واحد لعب مسرحية تباينت ادوارهم فيها وتوزعت كما أراد المخرج ٠٠

في حرب الخليج..

أرادهم منقسمين ، فانقسموا كأبشع ما يكون الانقسام، وتراشقوا بالشعارات والمبادئ ، وتوعدوا بعضهم البعض بالويل والثبور وعظائم الامور ..

وفي الصلح مع إسرائيل

لا يحبهم المخرج منقسمين .. فهرعوا يتعانقون ويتسامحون ، كأروع ما يكون الحب ونكران الذات ..

ومازال المسرح مفتوحا و فرقة .. تعالوا الليلة نرتجل .. تواصل العرض!

الملاحـــق

بعض ملاحظات على حديث الملك الشريف حسين [1]

بداية ..لا يجوز التعليق على حديث لمن هو في مكانة الملك حسين –من الناحية البروتوكولية على الاقل–دون بعض الملاحظات حول شخصية المتحدث ..

اولها ان جلالته لا يصلح وسيطا في قضية احتلال العراق للكويت ، لأن ابسط متطلبات الوسيط ان يكون محايدا وجلالته كما يعرف العامة قبل الخاصة انحاز بشدة من اليوم الاول للغزاة العراقيين . بل ان الاتهامات تلاحقه بأنه كان ضالعا في خطة الغزو . ولكن جلالته يمكن قبوله – بكثير من التجاوز من جانب العرب – كوسيط بينهم وبين اسرائيل ، ليس فقط باعتبار العلاقات الوثيقة التي تربطه شخصيا وعائليا بزعماء دولة اسرائيل بل وايضا باعتبار ان اخر تصريح لوزير خارجية اسرائيل قبل رحلة شامير لاوربا وامريكا هي اعلانه ان العرش الاردني والنظام الاردني ، تحت الحماية الاسرائيلية . واذا كان هذا التصريح مجرد تحصيل حاصل بالنسبة لجلالته ومن ثم لم يجد حاجة للتعليق عليه فالغريب حقا هو سكوت البرلمان الاردني على هذه الاهانة التي ما كان ليصبر عليها مهراجات الهند . مما يؤكد أن البرلمان الديموقراطي في التسعينات لا يختلف كثيرا عن مجالس الامير عبدالله والجنرال ابو حنيك في الثلاثينات . من هنا فإن فرص جلالته مع الاسرائيليين اكبر .. هذا اذا قبلوا ترفيعه لمرتبة وسيط .!

الملحوظة الثانية قبل الدخول في الحديث ، هي ان جلالته هو اخر من يحق له التحدث عن القوات الاجنبية والوجود الاجنبي فهو اول من استدعى الاساطيل وجلب القوات الاجنبية لحمايته وانزل الانجليز في الاردن عام ١٩٥٨ لصد خطر الناصرية التي كان صدام حسين ومازال أحد تلاميذها النابغين ، وان كانت الاهواء قد جمعته مع عدو عبد الناصر الاول .وكانت قوات

المشركين في العقبة وعمان – كما لاحظ الامير بندر بحق – اقرب للاراضي المقدسة من الامريكان في حفر الباطن !

كما طلب جلالته بعد ١٢سنة من الولايات المتحدة الحماية المباشرة وترجاها ان تحث اسرائيل على التدخل الى جانبه ليتمكن من سحق المقاومة الفلسطينية في ايلول الاسود .. فجلالته استعدى الاسرائيليين للتدخل في شئون البيت الاردني وضد مواطنيه .فلا يحق له ان يعظ اليوم عن التدخل في شئون البيت العربي بعدما تهدم هذا البيت بتحول الاخ الى قاطع طريق .. اغتصب اخاه الاصغر ..

اما عن الخطاب الذي القاه في حفل تخريج الدورة ٣١ لكلية الاركان الملكية فهذه هي الملاحظات :

١- يتحدث جلالته عن « غياب الديموقراطية في العالم العربي قيما وسلوكا ومؤسسات» وهو حديث خير بلا شك ، فإلى ما قبل عام واحد كان حكم جلالته في مقدمة هذه النظم التي عادت الديموقراطية سلوكا و ممارسة و قيما ،وكان له سجله الحافل باتهامات لجان العفو وحقوق الانسان ومنظمات العدل .. الخ واتسم تاريخ جلالته بالصراع الدموي المتصل بين شعبه وحكومات القصر، التي لم تكن سوى العوبة بيد الملك والذين بيدهم امر الملك . وبحكم هذا التاريخ وبحكم انه ما من تطور أو تغيير قد وقع في العلاقات الاجتماعية أو السياسية في الاردن ، فإن الكثيرين ينظرون بعين الشك والريبة لهذا العارض الديموقراطي الذي اعترى النظام وجلالته على كبرا ويعتقد الكثيرون انه جزء من المؤامرة ، التي ينهانا جلالته عن التفكير فيها ، وما حيلتنا وقد اصبح اسم جلالتكم مقترنا في العقل الباطن للشعب العربي . «بالتآمر والمؤامرة»حتى ان ذكر أي اللفظين على لسان عربي يستدعي الثاني على الفور ..

الكثيرون يعتقدون ان النوبة الديموقراطية الحالية في الاردن هي جزء من الديكور الذي اعد لتمثيل المسرحية التي لا يعلم الا الله حدودها . والتي فور ان تبلغ اجلها سيستأنف جند البادية التعبير عن اخلاصهم للعرش بذبح المواطنين ومطاردة الذين قبلوا الاشتراك في التمثيلية ، مع علمهم ان كل مفاتيح السلطة الحقيقية لا تزال بيد الملك والمجموعة التي تنكل بالشعب منذ أن كان العرش الاردني .

على اية حال ان دليل الديموقراطية الذي لا يجحد هو وجود الرأي الاخر ولكن بما انه لا يوجد مظهر واحد من مظاهر التعبير عن رأي اردني معارض للخط الذي اتخذه جلالته بالنسبة للاحتلال العراقي للكويت ، فلا تفسير لذلك الا أحد امرين :الاول – بافتراض ان رأي الحسين هو الصواب– وبالتالي فالاردن هو الشعب المعصوم أو البلد المنتظر . . لأنه كله ، ببدوه وحضره وفلسطينييه واردنييه واغنيائه وفقرائه كلهم قد اوتوا الحكمة وفصل الخطاب ، عرفوا الحق في الغزو العراقي فاتبعوه وكرهوا باطل استقلال الكويت فحاربوه . . الاردن بأكمله يتفجر وطنية وثورية ووعيا حتي انه لم يظهر صوت واحد يعارض احتلال الكويت أو يعارض جلالته !؟

أو ان ديموقراطية جلالته هي من النوع الذي يسمح بالحرية في اتجاه واحد هوحرية تأييد الحكومة .

عندما يكون رئيس واحدة من افقر دول العالم هو في نفس الوقت اغني رجل في العالم يغدو الحياء مطلوبا في الحديث عن الديموقراطية التي اول مفاهيمها هي رقابة الشعب على مال الشعب .

٢– خلا خطاب جلالته تماما من كلمة ادانة واحدة ضد الدولة التي حشدت جيشها وانتهكت سيادة جارتها العربية وازالت كيانها واعلنت ضمها بالقوة ، انما تفضل جلالته فسمى ماحدث « بالمحذور حيث تحول الخلاف بين دولتين شقيقتين الى تصدع في الجسم العربي ما لبث ان تحول إلى شق تحركت القوى الاجنبية ذات المصالح بسرعة مذهلة للنفاذ منه والتدخل المباشر في شئون بيتنا العربي »

ويفسر جلالته هذا السكوت المريب المعيب بأنه فضل « عدم التمحور» بينما الاطفال الذين انتزعوا من الحاضنات في مستشفيات الكويت يعرفون ان جلالته تمحور بشدة!! هذا اذا كان يمكن الحديث عن تمحور ، بين القاتل والقتيل ، بين الغازي والمغزو بين جيش الاحتلال والوطن المحتل . ان هذا الاجماع الذي لم يسبق له مثيل في الامم المتحدة على ادانة العراق لا يمكن وصفه بالتمحور بل لأن ما فعله العراق هو الجريمة التي لا يستطيع حتى المنافق التهرب من استنكارها ولو من طرف لسانه اقتراه يقول . . نحن نستنكر الغزو ولكن مادام قد وقع فلننساه ولنحاول الاستفادة منه . . تماما كما يختتم جلالته كلمته داعيا العرب للابتهاج بما حدث « فان فرصة حل أزمة الخليج والمشكلة الفلسطينية لم تكن في أي وقت من الاوقات افضل مما هي عليه الان فلنغتنم هذه الفرصة

حتى لا تحل علينا لعنة الله والتاريخ ٠ وينصح الاخوة العرب بالتوقف عن التلاوم وعن الانشغال بتحديد من هو المذنب ومن هو البرئ؟ ٠٠ حتى نسترجع قدسنا »

الا لعنة الله والتاريخ على من اضاع قدسنا اكثر من مرة ٠٠ الا لعنة الله والتاريخ على من لم يجد وسيلة يحرر بها قدسنا الا المزيد من احتلال ارضنا وتشريد شعبنا ٠٠

جلالته يرى انه حادث سعيد وجلالته يرى امكانية الحوار والتصالح دون ان نحدد من المعتدي ومن المعتدى عليه ٠٠ وفي موضع اخر يلوم مجلس الامن لأنه يكيل بمكيالين لأن المجلس يدين العدوان على الكويت ولا يدين العدوان الاسرائيلي ٠٠ كيف غاب عن منطق العرب وفهمهم هذه المغالطة ٠٠ كيف فات جلالته والذين يرددون اقواله انه هو ايضا يكيل بمكيالين فيدين العدوان الاسرائيلي ، ولو بالكلام ، ويغض الطرف بل يبارك العدوان العراقي! ما الفرق بين موقفك وموقف مجلس الامن ٠٠ ؟!

وكلنا يعرف ان المشكلة ليست في مجلس الامن بل في انحياز الولايات المتحدة لاسرائيل وهذه قضية تعايش معها جلالته ولم تفسد لوده مع الامريكان قضية خلال اربعين سنة، وهذا الانحياز من الثوابت في القضية الفلسطينية ولم تكن ابدا بحاجة لذبح الكويت لاثباته ، بالعكس كانت تحولات الموقف العالمي واختفاء الحرب الباردة وانتهاء الدور المزعوم لاسرائيل في حماية الشرق الاوسط من الشيوعية ، وكذلك نمو المقاومة الفلسطينية داخل الارض المحتلة ، وتخطيها قيادات الخارج – بل ولعلنا لا نخطئ القول انه ما كان يمكن للانتفاضة ان توجد وان تستمر اربع سنوات لولا زوال السيطرة الهاشمية حتى الشكلية على الشعب الفلسطيني تلك السيطرة التي لا تزال تمنع اخوة ابطال الانتفاضة داخل الاردن من الانضمام للمجاهدين داخل اسرائيل ٠

كان الامل انه مع تزايد نفوذ مصر والسعودية في الولايات المتحدة وبدء المحادثات الامريكية الفلسطينية و تصاعد عطف العالم على كفاح الفلسطينيين وبروز اوروبا كقوة مؤثرة في السياسة العالمية ومع التهاب الوضع بتدفق المهاجرين السوفيت ٠٠ كان الامل ان يؤثر ذلك في اتجاه تغيير موقف الولايات المتحدة نحو موقف اكثر حيادا وتحريك مجلس الامن في اتجاه انصاف الشعب الفلسطيني حتى جاء الانقاذ لاسرائيل بالغزو العراقي للكويت واصبحت صفة العدوان تضم العرب والاسرائيليين معا ٠ ولم يعد من السهل اقناع العالم بأن اسرائيل هي مصدر التوتر في الشرق.

الأوسط .

٣- ينبهنا جلالته إلى انا اصبحنا في حالة تشبه الى حد بعيد في خطورتها ومضاعفاتها الحالة التي وجدت أمتنا فيها نفسها عام ١٩١٨ حينما اكتشفت ان مسارها كان قد رسم لها في سايكس بيكو ووعد بلفور ومن بعده بقرارات عصبة الامم.»

ولا شك ان جلالته هو خير من يحدثنا عن تلك الايام وتلك القرارات فهو يدين بعرشه لهذه المخططات والقرارات باللات ، ولكن جده الشريف حسين كان اكثر صراحا عندما اعترف بخطيئته وانه هو الذي جلب وسهل على سايكس بيكو وبلفور تقسيم الامة العربية عندما قبل ان يحقق اطماعه في التوسع وفرض زعامته على العرب بالاتفاق مع الانجليز ، وتوقيعه على كل هذا الذي يسببه حفيده اليوم. اعتذر حسين الكبير بقوله « كنا بدوا ، لا نفهم في السياسة ، وجاءوا لنا بأوراق وقالوا وقعوا فوقعنا .. » ترى بماذا سيعتذرالحفيد عندما تتكشف ابعاد المؤامرة التي دبرت ضد الامة العربية بالغزو العراقي؟! من الذي تسبب في فتح بلادنا لجميع الدول ولشتى التداخلات . . من الذي قدمنا للعالم في صورة البدائيين المتوحشين المتنازعين الذين لا امن ولا امان حتى فيما بينهم .. من الذي طعن في شرعية الخريطة العربية ويدعو لتغييرها .. من الذي يبرر العدوان لتعديل الحدود والذي لا يعترف بالحدود القائمة ، والعراق اعطى الشرعية لكل من يفرض مطالبه بالدبابات بعد أن عرب العدوان .. قدم الوطن العربي على طبق لكل الذين يريدون اعادة رسم حدوده وتوزيع ثرواته ليفوزوا بنصيب الأسد وللاسف فإن العرب في هذه القسمة ليسوا الاسد ولا الذئب بل الفريسة .. إن الذين صنعوا سايكس بيكو وقبلوا وعد بلفور قد فعلوها مرة ثانية !

ونحن لا نستطيع ان نفهم كيف يجمعون بين الدعوة « لحل عربي » وبين شعار«مشاكل الشرق الاوسط لا تتجزأ» بمعنى دعوة اسرائيل وغيرها للاشتراك في حل النزاع العراقي - الكويتي .ألا يرى جلالته انه وجماعة صدام قد تبنوا الشعار الذي رفعته اسرائيل منذ سنوات عن شرق اوسط ليس عربيا وانهم اعترفوا باسرائيل كطرف في الصراع العربي / العربي ؟!

(ونستطيع ان نضيف اليوم أن اسرائيل التي تشترط حضور دول الخليج مؤتمر السلام إنما تبني على الأسس التي وضعها صدام وحسين عندما اصروا واستشهدوا في سبيل الربط .. قريبا ستسمعون عن اعادة خط النفط من العراق عبر اسرائيل ومرور النفط الخليجي من خليج العقبة

وحصة وصوت اسرائيل في الترتيبات المالية والأمنية .. ومن استرعي الذئب ظلم وظلم ..ج مايو ١٩٩١)

٤- ويرسم لنا جلالته مبادىء حل النزاع فيعلمنا : «اول المبادئ هو اعطاء الوسيط العربي الفرصة ليجري الحوار مع الطرفين المتنازعين ويمهد لهما سبيل الجلوس معا والتفاوض حول المشكلات التي تكمن وراء النزاع سعيا لحلها ..»

لقد اشتهر جلالته فترة بالمهارة في التخلص من المواقف الحرجة ، والقدرة على الغوص في الازمات والخروج سالما ..وحده .. حتى لو دمرت العاصفة العالم من حوله، ولكنه في هذه المرة يحاول ما يفوق القدرة على المغالطة .. واي مغالطة اكبر مما يرتكبه الملك وجوقة الوسطاء المشبوهين .. فنحن على كثرة ما نسمع عن الحوار والمفاوضة فإن جلالته لم يشر مرة واحدة لا هو ولا كل الوسطاء الى حوار مع الطرف المعني اساسا .. أي الكويت !!

ان ذلك يعني ان جلالته قد تعلم جيدا من اصدقائه اليهود الذين يجتمع بهم سرا حتى اصبح من العلامات المميزة في مذكرات كل مسئول يهودي يتقاعد ان يورد بابا يحصي فيه عدد المرات التي اجتمع فيها سرا مع جلالته!

اسرائيل منذ عدوان ١٩٤٨ الى اليوم تدعو الى حوار مع جميع الاطراف الا الفلسطينيين ! وتدعو لحوار بلا شروط مسبقة إلا شرط استمرار احتلالها . وهو ما يدعو له اليوم الوسطاء من امثال جلالته باسم الحل السلمي لقضية الكويت ! واسرائيل تدعو ـ تماما كما يفعل جلالته ـ لاعتبار عدوانها واحتلالها تاريخا وعدم اضاعة الوقت في تحديد من المخطئ فاذا اصر العرب فهم المخطئون لانهم تحرشوا باسرائيل !! تماما كما يحمل جلالته الكويت مسئولية استفزاز الوحش العراقي ..

ولكن الامر الخطر من مجرد تلميذ يقلد اساتذته الاسرائيليين ، بل ان اغفال الكويت في الحديث عن الحوار والوساطة والتركيز على السعودية التي ليس لديها ما تتفاوض عليه مع العراق ولا ما تتنازل عنه وصولا للحل الوسط ، هذا التركيز ليس عن غباء ولا لمجرد اضاعة الوقت بل هو عن قصد بهدف اظهار السعودية ، وكأنها هي التي تمنع الحل .. وان الحرب مع السعودية .. وان المتصلب هي السعودية .. قد يكون ذلك جزءا من مؤامرة علمها عند الملك ويستحق عليها مبلغ

العشرة ملايين دولار التي يتقاضاها سنويا من المخابرات الامريكية . وصرفت لفترة بتوقيع الرئيس بوش شخصيا مما سمح للرئيس الامريكي أن يعامله معاملة لا تليق بتاجر مخدرات من امريكا اللاتينية ، وضيّر جلالته واحسب ..أو بالأحرى حسب قيمتها بالدولارات! .. ولكنها على أية حال حيلة تفتقد للحبكة والبراعة -. فليس لدى السعودية من خلاف ولا قضية مع العراق إلا احتلاله للكويت وحشده الحشود على حدودها . فلينسحب من حدودها ويخرج من الكويت تنفيذا للحق ولقرار اجماعي من الأمم المتحدة ، وتعود العلاقات الى وضعها الطبيعي كما هي بين الاردن وسوريا مثلا .. اما اذا كان للعراق بعض المطالب في الكويت ثمنا للانسحاب فليفاوض عليها مع الكويت ..ام هل المطلوب هو ان تفعل السعودية مع حكومة الكويت في المنفى ما فعله اليابانيون مع الكوريين في الثلاثينات.. تضربهم على ارجلهم بالسياط حتى يوقعوا عقد ايجار الجزر؟! لا .. ليس هذا أسلوب السعودية ولا هو من روح العصر واساليب العالم الجديد الذي يدعونا اليه الحسين ، وجورباتشوف هو الذي قال في الايام الاولى للغزو ان صدام لا يمكن ان يتعامل مع النظام العالمي الجديد بهذا الاسلوب .. فلماذا التوسط عند الرياض الا لزرع الشبهات واخفاء الجاني والضحية ؟!.

سيقول المنافقون من الاعراب ان المفاوضات بين بغداد والسعودية هي لتنظيم الانسحاب المتزامن للقوات العراقية والامريكية ..وهو قول يقوم على البهتان والمغالطة..

أولا :اذا كان العراق لا يريد اكثر من ضمان انسحاب القوات فليبدأ بانسحابه وعندها تبدو المواقف عارية وسترى من الذي يريد القوات الاجنبية على ارضه أو في المنطقة..

ثانيا : ان وجود القوات المساندة وإن كان قد بدأ بالعدوان العراقي ثم بطلب من السعودية فهو لم يعد قضية تخص البلدين بل الأمم المتحدة ، وهناك ٢٦ دولة مشتركة في هذه القوات تدعمها العديد من الدول في أوربا وآسيا ، كلها مشتركة وملتزمة بتنفيذ قرارات صادرة بالاجماع من الامم المتحدة ، منها على سبيل المثال تنفيذ الحصار ضد العراق وهو قرار وافقت عليه حتى الصين واليمن وتعلنان التزامهما به .هذه الدول لا يمكن ان تنسحب وترفع الحصار الا بقرار من الامم المتحدة . بل ان قرار الحرب بعد ١٥ يناير القادم لم يعد مرجعه الارادة المنفردة للسعودية ولا يستمد شرعيته من الكونغرس أو الرئيس بوش بل من تخويل صدر باغلبية ١٢ صوتا من ١٥ .. فلا يمكن

لاي اتفاق تصل اليه السعودية والعراق ان يأمر هذه القوات بالتخلي عما جاءت من اجله . . فتصاع ! القرار الوحيد الذي ينهي المهمة وينهي مبرر وجود القوات . . هو تنفيذ مقررات الامم المتحدة ، وهو أمر ، تحقيقه سلما ،في يد رجل واحد ، سلما أو تنفذه ٢٦ دولة كرها .

ثالثا :لقد اعلنت السعودية وجميع الجهات المعنية ان هذه القوات لن تبقى يوما واحدا بعد انجاز مهمتها وهي تحرير الكويت واعلنت الولايات المتحدة انها موجودة فقط لهذه للمهمة ولا يخفى على خبير بالتآمر والمتآمرين ان انسحاب العراق بغير حرب يسقط حجة امريكا في البقاء . . أما الحرب فتفتح احتمالات لا حد لها . .

واخيرا بمن يغرر الملك . . ما هو الضغط الذي يشكله الاحتلال العراقي على القوات الامريكية فيمنعها من تحقيق اهدافها الاخري من الوجود بالمنطقة . . بالعكس . . الا يشكل الاحتلال العراقي واستمراره المبرر والغطاء لمن يريد البقاء في المنطقة . . ان كل حديث عن التفاوض لتحقيق أو ضمان الانسحاب الزمني انما يهدف لاطالة احتلال الكويت ويحقق في نفس الوقت استمرار الوجود الاجنبي في المنطقة .

ومن ثم فلا معنى للوساطة لدى المملكة السعودية في هذه القضية . ام ترى يريد الوسيط حسين ان يتوسط عند الملك فهد ليقنعه بضرورة حل القضية الفلسطينية ؟! لا اظن ان فاجرا يستطيع ان يطرح هذا الادعاء ، ولن نتحدث عن دور المملكة وما قدمته لحل هذه القضية وما ناله جلالته من مال المملكة باسم حل القضية والله اعلم بما اخذ واين ذهب ما أُخذ ؟! ولكن لنفرض ان جميع الاطراف العربية اتفقوا على ضرورة حل المشكلة الفلسطينية فماذا بوسعهم ان يفعلوا لاجبار امريكا والاتحاد السوفيتي اللذين يرفضان الربط . . هل يناشد العرب صدام الا ينسحب من الكويت الا اذا انسحبت اسرائيل وحلت كل مشاكل المنطقة ؟!

رابعا: مثير حقا القول بأن أزمة الخليج الحالية سببها القضية الفلسطينية وانه ما لم تحل هذه الأزمة فستجدد لزمات الخليج . . هل احتل العراق الكويت ليحل أزمة فلسطين ؟! ربما . . بعد ان تجمع خبراء خطف الطائرات في بغداد لا يستبعد ان يكون الرئيس العراقي قد اقتنع باسلوب الرهائن فقرر أن ابادة الكويت كلها اسهل من نسف نصف اسرائيل . وهكذا خطف الكويت ليساوم عليها العالم ، مقابل اطلاق سراح الشعب الفلسطيني من سجن الاحتلال الاسرائيلي . . ربما . . ولكن –

لأسف الملك حسين -صدام لم يقل ذلك ابدا في تبرير الغزو بل تحدث ولا يزال عن الحقوق التاريخية والجزء الذي عاد للكل والابن الضال الذي ضاع ثم عاد لاحضان الاب الملتاع.. ولم يطرح الربط الا عند الحديث عن الخروج من الكويت وليس الدخول . ام يقول جلالته ان العراق من شدة حزنه على حقوق الشعب الفلسطيني ومنع جلالته له من التعبير عن مشاعره بالوسيلة الطبيعية الشرعية بعبور الاردن في اتجاه اسرائيل فانحرف الرئيس العراقي وانفجر كبته في اتجاه الشقيقة الكويت ؟! مرتكبا الحرام والعار ويريد من العرب مباركة ذلك والدعاء له لكي يتجب الحل الشرعي لمشاكل الشرق الاوسط ؟!

فإذا خرجنا من هزل المنطق الصدامي الى جد الواقع المأساوي فان من اخطر ما قدمته المغامرة الصدامية انها عززت ادعاء اسرائيل في مواجهة الطرح العربي . فخلال العشرين عاما الماضية على الاقل ، كان العرب يقولون ان اسرائيل هي اساس التوتر والقلق والحروب في الشرق الاوسط . وكانت اسرائيل تجند اعلامها لتقول ان الخلافات العربية والصراعات في المنطقة سابقة على وجود اسرائيل ومستمرة بمعزل عن اسرائيل. وكانت استشهاداتها بحوادث الحدود أو الحرب الاهلية اللبنانية حتى اسعفها العراق باكبر عدوان في تاريخ المنطقة منذ ١٩٦٧ واكبر ادانة في تاريخ العالم واكبر تحرك في مواجهته أو بسببه واكبر حشد من القوات والمعدات . وحتى الملك حسين وليس صدام حسين فحسب لا يستطيع ان يجد الجرأة لادعاء ان اسرائيل هي السبب في الغزو العراقي . من حق اسرائيل اذن ان تقول لسنا نحن سبب التوتر في المنطقة انما هم القبائل العربية بعداواتها التاريخية واطماعها المسلحة بالتكنولوجيا؟

خامسا: جلالته سعيد جدا بلعبة الربط التي اكتشفوها وعلقوا بها آمالهم لا لحل قضية فلسطين بل لاطالة احتلال الكويت أو تغطية صدام اذا ما رضخ وقرر الانسحاب . ولكن جلالته وقد توسط منظمات الارهاب يلبس جلد النمر و يتحدى ان يكون هناك وعربي واحد.. يرفض الربط بين أزمة الخليج وحل المشكلة الفلسطينية وانقاذ المقدسات.. انني اعتبر ان مجرد التلويح الاجنبي بأن عربيا واحدا يمكن ان يقبل بعدم الربط هو اهانة لكل الامة العربية فإن وجد هذا العربي فليكشف عن نفسه ...»

معروف رأي علماء النفس عن احلام الطفولة المكبوتة التي تجعل شيخا في الستين يرتدي

سروالا قصيرا ويركب دراجة كما في قصة تشيكوف الشهيرة . . وجلالته بلا شك كان يحلم في شبابه ان يحمل على الاعناق ويهتف له في مظاهرة قومية أو على الاقل يسمح له بالهتاف فيها . . ولكن الظروف المعروفة والمسلكية المعروفة اكثر، جعلته طوال السنين الاربعين الماضية على كل لسان وفي كل مظاهرة في العالم العربي ولكن بغير ما يود ! وها هي الفرصة قد حانت ليتحدى هو مرة باسم القضية الفلسطينية !! . . مبارك !!ان الله يقبل التوبة قبل الحشرجة . . إلا من شرح بالكفر قلبه .

ومن اجل المزيد من التوبة ، ما رأي جلالته في اقتراح يحقق الربط الذي لا انفصام له ويطرح الصراع العربي الاسرائيلي طرحا عنيفا . . ما رأي جلالته ان يثبت فعلا اخلاصه لحل القضية الفلسطينية، ودعم موقف صديقه ، بأن يتيح للجيش السوري أو الجيش العراقي – لا ان يحتل الاردن ويعلن ضمها ، حاشالله ان نطالب جلالته بهذا الامتحان العسير الذي يدعو الكويتيين لقبوله في سبيل القضية – بل تدعو جلالته الى مجرد السماح لاحد الجيشين بعبور الحدود والتواجد في الاردن . أو ابسط من ذلك حرك القضية من حدودك . . اسمح للجيش الاردني أو حتى لمنظمة التحرير بالعمل من حدودك ضد اسرائيل . . هل تشك جلالتك في ان اسرائيل ستورط على الفور بعمل عسكري ويصبح العالم امام الربط المسلح وتتاح الفرصة للحل الشامل الذي تطالب به جلالتك ؟! لماذا يجب ان يتم الربط على جثة الكويت بينما تنعم انت بالحماية الاسرائيلية وتمارس دورك كضابط نقطة حدود لحماية امن اسرائيل ؟!

ماهو الربط الحادث الان الا اختطاف الكويت وادعاءالمساومة عليها؟! نعم « ادعاء » اذ لا اساس على الاطلاق للمساومة ، فلا أحد يصدق ان الامريكان سيقاتلون اسرائيل أو يصطدمون معها من اجل تحرير الكويت . . واخراج صدام سلميا وسليما منها ؟! ان هذا اللون من الربط يبرر جريمة اسرائيل ولا يدينها ويحول قضية فلسطين والشعب الفلسطيني من القضية الرئيسية التي يتمحور حولها الوجود العربي يحولها الى مجرد ورقة في جيب المفاوض العراقي يساوم عليها أو يبتز بها الولايات المتحدة لا لتخرج له اسرائيل من الارض المحتلة . . بل ليحصل على حقل نفط ومال وتعديل الحدود لحسابه .

نحن مع الربط الذي يرى أن بداية مسيرة العدل في فلسطين هي تنفيذ العدل في العدوان

الساخن الذي استطاع لظروف عديده – منها انحياز امريكا لاسرائيل –استطاع ان يوحد ارادة العالم ضدالعدوان . . و لكنها اصبحت سابقة . . نحن مع الربط لو كان صدام وحسين يريدان حقا تحرير الارض المحتلة وليس المساومة على مكاسب للعراق . ونحن نقدر ظروف الفلسطينيين وحقهم المشروع في التعلق بكل بارقة تخلصهم من الظلم الفادح الذي يرزحون تحته حتى انهم قبلوا ان يقامروا على الذي غزا الكويت وترك مسجدنا يهود وارضنا تمحى عروبتها و تحقيقا للحلم الصهيوني الكبير–كما يذكرنا جلالته – وينسى ان يدين الذي اختار هذا الوقت بالذات ليوجه طاقة العراق بل كل طاقات العرب لحل النزاع على عشرة الاف برميل ينتجها حقل الرميلة . .

ولكن اللوم كل اللوم على القيادة الفلسطينية التي وضعت الفلسطينيين في هذا المأزق بالمقامرة على من تعرف انه لا يعير قضية فلسطين حبة خردل . . وان يتعاونوا مع الحسين الشريف حفيد الشريف الملك حسين الذي لم يدخرجهدا في حل القضية الفلسطينية نهائيا بإبادة الفلسطينيين وما أيلول الاسود ببعيد؟!

عودة الحاوي الطروب ..!

أخطر مافي مقال هيكل [1] هو الفقرة الأخيرة التي لخص فيها دعواه بقوله « ان الشرعية اكثر من مجرد المحافظة على الدول وحدودها .ان الشرعية أولا وأخيرا يجب أن تكون تعبيرا عن واقع الجغرافيا والتاريخ إن الشرعية يجب ايضا أن تعكس القيم والتطلعات والطموحات الانسانية وحقيقة ان كل هذه الامور تتغير مع الوقت ..»

هذا هو اخطر ما قيل حتى الان — انه اعلان الوطن العربي مدينة مفتوحة مباحة لكل من له طموح أو تطلعات ولكن لنؤجل تفصيل ذلك حتى يأتي في سياقه كما قال .

بدأ هيكل بشهادة الزور التي يبدأ بها كل اعوان صدام حسين واعني استنكار الغزو ثم يجعلونه اساس الشرعية في ما يطرحونه من تسويات ، أو يرفعون من شعارات ! وقديما لخص مايلز كوبلند الدور الذي كان هيكل يلعبه في ايام الناصرية فقال «ان مهمة هيكل كانت تحلية قراراتنا ومطالبنا المرة ليسهل على عبد الناصر ابتلاعها وتبليغها للعالم العربي..» ويبدو انه قد عاد لمزاولة مهنته فقد حاول استخدام كل ما بقي وتعطن من سكر الستينات لتحلية العلقم الذي قذفه الغزو العراقي في حلق الأمة العربية ..وقد استخدم هيكل كل ما في جعبته لتحلية الغزو فقال إنه لا يبرره! وهو تعبير لا يرقى للإدانة ولكنه لا يهبط الى التأييد الصريح ، حتى لا يغضب الناشر الانجليزي الذي يحشد قواته واساطيله لمقاومة الغازي وسط اكبر تأييد شعبي عرفته بريطانيا لسنوات ..

وهو خطأ ، اي الغزو ، ولكنه ليس فعل مجنون دبر بليلة ، بل له مبرراته ويمكن ان يكون الشر الذي يأتي منه الخير! .. والخير هو هذا الحل الذي توصل اليه وان اجل اعلانه الى نهاية المقال لكي يزداد شوقنا، و مفضلا ان يعلم قراءه بعض التاريخ ..ومن ثم يتلو علينا الإسطوانة المشروخة عن قبائل الخليج وحقودهم التي « كانت نتاجا للعبقرية البريطانية..»

والذين يعانون فقرا ثقافيا نتيجة اقتصارهم على قراءة هيكل سيظنون ان حدود دول الخليج هي وحدها التي رسمتها السياسة لا التاريخ ولا الجغرافيا. أو هي وحدها التي لا تنطبق حدودها على شعوبها. . أما الذين اتيح لهم بعض العلم فيعرفون ان كل الوطن العربي، بل كل الشرق الاوسط انما خططت حدوده وفق الصراعات والمصالح الاجنبية الاستعمارية. ولطالما تغنى صدام حسين في شبابه البعثي باللواء السليب اي الاسكندرونة ،التي اقتطعت من سوريا ومنحت لتركيا لتسكت عن ضم الموصل للعراق وهناك الصراع المسلح بين تشاد وليبيا ، ومن مصر اقتطعت السياسة الاستعمارية، بالقوة من ترابها، واحة جغبوب بعد أن اعترف العالم بها كجزء لا يتجزأ من مصر لزمن اطول من عمر التاريخ ! وهناك حلايب بين مصر والسودان، والنزاع على الحدود بين المغرب والجزائر بدأ مع اليوم الاول لاستقلال الجزائر ، ومازال بصورة أو اخرى حول الصحراء. بل واكثر من دولة ما كانت لتوجد الا بفضل السياسة الاجنبية مثل موريتانيا والاردن وفلسطين ولبنان الى حد ما .. والعراق ذاته هو اكبر شاهد على ذلك لا من جنوبه فحسب بل من شرقه وغربه وشماله ولو كانت بريطانيا قد احتلت تركيا بدلا من العراق لكان الموصل ونفطه الان في تركيا وليس الأنابيب وحدها ،ولو خرجت فرنسا من الحرب العالمية الاولى اقوى من بريطانيا لكانت الموصل قد الحقت بسوريا وكانت دمشق هي التي في الاوبك ، ولكانت مطالبة العراق بالعدالة العربية في توزيع عائدات النفط اكثر صدقا ! اذ من الغريب ان تصدر هذه الدعوى من العراق اغنى الدول العربية النفطية ، ومن ابرز مصدريه،والذي يملك ثاني اكبر احتياطي للنفط بين العرب . وهو ايضا الدولة النفطية الوحيدة التي تملك مصادر هائلة من المياه والاراضي الزراعية والطاقة البشرية .وهو ايضًا الدولة النفطية التي لا تدفع مليما لعرب المدن الفقراء ولم يتقدم العراق يوما واحدا باقتراح لعدالة التوزيع أو تذكر مصر والعرب الفقراء ، حتى اطبق عليه فخ الكويت فلبس عمامة التقوى ونشر قميص الحق المظلوم للشعب المحروم.

و مهما قيل عن الدخول والاتفاق في دول الخليج فهي وحدها التي دفعت . والعراق كما كتبنا من عشر سنوات هو الذي تزعم انشاء اوبك لكي يخرج الدول غير النفطية ومصر بالذات من النفط قرارا وتوزيعا .. وعراق صدام حسين كما قال الرئيس حسني مبارك هو الذي تزعم ونفذ بالارهاب خطة حرمان مصر من الطوفان المالي الذي جاءت به سنوات السبعينات بحجة

خيانة مصر للقضية الفلسطينية ، وفي هذا الوقت بالذات كان هيكل يحرض اعضاء الكونجرس الامريكي على مقاطعة مصر ومنع الدعم عنها حتى اضطر رئيس جامعة بوسطن والسفير الامريكي السابق في مصر الى تذكيره بأنه حتى في الولايات المتحدة فإن القانون يعاقب من يحرض دولة اجنبية على الاضرار ببلده ، فليس الجيل الجديد من اولاد القبائل هم الذين حرضوا على تجويع مصر بل صدام حسين وهيكل وكل التقدميين بل اذا كانت القبائل قد اشتركت في المقاطعة فبعد ان سحبت عليهم المسدسات كما قيل !.

وهيكل مثل كل الذين يتعمدون عرقلة حل المشكلة ، واطالة الازمة لزيادة فرص التدخل الاجنبي، كلهم يتغنون بالحل العربي ، فهو الانظف و« الاكثر ملاءمة للنفسية العربية » وكأنه اكتشف البارود ، أو كأن الانسان العربي في محنته هذه يقف في سوبر ماركت الحلول ، فينصرف عن الحل العربي ويفضل الحل المستورد !

هذه الوطنية المفاجئة مشبوهة لعدة أسباب :

• الذين ينادون بها لم يلتزموا بها ، فصدام حسين لم ينتظر اي حل عربي لخلافه مع الكويت، بل اعطى كل القوى الفرصة الذهبية للتدخل وفرض حلولها باقدامه بقرار منفرد على غزو الكويت .

• والذين يحاولون اطالة احتلال الكويت بالحديث عن حل عربي ، هم الذين ساهموا في نجاح المخطط العراقي بتدمير الجامعة العربية أو على الأقل شلها تماما ، والجامعة العربية هي المصنع الوحيد المهيء والمصرح له بانتاج الحل العربي ، ولذلك تعمد المخطط العراقي تحطيمها ، وقص اجنحة مصر والدول التي يعرف انها ستعارض غزوه اوما هذه الاستقالات والازمات الا لسد الطريق على الحل العربي ..

• اذا كان صدام حسين مؤمنا بالحل العربي لماذا لم يلتزم بهذا الحل في خلافه مع الكويت بدلا من اللجوء للدبابات ؟! سيقول المنافقون من الكتاب .. انه حاول ولم ينجح بسبب عجز الجامعة العربية أو سوء طويتها أو الاثنين معا .. تماما هو كذلك فعلا! فماذا جد بعد احتلال الكويت لكي يستقيم سلوك الجامعة العربية وينبثق منها الحل العربي ؟! الجامعة التي بسبب من عجزها أو فساد نيتها لم تستطع ان تحل خلافا حول ديون مالية أو نسبة توزيع حقل نفط كيف ستستطيع حل قضية احتلال ومحافظة ١٩ وأمم متحدة وعالم واقف على منه كما يقول العامة ؟! هل سيتحسن سلوك

العرب ، لأن صدام وراهم العين الحمرا .. ليكن .. فهناك من عينه اشد احمرارا وتابه اقطع .. بمن يغرر دعاة الحل العربي بعد ان استخدموا الحل المسلح .. ؟!

في عام ١٩٦٠ عندما هدد حاكم العراق باجتياح الكويت طلب حاكم الكويت الجنود الانجليز فجاءوا وعسكروا على الحدود السعودية العراقية ، ولأن عبد الناصر لم يكن عميلا لبغداد ولا راغبا في استمرار الوجود البريطاني لذلك لم يبدد الوقت في استنكار استدعاء الاجنبي ، ولا استصدار الفتاوي ضد مشروعية هذا الاستدعاء . بل بادر بارسال الجيش المصري ، ولم يقل احد يومها ان العسكر المصريين ليسوا الا غطاء للجيش البريطاني .. كان الناس في بلادي اقل وقاحة، أو قل كان عبد الناصر يعرف كيف يلزمهم حدودهم .. فلما تكونت القوة العربية ومعها الحل العربي .. تم التسليم والتسلم على حدود الكويت وانسحب الانجليز .

اكثر من هذا في تلك المرة جاءت بريطانيا منفردة وبدون قرار من الامم المتحدة ، وبريطانيا كانت تستعمر الكويت ولم تخرج الا منذ شهور ، بل اسابيع .. ومن ثم كانت شبهة عودة الاستعمار اكبر .. اما اليوم فأمريكا لم تكن تحتل السعودية وامريكا لاتقف وحدها بل تشترك معها بالرجال أو المال أو الالتزام السياسي ، جميع القوى العالمية المؤثرة عسكريا ، أو ماليا ،أو سياسيا ، وكلها ملتزمة بقرار الامم المتحدة واعلن في جميع المناسبات ان اتفاقية الاستدعاء تنص على حق الدولة الداعية في الغاء طلبها .ومن ثم فالسبيل الوحيد لكي تتحول هذه القوات إلى ما يشبه قوات الاحتلال في القرن التاسع عشر هو استمرار المبرر العراقي .(ونقول اليوم ان هذه القوات لم تحتل إلى الآن الا العراق الذي اقتحمته من الجنوب والشمال .. فالذي اعاد المنطقة لعصر الاستعمار هو العراق ، واول مستعمرة هي العراق التي تحدثت عنها المجلة الامريكية فأوجعت :« شيعة .. ؟ سني .. ؟ كردي .. لا يهم فهي مستعمرة امريكية » ؟

أليس مما يثير الشبهة ان كل الذين يصرخون ضد الوجود الامريكي يتعمدون رفض مطالبة العراق بالانسحاب ، وكأنهم يصرون على اعطاء امريكا المبرر للبقاء ؟!

ولم يكن الانزال البريطاني عام ١٩٦١ هو آخر الاستعانة بالمشركين ، فخلال الحرب الايرانية العراقية ، استعانت الكويت بالعلم الامريكي أو ما يشبه الحماية الكاملة بمفهوم القرن التاسع عشر ، ولم تحتج بغداد ولا أنصارها .. وحدث انزال امريكي في اكثر من موقع بالخليج مع استحسان

العراق وحاكمها .. ثم جاء الاسطول الامريكي في اكبر حشد بحري منذ الحرب العالمية الثانية ، ليدافع عن مياه وسماء العراق واسقطت مدفعيته حتى الطائرات المدنية الايرانية ، ولم نسمع فتوى واحدة عن مشروعية الاستعانة بالكافر في محاربة دولة مسلمة ، ولا صدرت فتوى بأن الحرب الاهلية بين المسلمين افضل من الاسطول الامريكي! .. مما يؤكد تجني ونفاق المتدينين الجدد .

• ليس سرا .. ان الشعب الكويتي وليس آل صباح وحدهم يأخذون على حكومة الكويت الحالية انها ظلت متعلقة بأوهام الحل العربي ولم تأخذ بحرص الشيخ عبدالله السالم الذي فضل ان يحقل الأزمة بلواء المظلات البريطاني ثم يتوكل على الحل العربي ! ويقول الشباب الكويتي ممن كانوا يؤيدون شعارات صدام وحرب صدام انهم دفعوا ثمن التعلق بأوهام الحل العربي ، فهل كان المطلوب من السعودية ان تقف ساكته والجيش العراقي يتقدم نحو الحدود السعودية، والرئيس الامريكي يصدر تعليقات غريبة لاتوضح له موقفا،؟! لماذا تقدم الجيش العراقي نحو الحدود السعودية، لماذا قامت طائراته بثلاثة اختراقات للمجال الجوي السعودي ، ولماذا عندما اتصل السفير السعودي في واشنطن ببغداد في المرة الاولى ردوا عليه ردا هزليا من طراز « اخاني .. ماكو بينا مجال جوي .. حنا وطن واحد ! » ثم قطع الخط الساخن الذي كان قد اقيم بعد توقيع معاهدة عدم الاعتداء .. اليس من حق المؤرخ ان يستريب في السلوك العراقي ويرى أنه كان يهدف الى فرض وضع بعينه على صناع القرار في السعودية ؟!

والان ما هو الحل العربي المطلوب ..؟! انصار الاحتلال العراقي والوجود الاجنبي يقولون : تسوية سياسية .. وهم نشطون جدا في الوساطة ولكن بين من ومن ؟ .. ما هو المطلوب من السعودية ان تتنازل عنه ؟! لا أحد يعرف ..

اما الذين يقلقهم مصير الوطن العربي حقا فهم يقولون ببساطة ان البحث عن حل أو تسوية أو مساومة خارج قرارات الامم المتحدة والجامعة العربية ، يعني فتح الباب لاطراف غير عربية .. ولذا فالحل الوحيد لانقاذ الموقف هو الانسحاب العراقي الفوري .. وبعد ذلك تفتح كل الملفات وهي ستفتح شئنا أو أبينا ، ولن يكون ذلك لصالحنا وهذا ينقلنا الى الحل الذي يقدمه «هيكل» .

وبداية نقول ان اكبر جريمة يرتكبها المثقف أو السياسي العربي ، اليوم ، هي الدعوة لاعادة

تقسيم الثروة العربية أو لرسم جديد لحدودها ، بينما ربع مليون جندي اجنبي على ارضنا واساطيل وطائرات العالم كله مستعدة لتطبيق شعار « من حضر القسمة فليقتسم»! الوطنية هي العمل على انهاء هذا الوضع ثم بحث قضايانا فيما بيننا واضعين في اعتبارنا النتائج المدمرة للمغامرة العراقية على الفكر العروبي في الخليج .. وسيكون علينا ان نبذل جهدا خارقا لمنع « الجماهير » في دول الخليج وغيرها من طلب الحماية من كل القوى الرادعة في المنطقة وخارجها .. « كل القوى » أقولها عامدا .. لكي يدرك البعض فداحة الجرم الذي ارتكبه صدام حسين ويبرره هيكل .

ولست اريد ان اخوض في حديث مال النفط ولا كيف انفق ولا كيف يجب أن ينفق فكما قلت ان هذا هو اسوأ وقت لفتح هذا الملف ، لأننا اذا دعونا لوليمة النفط في ظل هذا الحشد العالمي فلن نكون وحدنا المدعوين للوليمة بل ستصبح مادة الوليمة ! .. ولذا فحسبي ان اشير الى بعض الهوامش فأسأل :

« هل كان انفاق النفط في دول المدن التقدمية اكثرحكمة وعائدا منه في دول الصحراء القبلية على المستوى القومي أو حتى القطري ؟.. هل انفاق فرد ثري مهما كان سوء تصرفه يعادل اهدار القيادة الثورية ثروة أمة بالكامل مالا وبشرا وصدنا في حرب خاسرة لا تحقق الا الدمار والافلاس ؟! من هي الدولة الخليجية التي انفقت معظم دخلها النفطي على تدمير ذاتها في الحرب مع جارة عربية أو جارة مسلمة .. ولا اذكر اسماء وانما انبه الى ان العراق ليس وحده الدولة الثورية التي ارتكبت هذا الجرم ..

و بدلا من احصاء عدد الشيوخ ، وقد أصبحوا يعدون بالآلاف ، كم هم عدد الضباط الذين امتلكوا ثروات الدول « التقدمية » وتحكموا في مصائر شعوبها وقادوها عبر الهزيمة والسفه إلى الخراب الشامل.. ؟ ان الحديث عن صيغة جديدة لدورة مال النفط ، مطلب مطروح منذ سنوات عديدة تصل الى نصف قرن ، وفي اول مؤتمر للنفط العربي عقد في القاهرة طالب المرحوم اميل البستاني بتخصيص خمسة بالمائة من عائدات النفط لتنمية الدول العربية غير النفطية وكان اقتراحا ايجابيا وبداية عملية للتفكير عربيا ، فهوجم من قبل صحافة الناصريين واليساريين وفي مقدمتهم هيكل بوصفه اقتراحا استعماريا ودسيسة امبريالية تهدف الى اخفاء المطلب الرئيسي وهو تأميم

النفط !!

وللحقيقة فإن مطلب تأميم النفط وان كان قد طرح على ألسنة سكان المدن اليساريين في القاهرة ودمشق ، وأيضا على لسان المثقفين السعوديين والكويتيين لكي لا تظلم الناس حقها ، فالحقيقة أيضا ان هذا الشعار لم ينفذ الا بعد ان سكتت تماما هذه الاصوات واصبح القرار في يدالصحراء وقبائلها أو ما ارخه هيكل وقتها تحت عنوان « الحقبة النفطية» يوم راح يبشر بزوال دور مصر! محاولا خطب ود هذه القبائل وعرض نفسه على صحافتها .

والحديث عن عدالة التوزيع حديث محبب عند التقدميين واليساريين وهويتشبه بهم فيضرب لنا المثل بأوروبا والوحدة التي حققتها .. ولو كان يحمد العلم أو حتى الصدق لعرف أن أوروبا حاولت اعادة توزيع الثروات مرة بالحل النابليوني ثم بالحل الهتلري أو الستاليني وكلها انتهت بالفشل الدموي ، لانها اعتمدت منطق المجال الحيوي أو حتى العدل وتجاهلت « القبلية » القومية التي تنشأ من مجرد الارتباط بأرض معينة ، وتترتب لها حقوق بمجرد هذا الارتباط . . وإلا فإن الشكوى من ضخامة حصة الامريكان الجغرافية ، كانت ولاتزال تردد في ادبيات الهنود والصينيين و المكسيكيين . . ولكن مامن احد يقترح تقسيم امريكا أو اخذ حصة بالقوة في قمحها الذي لايزرع ولبنها الذي لا يشرب ..

ان اصلاح الوضع العربي لن يتم بالقوة ولا بالارهاب الذي لن يحقق الا دخول وحوش اكثر قوة وانما يجب ان نتعلم من الحل الاوروبي ، الذي اعترف بالسيادة « القبلية » لكل دولة على مواردها وأكد احترام الحدود بكل ما فيها من ظلم ثم خلق الصيغة التي تقنع بأن تخطي هذه الحدود يحقق زيادة في مجموع الثروة ، من ثم زيادة في حصة الطرفين.. اما التفكير بأخذ فردة أو ضريبة مرور أو بقانون الغابة .. فلسنا وحدنا في الغابة ، ولا العراق هو اقوى وحوش هذه الغابة ..فاذا فتحنا ملف التنمية العربية والدورة الصحية لرأس المال العربي . . فلعن الله من أخذ اموال الناس بالمراغمة وجعل حتى رأس المال المصري يفر هاربا مشردا يبحث عن الأمن ولو في بلاد المشركين ولعن الله من حول العامل العربي الى لاجئ ضائع بلا حقوق ولا كرامة .

ثم نصل الى الوشاية التي وشى بها عما يدبر للمنطقة وان طرحها في صيغة حكمة ثورية عندما قال : « ان الشرعية اكثر من مجرد المحافظة على الدول وحدودها ان الشرعية أولا وأخيرا

يجب ان تكون تعبيرا عن واقع الجغرافيا والتاريخ . ان الشرعية يجب ايضا ان تعكس القيم والتطلعات والطموحات الانسانية وحقيقة ان كل هذه الامور تتغير مع الوقت . . »

لقد اسقط هيكل شرعية الوطن العربي كله وفتح الباب على مصراعيه لإعادة رسم حدوده . . لا على اساس الشرعية الحالية لدوله بل على اساس التطلعات والطموحات الانسانية . . تطلعات من وطموحات من؟! صدام ام المهاجرين السوفيت . . هذه هي قنبلة هيكل وسر الاهتمام بدعواه . لقد اعلن الوطن العربي أرضا بلا شرعية أو كما كانوا يقولون NO MAN,S LAND أرض بلا صاحب . . ودعا الى اغتصابها !

الفهرست والمراجع والتعليقات

١ – مقال للاستاذ عادل حسين بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٩٠

١ – نيويورك تايمز ٩١/٢/٢٤

٢ – وأيضا مع رغبة اوروبا في بقاء اسرائيل لابعاد اليهود عن اوروبا !

٣ – ص١٠١ المسلمون والروس يقررون مصير العالم ونشر قبل ذلك بشهور في صحيفة الوفد

٤ – الشعب ١٢ مارس ١٩٩١

٥ – وقد دفعت الثمن إذ حاول الضابط اياه بلا شرف ولا حياء ان ينتقم مني لأنني أكرت باخبار اليوم بالخبر ولم ابعث له به في تقرير ليقرب به الى عبد الناصر أو يكون له يد عند هيكل . فحاول تلفيق قضية لي ووضعني في الحبس الى ان افرج عني عبد الناصر وانتقل الضابط الى مزبلة التاريخ مثقلا بعشرات الملايين من الجنيهات والدولارات التي حصل عليها من عمليات نصب في الداخل والخارج .

٦ – الوفد ١٩٩٠/٤/١٤

٧ – الامير بندر حديث مع التليفزيون الامريكي

٨ – الوفد ٩١/١/١٣

٩ – يلمح بريماكوف الى هذا الدور المشبوه للملك حسين ، عندما يقول ان بعض العواصم العربية كانت تسرب انباء مضللة لبغداد . وقال الاستاذ عادل حسين ان بريماكوف يهودي .

١٠ – الشعب ١٩٩١/٣/١١

١ – وشنطن بوست ٩١/٢/٢٣

٢ – هيرالد تريبيون ٢٠/٩١/٣/٢١

٣ – الأوبزرفر ٩١/٣/٣

٤ – هو الأمير وليد بن طلال بن عبد العزيز .

٥ – هيرالد ٢٣ /٩١/٤

٦– التايم ١٩٩١/٣/١١.

٧ – هيرالد تريبيون ٢٢ مارس ٩١

٨– اوبزرفر ٩١/٣/٣

٩– نيوزويك ١١/٢٦

١٠ – التايم ١٩٩١/٣/١١

١١ – غير صحيح من الناحية العددية حيث مصر كان الأكثر عددا .

١٢ – نيويورك تايمز ٩١/٢/٢٨

١٣ – التايم ١ ابريل ١٩٩١

١٤ – اوبزرفر ٩١/٣/٣

١٥ – نيوزويك ٩١/٣/١٨

١٦ – الاندبندنت ٦ مارس ٩١

١٧– صنداي تايمس ١٩٩١/٣/١٠

١٨ – اوبزرفر ٩١/٣/٣

١٩ – التايمس ١٩٩١/٣/٧

٢٠ – فايننشيال تايمس ٧مارس ٩١

٢١ – صنداي تايمس ٩٠/٣/١٠

٢٢– هيرالد تريبيون ١٩٩١/٣/٢٩

٢٣– هيرالد تريبيون ٩١/٣/٢٥

٢٤ – التايم ١٩٩١/٣/١١

٢٥ – ١٩٩١/٣/١ هيرالد تريبيون

٢٦ – يو . اس نيوز اند ورلد ريبورت ٤ فبراير ٩١

٢٧ – نيويورك تايمز ٩١/٢/٢٨

٢٨– نيوزويك ٩١/٣/١٨

٢٩ – هيرالد تريبيون ٩١/٣/٣١/٣٠

٣٠ – التايم ١٩٩١/٣/١١

٣١ – فايننشيال تايمس ٧مارس ٩١

٣٢ – الديلي اكسبرس ٩١/٢/٢

٣٣ – التايمس ٩١/١٤

٣٤ – الأوبزرفر ٩٠/١٠/٢١

٣٥ – ص ٦٢ من كتاب « قيام وسقوط امبراطورية النفط »

٣٦ – نيويورك تايمز ١/١٣

٣٧ – نيوزويك ٩١/٣/١٨

٣٨– نيويورك تايمز ١/١١

٣٩ – نيويورك تايمز ١/٢٣
٤٠ – هيرالد تريبيون ٩/٧كتوبر ٩٠
٤١ – يزنس ويك ١/٢١
٤٢ – القبس ١٢/٢٢
٤٣ – الحياة ١٢/٢٢
٤٤ – النيويورك تايمز FORUM ندوة الاحد ١١/٢٥
٤٥ – التايمس ١١مارس ١٩٩١ عن رويتر
٤٦ – هيرالد تريبيون ٩١/٣/١٢
٤٧ – الحياة ٩١/٣/٧
٤٨ – اوبزرفر ٩١/٣/٣

الضوء الاخضر

٥٠

٤٩ – لاحظ ارتفاع اسهم الشيخ سالم في اول وزارة تشكل في ظل القوات الأمريكية .
٥٠ – اوبزرفر ٩١/٣/٣
٥١ – الأهرام الاقتصادي ١١مارس ١٩٩١
٥٢ – التايم ٩١/٣/١١
٥٣ – نيوزويك ١٩٩١/٤/١
٥٤ – التايم ١٩٩١/٣/١١
٥٥ – الأمير بندر حديث في مؤتمر صحفي بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢
٥٦ – هيرالد تريبيون ٢٠مارس ١٩٩١
٥٧ – التايم ١ ابريل ١٩٩١
٥٨ – صنداي تايمس ١٩٩١/٣/١٠
٥٩ – التايم ١٩٩١/٣/١١
٦٠ – هيرالد تريبيون ١٤ مارس ١٩٩١
٦١ – الاندبندنت ١٩٩١/٣/٣
٦٢ – جلال كشك /الوفد ٩٠/١٢/٧
٦٣ – التايم ١٩٩١/٣/١١
٦٤ – هيرالد تريبيون ١/٢١
٦٥ – نيويورك تايمز ١/٢٢
٦٦ – نيويورك تايمز ٩١/٢/٢٤
٦٧ – واشنطن بوست ٣مايو ١٩٩١

الفصل الثاني ٦٩

التكريتي في المصيدة !

١ – التايم ١٩٩١/٣/١١

٢ – نفس المصدر

٣ – هيرالد تريبيون ٩١/٤/٢٣

٤ – التايم ١٩٩١/٣/١١ ..

٥ – بندر بن سلطان مؤتمر صحفي ١٩٩٠/٩/٢

٦ – لعل هذه المهمة التي كلفوا بها الملك حسين تفسر أمرين ، مرتبه من المخابرات الامريكية ، والثاني هو سر الهبة الصحيحية التي نشبت بين صدام الثوري الناصري والملك الرجعي العميل .. الخ !

٧ – واشنطن بوست ٩١/٢/٧

٨ – التايم ١٩٩١/٣/١١

٩ – التايمس ١١/٢٦

١٠ – الهيرالد تريبون ١٢/٢٤

التخدير والتضليل ٧٩

١١ – الحياة ٩٠/٩/١٤

١٢ – الهيرالد تريبيون – ٩٠/١٠/١٥

١٣ – التايمس ١٠/٢٢

١٤ – والقدس ١٠/٤٤

١٥ – لاحظ ان هذه المجلات تكتب على غلافها تاريخ الاسبوع القادم فهي صادرة حقيقة يوم ٩٠/١٠/٢٢

١٦ – هيرالد ٩١/٣/٢٨

١٧ – التايم ٩٠/١٠/٢٩

١٨ – العرب ١٢/٣

١٩ – الاوبزفر ١/٦

٢٠ – تزيل بارتياح البيان الذي صدر حول محمد الفاسي الذي اكدت فيه السلطات السعودية ان جوازه مزور وهو ليس أميرا ! وكان الفاسي قد ظهر على شاشة بلحية تصل الى بداية سرواله ولباس سعودي وقال المذيع ان المراقبين قدموه كزعيم المعارضة السعودية ثم علق : واما في امريكا فنحن نعرفه بحمايله العارية (اشارة الى فضيحة الفاسي في قصره بيفرلي هيلز – ١٦ اكتوبر)

٢١ – ليس اميرا ولا سعوديا بل مجرد سمسار شامي وليس هذا اعتذارا فقد كان الراجب اعتقاله بتهمة الاساءة للدولة في ظروف حرب والانشغال بالقمار عن امن وسلامة الدولة التي جمع منها هذا المال ، أو على الاقل فرض ضريبة جهاد على ماله هذا . ج)

٢٢ – هيرالد تريبيون ١٠/٢٣

٢٣ – التايم ٩٠/١١/٥

٢٤ – الأندبندنت ١١/٤
٢٥ – صنداي تايمس ١١/٤
٢٦ – هيرالد تريبيون ١١/٥
٢٧ – الأندبندنت ١٠/٢٩
٢٨ – نيوزويك ٩٠/١١/٥
٢٩ – هيرالدتريبون ١١/١٣
٣٠ – التايمس ١١/١٤
٣١ – الجارديان ١١/٩
٣٢ – الأندبندنت
٣٣ – الدبندنت ١٢/نوفمبر ١٩٩٠
٣٤ – الدبندنت ١١/١٦
٣٥ – النيويورك تايمز ١١/٢٩
٣٦ – الفايننشال تايمز ٢٤/نوفمبر ٩٠
٣٧ – الجارديان ١١/٢٤
٣٨ – صنداي تايمس ١١/١٨
٣٩ – القدس ١١/١٩
٤٠ – الأحداث ١١/٢٧
٤١ – هيرالد تريبيون ١١/٢٣
٤٢ – القدس ١١/١٣

٤٣ – بريماكوف بروتي / ترجمة أ. الحسيني .
٤٤ – الديلي تلغراف ١/١١
٤٥ – الجارديان ٩٠/١٢/٢٥
٤٦ – القدس ٩٠/٩/١٤
٤٧ – الشرق بالرقد ٩٠/١٠/١٣
٤٨ – الحياة ٩١/٩/٨
٤٩ – العرب ١٩٩٠/٩/١٤
٥٠ – ٤ اكتوبر ١٩٩٠
٥١ – القدس ١/١٧
٥٢ – كل العرب ٩٠/١٠/٨
٥٣ – كان بن بللا قد خلع من رئاسة الجزائر لأسباب عديدة منها علاقته باليهودي المشهور هنري كوريل الذي طرد من الحركة الشيوعية ثم قتل بعد ان ثبت لها انه يعمل لحساب المخابرات الاسرائيلية وعلى علاقة بالمخابرات البريطانية . وكذلك كان مستشار بن بللا المقيم في الجزائر من غير المسلمين وهو لطف الله سليمان وخلال تولي بن بللا السلطة كان ماركسيا ولم يعرف عنه اتجاهات اسلامية حركية ولكنه بعد

السماح له بالهجرة العمل بالحركات الاسلامية في اوربا وكانت له علاقة خاصة بالتنظيم الذي يشرف عليه السفير السعودي السابق سالم عزام ويعتقد انه يحاول المزايدة على عباس مدني زعيم التيار الاسلامي الجديد في الجزائر . ويعاني مشكلة نفسية تجعله يتخيل تآمر الامبريالية عليه لاسقاطه مرة اخرى

٥٤- العرب ١٠/٢٣

٥٥- الصنداي تايمس ١٢/١٦

٥٦ -٢٢/١٠/٩٠

٥٧ - الشرق الاوسط ٧/١٠/٩٠

٥٨ - الحياة ٦/١٠/١٩٩٠

٥٩- الحياة ١٠/٢١

٦٠ - ١١/٢٩

٦١- الشعب ١١/٢٧

٦٢ - العرب ١١/٢٨

٦٣ - هيرالد تريبيون ١١/٢٨

٦٤ - القدس ١٢/٥

٠٠ وسلبوه الورقة الأخيرة ٠٠ ١٠٣

٦٥- الديلي تلغراف ١/٢٨

٦٦ - الهيرالد تريبيون ١٢/١٢

٦٧- التايمس ١١/٣

٦٨ - الجارديان ١١/٣

٦٩- لوس انجلوس تايمز ١٢/٨

٧٠ - الجارديان ١٢/٨

الفصل الثالث ١٠٧

مبادرة بوش ٠٠ لخداع العالم !

١ - الاندبندنت ١٤/١٠/٩٠

٢- الصنداي تايمس ٩/٢٠

٣- نيويورك تايمز ١٢/٢٤

٤- الاوبزرفر ١٢/٢

٥ - الاندبندنت ١١/٤

٦- نيويورك تايمز

٧ – الجارديان ١٢/٣

٨– الاندبندنت ١٢/١٦

٩ – نيوزويك ١٣ مايو ١٩٩١

١٠ –الهيرالد تريبيون ١٢/٨

١١ – نيويورك تايمز ١٢/١٢

١٢ – الديلي تلغراف ١٢/٣

١٣ – الهيرالد تريبيون ١٢/٦

١٤ – التايمس ١٢/٥

١٥ – الصنداي تايمس ١٢/٩

١٦ – الديلي تلغراف ١٢/٥

١٧ – الصنداي اندبندنت ١٢/٩

١٨– الديلي تلغراف ١٢/١١

١٩– الشرق الاوسط ١٢/٩)

٢٠ – الأهرام ١٢/٩

٢١– التايمس ١٢/١٢

٢٢–الهيرالد تريبيون ٢/١٢

٢٣ – الحياة ١٢/١

٢٤ – القدس ١٢/١

٢٥ – القدس ١٢/١

٢٦ – الأهرام ١٢/٤

٢٧ – الدستور عن الجارديان ١٢/٥

٢٨ – القدس عن الشعب ١٢/٦

٢٩ – عن القدس ١٢/١٢

٣٠ – الشعب ١٢/١٢

٣١– العرب ٧/٨ ديسمبر

٣٢– مع ان مجرد حقيقة أن ١٥ يناير هو يوم مولد عبد الناصر كانت كافية للتوجس وتوقع شرا مستطيرا يعقبه!!

٣٣ –الجارديان ١٢/١

٣٤– الجارديان ١٢/١

٣٥– الهيرالد تريبيون ١٢/٧

٣٦ – نيويورك تايمز ١٢/٢

٣٧– صوت الكويت /الحياة ١٢/٢

٣٨– الهيرالد تريبيون ١٢/٧

٣٩– الهيرالد تريبيون ١٢/٧

٤٠– القدس ١٢/٣

٤١– صدام حسين في حديث للتليفزيون الفرنسي

٤٢– التايمس ٢/٤

٤٣ – الشرق الأوسط ١٢/٤
٤٤– وشنطن بوست ١٢/١٠
٤٥– الجارديان ١٢/١٠
٤٦– التايمس ١/١

فوت علينا بكرة

١٢٨

٤٧ – الصنداي تايمس ١٢/٩
٤٨ – نيويورك تايمز ١٢/١٠
٤٩– هيرالد تريبيون ١٢/٢٢
٥٠– نيويورك تايمز ١/٨
٥١– هيرالد تريبيون ١/٨
٥٢– CNN
٥٣– الفايناشيال تايمز ١٢/١٤
٥٤– CNN
٥٥– نيويورك تايمز ٢/١٧
٥٦– الهيرالد تريبيون ١٢/١٨
٥٧ – الاندبندنت ١٢/١٨
٥٨–لوس انجلوس تايمس ١٢/١٩
٥٩– نيويورك تايمز ١٢/٢٤
٦٠– الشرق الاوسط ١٢/٢٧
٦١– الابزرفر ستاندرد ١٢/٢٧
٦٢ –الفايناشيال تايمز ١٢/١٤
٦٣– العربية ١٢/١
٦٤– الهيرالد تريبيون ١٢/١٤
٦٥– هيرالد تريبيون ١٣/
٦٦– ديلي تليجراف ١٢/١٤
٦٧– جارديان
٦٨– التايمس ١/١٤
٦٩– القدس ١٢/٧
٧٠– التايمس
٧١– الصنداي تايمس ١٢/١٦
٧٢– التايمس ١٢/١٨
٧٣– التايمس ١٢/١٨

٧٤ – نيويورك تايمس ١٢/١٨
٧٥ – هيرالد تريبيون ١٢/٢٢
٧٦ – هيرالد تريبيون ١٢/٢٢
٧٧ – الصنداي تايمس ١٢/٢٣
٧٨ – لوس انجلوس تايمس ١٢/٢٨
٧٩ – الفاينانشال تايمس ٢٨/ديسمبر ٩٠
٨٠ – هيرالد تريبيون ١٢/٢٩
٨١ – الاندبندنت ١٢/٢٩
٨٢ – الديلي تلغراف ١٢/٢٩
٨٣ – الاوبزرفر ١٢/٣٠
٨٤ – الاوبزرفر ١٢/٣٠
٨٥ – الصنداي تلغراف ١٢/٣٠
٨٦ – الصنداي تايمس ١٢/.٣٠
٨٧ – الديلي تلغراف ١/٤
٨٨ – الاوبزرفر ١/٦
٨٩ – الاندبندنت ١/٦
٩٠ – الاندبندنت ١/٦
٩١ – الاندبندنت ١/٦
٩٢ الشرق الاوسط ١/٦
٩٣ – هيرالد ١/١١
٩٤ – بل بلغ من عمى صدام انه لم يفهم التغير الخطير في قرار السلطات [illegible] حين فرضت حظرا جديدا للاركان (تكتيكي)
٩٥ – الصنداي تايمس ١٢/١٦
٩٦ – الاندبندنت ١٢/١٦
٩٧ – الصنداي تايمس ١٢/١٦
٩٨ – التايمس ١٢/١٥
٩٩ – الصنداي تلغراف ١٢/١٦
١٠٠ – نفس المصدر

١ – جهاد الخازن / جريدة الحياة ٢٢/٥/١٩٩١ (عيون وآذان)

٢ – أخبار بريماكوف الى أن الأمير بندر كان يميل الى جانب قرار الحرب ، ولكنه اضاف ان الأمير لم ينف احتمالات الحل السياسي وأن الاتحاد السوفيتي هو وحده الذي يستطيع التأثير على الموقف العراقي بشكل طيب « المصور

٣ – بندر بن سلطان ٢/٩/٩٠

٤ – هيرالد تريبيون ٢٩/٣/٩١

٥ – الفاينانشال تايمس ١١/يناير/٩١

٦ – التايم ١١/٣/١٩٩١

٧ – واشنطن بوست ٥/١٢

٨ – ربما يفسر هذا موقف الذين تظاهروا بالحماسة لرفض قبول القوات رغم علاقاتهم الوثيقة بالامريكان !

٩ – الحياة ٣٠/٤/١٩٩١

١٠ – الجارديان ١٧/١١

١١ – هيرالد ٢٩/٣/٩١

١٢ – الاندبندنت ٢٤/١

١٣ – الجارديان ١٨/١

١٤ – نيوزويك ٥/١١/٩٠

١٥ – الاندبندنت ٢٧/١٠

١٦ – بريماكوف / عن المصور

١٨ – الميدل ايست يناير ١٩٩١

١٩ – الشرق الاوسط ٢٧/١٢

٢٠ – الملك فهد / قصر اليمامة الرياض ٥/٣/٩١

٢١ – بندر بن سلطان في حديث مع CNN

٢٢ – هيرالد تريبيون ٥/١٢

٢٣ – القدس ٦/١٢

٢٤ – العرب ٦/١٢

٢٥ – الحياة ٧/١٠/٩٠

٢٦ – الحياة ٥/١٢

٢٧ – التايمس ٢٥/١٠

٢٨ – الشرق الاوسط ٢٤/١٠

٢٩ – الاندبندنت ٢٤/١٠

٣٠ – التايمس ٢٤/١٠

٣١ – التايمس ٢٤/١٠

٣٢ – القبس ٢٣/١٠

٣٣- الاندبندت ٢٤/اكتوبر
٣٤- القدس ٢٤/١٠
٣٥ - العرب ٢٣/١٠
٣٦-هيرالد تريبيون ٢٣/١٠
٣٧-واشنطن بوست
٣٨-الغارديان ٢٧/١٠
٣٩-الاندبندت ٢٧/١٠/٩٠
٤٠-هيرالد ٢٣/١٠/٩٠

الفصل الخامس ١٦٩

هل جاءوا للتبشير أم للتحرير ؟!

١ - صنداي تايمس ٣/٣/٩١
٢- اذا كان توجيه ولي العهد بياناً يحتاج الى تفسير فلعله هو الذي طلب ذلك ليبطل الاشاعات السخيفة التي مازال الاعلام الغربي يروجها من موقف له معارض !
٣ - لوس انجلوس تايمز ٢٤/١١
٤ - واشنطن بوست
٥ - نيويورك تايمز ٢٤/١١
٦ - العرب ١٤/١
٧ - نيويورك تايمز ٢٨/١١
٨- من المبكي ان رجال الدين في اليمن لما فوجئوا بحاكم اليمن العسكري يريد الغاء النص على الشريعة هرعوا يستنجدون ببعض كتاب الاسلاميات في مصر وما دروا انهم من كادرات المخابرات الامريكية والمحلية و في نفس الخندق مع العسكر . وقد بادر هؤلاء على الفور باصدار فتوى تبيح الغاء الاسلام والشريعة بل الكفر حماية للوحدة وزعموا لعنهم الله ان موسى فعل ذلك في حادثة العجل ضيعهم الله !
٩- الاندبندت ١٩/١٢
١٠- الديلي تلغراف ١٥/١

مظاهرة السوبر ماركت ١٨١

١١ - جيمكاف الوفد ١٦/١١/٩٠
١٢- لوس انجلوس تايمز ١٢/١١
١٣ - الاهالي ٩/١
١٤- ١٢/١١

١٥- نشر بالظهيرة مساء ١٠/ ١١
١٦ - الفاينانشال تايمز ١١/١٠
١٧- لوس انجلوس تايمز
١٨ - نيويورك تايمز ١١/١٠
١٩- نيويورك تايمز ١١/١٨
٢٠- تايم ١١/٢٦
٢١- هيرالد تريبيون ١١/٢٢
٢٢ - التايمس ١١/١٧
٢٣ - اليوم السابع ١٢/٣
٢٤ - مجلة القومي العربي ١٢/٣
٢٥ - نيويورك تايمز ١٢/٨
٢٦ - عن الهيرالد ١٩٩١/٣/١٠
٢٧ - القدس ١٢/٧
٢٨- الاهالي ١١/٢١
٢٩ - الاهالي ١٢/٢٦
٣٠ - القدس ١٢/١٨
٣١- واشنطن بوست ٩/٢٢
٣٢- واشنطن بوست ٩/٢٢
٣٣- نيويورك تايمز ٩١/٢/٢٠
٣٤- التايمس ١/٢٢
٣٥ - الاندبندنت ١/٢٤
٣٦- التايمس ١/٣٠

٣٧- التايمس ١١/١٣
٣٨ - الاندبندنت ١١/١٣
٣٩ - العرب ١١/١٣
٤٠- ١١/١٤
٤١ - ٤٤-التايمس ٩١/١٧
٤٥ - الديلي تلغراف ١١/٢٠
٤٦ - ٩٠/١١/٢١
٤٧ - هيرالد تريبيون ٩١/٢٢
٤٨ - هيرالد تريبيون ٩١/٢٣
٤٩- العرب ١١/٢٣

٥٠– الهيرالد تريبيون ١٢/٦
٥١– واشنطن بوست ١٢/١٣
٥٢ – نيويورك تايمز ١٢/٢٢
٥٣– الصنداي تايمس ١٢/٢٣
٥٤ – الجارديان ١٢/٢٤
٥٥– الفايننشال تايمز ١٢/٢٤
٥٦ – العرب ١/٣
٥٧– العرب ١/٢١
٥٨ – هيرالد تريبيون ١٢/٢٢
٥٩ – القدس ١٢/٢٢
٦٠– الاندبندنت ١٢/٢٧
٦١– الدستور ١٢/٢٤
٦٢– التايمس ١٢/١٢
٦٣– التايمس ١٢/٢٦
٦٤– الاندبندنت ٨/يناير ١٩٩١
٦٥— هيرالد تريبيون ١٢/٥
٦٦– الاندبندنت ١١/٢٩
٦٧– الاندبندنت ١/١٩

الفصل السادس ١٧٧

من بيت ابي ضربت ..

السعودية .. والاسلاميون ..

١ – الشرق الاوسط ١٩٩١/٣/٢٦
٢ – مأمون الهضيبي مجلة اكتوبر ١٠ مارس ١٩٩١
٣ – الاندبندنت ١٥ يناير ١٩٩١
٤ – الفايننشال تايمس ١/١٠
٥– القدس ١٢/١١
٦– حديث للامير بندر لفلسطين ١٩٩٠
٧ – الصنداي تايمس ٩١/١/٦
٨ – الاوبزرفر
٩ – التايمس ٩١/١/١١
١٠ – الاندبندنت ٩١/١/٢٩

١١- هيرالد تريبيون ١/٢٢

١٢- نيويورك تايمز ١/٣٠

١٣- هيرالد تريبيون ٩١/١/٣١

١٤- كان الشارع الاسلامي أو بالأحرى الحركات الاسلامية في الجزائر تسيء الظن بمصر بسبب ما يتردد عن موقف السلطة من الحركة الاسلامية في مصر وبسبب مصادفة غريبة جعلت الحكومة المصرية تعين سفيرا لها في الجزائر شخصية مشهورة بكتاباتها المتطرفة في عداء الحركة الاسلامية

١٥- العرب ٩١/١/٨

١٦- العرب ١/٢١

١٧- العرب ١/١٨

١٨- الاهرام ١١/١٨

١٩- العرب ١٢/٥

٢٠- لوس انجلوس تايمس ١/٢٠

٢١- الاوبزرفر ١٢/٣٠

٢٢- الشرق الاوسط ١٢/١٢

٢٣- الاندبندنت ١٢/١٢

٢٤- الديلي تلغراف ١٢/١٣

٢٥- الهيرالد تريبيون ١٢/١٤

٢٦- الجارديان ١٢/١٤

٢٧- ديلي تليغراف ١٢/١٤

٢٨- الفايننشال تايمز ١٢/١٤

٢٩- الحياة ٩٠/١٢/١٥

٣٠- الشرق الاوسط ١٢/١٨

٣١- الاحداث ١٢/١٨

٣٢- القدس ١٢/١٨

٣٣- التايمس ١٢/١٧

٣٤- فاينانشيال تايمس ١٢/١٧

٣٥- الجارديان ١٢/١٧

٣٦- القدس ١٢/١٧

٣٧- العرب ١٢/١٧

٣٨- القدس ١٢/١٣

٣٩- لوس انجلوس تايمس ١/٩

٤٠- العرب ١٢/١٧

٤١- العرب ١/٢٨

٤٢- الحياة ١٩٩٠/١٠/٦

حزب العمل الاشتراكي ٢٣٠

٤٣–مؤتمر صحفي

٤٤– القدس ١/٣١

٤٥– أصدر المرشد العام للاخوان نداء قال فيه : اننا نطالب رئيس جمهورية مصر ان يسحب قواتنا العسكرية المصرية من منطقة الخليج.

٤٦ – الشعب ١/٢٩

٤٧– الاهرام ١/٢٩

٤٨– القدس ٩١/١/٢١ وبعدما تأكد الهجوم ما الرؤية في وجود القوات المصرية ؟ اشكروا امريكا وشيوخ الكويت فقد ازالوا لكم الرؤية

٤٩–لوس انجلوس تايمس ١/٣١ عن رويتر

٥٠– اقرحنا وقتها تنفيذ حد القذف في المشرفين على الجريدة

٥١–عادل حسين / الشعب / وراجع ردنا

٥٢– كل العرب ١١/١٢

٥٣– الشعب ١١/٢٠

٥٤– الدكتور عبد الرشيد صقر الشعب ١١/٢٠

٥٥– الشعب ١/٢٩ عبدالرشيد صقر

٥٦– القدس ١٢/٣

٥٧– الشعب ١١/١٢

٥٨– الشعب ١/٢٩

٥٩– ابراهيم الشكري .. مجلة اكتوبر ١٠ مارس ١٩٩١

٦٠– عادل حسين /الشعب ١/١٥

٦١– الشعب ٢٢ يناير ١٩٩١

٦٢– عادل حسين / الشعب ٩١/٥/٢١

٦٣– الشرق الأوسط ١٠/٢٩

الفصل السابع ٢٤٥

أيكم اكثر استقرارا؟!

١ – الشرق الأوسط ١/٣١

٢ – ١١/٢٣

٣ – التايمس ١١/١٠

٤ – الفاينشيال تايمز ١٠ و ١١ نوفمبر

٥ – الاندبندنت ١١/١٠

٦– واشنطن بوست ١١/١٠

٧ – واشنطن بوست ١٢/٥

٨ – القدس ١١/١٠

٩ – يو. س. نيوز ٩٠/١/١٥

١٠ – لوس انجلوس تايمس ١/١٦

١١ – الفايننشيال تايمس ١/١٨

١٢ – الاهالي ١٠/٣١

١٣ – الواشنطن بوست ١٢/ديسمبر ٩٠

١٤ – الاندبندنت ١٤/يناير ١٩٩٠

١٥ – الصنداي تايمس ١٢/١٦

١٦ – نيويورك تايمز ١٢/٣٠ الجريدة غير صادقة لا في حجم المصالح ولا التعداد .

١٧ – جريدة الحياة (١٩٩١/٥/٢٢) بقلم فايز سارة « كاتب سوري

١٨ – مجلة أكتوبر ١١/١١

١٩ – الاندبندنت ٩/٢٠

٢٠ – الاهالي ٣ ابريل ١٩٩١

٢١ – الحياة ١/٢٨

٢٢ – نيويورك تايمز ١/٢٧

٢٣ – عن المصور

٢٤ – الشرق الأوسط ١٢/٢٧

٢٥ – الحياة ١٩٩١/٤/٣٠

٢٦ – بندر بن سلطان (تصريح صحفي)

٢٧ – صوت الكويت ١١/١١

٢٨ – من كتاب قيام وسقوط امبراطورية النفط ص ٨٣ : ٨٦

الفصل الثامن

الكلب الذي ذبحوه !!

١ – المعروف ان الشيخ عيسى بن سلمان امير البحرين ، والحب للمملكة لم يعد يسيطر على الوضع بسبب مرضه . أما الشيخ خليفة بن سلمان الذي يمقت الكويت بعد ما تبين ان كل المنشورات التي توزع في البحرين مطبوعة في الكويت ، ويعلم بعض المسئولين فيها ، فقد ضعف نفوذه لأسباب عديدة ، وهكذا علا نجم الشيخ محمد المبارك وصديه المؤيد . والشيخ محمد يكن كراهية خاصة للمملكة لأسباب متاذية وسلكية وعلاقه بالكويت التي تصدره عادة للعمليات الاستفزازية . وقد نشرت جريدة الشعب تحقيقا بتاريخ ١٩٩١/٥/٢١ جاء فيه : «وفي إشارة مباشرة لموقف البحرين من مسألة تواجد القوات الأمريكية في الخليج بدلا من القوات المصرية .. طلب امير البحرين أن تحترم مصر رؤية بلاده في المسائل الأمنية مشيرا إلى أنه لا يريد خلافا مع مصر حيال هذه المسائل ! وإذا كان وزير خارجية البحرين حاول في التصريحات التي أدلى بها عقب لقائه والرئيس مبارك التخفيف من حدة الأزمة الثانية في العلاقات المصرية البحرينية . فإن سياسة الوجهين لا تنطلي على أحد .. ففي مساء الأربعاء الماضي اجرى راديو لندن حوارا مع وزير الإعلام البحريني طارق المؤيد أشاد فيه بالقوات الأجنبية .. وأكد بصراحة رغبة بلاده في ترك مسألة الحماية الامنية للمنطقة الخليجية للقوات الأمريكية والبريطانية . والمثير في الأمر أن الصلف والكبرياء كانا واضحين تماما لدى حديث المسئول البحريني عن دور القوات العربية في حرب الخليج .» (الشعب)

وطارق المؤيد هو صوت سيده محمد المبارك .. نعم المبارك ولكن من من !؟

٢– نيوزويك ٩١/٣/١٨

٣ – صنداي تايمس ٩١/٣/٣٠

٤ – عبد الستار قاسم (فلسطيني) في العرب ١٠/١٥..٠

٥ – اهرام ١١/٩

٦ – الديلي تلغراف ١٢/١٢

٧ – الجلوس تايمز ١٢/١٧

٨ – صنداي تلغراف ١١/١٨ ادريان بورتر

٩ – الاندبندنت ١/٦

١٠ – الاحرار ١/٧

١١– نيوزويك ٩١/٣/١٨

١٢– الاندبندنت ١/١٧

١٣– الفاينانشال تايمس ١/١٥

١٤– القدس ١٠/١٠

١٥– القدس والعرب ٨/اكتوبر/٩٠

١٦– احمد الخطيب الجارديان ١/١٩

١٧– الجارديان ١/١٩احمد الخطيب

١٨– نيويورك تايمز ١/١٥

١٩– التايمس ١/٢٢

٢٠– الاندبندنت٣٠ ١٢/

٢١– الحياة ٩١/٤/٣٠

٢٢– الحياة ١٩٩١/٤/٣٠

٢٣– نيويورك تايمز ٩٢/٢٤

٢٤– القدس ١/١٨

٢٥– الاهرام ١٢/١١

٢٦– تصريح بتاريخ ٩١/٣/٢٦

٢٧– هيرالد ٩١/٤/١

٢٨– ص٢٢/٢٣من كتاب قيام وسقوط امبراطورية النفط

٢٩– اخذ اعلان دمشق بهذه النظرة عندما نص في مادته الخامسة : واحترام مبدأ سيادة كل دولة عربية على مواردها الطبيعية والاقتصادية بالمقابل وردت اشارة خاطفة عائمة ساقطة عن « تعزيز التعاون الاقتصادي بين الاطراف المشاركة وصولا الى تجمع اقتصادي فيما بينها يهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية (البند الرابع)

٣٠– التايمس ١٢/٢٦

٣١– العرب ٢/٢٧

٣٢ – هيرالد ١٩/٣/٢٨

٣٣–٣٤– هيرالد تربيون ٢٠مارس ١٩٩٠

٣٥– هيرالد ١٩٩١/٤/٢٣..

٣٦- الديلي تلغراف ١/١٤

٣٧ - لوس انجلوس تايمس ١/١٤

٣٨- عن نيويورك تايمز عن هيرالد ٩١/٤/١

٣٩- تايم ١٩٩١/٣/٢٥

٤٠ - نيوزويك ١٩٩١/٤/١

٤١ - هيرالد ٩١/٤/١

٤٢- ولا بأس من وقفه عند وشاية هيكل بالكويت فهي حافلة بالفوائد والطرائف .. اما هجومه على الكويت فقد علقنا عليه يومها بقولنا : « قد يرى البعض في تهجم هيكل على الكويت جزاءاً عادلاً على سياسة الكيان الكويتي في اللعب على الحبال ، فحتى رفضت السعودية كتابة هيكل في صحفها بادرت الكويت باحتضانه ونشرت له هجومه على المملكة والرئيس مبارك ، بينما صادرت المملكة اهم كتاب كتب عنها في هذا القرن لأنه كشف حقائق التاريخ الكويتي ! وطالما تسلى كثير من الكويتيين برفع شعارات الناصرية وتخليد الزعيم عبد الناصر فلما جاءتهم الناصرية على دبابات صدام ووقف الناصريون خلفهم لم يكن لديهم حتى فضيلة عض بنان الندم ..»

٤٣ - مجلة اكتوبر ١١/١١

٤٤- القدس ١/١٠ و نقل عادل حسين عن وثيقة ان الكويتيين لما طلب منهم ان يضعوا قائمة باعدائهم جاءت السعودية في رأس القائمة .

٤٥ - القدس ١/٢٣

٤٦- التايم ١٩٩١/٢/١١

٤٧- الشرق الاوسط ١٢/٥

٤٨- هذا التحفظ ضروري لأن الناصريين يقولون إن عبد الناصر هو الذي كسب حرب اكتوبر بعد وفاته بثلاث سنين ، ومن ثم فإن تحديها يقتصر على حياته !!! هاها ها !

الباب الثالث

٣٠٩

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى

الفصل التاسع

٣١٠

جلالته .. والمنظمة .. والحل !

١ - يقول العامة من المثقفين وكفى الله المؤمنين شر القتال ! ويظنون ان ذلك من القرآن ! ومن الغريب انني وجدته في رسالة رئيس دولة الى ملك المغرب ! وتعجبت من انتشار الأمية الى مستوى كتاب الرؤساء .. كيف يكتب الله القتال علينا اذا كان شرا !

٢ - الديلي تلغراف ١/١٤

٣ - الديلي تلغراف ١٢/٦

٤ - واشنطن بوست ١٢/١٨

٥- الاوبزرفر ١٢/٣٠

٦- التايمس ١/١٩

٧- لوس انجلوس تايمس ١/٢٠

٨ – الاندبندنت ١٢/١٩

٩ – الجارديان ١/١

١٠– صنداي تايمس ١٠/٢١

١١ – وشنطن بوست وليم دروزديالك

١٢– التايم ٩٠/١١/٥

١٣ – الحياة ١١/١٠

١٤– هيرالد تريبون

١٥ – القدس ١٢/٢٩

١٦ – القدس ١٢/٢٩

١٧– القدس ١/٨

١٨ – الهيرالد تريبون ١٢/٨

١٩– نيويورك تايمز ١/٤

٢٠ – لوس انجلوس تايمس ١/٢٠)

٢١ – عن سورقيا (١١/٢٥)

٢٢– صباح الخير ١ نوفمبر ٩١

٢٣– الاوبزرفر ١٢/٣٠

٢٤ – التايمس ٩١/٣/٢

٢٥ – وهذا من اهداف الدور الثوري الذي لعبه حسين آغتي ازاحة منظمة التحرير والعودة للحديث باسم الفلسطينيين !

٢٦ – هيرالد تريبون ١٩٩١/٣/٢٩

٢٧ – الحياة ١٩٩١/٤/٢

٢٨– غازي التميمي /الشرق الاوسط ١١/٩

٢٩ – الشرق الاوسط ١٩٩١/٢/٢٦

٣٠ – الحياة ١٢/١٦

٣١ – القدس ١٢/٢٩

٣٢– القدس ١/٩

٣٣ – الفاينانشال تايمس ١/١١

٣٤ – الشرق الاوسط ١/٣١

٣٥ – القدس ١/٩

٣٦ – القدس ١٠/٢٤

٣٧ – الشعب ١١/٢٠

٣٨ – القدس ١/١٨

٣٩ – القدس ١٢/٥

٤٠- العرب ١٢/٥

٤١ - القدس ١/١١

٤٢- لوس انجلوس تايمس ١٢/٢٥

٤٣- القدس ١٢/١٨

٤٤- هيرالد تربيون

٤٥- الجارديان ١٢/٢٩

٤٦ - القدس ١/٣

٤٧ - القدس ١/٨

٤٨ - القدس ١/٥

٤٩- القدس ١٢/١٤

٥٠- القدس ١٢/١٤

٥١-٥٢ - الحياة ١٢/١٥

٥٣ - افتتاحية الحياة ١٩٩١/٤/٢

٥٤- القدس ١/٢٣

٥٥ - القدس ١٢/١٩

٥٦- القدس

٥٧ - القدس ١٠/٣١

٥٨ - الاوبزرفر ١/٦

٥٩ - القدس ٩٠/١٠/٣

٦٠ - الهيرالد تربيون ١٢/١٧

٦١ - القدس ١٢/٦ ماحظك يا فلسطيني في التوزيع العادل للثروة .. وهل لو وزعت بالعدل على الناطقين بالضاد ستكون حصتك ١٢ مليارا في السنة .. أو حتى المليار الذي تدفعه السعودية كل سنة ..؟!

٦٢ - الحياة ١١/٢٨

٦٣- نيويورك تايمز ١١/٢٦

٦٤- القدس ١٢/٥

٦٥ - القدس ١٢/٥

٦٦ - القدس ١٢/١٥

٦٧- الفايننشال تايمس ١٢/٢٨

٦٨ - الصنداي تايمس ١٢/٣٠

٦٩ - الاندبندنت ١/٢٠

الارهاب المستأنس !

٧١- والغريب ان يقال ان القاتل اعترف بتنفيذ الجريمة بأمر من ابو نضال ، وابو نضال في بغداد .. فلماذا لا تطلب منظمة التحرير تسليمها ابو نضال أم انها تعرف ان القتل تم بأمر وعلم ابو عدي ؟ وهل يمكن عقلا او منطقا تصور اعلامي صدام لقضية فلسطين وهو يقتل ابو اياد وابو الهول ؟! الذين هم بالصدفة على رأس قائمة تصفيات الموساد !

٧٢ - الصنداي تلغراف ٩/٩٠/٧٢٩

٧٣ – الهيرالد تريبون ١٨/١٢
٧٤– الصنداي تايمس ١٦/١٢
٧٥– CNN
٧٦– القدس ٢٤/١٢
٧٧– العرب ١٠/١
٧٨ – الأوبزرفر ٣٠/١٢
٧٩ – التايمس ٢٨/١
٨٠ – هيرالد تريبون ٢٨/١
٨١ – الصنداي تلغراف ٢٣/١٢
٨٢ – التايمس ٧/٣/٩١
٨٣ – (القدس ١١/١٢)
٨٤ –مقال المؤلف في جريدة الرافد ٢٢/١٢
٨٥ – الشرق الأوسط ١٨/١٢
٨٦ – دكتور محجوب عمر القدس ٨-٩/١٢
٨٧ – القدس ٢٤/١٢
٨٨– الحياة ٨/١٢
٨٩– جهاد الخازن الحياة ٨/١
٩٠ – صنداي تلغراف ٢٧/١
٩١ –الهيرالد تريبون ٧/١٢
٩٢ – التايمس ٧/١٢
٩٣ – الاندبندنت ٢٨/١
٩٤ مقدمة الخليج الأمريكي العربي سابقا

صواريخ صدام . . مُسوّمة في امريكا ! ٣٤٦

٩٥ – نيوزويك ٥/١١/٩٠
٩٦ – بوب وودوارد واشنطن بوست ٢٨/١
٩٧– عن وقائع ٢٧ /٢/٩١ عن هيرالد تريبون ١٩/٣/٩١
٩٨ – الاندبندنت ٢٠/١
٩٩– هيرالد تريبون ٣٠/١
١٠٠ – الصنداي تايمس ٢٠/١/٩١
١٠١ – القدس١٩/١
١٠٢ – العرب ١٩/١
١٠٣– هيرالد تريبون ٢١/١/٩١
١٠٤ – الجارديان ٢٢/١
١٠٥ – القدس ١٩/١

١٠٦– التايمس ٩١/١/١٩

١٠٧ – لوس انجلوس تايمس ١/٢٠

١٠٨ – ل. ا. تايمس ١/٢٢

١٠٩ – الاندبندنت ١/٢١

١١٠– نيويورك تايمز ١/١٧

١١١ – الهيرالد تريبيون ١٠/٣٠

١١٢ – الديلي تلغراف ١/١٤

١١٣ – نيوزويك ٩١/٣/١٨

١١٤ – واشنطن بوست ١/١٨

١١٥ – الديلي تلغراف ١/٢١

١١٦ – الاندبندنت ١/٢٠ ١/٢٠

١١٧– هيرالد تريبيون ١/٢١

١١٨ – صوت الكويت ١/٢٠

١١٩ – هيرالد تريبيون ١/١٩

١٢٠ – الفايننشال تايمز ١/٢١

١٢١ – هيرالد تريبيون ١/٣٠

١٢٢ – دينيس هيلي في الصنداي تايمس ١/٢٠

١٢٣ – الاندبندنت ١/٢٧

١٢٤ – نيو يورك تايمز ١٩ يناير

١٢٥– نيويورك تايمز ١/١٤

١٢٦ – الاندبندنت ١/٢٠

١٢٧ – صنداي تلغراف ١/٢٠

١٢٨ – هيرالد تريبيون ١/٢١

١٢٩– اتفقت التقارير المتخصصة الصاروخ بالريوت وتقول ان السكود كان يتفجر في الجو وحده اما الباتريوت فكان ينطلق خلف شظاياه ولم ينجح ابدا في اصابة رأسه وقدرت اسرائيل نسبة نجاح تصويبه بعشرين في المائة – واشنطن بوست ٩١/٤/٣٠

١٣٠ – هيرالد تريبيون ٢٧ مارس ٩١

الفصل العاشر

كلهم كومبارس .. الذي مع والذي ضد !

١ – الفايننشال تايمز ١١/٢٣

٢– هيرالد تريبيون ٩٠/١١/٢٣

٣– الديلي تلغراف ١١/٢٢

٤ – الشرق الاوسط ١٩٩١/٣/٢٦

٥ – العرب ٢٦/نوفمبر ٩٠

٦ – الاندبندنت ٩٠/١١/٢٦
٧– صنداي تايمس ٢١/اكتوبر ٩١
٨ – نيوزويك ٩١/٣/١٨
٩– الاندبندنت ١١/٢٤
١٠ – وشنطن بوست ٢٦/نوفمبر ١٩٩٠
١١ – القدس ١١/٢٨
١٢ – القدس ١٢/٢٢

١٣ – الحياة ١/٤

عمان تقاتل العراق وتؤيده بالبيانات ! ٣٦٨

١٤ – وعلى فكرة التراب شاب .. والحدق يفهم !
١٥ – القدس ١/٨
١٦ – الحياة ١/٦
١٧ – الحياة ١١/١٩
١٨ – لوس انجلوس تايمس ١٢/٣٦
١٩ – نيويورك تايمز ١٢/٢٦
٢٠ – العرب ١٢/٢٧
٢١ – الحياة ٩١/١/٢٢
٢٢ – الحياة ١٩٩١/٥/٢٢
٢٣ – البلورة ١٩/نوفمبر ١٩٩٠

• القذافي .. اللسان لصدام والدعم لمبارك ! ٣٧٢

٢٤ – الناس ٩١/٣/٧
٢٥ – الموقف العربي –٩١/٢٨
٢٦ – الاندبندنت ١/٢٠
٢٧ – صنداي تلغراف ٩١/١/٢٠
٢٨ – العرب ٩٠/١٢/٣
٢٩ – القدس ١٢/٣
٣٠ – القدس ١/٤
٣١ – الهيرالد تريبيون ١/١٨

٣٢ – العرب ١١/٢٩
٣٣– انيس منصور – الاهرام ١١/٢٦
٣٤ – العرب ١/١٧

السودان الذي باعوه ..!

٣٧٨

٣٥– القدس ٢٩/اكتوبر ٩٠
٣٦ – الديلي تلغراف ٩١/١/٢٣

كل الصيد في عباءة المللا

٣٨٠

٣٧ – القدس ٩٠/١٢/٢٩
٣٨ – التايمز ١٢/١٤
٣٩ – الفايننشال تايمز ١٢/٢٧
٤٠ – العرب ١١/٢٠
٤١ – العرب ٩٠/١١/١٨
٤٢ – العرب ٩١/٣/٧ حذفنا بعض عبارات لا تليق !
٤٣– صوت الكويت ٩١/(١/١٣
٤٤ – الاحداث ١١/٢٧
٤٥ – لوس انجلوس تايمز ١٢/٢٦
٤٦ – اوبزرفر ١/١٣
٤٧ – لوس انجلوس تايمز
٤٨ – التايمز ١/٢٩
٤٩ – الصنداي تايمز ١٢/٣٠
٥٠– التايم ١٩٩١/٣/١١

الحليفان اللدودان

٣٨٥

مصر ..والمولد ..والحمص

٥١ – ما لم يقله الامير سلطان ، ونتطوع نحن بذكره هو ان هذا الموقف السعودي كان موقف آل فهد أو الفهود كما كانوا يسمونهم لما الملك خالد ومجموعته فقد انتهزوها فرصة لطعن الفهود من خلال الحملة على مصر وانور السادات ، (انظر كتابنا قيام وسقوط امبراطورية النفط)

٥٢ – راجع مقال صلاح حافظ عن الخط الهمايوني اياه ومقال حسين احمد امين عن اضطهاد طفل قبطي في برنامج التلفزيوني في عيد الأم .. والندبة التي الاستها امينة السعيد عن الخط الهمايوني . وقد رد كاتبه على هذه الحملة بكلمة تفضل الأستاذ فليب جلاب مشكورا بنشرها في الأهالي . وقد وقع تحريف في السطور الثلاثة الأخيرة وصحتها : اما عن أسف السيدة امينة السعيد لأنها مصرية فأنا والكثير نحس بنفس الأسف !

٥٣– صباح الخير ٢٥/١٠

٥٤– اخر ساعة ٢٦/١٢

٥٥– مسئول توزيع اموال الاعلام في السفارة الكويتية بالقاهرة .

٥٦– رفعت سيد احمد –الأهالي ١٨/١٠

٥٧ – الاهالي ١٤/١١

٥٨ – بالنسبة لموقف الملك الحسن فقد حكمته عدة اعتبارات منها موقف المعارضة المغربية ذات العلاقات الوثيقة مع البعث العراقي من قديم ، ورغبة هذه المعارضة في كسب الشعبية لعبا على عواطف الجماهير المسلمة. نشرت الدستور حديثا للسياسي المغربي محمد البصري قال فيه « كيف يجوز مشاركة امريكا في احتلالها مكة ؟! » كذلك كان الاتجاه العام في شمال افريقيا مع العراق أو بالأحرى ضد مصر. وقد انفرد الملك الحسن بالوقوف مع مصر وارسل قوات الى السعودية . ولكن مصر كما يشهد انيس منصور لم تقف معه في اهم قضية تشغل بال المغرب وهي الصحراء فكر الحسن ان يهدئ المعارضة ويتفادى الدخول في معركة مع دول المغرب خشية استفتاء الصحراء .. « فاتهم مصر بتعقيد ازمة الخليج واكد للمغاربة انه قوالهم لن تاخذ اي جانب في الهجوم على العراق الشقيقة العربية المسلمة .» (الاندبندنت ١٨/٩)

٥٩ –انيس منصور الاهرام ١٧/١)

٦٠ – الاهالي ٢٦/١٢

٦١ – الاهرام ١٦/١٢

٦٢ – الهيرالد تريبون ١٧/١

٦٣– الاندبندنت ٢٨/١

٦٤ – لوس انجلوس تايمس ٢٨/١

٦٥ – لوس انجلوس تايمس ٣٠/١

٦٦ – مع الاعتذار للأخوين جورج وصلاح الدين !

٦٧ – الاندبندنت ٤/١

٦٨ – الحياة ٢٣/١٢

٦٩ – الحياة ٢٢/١

٧٠ – الاهرام ٢٣/١

٧١ – الجارديان ٢٢/١

٧٢ – واشنطن بوست ١٨/١

٧٣– ديلي تلغراف ٣٠/١

٧٤ – نيويورك تايمز ٣١/١

٧٥ – الاحداث ٢٢/١١

٧٦ – ٣١/١/٩١

٧٧ – الاخبار ١٠/٥/٩١

١٩- الديلي تلغراف ١/١/١

٢٠ - ٢١ - التايمس ١/١

٢٢ - الجارديان ١/٦

٢٣ - نيويورك تايمز ١/٨

٢٤ - نيويورك تايمز ١/٨

٢٥- الهيرالد تريبون ٥-١/٦

٢٦ - الصنداي تلغراف ١/٦

٢٧ - التايمس ١/٤

٢٨ - الصنداي تايمس ١/٦

٢٩- الهيرالد تريبون ١/٤

٣٠ - الديلي تلغراف ١/٤

٣١ - الاندبندنت ١٢/٢٣

٣٢ - الهيرالد تريبون ١٢/٢٠

٣٣- الاندبندنت ١/١٦

٣٤ - الجارديان ١٢/٢٤

٣٥- التايمس ١٢/٢٨

٣٦ - التايم - ١٩٩١/٣/١١

٣٧ - العبياد ١٢/٢٠

ألمانيا صح منها العزم ٠٠ والفرنسي أبى ٠٠!

٣٨ - نشرت في الوفد بتاريخ ٩/١١/٩٠

٣٩ - الجارديان ١١/٧

٤٠ - الاندبندنت ١٠/٢٤

٤١ - التايمس ١١/٦

٤٢ - الجارديان ١١/١٣

٤٣ - العرب ١/١٩

٤٤ - الجارديان ١١/٢

٤٥- التايمس ٦/نوفمبر ٩٠

٤٦ - الجارديان ١١/٦

٤٧ - جارديان ١١/١٩

٤٨ - الفاينانشال تايمس ١١/١٩

٤٩- نيويورك تايمز ١/٥

٥٠ - هيرالد تريبون ١/٢٢

٥١ – التايمس ١/٢٨
٥٢ – هيرالد تريبيون ١/٢٨
٥٣ – الهيرالد تريبيون ٦/٩)
٥٤ – هيرالد تريبيون ١/١١
٥٥ – هيرالد تريبيون ١٩٩١/٣/٢٩
٥٦ – التايمس ١/٣١

التركي . . دخل الحرب جنرالا وخرج سقا!

٤٢٨

٥٧ – ولهذا الخط قصة معي فعندما قرر صدام حسين ان ينقل نفطه عبر تركيا بدلا من سوريا قابلته صدفة في ابوظبي و سألته لماذا تنقل النفط من بلد عربي الى بلد غير عربي . . ورد هو : هل هذا السؤال لمجرد الاستفزاز ام تريد ان تعرف فعلا؟ فأكدت له ان حسن نيتي هي المعرفة. فراح يشرح اكثر من ساعة مسألة خلافه مع سوريا وخلاصته انه لا يأمن لها وانها قد تقطع النفط عنه في ظروف حرجة قد تواجهه. وعندما تدهورت العلاقات بعد ذلك مع سوريا كنت اقول . . والله ان الرجل كان على حق . . حتى جاءت ازمة الخليج واغلقت تركيا الخط بكل بساطة رغم الاتفاقيات ورغم المصالح المالية التي حققتها تركيا من هذا الخط ورغم كل ما كان الغرب يقوله عن العيب وسوء الخلق في استخدام النفط في السياسة ! وكنها قلت : وتركيا ايضا غدرت بك يا صدام ، لما غدرت بشعبك!

٥٨ – الفايننشيال تايمس ١/٢٨
٥٩ – الاندبندنت ١/٢٨
٦٠ – الهيرالد تريبيون ١/٤
٦١ – الاندبندنت ٩١/١/٢٨/اذا اضطر صدام لاعطاء الاكراد حكما ذاتيا في منطقة تشمل كركوك فقد تفكر تركيا في جذبهم في مدارها بخلق كيان كردي تركي ج
٦٢ – نيوزويك ٩١/٣/١٨
٦٣ – الجارديان ١/٢٤
٦٤ – تايم ١٣ مايو ١٩٩١

الأذلان . . روسيا والصين !!

٤٣٣

٦٥ – نيويورك تايمز ١٢/٣٠
٦٦ – التايم ١ ابريل ١٩٩١
٦٧ – ١٢/٢٧
٦٨ – الاندبندنت ١/٢٧
٦٩ – صوت الكويت ١١/١٦
٧٠ – الفايننشال تايمز ١١/١٦

٧١- الاحداث١٦ ١ نوفمبر ٩٠

٧٢ – الاهرام ١٩٩١/٣/٣١

٧٣ – صنداي تايمس ١١/٤

٧٤- الاوبزرفر

٧٥ – التايمس ٢/٥

٧٦ – التايمس ١٢/٢٨

٧٧ – من مقدمة بقلم احمد الحسيني لترجمته كتاب بريماكوف : اسرار المباحثات السوفيتية – العراقية .

٧٨ – هيرالد تريبيون ١١/١٦

٧٩ – التايمس ١٠/١٩

٨٠ – الاندبندنت ١٠/١٤

٨١ – الهيرالد تريبيون ١٢/٦

٨٢ – هيرالد تريبيون ١/٢١

٨٣ – الديلي تلغراف ١/٢٨

٨٤ – لويس الحلوس تايمس ١/٢٧

٨٥ – هيرالد تريبيون ١/٢٨

٨٦ – هيرالد تريبيون ١/٣٠

٨٧ – التايمس ١/٣٠

٨٨- الاندبندنت ١/٣١

٨٩- بريماكوف يتذكر -النايم ١٩٩١/٣/١١

٩٠- الاوبزرفر ١٢/٣٠

الباب الرابع الخامس

سقط العراق وانتصر الزعيم ..!

٤٤٩

الفصل الثاني عشر

طومار بوش بن أبي سفيان

١- الصنداي تايمس ١/٦

٢ – نيويورك تايمز ١/٥

٣- الديلي تلغراف ١/٤

٤ – التايمس ١/٤

٥ – نيويورك تايمس ١/٣

٦ – الاندبندنت ٤/يناير ٩١

٧ – نيويورك تايمز ١/٣
٨ – نيويورك تايمز ١/٨
٩ – العرب ١/٩
١٠ – هذا ما كتبناه في ٩١/١/١٠
١١ – جهاد الخازن الحياة ١/١١
١٢ – الاندبندنت ١/٥
١٣ – نيويورك تايمز ١/١١
١٤ – الهيرالد تريبيون ١/١٨
١٥ – هيرالد تريبيون ١/١١
١٦ – لوس انجلوس تايمز ١٣ يناير
١٧ – الأوبزرفر ١٢/٣٠
١٨ – الصنداي تايمس ١/٢٠
١٩ – الديلي تلغراف ١/١٤
٢٠ – التايمس ١/١٩
٢١ – هيرالد تريبيون ١١/٢
٢٢ – نيويورك تايمز ١/١٧
٢٣ – الصنداي تلغراف ١٢/٩
٢٤ – الصنداي تايمس ١٢/٣٠
٢٥ – هيرالد تريبيون ٩١/٣/١٢
٢٧ – النيويورك تايمز ٩١/٣/٣٠
٢٨ – هيرالد ١٢/٦
٢٩–٣٠ هيرالد ٣٠–٩١/٣/٣١
٣١ هيرالد ٩١/٣/٢٠
٣٢ نيوزويك ٩١/٤/١

٣٣ – نيوزويك ١٩٩١/٤/١
٣٤ – ٣٥–التايم ١٩٩١/٣/١١
٣٦ – التايم ١٩٩١/٣/١١
٣٧ – صنداي تايمس ٩١/٣/٣
٣٨ – الاندبندنت ١/٢٤
٣٩ – التايم ١٩٩١/٣/١١
٤٠ – التايم ١٩٩١/٣/١١

٤١ – هيرالد تريبيون ١/٢١
٤٢ – الهيرالد تريبيون ٣١ يناير ٩١
٤٣ – الفاينانشال تايمز ١/٢١
٤٤ – ٤٥ – الجارديان ٩١/١/٣٠
٤٦ – هيرالد ٩١/٤/١

الملاحق

بعض ملاحظات على حديث الملك الشريف حسين ٤٧٣

١- أصدرناها بتاريخ ١٣ديسمبر ١٩٩٠.
٢- انظر رسالة .. اسرائيل ليست أصل المشاكل وانما المشاكل قبل وبعد بلفور ومن الصراع القبلي العربي . المنشورة في الديلي تلغراف

(١٢/١٢)

٣- نشر في ١٣ديسمبر ١٩٩٠

عودة الحاوي الطروب ٤٨٤

١- المقال الذي نشر في الوفد رداً على أول مقال لهيكل عن أزمة الخليج (أكتوبر ١٩٩٠) مع بعض الاضافات
٢- نيوزويك ١٩٩١/٤/١ .. أليس لهذا أبقوا على صدام وجنده الطلقاء .. وأيضاً أليس استمرار صدام في السلطة هو اللزومة التي تعلل بها شيوخ الكويت والبحرين لاستجلاب القواعد والاحتلال الامريكي اج مايو ٩١

تم بحمد الله